

أطروحة مُقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه الطّور الثّالث (L.M.D)
في مشروع التّرجمة والتّرجمة القوْريّة: عربيّ/فرنسيّ/إنجليزيّ.
موسومٌ عُنوانها بـ:

جَلِيَّةُ الْأَنَا وَالْآخَرِ

فِي تَرْجُمةِ الرِّوَايَةِ الجَزَائِرِيَّةِ فِي الحِقْبَةِ الإِسْتِعمَارِيَّةِ

– دِرَاسَةٌ تَطْبِيقِيَّة –

إشراف:

أ. د. جازية فرقاني

إعداد الطّالِب:

منير شترات

أعضاء لجنة المناقشة:

حفيظة بلقاسمي	أستاذة التعليم العالي	جامعة وهران – 1 – أحمد بن بلة (وهران)	رئيسًا
جازية فرقاني	أستاذة التعليم العالي	جامعة وهران – 1 – أحمد بن بلة (وهران)	مُشرفًا ومُقرّرًا
محمد داود	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران – 1 – أحمد بن بلة (وهران)	عُضْوًا مُناقِشًا
نسرين كنزة بن دحو	أستاذة التعليم العالي	جامعة وهران – 1 – أحمد بن بلة (وهران)	عُضْوًا مُناقِشًا
زهور قرين	أستاذة التعليم العالي	جامعة أبو بكر بلقايد (تلمسان)	عُضْوًا مُناقِشًا
رحمة بوسحابة	أستاذة محاضرة (أ)	جامعة مصطفى اسطمبولي (معسكر)	عُضْوًا مُناقِشًا

«إنَّ الآخر هو المختلف في الجنس أو
الانتماء الدينيّ أو الفكريّ أو العرقيّ، وتتضح
إشكاليّة الأنا (العربيّة، الإسلاميّة) والآخر الغربيّ
بسبب سوء التفاهم والمُواجهة السياسيّة
والعسكريّة، أمّا علاقة الذات به مِنْ الناحية
الثّقافيّة والاقتصاديّة والتقنيّة، فقد بدّت
ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها».

د. ماجدة حمود.

« De fait, il y a dans la traduction
quelque chose d'une maïeutique. Encore
une fois, la traduction est le lieu d'une
dialectique du *Même* et de l'*Autre* : en
l'espèce, l'*altérité* est ce dont elle part ; et
ce à quoi elle tend, c'est le *propre*.
Traduire, c'est partir de l'*altérité* des
signifiants de la langue-source, pour
rejoindre le *propre* de la langue-cible. ».

Jean-René LADMIRAL.

« The language of the *Other* can
serve a double purpose: it may be the
arena for *confrontation*, for *resistance*
to the *Other*, but it may also be a means
of *self-liberation* [...] The process of
translation is a *perpetual one*, and the
traces of both *classical Arabic* and the
dialect are always present within the
French. ».

Samia MEHREZ.

شُكْرٌ وَعِزْفَان:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله خالق الإنسان، والشُّكْرُ له على نعمة اللِّسان والبيّان، والصَّلَاة والسَّلَام على رسوله العَدَنان، خير مَنْ نَطَقَ فَأُفْصِحَ وَأَبَانَ، وَبَعْدُ:

أَتَقَدَّمُ بِالشُّكْرِ الْجَزِيلِ، وَالثَّنَاءِ الْأَصِيلِ، وعبارات التَّقْدِيرِ وَالتَّبْجِيلِ، وَالْعِزْفَانِ بِالْجَمِيلِ؛ إِلَى مَنْ مَدَّ لِي يَدَ الْعَوْنِ طَوَالَ سَنَوَاتِ إِنْجَازِ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ وَأَخَصُّ بِالذِّكْرِ:

- وَالِدَيَّ وَصَبْرَهُمَا، وَإِخْوَتِي وَتَفَهُمَهُمْ، وَأَصْدِقَائِي وَتَشْجِيعَاتِهِمْ.
- الْأُسْتَاذَةُ الدُّكْتُورَةُ جَازِيَةُ فَرْقَانِي (الْأُسْتَاذَةُ الْمُشْرِفَةُ) الَّتِي رَافَقْتَنِي طَوَالَ مَشَوَارِي الْبَحْثِي، وَأَسَهَمَتْ فِي نَشَاطَاتِي الْعِلْمِيَّةِ كَافَّةً، بِالتَّكْوِينِ وَالتَّوْجِيهِ وَالنُّصْحِ وَالْإِزْشَادِ، فَكَانَتْ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ السَّاهِرَةِ عَلَى ابْنِهَا. أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ أَنْ يُمَتِّعَهَا بِالصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ، وَأَنْ يَمُدَّ لَهَا فِي عُمُرِهَا.
- الْأُسْتَاذُ الدُّكْتُورُ وَسَامُ تَوْهَامِي، مُدِيرُ مَخْبَرِ التَّرْجُمَةِ وَأَنْوَاعِ النُّصُوصِ، وَرئيسُ مَشْرُوعِ التَّرْجُمَةِ وَالتَّرْجُمَةِ الْفَوْرِيَّةِ؛ لِمُتَابَعَتِهِ الْمُسْتَمِرَّةِ، وَتَشْجِيعَاتِهِ الْمُتَوَاصِلَةِ.
- أَعْضَاءُ الْمَجْلِسِ الْعِلْمِيِّ لِمَعْهَدِ التَّرْجُمَةِ بِجَامِعَةِ وَهْرَانِ - 1 - أَحْمَدُ بْنُ بَلَّةَ، وَعَلَى رَأْسِهِمُ الْأُسْتَاذَةُ الدُّكْتُورَةُ حَفِيظَةُ بَلْقَاسِي، رَئِيسَةُ الْمَجْلِسِ الْعِلْمِيِّ لِلْمَعْهَدِ، وَأَعْضَاءُ لَجْنَةِ التَّكْوِينِ فِي الدُّكْتُورَاهِ، وَأَسَاتِذَةُ مَعْهَدِ التَّرْجُمَةِ كَافَّةً، وَأَفْرَادُ الطَّاقَمِ الْإِدَارِيِّ جَمِيعًا.
- كُلُّ مَنْ سَاعَدَنِي فِي تَجْمِيعِ مَرَاجِعِ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ وَتَذْلِيلِ مَسَالِكِهَا الْوَعْرَةِ، مِنْ دَاخِلِ الْوَطَنِ وَخَارِجِهِ، وَأَخَصُّ بِالذِّكْرِ الْمُتَرْجِمُ الدُّكْتُورُ مَعْرَاجُ أَغَا، وَالدُّكْتُورَةُ سَمِيرَةُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ، وَالسَّيِّدَةُ مَنِيرَةُ صَبَّاحُ النَّبَوَانِي.
- أَعْضَاءُ لَجْنَةِ الْمُنَاقَشَةِ الْأَفَاضِلِ، كُلٌّ بِاسْمِهِ وَدَرَجَتِهِ وَمَقَامِهِ، أَشْكُرُ لَهُمْ تَفْحُصَهُمُ الدِّرَاسَةَ بِتَقْيِيمِهَا وَتَقْوِيمِهَا بُغْيَةَ اكْتِسَابِهَا حُلَّةَ الْعِلْمِيَّةِ بِصِفَةِ نَبَائِيَّةٍ.

أَشْكُرْكُمْ جَمِيعًا.

الْبَاحِثُ مَنِيرُ شَتْرَات.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

مُقدِّمة:	أ
الفصل الأول: جدليّة الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسيّة	13
1.1 المبحث الأول: جدليّة الأنا والآخر: ضبط المصطلحات وقراءة في المفاهيم	14
1.1.1 جدليّة:	14
2.1.1 الأنا:	16
1.2.1.1 الذات:	17
2.2.1.1 بين الأنا والذات:	19
3.1.1 الآخر:	22
1.3.1.1 الغير:	23
2.3.1.1 الهُو:	24
3.3.1.1 الغريب:	24
2.1 المبحث الثاني: جدليّة الأنا والآخر من منظورات فلسفيّة وروائيّة وترجميّة	27
1.2.1 جدليّة الأنا والآخر من منظور فلسفيّ:	27
2.2.1 جدليّة الأنا والآخر من منظور روائيّ:	28
1.2.2.1 تجليات الأنا في الخطاب الروائيّ:	30
2.2.2.1 تجليات الآخر في الخطاب الروائيّ:	30
3.2.1 جدليّة الأنا والآخر من منظور ترجميّ:	31
3.1 المبحث الثالث: جدليّة الأنا والآخر في خطاب الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسيّة في الحقبة الاستعماريّة	36
1.3.1 جدليّة الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسيّة: نشأتها وتطوّرها	36
1.1.3.1 حقبة انفتاح الأنا على الآخر وتأثيرها به:	37
2.1.3.1 حقبة يقظة الأنا وعودتها إلى رُشدِها:	40
3.1.3.1 حقبة انبثاق الوعي وتحريك الأنا الجمعيّة:	43

47	4.1.3.1	حقبة نُضج الأنا وثورتها على الآخر:
52	2.3.1	تجليات الأنا والآخر في روايات الحقبة الاستعمارية: نماذج روائية مُنتقاة.....
53	1.2.3.1	تجليات الأنا والآخر في رواية «Myriem dans les palmes» لمحمد ولد الشيخ أغا:.....
61	2.2.3.1	تجليات الأنا والآخر في رواية «Lebbeik : Pèlerinage de Pauvres» لمالك بن نبي:.....
64	3.2.3.1	تجليات الأنا والآخر في رواية «La grande maison» لمحمد ديب:.....
67	4.2.3.1	تجليات الأنا والآخر في رواية «L'incendie» لمحمد ديب:.....
72	5.2.3.1	تجليات الأنا والآخر في رواية «Le métier à tisser» لمحمد ديب:.....
74	6.2.3.1	تجليات الأنا والآخر في رواية «La dernière impression» لمالك حدّاد:.....
75	7.2.3.1	تجليات الأنا والآخر في رواية «Le quai aux Fleurs ne répond plus» لمالك حدّاد:.....
82		الفصل الثّاني: جدليّة الأنا والآخر في ضوء الترجمة ونظريّاتها
	1.2	المبحث الأوّل: جدليّة الأنا والآخر في مسار التّأسيس النّظريّ لعلم الترجمة من منظور فلسفيّ
82		
90	2.2	المبحث الثّاني: جدليّة الأنا والآخر في ميزان الترجمة الروائيّة ونظريّاتها.....
90	1.2.2	جدليّة الأنا والآخر في ميزان النّظرية التّأويليّة في الترجمة:.....
94	2.2.2	جدليّة الأنا والآخر في ميزان الترجمة من منظور اجتماعي:.....
96	1.2.2.2	جدليّة الأنا والآخر في الحقل الأدبي:.....
96	2.2.2.2	جدليّة الأنا والآخر وهابيتوسات الكاتب والمترجم والقارئ:.....
98	3.2.2.2	جدليّة الأنا والآخر وإيلوزيو l'illusio النّصّ الروائي:.....
100	4.2.2.2	جدليّة الأنا والآخر في ميزان رأس المال الرمزيّ:.....
102	3.2.2	جدليّة الأنا والآخر في ميزان نظريّة الترجمة عند أنطوان بيرمان:.....
103	1.3.2.2	جدليّة الأنا والآخر في ملامح التّصوّر البيرومانيّ للترجمة:.....
106	2.3.2.2	جدليّة الأنا والآخر في منهج نقد الترجمة عند أنطوان بيرمان:.....
113	3.2	المبحث الثّالث: جدليّة الأنا والآخر في سياق نظريّات الترجمة ما بعد الاستعماريّة.....
118	1.3.2	نظريّة الترجمة ما بعد الاستعماريّة عند تيجاسويني نيرانجانا Tejaswini Niranjana:.....
	2.3.2	نظريّة الترجمة ما بعد الاستعماريّة عند غاياتري شاكرافورتى Gayatri Chakravorty سيفاك
124		Spivak:.....

3.3.2	نظرية الترجمة ما بعد الاستعمارية عند سامية محرز Samia Mehrez:	131
	الفصل الثالث: جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجمة واستراتيجياتها.....	146
1.3	المبحث الأول: جدلية الأنا والآخر في مسار الذات الترجمة	146
1.1.3	الذات الكاتبة:	148
2.1.3	الذات المكتوبة:	149
3.1.3	الذات المترجمة:	152
4.1.3	الذات القارئة:	156
2.3	المبحث الثاني: جدلية الأنا والآخر في ميزان الثنائيات الترجمة	160
1.2.3	التكافؤ الشكلي والتكافؤ الديناميكي:	160
1.1.2.3	التكافؤ الشكلي:	160
2.1.2.3	التكافؤ الديناميكي:	161
2.2.3	استراتيجيتا التوطن والتغريب:	163
1.2.2.3	استراتيجية التوطن:	163
2.2.2.3	استراتيجية التغريب:	165
3.2.3	المصدرئون والمستهدفون:	170
1.3.2.3	المصدرئون:	171
2.3.2.3	المستهدفون:	172
4.2.3	البين والمضمّر:	177
5.2.3	الترجمة وإعادة الترجمة:	180
3.3	المبحث الثالث: جدلية الأنا والآخر في مسار الترجمة الروائية: نحو مقارنة لترجمة الرواية	
	الجزائرية المكتوبة بالفرنسية إلى العربية ونقد ترجمتها	185
1.3.3	رسم المسارين التحليلي والنقدي:	186
2.3.3	ضبط المصطلحات الترجمة وقراءة في المفاهيم:	187
1.2.3.3	مصطلح الكتابة بلغة الآخر:	187
2.2.3.3	مصطلح عودة النص إلى منبعه:	192
3.2.3.3	مصطلح الرحلة الثانية والعودة إلى الأصل:	193

194	4.2.3.3 مصطلح البيلدونغ <i>La Bildung</i> :
198	5.2.3.3 مصطلح البينينة (الفضاء البيني):
201	6.2.3.3 مصطلح العودة الأسطورية:
203	3.3.3 قراءة الذات الروائية المكتوبة الأصل وتفكيكها:
203	4.3.3 البحث عن الذات الكاتبة:
204	5.3.3 قراءة الذات الروائية المترجمة وتفكيكها:
205	6.3.3 البحث عن الذات المترجمة:
206	7.3.3 ضبط الاستراتيجية الترجمية المنتهجة:
213	الفصل الرابع: جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية:
213	1.4 المبحث الأول: تقديم مدونة الدراسة ورسم منهجية المسارين التحليلي والنقدي
213	1.1.4 تقديم مدونة الدراسة:
216	2.1.4 رسم منهجية المسارين التحليلي والنقدي:
217	1.2.1.4 من حيث الشكل:
218	2.2.1.4 من حيث المضمون:
220	2.4 المبحث الثاني: سيروية تحليل ترجمة المقاطع السردية إلى العربية ونقدها
220	1.2.4 جدلية الأنا والآخر في ترجمة رواية «Myriem dans les palmes» لمحمد ولد الشيخ أغا إلى العربية:
243	2.2.4 جدلية الأنا والآخر في ترجمة رواية «Lebbeik : Pèlerinage de Pauvres» لمالك بن نبي إلى العربية:
254	3.2.4 جدلية الأنا والآخر في ترجمة رواية «La grande maison» لمحمد ديب إلى العربية:
270	4.2.4 جدلية الأنا والآخر في ترجمة رواية «L'incendie» لمحمد ديب إلى العربية:
281	5.2.4 جدلية الأنا والآخر في ترجمة رواية «Le métier à tisser» لمحمد ديب إلى العربية:
287	6.2.4 جدلية الأنا والآخر في ترجمة رواية «La dernière impression» لمالك حداد إلى العربية:
292	7.2.4 جدلية الأنا والآخر في ترجمة رواية «Le quai aux Fleurs ne répond plus» لمالك حداد إلى العربية:
319	3.4 المبحث الثالث: نتائج سيورتي التحليل والنقد
320	1.3.4 مشروع ترجمة رواية «Myriem dans les palmes» لمحمد ولد الشيخ أغا إلى العربية:

1.1.3.4	نتاج ترجمة رواية «Myriem dans les palmes» لمحمد ولد الشيخ أغا إلى العربية: 321
2.3.4	مشروع ترجمة رواية «Lebbeik : Pèlerinage de Pauvres» لمالك بن نبي إلى العربية: 324
1.2.3.4	نتاج ترجمة رواية «Lebbeik : Pèlerinage de Pauvres» لمالك بن نبي إلى العربية: 327
3.3.4	مشروعا ترجمة ثلاثية «La grande maison» و«L'incendie» و«Le métier à tisser» لمحمد ديب إلى العربية: 329
1.3.3.4	نتاج ترجمتي رواية «La grande maison» لمحمد ديب إلى العربية: 331
2.3.3.4	نتاج ترجمتي رواية «L'incendie» لمحمد ديب إلى العربية: 333
3.3.3.4	نتاج ترجمتي رواية «Le métier à tisser» لمحمد ديب إلى العربية: 334
4.3.4	مشروع ترجمة رواية «La dernière impression» لمالك حدّاد إلى العربية: 335
1.4.3.4	نتاج ترجمة رواية «La dernière impression» لمالك حدّاد إلى العربية: 335
5.3.4	مشاريع ترجمة رواية «Le quai aux Fleurs ne répond plus» لمالك حدّاد إلى العربية: 337
1.5.3.4	نتاج ترجمات رواية «Le quai aux Fleurs ne répond plus» لمالك حدّاد إلى العربية: 339
344	خاتمة: 344
360	ثبّت المصطلحات: 360
372	قائمة المصادر والمراجع: 372
390	الملاحق: 390
390	الملحق (1): محمد ولد الشيخ أغا في سطور 390
394	الملحق (2): مالك بن نبي في سطور 394
397	الملحق (3): محمد ديب في سطور 397
400	الملحق (4): مالك حدّاد في سطور 400
404	الملحق (5): المترجم معراج أغا في سطور 404
406	الملحق (6): المترجم زيدان خوليف في سطور 406
408	الملحق (7): المترجم سامي الدروبي في سطور 408
413	الملحق (8): المترجم أحمد بن محمد بكلي في سطور 413

415	الملحق (9): المترجم السعيد بوطاجين في سطور.....
418	الملحق (10): المترجم حنفي بن عيسى في سطور.....
420	الملحق (11): المترجم ذوقان قرقوط في سطور.....
428	ملخصات الدراسة:.....
428	ملخص الدراسة باللغة العربية:.....
436	ملخص الدراسة باللغة الفرنسية:.....
445	ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية:.....

نُقَدِّمُ

مُقَدِّمَةٌ:

تُعَدُّ جدليَّةُ العلاقة بين الأنا والآخر قيمةً محوريَّةً في النِّقاشات الفلسفيَّة، والخطابات الأدبيَّة، والممارَّسات التَّرجيميَّة. وكثيرًا ما تكون هذه الجدليَّة انعكاسًا لتأملات الفلاسفة وتخميناتهم، وآراء الكُتَّاب والأدباء وتوجُّهاتهم، ونظريَّات المترجمين واستراتيجيَّاتهم. وفي حلقة تداخل الفلسفة في الأدب، استنَبَتَ الحقل الأدبي جدليَّة الأنا والآخر من الميدان الفلسفيِّ في أنساقه الإبداعية عامَّة. وفي الحقل الروائيِّ، عالجت الرواية العربيَّة بصفة عامَّة، مُنذ تجاربها المبكِّرة وحتى الآن، هذه الجدليَّة التي صارت محورًا رئيسًا تدورُ عليه بكرة الخطاب الروائيِّ العربيِّ، حرصت فيها الذوات الكاتبة على الدفاع عن هويَّة الأنا العربيَّة في مواجهة الآخر الغربيِّ، بسبب اندلاع الحروب بينهما، طارحةً الثنائيات الضديَّة الآتية: المسلم والكافر، الشرقي والغربيِّ، العرب والغرب، المُستعمر والمُستعمر... ونحو ذلك. ومما يُسجِّلُ للرواية العربيَّة، بناءً على ما بُسِطَ عرضه سلفًا، إضفاءها الطَّابع السلبيِّ الذي تتَّسمُ به العلاقة بين الأنا والآخر عوض الطَّابع الإيجابيِّ الذي، إن ارتسمت حُدوده، نَسْتَشِفُّ جُروحَه التي تَرَكَتْ ندوبًا لا تندملُ.

وفي سياق الحقبة الاستعماريَّة للجزائر، نشأت جدليَّة الأنا والآخر في الرواية الجزائريَّة المكتوبة بالفرنسيَّة وبرزت في الفترة الممتدَّة ما بين 1920م و1962م، أي مُنذ ظهور أوَّل رواية جزائريَّة مكتوبة بالفرنسيَّة إلى تاريخ استقلال الجزائر وتحرُّرها، على يد كُتَّاب جزائريِّين أمثال: القايد بن الشريف، ومحمد ولد الشيخ أغا، وعلي الحمَّامي، ومالك بن نبي، ومولود فرعون، ومولود معمري، ومحمد ديب، وكاتب ياسين، وآسيا جبار، ومالك حدَّاد... وغيرهم. لقد دافع كُتَّاب الحقبة الاستعماريَّة هؤلاء عن هويَّة الشَّعب الجزائريِّ، وعبروا عن كيانه وتمسُّكه بلُغته الأمِّ، وتشبُّهه بتعاليم دينه، وحفاظه على عاداته ومُقوماته الثقافيَّة: مُتَّخِذِينَ اللُّغة الفرنسيَّة التي تخطُّ بها أعلامهم وسيلةً للتعبير عن قضايا الاستعمار وتدايعاته، فكانت أعمالهم الروائيَّة ضربًا من ضُرُوب الكفاح.

ما يسترعي الانتباه في سيرورة تقفِّي مسار جدليَّة الأنا والآخر في نشأة الرواية الجزائريَّة المكتوبة بالفرنسيَّة وتطوُّرها، تحوُّلات فحوى الخطاب الروائيِّ ومضامينه التي كانت خاضعةً - بالأساس - للأوضاع السياسيَّة التي شهدتها الحقبة الاستعماريَّة خُضوعًا يتماشي والوضع الذي يطبع كل مرحلة كُتِبَتْ فيها الرواية. يبيد أن أحداث ثورة التَّحرير كانت مُنعرجًا حاسمًا، وحقلًا خصبًا، وينبوعًا مُتفجِّرًا لأعمال روائيَّة عديدة، حملت مُتُونها السردية بين حناياها جدليَّة العلاقة بين الأنا الجزائريَّة المُحتلَّة (المُستعمَرة) والآخر الفرنسيِّ المُحتلَّ (المُستعمر)، وما يُضفي على هذه العلاقة من تداعيات. وحتى نهاية

سنوات الستينيات، اتخذت غالبية الأعمال الروائية الصادرة في تلك الحقبة أحداث ثورة التحرير وصور المقاومة موضوعاً لها، راسمة مشاهد اعتزاز الأنا الجزائرية بثورتها وهويتها ووحدتها واستقلالها، مثيرة ما خلفه الآخر الفرنسي من آثار.

ومن منظور تَرْجَمِيٍّ، تُعدُّ الترجمة من الحقول المعرفية مُتَعَدِّدَة التَّخَصُّصَات، ترمي إلى مدِّ جسور التَّوَاصُلِ بين الشُّعُوب والأُمَم بُغْيَةً تَبَادُلِ الْعِلْمِ والمعرفة بينهم وتعرُّفهم على ثقافة الآخر وحضارته. ولتجسيد اللِّقَاءِ والتَّقَارُبِ بين الشُّعُوب، تأتي الترجمة بوصفها وسيطاً يُذَيِّبُ ذَلِكَ التَّمَايُزَ بين اللُّغَاتِ والثقافات والعرقِيَّاتِ المختلفة لِتَجَسِّرَ الْهَوَّةَ الْفَاصِلَةَ بين الأنا والآخر. وفي سياق التَّأْسِيسِ النَّظَرِيِّ لِعِلْمِ الترجمة، شهدت حقبة الستينيات (أي منذ مُنْتَصَفِ ستينيات القرن العشرين) انفجاراً في دراسات الترجمة وأبحاثها، فتعددت مُقَارِبَاتُهَا واختلفت نظريَّاتُهَا، منها ما اِرْتَبَطَ بِاللِّسَانِيَّاتِ، ومنها ما تَعَلَّقَ بِالدِّرَاسَاتِ الْأَدَبِيَّةِ (الأدب المقارن على وجه التحديد)، ومنها ما عُيِّنَ بِالدِّرَاسَاتِ الثَّقَافِيَّةِ، أي ما اِصْطُلِحَ عَلَيْهِ بِالْمُنْعَطَفِ الثَّقَافِيِّ (cultural turn)، ومنها ما اِسْتَنَدَ إِلَى أَطَرِاجِثِمَاعِيَّةٍ، أي ما يُعْرَفُ بِالْمُنْعَطَفِ اِلِاجْتِمَاعِيِّ (sociological turn). وبفضل المقاربات الفلسفية والتأويلية (الهرمينوطيقية)، وفي ظلِّهَا، اِسْتَدَّ عَوْدَ الْمُنْعَطَفِ الْفَلَسَفِيِّ فِي عِلْمِ التَّرْجَمَةِ (le tournant philosophique dans la traductologie)، وَصُولاً إِلَى النَّهْجِ النَّسَوِيِّ فِي التَّرْجَمَةِ ونظريات الترجمة ما بعد الاستعمارية.

وفي سيرة جَسْرِ الْهَوَّةِ وتبديد الترجمة للمسافة بين الأنا والآخر، تُثَارُ تَسْأُلاتُ تَرْجَمِيَّةٍ عِدَّةٍ، تُسَلِّطُ - في غالبيتها - الضَّوْءَ عَلَى مَدَى صُعُوبَةِ تَفْسِيرِ النُّصُوصِ وتأويلها، وَفَكَ رُمُوزِ مَضَامِينِهَا وَجَدَلِيَّاتِهَا، مُتَبِّعَةً مَسْلَكَ جَدَلِيَّةِ الْاَنَا وَالْآخَرِ فِي مَسَارِ الْفِعْلِ التَّرْجَمِيِّ، هَذِهِ الْجَدَلِيَّةُ الْمُتَأَنِّيَّةُ مِنْ جَرَاءِ اِلِاتِّقَالِ بَيْنِ النَّصِّينِ الْأَصْلِ وَالْمُتَرْجَمِ، وَمُتَقَصِّصَةُ الْقَرَارَاتِ الْمُصَاحِبَةِ لِلْفِعْلِ التَّرْجَمِيِّ الَّتِي يَهْتَدِي إِلَيْهَا الْمُتَرْجِمُونَ قَبْلَ التَّرْجَمَةِ وَأَتْنَاءِهَا. وَبِذَا، تَسْتَدْعِي هَذِهِ التَّسْأُلاتُ الْجَدَلِيَّةُ الْمُنْبَثِقَةُ مِنْ جَوْهَرِ اِلِشْكَالِيَّةِ الْفَلَسَفِيَّةِ لِلتَّرْجَمَةِ مُسْأَلَةً فِلَسَفِيَّةً صِرْفَةً. وَفِي سِيَاقِ التَّقَارُبِ الْجَوْهَرِيِّ بَيْنِ الْفَلَسَفَةِ وَالتَّرْجَمَةِ، اِسْتَمَالَتْ تِلْكَ التَّسْأُلاتُ التَّرْجَمِيَّةُ ذَاتَ الْبُعْدِ الْفَلَسَفِيِّ بِصَائِرِ فِلَاسَفَةِ أَمْثَالِ: جُورْجِ شَتَاينِرِ George Steiner، وَوَالْتَرِ بِنْيَامِينَ Walter Benjamin، وَجَاكْ دَرِيدَا Jacques Derrida، وَبُولِ رِيكُورِ Paul Ricœur؛ وَدَفَعَتْهُمُ لِلْخَوْضِ - فِلَسَفِيًّا - فِي الْمَسَائِلِ التَّرْجَمِيَّةِ.

كَمَا اِضْطَلَعَ مُنْظَرُو التَّرْجَمَةِ أَمْثَالُ: لُورَانْسِ فِينُوتِي Lawrence Venuti، وَأَنْطُوانِ بِيرْمَانِ Antoine Berman، وَجَانِ رِينِيَهْ لَادْمِيرَالِ Jean-René Ladmiral؛ بِاِسْتِدْرَاجِ جَوْهَرِ الْفِكْرِ الْفَلَسَفِيِّ

إلى نظرية الترجمة وممارستها. إنَّ استئثار هؤلاء الفلاسفة والمنظرين التَّرجِمِيِّين - مثلما صرَّح أنطوان بيرمان - بمشكلات الترجمة وقضاياها، وإثارتهم أسئلة فلسفية تُعنى بالتفكير في مكانة المؤلِّف، وموقع المُترجم، وطبيعة النُّصوص النَّاشئة عن الترجمة؛ دليل على أن ثَمَّةَ وثاقًا قديمًا جدًّا بين الفعلَيْن الفلسفيِّ والتَّرجِمِيِّ. وجدليَّةُ الأنا والآخر، مِنْ هذا المنظور، جدليَّةُ فلسفيَّة تستدرجها هذه الدِّراسة التَّطبيقيَّة إلى حقل الترجمة الروائيَّة بُغية إمطة اللِّثام عن سرِّ ترجمة الرواية الجزائريَّة المكتوبة بالفرنسيَّة (في الحقبة الاستعماريَّة) إلى العربيَّة، وطبيعة الذات الروائيَّة النَّاشئة عن الترجمة (في سياق حقبة ما بعد الاستعماريَّة).

وفي سياق نظريَّات الترجمة ما بعد الاستعماريَّة التي أرسى دعائمها مُنظِّرون أمثال: دوغلاس روبنسون Douglas Robinson، وأوبيدي كربونيل كورتيس Ovidi Carbonell Cortés، وإيريك تشيفيتز Eric Cheyfitz، وهاريش تريفيدي Harish Trivedi، وسوزان باسنت Susan Bassnett، وتيجاسويني نيرانجانا Tejaswini Niranjana، وغاياتري شاكرافورتى سبيفاك Gayatri Chakravorty Spivak، وسامية محرز Samia Mehrez، وفيسنت رفايل Vicente Rafael، وماريا تيموشكو Maria Tymoczko، وشيري سيمون Sherry Simon... وغيرهم؛ أُعيدَ النَّظر في نظريَّات تَرْجَمِيَّة عِدَّة، ومُصطلحات تَرْجَمِيَّة شتَّى، وأصبح مُترجمو حقبة ما بعد الاستعمار يلتمسون ترويض الترجمة واستخدامها استراتيجيَّةً للمُقاومة، تُزيحُ الصُّور التي اتَّخذتها بعض الثَّقافات في حق ثقافات أخرى، ساعين جاهدين - قدر الإمكان - إلى جَسْرِ الهُوَّة بين مُؤلِّف النِّصِّ المصدر والنِّصِّ المُترجم وقُراء اللُّغة المُستهدَفة.

وترمي نظريَّات الترجمة ما بعد الاستعماريَّة ومناهجها ومُقارباتها واستراتيجيَّاتها التَّرجِمِيَّة إلى رؤية التَّبَادُلِ اللُّغَوِيِّ ذي الاتِّجاهين بحُسابه تحاوُّراً جوهريًّا، وبوصفه كذلك سيرورةً تقعُ مجريَّاتها في فضاءٍ لا ينتهي بتاتاً إلى المصدر ولا إلى الهدف. وهذا هو الفضاء الذي تسعى هذه الدِّراسة التَّطبيقيَّة إلى تفحُّصه وإبراز طبيعته، أي فضاء عودة جدليَّة الأنا والآخر المبتوثة في ثنايا الرواية الجزائريَّة المكتوبة بالفرنسيَّة، الصادرة في الحقبة الاستعماريَّة، إلى العربيَّة، مِنْ هذا المنظور ما بعد الاستعماريِّ. تقومُ جدليَّةُ الأنا والآخر محلَّ هذه الدِّراسة التي تجمعُ بين الفلسفة (في الشَّقِّ الجدليِّ)، والتاريخ (المبتوث في حنايا الخطاب الروائيِّ الجزائريِّ الصادر بالفرنسيَّة في الحقبة الاستعماريَّة)، والترجمة الروائيَّة (سيرورة النُّقل مِنَ الفرنسيَّة إلى العربيَّة)؛ على ثلاثة محاور:

• جدليّة الأنا والآخر المبنوثة في ثنايا الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسيّة، الصادرة في الحقبة الاستعماريّة: مِنْ حيث الصُّور والأبعاد والخصوصيّات والمرجعيات التي اتَّخذتها هذه الجدليّة في الخطاب الروائيّ الجزائريّ المكتوب بالفرنسيّة.

• جدليّة الأنا والآخر في مسار الكتابة بلُغة الآخر: أنا الكاتب الجزائريّ التي تخطُّ أعمالها الروائيّة بلُغة الآخر الفرنسيّ.

• جدليّة الأنا والآخر في ميزان الممارسة التّرجميّة مِنْ منظورٍ ما بعد استعماريّ: في مسار الذوات التّرجميّة (الذات الكاتبة، والذات المكتوبة، والذات المُترجمة، والذات القارئة) وتأثيرات المشروع التّرجميّ ما بعد الاستعماريّ.

وبناءً على هذه المعطيات التّرجميّة، تتبلور الإشكاليّة الآتية:

ما تجلّيات جدليّة الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسيّة، الصادرة في الحقبة الاستعماريّة، إلى العربيّة؟ بعبارةٍ أخرى، كيف ساقّت الترجمة العربيّة أبعاد جدليّة الأنا والآخر المبنوثة في ثنايا الرواية الجزائرية الصادرة في الحقبة الاستعماريّة؟ وكيف عالَج المُترجمون (النّاقلون إلى العربيّة) نصًّا صادرًا (بالفرنسيّة) في حقبة استعماريّة تجلّت ترجماته (بالعربيّة) في حقبة ما بعد الاستعمار؟

تأسيسًا على هذه الإشكاليّة وتعزيزًا لها، تنبثق التساؤلات الفرعيّة الآتية:

- ما جدليّة الأنا والآخر في ضوء الترجمة ونظريّاتها؟
- ما وزن جدليّة الأنا والآخر في ميزان الممارسة التّرجميّة واستراتيجيّاتها؟
- ما مدى تداعيات الكتابة بلُغة الآخر الفرنسيّ مِنْ منظورٍ تّرجميّ ما بعد استعماريّ؟
- ما الاستراتيجيّات التّرجميّة التي انتهجها مُترجمو الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسيّة، إلى العربيّة، في ضوء نظريّات الترجمة ما بعد الاستعماريّة؟
- هل ثمة مصطلحات تّرجميّة صرّفة تُعبر عن طبيعة فضاء عودة الرواية الجزائرية إلى منبعها الأصل؟

• وفي السياق ما بعد الاستعماريّ، ما المقاربة التي يُمكن سُنّها في ترجمة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسيّة إلى العربيّة ونقد ترجمتها؟

تنتهج هذه الدّراسة في شقّها النظريّ المنهج الوصفيّ والتّحليليّ، مُتخصّصةً طبيعة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسيّة ومسار جدليّة الأنا والآخر في خطاباتها السّردية، ثمّ مُعالِجة موقع هذه الجدليّة في

ضوء الترجمة ونظرياتها وميزان الممارسة التّرجميّة واستراتيجيّاتها. كما استعانت الدّراسة بالمنهج التاريخيّ في تتبّع مسار الروايات الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة، الصادرة في الحقبة الاستعماريّة، تتبّعاً يُراعي التسلسل التاريخيّ في إصدار هذه الروايات والترتيب الزمنيّ في ترجماتها العربيّة المتعدّدة. بينما تُزاوَج هذه الدّراسة في شقّها التّطبيقيّ بين المنهجين التّحليليّ المقارن ومنهج نقد الترجمة "من منظورٍ ما بعد استعماريّ"، وذلك بتحليل النّسخ المُنقولة إلى العربيّة ونقدها، ثمّ البحث عن النّسخة التي جسّدت أبعاد جدليّة الأنا والآخر المبتوثة في الأصل، بالوتيرة ذاتها والوقّع نفسه، بناءً على مشروعها التّرجميّ ما بعد الاستعماريّ الذي قامت عليه.

وبُغية الإجابة عن الإشكاليّة المطروحة والتّساؤلات المُثارة، قُسمت هذه الدّراسة، وفق عناصرها، إلى أربعة فصول: ثلاثة فصول نظريّة وفصل رابع تطبيقيّ، فضلاً عن مُقدِّمة وخاتمة.

يُدارسُ الفصل الأوّل جدليّة الأنا والآخر في الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة، مُسلّطاً الضوء على الحقبة الاستعماريّة على وجه التحديد. وقد تناول المبحث الأوّل ضبط مصطلحات جدليّة الأنا والآخر وقراءة في المفاهيم المنبثقة منها، وذلك بالاستناد إلى التّعريفات المُستنبطة من الحقول الفلسفيّة والأدبيّة والتّرجميّة. كما اضطلع المبحث الثّاني بتحديد موقع جدليّة الأنا والآخر من منظورات فلسفيّة وروائيّة وتّرجميّة. أمّا المبحث الثّالث، فقد عالَج جدليّة الأنا والآخر في خطاب الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة في الحقبة الاستعماريّة مُنقسمًا إلى محورين. وبُغية تقفّي مسار جدليّة الأنا والآخر في نشأة الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة وتطوّرها، يُحقِّبُ المحور الأوّل الروايات الصادرة في الفترة المُمتدّة بين 1920م و1962م، أي مُنذ ظهور أوّل رواية جزائريّة مكتوبة بالفرنسيّة إلى تاريخ استقلال الجزائر وتحرّرها، تحقيقاً يُراعي التسلسل التاريخيّ في إصدار هذه الروايات تماشيًا ومسار جدليّة الأنا والآخر في تحولات الخطاب الروائيّ الذي يطبّع كل مرحلة كُتبت فيها الرواية. في حين يُدارسُ المحور الثّاني - من هذا المبحث الثّالث - سبع روايات جزائريّة مكتوبة بالفرنسيّة، صادرة في الحقبة الاستعماريّة، مُنتقاة وفق تسلسل تاريخيّ (من 1936م إلى 1961م)، بُغية تتبّع تجلّيات جدليّة الأنا والآخر في تحوّل الخطاب الروائيّ الجزائريّ بخصوصياته ومرجعياته وأبعاده المختلفة. ويستندُ تحليل هذه النّماذج الروائيّة المُنتقاة إلى المبحثين الأوّلين، لا سيّما حقب المحور الأوّل من هذا المبحث الثّالث.

ويُقحّمُ الفصل الثّاني جدليّة الأنا والآخر في ضوء الترجمة ونظرياتها، بحيث يتفقّى المبحث الأوّل جدليّة الأنا والآخر في مسار التّأسيس النّظريّ لِعِلْم الترجمة من منظورٍ فلسفيّ، مُوضّحًا كيف استمالت

التساؤلات الجدلية المؤسّسة لِعِلْمِ الترجمة بصائر الفلاسفة ودفعتهم للخوض - فلسفيًا - في مسائل الترجمة ومشكلاتها وقضاياها، وكيف اشتدَّ عُودُ المنعطف الفلسفي في عِلْمِ الترجمة في ظلِّ جدلية الأنا والآخر التي تطبعُ الممارَسةَ التَرْجَمِيَّةَ. أمّا المبحث الثاني الموسوم عنوانه ب: جدلية الأنا والآخر في ميزان الترجمة الروائية ونظريّاتها، فقد قُسمَ إلى ثلاثة محاور: يُعنى المحور الأوّل بتحليل جدلية الأنا والآخر في ميزان النظريّة التّأويليّة في الترجمة ومدى إسهامها في متابعة مسار تأويل المقاطع السردية للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ووصولاً إلى إعادة صياغتها باللّغة العربيّة عن طريق الترجمة. بينما يُدارسُ المحور الثاني جدلية الأنا والآخر في ميزان الترجمة مِنْ منظور اجتماعيٍّ، وذلك بتبني المصطلحات الاجتماعية التي سنّها بيير بورديو Pierre Bourdieu، ثُمَّ يُسقطها على تحليل أبعاد جدلية الأنا والآخر التي أفرزتها الترجمة العربيّة للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، في الحقبة الاستعماريّة، وفق منظور تَرْجَمِيٍّ صرف، وذلك بمُدَارَسة جدلية الأنا والآخر في ميزان: الحقل الأدبيّ، وهابيتوسات (l'habitus) الكاتب والمترجم والقارئ، وإيلوزيو (l'illusio) النّصّ الروائيّ، ورأس المال الرمزيّ. في حين قُسمَ محور جدلية الأنا والآخر في ميزان نظريّة الترجمة عند أنطوان بيرمان، أي المحور الثالث، إلى شقّين: شقٌّ أوّل يُدارسُ جدلية الأنا والآخر في ملامح التّصوُّر البيروانيّ للترجمة، وشقٌّ ثانٍ يُدارسُ جدلية الأنا والآخر في منهج نقد الترجمة عند أنطوان بيرمان. وقد ضبط المبحث الثالث جدلية الأنا والآخر في سياق نظريّات الترجمة ما بعد الاستعماريّة، مُسلّطاً الضوء على نظريّات الترجمة ما بعد الاستعماريّة عند تيجاسويني نيرانجانا Tejaswini Niranjana، وغاياتري شاكرافورتى سيفاك Gayatri Chakravorty، وسامية محرز Samia Mehrez، مُستقصياً كيفية الاستثمار في هذه النظريّات بُغية ترجمة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، الصادرة في الحقبة الاستعماريّة، إلى العربيّة.

أمّا الفصل الثالث المُعنّون ب: جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارَسة التَرْجَمِيَّة واستراتيجيّاتها، فيتتبّع جدلية الأنا والآخر في مسار الذوات التَرْجَمِيَّة: الذات الكاتبة، والذات المكتوبة، والذات المترجمة، والذات القارئة؛ في المبحث الأوّل. انطلاقاً مِنْ بَثِّ الرِّسالة مِنَ الذات الكاتبة ووصولاً إلى الذات القارئة، وما يُصاحبُ سيرورة النّقل مِنْ تداعيات، في ميزان جدلية الأنا والآخر بأبعادها وخصوصياتها وتجليّاتها ومرجعياتها المختلفة. بينما يضطلع المبحث الثاني بدراسة جدلية الأنا والآخر في ميزان الثنائيات التَرْجَمِيَّة الآتية: مبدئي التكافؤ الشكلي والتكافؤ الديناميكي، استراتيجيتي التوطين والتغريب، المصدرين (دُعاة المصدر) والمُسْتَهْدِفِينَ (دُعاة الهدف)، البين والمُضَمَّر، الترجمة وإعادة الترجمة. أمّا المبحث الثالث، فيسعى إلى دراسة جدلية الأنا والآخر في مسار الترجمة الروائيّة، وذلك بسنِّ مقارنة لترجمة الرواية

الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة إلى العربيّة ونقد ترجمتها بناءً على ما بُسِطَ طرحه سلفاً في الفصول النَّظريّة الثلاثة.

ثمّ يأتي الفصل الرَّابِع بطابعٍ تطبيقيٍّ صِرفٍ إسقاطاً لما عُرِضَ سلفاً في الفصول النَّظريّة الثلاثة، موسوماً بـ: جدليّة الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائريّة إلى العربيّة، مُسلِّطاً الضوء على الروايات الصادرة في الحقبة الاستعماريّة على وجه التحديد، ومُبرِّزاً ترجمة أبعاد جدليّة الأنا الآخر المبنوثة في ثنايا تلك الذوات الروائيّة المكتوبة، بخصوصياتها ومرجعياتها وتجليّاتها المختلفة، وذلك بتحليلها ونقدها وتبيان استراتيجيّة النّقل المُعتمَدة، في سياق حقبة ما بعد الاستعماريّة. لقد عكف المبحث الأوّل على تقديم مُدَوّنة الدِّراسة وَرَسَمَ منهجيّة المسارنِ التحليليّ والنّقديّ، إذ تتناولُ فيه هذه الدِّراسة التّطبيقيّة الروايات الصادرة في الفترة المُمتدّة بين 1936م و1961م، وذلك بمراعاة التسلسل التاريخيّ في إصدارها والترتيب الزمنيّ في ترجماتها، يعرضها هذا المبحث على النّحو الآتي:

- رواية «Myriem dans les palmes» لمحمد ولد الشيخ أغا الصادرة سنة 1936م، التي ترجمها إلى العربيّة: د. معراج أغا بـ «مريم بين النخيل»، وصدرت هذه الترجمة في السداسي الثّاني مِنْ سنة 2020م.

- رواية «Lebbeik : Pèlerinage de Pauvres» لمالك بن نبي الصادرة سنة 1947م، التي ترجمها إلى العربيّة: د. زيدان خوليف، بـ «لبيك: حج الفقراء»، الصادرة في طبعها الثّانيّة سنة 1436هـ/2015م.

- رواية «La grande maison» لمحمد ديب الصادرة سنة 1952م بترجمتها إلى العربيّة:
- ✓ الترجمة الأولى: نقلها د. سامي الدروبي بـ «الدار الكبيرة»، الصادرة في أكتوبر سنة 1970م عن دار الهلال – القاهرة (الصادرة سنة 1968م في طبعها الأولى عن دار الطليعة للطباعة والنشر، ببيروت).

- ✓ الترجمة الثّانيّة: نقلها أحمد بن محمد بكليّ بـ «الدّار لكبيره»، الصادرة سنة 2011م.

- رواية «L'incendie» لمحمد ديب الصادرة سنة 1954م بترجمتها إلى العربيّة:
- ✓ الترجمة الأولى: ترجمها د. سامي الدروبي بـ «الحريق»، الصادرة في نوفمبر سنة 1970م عن دار الهلال – القاهرة (الصادرة سنة 1968م في طبعها الأولى عن دار الطليعة للطباعة والنشر، ببيروت).

- ✓ الترجمة الثَّانِيَّة: ترجمها أحمد بن محمد بكلي بن «الحريق»، الصادرة سنة 2011م.
- رواية «Le métier à tisser» لمحمد ديب الصادرة سنة 1957م بترجمتها إلى العربيَّة:
- ✓ الترجمة الأولى: ترجمها د. سامي الدروبي بن «النول»، الصادرة في ديسمبر 1970م عن دار الهلال - القاهرة (الصادرة سنة 1968م في طبعها الأولى عن دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت).
- ✓ الترجمة الثَّانِيَّة: ترجمها أحمد بن محمد بكلي بن «المُنْسَج»، الصادرة سنة 2011م.
- رواية «La dernière impression» لمالك حدَّاد الصادرة سنة 1958م، التي ترجمها إلى العربيَّة: أ. د. السعيد بوطاجين بن «الانطباع الأخير»، وصدرت هذه الترجمة سنة 1429هـ/2008م.
- رواية «Le quai aux Fleurs ne répond plus» لمالك حدَّاد الصادرة سنة 1961م بترجماتها الثلاث إلى العربيَّة:

- ✓ الترجمة الأولى: نقلها د. حنفي بن عيسى بن «رصيف الأزهار لا يجيب»، الصادرة سنة 1965م.
 - ✓ الترجمة الثَّانِيَّة: نقلها د. ذوقان قرقوط بن «ليس في رصيف الأزهار من يجيب»، الصادرة سنة 1999م في سلسلة آفاق الكتابة، العدد: 25، عن الهيئة العامة لقصور الثقافة - شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة (الصادرة سنة 1970م في طبعها الأولى عن الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - المطبعة الثقافية).
 - ✓ الترجمة الثَّالِثَة: نقلها أحمد نظير نشوقي بن «رصيف الزهور».
- بينما اضطلعَ المبحث الثَّانِي بـسيرورة تحليلِ ترجمة المقاطع السَّردِيَّة إلى العربيَّة ونقدها. أمَّا المبحث الثَّالِث فقد حُصِّصَ لِعَرْضِ نتائج سيرورتي التَّحليل والنَّقد. لقد تَنَوَّعت النَّمَاذِجُ الروائيَّة تَنَوُّعًا يتماشى ومسار جدليَّة الأنا والآخر في تحوُّلات الخطابِ الروائيِّ الجزائريِّ الذي يطبُّع كل مرحلة، والأبعاد التي اتَّخذتها جدليَّة الأنا والآخر وفقًا للأوضاع السياسيَّة المتغيِّرة في كل حقبة كُتِبَتْ فيها الرواية، وهذا بناءً على ما استأثَّر به المحور الأوَّل مِنَ المبحث الثَّانِي مِنَ الفصل الأوَّل.

تُثمَّ تأتي الخاتمة التي تحملُ نتائج الدِّراسة وتوصياتها، مَشْفُوعَةً بِتَبَيُّنِ المِصْطَلَحَات، ثُمَّ قائمة المِصَادِر والمِراجِع، ثُمَّ المِلاحِق، ثُمَّ مُلَخَّصَات الدِّراسة (باللُّغَاتِ العربيَّة والفرنسيَّة والإنجليزيَّة).

أمَّا البُحوث والدِّراسات السابقة التي تناولت الحقلَ المعرفيَّ نفسه لموضوعنا هذا، فهي كثيرة في الشِّقِّ الأوَّل مِنْ هذه الدِّراسة، لا سيَّما البُحوث المُقدِّمة في كليات الآداب واللُّغات والأجنبيَّة وأقسام اللُّغة العربيَّة وآدابها، التي تناولت موضوعات تُعنى بِثَنائِيَّة الأنا والآخر، وموضوع الرواية الجزائريَّة

المكتوبة بالفرنسيّة. أمّا في حقل الترجمة، فقد عُولِجَتْ ترجمة الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة إلى العربيّة من جوانب عدّة، نذكرُ منها البُعدُ الثّقافيّ ومُشكلات الترجمة من حيث تقنيّاتها واستراتيجيّاتها، ما يعني أن الدِّراسة الحاليّة تسعى إلى تأسيس رؤية جديدةٍ باستدراجها جدليّة الأنا والآخر إلى حقل الترجمة الروائيّة ونظريّاتها ما بعد الاستعماريّة. ومن البُحوث التي تتقاطع مع العُنصرين الأوّلين لدراستنا هذه، نجدُ الباحثين الآتيين:

- خليف هوارية، إشراف: أ. خلف الله بن علي، «تمثّلاتُ الهوية والآخر في الرواية الجزائريّة (مالك حدّاد) نموذجًا»، أطروحة مُقدّمة لنيل درجة الدكتوراه نظام LMD، كلية الآداب واللُّغات والفنون، قسم: اللُّغة العربيّة وآدابها، مشروع: الرواية المغربيّة والنّقد الجديد، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، السّنة الجامعيّة: 2017م/2018م.

عالجت الباحثة في بحثها هذا تجلّيات الهوية الجزائريّة والآخر الفرنسيّ في الخطاب الروائيّ الجزائريّ المكتوب باللُّغة الفرنسيّة، مُتخذة أعمال مالك حدّاد الروائيّة متنا لبحثها. كما أثارَت الباحثة في ختام بحثها هذا مسائل التعبير بلُّغة الآخر أو الكتابة بالحرف الفرنسيّ، وموضوع الهوية الذي أبرزته ظاهرة الكتابة الأدبيّة الجزائريّة باللُّغة الفرنسيّة التي كانت مُفعمةً - على حدّ تعبير الباحثة - بروح التّحدّي والتمرد والثورة ورفض الآخر؛ مُستنتجةً بأن مالك حدّاد اتّخذ اللُّغة الفرنسيّة سبيلاً للوقوف في وجه الاستعمار الفرنسيّ، إذ يستشفّ قارئ أعماله الروائيّة تفكيره بالعربيّة ثمّ رَسَمَه بالفرنسيّة.

- قصابي صليحة، إشراف: أ. د. عباس بن يحيى، «البحث عن الذات في الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة من أواخر الثمانينات إلى غاية 2003م»، أطروحة مُقدّمة لنيل شهادة دكتوراه علوم، كلية: الآداب واللُّغات، قسم: اللُّغة والأدب العربيّ، تخصّص: الأدب العربيّ، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، السّنة الجامعيّة: 2017م/2018م.

وفي هذا البحث، دارست الباحثة واقع الذات وصراعاتها المتضَمّنة في ثنايا الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة وبحثها الدائم عن أناها وهويّتها وكيانها، مُتقصيّةً مدى تمكّن الكاتب الجزائريّ المبدع بلُّغة الآخر من نقل أبعاد الذات في رحلة بحثها عن أناها، مُثيرةً مسائل الهوية وتداعيات الكتابة بلُّغة الآخر الفرنسيّ والموضوعات التي تطرّقت إليها الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة. وقد خلصت الباحثة، في ختام بحثها هذا، إلى أن العلاقة الجدليّة بين الذات والآخر علاقة يطبعها العداء والرفض، وأن اللُّغة الفرنسيّة كانت مجرد قناع مُستعار لبسته الذوات الكاتبة المبدعة الجزائريّة، فكانت أعمالهم الروائيّة تأكيداً على هويّتهم الجزائريّة، حاملةً في ثناياها أفكاراً وثقافةً وأصالةً جزائريّة صرفة. أمّا مسألة التعبير

بلغة الآخر، فقد كانت عامل ثورة وتمردٌ بغيّة إِيصال صوت الذات إلى الآخر على حدّ تعبير الباحثة.

وبعد أن قطعنا أشواطاً مُتقدِّمةً في استدراج هذين الباحثين إلى حقل الترجمة الروائيّة ونظريّاتها واستراتيجيّاتها، من منظورٍ ما بعد استعماريّ، وأحرزنا تقدُّماً يخدمُ موضوع الدِّراسة وأهدافها، دون اللُّجوء إلى الأبحاث التي تُدارسُ ترجمة الروايات الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة إلى العربيّة دراسةً مُنفردةً من حيث التقنيّات التّرجميّة التقليديّة ونقل الخصوصيّات الثّقافيّة؛ توصّلنا إلى دراسةٍ تتقاطعُ مع محورٍ من محاور المبحث الثّالث من الفصل الثّالث لدراستنا هذه، المُوضّحة بياناتها فيما يأتي:

- ريم زموشي، إشراف: أ. د. رشيد قريبع، «الأدب الجزائريّ المكتوب باللُّغة الفرنسيّة من منظورٍ ما بعد استعماريّ: فضاء الهُجنة والترجمة الثّقافيّة – دراسة وصفية تحليليّة "اختفاء اللُّغة الفرنسيّة" لآسيا جبار أنموذجاً»، مذكرة مُقدّمة لنيل درجة الماجستير في الترجمة، كلية الآداب واللُّغات، قسم الترجمة، مدرسة الدكتوراه، جامعة منتوري – قسنطينة، الجزائر، السّنة الجامعيّة: 2013م/2014م.

وقد أثارَت فيها الباحثة – بنحوٍ عامّ – أسئلةً حول مدى إمكانيّة عدّ أدب ما بعد الاستعمار الذي كُتبَ بلُغةٍ أخرى ترجمةً؟ ومدى إمكانيّة عدّ النّصّ الأدبيّ الجزائريّ المكتوب باللُّغة الفرنسيّة – على وجه التحديد – ضريباً من ضروب الترجمة؟ مُركّزةً في تساؤلاتها على الفضاء البيّني الذي يفصلُ بين النّصّ المصدر والنّصّ المُستهدَف الناشئ عن الترجمة، ومسائل الكتابة بلُغة المُستعْمِر (الآخر)، والثّقافة، والهويّة، والهجنة، والترجمة. وقد توصّلت الباحثة، في ختام دراستها هذه، إلى وجود تشابهٍ بين استراتيجيّة التغريب في الترجمة واستراتيجيّة الكتابة ما بعد الاستعماريّة (الهجنة)، مُسجّلةً استفحال ظاهرة الاقتراض في الكتابة ما بعد الاستعماريّة وتبادل الأدوار بين المُترجم والكاتب ما بعد الاستعماريّ وتشابهها، لا سيّما في مسألة إثارة التجربة الغريبة التي تغمرُ القارئ وتُشعره بغربة النّصّ، وذلك بالاحتفاظ بسمات الأصل الأجنبيّ. وقد أكّدت الباحثة على هُجنة النّصّ الروائيّ الجزائريّ المكتوب بالفرنسيّة، عادةً رواية «اختفاء اللُّغة الفرنسيّة» ساحة تفاوض بين الأنا والآخر لذات آسيا جبار، تقعُ مجرياتها في الفضاء الثّالث أو الفضاء البيّني الهجين حيث تبرزُ سيرورة الترجمة وفق اصطلاح هومي بابا.

ما يسترعي الملاحظة في الدِّراسة التّحليليّة المُدوّنة الباحثة ريم زموشي اعتمادها على رواية «اختفاء اللُّغة الفرنسيّة» لآسيا جبار بلُغتها الأصل (الفرنسيّة) وغياب النّسخة المُترجمة إلى العربيّة (نعتقد أن الرواية لم تُترجم إلى العربيّة بعد)، ما جعلَ سيرورة التّحليل تُركّزُ على فعل الترجمة المُصاحِبِ لفعل

الكتابة مِنْ جَرَاءِ تَقْمُّصِ الروائيَّةِ آسيا جبار شخصيَّةً شبيهةً بشخصيَّةِ المُترجمِ وتأديتها دور الوسيط الثقافيِّ. كما رَكَّزت الباحثة في تحليلِ مُدَوَّنَتِها على موضوعاتِ الهُجْنة الثقافيَّة والصراع اللُّغويِّ واستراتيجيَّة التَّهجين. وهذا ما فتح لنا الباب على مصراعيه لمُواصلَةِ مُدَارَسَةِ الموضوع مِنْ منظورٍ تَرْجَمِيٍّ جديد، بتحليلِ نصوصِ روائيَّة مُترجمَةٍ إلى العربيَّة لم تُدرَسْ مِنْ ذِي قَبْلِ، نختمها بمقاربةٍ تَرْجَمِيَّةٍ مُستَوْحَاةٍ مِنْ طبيعِيَةِ الروايةِ الجزائريَّة المكتوبة بالفرنسيَّة، هذا الجنس الروائيِّ الجزائريِّ الذي لا يزالُ يطرحُ تساؤلاتٍ حتَّى اليوم، في ضوءِ جدليَّة الأنا والآخر، بخصوصياتِها ومرجعياتِها وتجليَّاتها وأبعادها المختلفة، في سياقِ الحقبة ما بعد الاستعماريَّة.

وَمِنْ الدَّوافِعِ المحفزة على خوضِ غمار هذه الدِّراسة نُورِدُ البَواعِثَ الآتية:

- أوَّلًا: مسألةُ الهويَّة الوطنيَّة الجزائريَّة التي تُثيرُها جدليَّة الأنا والآخر المبتوثة في حنايا الرواية الجزائريَّة المكتوبة بالفرنسيَّة، في الحقبة الاستعماريَّة، وترجماتِها العربيَّة. هذه الروايات التي تُمثِّلُ حقبة حاسمة مِنْ تاريخِ الجزائر برمته.
- ثانيًا: بعيدًا عن المفاهيمِ التَّرجَمِيَّة التقليدية، تُثيرُ هذه الدِّراسة مفاهيمَ حديثة غير مُتَدَاوِلَةٍ – بكثرة – في نظريَّات الترجمة واستراتيجيَّاتها، أو التي لا تزالُ محلَّ نقاشٍ وجدلٍ كبيرين، لا سيَّما أن هذه الدِّراسة تجمعُ بين موضوعاتِ الفلسفة والرواية والترجمة والتاريخ.
- ثالثًا: طبيعة الفضاء الذي تجري فيه وقائع الترجمة العربيَّة للرواية الجزائريَّة المكتوبة بالفرنسيَّة، الصادرة في الحقبة الاستعماريَّة، التي أُنتِجَتْ (ترجماتُها) في حقبة ما بعد الاستعماريَّة. وبالرغم مِنْ هذه الدَّوافِعِ المحفزة على خوضِ غمار هذه الدِّراسة، تجبُ الإشارةُ إلى أن مسالكها كانت وَعُرة ولم تكن مَحْفُوفَةً بالورود البتَّة، إذ جابهتنا عراقيلُ عديدة طَوَّالَ مَسارِ إعدادِها، لا سيَّما مسألة التوفيق بين عناصرها التي جَمَعَتْ بين الفلسفة والرواية الجزائريَّة المكتوبة بالفرنسيَّة والترجمة والتاريخ. بالإضافة إلى اعتمادنا، في بادئ الأمر، على عشرة نماذج روائيَّة، بيد أن الشُّروط المُحدِّدة لمُناقشة الأطروحة في آجالها اقتضت مِنَّا إسقاط ثلاثة نماذج روائيَّة، لتقتصر الدِّراسة – في نهاية المطاف – على سبع روايات مكتوبة بالفرنسيَّة بترجماتِها العربيَّة المُتَعَدِّدة.

ولقد اعتمدت هذه الدِّراسة التَّطبيقيَّة على مراجعٍ مُتنوِّعة، جَمَعَتْ الفلسفة والترجمة الروائيَّة والتاريخ (وَفَقَّ عُنوانها وطبيعة عناصرها)، قديمةً وحديثةً، بلُغاتها العربيَّة والفرنسيَّة والإنجليزيَّة.

الفصل الأول

مجلّة الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

— الفصل الأول: جدلية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

الفصل الأول:

جدلية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

تستأثرُ مباحث هذا الفصل بضبط مصطلحات جدلية الأنا والآخر وقراءة في المفاهيم المنبثقة منها، وذلك بالاستناد إلى التعريفات المُستنبطة من الحُقول الفلسفية والأدبية والترجمية. ويتوخى، من مُحتوى مباحث هذا الفصل، إبراز العلاقة الجدلية بين الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية في الحقبة الاستعمارية، وفقًا لطبيعة الدراسة وعنوانها ومحاورها.

تطرحُ العلاقة القائمة بالغرب، منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر حتى الآن، نفسها بوصفها محل إشكالية فكرية وأدبية كثيرًا ما يُعبّر عنها في الإنتاج الفكري والأعمال الأدبية عن طريق المقابلة بين صورة الأنا أو الذات أو النحن العربية، وصورة الآخر أو الغير أو الهُو أو الغريب الحضاري الغربي، مع تسجيل فروقٍ مُتفاوتة في الطرح غالبًا ما تكون انعكاسًا لرؤى المفكرين والكتّاب والأدباء ومواقفهم. لقد عالجت الرواية العربية منذ تجاربها المبكرة – وحتى الآن – هذه الجدلية التي صارت موضوعًا من الموضوعات المحورية في الخطاب الروائي العربي عامة⁽¹⁾، والخطاب الروائي الجزائري على وجه التحديد.

ترجعُ حالة الأنا الجزائرية مع الآخر غير الجزائري في أصولها التاريخية، ومرجعياتها الحضارية، وأبعادها الثقافية، وخصوصياتها الجغرافية والاستراتيجية؛ إلى عهد القرطاجنيين والنوميديين والإمارات والدويلات كلها التي كان لها كيان سياسي قائم الأركان، حيث كانت الأنا حينًا يُماثل الآخر سياسيًا واقتصاديًا واستراتيجيًا، كما كانت الأنا الجزائرية عرضةً للهجمات الصليبية التي شنها الآخر الممثل في البرتغاليين والإسبانيين ثم الفرنسيين. ولقد كان دخول المُستعمر الفرنسي إلى الجزائر في سنة 1830م محطةً صارخةً من الآخر الذي مارس طرق شتى بُغية الاستحواذ على الأنا والهيمنة عليها، وكانت تلك الوسائل – التي وظفها الآخر – مُتضاربةً مع الأخلاق والأعراف السياسية. ومن المنظور الأدبي، كانت تلك الأحداث الثورية ميدانًا خصبًا ومنبعًا ثريًا لنصوص روائية كثيرة حملت مُتونها السردية إشكالية العلاقة

(1) يُنظر: فتحي أبو العينين، صورة الذات وصورة الآخر في الخطاب الروائي، مجلة القاهرة، العدد 131، أكتوبر 1993م، ص92. ويُنظر كذلك إلى: فتحي أبو العينين، صورة الذات وصورة الآخر في الخطاب الروائي العربي: تحليل سوسولوجي لرواية «محاولة للخروج»، في: الطاهر ليبب (تحرير)، صورة الآخر العربي ناظرًا ومنظورًا إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، ط1، بيروت – لبنان، آب/أغسطس، 1999م، ص811.

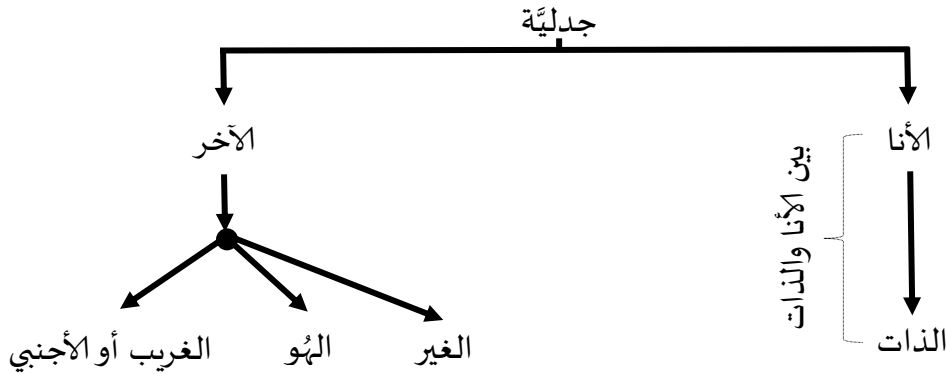
— الفصل الأول: جدلية الأنا والآخَر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

التي تربط الأنا الجزائرية المُستعمَرة بالآخر الفرنسي المُستعمر⁽¹⁾، وما حملته هذه العلاقة الجدلية من صور وأبعاد وتداعيات. وبناءً على هذه المُعطيات، تجب الإشارة إلى أن البحث في جدلية الأنا والآخَر يستدعي ضبطاً مُصطلحياً ولُغوياً واضح المعالم، وشُروحاً مفاهيمية علمية صرفة، قبل خوض غمار مُدارسة تجليات هذه الجدلية في خطاب الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية في الحقبة الاستعمارية.

1.1 المبحث الأول:

جدلية الأنا والآخَر: ضبط المصطلحات وقراءة في المفاهيم

يستدعي البحث في جدلية الأنا والآخَر ضبطاً للمصطلحات اللُغوية التي تطرحها، وقراءة في المفاهيم العلمية^(*) التي تُبيّن أطرافها، وفق ما يُبرزه الرّسم الآتي:



1.1.1 جدلية:

في المعجم الفلسفي، يُعرّف مُصطلح الجدَل (Dialectique بالفرنسية، وDialectic بالإنجليزية، وأصله في اليونانية Dialektiké⁽²⁾)، ومنه مُصطلح جدليّ (Dialectique adj بالفرنسية، وDialectic بالإنجليزية، نسبة إلى صفة الجدَل)، بأنه طريقة في المناقشة والاستلال⁽³⁾. والديالكتيك^(**)

(1) يُنظر: بشير بويجرة محمد، الأنا، الآخَر وهنات الهوية في المنظومة الأدبية الجزائرية، منشورات دار الأديب، وهران، 2007م، ص13-17.

(*) استُلِمَ الشّق الثاني من هذا العنوان - في صياغته - من كتاب: خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2013م.

(2) يُنظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، الجزء الأول، بيروت - لبنان، 1982م، ص391.

(3) يُنظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، جمهورية مصر العربية - القاهرة، 1403هـ - 1983م، ص59.

(**) عادةً ما يُفترض مُصطلح (Dialectique/Dialectic) مُباشرةً في اللُغة العربية بمقالات عربية نحو: دايلكتيكية، دايلكتيكية، دياالكتيكية، دياالكتيكية. ونجد المترجم جورج زيناتي يستعمل المُقابل العربي المُقتَرَض (الديالكتيك)، وهذا في غير ما موضع من نقله كتاب بول

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآخر في الرواية الجرائية المكتوبة بالفرنسية —

(الجدل، الجدليّة، بالمدكر أو المؤنث) كلمة مُشتقة من اليونانية (dialogo) ومعناها الحوار والجدل (فن الحوار والمناقشة⁽¹⁾). وهي — عند الفلاسفة الإغريق — فنّ تَقْصِي الحقيقة ومعرفة حثياتها واكتشاف خباياها بواسطة المناقشة، وعن طريق إجلاء تناقضات الخصم واستبعادها⁽²⁾.

وقد أخذ هذا المصطلح معانٍ مُتعدّدة في المدارس الفلسفية المختلفة، إذ يعني: «عند سقراط: مناقشة تقوم على حوار وسؤال وجواب. وعند أفلاطون: منهج في التحليل المنطقي يقوم على قسمة الأشياء إلى أجناس وأنواع، بحيث يصبح علم المبادئ الأولى والحقائق الأزلية. وعند أرسطو ومناطق المسلمين: قياس مؤلف من مشهورات ومسلمات. وعند كانط: منطق ظاهري في سفسطة المصادرة على المطاوب وخداع الحواس. وعند هيجل: انتقال الذهن من قضية ونقيضها إلى قضية ناتجة عنهما، ثمّ متابعة ذلك حتى نصل إلى المطلق»⁽³⁾.

وفي سيروية البحث الفلسفي وتصوّراته للكون، يُميّز بين منهجين مُتعارضين: ميتافيزي وديالكتي (أي جدلي). قوام المنهج الأوّل (الميتافيزي) السكون والانفصال واللاتناقض، بينما يؤسّس الثاني (الديالكتي) على ترابط الأشياء، والتغيّر، والصيرورة (devenir)، والحركة، والولادة، والموت، والتناقض في صلب الأشياء⁽⁴⁾. والجدل في هذا السياق هو اتّصاف الفكر بالحركة — ومجازة ذاته — بالانتقال من حدٍّ إلى حدٍّ آخر مُناقض له⁽⁵⁾.

وفي سياق هذه الدّراسة، يتجلّى مبدأ (الجدليّة) في تعدّد التّحاليل الملموسة للخطابات السردية، ويتمّ «النشاط الإنساني، عبر أشكال المواجهات، التي تطبع الخيال الإنساني، بما في ذلك الحالات السردية غير المنظمة، كمواجهة بين برنامجين سرديين، مختلفين، يظهر معهما فاعل، ونقيض هذا الفاعل»⁽⁶⁾.

ريكور: (الذات عينها كآخر) إلى العربية. راجع صفحات النسخة المترجمة من هذا الكتاب: 584-589، 606-609، 626-678... وغيرها من الصفحات (يُنظر: بول ريكور، الذات عينها كآخر، ترجمة وتقديم وتعليق: د. جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت - لبنان، تشرين الثاني (نوفمبر) 2005م). كما فضّل المترجم إليّاس مرقص اللّجوء كذلك إلى تقنية الاقتراض هذه في غير ما موضع من ترجمته (يُنظر: لينين، دَفَاتِر عن الديالكتيك، ترجمته وقَدّم له: إليّاس مرقص، دار الحقيقة للطباعة والنشر في بيروت، ط1، بيروت - لبنان، تشرين الأول 1971م).

(1) يُنظر: جميل صليبا، الجزء الأوّل، المرجع السابق، ص391.

(2) يُنظر: لينين، المرجع السابق، ص35.

(3) مجمّع اللغة العربية، المرجع السابق، ص59-60.

(4) يُنظر: لينين، المرجع السابق، ص31.

(5) يُنظر: جميل صليبا، الجزء الأوّل، المرجع السابق، ص394.

(6) سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (غرض وتقديم وترجمة)، دار الكتاب اللبناني/بيروت، سُوشيريس/الدار البيضاء، ط1، لبنان/المغرب، 1405هـ/1985م، ص59.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآفر في الرواية الجرائية المكتوبة بالفرنسية —

ويُعدُّ الجدل، في الخطاب الروائي، ضَرْبًا خاصًّا مِنْ ضُرُوبِ التَّحَاوُرِ يدور بين طرفين⁽¹⁾، تحاور مُؤَسَّس على طريقة فكر الكاتب الذي يَعْرِفُ ذاته، وَمِنْ ثَمَّ يُعَبِّرُ عن مواقفه بتأليف أحكام مُرَكَّبَةٍ جامعة بين الأحكام المتناقضة⁽²⁾، يَبْنِئُ الراوي في شخصيّاته، أو الأبطال الرئيسيين لروايته، بعرض طريجة ثَمَّ نقيضها، وإثارة الحوار وتوليده. وفي هذا السياق، تجبُّ الإشارة إلى أن الشخصيات الروائية غالبًا ما تتحدثُ بلسان كاتبها ومواقفه ومقاصده، سواءً أكانت بَيِّنَةً أم مُضْمَرَةً، ما يجعله (أي الكاتب) هو سيّد الحوار. إنَّ التفاعل بين الشخصيات الروائية مِنْ جَزَاءِ الحوار الذي يدورُ بينها هو تفاعل — بنحو غير مباشر — بين الكاتب وقُرَّائه بُغْيَةً إيصال رسالة ما ومقصد مُعَيَّن.

2.1.1 الأنا:

أنا (Je بالفرنسية، و I بالإنجليزية): ضمير المتكلم الواحد، نحو أنا فعلت، أنا قرأت⁽³⁾، أنا تَرَجَمْتُ... ونحو ذلك. ويُفَرَّقُ بينه وبين الأنا (le Moi بالفرنسية، و the Self بالإنجليزية، و Ego باللاتينية) بأنه تعبير عن النَّفس الواعيَّة لذاتها، في حين أن الأنا تعبير عن النَّفس الباطنة من حيث هي⁽⁴⁾. ويُشِيرُ فلاسفة العرب^(*) بـ «أنا» إلى النَّفس المُدرَكة⁽⁵⁾، كما يُعرَّفُ مُصطلح الأنا^(**) (Moi بالفرنسية، و Ego بالإنجليزية) بأنه: «هو الذات التي تُردُّ إليها أفعال الشعور جميعها، وجدانية كانت أو عقلية أو إرادية، وهو دائما واحد ومطابق لنفسه وليس من اليسير فصله عن أعراضه، ويُقابل الغير والعالم الخارجي ويحاول فرض نفسه على الآخرين. وهو أساس الحساب والمسئولية»⁽⁶⁾.

(1) يُنظر: باتريك شارودو، ودومينيك منغنو (إشراف)، معجم تحليل الخطاب، ترجمه عن الفرنسية: عبد القادر المهيري، وحمّادي صمود، مراجعة: صلاح الدين الشريف، الحجم: 17x25 سم — عدد الصفحات: 646 صفحة، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008م (السنة الوطنية للترجمة)، سلسلة اللسان، ص 169.

(2) يُنظر: جميل صليبا، الجزء الأول، المرجع السابق، ص 394.

(3) يُنظر: المرجع نفسه، ص 139.

(4) يُنظر: مجمّع اللغة العربيّة، المرجع السابق، ص 23.

(*) يقول ابن سينا: «المراد بالنفس ما يشير إليه كل أحد بقوله أنا»، وقال أيضًا: «فإذن الانسان الذي يشير إلى نفسه بـ(أنا) مغاير لجملة أجزاء البدن، فهو شيء وراء البدن» (رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها، القاهرة، 1952م، ص 183-184). ورد في: جميل صليبا، الجزء الأول، المرجع السابق، ص 139. ويُنظر كذلك إلى: مجمّع اللغة العربيّة، المرجع السابق، ص 23.

(5) يُنظر: جميل صليبا، الجزء الأول، المرجع السابق، ص 139.

(**) «الأنا أنواع: تجريبي (empirique) وهو الشعور بالفردية التجريبية، وترنسندنالي (transcendental) وهو الحقيقة الثابتة التي تُعد أساسا للأحوال والتغيرات النفسية، ومطلق (absolu) وهو التفكير الذاتي السابق على التجربة. يُفَرَّقُ كانط بين الأنا الترنسندنالي والأنا التجريبي، فالأول صورة خالصة والثاني يتخذ أشكالًا مختلفة في عالم الظواهر» (مجمّع اللغة العربيّة، المرجع السابق، ص 23).

(6) مجمّع اللغة العربيّة، المرجع السابق، ص 23.

— الفصل الأول: — جليلة الأنا والآفر في الرواية الجرائية المكتوبة بالفرنسية —

إنَّ جوهره هذه الكلمة وتلورتها بصيغة الأنا (le Moi) يُعدُّ إبداعاً فلسفياً متأخراً جداً يُغزى — مبدئياً — إلى باسكال Pascal، بيد أنه إبداع غامض، لأنه جاء مستقلاً جداً عن اللغة التي صيغ بها. فالإنجليزي لم يَعْرِفْ (the Me) إنما يَعْرِفْ (the Self) التي صاغها لوك Locke، والألماني لا يَعْرِفْ إلا (Das Ich) الذي يُصبح في الفرنسية بصيغة (le Je) (1).

وفي الحقل الأدبي، تُعدُّ الأنا (Ego) تعبيراً يعني الذات الواعية ويخصها، وقد يُستخدم هذا المصطلح ليشير إلى مكونات الشخصية المتحركة في الفكر والسلوك، إنها الأنا التي تشعر وتُفكر وتُميز الشخص عن الذات الشخصية الأخرى. وتُركّز الأنانية (Egoism) على النفس وتعني التوفر على المصلحة الشخصية وهي نقيض الغيرية (2). ويمكن أن «نطلق تعبير الأنانية أو الذات المنتفخة على كل الشخصيات الأدبية التي تُنشد إثارة الاهتمام حول نفسها، وتزدري اهتمامات وآراء الآخرين عادة، وتعمل بالعكس على تأكيد الذات، وإبراز الأهمية الشخصية» (3). وقد تأخذ الأنا، في سيرورة الخطاب الروائي، أبعداً شئ، تتجاوز الشخصيات الروائية.

1.2.1.1 الذات:

تأسيساً على التعريفات المشار إليها أعلاه، لا بدّ من التنبيه إلى مصطلح الذات، أي الذات التي تُردُّ إليها أفعال الشعور جميعها، أو مسألة الأنا بوصفها ذاتاً من حيث الفروق والتقاطع والاستعمال. تُعدُّ فكرة الذات (Self) من أكثر الأفكار استثناءً بالبحث في معجم الغرب الحديث، فالناس يتحدثون بلا انقطاع عن الاختلاف بين ذاتهم الحقيقية وذواتهم الاعتيادية. وفي الوقت الذي يثق فيه الناس بذواتهم، يُجربون الشك بالذات، ومن ثمّ يتعمّقون في ذواتهم، وهذا ضربٌ من ضروب الشعور المُكرّس للتأمل الذاتي (4). والذات (Sujet) بالفرنسية، وSubject بالإنجليزية: ما به الشعور والتفكير. والذاتي (Subjectif) بالفرنسية، وSubjective بالإنجليزية) ما يتصل بالذات أو يخضع لها أو يُنتسب إليها، ويُقابل الموضوعي. وعلى هذا الأساس، تقفُ الذات على الواقع، وتُقابل العالم الخارجي، وتتقبّل الرغبات

(1) يُنظر: فريديريك وورم، الفلسفة في 100 كلمة، ترجمة وتقديم: د. محمد جديدي، دار الأمان — منشورات الاختلاف — منشورات صفاق، ط 1، الرباط — الجزائر — الرياض/بيروت، 1436هـ — 2015م، ص 77-78.

(2) يُنظر: إبراهيم فتحي، مُعجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدّين، طبع التعااضدية العمالية للطباعة والنشر، عدد 1، صفاقس — الجمهورية التونسية، الثلاثية الأولى 1986م، ص 47-48.

(3) المرجع نفسه، ص 48.

(4) يُنظر: طوني بينيت، ولورانس غروسبيرغ، وميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، بيروت، أيلول (سبتمبر) 2010م، ص 341.

— الفصل الأول: — جليلة الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

والمطالب⁽¹⁾.

وعلى الصعيد اللساني، تُعرّف الذاتية (Subjectivité) عند إميل بنفنيست Émile Benveniste بأنها ليست فعلاً سوى «قدرة المتكلم على أن يطرح نفسه ذاتاً (sujet)»⁽²⁾، ففي «اللغة وبها يجعل الإنسان من نفسه ذاتاً وهو يتوصّل إلى ذلك بتوجّي بعض الصيغ التي تُوقّرها له اللغة لهذا الغرض وأولها الضمير أنا الذي يمثّل استعماله الأساس الفعلي للوعي بالذات»⁽³⁾. وعليه، لا تكاد تخلو نقاشات الناس اليومية من «تقدير الذات، وحديث الذات، وتقوية الذات»⁽⁴⁾ المتأثّية من علم النفس. يرى إميل بنفنيست أن الذاتية، التي تُطرح في الفينومينولوجيا أو في علم النفس، ليست سوى سمة (ميزة) لسانية أساسية، هي الأنا (ego) التي تقول أنا (ego)، وهنا يكمن أساس الذاتية التي يُحدّدها الوضع اللساني للشخص⁽⁵⁾.

وفي سياق إعطاء مفهوم الذاتية وضعاً لسانياً صريحاً، مثلما يبرز إميل بنفنيست، تتشكّل معالم الذات، إذ يُشكّل الإنسان — باللغة ومنها — نفسه بوصفه ذاتاً (sujet)؛ لأن واقع اللغة يعكس واقع الإنسان ويُجسّده، ومن هنا ينبثق مفهوم الأنا (ego)⁽⁶⁾. ويُضيف إميل بنفنيست أنّ «الوعي بالذات لا يمكن أن يشعر به المرء إلا عن طريق المقابلة، فأنا لا أستعمل أنا إلا بالتوجّه إلى شخص فيتضمّن خطابي أنت»⁽⁷⁾، وهنا يبرز مبدأ البينذاتية ودوره في تحديد معالم الذاتية.

وفي السياق الاستعماريّ، تُؤثّر مسائل الذات والذاتية (subject/subjectivity) مباشرة في إدراك المستعمرين لهويّاتهم ومدى قدراتهم على مقاومة ظروف وقوعمهم تحت السيطرة أو خضوعهم (subjection) لها. ولقد أكّد المبدأ الديكارتيّ «أنا أفكر إذن أنا موجود» على مركزية الفرد البشريّ المستقل، فاصلاً الذات (subject) عن الموضوع (object)، أو الفكر (thought) عن الواقع (reality)، أو الذات (self) عن الآخر (other)؛ فصلاً فعلياً. ويُثير مفهوم الذاتية إشكالية العلاقة البسيطة بين الفرد واللغة باستبداله مفهوم إنتاج الذات البشرية — من خلال الإيديولوجيا أو الخطاب أو اللغة —

(1) يُنظر: مجمع اللغة العربية، المرجع السابق، ص 87.

(2) Émile BENVENISTE, *Problèmes de linguistique générale*, 1. Paris, Éditions Gallimard, 1966, p259–260.

(3) باتريك شارودو، ودومينيك منغنو، المرجع السابق، ص 536–537.

(4) طوني بينيت... وآخ، المرجع السابق، ص 341.

(5) Voir : Émile BENVENISTE, *op.cit.*, p260.

(6) Voir : *Ibid.*, p259.

(7) باتريك شارودو، ودومينيك منغنو، المرجع السابق، ص 537.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآفر في الرواية الجرائية المكتوبة بالفرنسية —

بالطبيعة البشرية، إذ تُحدّد هذه العوامل جميعها تشكّل الهوية الفردية وتتدخل فيها⁽¹⁾.

وتتجلّى الذاتية (Subjectivity) على مستوى العمل الأدبيّ في تركيز الكاتب على نفسه وانشغاله بمواده المؤسّسة لعمله الإبداعيّ، والذاتية من هذا المنظور الأدبيّ العامّ، والروائيّ على وجه التحديد، ضُرب من ضروب الكتابة التي تُعزّز فيها الذات الكاتبة (الروائية) عن مشاعرها وأفكارها ومواقفها وتجاربها الشخصية، مُباشرةً، أو على لسان الشخصيات الروائية التي تُوظّفها، حيث يكون العنصر المركزيّ هو إفضاء الشخصية بعالمها الداخلي⁽²⁾؛ فاختيار ضمير ما إنّما هو اختيار لموقف من الحقيقة وطريقة في صياغتها وسردها. وبناءً على اختيار هذه الضمائر وحسن توظيفها، تُستثار الأهواء والانفعالات المُشكّلة لهوية الذات الفاعلة المبتوثة في النسيج الحكائيّ ومصائرهما، إنّ «إنتاج ملفوظ ما هو في الوقت ذاته إعلان عن ميلاد الذات الفاعلة ورسم لحدود الخطاب الذي ستتحرك داخله هذه الذات»⁽³⁾.

ومن المستحيل — وفق دومينيك مانغونو Dominique Maingueneau — العثور على نص لا نستشف فيه حضور الذات الناطقة (sujet parlant) به، وتُسجّل الذات الناطقة حضورها في ملفوظها (énoncé)، باستمرار، حضوراً مرئياً إلى حدّ ما. إلى جانب النصوص المشبّعة بالأمارات الدالة على الذاتية المتلفظة (la subjectivité énonciative)، ثمة نصوص أخرى يميل فيها هذا الحضور إلى التلاشي والإمحاء⁽⁴⁾، أي بين حضور يبيّن وحضور مُضمّر في ثنايا النصّ (راجع الفصل الثالث، المبحث الثاني).

2.2.1.1 بين الأنا والذات:

بناءً على مفهوميّ الأنا والذات المُفصّل في تعريفهما فيما سلف، تبرز تساؤلات شتى، نحو: هل الأنا هي الذات؟ وهل فهمنا للأنا والذات ووعينا إيّاهما واحد؟^(*)

إنّ أوّل ما يستهلّ به بول ريكور Paul Ricœur كتابه (الذات عينا كآخر Soi-même comme

(1) يُنظر: بيل أشكروفت، وجاريت جريفيث، وهيلين تيفين، دراسات ما بعد الكولونيالية: المفاهيم الرئيسية، ترجمة: أحمد الروبي، وأيمن حلبي، وعاطف عثمان، تقديم: كرم سامي، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2010م، ص323-324.

(2) يُنظر: إبراهيم فتحي، المرجع السابق، ص165.

(3) سعيد بنكراد، السرد الروائي وتجربة المعنى، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء — المغرب (بيروت — لبنان)، 2008م، ص186.

(4) يُنظر: دومينيك مانغونو، المصطلحات المفتاحية لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 1428هـ — 2008م، ص122.

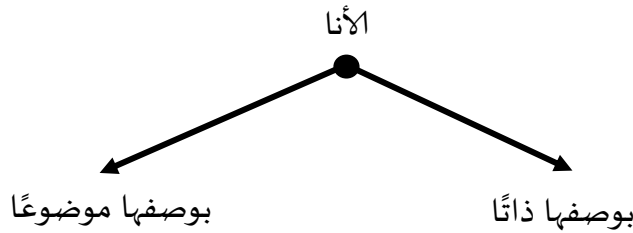
Source : Dominique MAINGUENEAU, *Les termes clés de l'analyse du discours*, Paris, Éditions du Seuil, février 1996, p78.

(*) الأسئلة ذاتها أثارها المترجم محمد جديدي في هامش ترجمته كتاب: الفلسفة في 100 كلمة، مُستنداً إلى طرح الفيلسوف الفرنسي بول ريكور (يُنظر: فريديريك وورم، الفلسفة في 100 كلمة، المرجع السابق، ص77-78).

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآفر في الرواية الجرائية المكتوبة بالفرنسية —

(un autre) هو تحديد نقاط تلاقي المقاصد الفلسفية الرئيسة الثلاثة المُستند إليها في مؤلفه. إذ يُؤكّد القصد الأوّل «على أولية التوسط التفكري على الوضع المباشر» للذات الفاعلة «du sujet» كما يُعبّر عنها بصيغة المتكلم المفرد: «أنا أفكر» «أنا أوجد». هذا القصد الأوّل يجد دعمًا له في نحو اللغات الطبيعية، حين يسمح هذا الأخير بإقامة التعارض بين «الذات soi» و«الأنا je». هذا الدعم يأخذ أشكالًا مختلفة بحسب الخصوصيات الصرفية النحوية الخاصة بكل لغة⁽¹⁾. وتجب الإشارة في هذا السياق، إلى أن مسألة تباعد اللغات وتمايز خصائصها النحوية والصرفية^(*) هي الغاية اللسانية الأساس التي تستأثر بها عملية الترجمة.

وفي اختلاف مفهوم الذات عن مفهوم الأنا، يُصرّح حسن شحاتة قائلًا: «إن علاقة الذات بالآخر غير علاقة الأنا بالآخر، ذلك أن الذات حالة اكتمال في الأنا، ووعي الأنا بحدود الذات هو الذي يقودها ليس إلى إلغاء الآخر بل إلى الإحساس بالحاجة إليه»⁽²⁾. ويُمكن إزالة هذا الغموض بتمييز مفهومين للأنا (Moi): الأنا (le Moi) بوصفها ذاتًا (Sujet) أخيرة للفكر، والأنا (le Moi) بوصفها موضوعًا (Objet) خاصًا بهذه الذات (Sujet) الأخيرة للفكر. وفق ما يُبرّزه الرّسم الآتي:



فالأنا بوصفها ذاتًا هو ما حولته الفلسفة القديمة بواسطة صورة عين داخلية، ترى كل شيء لكنها لا ترى نفسها، ومن ثمّ تتعالى على فضاء موضوعات الفكر (des objets de pensée)، إنها الأنا (le Moi) أو الأنا المتعالية (le Je transcendantal) عند كانط Kant والفينومولوجيا. لكن ثمة كذلك

⁽¹⁾ بول ريكور، الذات عينها كآخر، المرجع السابق، ص 67-68.

Source : Paul RICŒUR, *Soi-même comme un autre*, (L'Ordre Philosophique), Paris, Éditions du Seuil, Mars 1990, p11.

^(*) وبعيدًا عن الربط العام بين الكلمات: الفرنسية (soi)، والكلمة الإنجليزية (self)، والكلمة الألمانية (Selbst)، والكلمة الإيطالية (se)، والكلمة الإسبانية (simismo)؛ فإن القواعد النحوية لهذه اللغات – وفق بول ريكور Paul Ricœur – تختلف وتتباعد، بيد أن هذه الاختلافات نفسها مفيدة بقدر ما تُوضّح كل خاصية نحوية جزءًا من المعنى الأساسي المنشود (يُنظر: بول ريكور، المرجع نفسه، ص 68 / Voir aussi : Paul Ricœur, *ibid.*, p11).

⁽²⁾ حسن شحاتة، الذات والآفر في الشرق والغرب – صور ودلالات وإشكاليات، دار العالم العربي، ط 1، القاهرة، المحرم 1429هـ – يناير 2008م، ص 151.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآخر في الرواية الجرائية المكتوبة بالفرنسية —

أنا عالميّة (un Moi mondain)، أي أنا الوجود في العالم، مُحَدِّدة للعلاقات القائمة بين البشر؛ ولهذا السبب يستطيع المرء أن يُحبّ أو يكره. وهكذا تُحدِّد الأنا ما يعلمه الجميع، ولكنها كذلك تُحدِّد ما يفكر أو يُقدَّر أن يكون هو نفسه. وهذا هو الأنا موضوع (Moi objet) أو الأنا العالميّة (Moi mondain)، إنّها موضوع حُبّ خاص⁽¹⁾.

لم يُفرّق بعض العلماء النَّفسيّين والاجتماعيّين بين مُصطلحي الذات (self) والأنا (ego)^(*)، بل وظّفوهما بمعنى واحد (بالمعنى نفسه)، وبالعلاقة تبادليّة (بنحو مُتبادل)^(**) (interchangeably)، بخلاف بعض العلماء الذين يُوظّفون المُصطلحين بمفهومين مُتمايزين^(♦).

• في تميّز الذات من الأنا: يُستخدم مُصطلح الذات للإشارة إلى الشيء الذي يتكون من المواقف والمشاعر العديدة المُتعلّقة بالشخص نفسه، بينما يُستخدم مُصطلح الأنا للإشارة إلى العمليات أو الأنشطة المرتبطة بالذات والمسؤولة عن تعزيزها والدفاع عنها⁽²⁾. فالشعور «بالذات هو التأليف بين الهو واللاهو. أما (الأنا) فهو الفكرة المكتفية بنفسها على المنوال الديكارتي»⁽³⁾.

ومن منظور علم النَّفس، يُطلق على الشيء الموجود خارج الأنا اسم اللاأنا أو الآخر. فالأنا هي الذات المُفكّرة، والموضوع الخارجي هو الآخر⁽⁴⁾.

• وفي العلاقة التبادليّة بين الذات والأنا (بالمعنى نفسه): لا يُكلّف بعض الكُتاب والباحثين أنفسهم عناء التفريق بين المُصطلحين (خاصة علماء النَّفس الاجتماعيين المُعاصرين، المضطّلعين بتطوُّر الهوية الشخصية للفرد من حيث تعزيزها والدفاع عنها في بناء العلاقات الاجتماعيّة، إذ لا يكترون بشأن التمايز المُصطلحي بين الأنا والذات)، إذ يُوظّفانها لتغطية نطاقٍ واسع. نجدُ على سبيل المثال لا الحصر

(1) يُنظر: فريدريك وورم، الفلسفة في 100 كلمة، المرجع السابق، ص78.

(*) استُنيِدَ، في هذه النُقطة، إلى شُروح فتحي أبو العينين وإلى الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعيّة التي لجأ إليها في تحديده الفرق بين الذات والأنا (يُنظر: فتحي أبو العينين، المرجع السابق، ص812).

(**) Those who use the concepts of self and ego interchangeably: Allport (1943), Snygg and Combs (1949), M. Sherif and Cantril (1947). (See: Muzaffer SHERIF, «Self Concept», in: David L. SILLS (Editor), *International Encyclopedia of the SOCIAL SCIENCES*, New York, The Macmillan Company & The Free Press, Volume 14, 1968, (pp. 150–159), p. 152).

(♦) Those who differentiate between the concept of self and the concept of ego: Ausubel (1952), Chein (1944), Hilgard (1949), Murphy (1947), and Symonds (1951). (See: *Ibid.*, p151–152).

(2) See: *Ibid.*, p152.

(3) جميل صليّتا، الجزء الثاني، المرجع السابق، ص525.

(4) يُنظر: المرجع نفسه، ص131.

— الفصل الأول: — جلية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

جورج أرميتاج ميلر George A. Miller يُعرّف الأنا بأنها «تصوّر الفرد لذاته (لنفسه)»⁽¹⁾.

بناءً على هذه المعطيات، تتخذ الدراسة مُصطلح الأنا للدلالة على الأبعاد والخصوصيات والمرجعيات المثبوتة في ثنايا الخطاب الروائي الجزائري، ومُصطلح الذات على الذوات التّرجمّية الفاعلة.

3.1.1 الآخر:

عمومًا، يُعدّ الآخر (Other) كل شخص يضعه الفرد خارج سياق انتمائه⁽²⁾، كما يُعدّ مُصطلح الآخر (Other) موضوعة ظليّة في الخطابات المعاصرة حول الهوية، إذ يرتبط سؤال الآخر ارتباطًا تكامليًا بسؤال الهوية؛ فالآخر هو ما يروغ من شعورنا وتعرّفنا، وهو ما يكمن خارج ثقافتنا وحضارتنا وديننا وجماعتنا. وعلى أساس لعبة الاختلاف هذه، تتشكّل الهويّات. يستأثر التحليل النفسي بدراسة الهوية الفردية وتكوين الذات، في حين يضطلع علم الاجتماع والأنثروبولوجيا والدراسات الثقافية بدراسة الهويّات الجمعيّة وتحليلها⁽³⁾. كما يُشير مُصطلح الآخر (Other/other^(*)) إلى أي شخص مُميّز من الذات (one's self)، فوجود الآخرين أمرٌ ضروريّ لتحديد موقع المرء في العالم. وتُوصف الذات المُستعمَرة (The colonized subject)، على سبيل المثال، بالآخر (other) استنادًا إلى خطابات البدائية وأكل لحوم البشر، وبوصفها وسيلةً لترسيخ الفصل الثنائي (binary) بين المُستعمر والمُستعمَر، وتأكيد تفوق الثقافة الاستعماريّة وأولويّة رؤيتها الكليّة للعالم⁽⁴⁾. وقد شكّل هذا المصطلح محور نظريّات الترجمة ما بعد الاستعماريّة (راجع الفصل الثاني).

⁽¹⁾ See: Muzaffer SHERIF, *op. cit.*, p152.

⁽²⁾ يُنظر: بيل أشكروفت، وغاريت غريفيث، وهيلين تيفن، الردّ بالكتابة: النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة، المحرّر العام: تيرينس هوكس، ترجمة: د. شهرت العالم، المنظمة العربية للترجمة، توزع مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، آذار (مارس) 2006م، ص325.

⁽³⁾ يُنظر: طوني بينيت... وآخ، المرجع السابق، ص41.

^(*) ينطوي استخدام المُحلّل النفسي والمنظر الثقافي جاك لاكان Jacques Lacan لهذا المصطلح على تمييز بين الآخر بالحدّ الأكبر (Other) والآخر بالحدّ الأصغر (other)، مما يُمكن أن يُؤدّي إلى خلط مُصطلحيّ، بيد أن هذا التمييز قد يكون ذا فائدة عظيمة بالنسبة لنظرية ما بعد الاستعماريّة. وفي نظرية لاكان، يُميّز مُصطلح الآخر (other) – بحدّه الأصغر 'o' – بوصفه الآخر الذي يُشبه النفس (self)، ويمكن أن يُشير هذا المصطلح – في نظرية ما بعد الاستعماريّة – إلى الآخرين المُستعمرين والمهمّشين بسبب الخطاب الإمبرياليّ. أمّا مُصطلح الآخر (Other) – بحدّه الأكبر 'O' – فقد أطلق عليه جاك لاكان Lacan اسم الآخر الأكبر (grande-autre)، وهو الذي تكتسب الذات (subject) هويّتها من نظريته، ويمكن مقارنة هذا الآخر (Other) – في حدّه الأكبر 'O' – بالمركز الإمبرياليّ، أو الخطاب الإمبرياليّ، أو الإمبراطوريّة نفسها (يُنظر: بيل أشكروفت... وآخ، دراسات ما بعد الكولونيالية، المرجع السابق، ص263–265).

⁽⁴⁾ يُنظر: بيل أشكروفت... وآخ، دراسات ما بعد الكولونيالية، المرجع السابق، ص262–263. ويُنظر كذلك إلى: بيل أشكروفت... وآخ، الردّ بالكتابة، المرجع السابق، ص325.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

ومن المصطلحات التي تُستعمل في الحقل المفهومي لمصطلح الآخر، نجد مصطلحات: الغير، والهو، والغريب.

1.3.1.1 الغير:

يُعرّف مصطلح الغير (Autre/Autru) بالفرنسية، و Other بالإنجليزية، و Alter باللاتينية) بأنه: «أحد تصورات الفكر الأساسية، ويُراد به ما سوى الشيء مما هو مختلف أو متميز منه، ويقابل الأنا، ومعرفة الغير تعين على معرفة النفس»⁽¹⁾. ومعنى السّوى أو الغير مُضاد لمعنى الأنا، بيد أنه ضروري لتحديد موقع الأنا، فالإنسان لا يدرك ذاته إلا إذا تصوّر وجود غيره، فوجود «الغير ضروري إذن لإدراك وجود الذات»⁽²⁾. وفي علم النفس، يُوظّف الغير مُقابلاً للفظ أنا، «فكل ما كان موجوداً خارج الذات المدركة أو مستقلاً عنها كان غيرها»⁽³⁾. وقد يرد مصطلح الغير بصياغة المصدر الصناعي الغريبة، ويُعرّف مصطلح الغريبة (Altérité) بالفرنسية، و Otherness/Alterity بالإنجليزية^(*) بأنه: «صفة ما هو غير، وتُقابل الهوية»⁽⁴⁾. وتعني الغريبة الحالة التي يكون عليها الآخر (other) أو المختلف (different)، وتعني كذلك الاختلاف (diversity) أو الآخريّة (otherness). يشيع استعمال مصطلح (altérité) في الفرنسية كثيراً، وله مُقابل وهو الهوية (identité)⁽⁵⁾.

وعلى النقيض من هذا المنظور الذي يُدرج مصطلح الغير ضمن المصطلحات التي تُستعمل في الحقل المفهومي ذاته لمصطلح الآخر، مثل الدلالة المعجمية العربية التي تُرادف بين معنيي الغير والآخر لا يتخاذهما معاني التميز والاختلاف⁽⁶⁾: ثمة رأي مُخالف – يُورده فريدريك وورم – يرى أن الغير (Autru) ليس هو الآخر (l'Autre)، فالآخر يُعرّف فقط بوصفه ما هو – أو ذلك الذي – ليس أنا (moi). ومع ذلك، لا يُختزل الغير في علاقة منطقية من النفي أو الاختلاف. إنّ الاعتراف بالآخر بوصفه ذاتاً (sujet)

(1) مجّمع اللغة العربية، المرجع السابق، ص 133.

(2) جميل صليبا، الجزء الأول، المرجع السابق، ص 674.

(3) المرجع نفسه، الجزء الثاني، ص 131.

(*) يأتي أصل كلمة الغريبة (alterity) من الكلمة اللاتينية (alteritas)، ومشتقاتها في الإنجليزية (alternate متناوب)، و (alternative بديل)، و (alternation تراوُح)، و (alter ego الأنا الأخرى). (يُنظر: بيل أشكروفت... وآخ، دراسات ما بعد الكولونيالية، المرجع السابق، ص 58-59).

(4) مجّمع اللغة العربية، المرجع السابق، ص 134.

(5) يُنظر: بيل أشكروفت... وآخ، دراسات ما بعد الكولونيالية، المرجع السابق، ص 58-59.

(6) يُنظر: حسن شحاتة، المرجع السابق، ص 17.

— الفصل الأول: — جدلية الأنا والآخر في الرواية الجرائية المكتوبة بالفرنسية —

إنسانية أو بوصفه وعيًا لا يجعل منه دائمًا غيرًا، فمن الجدلية القائمة بين العين (le même) والآخر (l'autre)، وما تنطوي عليه هذه العلاقة الجدلية، يتجلى الغير (autrui)⁽¹⁾. وفي سياق تمييز الدلالة الفرنسية بين مُصطلحي الغير (Autrui) والآخر (l'Autre)، يُستنتج بأن مفهوم الآخريته معنى أوسع، إذ يشمل كل ما يختلف عن الموضوع والذات حتى مستوى الأشياء. في حين يُعد مفهوم الغير تضيقًا لمعنى الآخر، حاصرًا إيّاه (أي الآخر) في مجال الإنسان فقط، أي الناس الآخرين⁽²⁾.

2.3.1.1 الهُو:

الهُو: «شخص نتكلم عنه (وهو غير المتلقي). ويمثل (الهو) في التعبير غائبًا ما»⁽³⁾. وفي المعجم الفلسفي، يُعرّف مُصطلح الهُو (Soi/Soi-même/Lui بالفرنسية، وHimself/herself/itself بالإنجليزية⁽⁴⁾) بأنه: «ما يقابل الأنا، ويطلق على الغير وليس بيسير دائمًا أن يضع الإنسان نفسه، موضع غيره تمامًا. ولا يعرف الإنسان نفسه حقًا إلا إذا عرف غيره. فالتفرقة بين الأنا والهو من أسس علم النفس التحليلي: ويمثل الهُو جانب اللاشعور في الإنسان ويمثل الأنا جانب الشعور»⁽⁵⁾. يُلاحظ، على الصعيد اللغوي العربي، أن الهوية مُشتقة من ضمير الغائب المفرد هُو، ويُقابل هذا الضمير، في الفرنسية، فعل الكينونة (est/être) أي (الوجود)، نقول: زيدٌ هُو (أي أنه كائن وموجود)⁽⁶⁾. ويُصطلح على الضمير الهُو، في سياق اللغة الفلسفية هذه، بالهُو المُسمّى رابطة، ومعناه بالحقيقة الوجود، لأنه يربط بين المعنيين⁽⁷⁾. ومن ثم، نجد ترابطًا وتماثلًا بين مفهوم الوجود (être) والهوية (identité)⁽⁸⁾. ومن هذه التعاريف، يُرادف مُصطلح الهُو مُصطلحي الآخر والغير، بينما نجدُه يُقابل مُصطلح الأنا.

3.3.1.1 الغريب:

إن الآخر مَطْلَبٌ ضروري تقتضيه التزعة المفتحة كونيًا حتى تُبرز كيانها، ربما يكون أقرب حتى من البيت. وفي سيرورة التعرّف على الآخريّة في الذوات، وعلى المرء نفسه بوصفه آخرًا، يُجرّ المنظور

(1) يُنظر: فريديريك وورم، الفلسفة في 100 كلمة، المرجع السابق، ص58.

(2) يُنظر: حسن شحاتة، المرجع السابق، ص17.

(3) سعيد علوش، المرجع السابق، ص225.

(4) يُنظر: جميل صليبا، الجزء الثاني، المرجع السابق، ص525.

(5) مجمع اللغة العربية، المرجع السابق، ص207.

(6) يُنظر: لبنين، المرجع السابق، ص24.

(7) يُنظر: جميل صليبا، الجزء الثاني، المرجع السابق، ص525.

(8) يُنظر: لبنين، المرجع السابق، ص24.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآخر في الرواية الجرائية المكتوبة بالفرنسية —

الاجتماعي حول الغريب إلى نهايته القصوى والمنطقية^(*). وفي هذا السياق، تُصرّح جوليا كريستيفا Julia Kristeva:

« Étrangement, l'étranger nous habite : il est la face cachée de notre identité, l'espace qui ruine notre demeure, le temps où s'abîment l'entente et la sympathie. »⁽¹⁾.

« الغريب أن الغريب يسكننا، إنّه الوجه الخفي لهويتنا، والفضاء الذي يهدم مسكننا، والزمان الذي يتلف فيه الوفاق والتعاطف » (ترجمتُنا).

بناءً على هذا القول، تتساءل كريستيفا: هل يمكن أن يختفي الغريب (l'étranger) الذي كان عدوًا في المجتمعات البدائية في المجتمعات الحديثة؟ مستحضرة بعض المحطات في التاريخ الغربي طُرحت فيها مسائل الترحيب بالأجنبيّ وضيافته أو صدّه ورفضه. وهل من الممكن أن يتصوّر مجتمع ما، في يوم ما، بدون أجنب وغباء في أفق يحتكم إلى معايير دينية أو أخلاقية⁽²⁾ وتجب الإشارة إلى أن مسائل العيش مع الآخر دون نبذ أو تفرقة لا تزال تُطرح إلى يومنا هذا.

وفي السياق التّرجيميّ، تُعنى الضّيافة اللّغويّة ومُتعة العيش في لغة الآخر، وفق بول ريكور Paul Ricœur، باستقبال كلمة الغريب واستضافتها في مسكنها (في مسكن مُستضيفها)⁽³⁾. لقد انتصرت أعمال الترجمة، وفق بول ريكور، على المقاومات القائمة على الخوف وحتى كراهية الغريب (الأجنبيّ) الذي يُنظر إليه بوصفه تهديدًا مُوجّهًا ضد هويتنا اللّغويّة الخاصّة. كما تظلّ مسألة التخلي عن حلم الترجمة المثاليّة اعترافًا بالاختلاف، هذا الاختلاف — حسب بول ريكور — الذي لا يُمكنُ تجاوزه بين جدليّة الأنا والآخر (بين الخاصّ والأجنبيّ le propre et l'étranger). وعليه، تظلّ مسألة التّعريف على الغريب (l'épreuve de l'étranger) مطروحة⁽⁴⁾. ومن هذا الطّرح التّرجيميّ الجدليّ، تُثار جدليّة الأنا والآخر القابعة في استراتيجية النّقل المُنتهجة وما يُصاحِبها من تداعيات.

(*) استنادًا إلى معجم (مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع)، لجأت هذه النّقطة من البحث إلى أقوال جوليا كريستيفا (من كتابها الموسوم: Étrangers à nous-mêmes)، (يُنظر: طوني بينيت... وآخ، المرجع السابق، ص 43-44).

(1) Julia KRISTEVA, *Étrangers à nous-mêmes*, Paris, Librairie Arthème Fayard, 1988, p9.

(2) Voir : *Ibid.*, p9-10.

(3) Paul RICŒUR, *Sur la traduction*, Paris, Bayard, 3^e tirage, 2004, p20.

(4) Voir : *Ibid.*, p41-42.

— الفصل الأول: — جدلية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

حاصل التعريفات:

استنادًا إلى ما بُسِطَ عرضه من تعريفات لمصطلحات جدلية الأنا والآخر والمفاهيم التي تنطوي عليها، يُستنتج بأن ثمة تلازمًا بين مفهومي صورة الذات وصورة الآخر، فاستخدام أيّ منهما يستدعي — تلقائيًا — حضور الآخر، وصورة المرء عن ذاته لا تتشكّل بمعزل عن صورة الآخر لديه، هذا الآخر الذي تعكس صورته — بمعنى ما — صورةً للذات⁽¹⁾. وتأسيسًا على الفهم الفلسفي المحض الذي بُسِطَ عرضه سلفًا، يُستنتج بأن الغاية اللسانية التي تستأثر بها ثنائية الحوار تستدعي لا محالة حضور قطبي الجدال في حدود النصّ الروائي ذاته، فالانزلاق من الأنا إلى الآخر، أو العكس، غالبًا ما يكون انزلاقًا لغويًا يتجلى في الحوارات والمناقشات التي تدفع أحد طرفي ثنائية الحوار إلى زكوب لغة الطرف الآخر بغية تفكيكها، أو دحضها، أو التأسيس عليها. إذ تُجسّد لغة الرواية المشترك الجدلي بين الأنا والآخر حتى لو كانت العلاقة بين الطرفين علاقة إشكالية، تسودها أقصى حدود التوتر ودرجات التنافر⁽²⁾. وهنا لا بدّ من تأكيد العلاقة الوجودية بين الأنا والآخر فيما يتعلق بالهوية⁽³⁾، هوية الكاتب، وهوية النصّ الروائي، وهوية القارئ.

وفي تقفي مسار جدلية الأنا والآخر عبر ضمائر السرد وضبط هوية النصّ الروائي، تحسّن الإشارة إلى أنه قد يستحيل عزل ذاتية الكاتب وتدخّلاته في أثناء سيرورة السرد الروائي — المباشرة وغير المباشرة — عن عمله الروائي مهما حاول التّنجي⁽⁴⁾، ولا تتكشف الطبيعة الحقيقية للهوية السردية (l'identité narrative)، في نظر بول ريكور، إلا في جدلية الذاتية (ipseité) والعينية (mêmeté)⁽⁵⁾. لذا، نجد «الضمير الأكثر استثناءًا بالسرد هو الـ«هو» أو الـ«هي»، يليهما الـ«أنا» ثم الـ«أنت» أو الـ«أنت»، ومن النادر أن يكون السرد بأحد ضمائر الجمع «كالنحن والأنتم والأنتن»⁽⁶⁾. ويحسنُ التنبيه أيضًا إلى الأبعاد المختلفة التي تأخذها هذه الجدلية، بخصوصياتها ومرجعياتها وتجلياتها، في مسار الخطاب الروائي وتحولاته.

(1) يُنظر: فتحي أبو العينين، المرجع السابق، ص 812.

(2) يُنظر: صلاح صالح، سرد الآخر — الأنا والآخر عبر اللغة السردية، المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء — المغرب (بيروت — لبنان)، 2003م، ص 50-51.

(3) يُنظر: حسن شحاتة، المرجع السابق، ص 294.

(4) يُنظر: صلاح صالح، المرجع السابق، ص 62-63.

(5) يُنظر: بول ريكور، الذات عينها كآخر، المرجع السابق، ص 294.

(6) صلاح صالح، المرجع السابق، ص 63.

— الفصل الأول: — جدلية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

2.1 المبحث الثاني:

جدلية الأنا والآخر من منظورات فلسفية وروائية وترجمية

بعد ضبط مُصطلحات جدلية الأنا والآخر وقراءة مفاهيمها، يضطلع هذا المبحث بتحديد موقع قطبي هذه الجدلية(*) في الحُقول الفلسفية والروائية والترجمية.

1.2.1 جدلية الأنا والآخر من منظور فلسفي:

تأسيساً على ما بُسِطَ طرحه سلفاً في المبحث الأول، الضابط للمُصطلحات والمُفَصِّل في قراءة المفاهيم، بالاستناد إلى المعاجم الفلسفية والاهتداء إلى أقوال الفلاسفة والمفكرين؛ يحسنُ التنبيه إلى أن مُصطلحات: الأنا والآخر، الأنا والغير، الذات والهو، الذات والغريب... ونحو ذلك، مُنبثقة من الحقل الفلسفي ومُرتبطة به ارتباطاً وثيقاً.

على صعيد الدلالة الفلسفية، يُعدُّ تحديد الأنا فلسفياً بوصفها ذاتاً مُفكرة أو ذاتاً أخلاقية، من الجهة المُقابِلة، اكتساء مفهوم الغير أبعاداً شتى يُمكنُ حصرها في المماثلة أو الاختلاف. وفي سياق المماثلة، بحُسابِ الوجود الإنساني وجوداً يتَّسم بالحرية والإرادة، يُماثلُ كانط بين الأنا والغير. بينما يرى سارتر الغير أنا أخرى ليست هي الأنا الفردية، أو يُمكنُ أن يكون الغير مُقابلاً لمفهوم الهُو هو مثلما هو الأمر عند أرسطو⁽¹⁾. وهذا ضُرب من ضُروب التنوع الدلالي واختلاف الرؤى الفلسفية في تحديد طبيعة العلاقة بين الأنا والآخر عامّة، ومفهوم الغير على وجه التحديد. تستأثر الفلسفة الوجودية باستخدام مُصطلح الآخر (other) في غير ما موضع من تأملاتها، فهي هو ذا سارتر Sartre يستند إليه في كتابه: «الوجود والعدم» بُغية التعريف بجدلية الذات (Self) والآخر (Other) الهادفة لخلق وعي ذاتي وأفكار خاصة بالهوية. بيد أن تعريف مُصطلح الآخر (other) الذي يستأثر به حقل نظرية ما بعد الاستعمارية الحالية مُتجذّر في التحليل الفرويدي وما بعد الفرويدي الذي يُعنى بتشكيل الذاتية (subjectivity)⁽²⁾.

(*) لقد عالجت الباحثة خليف هوارية العلاقة بين الأنا والآخر من زوايا فلسفية، ونفسية، وفكرية عربية، واجتماعية؛ مُركزة على مفهوم الهوية في التراث العربي الإسلامي، ومُفصلة كذلك في خصوصية الهوية الجزائرية. كما عُولج مفهوم الهوية، في هذا البحث، من منظوري الفلسفة المعاصرة وعلم النفس. يُنظر: خليف هوارية، إشراف: أ. خلف الله بن علي، «تمثُّلات الهوية والآخر في الرواية الجزائرية (مالك خدّاذ) نموذجاً»، أطروحة مُقدّمة لنيل درجة الدكتوراه نظام LMD، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم: اللغة العربية وآدابها، مشروع: الرواية المغاربية والتُّد الجديد، جامعة الجيلالي ليايس، سيدي بلعباس، الجزائر، السَّنة الجامعية: 2017م/2018م، ص3-52.

(1) يُنظر: حسن شحاتة، المرجع السابق، ص17-18.

(2) يُنظر: بيل أشكروفت... وآخ، دراسات ما بعد الكولونيالية، المرجع السابق، ص263.

— الفصل الأول: — جدلية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

ولقد تبنى الفلاسفة مُصطلح الغيرية (alterity)، بوصفه بديلاً لمُصطلح الآخريّة (otherness)، مواكبةً للتغيّر الذي طرأ على الإدراك الغربي للعلاقة بين الوعيّ والعالم. وينبثق مُصطلح الآخريّة من فكرة «أنا أفكر، إذن أنا موجود»^(*)، فالاكتراث الرئيس في العلاقة بالآخر هو أن يكون المرء قادراً على إيجاد أجوبة لأسئلة نحو: كيف يُمكنني معرفة الآخر؟ أو كيف يُمكن معرفة الأذهان الأخرى؟ في حين يجرّ مُصطلح الغيرية منحنى التحليل بعيداً عن هذه الشواغل الفلسفية بالآخر المعرفي إلى الآخر الأخلاقيّ الأشدّ واقعيّة، الذي يتموقع — فعلياً — في السياقات السياسيّة أو الثقافيّة أو اللغويّة أو الدينيّة⁽¹⁾. لقد حاول التفكير الفلسفيّ معالجة مفهوم الغير بوصفه وجوداً عقلياً مؤسّساً على فردية الأنا، وذلك بطرح إشكاليّة فلسفيّة حديثة تتجلى في صراع هدفه إثارة الوعي بالذات، أو عدّ الغير موضوعاً، أو ذاتاً، أو بنية، أو كياناً. بناءً على هذه المعطيات الرصينة، تدعو طبيعة العلاقة مع الغير إلى الانفتاح على علاقات شتى، نحو: الصداقة والغربة⁽²⁾، الحب والكراهية، الظلم والتسامح، المُستعمر والمُستعمر.

2.2.1 جدلية الأنا والآخر من منظورٍ روائي:

استنبتَ الحقل الأدبيّ مُصطلحيّ الأنا والآخر من الميدان الفلسفيّ في أنساقه الإبداعية، فالفلسفة بحكم ارتباطها الوثيق بالعقل واعتمادها عليه أهملت — بنحوٍ متفاوت — الملكات الأخرى للإنسان، من موضوعات الخيلة والمتخيل وإنتاجات الحسّ الإبداعيّ المختلفة، لأنها تعدّها تشويشاً يُعرقّل عمل العقل، لذلك يتعين إقصاؤها من عملية المعرفة، فالمعرفة هي نتاج فعلٍ عقليّ محض. تُشكّل الكتابة بأجناسها المتنوعة حقلاً خصباً للعمل التخيليّ بصوره ومجازاته وتشبيهاته وأساطيره المختلفة، ويُمكن لهذا الضرب الإبداعيّ أن يخلق فرصةً للحوار الثقافيّ أكثر مما يُمكن أن يطرحه اهتمام عقلائيّ صارم، إذ يُمثّل النصّ الروائيّ المكتوب دعوة للقاء بين مُتخيّل الكاتب والمُترجم والقارئ المفترض. وفي

(*) الأنا أفكر أو الكوجيتو (Cogito): بتحويل الفعل المُصرّف إلى اسمٍ مُشترك يُسمّى كوجيتو (أنا أفكر)، وهو منطوق يتخذ — عند ديكارت Descartes — صُوراً متعدّدة: أنا أفكر، إذن أنا موجود (ego cogito ergo sum)، وأنا أكون، أنا أوجد (ego sum, ego existo)، وأنا أشكّ، إذن أنا موجود. أثّرت نقاشات عدّة من لدن من جاؤوا بعد ديكارت أمثال مالبرانش Malebranche وكانط Kant، الذين طرخوا التّساؤلات الآتية: ألا يُعيق الكوجيتو (le cogito) التفكير حول الأنا (moi) أكثر مما يُحرّزه؟ ألا يصعب تحديد طبيعة هذه الأنا (je) — بوضوح — حيث تُثبت الوجود؟ ألا ننتقل بسرعة كبيرة — وفق نيتشه Nietzsche — من الذات الفاعلة (sujet)، بخسبانها وظيفيّة نحوية، إلى الذات الفاعلة (sujet)، التي تُفهم فرداً، أي دعم فعل التفكير هذا؟ هل أنا مُتأكد من أن أنا (je) التي تقول أنا أفكر (je pense) هي نفسها التي يُراد بها موجود (est)؟ هل يُعدّ وعي بنفسي — بوصفي مُفكراً — مطابقاً لما أنا عليه؟ هذا الوعي الذي لست مُدرّكاً له بالضرورة؟ (فريدريك وورم، الفلسفة في 100 كلمة، المرجع السابق، ص 101-102).

(1) يُنظر: بيل أشكروفت... وآخ، دراسات ما بعد الكولونيالية، المرجع السابق، ص 59.

(2) يُنظر: حسن شحاتة، المرجع السابق، ص 23.

— الفصل الأول: جدلية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

جدلية الكتابة والقراءة والترجمة تتحدّد علاقات قوى غير مُفكر فيها، غالبًا ما تتدخل في سيرورات أفعال الكتابة والقراءة والترجمة، بحيث تُكرّس هذه الجدلية إرادة قوة مُهيمنة ما، أو تكون تعبيرًا عن إرادة حوارية مُعيّنة⁽¹⁾. وفي سياق الهيمنة والحوار تتجلى جدلية الأنا والآخر.

يرجع استنبات جدلية الأنا والآخر في الحقل الروائي - بالأساس - إلى حلقة تداخل الفلسفة في الأدب، فلقد كانت الفلسفة في التاريخ الفكري للغرب تشمل العلوم والأنشطة الفكرية كلّها في حقبة من الحقب. فهي هو ذا أفلاطون يُفكر في السياسة والرياضيات وعلم الاجتماع والفن والأدب والحرب والسلم والنحو واللغة... وغيرها من الميادين، وأسماء أمثال أبي العلاء المعري والمتنبي وهولدرن ودوستوفسكي وفولتير، أسماء احتكرها التاريخ الأدبي بيد أن نُصوصهم تتعدى نطاق الأدب لتدرك شقًا كبيرًا من التفكير الفلسفي. ويدخل فلاسفة أمثال ابن طفيل (صاحب قصة حي بن يقضان) وجان بول سارتر^(*) وآخرون ضمن الحقل الفلسفي، وغالبًا ما ينفلت الأديب منهم من عقلانية الفيلسوف وصرامته ليترجم لنا تصوّراته وأفكاره في شكل عمل أدبي، سواء أكان رواية أم شعرًا أم قصة⁽²⁾.

وعلى هذا المنوال، تتسرّب التأملات الفلسفية إلى الحقل الأدبي، فينسج الراوي حواراته، وأحداثه، وشخصياته، ورؤاه، وتصوّراته، ومواقفه، المبتوثة في العمل الروائي، بخيوط جدلية فلسفية موسومة بطابع الأنا والآخر، تتخذ أبعادًا مختلفة في سيرورة الخطاب الروائي وتحولاته.

تعدّ الرواية - وفق ماجدة حمود - من أكثر الفنون الأدبية قدرةً على تجسيد جدلية الأنا والآخر، عارضة تفاصيل الحياة بحقائقها وأوهامها كلّها، وفاسحة المجال لصوت الأنا للتعبير عمّا يضطرم في الأعماق وما يُخالجها من هُموم ومخاوف وآلام وأفكار، فاتحة - أمام المتلقّي - سبيل فهم الذات والآخر معًا. كما تطرح الرواية ما يعترض المرء من إشكالات تُعانيها الأنا في مواجهة الآخر، مما يعكس

(1) يُنظر: محمّد نور الدين أفاية، المتخيّل والتواصل: مفارقات العرب والغرب، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 1993م، ص5-8.

(*) اجتمعت في سارتر صفات الفيلسوف والكاتب والروائي والمسرحي والباحث والنّاقد وكاتب المقالة والمناضل، فكان يعدّ نفسه مُثقفًا كونيًا مُتجاوزًا حدود وطنه الأصل، حاملًا لواء التحرّر والاستقلال، مُعدّلًا أساليب كتاباته بُغية الوصول إلى فئات مُختلفة من الناس وشرائحهم، مُساندًا الحركات والشُعوب التي تُطالب بالحرية واسترجاع الهوية الوطنية. تضمّنت نُصوص سارتر الروائية والمسرحية والنقدية أفكاره الفلسفية بصياغة فنية وأساليب أدبية، جعلت من شخصه أفكارًا تتحرّك وتُعبر عن ذاتها. وعلى هذا الأساس، لم يكن من الضروري، للإحاطة بفلسفة سارتر الوجودية، أن يكون القارئ لأعماله الأدبية ملهمًا بالفلسفة حتّى يفهمها ويتفاعل مع شخصها وأفكارها المبتوثة (يُنظر: محمّد نور الدين أفاية، المرجع نفسه، ص123-124).

(2) يُنظر: المرجع نفسه، ص121-123.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

تطوّر نظرة البشر إلى ذواتهم وإلى الآخر⁽¹⁾. وقد تأخذ تجليات الأنا والآخر، في مسار الخطاب الروائي وتحولاته، أبعاداً شتى وصُور مختلفة، مثلما تُبرزه النقاط الآتية:

1.2.2.1 تجليات الأنا في الخطاب الروائي:

تحضر الأنا، بمرجعياتها الدينية والروحية والتاريخية والوطنية والفكرية والثقافية والاجتماعية والحضارية والجمالية، في الخطاب الروائي في صورة⁽²⁾:

- المُستعْمَر، عاكسة صوت الأنا المقهورة من الآخر. وتتجلى الأنا بصيغة الجمع في صورة الأنا الجمعية المُجسّدة للنّحن، المُمثّلة لأبناء الشعب في اجتماعهم في فضاء واحد، بُغية تقرير مصيرهم ووضع حدٍ لبطش الآخر.
- الأنا المنهرة بالآخر نظير الاحتكاك به، ناسجةً انسجاماً معه (أي مع الآخر).
- هيمنة أنا الكاتب الذي يعتني بالشخصية الرئيسة التي غالباً ما تعكس رؤاه ومواقفه وأفكاره وتجاربه، أو في شخصية البطل المتماهي وأنا الكاتب.
- المكان (أو الفضاء المكاني المُتمثّل في الوطن)، طارحة سؤال الهوية، فسؤال الهوية هو من سؤال الأنا، هذه الأنا القلقة بشأن انتمائها وتحديد مصيرها.
- تتجلى الأنا في صور التّابعة، والمنهرة، والمتحدية، والمقاومة... ونحو ذلك، كما تبدى الأنا في جمالية العنوان وصياغته.

2.2.2.1 تجليات الآخر في الخطاب الروائي:

- يتخذ الآخر، بوصفه كياناً مُخالفاً للأنا من حيث العقيدة واللغة والعرق والثقافة والتقاليد، صورة الأجنبي (أو الغربي) الذي يشنّ حروباً على الأنا، ويخلق صراعاتٍ تتسبّب في آلامها ومُعاناتها، مما يجعلها تتصدى له بطرق شتى بُغية الحفاظ على هويّتها⁽³⁾. ويحضر الآخر في الخطاب الروائي في صورة⁽⁴⁾:
- الآخر المُستعْمَر، أو الآخر المعتدي، أو المستوطن... ونحو ذلك، أو الآخر العسكري (في فضائه

(1) يُنظر: ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (398)، الكويت، ربيع الآخر 1434هـ - مارس 2013م، ص 14.

(2) يُنظر: المرجع نفسه، ص 28-88، ص 105-252.

(3) يُنظر: محمد الداوي، صورة الأنا والآخر في السرد، رؤية للنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة، 2013م، ص 13.

(4) يُنظر: ماجدة حمود، المرجع السابق، ص 34-252. ويُنظر كذلك إلى: محمد الداوي، المرجع السابق، ص 11-15. ويُنظر كذلك إلى: حسن شحاتة، المرجع السابق، ص 21-22.

— الفصل الأول: — جدلية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

الحربي) أي في ساحة المعركة.

- الآخر بوصفه مصدرًا للشر والبلاء، وخطرًا وَجَبَ تَوَخِّي الحيلة والحذر منه، والتأهب له، وإن استدعى الأمر إعداد العُدَّة بُغية مُقاومته والتصدي له. وهنا تبرزُ صُور الكراهية والحقد والغل.
- يتمثلُ الآخر في الفضاء المكاني (الغربة أو المنفى مثلاً... ونحو ذلك).
- بقدر ما ترى الأنا الآخر عدوًا، نجدُها تنسجُ جسورًا معه بوصفه صديقًا، وترسمُ صورًا إيجابية له من الودّ تصلُ إلى التآخي والتضحية والإيثار، بدافعِي المنفعة والفضيلة، هذا الآخر الذي يلبسُ حلّة المدني والإنساني والمُسالم.
- قد يتجسّدُ حُضور الآخر في صياغة العنوان وتركيبته.

بناءً على هذه التجليات، يُخلَصُ إلى عدم إمكان وجود الأنا بدون الآخر، والعكس صحيح. وبالرغم من اختلافهما وتباعدهما وتصارعهما وتناقضهما، نجدُهما يتفاعلان فيما بينهما، سواء سلبيًا أو إيجابيًا، وما يُصاحِبُ هذا التفاعل من قوة تحسُّم الغلبة لطرفٍ على حساب الطرف الآخر⁽¹⁾. ويسعى المبحث الثالث من هذا الفصل إلى إبراز تجليات جدلية الأنا والآخر، بخصوصياتهما ومرجعياتهما وأبعادهما، في سبع روايات جزائرية مكتوبة بالفرنسية في الحقبة الاستعمارية.

3.2.1 جدلية الأنا والآخر من منظورٍ تَرْجَمِيّ:

تُعَدُّ الترجمة من الحُقول مُتعدِّدة التخصصات التي ترمي إلى مدِّ جسور التّواصل بين الشُّعوب والأمم بُغية تبادل العِلْم والمعرفة، وتعرِّفهم على ثقافة الآخر وحضارته. ولتجسيد اللّقاء والتّقارب بين الشُّعوب، تأتي الترجمة بوصفها وسيطًا يُذيبُ التّمايز الواقع بين اللّغات والثّقافات والعِرقِيّات المختلفة، وذلك بجسْرِ الهُوّة الفاصلة بين الأنا والآخر. وفي سيرورة جسْرِ الهُوّة هذه، تُبدّد الترجمة المسافة بين الذات والآخر، وتُذيبُ التّباين بين اللّغات والثّقافات في العالم، إذ تختبرُ الذات بعد تعرُّفها إلى ثقافة الآخر وترمي بها (أي بالذات) إلى أفقٍ لِقائِهِ. وهكذا يعدُّو الآخر، عبر الترجمة، مرآةً للذات واختبارًا لها⁽²⁾. وفي تحليل هذه المعطيات التّرجِمِيّة وتفكيكها، تجبُ الإشارة إلى أن سيرورة جسْرِ الهُوّة الفاصلة بين الأنا والآخر خاضعة — بالأساس — إلى التأمّلات النّظريّة التّرجِمِيّة واستراتيجياتها المُنتَهَجَة في أثناء سيرورة النّقل. وفي سياق دراسة خطاب الآخر (Otro)، بوصفه نموذجًا للاتّصال الثّقافي، وعلاقته الوثيقة

(1) يُنظر: محمد الداوي، المرجع السابق، ص11.

(2) يُنظر: إبراهيم أولحيان، الترجمة: المثاقفة وسؤال الهوية الثقافية، مؤتمر: التّرجمة وإشكالات المثاقفة، إعداد وتقديم: مجاب الإمام، محمد عبد العزيز، مُنْتَدَى العلاقات العربيّة والدوليّة، ط1، الدوحة - قطر، بتاريخ 26 - 27 فبراير 2014م، ص247-248.

— الفصل الأول: — جدلية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

بالترجمة، يُحدّد أوبيدي كربونيل كورتيس^(*) Ovidi Carbonell Cortés ثلاثة اتّجاهات⁽¹⁾:

1- الاتّجاه الأوّل: يعتمدُ على دراسة القوانين الاجتماعية والثقافية التي تمنعُ — أو قد تسمحُ — الولوج إلى الآخر من منظورٍ غربيٍّ بواسطة الترجمة. ويتبنّى هذا الاتّجاه رؤية مدرسة التطويع (Escuela de la Manipulación).

2- الاتّجاه الثّاني: يدرسُ أصحاب هذا الاتّجاه القوانين الثقافية التي يُمكنها أن تسمح بالاتّصال بالآخر، ممثلاً في الغرب، وذلك في أفقٍ مُعارضة هيمنته الثقافية.

3- الاتّجاه الثّالث: يُنشئُ رؤاد هذا الاتّجاه وأنصاره خطاباً مُعارضاً يرمي إلى مُواجهة الهيمنة الاستعمارية والاستعمارية الجديدة التي يُمارسها الغرب، والتصدي لها باستعمال الترجمة وسيلةً لإعادة كتابة النصوص المقدّسة والمُعتمّدة (المقوّنة los textos canónicos) في الغرب، وخلخلة قيمتها الأدبية، وتخريب شرائعها.

تتجلّى جدلية الأنا والآخر في مسارِ الممارسة التّرجميّة — وفق عبد السلام بنعبد العالي — في مسلكين: مسلك أوّل يعدّ الترجمة المثلى الترجمة التي تجرّ الآخر نحو الذات، ساعيةً إلى إلغاء الاختلافين اللّغويّ والثقافيّ، إذ تُحاول نقل نصٍّ من لغةٍ إلى لغةٍ أخرى من غير أن يبدو أنه انتقل، كما يرومُ هذا المنحى قهر المسافة بين المترجم والمؤلّف وإلغاء الاختلاف بين اللّغتين الأصل والمترجمة. وترمي الترجمة — في هذا السياق — إلى تقديم نصٍّ كأنّه لم يُترجم، نصّ يحو فعل الترجمة، نصّ لا نشتم فيه رائحة اللّغة الأخرى، ورائحة الأجنبيّ، ورائحة الغرابة، ورائحة الغيرية، ورائحة الاختلاف، ورائحة الآخر. أمّا المسلك الثّاني، فيرومُ إقامة ترجمة ترمي إلى فتح الثّقافة، ترجمة تفتح النصوص على الخارج، ترجمة تعترف بالآخر بوصفه آخرًا، ترجمة تدركُ آخريّة الآخر وتتوقّف عندها. وليست الترجمة، من هذا المنظور، خلقاً للقرابة فحسب، إنّما تكريساً للغرابة والاختلاف؛ إنّها استضافة غريب⁽²⁾.

بناءً على هذا الطّرح، يُعدّ المسلك الأوّل ضرباً من ضروب مبدأ الترجمة المتمركزة عرقياً حسب أنطوان برمان Antoine Berman، ويُصطلحُ على هذه الاستراتيجية بالتوطين (Domestication)، أي إضفاء طابعٍ محليٍّ خالصٍ على سيرورة النّقل، إذ تجعلُ هذه الاستراتيجية العمل الأجنبيّ مألوفاً من

(*) يدرسُ أوبيدي كربونيل كورتيس هذه الاتّجاهات (في كتابه: ترجمة الآخر: نظرية الترجمة، الغرابة، وما بعد الكولونيالية) اعتماداً على التّطوّرات الحديثة في الترجمة وعلاقتها بنظرية ما بعد الاستعمارية.

(1) يُنظر: أوبيدي كربونيل كورتيس، ترجمة الآخر: نظرية الترجمة، الغرابة، وما بعد الكولونيالية، ترجمة: أنور المرتجي، منشورات زاوية، المغرب — الرباط، 2012م، ص 20-21.

(2) يُنظر: عبد السلام بنعبد العالي، الترجمة وإشكالية الآخر، مؤتمر: التّرجمة وإشكالات المُنشأة، المرجع السابق، ص 269-270.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

منظور اللّغة والثّقافة المُستَهْدَفَتَيْن. في حين يَصْطَلُحُ لورانس فينوتي Lawrence Venuti على المُسَلِّك الثاني مُصْطَلَح الترجمة التّغريبية (Foreignizing Translation)، أو مُصْطَلَح التّغريب الذي يُعَدُّ فعلاً أخلاقياً — عند أنطوان برمان — وذلك بالاعتراف بالآخر بوصفه آخرًا، وتُعرَفُ هذه الاستراتيجية التّرجميّة باستراتيجية التّغريب (راجع الفصل الثّالث، المبحث الثّاني).

وإذا ما اعتدّت الترجمة رافداً مُهمّاً للحوار، فإنّها تحملُ كذلك في ثناياها المعنى المكافئ لإعادة تمثيل الآخر الذي — وفق أوبيدي كربونيل كورتيس — لا يُمكنُ استمالة صُورته لصالحنا إلا عن طريق ترجمته. بيد أن الغرض من الترجمة لا يكمنُ دائماً في معرفة الآخر فحسب، بل هو ذاك التّزوع نحو تحديد موقعه في علاقته بذواتنا والرغبة في إقناعه⁽¹⁾. وفي هذا السياق، تقتضي الترجمة الآخر وتستدعيه وتتمعّنُ فيه، هذا الآخر الذي يتّخذُ صورةً آخرَين اثنتين: يتجلّى الأوّل في اللّغة الأخرى بثقافتها، أي الآخر الغريب، في حين يكتسي الآخر الثّاني طابعاً أليفاً، يتمثّلُ في القارئ المتطلّع إلى الآخر الغريب الذي تُنتجه الترجمة. وتتوسّطُ الترجمة، في انفتاحها على الآخرَين معاً، الاجتماع المنعقد بين الغريب والأليف⁽²⁾. ومن هذا المقام، تغدو الترجمة ساحة لقاءٍ بين الأنا والآخر، وفي أثناء سيرورتها، تنمحي الفروق بين الأنا والآخر تحت وقع لهيب اللّحظة الإبداعية، سعياً إلى تألّق النّص المُترجم ومدى انعكاس ذلك كلّهُ على جودة النّتاج التّرجميّ بأكمله⁽³⁾.

ومن وحي الممارسة التّرجميّة، يُجيبُ المُترجمُ إدوار الخراط حينما سُئِلَ عن تجربته الشخصية في خوض غمار الترجمة الأدبية: «أترجمُ — كما أكتبُ — مدفوعاً بقوة قاهرة، لأنني لا أملك إلا هذه الوسيلة سلاحاً للتغيير: تغيير الذات وتغيير الآخر، إلى الأفضل ربما [...] أترجمُ لأنني أتمنى أن ترتفع معرفتي — ومعرفتكم — بالذات، وبالأخر، وبالعالم (ولو كان ذلك بمقدار قامة)»⁽⁴⁾. وليست الترجمة — في هذا الصّدّد — أن يبيع المُترجمُ ذاته للذاتين الكاتبة (الكاتب) والمكتوبة (النّصّ الأصل)، ولا أن يتحقّق أثرهما حتّى يَفقد المُترجمُ ذاته؛ بل الترجمةُ الحَقُّ أن يجد المُترجمُ ذلك الاتساق بين الذات والآخر، بحيث

(1) يُنظر: أوبيدي كربونيل كورتيس، المرجع السابق، ص 3-4.

(2) يُنظر: حسن ناظم، الترجمة والتعددية الثقافية: تحويل التهديد إلى ثقافة، مؤتمر: التّرجمة وإشكالات المُثاقفة (2)، تحرير وتقديم:

وليد حمّارة، مُنتدَى العلاقات العربيّة والدوليّة، ط 1، الدوحة — قطر، 2016م، ص 537.

(3) يُنظر: ماهر شفيق فريد، من إشكالات الترجمة الأدبية وخصوصيتها الثقافية، مؤتمر: التّرجمة وإشكالات المُثاقفة، المرجع السابق،

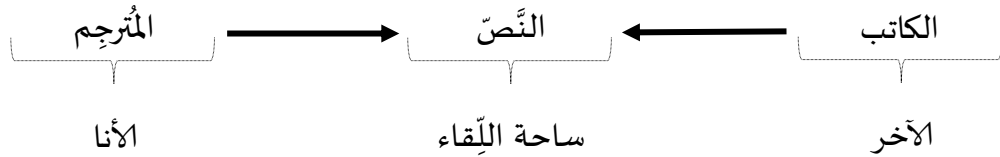
ص 229-230.

(4) إدوار الخراط، إن لم تكن عشيقه فهي على الأقل رفيقة: شهادة في الترجمة — 2 —، في: الترجمة: قضاياها النظرية والتطبيقية II، أبحاث وشهادات، مجلة الآداب، مجلد 47، العدد 8/7، بيروت — لبنان، تموز (يوليو) — آب (أغسطس) 1999م، ص 90.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآخِر في الرواية الجرائيّة المكتوبة بالفرنسيّة —

يجعلهما يتناغمان معاً⁽¹⁾. فالترجمة — عند إدوار الخراط — هي متعة اللّعب بالكلمات وما وراء الكلمات من شحنةٍ وطاقة، إذ «إنّ لعبة الإفصاح عن مكنون الذات — وعن خفايا الآخر الذي هو بالضرورة وبالتعريف وجهٌ «آخر» للذات — هي لعبة حياةٍ أو موتٍ...»^(*). الحياة هي التوفيق في تجسيد العلاقة بين الأنا والآخِر في أثناء الترجمة، أمّا الإخفاق فهو مقبرة للعمل المُترجم (الذات المنقولة والمُترجمة)، وتهلكة للمُترجم (الذات المُترجمة)، وماتم عند جمهور القُراء المُستهدفين (الذوات القارئة).

تتجسّد جليّة الأنا والآخِر في مسار ترجمة النّص الأدبيّ — حسب ماهر شفيق فريد — في الرّسم الآتي:



فالمُترجم: هو الأنا (لا بالمصطلح الفرويديّ طبعاً، بل بوصفه بُعداً من أبعاد الجليّة المُتارة في هذين المبحثين الأوليين)، والكاتب: هو الآخر (باختلافه عن المُترجم)، والنّص: هو نقطة (أو محطة أو ساحة) اللّقاء بين هذين الاثنين (أي بين الأنا والآخِر)⁽²⁾، وما يحمله النّص — في حدّ ذاته — من أبعاد جليّة الأنا والآخِر وتجليّاتها المبتوثة في ثناياه.

تأسيساً على هذا الرّسم، يُستخلص بأن مسار الفعل التّرجميّ الروائيّ يسير في اتّجاهين: اتّجاه صوب محطة التقاء الأنا بالآخر، وذلك بانتهاج استراتيجيّة التغريب والاعتراف بالآخر بوصفه آخرًا، وما يُصاحبُ نقل الغيريّة (l'Altérité/Otherness) من مسائل خرق قوانين السياق المُستهدف، بلُغته وثقافته وأعرافه، وغيرها من تداعيات. واتّجاه ثانٍ يسعى إلى جعل الأجنبيّ مألوفًا من منظور اللّغة والثّقافة المُستهدفتين، وذلك بتبنيّ الاستراتيجيّة التّوطينيّة التي تُعدّ انتصارًا لأنا المُترجم النّاقلة، وأنا الشريحة المُستهدفة، على حساب الذات الكاتبة وعملها، وما يُصاحبُ سيرورة النّقل هذه من مسائل

(1) يُنظر: إدوار الخراط، المرجع السابق، ص 91.

(*) بعد أن أوّردَ ماهر شفيق فريد مُقتطفات من أقوال إدوار الخراط وشهادته حول تجربته الشخصية في خوض غمار الترجمة الأدبيّة (يُنظر: ماهر شفيق فريد، المرجع السابق، ص 209-210)، توصلَ البحث إلى مقال إدوار الخراط الموسوم: إن لم تكن عشيقه فهي على الأقل رفيقة: شهادة في الترجمة — 2 — (يُنظر: إدوار الخراط، المرجع نفسه، ص 87-91)، ص 90.

(2) يُنظر: ماهر شفيق فريد، المرجع السابق، ص 228.

— الفصل الأول: — جدلية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

تُعنى بمدى مُحافَظة المُترجم على هُويّة النّصّ الروائيّ الأصل وخصوصيّاته الثّقافيّة، ومدى انغلاقه على الثّقافات الأخرى بحجّة التصديّ لها، حفاظًا على مُعتقداته، وتشبُّثًا بمكونات هُويّته. وهنا يُطرح سؤال الهُويّة الذي يُثارُ مِنْ جِراء احتكاك الأنا بالآخر.

وقبل خوض غمار البحث في مسالك ضبطِ جدليّة الأنا والآخر في خطابِ الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة في الحقبة الاستعماريّة، الذي سيُعرضُ فيما هو آتٍ (أي في المبحث المُوالي)، تجبُ الإشارة إلى أن الفصول الثلاثة المتبقّيّة ستستأثّرُ بدراسة هذه الجدليّة في ميزان الترجمة ونظريّاتها واستراتيجيّاتها ونُهجها وتقنيّاتها، بإطناب.

— الفصل الأول: — جدلية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

3.1 المبحث الثالث:

جدلية الأنا والآخر في خطاب الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية في الحقبة الاستعمارية

تُعنى نقاط هذا المبحث بدراسة جدلية الأنا والآخر في خطاب الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية في الحقبة الاستعمارية، وذلك بالاعتماد على الروايات الصادرة في الفترة الممتدة بين 1920م و1962م، أي منذ ظهور أول رواية جزائرية مكتوبة بالفرنسية إلى تاريخ استقلال الجزائر وتحضرها، وبمراعاة التسلسل التاريخي في إصدار هذه الروايات. يضبط المحور الأول نشأة جدلية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وتطورها، بحيث تُقسّم الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، في الحقبة الاستعمارية، إلى حقب تُراعي مسار هذه الجدلية في تحوّل الخطاب الروائي. بينما يضطلع المحور الثاني، من هذا المبحث، بإبراز تجليات الأنا والآخر في روايات مُنتقاة من كل حقبة، تماشيًا وتحولات الخطاب الروائي الذي يطبع كل مرحلة كُتبت فيها الرواية الجزائرية.

1.3.1 جدلية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية: نشأتها وتطورها

شهدت الحقبة الاستعمارية بروز الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية على يد كُتّاب جزائريين أمثال: القايد بن الشريف، ومحمد ولد الشيخ أغا، وعلي الحمّامي، ومالك بن نبي، ومولود فرعون، ومولود معمري، ومحمد ديب، وكاتب ياسين، وآسيا جبار، ومالك حدّاد... وغيرهم؛ مُتّخذين اللغة الفرنسية وسيلةً للتعبير عن قضايا الاستعمار ومسائل الهوية الوطنية الجزائرية. يعدّ أحمد منور كُتّاب الحقبة الاستعمارية مظلومين ظلمًا شديدًا، فبالرغم من اندماجهم، الذي لم يكن إلا حرصًا على فكرة المساواة بين المستوطنين والجزائريين، إلا أنّهم دافعوا عن هوية الشعب الجزائري وعبروا عن كيانه تعبيرًا صادقًا وقويًا، وعن حقه في تعلّم لغته الأمّ، والتشبّث بتعاليم دينه، والحفاظ على مقوماته الجوهرية، الثقافية والحضارية؛ مُتّخذين أقلامهم وسيلةً من وسائل الكفاح. ويذهب منور بعيدًا إلى درجة عدم اعتقاده بأن غيرهم من كُتّاب الحقب اللاحقة قد عبّروا عن الهوية الجزائرية أفضل منهم⁽¹⁾، نظرًا لطبيعة الفترة الحساسة التي برزوا فيها، فقد كانت فترة استعمار.

(1) يُنظر: أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي — نشأته وتطوره وقضايا، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، الجزائر، 2007م، ص6.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآفر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

ومن منظور تاريخي^(*)، يتخذ الباحث جان ديجو Jean Déjeux، بعد أن باشر بحثًا شاملًا في الجرائد والمجلات المختلفة التي كان يُصدرها الفرنسيون في الجزائر آنئذٍ، سنة 1920م انطلاقاً فعليّةً للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية^(**). وتعدّ رواية «أحمد بن مصطفى القومي» للقايد بن الشريف⁽¹⁾ أوّل رواية يكتبها جزائري بالفرنسية⁽²⁾. وبُغية تقفّي مسار جدليّة الأنا والآفر في تحولات الخطاب الروائي الذي يطبع كل مرحلة، تُحقّق سيرورة التّحليل على النّحو الآتي:

1.1.3.1 حقبة انفتاح الأنا على الآخر وتأثيرها به:

كان الجزائريون والمستوطنون الأوروبيون يعيشون جنباً إلى جنبٍ، مثلهما كمثّل الخطّين المتوازيين لا يلتقيان أبداً، فقد كان لكل مجتمع منهما حياته الخاصّة لا يُشاركه فيها الطرف الآخر، وكان الآخر المُستعمر ينظر إلى الأنا المحليّة بعين الاحتقار لها والاستعلاء عليها، كما كانت الأنا تُقابل الآخر بنظرة احتراز وتحقّظ شديدتين. ومن أشهر الأمثال التي كانت تُتداول على ألسنة الجزائريين آنئذٍ، قولهم: «كل ما يأتي من الغرب ما يفرّج القلب»، وهو مثّل يعكس مدى توجّس الجزائريين (الأنا) خيفةً من ثقافة المُحتلّ (الآخر) وحذرًا منها⁽³⁾. وكانوا يُطلقون على الآخر مُصطلح «الرومي»، مُنكمشين في أحيائهم الخاصّة، ومُوسعين الهوّة بينهم وبين الجماعات الأوروبيّة المُستوطنة، مُتعلّقين بتقاليدهم وأزيائهم المحليّة، فقد كان الرجال يلبسون «الشّاشيّة»، والنّساء يلبسن «الحايك ولعجار»⁽⁴⁾. يعكس وضع العداء هذا رفض التّعائش بين الجزائريين والأوروبيين واستبعاد فكرة جسّر الهوّة بينهما، أي الأنا الجزائرية الراضية للآخر

(*) تُزاوج هذه النّقطة من الدّراسة — واليَقاط التي تليها — بين أبحاث جان ديجو Jean Déjeux وتحليلات أحمد منور وعابدة أديب بامية، ثمّ تُحقّق أبعاد جدليّة الأنا والآفر وتجليّاتها في سيرورتي التّحقيق والتّحليل.

(**) يُرجع أحمد منور أسباب تأخّر ظهور هذا الأدب الذي كتبه الجزائريون بالفرنسية إلى عاملين رئيسيين: العامل الأوّل سياسي: ويتمثّل في الاستراتيجية الحربية الاستنصاليّة التي انتهجها الاستعمار ضدّ الأمة الجزائرية ومُقوماتها الأساسيّة. بينما يُعنى العامل الثّاني بالجانب التّعليمي: أي سياسة التّعليم التي طبقها المُستعمر والمُتمثّلة — أساساً — في تجهيل الشّعب الجزائري، بالقضاء على المنظومة التّعليميّة التي كانت قائمة قبل الاحتلال، دون تعويضها بمنظومة أخرى تكفل الحدّ الأدنى من التّعليم لأبناء الشّعب الجزائري كافّة. بناءً على هذه المعطيات، يُثار تساؤلٌ وجيه عن مُدّة تزيد عن التّسعين عامًا، امتدّت بين بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر وبداية ظهور هذا الأدب، وهذه مُدّة طويلة تُناقض مُزاعم الاستعمار الفرنسي التي كانت كثيرةً ومُتعدّدة، منها بأن رسالته في الجزائر رسالة حضاريّة وإنسانيّة (يُنظر: أحمد منور، المرجع السابق، ص 89-90).

(1) Voir : Jean DÉJEUX, *SITUATION DE LA LITTÉRATURE MAGHREBINE DE LANGUE FRANÇAISE : Approche historique – Approche critique – Bibliographie méthodique des œuvres maghrébines de fiction 1920 – 1978*, Alger, Office des Publications Universitaires, 1982, p18-19.

(2) يُنظر: أحمد منور، المرجع السابق، ص 87-89.

(3) يُنظر: المرجع نفسه، ص 90-91.

(4) يُنظر: عابدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري (1925 – 1967)، ترجمة: محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1982م، ص 108.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآفر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

والمقاومة له، حفاظًا على ثقافتها وتشبُّثًا بمُقومات هُويّتها.

أعقب انتهاء الحرب العالمية الأولى حالة انفراج بين الجزائريين (والمستوطنين الأوروبيين) والمستعمرين، ما يُشبه التّقارب الحذر بين الأنا والآفر، إذ حاول كل طرف الانفتاح على الآخر^(*). ونتيجةً لهذه التطوّرات، ظهرت روايات جزائرية عدّة، نذكرُ منها رواية «زهراء زوجة النّجّام Zohra, la femme du mineur»^(**) لعبد القادر حاج حمو، الصادرة سنة 1925م. ورواية «مامون: مشروع حلم»⁽¹⁾ MAMOUN : l'ébauche d'un idéal⁽²⁾ لشكري خوجة، التي صدرت سنة 1928م. وكان للكاتب نفسه رواية أخرى موسومة بعنوان: «العلاج أسير البرابرة EL EULDJ : captif des Barbaresques»⁽³⁾، الصادرة سنة 1929م⁽⁴⁾.

ما يسترعي الانتباه في هذه الروايات مُخالفتها ضوابط المجتمع الجزائريّ المُسلم، لاكتِنافِها مظاهر التّأثر بالثقافة الأوروبية، أي تأثر الأنا بالآخر، ومُعالجتها موضوعات حُرّيّة مُعاقرة الخمر، وتعاطي

(*) كان هذا التّقارب نتيجة للانفراج الدّولي وإعلان مبادئ ويلسون الشهيرة التي تطرّقت لأوّل مرة إلى حقّ الشّعوب في تقرير مصيرها، بالإضافة إلى التّدابير السياسيّة والإداريّة التي اتّخذتها الحكومة الفرنسيّة، أو ما عُرفَ آنذاك بقوانين 4 فبراير 1919م. ما مكّن الجزائريين — لأوّل مرة في تاريخ الاحتلال الفرنسيّ للجزائر — من حقّ إنشاء أحزاب سياسيّة، وإصدار صحفٍ إخباريّة، والمشاركة في الانتخابات المحليّة. لقد أسهمت تلك الإجراءات في هذا الانفراج، وخفّفت من حدّة التوتر، ومهدّت الأجواء المناسبة للانفتاح الذي تزامن وبداية استعداد المُستعمر الفرنسيّ للاحتفال بالذكرى المئويّة لاحتلال الجزائر، سعيًا لإظهار ثمار الرّسالة الحضاريّة التي ادّعى نشرها في الجزائر أمام الرأي العامّ العالميّ. استدعت تلك الإصلاحات تشجيع نشر أعمال أدبيّة وإبداعيّة لكُتّاب من الأهالي، بحجّة أنّهم تعلّموا لغة أسيادهم المُستعمرين وأصبحوا يُعزّزون بتلك اللّغة عن مُختلف شؤون حياتهم الخاصّة والعامة، فكان «الكُتّاب (الجزائريّون) يريدون أن يُبرهنوا (للمستعمر) أنّهم تلاميذ نجباء "bons" ومُقدرون "capables"» (يُنظر: أحمد منور، المرجع السابق، ص 91-94). Voir aussi : Jean DÉJEUX, (op. cit., p28-29).

(**) تُعدّ هذه الرواية باكورة الأعمال الروائيّة للكُتّاب الجزائريّين باللّغة الفرنسيّة، بطلها عامل جزائريّ يعمل في مناجم الفحم بضواحي مدينة مليانة، يعيش مع زوجته عيشةً بسيطة، بالرغم من الفارق الكبير للأجر الذي كان يتقاضاه بالمُقارنة مع ما يتقاضاه أيّ عامل أوروبيّ آخر يعمل في المنجم ذاته. وتُشير الرواية إلّا أن هذا العامل، وبعد مُخالطته لمجتمع المدينة ورفقائه من العمال الأوروبيّين؛ عاقر الخمر، مما أدّى إلى تدهور حاله، فترك الصلاة وأهمّل زوجته، لينتهي به المطاف إلى السجن بتهمة ارتكاب جريمة قتل لم يرتكبها أصلًا (يُنظر: أحمد منور، المرجع السابق، ص 96).

(1) شكري خوجة، مامون (مشروع حلم)، ترجمة: د. محمد بوعلاق، منشورات ANEP، الرويبة — الجزائر، 2010م.

(2) Chukri KHODJA, MAMOUN : L'ébauche d'un idéal, Alger, OPU, 1992 (Réédition).

(*) تُسلّط هذه الرواية الضوء على المسألة ذاتها — أي موضوع الخمر — مُعالجّةً قصة شاب (ابن قايد، أي ابن الموظّف الجزائريّ لدى سلطة الاحتلال، الوسيط بين الإدارة والأهالي في الشؤون كلّها، يتمتع بسلطات واسعة بصفته مُمثّلًا للحاكم الفرنسيّ) قديم من الريف الجزائريّ العميق إلى العاصمة بِنِيّة مُتابعة الدّراسة، وبعد مُخالطته للمجتمع الأوروبيّ، انقلبت حياته رأسًا على عقب، ليُهلك بالمرض من جرّاء شربه وسهره ولعبه القمار (يُنظر: أحمد منور، المرجع السابق، ص 96).

(3) Chukri KHODJA, EL EULDJ : Captif des Barbaresques, Alger, OPU, 1992 (Réédition).

(4) يُنظر: أحمد منور، المرجع السابق، ص 94.

— الفصل الأول: — جدلية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

الحشيش، ولعب القمار، ومُمارَسة الدعارة... وغيرها من المحرّمات في الشريعة الإسلامية. لقد خلقت تلك الأعمال الروائية جدلية المُحرّم في الدين والمُباح في القانون المدنيّ الغربيّ لدى كُتّاب تلك الحقبة⁽¹⁾، مُثيرةً أزمةً جدليّةً في الهوية والانتماء^(♦♦)؛ ومن ثمّ تجلّي جدليّة الأنا والآخر التي رافقت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية منذ شراراتها الأولى.

تروي رواية «مريم بين النخيل»⁽²⁾ Myriem dans les palmes التي صدرت سنة 1936م، لمحمد ولد الشيخ أغا، قصة مريم ديبوسي Myriem Debussy ابنة النقيب الفرنسيّ ليون ديبوسي Léon Debussy الذي يُمثّل الآخر، والأمّ المسلمة خديجة Khadija التي تُمثّل الأنا، وكانت مريم نتاج هذا الزواج المختلط بين الأنا الجزائرية والآخر الفرنسيّ. حينما أنجبت خديجة مولودها الأوّل جون Jean، وبعد خمس سنوات من زواجها أنجبت بنتاً سمّتها مريم Myriem، طفق الصراع الجدليّ بين الأنا والآخر في البرّوز، فكان لهذا الزواج المختلط عواقب وخيمة، ومشكلات عدّة، تجلّت في اختلاف المشاعر والأذواق والمعتقدات⁽⁴⁾ المُكوّنة للأنا الجزائرية، والمُتميزة في مرجعيّاتها على الآخر الفرنسيّ.

لقد كانت شخصيّة بطلة الرواية، مريم، التي تأتت من جرّاء هذا الزواج المختلط، شخصيّة تتأرجح بين الأنا والآخر في الآن ذاته، بين الأنا الجزائرية، لأن والدتها خديجة مسلمة، وبين الآخر الفرنسيّ، لأنها حاملة لاسم النقيب الفرنسيّ ديبوسي. وفي نهاية مغامرة تخلص مريم من قبضة بلقاسم، يتزوّج الملازم الأوّل ديبوسي، أخ مريم، الشابة البربريّة زهرة Zohra، ويتزوّج السي أحمد Si Ahmed مريم⁽⁵⁾. وهنا تكون الخاتمة انتصاراً للأنا الجزائرية، أنا الأمّ خديجة، المنتصرة على زوجها الرّاجل النقيب الفرنسيّ ليون ديبوسي، الذي يُمثّل الآخر؛ ومن ثمّ استدراكها الخطأ الذي ارتكبته بزواجها بفرنسيّ شكّل خطراً على عقيدتها وهويّتها (ستُحلّل هذه الرواية بإطناب فيما هو آت).

(1) يُنظر: أحمد منور، المرجع السابق، ص 95-97.

(♦♦) لطالما طرّحت قضية إمكان تحصيل بعض الجزائريّين صفة المواطنة الفرنسيّة (La citoyenneté française) أسئلةً مُحيّرة لدى نفر من الكُتّاب والمثقفين والسياسيّين الجزائريّين، فكيف يُمكن للجزائريّ أن يُصبح فرنسيّاً؟ أبواق الاحتلال؟ وما الاتفاقات النّاجمة عن تحصيل صفة مُواطن فرنسيّ؟ وكيف يبقى في الآن ذاته عربيّاً مُسلمّاً؟ (يُنظر: أحمد منور، المرجع نفسه، ص 97-98).

(2) محمد ولد الشيخ أغا، مريم بين النخيل، ترجمة: د. معراج أغا، تدقيق ومراجعة لغوية: بخايتي عيسى، أحمد رحمان، فواصل للنشر والإعلام، غرداية - الجزائر، السداسي الثاني 2020م.

(3) Mohammed OULD CHEIKH AGHA, MYRIEM DANS LES PALMES (Réédition), Tiaret – Algérie, Yotoubia Éditions et Distribution, 2^e semestre 2020.

(4) Voir : Ibid., p21-22.

(5) Voir : Ibid., p213-214.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآفر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

وفي سنة 1945م، صدرت رواية «بولنوارفتي جزائريّ Bou-el-Nouar, le jeune Algérien» لكتابتها رايح زناتي⁽¹⁾. تُصوّر هذه الرواية تماهي الكاتب — على لسان شخصيّاته — والمجتمع الفرنسيّ (الآخر) وحضارته ولُغته، وإبرازه الجوانب «الإيجابية» — على حدّ تعبير جان ديجو — لفرنسا الاستعماريّة⁽²⁾، أي تماهي الأنا والآفر. وسلكت رواية جميلة دباش «ليلى فتاة الجزائر Leila, jeune fille d'Algérie»، الصادرة سنة 1947م، المسلك ذاته⁽³⁾، إذ دافعت فيها الكاتبة عن قضية تحرّر المرأة الجزائرية وعن حقوقها⁽⁴⁾، مُنتهجةً الأيديولوجيّة الاندماجيّة (idéologie assimilationniste ou intégrationniste) ذاتها⁽⁵⁾، ما يُبرز وضع الأنا المنسجمة مع الآخر.

لقد تأثّر روائيو هذه الحقبة بكتابات المستوطنين الأوروبيين المنتمين إلى تيّار الجَزَاة (Les algérianistes)، بحيث أحلّوا مسألة الزواج المختلط بين الجزائريين والفرنسيّات (بين الأنا والآفر)، وبين الفرنسيين والجزائريّات (بين الآخر والأنا)، سبيلًا لخلق التّقارب والتّفاهم بين المسلمين والمسيحيّين، بالرغم من الاختلافات اللّسانية والعقائديّة والاجتماعيّة والثّقافيّة والهويّاتيّة القائمة بين الأنا الجزائريّة والآفر الفرنسيّ⁽⁶⁾، في ظلّ السياق الاستعماريّ وتداعياته.

2.1.3.1 حقبة يقظة الأنا وعودتها إلى رُشدِها:

شهدت سنة 1948م بُرُوز منحنى آخر للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسيّة، خاصة بعد مجازر 8 ماي 1945م وتداعياتها، وذلك بإصدار رواية «إدريس Idris» لعلي الحّمّامي. لقد عُرِفَ هذا الكاتب بنضاله الطويل ضدّ الاستعمار الفرنسيّ، مُتصدّيًا للآخر الفرنسيّ بالسلاح والفكر على حدّ سواء⁽⁷⁾، ما جعل روايته هذه تحمل أفكاره وتوجّهاته، بطرحها مسائل الكفاح المسلّح؛ ومن ثمّ فكرة الأنا المُقاومة للآخر. وفي الفترة ذاتها (1947م^(*))، صدرت رواية «لبيك: حج الفقراء»⁽⁸⁾ Lebbeik : Pèlerinage

(1) يُنظر: أحمد منور، المرجع السابق، ص98.

(2) Voir : Jean DÉJEUX, *op. cit.*, p22–23.

(3) يُنظر: أحمد منور، المرجع السابق، ص98.

(4) يُنظر: عائدة أديب بامية، المرجع السابق، ص292–293.

(5) Voir : Jean DÉJEUX, *op. cit.*, p30.

(6) يُنظر: أحمد منور، المرجع السابق، ص101–102.

(7) يُنظر: المرجع نفسه، ص104–105.

(*) سنة 1947م بناءً على تصدير معالي عمر مسقاوي والمترجم د. زيدان خوليف. وسنة 1948م وفق تأريخ الباحث جان ديجو (Voir : Jean DÉJEUX, *op. cit.*, p190).

(8) مالك بن نبي، لبيك: حج الفقراء، ترجمة: د. زيدان خوليف، دار الفكر، ط2، دمشق، 1436هـ/2015م.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآفر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

de Pauvres⁽¹⁾» لمالك بن نبي. يُعالج هذا المفكر الإسلامي في روايته هذه موضوع الخمر الذي أرقّ كُتّاب العشرينيات، من منظور ديني⁽²⁾، مُصوّرًا مشهد استيقاظ ضمير بطل روايته إبراهيم وكيف تحرّكت مشاعره، فقد كان ضميره يُوبّخه، وكانت نفسه تلومه وتُشعره بالخزي. بعد وفاة والديه، صار إبراهيم منبوذًا بسبب تصرّفاته الطائشة، ولهذا طلبت منه زوجته الطلاق⁽³⁾، في مشهد يُصوّر تخلي الأنا المُستقيمة عن الأنا الضالّة والطائشة. لقد كان جيران إبراهيم لا يُطيقون وجود رجل مُطلق بينهم وفوق هذا سكير يُعاقر الخمر.

وفي أثناء إفاقته من سُكره، كان إبراهيم يشعر بغربة وسط جيرانه وأهله⁽⁴⁾. إنّ شعور إبراهيم بغربة وسط جيرانه تعبير عن الأنا الفردية المغتربة عن الأنوات الجماعية من جرّاء تأثرها بالآخر الأوروبي. وبعد صراعه مع ذاته وتذكّره والديه اللّذين يُمثّلان مرجعية الأنا الجزائرية (المُسلمة والملتزمة بدينها)، وحالته التي آل إليها من جرّاء تأثره بالآخر الأوروبي؛ عزم إبراهيم على التوبة والرجوع إلى الله⁽⁵⁾. قام فاغتسل وتخلّص من دنسه⁽⁶⁾، ثمّ قرّر مباشرة الإجراءات الإدارية الخاصة بالحج، إلى أن امتطى متن الباخرة قاصدًا البيّت الحرام⁽⁷⁾. ويرسم هذا الموقف صورة الأنا الثابتة إلى رُشدّها.

تنسج هذه الرواية مرجعية الأنا الدينية إبان الحقبة الاستعمارية، وأعطت الشّعب الجزائريّ بأنّه أن له أن يستجيب لنداء الله وأن يتمسك بتعاليمه. لقد كانت كلّ من الهوية الوطنية والأصالة الجزائرية — كذلك — من أبرز تجليات جدلية الأنا والآخر المبتوثة في حنايا هذه الرواية (ستحلّل هذه الرواية بإطناب فيما هو آتٍ). تجب الإشارة إلى أن كلا الكاتبين (علي الحّمّامي ومالك بن نبي) كانا بعيدين عن الفكر الاندماجيّ الذي تناولته روايات الحقبة السابقة⁽⁸⁾، فكان ذلك إرهابًا بعودة الأنا إلى رُشدّها.

تُعالج رواية «ابن الفقير» لمولود فرعون، الصادرة سنة 1950م، جانبًا من مسائل سياسة الاندماج والتّعايش بين الأوروبيين والأهالي، ويختلف عن غيره من كُتّاب هذه الحقبة في طغيان طابع

(1) La 1^{re} édition : Malek BENNABI, *Lebbeik, pèlerinage de Pauvres*, Alger, Éditions En-Nahdha, 1948. Réédition : Malek BENNABI, *Lebbeik : Pèlerinage de Pauvres*, collection : « problèmes de la civilisation », Éditions BENMERABET, 2017.

(2) يُنظر: أحمد منور، المرجع السابق، ص104-105.

(3) Voir : Malek BENNABI, *Lebbeik : Pèlerinage de Pauvres*, (Éditions BENMERABET 2017), *op. cit.*, p27-28.

(4) Voir : *Ibid.*, p50.

(5) Voir : *Ibid.*, p31.

(6) Voir : *Ibid.*, p34-35.

(7) Voir : *Ibid.*, p37-50.

(8) يُنظر: أحمد منور، المرجع السابق، ص104-105.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآفر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

السيرة الذاتية على روايته⁽¹⁾، راسماً مشاهد الفقر المُدقع المنتشر في المجتمع القبائلي، كأنّه ينوي إيصال رسالة إلى الفرنسيين (بلغتهم) يشرح لهم فيها تسببهم في هذا الوضع المأساوي⁽²⁾. مُسلطاً الضوء على وصف القرى القبائلية بتفاصيلها الدقيقة في غير ما موضع من روايته، دليلاً على اعتزازه بانتمائه لقريته⁽³⁾، مادحاً جمالها، ومُستحضراً مساجدها، وطابع بناياتها، وتجمّع سكانها، ونهجها ومسالكتها الضيّقة، وساحاتها التّظيفة⁽⁴⁾؛ وهذه من الصّور التي اتّخذها الأنا المتشكّلة بانتمائها في هذه الرواية. وقد حاول مولود فرعون كذلك إثبات هويّته المتجذّرة في الانتساب إلى التراث الأمازيغي، بمكوناته كلّها، وذلك بسرد — على لسان بطله فورولو — أسماء ذات دلالة أمازيغيّة صرفة⁽⁵⁾.

ويصف مولود فرعون كيفية تحضير الأُسر القبائلية أضحية عيد الأضحى، وهذا جانب من الهويّة الدينيّة الإسلاميّة المبثوثة في هذه الرواية. كما تصوّر الرواية المعتقدات والمفاهيم الدينيّة الخاطئة التي رسّخها الاستعمار الفرنسي (صورة الآخر) بغية تجهيل الشعب الجزائري (صورة الأنا) ومسح هويّته الدينيّة⁽⁶⁾، وذلك ببثّ الخرافات والأساطير⁽⁷⁾، وزرع ضروب الشعوذة والتّعزيم، وكتابة الجزز، وخطّ الطلاسم، وتعليق التّمائم⁽⁸⁾، وغيرها من الخرافات التي كانت مُنتشرة في أوساط القرى والمداشر القبائلية بوصفها عادات وتقاليد قبائليّة ذات خصوصيّة محليّة.

وفي سنة 1952م، صدرت رواية «الرّبوة المنسيّة»^(*) La Colline oubliée⁽⁹⁾ لمولود معمري، عبّر فيها الكاتب عن مُعاناة الأنا وبُؤسها، مُصوِّراً آلامها وأحزانها، في ظلّ انعدام إيجاد الحلول، لأن الآخر (الفرنسي) لا يطرحها إطلاقاً⁽¹⁰⁾. لقد كانت هذه الرواية انعكاساً للأوضاع الاجتماعيّة السائدة في المجتمع الجزائري عامّة، والمجتمع القبائلي على وجه التحديد، تزامناً والحرب العالميّة الثّانيّة وتداعياتها. وفي هذه

(1) يُنظر: أحمد منور، المرجع السابق، ص 103.

(2) Voir : Jean DÉJEUX, *op. cit.*, p31.

(3) Voir : Mouloud FERAOUN, *Le Fils du Pauvre*, Béjaïa – Algérie, Éditions TALANTIKIT, 2015, p14.

(4) Voir : *Ibid.*, p15–16.

(5) Voir : *Ibid.*, p24.

(6) Voir : *Ibid.*, p84.

(7) Voir : *Ibid.*, p120–121.

(8) Voir : *Ibid.*, p134–135.

(*) لم تتمكّن الدّراسة من العثور على الترجمة العربيّة لرواية الرّبوة المنسيّة لمولود معمري.

(9) La 1^{re} édition : Mouloud MAMMERI, *La Colline oubliée*, Paris, Plon, 1952. Réédition : Mouloud MAMMERI, *la colline oubliée*, Alger, EL DAR EL OTHMANIA Éditions & Distribution, 2007.

(10) يُنظر: عايدة أديب بامية، المرجع السابق، ص 73.

— الفصل الأول: — جدلية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

الحقبة، عانت الأنا كثيرًا من الفقر، والأميّة، والجهل، والخرافات، والشعوذة، والاستغلال، وغيرها من المآسي التي تسبّب فيها الآخر المُستعمر⁽¹⁾.

تأسيسًا على تحليل هذه الروايات، في ميزان جدلية الأنا والآخر وأبعادها المختلفة، يُخلص إلى أن هذه الحقبة كانت إرهابًا ببقظة الأنا وعودتها إلى رُشدِها.

3.1.3.1 حقبة انبثاق الوعي وتحريك الأنا الجمعيّة:

نَحَتْ، في سنة 1952م، رواية «الدار الكبيرة/الدار لكبيره»⁽²⁾ La grande maison⁽³⁾ لمحمد ديب، مُنعرجًا حاسمًا في تاريخ تطوّر الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية من حيث المضمون، بحيث انتقلت هذه الرواية من التعبير عن التّعاليّش بين الأهالي والمُعمرين، والدعوة إلى الاندماج والزواج المختلط، لتُدرك الطبقات الدنيا من المجتمع، واصفةً هموم الناس عامّة، وحياة البُسطاء ومُعاناتهم من الجوع والفقر والقهر والحرمان الذي ألحقه بهم الآخر الفرنسي، طارحةً جدليّةً صريحةً تُعنى بالهويّة الوطنية الحقيقية للجزائريين بُغية تحريك أُناسهم الجمعيّة⁽⁴⁾، وبثّ رُوح النضال في نفوسهم.

تتجلّى جدلية الأنا والآخر، في هذه الرواية، في صراع الهويّة والانتماء. لقد كان درس الأخلاق والقيم الذي ألقاه المُعلّم حسن على التلاميذ نقطة انطلاق هذا الصراع، سائلًا التلاميذ عن معنى الوطن؟ إنّ التّساؤلات التي أثارها عمر الصغير – فيما بينه وبين نفسه – مُفادها أن فرنسا ليست أمًا له، في مشهدٍ يُصوّر الأنا المُدرّكة لكيانها وهويّتها بالرغم من صغر سنّها، هذه الأنا الفرديّة⁽⁵⁾ المُحدّدة لمسار الأنا الجمعيّة بُغية إدراك الهويّة الجماعيّة. وحول إيقاظ ضمير الأنا الجزائريّة بالعلم وتحريك الأنا الجماعيّة من أجل الثور ضدّ المُستعمر، يُوظّف محمد ديب شخصيّة حميد سراج بوصفها شخصيّةً روائيةً تُمثّل الأنا الجزائريّة المُثقّفة والقارئة والواعيّة⁽⁶⁾، هذه الشخصيّة التي تُطاردها سلطات الاحتلال⁽⁷⁾، في صورةٍ تعكس حالة الآخر المتوجّس من الأنا الواعيّة والمنتحديّة التي تُهدّد وجوده، ما قد يضغّ حدًا لبطشه ويُنهى

(1) يُنظر: عائدة أديب بامية، المرجع السابق، ص263.

(2) الترجمة الأولى: محمد ديب، الدار الكبيرة، ترجمة: سامي الدروبي، سلسلة روايات الهلال، دار الهلال، العدد: 262، القاهرة، أكتوبر 1970م. والترجمة الثّانيّة: محمد ديب، الدار لكبيره، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، دار سيديا، د.ط، الجزائر، 2011م.

(3) Mohammed DIB, *La grande maison*, Paris, Éditions du Seuil, 1952.

(4) يُنظر: أحمد منور، المرجع السابق، ص106.

(5) Voir : Mohammed DIB, *La grande maison*, op. cit., p20–22.

(6) Voir : *Ibid.*, p63.

(7) Voir : *Ibid.*, p106–107.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآخري في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

الوضع الاستعماري القائم (ستحلّل هذه الرواية بإطناب فيما هو آت).

وفي سنة 1953 م، صدرت رواية «الأرض والدم»⁽¹⁾ La Terre et le sang⁽²⁾ لمولود فرعون، يصف فيها الكاتب وضع الفلاحين البسطاء، مُكرِّراً عبارة: «هكذا هو حال شعبنا»⁽³⁾. لقد تبدّت صورة الأنا في العنوان، ما يُبرز جدليّة الانتماء، وحبّ الوطن، والتشبُّث بالأرض، هذه المبادئ التي تسلك مجرى الدّم في جسد الجزائريّ.

وفي سياق روايته الأولى، أصدر محمد ديب في سنة 1954 م رواية «الحريق»⁽⁴⁾ L'incendie⁽⁵⁾. تُمثّل شخصيّة كومندار، في هذه الرواية، الشخصية التي تبثّ الوعيّ في نفس عمر الصغير وتكشف له أسراراً خفيّة، حتّى إذا كبر وصار رجلاً في المستقبل، تذكّر قوله، وفهم مراده، ثمّ أحسن تسيير حياته بما يخدم البلاد⁽⁶⁾، وهنا تبدّى الأنا الجزائريّة الحكيمة والواعيّة وهي ترعى الناشئة وتهتمّ بها. كما تُمثّل شخصيّة بن أيوب Ben Youb شخصيّة البطل والشجاع، إذ بدأ يُحرّك الأنا الجماعيّة لجيرانه وإخوانه الفلاحين بسبب الظلم الذي ألحقه بهم الآخر الفرنسيّ الذي استحوذ على أراضيهم⁽⁷⁾ وخيراتهم. في حين تُمثّل شخصيّة السيّد قارا Messire Kara، في هذه رواية، الشخصية المتواطنة مع الآخر الفرنسيّ⁽⁸⁾، هذه الشخصية المُتسبّبة في آلام جيرانها بإفشاء أسرارهم إلى السلطات الفرنسيّة⁽⁹⁾، ما يُبرز صورة الأنا الخائنة التي تكيد الكيد لأختها الأنا.

تجلّى الاعتزاز بالوطن وحبّ الانتماء في خطاب با ددوش Ba Dedouche الذي وجهه للفلاح الشاب، مُفادّه الاعتزاز بالجزائر وجمالها ومعدن شعبها الأبّي⁽¹⁰⁾، ما يُجسّد الأنا المفتخرة بانتمائها والصامدة في وجه الاحتلال الفرنسيّ. كما ترسم الرواية مشاهد الأخوة والودّ في اجتماع الفلاحين الفقراء

(1) مولود فرعون، الأرض والدم، ترجمة: عبد الرزاق عبيد، دار تانتيقيت للنشر، بجاية – الجزائر، 2016 م.

(2) La 1^{re} édition : Mouloud FERAOUN, *La Terre et le sang*, Paris, Éditions du Seuil, 1953. Réédition : Mouloud FERAOUN, *La terre et le sang*, Béjaïa – Algérie, Éditions TALANTIKIT, 2016.

(3) Voir : Jean DÉJEUX, *op. cit.*, p39.

(4) الترجمة الأولى: محمد ديب، الحريق، ترجمة: سامي الدروبي، سلسلة روايات الهلال، دار الهلال، العدد: 263، القاهرة، نوفمبر 1970 م. والترجمة الثّانية: محمد ديب، الحريق، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، دار سيديا، د.ط، الجزائر، 2011 م.

(5) Mohammed DIB, *L'incendie*, Paris, Éditions du Seuil, 1954.

(6) Voir : *Ibid.*, p13.

(7) Voir : *Ibid.*, p45.

(8) Voir : *Ibid.*, p67.

(9) Voir : *Ibid.*, p103–104.

(10) Voir : *Ibid.*, p49.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآخَر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

والبؤساء وحميد سراج (صورة النّحن)، هذا الاجتماع الذي تجلّت فيه مشاهد الأنا المُفتخرة بالأنا والمُعترّة بها⁽¹⁾، باحثة عن حلٍّ لتقرير مصيرها. وتُبرزُ الرواية كذلك صورة الأنا البريئة (في شخصيّة عمر الصغير) المُتهمة بالآخر الأوروبيّ، وصورة الأنا الجزائرية العربية البريئة لدى الآخر الأوروبيّ، ما يُجسّد النظرة الاستعماريّة المُزدريّة⁽²⁾. كما تُصوّرُ الرواية خوف الأنا الجزائرية البريئة من الآخر الفرنسيّ واحتقار هذا الآخر لها، وهذه قيمة المهانة والذلّ التي تعرّضت لها الأنا الجزائرية إبان الحقبة الاستعماريّة⁽³⁾ في عُقر دارها (ستُحلّلُ هذه الرواية بإطنابٍ فيما هو آتٍ).

ومن الأعمال الروائيّة التي سارت على درب محمد ديب، نجدُ رواية «نوم العادل»^(*) Le Sommeil du juste⁽⁴⁾ لمولود معمري، الصادرة سنة 1955م، فقد أماطت هذه الرواية اللثام عن مظاهر التخلف والفقر والحرمان التي كانت تُعاني منها القرى القبائليّة، واستغلال الآخر المُستعمر للأنا المُقهورة، خدمةً لمصالحه وضمناً لبسط هيمنته ومُواصله طغيانه⁽⁵⁾. كما يتجلّى في هذه الرواية الصراع الجدليّ الحاسم بين جيلين: جيل الأنا الجزائرية التقليديّة، وجيل الأنا الجزائرية المُتقدّمة⁽⁶⁾. وفي سنة 1955م، صوّرت جميلة دباش، في روايتها «عزيزة»^(**) Aziza⁽⁷⁾، صورة المرأة المُتحدّية للأعراف والتقاليد، ما دفع زوجها وصديقاتها والمجتمع بأسره إلى نبذها ومقاطعتها والوقوف ضدها، بوصفها حالة مُخجلة⁽⁸⁾، في مشهدٍ يرسمُ الأنا الجمعيّة المُستنكرة لتصرّفات الأنا الأنثويّة المُخالفة للشرائع.

وفي سنة 1956م، صدرت رواية «نجمة»⁽⁹⁾ Nedjma⁽¹⁰⁾ لكاتب ياسين، تطرّق فيها الكاتب إلى

(1) Voir : Mohammed DIB, *L'incendie*, op. cit., p79–80.

(2) Voir : *Ibid.*, p163–164.

(3) Voir : *Ibid.*, p165.

(*) لم تتمكّن الدّراسة من العثور على الترجمة العربيّة لرواية نوم العادل لمولود معمري.

(4) La 1^{re} édition : Mouloud MAMMERI, *Le Sommeil du juste*, Paris, Plon, 1955. Réédition : Mouloud MAMMERI, *Le Sommeil du juste*, Alger, EL DAR EL OTHMANIA Éditions & Distribution, 2005.

(5) يُنظر: أحمد منور، المرجع السابق، ص107.

(6) يُنظر: عايدة أديب بامية، المرجع السابق، ص73.

(**) لم تتمكّن الدّراسة من العثور على الترجمة العربيّة لرواية عزيزة لجميلة دباش.

(7) Djamilia DEBECHE, *Aziza*, Alger, Impr. Imbert, 1955.

(8) يُنظر: عايدة أديب بامية، المرجع السابق، ص126–127.

(9) الترجمة الأولى: كاتب ياسين، نجمة (رواية جزائرية)، نقلها إلى العربية: ملك أبيض العيسى، راجع الترجمة: سُلَيْمَان العيسى، منشورات دار الاتحاد – مطابع دار الصحافة – محطة الناصرة، بيروت، نيسان سنة 1962م. والترجمة الثّانية: كاتب ياسين، نجمة، ترجمة: محمّد قوبعة، المؤسسة الجزائرية للطباعة، ديوان المطبوعات الجامعيّة، (د.ط)، الجزائر، 1987م. والترجمة الثّالثة: كاتب ياسين، نجمة، ترجمة: السعيد بوطاجين، منشورات الاختلاف/منشورات ضفاف، ط1، الجزائر/لبنان، 1435هـ – 2014م.

(10) Yacine KATEB, *Nedjma*, Paris, Éditions du Seuil, 1956.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآخِر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

مظاهر البطالة والفقر والاستغلال والمهانة التي تطبع حياة الجزائريين في المدن، خاصة العمال اليوميين في ورش المعمرين، مما يدفعهم إلى التمرد ومن ثم ارتكاب جرائم قتل من جرّاء إحساسهم بالظلم⁽¹⁾. أخذت الجزائر، في هذه الرواية، بُعد الأنا الأثوية، في صورة امرأة اسمها نجمة. وقد صوّر الكاتب في روايته هذه وحشيّة الآخر الفرنسي ومجازره الداميّة (8 ماي 1945م)، مُتخذًا الكتابة بلغة الآخر الفرنسي أسلوبًا من أساليب النضال، ونُصرةً للقضيّة الوطنيّة الجزائريّة⁽²⁾.

وفي سنة 1957م، صدرت رواية «النول/المنسج»⁽³⁾ Le métier à tisser⁽⁴⁾ لمحمد ديب، ومن ثمّ تكتمل ثلاثيّة الجزائر. ينسج محمد ديب في هذه الرواية مشاهد استنزاف الآخر لثروات الشعب الجزائري وخيراته، وذلك بانتشار المصانع وورش النسيج التي كانت تُتخذ سبيلًا لمغادرة السجاد والبطانيات إلى فرنسا. كما تُصوّر هذه الرواية الحالة المزريّة التي آل إليها الشعب الجزائري من فقر وتشرد في الشوارع والأزقة، لقد كان الشعب في حالة يرثى لها⁽⁵⁾. يُصوّر محمد ديب في روايته هذه وضع الأنا البرينة (في شخصيّة عمر الصغير) المتسائلة عن سبب مُزاولتها الدّراسة — في وقت مضى — ما دامت لم تتعلّم لغتها الأمّ، ولم تُحسّن من وضعها الاجتماعي⁽⁶⁾.

لقد كانت شخصيّة النّسّاج عكاشة، التي وظّفها محمد ديب في روايته هذه، شخصيّة مُحركةً للأنا الجمعيّة، تبحث في فرض الأنا والاحترام الذي يجب أن يُقابل به النّاس، مُتسائلًا عن نظرة الأوربيين إلى الجزائريّ؟ أي نظرة الآخر إلى الأنا (قيمة الأنا لدى الآخر)، ونظرة الأنا الخاضعة للآخر (المتمتلّة في شخصيّة ماحي بوعنان) إلى نظيرتها الأنا المقاومة والمتمسّكة بمقوماتها⁽⁷⁾، مُستنتجًا بأن الجزائريّ المسلوب من أرضه أصبح لا يُمثّل شيئًا للآخر الفرنسيّ المُستعمر. لقد كان عكاشة يُحمّل نفسه جزءًا من المسؤوليّة المتعلّقة بهذه الأوضاع المتردّية، لا سيّما حالة البؤس التي يعيشها النّاس⁽⁸⁾، ساعيًا إلى إيجاد سبيل للتخلّص من بطش الآخر (ستُحلّل هذه الرواية بإطناب فيما هو آت).

(1) يُنظر: أحمد منور، المرجع السابق، ص107.

(2) يُنظر: عائدة أديب بامية، المرجع السابق، ص73-74.

(3) الترجمة الأولى: محمد ديب، النول، ترجمة: سامي الدروبي، سلسلة روايات الهلال، دار الهلال، العدد: 264، القاهرة، ديسمبر 1970م.

والترجمة الثّانيّة: محمد ديب، المنسج، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، دار سيديا، دط، الجزائر، 2011م.

(4) Mohammed DIB, *Le métier à tisser*, Paris, Éditions du Seuil, 1957.

(5) Voir : *Ibid.*, p16-19.

(6) Voir : *Ibid.*, p57.

(7) Voir : *Ibid.*, p124-125.

(8) Voir : *Ibid.*, p137-139.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآخَر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

وفي سنة 1957م، صدرت رواية «الدروب الشاقة»⁽¹⁾ Les chemins qui montent⁽²⁾ «مولود فرعون، تضمّنت صراعاً جدياً بين القديم والحديث، وتحركت فيها الأنا الممّجدة لانتمائها وأصلها، وأبدت سُخطها وتذمُّرها من الأوضاع السيئة التي تعيشها، مما يُبشِّرُ باندلاع ثورة تقرير المصير. وفي السنة ذاتها (1957م)، صدرت رواية «العطش»^(*) La Soif⁽³⁾ «لأسيا جبار، عكست صورة المرأة الجزائرية (صورة الأنا الأنثوية) ومُعاناتها، فقد كان الآخر الفرنسيّ يلاحقُ خطيئها، وكان أخوها من المناضلين في الجبال»⁽⁴⁾. وفي سنة 1958م، صدرت رواية «القلقون»^(**) Les Impatients⁽⁵⁾ «لأسيا جبار، وكانت هذه الرواية باكورة اهتمام أسيا جبار بالمرأة الجزائرية، مُركّزة — أساساً — على عاطفة الحبّ، مثل قصة الحبّ التي جمعت دليلة وسليم، ثمّ تُحيطُ نسج خيوط روايتها هذه بأحداث الثورة ومشاهد النضال»⁽⁶⁾ المسلّح، هذه المشاهد السردية التي تضع الأنا في مواجهة الآخر مُواجهةً مباشرة.

4.1.3.1 حقبة نُضج الأنا وثورتها على الآخر:

لقد عبّّل بزوغ فجر انفجار ثورة الفاتح نوفمبر 1954م ظهور أعمال روائية أخرى تماشيًا والتطوّرات السياسية الحاصلة، تحمل في طيّاتها نزعةً نضاليةً وثوريةً، فكانت رواية «الانطباع الأخير»⁽⁷⁾ La dernière impression⁽⁸⁾ «لمالك حدّاد، الصادرة سنة 1958م، أولى الروايات التي صوّرت وقائع الثورة المسلّحة»⁽⁹⁾، راسمةً مشاهد الأنا القلقة والمضطربة خشية أن يكتشف الآخر خططها، مُتمثِّلةً في شخصيّة بطلها سعيد الذي كان يُمكنُ نظره في الجسر الذي شيّده⁽¹⁰⁾، وينصبُّ له مصيدةً لتهديمه. كما

(1) الترجمة الأولى: مولود فرعون، الدُروب الوعرة، ترجمة: د. حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط5 «منقحة»، الجزائر، 1990م. والترجمة الثّانية: مولود فرعون، الدُروب الشّاقة، ترجمة: حسن بن يحيى، دار تلاتيقيت للنشر، بجاية — الجزائر، 2016م.

(2) La 1^{re} édition : Mouloud FERAOUN, *Les chemins qui montent*, Paris, Éditions du Seuil, 1957. Réédition : Mouloud FERAOUN, *Les chemins qui montent*, Béjaïa — Algérie, Éditions TALANTIKIT, 2016.

(*) لم تتمكّن الدّراسة من العثور على الترجمة العربيّة لرواية العطش لأسيا جبار.

(3) Assia DJEBAR, *La Soif*, Paris, Éditions René Julliard, 1957.

(4) يُنظر: عائدة أديب بامية، المرجع السابق، ص76.

(**) لم تتمكّن الدّراسة من العثور على الترجمة العربيّة لرواية القلقون لأسيا جبار (ترجمة: منذر الجابري، الصادرة عن دار الاتحاد).

(5) Assia DJEBAR, *Les Impatients*, Paris, Éditions René Julliard, 1958.

(6) يُنظر: عائدة أديب بامية، المرجع السابق، ص274-277.

(7) مالك حداد، الانطباع الأخير، ترجمة: السعيد بوطاجين، الدار العربية للعلوم ناشرون/منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر العاصمة — الجزائر/بيروت — لبنان، 1429هـ/2008م.

(8) Malek HADDAD, *La dernière impression*, Paris, Éditions René Julliard, 1958.

(9) يُنظر: أحمد منور، المرجع السابق، ص108-109.

(10) Voir : Malek HADDAD, *La dernière impression*, op. cit., p21.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

تُجسّد هذه الرواية صورة الأنا الراضية للآخر، في شخصيّة مّا مسعودة التي رفضت زواج ابنها إيدر بالفرنسيّة سيمون، وراحت تنعتها بأبشع الصفات⁽¹⁾، في مشهدٍ روائيٍّ بثّ فيه الساردُ صورة الأنا الجزائرية الراضية للآخر الفرنسيّ بالرغم من حبل الودّ الرابط بينهما. وقد خالف مالك حدّاد توجّهات روائييّ الحقب السابقة وطرحهم فكرة الزواج المختلط، ما يعني القطيعة بين الأنا والآخر.

تمثّل شخصيّة بوزيد، شقيق سعيد في هذه الرواية، الشخصيّة الباتّة للوعي، والمؤمنة بمبدأ الكفاح المسلّح، والموقظة للضمير الوطني⁽²⁾. لقد أخذت الأنا في هذه الرواية صور الأخوة في النضال سبيلاً لتحرير الوطن. ومن الخطاب الجدليّ الذي نسج به مالك حدّاد خيوط راوية الانطباع الأخير، تركيزه على وجوب تغيير الأحداث وقلب الصفحة ومن ثمّ تهديم الجسر والتّضحية برجال⁽³⁾، ما يبرز الأنا المضحية في سبيل استقلال الوطن وتحزّره، اضطرت فيه — الأنا — لتخريب الجسر الرابط بينها وبين الآخر لتتعمق باستقلالها وتحقيق حريّتها (ستحلّل هذه الرواية بإطناب فيما هو آت).

وفي سنة 1959م، صدرت رواية «صيف إفريقي»⁽⁴⁾ Un été africain⁽⁵⁾ لمحمد ديب، هذه الرواية التي صوّرت المقاومة الشّعبيّة، تصدّت فيها الأنا (الجزائريّة) للآخر (الفرنسيّ) المحتلّ، هذا الآخر الذي تجاوزت قوّاته المسلّحة الحدود، فبالغت في قصفها للقري والأرياف، وتعدّيتها للمناضلين، وترهيبها للآمنين. لقد كان أبطال تلك الثورات الشّعبيّة فلاحون في الأرياف، وحرفيّون في المدن، وشبان وفتيات، مثقّفون وأمّيون⁽⁶⁾، في تجلّي تأزّر الأنوات الجمعيّة، بأطرافها كافة، بغية مقاومة الآخر. وفي السنة ذاتها (1959م)، أصدر مالك حدّاد، عن دار Julliard، «رواية ساهبك غزالة/سأهديك غزالة»⁽⁷⁾ Je t'offrirai une gazelle⁽⁸⁾، صوّرت قصة حبّ بين سائق شاحنة وفتاة شابة تسكن الواحة التي كان يتخذها السائق نزل راحة. وتمحورت أحداثها حول مخطوطة لم يستطع الكاتب نشرها بسبب اندلاع

(1) Voir : Malek HADDAD, *La dernière impression*, op. cit., p36.

(2) Voir : *Ibid.*, p65–66.

(3) Voir : *Ibid.*, p166.

(4) محمد ديب، صيف إفريقي، ترجمة: جورج سالم، عبد المسيح بربار، مراجعة: بدر الدين قاسم، نشر وتوزيع مكتبة أطلس، (د.ط)، دمشق، (د.ت).

(5) Mohammed DIB, *Un été africain*, Paris, Éditions du Seuil, 1959.

(6) يُنظر: أحمد منور، المرجع السابق، ص109.

(7) الترجمة الأولى: مالك حداد، ساهبك غزالة، تعريب: صالح القرمادي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1966م. والترجمة الثّانية: مالك حداد، سأهديك غزالة، ترجمة: محمد ساري، دار النشر ميديا-بلوس، قسنطينة — الجزائر، 2010م.

(8) Malek HADDAD, *Je t'offrirai une gazelle*, Paris, Éditions René Julliard, 1959.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآفر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

الحرب في بلاده. لقد أضمر مالك حدّاد بُعْدَ الأنا في هذه الرواية، لا سيّما في موضوع المخطوطة⁽¹⁾.

وتُجسّدُ رواية «التلميذ والدرس»⁽²⁾ L'élève et la leçon⁽³⁾ لملك حدّاد، الصادرة سنة 1960م، صراع بطلها الطبيب صلاح إيدر مع ذاته بُغية إدراك هويّته. تلقّى بطل الرواية دُرُوسًا في المقاومة والنضال على يد ابنته فضيلة التي كانت تلومّه على مُغادرته الجزائر بعد وفاة زوجته⁽⁴⁾. اختار مالك حدّاد سنة 1945م (التي ترمزُ إلى أحداث مجازر 8 ماي 1945م التي ارتكبتها قوات الاستعمار الفرنسيّ ضدّ الشعب الجزائريّ الأعزل) تاريخ منفى صلاح إيدر⁽⁵⁾، في صورةٍ تُعبّرُ عن الأنا المغتربة عن وطنها في بلاد الآخر. وتُصوّرُ الرواية مَفْتِ إيدر تدخين ابنته فضيلة، في موقفٍ يُجسّدُ الأنا الجزائريّة الرافضة لعادات الآخر وثقافته⁽⁶⁾، وخوفه على هذه الجزائريّة الصغيرة التي ظهرت عليها بوادرُ التأثر بالثقافة الفرنسيّة، من مظهرها المتجليّ في لونِ طلاء أظافرها الأحمر، وتدخينها سجائر الغولواز، إلى رُضوخِ عقلها إلى إتقان الفرنسيّة وخُضوعه لهيمنة الآخر الثقافيّة، ومعرفتها أدباء وشُعراء وشخصيّات فرنسيّة عوض معرفتها أدباء وشُعراء وعُلماء جزائريّين⁽⁷⁾. ما يرسمُ خوف الأنا على نظيرتها الأنا من جرّاء تأثرها بالآخر الفرنسيّ، بلُغته وثقافته وحضارته.

لم يستطع الطبيب إيدر — مثلما كان يفعل في مرّاتٍ سابقة — رفض دعوة القائم الإداري بمناسبة حفلة أُقيمت برعاية الصليب الأحمر في قاعات البلدية المختلطة التي ارتقت — فيما بعد — إلى محافظة، فكان اللّقاء الذي جمع الأنا والآخر، في هذا السياق، مُواجهةً جدليّةً بامتياز، مطبوعةً بتداعيات شتّى، يصفّها إيدر بعبارته: «كُنّا بعيدين جدًّا عن الجزائر»، نظرًا للجو الغريب الذي لا يَمُتُ إلى الواقع الاستعماريّ بِصِلَة. ويُظهرُ هذا اللّقاء صُورة الحاكم الفرنسيّ (الآخر) الخبيث والمتباهي

(1) يُنظر: عايذة أديب بامية، المرجع السابق، ص178-179.

(2) الترجمة الأولى: مالك حدّاد، التلميذ والدرس، ترجمة: د. سامي الجندي، دار الطليعة، بيروت، 1962م (الطبعة الأولى). مالك حدّاد، التلميذ والدرس، ترجمة: سامي الجندي، منشورات وزارة الثقافة، مكتبة الأسرة الأردنية، 2008م (طبعة أخرى). والترجمة الثّانية: مالك حدّاد، التلميذ والدرس، ترجمها عن الفرنسيّة: شرف الدين شكري، دار النشر ميديا-بلوس، قسنطينة — الجزائر، 2009م. وتوجد طبعة أخرى تظهر بياناتها فيما يأتي: مالك حدّاد، التلميذ والدرس، ترجمة: شرف الدين شكري، سلسلة روايات الهلال، دار الهلال، القاهرة، سبتمبر 2014م.

(3) Malek HADDAD, *L'élève et la leçon*, Paris, Éditions René Julliard, 1960.

(4) Voir : *Ibid.*, p22-23.

(5) Voir : *Ibid.*, p12.

(6) Voir : *Ibid.*, p18.

(7) Voir : *Ibid.*, p79-80.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآفر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

والمُتصنّع، كما يُصوّر هذا اللّقاء رفض إيدير تناول كأس الخمر لأنّه مُسلم⁽¹⁾، في موقفٍ تبرزُ فيه الأنا المُتَشَبِّهةً بدينها وعقيدتها. ويرسمُ هذا اللّقاء كذلك مشاهد مُقاطعة الأنا لنظيرها الأنا المتواطئة مع الآخر، إذ قاطع إيدير مُحادثة قايد دوار بن يوسف بالعربية، لأنّه (إيدير) لم يكن يُحبُّ هذا الشخص الخبيث — وهو يعلمُ ذلك — فاستعماله العربية ليس سوى سبيل للتودّد الخبيث الذي ينتهجه هذا الرجل الحَذِيق والمتناقض في الآن ذاته، يحتسي الخمر بالرغم من ارتياده المسجد كلَّ جُمعة⁽²⁾، في مشهدٍ تبدّد في الأنا الخائنة والمتواطئة مع الآخر.

وفي سنة 1961م، أصدر مالك حدّاد رواية «رصيف الأزهار لم يُعد يُجيب»⁽³⁾ Le quai aux Fleurs ne répond plus⁽⁴⁾، يُثيرُ فيها بطلها خالد بن طوبال مسألة غربة الجزائريّ في بلاد الآخر، ما جعله لا يحسُّ باندلاع الحرب في بلاده⁽⁵⁾، وهنا يبرزُ إحساس نُزوح الأنا عن وطنها وبُعْدِها عنه. ويتماهى صوت مالك حدّاد وصوت بطله خالد بن طوبال في غير ما موضعٍ من هذه الرواية، فها هي ذي الأنا الكاتبة (والمُثَقِّفة عُمومًا) تبحثُ عن ضبطٍ موقعها في كتابة تاريخ الوطن⁽⁶⁾، فالوطن في مناجاة خالد وقاموسه، هو الماضي والفلاح، وجوع الرجال، وبرد الرجال، والرجال الذين يُصفعون ويُعدّبون، وحالة الطوارئ التي كانت تُعلن في المدن الجزائرية، هو وريثة زوجته، والغابات المباركة، والرمال النائمة، والجبال الشريفة، والأطفال البريئين⁽⁷⁾؛ وهذه الصوَر كلّها من أبعاد الأنا المبتوثة في حنايا الرواية.

يُعبّرُ مالك حدّاد عن الآخر — على لسان بطله خالد — بلفظ وُحوش (les monstres)، وبأن هذا الاستعمار الوحشيّ سيُرحّل عاجلاً غير آجلٍ، وستستعيد الجزائر سيادتها وأمنها ومكانتها⁽⁸⁾، مُسجّلاً اسمه في قائمة المُدافعين عن بلده، في هذه الحرب الشّعواء التي تقودها فرنسا على الجزائر، ويُقدِّم

(1) Voir : Malek HADDAD, *L'élève et la leçon*, op. cit., p101–106.

(2) Voir : *Ibid.*, p104–105.

(3) الترجمة الأولى: مالك حدّاد، رصيف الأزهار لا يجيب، ترجمة: حنفي بن عيسى، المطبوعات الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1965م. والترجمة الثّانية: مالك حدّاد، ليس في رصيف الأزهار من يجيب، ترجمة: ذوقان قرقوط، سلسلة آفاق الكتابة، العدد: 25، الهيئة العامة لقصور الثقافة — شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، 1999م (الصادرة سنة 1970م، في طبعها الأولى عن الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، المطبعة الثقافية). والترجمة الثّالثة: مالك حدّاد، رصيف الزهور، ترجمة: أحمد نظير نشوقي، دار الاتحاد، بيروت، د.ت. (تُشيرُ الرّاسة إلى أن النّسخة التي تحصّلت عليها، الصادرة عن دار الاتحاد ببيروت، لم تحمل تاريخ الإصدار، ما صعبَ ترتيبها).

(4) Malek HADDAD, *Le quai aux Fleurs ne répond plus*, Paris, Éditions René Julliard, 1961.

(5) Voir : *Ibid.*, p20.

(6) Voir : *Ibid.*, p26.

(7) Voir : *Ibid.*, p72.

(8) Voir : *Ibid.*, p29–30.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

نفسه شاعراً يُكافحُ بكلماته ويفرضُ وجوده بين الرجال المناضلين في الجبال، ما ينسجُ حالة الأنا المثقفة التي تُريدُ فرض نفسها وإثبات كيانها. كما تجلّت أنا مالك حدّاد كذلك وتمثّلت في شخصيّة بطله خالد بن طوبال مُثيرةً مأساة التعبير بلغة الآخر الفرنسي⁽¹⁾. لتُختَم الرواية بمشهدٍ انتحار بطلها خالد بعد تلقيه خبراً مُفاده خيانة زوجته وُريدّة التي آمنت بدعاية الجزائر فرنسيّة، ما دفع رجال المقاومة إلى قتل هذه المرأة الخائنة⁽²⁾، والقتل أقلّ شيء يمكنُ أيّ يُباشِر في حق الأنا المتواطئة مع الآخر، أو الأنا الخائنة للأنا (ستحلّل هذه الرواية بإطنابٍ فيما هو آتٍ).

وفي عام 1962 م، صدرت رواية «مَنْ يتذكّر البحر»⁽³⁾ Qui se souvient de la mer⁽⁴⁾ لمحمد ديب. تبدّى الأنا في جماليّة العنوان وصياغته، بتسجيلٍ تجانسٍ لفظيٍّ بين: (mer) أي البحر، و(mère) أي الأم، ويُقصِدُ محمد ديب بتوظيفهما الإشارة إلى الجزائر، أي الوطن الأم⁽⁵⁾. وتُصوّر هذه الرواية أحداث الثورة وحرب التحرير بأسلوبٍ يعجُّ بالرمز (البحر والأم) وكثافة سيرورة الأحداث، نظراً لأجواء التوتر والرعب التي كانت تسودُ المدن، والدمار الذي آلت إليه القرى والمداشر⁽⁶⁾، بطلتها نفيسة التي تُمثّلُ الزوجة والأم، وترمزُ كذلك إلى الأمة الجزائرية قاطبة⁽⁷⁾، في صورةٍ تتجلّى فيها الأنا النسيوية المقاومة للآخر.

وفي العام ذاته (1962م)، صدرت رواية «أطفال العالم الجديد»^(*) Les enfants du nouveau monde⁽⁸⁾ لآسيا جبار، صوّرت فيها الكاتبة أحداث الثورة المسلّحة وعمليات فدائية جرّت وقائعها في المدن⁽⁹⁾، مُركّزةً على المرأة الجزائرية، ورأسمةً بذلك نماذج مُختلفة من صُور الأنا النسيوية، تمثّلت في صُور المرأة الوطنية والمُكافحة، والمرأة السلبية واللامبالية، والمرأة المتمردة والخائنة لوطنها⁽¹⁰⁾.

(1) Voir : Malek HADDAD, *Le quai aux Fleurs ne répond plus*, op. cit., p35–37.

(2) Voir : *Ibid.*, p115–116.

(3) الترجمة الأولى: محمد ديب، من الذي يذكر البحر، ترجمة: فريد أنطونيوس، منشورات مكتبة أطلس، 1963م. والترجمة الثانية: من يتذكّر البحر، ترجمة: محمد ساري، الصادرة عن موفم للنشر (لم تتمكّن الدراسة من العثور على هذين الترجمتين العربيتين).

(4) Mohammed DIB, *Qui se souvient de la mer*, Paris, Éditions du Seuil, 1962.

(5) يُنظر: عائدة أديب بامية، المرجع السابق، ص157.

(6) يُنظر: أحمد منور، المرجع السابق، ص109–110.

(7) يُنظر: عائدة أديب بامية، المرجع السابق، ص157–158.

(*) لم تتمكّن الدراسة من العثور على الترجمة العربية لرواية أطفال العالم الجديد لآسيا جبار.

(8) Assia DJEBAR, *Les enfants du nouveau monde*, Paris, Éditions René Julliard, 1962.

(9) يُنظر: أحمد منور، المرجع السابق، ص111.

(10) يُنظر: عائدة أديب بامية، المرجع السابق، ص171–172.

— الفصل الأول: — جدلية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

يُستنتج في ختام سيرورة تفقي مسار جدلية الأنا والآخر في نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وتطورها، أنها كانت خاضعة - بالأساس - للأوضاع السياسية التي شهدتها الحقبة الاستعمارية، اتخذت فيها - هذه الجدلية - أبعاداً شتى. وحتى نهاية سنوات الستينيات، كانت غالبية الأعمال الروائية الصادرة في تلك الفترة (لا سيما الروايات التي ظهرت بعد الاستقلال، أي حقبة ما بعد الاستعمارية) تنتمي إلى الاتجاه الملتزم والمنحاز إلى الثورة - على حدّ تعبير أحمد منور - مُتخذةً أحداث ثورة التحرير وصور المقاومة موضوعاً لها، ومعالجةً كذلك مسائل الوعي الوطني ووحدة الأمة الجزائرية⁽¹⁾.

بناءً على ما بُسّطَ عرضه في مرحلة إبراز جدلية الأنا والآخر في نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وتطورها، وفق تسلسل تاريخي، يسطع المحور الآتي بإبراز تجليات الأنا والآخر في روايات مُنتقاة من كل حقبة، تماشياً وتحولات الخطاب الروائي الذي يطبع كل مرحلة كُتبت فيها الرواية.

2.3.1 تجليات الأنا والآخر في روايات الحقبة الاستعمارية: نماذج روائية مُنتقاة

بناءً على ما سلف تحليله في محور ضبط نشأة جدلية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وتطورها، يُدارس هذا المحور الثاني - من المبحث الثالث - سبع روايات جزائرية مكتوبة بالفرنسية، صادرة في الحقبة الاستعمارية، مُنتقاة وفق تسلسل تاريخي (من 1936م إلى 1961م)، بغية تتبّع تجليات جدلية الأنا والآخر في تحوّل الخطاب الروائي الجزائري، بخصوصياته ومرجعياته وأبعاده المختلفة. ويستند تحليل هذه النماذج الروائية إلى المبحثين الأوليين، تمهيداً لضبط نظريات الترجمة واستراتيجياتها التي يستأثر بها الفصلان النظريّان المُواليان، والفصل الرابع التطبيقي الذي يُسلط الضوء على ترجمتها (أو ترجماتها المتعددة) إلى العربية.

(1) يُنظر: أحمد منور، المرجع السابق، ص111.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

1.2.3.1 تجليات الأنا والآخر في رواية «Myriem dans les palmes» لمحمد ولد الشيخ أغا:

تروي هذه الرواية قصة مريم ديبوسي Myriem Debussy ابنة النقيب الفرنسي ليون ديبوسي Léon Debussy الذي يُمثّل الآخر، والأمّ المسلمة خديجة Khadija التي تُمثّل الأنا⁽¹⁾، وكانت مريم نتاج هذا الزواج المختلط^(*) بين الأنا الجزائرية والآخر الفرنسي. عندما كانت مريم^(**) تتجاذب أطراف الحديث مع مرافقها دالبري Dalbret عن موقع أرفود، فجأةً أُصيب محرك الطائرة بعطب (على مستوى المُفجّم "الكربوراتور" Carburateur) أجبرها على الهبوط بواحة تافيلالت Tafilalet التي يتزعمها بلقاسم أنقادي⁽²⁾ Belqacem Negadi. وفي الوقت الذي كان يُحاول فيه دالبري إصلاح العطب، وكانت مريم تُعاین طبيعة هذه البلاد بالمنظار، خرج جيش بلقاسم وألقى القبض عليهما⁽³⁾. وفي رحلة البحث عن تخلص مريم من قبضة بلقاسم، تخلّق هذه الرواية مغامرة أبطالها الملازم الأوّل ديبوسي، أخ مريم، والسي أحمد مسعودي Si Ahmed Massoudi صديق مريم أيام الطفولة⁽⁴⁾، الذي كان يأتي بين فينة وأخرى يُلقّنها دروساً في اللغة العربية.

حينما أنجبت خديجة Khadija مولودها الأوّل جون Jean، وبعد خمس سنوات من زواجها أنجبت بنتاً سمّتها مريم، طفق الصراع الجدليّ بين الأنا والآخر في البروز. بعدها أدركت خديجة مدى

(1) Voir : Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *op. cit.*, p21.

(*) وفي سياق جدليّة الأنا والآخر، يرى أحمد منور أن هذه الرواية تبثّ بين ثناياها فكرة الزواج المخلط، بين العربية والفرنسيّة (خديجة والنقيب ديبوسي)، وبين العربي والفرنسيّة (السي أحمد مسعودي ومريم). كما تطرّح هذه الرواية فكرة التوسّع الاستعماريّ، وتبثّ كذلك دور الأهلي المتقدّم الذي يؤمن بفكرة الاندماج في الآخر يُغية تحسين وضعه. يُواصل أحمد منور تحليله لرواية محمد ولد الشيخ وتقديمها أطروحة الزواج المختلط نموذجاً مثاليّاً لتقريب الأنا الجزائرية (من الجيل الجديد) إلى الآخر الفرنسيّ وجسّر الهوة بينهما، وإذابة الفوارق العنصريّة المؤدية إلى الغل والكراهية والصراع بينهما. ويُناقضُ محمد ولد الشيخ نموذج الاندماج المثاليّ الذي طرحه — حسب أحمد منور — في أثناء تقديمه للشخصيّات الرئيسة للرواية (يُحلّلُ أحمد منور هذه الرواية في كتابه: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، المرجع السابق، ص 208-228). بيد أن هذه الرواية — مثلما ستُظهره مُدارسة المقاطع السردية — تبثّ في حناياها مقومات الهوية الجزائرية في أبعادها الثلاثة، وهي: الإسلام، والعروبة، والأمازيغية، بما يتوافق وطبيعة الفكر السائد في تلك الحقبة.

(**) كانت مريم مُولعةً بالطيران والسياسة والسفر، تعشق رؤية الجنوب بسحره وسكينته اللذين يُلهمانها. وكان يصطحبها في كل مرة الميكانيكيّ دالبري Dalbret. وفي هذه المرة، تنوي مريم التحليق فوق جبال الأطلس بُغية التحضير للمشاركة في مسابقة رالي الطائرات بين الجزائر والمغرب (Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *op. cit.*, p30). وبعد أن توقفت طائرة مريم في عاصمة الجنوب، كولومب بشار Colomb-Béchar، تجولت مريم ودالبري رفقة ضابط شاب صديق الملازم الأوّل ديبوسي في هذه المدينة وأسواقها وقصورها وواحاتها، ثمّ غادرت مريم مدينة بشار فجراً وتوجّهت صوب منطقة أرفود Erfoud (Voir : *Ibid.*, p41-45).

(2) Voir : Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *op. cit.*, p51-63.

(3) Voir : *Ibid.*, p45-46.

(4) Voir : *Ibid.*, p213-214.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآفر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

جسامة خطيها، أي بعد فوات الأوان، ثمّ نشبت المشاكل بينها وبين زوجها، فكل واحد منهما كان يريد أن يجبل الولدين على دينه وعاداته وتقاليده. وكانت خديجة قد تزوجت بالنقيب ديبوسي le Capitaine Debussy في لحظة جنون، دون أن تُفكر في عواقب هذا الزواج المختلط والمشكلات المترتبة عنه، من اختلاف في المشاعر والأذواق والمعتقدات⁽¹⁾ المكوّنة للأنا الجزائرية، والمتميزة في مرجعياتها على الآخر الفرنسي. بقيت خديجة بعد زواجها مسلمة، ولم يمنعها هذا الزواج من أداء واجباتها الدينية، فكانت متمسكةً بدينها، ترتدي اللباس الجزائري المحتشم، ومواظبةً على واجباتها الدينية على أكمل وجه، وبكل حماسة دينية وقنوت. ولما بلغ جون سن الثمانية، أرادت خديجة أن يكون ابنها مسلمًا، على عقيدة التوحيد، انتصارًا لمعتقد الأنا المسلمة، بيد أن النقيب ديبوسي رفض المقترح رفضًا قاطعًا، فقد كان ديبوسي يكره رؤية زوجته وهي تُكلّم ولديها بالعربية، خشية أن تفطرهما على عادات أسلافها، ولم يكن يتقبّل مرافقتهم لها إلى ضريح الولي الصالح، في مشهد يُجسّد الآخر الفرنسي الرافض للأنا الجزائرية ومعتقداتها، مما أجج من آلام خديجة وزاد من حدة أوجاعها، خديجة التي كانت تريد أن تغمر ولديها بالحب والحنان وتجبلهما على فطرة الإسلام⁽²⁾.

وفي أثناء غياب النقيب ديبوسي في مهمّة قادته إلى الجنوب، اغتنمت خديجة الفرصة واختبّنت ولدها جون وأطلقت عليه اسم حفيظ Hafid. ولم يكن للنقيب ديبوسي، عند عودته، قرار بهذا الشأن، مُتفهمًا الصراع العقائدي القائم بينه وبين زوجته، كل منهما يريد أن يفرض أناه على الآخر. وبلغ الصراع حدّته عند مناداة خديجة لولديها بأسمائهم جون حفيظ Jean-Hafid ومريم Myriem، يتسم النقيب الفرنسي ومهزّ رأسه مُتفهمًا استحالة التوافق بينه وبين زوجته المسلمة، هذه المرأة الحريصة على عقيدتها وعلى إسلامها، ومن ثمّ تريد بثّ مقوماتها في تربية ولديها⁽³⁾. تُجسّد ابتسامة النقيب الفرنسي ديبوسي ابتسامة الآخر الفرنسي المنهز بتعلّق الأنا الجزائرية بمقوماتها العربية والإسلامية.

وفي موقفٍ آخر يُجسّد تمسُّك الأنا الجزائرية بهويّتها الدينية، كانت خديجة لا ترى نجاة ولديها إلا بتمسكهما بالدين الإسلامي، هذا الدين الذي يُبصّر الإنسان ويَهْدُب من أخلاقه، وكانت ترجو أن يعتنقا الدين الإسلامي، ولكنها كانت تبحث عن الكيفية التي تجعلهما يتذوقان بها حلاوة هذا الدين، دون أن تصدم مشاعرهما، بل تُحبّب إليهما الإسلام وتجعلهما يعتنقانه برضى نفسٍ وطيبٍ خاطر⁽⁴⁾. وبعد

(1) Voir : Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *op. cit.*, p22.

(2) Voir : *Ibid.*, p22.

(3) Voir : *Ibid.*, p24–25.

(4) Voir : *Ibid.*, p25.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآفر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

وفاة النقيب ديبوسي، توجّهت خديجة إلى شيخ عالم كبير معروف بعلمه وسخائه وزهده وجوده وكرمه، فاستشارته في أمرها بعد أن روت له قصّتها، فنصحها الشيخ بتحفيظ جون ومريم كلام الله، وسميتان — لا محالة — إلى سواء السبيل، فالقرآن نور، وطاعة الله سبيل للنجاة. وفي السياق ذاته، كان رجاء خديجة يكمن في تزويج مريم — يومًا ما — بشاب مسلم حتى تتجنب حياة الكفر والعدول عن الطريق المستقيم، والصّهر الذي كانت ترجوه خديجة هو صديق ابنتها في الطفولة، سي أحمد مسعودي، الذي كان يأتي بين فينة وأخرى من أجل تلقين مريم دروسًا في اللغة العربية⁽¹⁾.

وفي موقف آخر ينسج مشهدًا يُجسّد رفض الآخر الفرنسيّ مُعتقد الأنا الجزائرية، كان سي أحمد مسعودي يُعلّم مريم آيات من القرآن الكريم، وكانت مريم تقرأ قوله تعالى: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»، وكان أحمد يشرح لها التركيبة النحوية لهذه الآية، ويُترجم لها المعنى الذي تنطوي عليه باللغة الفرنسية، وهنا طفق إيباتوف Ipatoff يُتمّم ويقول في نفسه: «ها هو ذا الآن يُعلّمها القرآن»، في موقف يُجسّد خوفه من أن يفقد خطيبته مريم. كأن السارد (محمد ولد الشيخ) يريد أن يُنقذ بطلته مريم من الوقوع في الخطأ ذاته الذي وقعت فيه والدتها خديجة من ذي قبل، لذا صوّر هذا المشهد والمشاركة الكلامية التي وقعت بين مريم وإيباتوف⁽²⁾، ما يعني القطيعة بين الأنا والآفر والعودة إلى حضن الأنا، أي العودة إلى سي أحمد مسعودي، هذه الشخصية التي وظّفها ولد الشيخ إحالةً إلى الهويّتين الدينيّة واللغويّة. ثمّ يُواصل أحمد استدلاله بمثال آخر^(*)، شارحًا لخديجة بأن محتوى هذا المثال ومضمونه هو تحذير. «هذا فأل تقول خديجة مُتدبّرة، لا! بل هذا تحذير، إنه نذير شؤم...»، كأن إيباتوف (هذا الذي يُمثّل صورة الآخر الفرنسيّ) هو مصدر هذا الشؤم وأمارته. لا سيّما أنّ الموقف تصادف وتودّد إيباتوف لخديجة، عارضًا عليها مساعدتها في تسيير مزرعتها، لكنها رفضت وتحجّبت بأنها أوكلت تسييرها لأحد

(1) Voir : Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *op. cit.*, p25-27.

(2) Voir : *Ibid.*, p31-33.

(*) ملاحظة: ذكر الكاتب محمد ولد الشيخ أغا في الأصل:

« Ahmed citant un autre verset : « *Méfie-toi de l'affaire dont les abords sont vastes et faciles ; l'issue en sera étroite et pénible...* » (Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *MYRIEM DANS LES PALMES (Réédition)*, p31).

وبعد البحث الحثيث، تبين أن هذا المثال لم يكن آية، بل كان بيتًا شعريًا:

إِيَّاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنَّ تَوَسَّعَتْ

مَدَاخِلُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِرُ

استدلّ به أبو تمام في ديوان الحماسة ولم ينسبه لأحد، مُشيرًا في الهامش إلى أن هذا البيت قد يردّ بصيغة: «إن توسّعت مَوَارِدُهُ ضاقت عليك المصادِرُ» (ذكر في شرح التبريزي). (ينظر: أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المروزي (المتوفى سنة 421هـ)، شُرُحُ دِيَوَانِ الْحَمَاسَةِ لأبي تَمَّام، علّق عليه وكتب حواشيه: غريد الشيخ، وضع قنارسة العامّة: إبراهيم شمس الدين، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت - لبنان، 1424هـ - 2003م، ص809). وبُغية الاستزادة التّرجُميّة، راجع الفصل الرّابع، المقطع الثّالث (ب).

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

من أقاربها ما دام أن ابنها جون لا يزال وفياً لالتزاماته مع الجيش⁽¹⁾. وهو موقف يُجسّد تفضيل الأنا (المتّمسّل في أحد أقارب خديجة) وصدّ الآخر (إيباتوف)، بالرغم من توّدده الخبيث ومحاولاته الماكرة.

إنّ شخصيّة بطلة الرواية، مريم التي تأتّت من جرّاء زواج مختلط، دائماً ما كانت شخصيّة تتأرجح بين الأنا والآخر في الآن ذاته، بين الأنا الجزائرية، لأن والدتها خديجة مسلمة، وبين الآخر الفرنسي، لأنها حاملة لاسم النقيب الفرنسي ديبوسي. حينما كانت مريم تتجول في ساحات كولومب بشار، لفتت طفلة صغيرة بدويّة كانت تبيع التمر نظر انتباه مريم بمقرية من تجّار الخضر، ليُخبرها الضابط الشاب، صديق أخيها الملازم الأوّل ديبوسي، بأن البلد فقير، وأن سكان هذه المنطقة يسترزقون مما تجنيه أرضهم من محاصيلهم الزراعيّة: ثمّ دنت مريم وربّتت على خدي الطفلة الصغيرة تسألها عن اسمها، لتجيبها الصغيرة بأن اسمها فاطمة. أُعجبت مريم بهذا الاسم، ثمّ أعطت الصغيرة قطعة نقود، ترفع فاطمة عينها الجميلتين شاكرة مريم (شاكراً هذه الفرنسيّة السخية مثلما عبّر السارد)، تمّد يديها إلى السماء: «الله ينجّيك»، استحسنت مريم هذه البشارة الصادرة من طفلة صغيرة وأعجبت بهذا الكلام الطيّب وسُرّت به⁽²⁾. وهذا ما يعكس صورة الآخر (الفرنسي) المتعاطف مع الأنا (الجزائريّة)، أو بالأحرى ترجيح كفة الأنا الميثوثة — بمرجعياتها — في شخصيّة مريم على حساب كفة الآخر.

عندما كانت يسمّة Yesma تسأل بلقاسم عمّا سيفعله بأسيرته مريم، وكانت يسمّة تخشى في قرارة نفسها أن يتزوج بلقاسم أسيرته مريم، أي صورة الأنا المتوجّسة من الآخر، وفي سياق هذا الحديث؛ تستحضر يسمّة قصة زواجها ببلقاسم بعد وفاة زوجها الأوّل، وكيف سلّمت يسمّة عرشها وملك زوجها المتوفى، راجية أن يكون قائداً عادلاً. وهنا ثار بلقاسم لأن يسمّة ذكرت نفروتان البربري Nefrouttene-le-Barbare قاتل مولاي عبد الله Moulay Abdallah حسبما صرّح به بلقاسم غاضباً، لتردّ عليه يسمّة تعذله بسبب جرائمه التي ارتكها في حق الشّرفة chorf، والبريئين والعزل، لا سيّما اغتياله لحبر يهودي. ثمّ يردّ عليها بلقاسم قائلاً: «إنّه يهوديّ واليهود يكرهوننا». في موقف يعكس الأنا الرافضة للآخر، بالرغم من الشخصيّة الجدليّة التي تطبع بلقاسم في هذه الرواية^(**)، ثمّ تردّ يسمّة مُستدلّة بأن الرّسول

(1) Voir : Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *op. cit.*, p31–32.

(2) Voir : *Ibid.*, p42–43.

(**) يرى أحمد منور أن السارد رسم صورة سيئة مُسبقة في ذهن القارئ حول شخصيّة بلقاسم، وأن محمد ولد الشيخ قدّم لنا شخصيّة دمويّة تُثير الرعب في قلوب سكان الواحة، بالرغم من أن بلقاسم كان يُجابه القوات الفرنسيّة التي كانت تريد بسط سيطرتها على الواحة. ثمّ يُشير إلى أن من بين أسباب تصوير ولد الشيخ لشخصيّة بلقاسم بتلك الصورة الجدليّة، هو جعل القارئ يتعاطف تلقائياً مع بطلة الرواية (مريم)، ومع بقية الشخصيات الأخرى (شقيقها الملازم الأوّل ديبوسي والسي أحمد مسعودي) التي أتت لتُخلّصها من قبضة بلقاسم

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يأمر بهذا، وقد أمرنا بأن لا نظلم اليهودي ولا أطفال إسرائيل، خاصة إن لم توجد أسباب وجيهة لاضطهادهم، مُتَوَعِّدَةً بلقاسم بأن الله سيحاسبه على ذلك⁽¹⁾.

وفي الموقف نفسه الذي يُجسّد حالة الأنا الرافضة للآخر، يُصوّر السارد اللحظة التي اختجّ فيها دالّبري على بلقاسم مُستنكراً سجنه رفقة مريم مدة ثلاثة أشهر من دون سبب وجيه، مُتَحَجِّجاً أن رجال بلقاسم كانوا قد هاجمواهم في منطقة فرنسيّة، فردّ عليه بقاسم قائلاً: «منطقة فرنسية! هذا لا يهمني، فهذا بلدي دائماً وأبداً. قل لي الحقيقة، ما الذي جاء بكم إلى هذه الأرجاء؟»، وهو ما يعكس الأنا المُتَشَبِّهة بانتمائها وأصلها. بعدها هدّد دالّبري بلقاسم بالانتقام الذي سيُشَنُّه الجيش الفرنسيّ (الآخر)، ما يعكسُ أنا (الآخر) الجمعيّة المحتمية بجيشها، مُعطياً الحق للمستعمر الفرنسيّ (الآخر) بسبب الجرائم التي يرتكبها جيش بلقاسم (الأنا) الذي دمر البلد، هذا الجيش — مثلما يُصوّر السارد — الذي يترقب المارّة، ويقطع طريقهم، ومن ثمّ يسطو عليهم، ثمّ يتقاسمون الغنائم مع بلقاسم الذي بنى ثروته بهذه الطريقة⁽²⁾.

وفي هذا الصّدّد، اقترح أحمد زربة Ahmed Zerba على بلقاسم فكرة إخلاء سبيل السجينين، في موقفٍ يُصوّر الأنا المتعاطفة مع الآخر، فردّ عليه بقاسم: «لماذا؟ لماذا؟ إنهم فرنسيون وفرنسا عدوّتي»⁽³⁾، وهي علاقة العداء القائمة بين الأنا الجزائريّة والآخر الفرنسيّ. وهنا يتدخل الملازم الأوّل ديبوسي le lieutenant Debussy (المُتَنَكِّر في شخصيّة ابن الشيخ إبراهيم Cheikh Brahim، واسمه حفيظ Hafid أو إبراهيم Brahim، وبأنه مرسول من عند البربر⁽⁴⁾) مُعَدِّلاً بلقاسم بأنه مخطئ في حقّ فرنسا، لأنّ فرنسا تحمي المسلمين وثرواتهم، وتحترم ديانتهم، وتسعى إلى تقدّمهم وأمنهم. وهنا انتفض بلقاسم غاضباً في وجه الملازم الأوّل ديبوسي: «فرنسا أمة خيّرّة وعادلة!؟»، وأسمعه وابلًا من الشتائم واللعنات: «لعنة الله عليك أيها الكلب! يقول خيّرّة وعادلة! أيّها الدجال الأفكّ، أتهزأ بي...؟ ما الذي دعاك، أيّها الكلب؟»⁽⁵⁾، ما يصفُ حال الأنا الثائرة في وجه الآخر، هذا الآخر الذي حاول استعطف الأنا ووهمها بأنه صاحب رسالة إنسانيّة وحضاريّة، تنشر السلم والأمان، وتحترم الهويّات والأديان.

(يُنظر: أحمد منور، المرجع السابق، ص212-215). غير أن المُتَمَعِّن في طبيعة هذه الرواية، يرى أن السارد قد صور هذه الشخصيّة تصويراً يتوافق وطبيعة الأحداث، بصورها الإيجابية والسلبية على حدٍ سواء، ما جعلها تخلق عنصر الجدال.

(1) Voir : Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *op. cit.*, p77-78.

(2) Voir : *Ibid.*, p139.

(3) Voir : *Ibid.*, p140.

(4) Voir : *Ibid.*, p123.

(5) Voir : *Ibid.*, p140.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآفر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

وبعد أن ألحّ دالبري أنها الحقيقة، وأن فرنسا أمة خيّرة وعادلة، في مشهدٍ يُصوّر الآخر المدافع عن الآخر والمحتفي به في مواجهة الأنا، يسأله بلقاسم قائلاً: «إذن، لماذا تهاجم بلدي؟». وحاول دالبري التبرير، كما حاول الضابط ديبوسي مساندته، بيد أن بلقاسم كان قد علم من إيباتوف - سلفاً - حقيقة هذا الضابط الفرنسي المتنكر في ثوب المسلم، ثمّ أمر بلقاسم حرسه بالقبض عليه⁽¹⁾.

بعد حادثة اغتيال بلقاسم لسيدي مولاي لحسن Sidi Moulay Lahcène، بعد أن بعث أحد رجاله لتنفيذ هذه المهمّة، وكان سيدي مولاي لحسن شيخ زاوية طيب ومتسامح وكريم، يحبّه الفقراء والأغنياء، جعل زاويته ملاذاً للمساكين وضيوف الرحمان؛ ذاع الخبر في أرجاء الواحة كلّها، وعمّ الصباح والحزن، ثمّ انكشف أمر بلقاسم باغتياله شيخاً مسلماً يُحبّه الجميع⁽²⁾. وفي الليل يُدوي صوت رثاء أحد المدّاحين الدراويش، حاملاً بين ثناياه وعيداً لبلقاسم من جرّاء فعلته هذه. انزعج بلقاسم بعد سماعه هذا الرثاء، وأمر زغاري Zaghari أن ينزل بسرعة ويقبض عليه وأن يعذبه، في الصباح، حتى الموت⁽³⁾. وفي صباح اليوم الموالي، وبعد صلاة الفجر مباشرة، اقتيد هذا الدرويش المسكين عند مدفع كان رجال بلقاسم يحشونه بالبارود وشظايا قطع حديدية. وبعد أن ردّد هذا المسكين الشهادة وهو يرتجف خوفاً، أوّماً بلقاسم إلى الجلّاد بإشعال البارود وتفجيريه، لكن محاولته باءت بالفشل، فانزعج بلقاسم. وكثّرت العملية مرة أخرى لكنها لم تنجح. وبعد أن تحقق بلقاسم من جودة البارود، جرّب إشعاله لكن دون جدوى، كأن هذا البارود يرفض الاشتعال وقتل مخلوق بريء لم يفعل شيئاً سوى أنه أنشد الحقيقة. سبّح الحضور الله، وطفق النساء ينشدن تسابيحهن تعظيماً للخالق، والأطفال يقفزون فرحاً، والأصوات تتعالى لهذا الموقف المعجزة. بعدها أمر بلقاسم رجاله بفكّ قيود هذا الدرويش المعجزة، ثمّ جرّب إشعال البارود من جديد، بُغية التحقق من جودته للمرة الأخيرة، إذ بانفجار يدوي، والدخان يغمر الحشد، وصاح الحشد يُردّدون بأن هذا الدرويش رجل صالح، ومن ثمّ تحققت المعجزة⁽⁴⁾.

غادر القصوريون واليهود تافيلالت بعد هذه الحادثة، وفرّ الحرفيون الماهرون والتجار الأثرياء صوب المغرب ومناطق أخرى من الجزائر. وفي تصوير السارد لحركة القوافل الفائزة عبر طريق الجنوب المؤدّي إلى الشمال، كانت تلك القوافل مُتكوّنة من مجموعاتٍ مجموعات، تضمّ رجالاً وعائلات وأطفالاً وشيوخاً، هؤلاء المساكين الذين يطمحون لإيجاد سُبُل الحرية والسعادة، يتشوقون للالتحاق بالمناطق

(1) Voir : Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *op. cit.*, p140-141.

(2) Voir : *Ibid.*, p153-155.

(3) Voir : *Ibid.*, p155-157.

(4) Voir : *Ibid.*, p159-161.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآفر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

الفرنسيّة حيث يجدون الفرج والاستقبال الأخوي، فارّين من بطش بلقاسم⁽¹⁾ وطغيانه، في لحظة تُجسّد هروب الأنا إلى الآخر^(*) بحثًا عن الأمان والحرية والسعادة والطمأنينة.

وفي مشهدٍ يرسمُ تعاطف الأنا مع الآخر، ساعدت يسمّة Yesma زوجة بلقاسم أخ مريم ورفيقهما (الملازم الأوّل جون ودالبري) في الفرار، بعد أن سخّرت لهما صديق Sadiq الذي سلّمهما مسدسين وخنجرين⁽²⁾، لأنها كانت قد وعدت مريم ووفّقت بوعدها⁽³⁾. وفي تجلّي الصراع القائم بين الأنا والآخر، تصوّر الرواية مشاهد شحن بلقاسم رجاله (صورة الأنا الجمعيّة)، بمناسبة اجتماعه وقادة من البربر وبعض المحاربين حول شنّ الحرب ضد فرنسا (صورة الآخر) التي تُحاصرهم. تبدّت الهزيمة — المُسبّقة — في وجوه بعض الحضور، ليصبح بلقاسم يشحن عزائمهم: «هل تعتقدون بأننا سنستسلم لتهديداتهم؟ أتقبلون بأن يأتوا — هنا — ويُطَيّقوا علينا شريعتهم؟ أواجب علينا أن نطأطئ رؤوسنا أمام الكفار مثل العبيد؟ لا، أبدًا! لن يحدث هذا مطلقًا! علينا إراقة دماءنا سبيلًا لسلام شعبنا، يجب أن نعظم فينا شعور الشجاعة والشرف، لا يمكننا التراجع بمجرد أن يُظهر العدو مدافعه ويُخرّج ما في ترسائته الحربيّة، دعونا ندافع عن أنفسنا ببسالة ونموت أبطالًا إذا استدعت قضيتنا ذلك»⁽⁴⁾.

ثمّ تدخل شيخ آخر وقال إنّه من الجنون مجابهة هؤلاء المحاربين الضعفاء لخصم مُدجّج بالأسلحة والعتاد الحربيّ. كما أدلى الشيخ عدّي Addi قائلاً إن: «فرنسا لم تُؤذنا يوماً»، فرنسا تسمح لنا ببيع سلعنا ومواشينا في أسواقها وتمولنا بالموئنة، والأطباء الفرنسيّون يفحصوننا في مستشفياتهم حيث يُقابلوننا بحفارة استقبال مُنقطعة النظير، وإنّ ما يُقال عن فرنسا افتراء لا أساس له من الصحة، فالفرنسيّون أناس عادلون وطيبون؛ وهو ما يعكس صورة الأنا المُنسجّمة مع الآخر. وفي هذه الأثناء، ضحك بعض الحاضرين عن الكلام الذي بدر من الشيخ، أي الأنا الساخرة من الأنا المُساندة للآخر، ما

(1) Voir : Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *op. cit.*, p162–163.

(*) مثلما أُشير إليه فيما سلف، يُواصل أحمد منور انتقاد الكاتب محمد ولد الشيخ أغا، واصفًا هذه الرواية بأنها تنتهج سياسة التوسّع الاستعماريّ وتؤيده، وأنها من أشدّ النماذج الروائيّة الصادرة إبان تلك الحقبة تماشياً والأطروحات الأيديولوجيّة (الفكر الاندماجيّ) الاستعماريّة. لا سيّما الطريقة التي صوّرها محمد ولد الشيخ شخصيّة بلقاسم دون التفصيل في الأسباب التي دفعت به إلى قتل ضحاياه، إذ يراها (أحمد منور) شخصيّة واقفة في وجه العدو الفرنسيّ الذي كان يريد احتلال الواحة نظراً لموقعها الاستراتيجيّ، مُنتقداً كذلك التبريرات التي ساقها الكاتب في غزو الفرنسيّين للواحة، إذ يراها (أحمد منور) حُججاً واهيّة (يُنظر: أحمد منور، المرجع السابق، ص215–219). وتجب الإشارة في هذا السياق، إلى أن توظيف الكاتب لهذه الشخصيّة الجدليّة قد لا يعكس دائماً توجّهاته وفكره، بل قد يكون الغرض منها خدمة أحداث الرواية وخلق عنصر الجدل بغرض استمالة القارئ.

(2) Voir : Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *op. cit.*, p177–178.

(3) Voir : *Ibid.*, p205.

(4) Voir : *Ibid.*, p189–190.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآفر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

جعل الشيخ ينتفض في وجوه الضاحكين: «لماذا تضحكون؟»، إن هذه الأمة تنشر الخير حيثما حلت، أمة تنصر الضعفاء وتغيثهم وتحميهم، أمة تكفل اليتامى، إنها أمة نبيلة وكريمة، أنا أرفض محاربتها⁽¹⁾؛ أي الأنا الرافضة لمواجهة الآخر ومحاربتة. غضب بلقاسم غضباً شديداً من جرّاء سماع هذا الكلام الذي تفوه به الشيخ عدي، مُتهماً إياه بأنه يتفوه بلهجة (mzanat: مارق ومُرتد^(**)) وكافر، وقد حاول بلقاسم تحريض الحضور، أي تحريض الأنا الجمعية (أنا الجماعة) ألا يصغوا إلى الشيخ عدي، وبأن سوق تافيلالت سوق نشطة وحركيّة، وتافيلالت هي موطن السلم ومأوى المضطهدين الذين تلاحقهم فرنسا، على الجميع أن يتجندوا للنصر على الفرنسيين، لأن استقلال بلدتنا يحقق لنا الأمان والسعادة والطمأنينة، لنذهب للحرب بروح مُفعمة بالغلبة ثم نرفع راية الانتصار عاليًا في سماء تافيلالت⁽²⁾. وفي نهاية المطاف، انهزم بلقاسم وجيشه وفرّ الشلح (les chleuhs) إلى قبائلهم⁽³⁾.

وفي نهاية مغامرة تخلص مريم من قبضة بلقاسم، يتزوَّج الملازم الأول ديبوسي، أخ مريم، الشابة البربرية زهرة Zohra، ويتزوَّج السي أحمد مسعودي مريم⁽⁴⁾. وهنا تكون الخاتمة انتصارًا للأنا الجزائرية، أنا الأمّ خديجة التي كانت تحلم بتزويج مريم بشاب مسلم يهديها سواء السبيل، لا سيّما أن الصّهر الذي كانت ترجوه خديجة هو السي أحمد مسعودي الذي كان يُلقن مريم دروسًا في اللّغة العربيّة⁽⁵⁾. وقد تحقق رجاؤها وانتصرت على زوجها المتوفى النقيب الفرنسيّ ليون ديبوسي، الذي يُمثّل الآخر، ومن ثمّ استدركت الخطأ الذي ارتكبه بزواجها بفرنسيّ شكّل خطرًا على عقيدتها وهويّتها.

(1) Voir : Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *op. cit.*, p190.

(**) ملاحظة: لم يُعثر على شرح كلمة (mzanat) في الهامش (في طبعة: Yotoubia Éditions et Distribution). وهذا من الأخطاء المطبعية (يُنظر: 190 p, Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *op. cit.*). وبعد الرجوع إلى طبعة (Universitaires), عُثر على شرح كلمة (mzanat) بـ (Renégat).

Voir : Mohammed OULD CHEIKH, *MYRIEM DANS LES PALMES*, Alger – Algérie, Office des Publications Universitaires, 1985, p221.

(2) Voir : Mohammed OULD CHEIKH AGHA, (*Réédition*), *op. cit.*, p190–191.

(3) Voir : *Ibid.*, p201–203.

(4) Voir : *Ibid.*, p213–214.

(5) Voir : *Ibid.*, p26–27.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآخِر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

2.2.3.1 تجليات الأنا والآخِر في رواية «Lebbeik : Pèlerinage de Pauvres» لمالك بن

نبي:

يُصوّر مالك بن نبي في رواية «لبيك: حج الفقراء» كيفية استيقاظ ضمير بطل روايته إبراهيم وتحرك مشاعره، فقد كان ضميره يُوبّخه، وكانت نفسه تلومه وتُشعره بالخزي. وبعد هذا الصراع النفسي، وجد إبراهيم نفسه بين مُجتمعين: مجتمع مسلم ومجتمع آخر أوروبي، أي بين فضاءين ينتميان إلى عالمين، وبين هويتين مختلفتين، عربيّة وأوروبيّة، أي بين الأنا المسلمة والآخِر الكافر. بيد أن الحالة التي كان عليها إبراهيم جعلته يحسّ بالانتماء إلى المجتمع الآخر (الأوروبي)، ويُصنّف نفسه ضمن هذه الشريحة الضالّة. وبينما هو على هذه الحالة، استحضّر صورة والديه وقتما كانا على قيد الحياة وتفاصيل حياته التي كانت تسود في هذا البيت المقابل، حيث يسكن العمّ محمد الآن، فقد كانت حياة ملؤها الالتزام والثبات والتقوى. وبعد وفاة والديه، صار منبوذاً بسبب تصرّفات الطائشة، ولهذا طلبت منه زوجته الطلاق وتركته زنبوطاً⁽¹⁾، في مشهدٍ يُصوّر تخلي الأنا المُستقيمة عن الأنا الضالّة والطائشة.

تمثّل شخصيّة العمّ محمد الشخصية المُفعّلة للأنا، والشخصيّة الحاملة للأمل والعودة إلى الذات واستعادة المجد، خاصة بوقوفه (العمّ محمد) مع إبراهيم في مواقف كثيرة، فقد كان إبراهيم منبوذاً من جيرانه بسبب طيشه، لا يطيقون تواجد رجل مُطلق بينهم وفوق هذا سكير يعاقر الخمر، لقد كان فوق القلوب (sur les cœurs). وما كان دفاع العمّ محمد (كبير الأسرة ذا همة ووقار) عن إبراهيم إلا إكراماً لوالديه المتوفين. وفي أثناء إفاقة من سُكره، كان إبراهيم يشعر بغربة وسط جيرانه وأهله⁽²⁾. إنّ دفاع العمّ محمد عن إبراهيم هو تصوير للأنا الحاملة للأمل والواقعة من عودة الأنا الأخرى (إبراهيم) إلى رُشدها، كما إنّ شعور إبراهيم بغربة وسط جيرانه تعبير عن الأنا الفرديّة المغتربة عن الأنوات الجماعيّة من جرّاء تأثرها بالآخر الأوروبي.

وبعد صراعه مع ذاته وتذكّر والديه اللذين يُمثّلان مرجعيّة الأنا الجزائريّة (المسلمة والملتزمة بدينها)، وحالته التي آل إليها من جرّاء تأثره بالآخر الأوروبي، عزم إبراهيم على التوبة والرجوع إلى الله. وتزامن هذا الصراع بين إبراهيم وذاته مع صوت المؤذن – المنادي لصلاة الصبح – وهو يُردّد عبارة: «حيّ على الفلاح»⁽³⁾، هذه العبارة التي أحييت ضميره، ومهدّت لتوبته ورجوعه إلى الله. قام فاغتسل وتخلّص

(1) Voir : Malek BENNABI, *Lebbeik : Pèlerinage de Pauvres*, (Éditions BENMERABET, 2017), op. cit., p27–28.

(2) Voir : *Ibid.*, p50.

(3) Voir : *Ibid.*, p31.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآفر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

من دنسه⁽¹⁾، ثمّ قرّر مباشرة الإجراءات الإدارية الخاصة بالحج، إلى أن امتطى متن الباخرة قاصداً البيت الحرام لأداء مناسك أحد أركان الإسلام الخمسة⁽²⁾. ويرسم هذا الموقف صورة الأنا الثابتة إلى رُشدها.

وفي طريقهم إلى بيت الله، حلّ وقت الغداء، فتجمّع الحجاج على سطح السفينة وأخرج كل واحد منهم مؤونته المتمثلة في بعض الحلويات التقليدية مثل البقلاوة والمقروض والرّفيس، وأخرج إبراهيم الخبز الذي وضعه العمّ محمد في قفته. وفي هذا الوقت، أتى الإمام بصحبة مرافقين يحملان طعاماً أعدّ في المطبخ، وكان الإمام يتأكد من أن قطع اللحم ليست لحم خنزير، ليؤكد لهم إبراهيم رؤيته للمسؤولين عن المطبخ وهم يذبّحون الخرفان وفق الشريعة الإسلامية، بيد أن الإمام أبى إلا أن يتحقق من اللحم. وفي سيرورة تجاذب جماعة الحجيج أطراف الحديث حول الحلويات التقليدية من رّفيس ومقروض، دنا منهم — بدافع الفضول — بخار يحاول مشاركتهم الحديث، إذ بالإمام يشرح لهذا البخار — بالعربية — سبب تأكده من قطع اللحم «بأن المسلمين لا يأكلون لحم الخنزير»، مُهدياً إيّاه قطعة الرّفيس⁽³⁾. إن إهداء الإمام قطعة الحلوى (الرّفيس) للبخار دليل على سماحة الإسلام والمسلمين، فقد جسّرت الهوة بين جماعة الحجيج وهذا البخار الفضولي، فاتحة قناة حوار بينهم (أي بين الأنا والآخر).

أمسك البخار قطعة الرّفيس غير أنه لم يفهم ما قاله له الإمام، سائلاً الحجيج عن مدى إتقانهم الفرنسية، فأجابه إبراهيم بأنه يفهم قليلاً الفرنسية. طرح البخار السؤال الآتي على إبراهيم: «لماذا لا يأكل المسلمون لحم الخنزير ولا يشربون الخمر؟ من ذا الذي حرّم عليكم هذا؟ أمحمد من حرّم عليكم هذا كله؟»، ثمّ أجابه إبراهيم محدقاً في أصحابه الحجيج: «يجب ألا نأكل لحم الخنزير وألا نشرب الخمر حتّى لا نُساق إلى الجحيم». وبينما كان إبراهيم يُترجم لأصحابه الحجيج تفاصيل هذا الحوار، لاحظ الإمام أن إجابة إبراهيم كانت ناقصة لأنه لم يذكر كلمة «محمد» التي تضمّنّها سؤال البخار، ثمّ عاد إبراهيم وأكمل إجابته قائلاً: «ليس محمد من حرّم علينا شرب الخمر وأكل لحم الخنزير، بل الله سبحانه»، ثمّ ردّ البخار ساخراً: «ولكن محمداً هو من أخبركم بهذا»⁽⁴⁾. ينسج هذا الحوار الديني مشهد الأنا الجمعية (أو النّحن: إبراهيم والإمام وجماعة الحجيج) في مواجهة الآخر (البخار).

وبينما كان البخار يردّ على إبراهيم، أقبل نحوهم حاج آخر تبدو عليه ملامح المثقف الجزائريّ،

(1) Voir : Malek BENNABI, *Lebbeik, op. cit.*, p34-35.

(2) Voir : *Ibid.*, p37-50.

(3) *Ibid.*, p67-68.

(4) *Ibid.*, p68-69.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآفر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

يُتابع مجريات هذا الحوار، وقف واتكأ هو أيضاً على العمود الحديدي (le bastingage)، بعدها تلثم إبراهيم من ردّ البحار. هنا تدخل الحاج الجزائري المثقف وردّ على البحار: «لا محمد ولا الله... بل الربّ من فرض هذا التحريم». ومن هذا الردّ انطلق حوار ديني بين الحاج المثقف (صورة الأنا المثقفة) والبحار (صورة الآخر)، يفضّل الفرق بين دلالة الله والربّ أو الإله، بيد أن البحار لم يكن يؤمن بوجود ربّ يسير هذا الكون إطلاقاً، مُرجعاً سبب انتشار الصراعات على وجه الأرض إلى الديانات المختلفة التي يعتنقها البشر، وهي صورة تعكس الآخر الرافض للدين. وفي سياق مُتابعة هذا الحوار، كان إبراهيم يُترجم حيثياته إلى أصحابه الحجاج الذين عبّروا عن اعتراضهم على ما بدّر من البحار مُستنكرين قوله. وها هو ذا الإمام يُشفق على حال البحار (الآخر) لعدم إيمانه بالله، وإنّ مصيره سيكون — لا محالة — نار جهنم خالداً فيها، في مقطع يُجسّد صورة الأنا المُشفقة على الآخر المُلحد. ثمّ ناول الإمام البحار قطعة رُفيس أخرى قائلاً له: «خُذْ، ها هي ذي قطعة أخرى، كُلّها قبل أن تلتهمك نار جهنم»⁽¹⁾، فضحك الجميع، في موقفٍ يَصوّرُ الأنا المُستخفّة بالآخر.

لقد خلق الحديث الذي جمّع الحاج المثقف المتكئ على العمود الحديديّ والبحار قناة لحوار بين الأديان، بين حاج مسلم وبين آخر لا يؤمن بوجود إله، بين مسلم يُرجع صعاب الحياة ومشاقها إلى المجتمع المتحضر الذي يصطنع قوانين هذه الحياة الدنيا بدافع المصلحة ويدوس على القوانين الإلهية والنفس البشرية، ومُلجّد يحتكم إلى قوانين بشرية غير خاضعة لسلطة دينية ويُجرّم الأديان. إنّ تعرّض الحاج إلى مثل هذه المواضع، لا سيّما في ردّه على البحار قائلاً: «بتجريمك الأديان، فأنت تُجرّم في قرارة نفسك التنوّع، أعتقد أنك تهتم اللغات أيضاً، أو أنك من مؤيدي الإسبرانتو...»، دليل على معدن الأنا الجزائرية المتعلّمة والمثقّفة والمُفكّرة والمُنفتحة على الآخر، هذا الآخر الذي يُكابّر عناداً بُغية استصغار الأنا والخطّ من قدرها. غير أن الحاج — في نهاية النّقاش — أجبر البحار (الآخر) بأن يعترف بسعة ثقافته (صورة الأنا التي تفرض نفسها وكيانها، جاعلة الآخر يعترف بمنزلتها)، هذا الحاج الذي أعاد ترتيب المفاهيم السائدة (حول علاقة الدين بالعلم) في ثقافة الآخر التي ترى المسلم المُلتزم غير مُتعلّم، وغير مُثقّف، وغير مُلمّ بالعلوم الدنيوية المختلفة⁽²⁾.

وفي سيرورة هذا الحوار، كان إبراهيم يُولي اهتماماً بالغاً بحديثات النّقاش الذي دار بين الرجلين، بين الحاج المثقف ذي الشاشية الحمراء والبحار، فتولّد لديه انطباع غريب بأن ما شهده كان مُبارزةً

(1) Malek BENNABI, *Lebbeik*, op. cit., p69–70.

(2) *Ibid.*, p70–71.

— الفصل الأول: — جدلية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

ملحمية بين الإسلام والكفر. وبالرغم من محدودية ثقافته ومستواه — في الفرنسية — الذي لم يؤهله لفهم الحوار كاملاً، أيقن بأن الحاج قد دافع عن الإسلام ونصره (في موقف يجسد الأنا المنتصرة للأنا)، خاصة أنه يتكلم الفرنسية بطلاقة⁽¹⁾. إن لقاء الآخر ومحاورته ومناقشته سبيل من السبل الكفيلة بإنزال الأنا منزلتها الحقيقية عنده (عند الآخر).

تنسج هذه الرواية مرجعية الأنا الدينية إبان الحقبة الاستعمارية، داعية الشعب الجزائري أن يستجيب لنداء الله وأن يتمسك بتعاليمه، دين الله الذي يعد الاستشهاد في سبيل تحرير الوطن أحد أركانه، ومبدأ من مبادئ العقيدة الإسلامية. وقد حاول مالك بن نبي، في روايته هذه، إنقاذ بطله إبراهيم من تأثره بالآخر الفرنسي، موطئاً شخصية العم محمد بوصفها رمزاً للأصالة والاعتزان والأمل. أما شخصية هادي الصغير فقد كانت شخصية حاملة لمشعل الثورة، بث فيها مالك بن نبي رعاية الأنا الناشئة. وكانت زهرة مثال الزوجة الصالحة، ومثال المرأة الجزائرية الصابرة والمحتسبة، التي بقيت تحترم إبراهيم حتى بعد فراقهما. لقد كانت المرجعية الدينية، والهوية الوطنية، والأصالة الجزائرية، من أبرز تجليات جدلية الأنا والآخر المبتوثة في حنايا هذه الرواية.

3.2.3.1 تجليات الأنا والآخر في رواية «La grande maison» لمحمد ديب:

تتجلى جدلية الأنا والآخر في رواية «La grande maison» لمحمد ديب في صراع الهوية والانتماء، فكان درس الأخلاق والقيم الذي ألقاه المعلم حسن على التلاميذ نقطة انطلاق هذا الصراع وإثارته. بعد أن خيم السكون على أرجاء القسم، سأل المعلم حسن تلاميذه: «من منكم يعرف ماذا يعني الوطن؟»، لم ينتبه التلاميذ لهذه الكلمة لأنهم لا يعرفون دلالاتها، فبحثوا حولهم، بين المناضد، على الجدران، عبر النوافذ، في السقف، في وجه المعلم حسن... فلم يتمكنوا من ضبط دلالة هذه الكلمة في الأماكن التي حدقت بها نظراتهم، هذا يعني أن كلمة الوطن ليست في هذا الفضاء. تبادل التلاميذ النظرات، ومنهم من كان ينتظر الإجابة بفارغ الصبر، إلى حين رفع إبراهيم بالي أصبعه، هذا التلميذ المعيد للسنة، قد يعرف الإجابة، فأجاب قائلاً: «فرنسا هي وطننا الأم»⁽²⁾، بعدها تسابق التلاميذ مرددين الإجابة نفسها. وهنا طفق الصراع الجدلي والنفسي الذي اتخذته الأنا في هذه الرواية، أثاره عمر الصغير باحثاً عن مفهوم الوطن، ومثيراً جدلية الانتماء في تفكيره.

(1) Voir : Malek BENNABI, *Lebbeik, op. cit.*, p71.

(2) Mohammed DIB, *La grande maison, op. cit.*, p20.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآفر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

بشفتين مزمومتين، يمضغ عمر قطعة الخبز في فمه مثيرًا تساؤلات عدّة، ففرنسا عاصمتها باريس، والفرنسيّون قدموا من هناك إلى الجزائر. ويعلم عمر أن البحر الأبيض المتوسط يفصل فرنسا عن الجزائر، وأن فرنسا بلد آخر غير بلده الجزائر، كيف لبلد (آخر) بعيد كهذا أن يكون بمنزلة أمّه؟ إنّ أمّه مأكثة في الدار واسمها عيني، وليس له أمّ أخرى سواها، لا يمكن أن تكون عيني هي فرنسا، إذ لا يوجد قاسم مشترك بينهما (بين أمّه وفرنسا)، كأنّ عمر يواجه كذبة وقد تمكّن من كشف خيوطها وفكّ رموزها، مُفادها أن فرنسا ليست أمّا له، بيد أنه يخشى البوح بما اكتشفه تفاديًا لوقع عصا الزيتون⁽¹⁾، في مشهدٍ يُصوّر الأنا المدركة لكيانها وهويّتها. بعدها، شرع المعلّم حسن في إلقاء درسه ضابطًا دلالة الوطن، وشارحًا بأن الوطن هو أرض الآباء والأجداد، وهو الأرض التي نسكنها منذ أجيال. ثمّ استفاض المعلّم حسن في شرحه مُفصّلًا: «بل إنّ الوطن يشمل الأرض وما عليها كلّ من كيان وسكان». وهنا يتساءل عمر: «هل يشمل الوطن صاحب المعطف الكاكي؟ والمعلّم حسن؟ وأمّه؟ وعويشة؟ ومريم؟ وسكان دار السبيطار؟ وحמיד سراج؟ هل يشمل الوطن هؤلاء جميعًا؟»⁽²⁾. تُبرز هذه التّساؤلات مسار الأنا الفرديّة المُحدّدة للأنا الجمعيّة بُغية إدراك الهويّة الجماعيّة.

وفي الوقت الذي كان يطرح فيه عمر هذه التّساؤلات، يُواصل المعلّم حسن التوسّع في تقديم درسه قائلاً: «وحين يأتي أجنب من خارج الوطن يُنصّبون أنفسهم سادة، فهذا يعني أن الوطن في خطر، على الشعب أن يدافع عن وطنه وأن يتصدّى لهؤلاء الأجنب الأعداء»، فالمسألة مسألة حرب بين الأنا والآخر، على الشعب أن يضحّي بالنفس والنّفيس في سبيل وطنه وفداءً له. كان يود عمر أن يسأل المعلّم حسن عن بلده، أي بلد هو؟ باحثًا عن الحقيقة بُغية إدراك هويّته وكيانه، فبليت المعلّم حسن قالها صراحةً وعرفه على هؤلاء الأوغاد الذين نصّبوا أنفسهم سادة في وطنه؟ مَنْ هم أعداء بلاده ووطنه الأمّ؟ لم يكن يجرؤ على طرح هذه الأسئلة لأنّه كان يمضغ قطعة الخبز في فمه⁽³⁾. وتنعكس هذه التّساؤلات المطروحة الأنا البريئة والواعيّة في الآن ذاته، فبالرغم من صغر سنّها، تُريد أن تنتفض في وجه الآخر الذي نصّب نفسه سيّدًا عليها (على الأنا) في عُقر دارها.

يواصل المعلّم حسن الشرح بعد أن اشتدت نبرات صوته حدّة وصرامة، واتّخذت طابعًا رسميًا، فمنّ يحبّ وطنه ويسعى إلى خدمته ويضحّي بنفسه فداءً له يُسمّى بـ: «الوطنيّ patriote». وهنا يتساءل

(1) Voir : Mohammed DIB, *La grande maison*, op. cit., p20–21.

(2) *Ibid.*, p22.

(3) *Ibid.*, p22.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآفر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

عمر: «هل يُعدُّ المعلِّم حسن وطنياً؟ وهل يُعدُّ حميد سراج وطنياً كذلك؟ كيف يمكن أن يكون كلاهما وطنيين؟ إنَّ المعلِّم — إنَّ جاز التعبير — من الأعيان، وحميد سراج رجل تلاحقه الشرطة مراراً، أيُّهما أجدر بصفة «الوطني» يا تُرى! المعلِّم حسن أم حميد سراج؟ ظلَّ هذا السؤال مطروحاً يستدعي جواباً وافياً...»⁽¹⁾. بعدها تعجَّب عمرواندهش لسماعه المعلِّم حسن يتكلم بالعربية وهو الذي كان يمنعهم من الكلام بها داخل القسم، فكانت هذه المرة الأولى التي يتكلم بها بالعربية. يُواصل عمر الصغير طرحه للنسأولات الجدلية باحثاً عن تحديد انتماء المعلِّم الحسن وضبط موقع الأنا من موقع الآخر (أهو أنا أم آخر؟)، صحيح أن اسمه حسن، وعمر يعلم أن المعلِّم حسن مسلم لأن اسمه — ببساطة — حسن، ولدرجة هيمنة لغة الآخر الفرنسي على التدريس آنئذٍ، اختلط الأمر على عمر الصغير⁽²⁾.

وبصوتٍ خافتٍ يُصاحبه عنف مثير للفضول والدهشة، صاح المعلِّم حسن: «لا تصدقوا إن قيل لكم أن فرنسا هي وطنكم». يا للعجب! لقد أدرك عمر هذه الحقيقة قبل أن يُصحَّح بها المعلِّم حسن، ثمَّ تمالك المعلِّم حسن نفسه لكنه بدا مضطرباً هنيئاً كأنه على وشك تلقين الصغار شيئاً ما! بيد أن قوة ما تمنعه من ذلك، فما مصدر هذه القوة يا تُرى؟ لماذا لم يُعلِّم الصغار حقيقة الوطن⁽³⁾؟ صوّر محمد ديب في هذا المشهد تحكُّم القوى الاستعمارية في التعليم وبسط سيطرتها على المجتمع الجزائري برمته، غير أن المعلِّم حسن استغل موقعه — ومهنته بوصفه مُعلِّماً — لزرع جدل الانتماء في نفوس الصغار وتعليمهم بأن فرنسا ليست وطنهم بل هي بلد آخر اغتدى على وطنهم ظلماً وعدواناً.

وبخصوص إيقاظ ضمير الأنا الجزائرية بالعلم وتحريك الأنا الجماعية من أجل الثور ضد المُستعمر، يُوظَّف محمد ديب شخصية حميد سراج بوصفها شخصيةً روائيةً تُمثِّل الأنا الجزائرية المثقفة والقارئة والواعية. بدأ حميد سراج يبتُّ رسائل الوعي والفكر في نفس عمر بإعارته كتاب: «الرجال والرجال *Les Montagnes et les Hommes*»، هذا الكتاب الذي أنشغف به عمر طوال أربعة أشهر، يُدارسه، ويقرؤه، سعياً إلى فهمه وفكِّ رموزه. وفي تصوير الأنا النسوية المنهرة بالأنا الذكورية المثقفة والواعية، يرسم السارد مشاهد جارات حميد وهنَّ يتطفلنَّ عليه حين كان يُطالع كُتبه، يتعجبن لأنه لم يسبق لهنَّ أن رأين رجلاً يقرأ الكُتب، فقد كان مختلفاً عن الرجال الذين يعرفهم⁽⁴⁾، الذين يكدُّون طوال يومهم من أجل لقمة العيش وتحدي صعاب الحياة ومشاقها، لا سيَّما أنهم تحت وطأة الاستعمار

(1) Mohammed DIB, *La grande maison*, op. cit., p22–23.

(2) Voir : *Ibid.*, p23.

(3) *Ibid.*, p23.

(4) *Ibid.*, p63–64.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآخري في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

والاضطهاد. لقد كانت اللحظة التي أوقفت فيها زينة النساء المتعاركات زافّةً إليهن خبر اعتقال حميد سراج من اللحظات التي صوّرت معاناة الأنا والظلم الذي يُمارسه الآخر الفرنسي المُعتدي في حق الجزائريّ المقهور، حيث كَبَل الدركيّون أيدي حميد بالأغلال، لتنفجر فاطمة أخته بالصراخ⁽¹⁾.

ولقد خلق نبأ اندلاع الحرب التي يشنّها زعيم النازية أدولف هتلر ضد جيوش الحلفاء (منهم بريطانيا وفرنسا) صراعاً جدليّاً آخرًا، فقد كانت صافرات الإنذار تدوي من حينٍ لآخر. وبينما كانت نساء دار السبيطار يتساءلن عمّا يحدث، إذ بالسي صلاح يصيح: «عودوا إلى منازلكم. كل ما يحدث هنا ليس من شأنكم»، ما يرسمُ صورة الأنا الفردية الواثقة من الأنوات الجماعية التي تتولى زمام الأمور. وبعد تبادل الرجال أطراف الحديث عن أسباب اندلاع هذه الحرب، في صورةٍ تعكس وضع الأنا القلقة وهي في حيرةٍ من أمرها، عاد السي صلاح ينصحهم: «عودوا الآن إلى منازلكم، فالرجال الذين يحكموننا يُدركون ما يفعلون». ليُجيبه آخر: «جعلك الله ممن يقولون الحقيقة، ولكننا لسنا متأكدين من هذا». ثم ردّ آخر: «لا! نحن من سيحصد المصائب، سوف يقع كل شيء على عاتقنا». وصرّح آخر: «فلننشغل بأعمالنا الخاصة، لدينا أعمال كثيرة نقوم بها حتّى نهاية أعمارنا. دعونا نعيش بسلام!»⁽²⁾، ما يعكس صورة الأنا الفاقدة للأمل، والتي ضاقت بالوضع الاستعماريّ ذرعًا.

4.2.3.1 تجليات الأنا والآخري في رواية «L'incendie» لمحمد ديب:

تُمثّل شخصيّة كومندار، في رواية «الحريق»، الشخصية التي تبتّ الوعي في نفس عمر الصغير، فقد كان كومندار يكشف له أسرارًا ويوقظ ضميره. في الحقيقة، لم يكن كومندار - آنثذ - يكثر بفهم الصبي عمر له أم لا، بل كان هدفه تنشئته وتوعيته وأن يحفظ ما يقوله له عن ظهر قلب، حتّى إذا كبر وصار رجلًا في المستقبل تذكّر قوله، وفهم مُرادَه، ثمّ أحسن تسيير حياته بما يخدم البلاد⁽³⁾، في مشهدٍ سرديّ يرسمُ صورة الأنا الجزائرية الحكيمة والواعية وهي ترى الناشئة وتهتمُّ بها. كما تُمثّل شخصيّة بن أيوب Ben Youb، هذا الشيخ الهرم، شخصيّة البطل الصريح والمقدام والشجاع، بدأ يُحرّك الأنا الجماعية لجيرانه وإخوانه الفلاحين بسبب الظلم الذي ألحقه بهم الآخر الفرنسي الذي استحوذ على أراضيهم. بدأ بن أيوب خطابه مُضمّنًا حديثه بأنهم (هو وجيرانه) مسؤولون، إنْ تخلوا عن أراضيهم وهجروها ولم يدافعوا عن حقوقهم، أمام أبنائهم وأحفادهم والأجيال القادمة التي تأتي بعدهم، ليرفع

(1) Mohammed DIB, *La grande maison*, op. cit., p106-107.

(2) *Ibid.*, p177-182.

(3) Mohammed DIB, *L'incendie*, op. cit., p13.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآفر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

بن أيوب من جدّة خطابه مُتوجّهًا إلى جيرانه:

«ألسنا كالأجانب في بلادنا؟! والله إنني، يا جيرياني الأفاضل، لا أقول لكم إلا ما يجولُ في خاطري وما أشعر به، يبدو كأنّنا نحن الأجانب وأن الأجانب هم أبناء هذه البلاد الحقيقيّون وأهلها. إنهم، بعد أن تسيّدوا كل شيء، ها هم أولاء — فجأةً — يُريدون أن يكونوا سادتنا ويستعبدوننا. وإنهم، باستنزافهم ثروات أرضنا، يُوجبون لأنفسهم كرهنا وبُغضنا. صحيح أنهم مُتمكّنون من التقنيّات الزراعيّة، وهذه حقيقة واضحة لا غبار عليها، فلا نُماري صِحَّتْها شيئًا! ولكن هذا لا يمنعنا من أن نعتزّ بأن هذه الأراضي جميعها أراضينا، نستصلحها ونزرعها أو لا نستصلحها إطلاقًا، فلقد سُلّبت منا بغير وجه حق. وهم يخنقوننا الآن بأراضينا هذه، ألا تعتقدون أننا محبوسون جميعًا كأننا نُقتاد إلى السجن وقد أخذ بخناقنا؟ لم يَعدْ بوسعنا التنفس، أيها الإخوة، لم يَعدْ بوسعنا التنفس! [...] أمعنَ بن أيوب النّظر في جيرانه الصامتين الواحد تلو الآخر، ولم تُعدْ عيناه تعكسان الآن تلك الضحكة التي كانت تُصبِحُ وجهه بشرارات شديدة التلألؤ في وقت سابق، مُتسائلًا: مَنْ منكم لا يزال بوسعه التنفس فليسمعنا شقيقه وزفيره؟ مَنْ منكم بوسعه التنفس؟»⁽¹⁾. وهنا تجلّت الأنا الجزائرية المُنتفضة من الظلم الذي ألحقه بها الآخر المُستَغْمِر.

ثمّ واصل بن أيوب التحديق في أوجه جيرانه واحدًا واحدًا، بيد أن السكوت كان يُخيم على محياهم: «كل يوم يقطعون طرفًا من لحمنا يُخَلِّفُ جرحًا عميقًا في حياتنا، كأنهم يقتلوننا ببطء شديد لنذوق العذاب. قاوموا يا جيرياني حتى الرّمق الأخير من حياتكم، اعملوا وأجهدوا أنفسكم لكن لا تتخلوا عن أراضيتكم. إن تخلينا عن أراضينا، يا جيرياني، سنعيش بؤساء مذلولين ما حيينا، نحن وأبنائنا والأجيال التي تأتي بعدنا». بهذه الطريقة المُفعمة بالمشاعر الجيّاشة، غادر الفلاحون اللّقاء وقلوبهم تلفظ صراعا داخليًا لم تستطع شفاههم إخراجَه، لقد حرّك الصراع الداخليّ، وحديث النّفس هذا، الأنا الجمعيّ للفلاحين، حتّى إذا خلا كلّ فلاح بنفسه، عادت إليه كلمات بن أيوب، واسترجع الموقف، وبدأ شريط الصراع الجدليّ يشغل في ذهنه: «هل كان الجار بن أيوب محقًا؟»⁽²⁾.

وبعد مرور بضعة أيام، عاد كل من عيسى Aissi، وبوشناق Bochnak، وامحمد M'hamed، ونجار Nedjar؛ لرؤية بن أيوب Ben Youb، يستفسرون عن مَقْصده ومُرادَه من خطابه السابق، فأوضح لهم ناصحًا أنه ينبغي للفلاحين أن يحرقوا الأرض بعمق يتجاوز الذراع، ثمّ حاول إقناعهم بأن

⁽¹⁾ Mohammed DIB, *L'incendie*, op. cit., p45–46.

⁽²⁾ Ibid., p46–47.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآفر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

الأمر ليس صعباً، بل يستدعي رجالاً فقط، قائلًا: «إنّ نظرنا إلى أنفسنا وحولنا لا شك أننا سنكتشف رجالاً سيدهشون العالم وسيدهشوننا جميعاً بسواعدهم القوية». ثمّ قال بوشناق: «... نُعدُّ شهود عهدٍ جديدٍ، وربما لسنا مجرد شهود، بالتأكيد، لنا دخلٌ مباشر فيما يحدث من ظواهر، نحن و... أخيرًا العالم. الجدير بالذكر، أن كل ما يحدث يعود إلى ذواتنا». ثمّ علّق امحمد قائلًا: «يُفكّر الرجل الجزائري كثيرًا في هذه الأيام في شيء ما يُخالج قلبه لم يهتدِ إلى كُنْهه. لا بأس، ما الذي سينجم عن هذا كلّه يا ترى؟! أمل أن يكون خيرًا إن شاء الله». ثمّ ردّ عليه بن أيوب: «الخير آتٍ أيها الجار الطيب امحمد، عساه خيرًا! لن نجني سوى الخير، صدّقني أيها الجار العزيز»⁽¹⁾، في مشهدٍ تُطمئن فيه الأنا الفردية الأنوات الجماعية حول مستقبلها.

وفي الاعتزاز بالوطن وروح الانتماء الجزائريّ، يُخاطب با ددوش Ba Dedouche الفلاح الشاب قائلًا: «لا يوجد في هذا الكون بلد مثل بلدنا». ثمّ واصل با ددوش كلامه: «اذهب حيث شئت من هذا العالم، فإن وجدت بلدًا مثل بلدنا أخبرني حينها... لا أعتقد أنك ستجده، لا أعتقد ذلك، لا أعتقد أن ثمة بلدًا يُضاهي بلدنا في الجمال والعظمة»⁽²⁾، في مقطعٍ يُجسّد الأنا المفتخرة بانتمائها إلى الجزائر.

بينما تُمثّل شخصيّة السيّد قارا Messire Kara، في هذه الرواية، الشخصيّة المتواطنة مع الآخر الفرنسيّ، لدرجة وصفه المناضلين الجزائريّين في الجبال باللصوص، وأن عملياتهم ومقاوماتهم وثوراتهم عبارة عن صراعاتٍ قبليّة جاهليّة. ليأتيه الردّ من سليمان مسكين بأن زمن اللصوص هو هذا الزمن، «لأن المعمرين سُراق، والقايد سارق، ورجال الدرك سُراق، والحاكم الإداري سارق، والسيّد قارا... والسيّد قارا؟ سارق كذلك. كلّم سُراق وقحون بدون خجل ولا حياء... ثمّ أظلم جبين الرجل السمين». بعدها ادّعى قارا بأن سليمان كان يتكلم فقط ليُثبت ذاته، ويُبرز كيانه، ويُعلي من مكانته أمام الناس وشأنه. بعدها شرع سليمان مسكين بقصّ ما حدث لعائلته، فقد كان هو ووالده وأمه وأخويه فلاحين بُسطاء، بعدها «جاء» عسكر المُستعمر الفرنسيّ فجأةً «وأخذوا» والده، هذا الرجل المسالم الذي لم يقترب أي خطأ، ثمّ توجه سليمان إلى قارا مُخاطبًا: «إنّك تعرفهم» يا السي قارا، وتعرف طبيعة هؤلاء الجنود والحرس البلدي ورجال الدرك والقياد... لعنهم الله جميعًا. تأفّف السيّد قارا من جرّاء سماع هذا الكلام⁽³⁾، في مشهدٍ روائيٍّ يرسمُ صورة الأنا المتجاهلة للأنا، أو الأنا المنكّرة للوضع الاستعماريّ، والمتواطنة

(1) Mohammed DIB, *L'incendie*, op. cit., p48-49.

(2) Ibid., p49.

(3) Ibid., p67-68.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآفر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

مع الآخر الفرنسي والمتعاطفة معه.

وفي طريقهم لحضور اجتماع رجال القرية، اصطحب الفلاحون الذين أتوا من جهة بني بوبلان "الفوقاني" بن أيوب بعد أن أنبئوه بأن حميد سراج موجود في بني بوبلان، فأجابهم قائلاً: «نحن أهل القرية وأنا سها نُقدّر الرجال بقدر معارفهم وحكمتهم. إن كان من هذه الشريحة، فمرحباً به مُعزّزاً مُكرّماً، يصعب اليوم وجود رجال أمثاله بيننا»⁽¹⁾، وهي إجابة تعكس صورة الأنا البسيطة (التي تتمنّى الفلاحة) التي تحترم الأنا المتعلّمة والمثقّفة وتعتزّ بها. وفور وُصولهم إلى مكان الاجتماع، حُي بن أيوب بحرارة، وأعجب حميد سراج بوقار هذا الشيخ الذي لم يكن يعرفه من ذي قبل، ثمّ استهلّ بن أيوب الكلام بتفاؤل: «سينمو قمحنا عندما تُكرم أرضنا وتكون أقلّ عرضة للسطو والإهانة». من هنا طفق الجميع بالكلام، وبعد كلام مُتبادل بين الحاضرين، بين با ددوش وعلي بر رايح Ali bér Rabah وسليمان مسكين Slimane Mesquine، شرع با ددوش مباشرة في تقديم حميد سراج للحاضرين: «إنّ السيّد الحاضر معنا بُورجوازي ومُثَقَّف ومُطَّلَع على المعارف كافة»، ليردّ عليه علي بر رايح: «يا با ددوش! أعتقد بأنك لست معنا! استسمحك... حميد أخ لنا جميعاً»، ما يُصوّر مشهد الأنا المُفتخرة بالأنا والمُعترّة بها، ثمّ ردّ با ددوش قائلاً: «هذا ممّا لا شكّ فيه... بالعكس، هذا شرف لنا جميعاً». بل حاول با ددوش إعلام الحضور بثقافة حميد وسعة اطلاعه على العلوم والنهل منها (أي إجلاء مكارم الأنا المثقّفة وجأهها)، وأن حميد أتى ليجتمع وهؤلاء الفقراء والبؤساء والفلاحين. وهنا، ابتسم حميد بخجل⁽²⁾، مما يعكس تواضعه ودماثة أخلاقه.

ثمّ شرع حميد في تنظيم الجلسة وطلب تعيين رئيس لها يُعطي الكلمة لمن يرغب في التدخّل، وفسّر للفلاحين سبب تعيين رئيس للجلسة وسبب هذا الاجتماع، من باب النقاط التنظيمية، بعدها عُيّن سيد اعلي رئيساً للجلسة. وبعد الفوضى التي كانت تطبع الجلسة لطبيعة هؤلاء الفلاحين البُسطاء الذين لم يلتزموا الصمت بعد، تدخّل المزارع شارحاً الوضع بأن هذه عادة سكان الريف، يتكلمون كثيراً ويُدقّقون في الأمور كلّها، لا تفوتهم شاردة ولا واردة، يتكلمون قبل أن يُباشروا عملاً ما، مُوجّهًا كلامه إلى حميد سراج⁽³⁾. ثمّ قال المزارع: «على أي حال، نحن شعب حزين!»، بعدها تحدث الكرغلي مُطوّلاً، ثمّ بادر كلّ فلاح منهم إلى سرد مُعاناته إلى أن وصل الأمر إلى عيساني عيسى الذي صرّح قائلاً: «إنّ الغرض من

(1) Mohammed DIB, *L'incendie*, op. cit., p79.

(2) *Ibid.*, p79–80.

(3) *Ibid.*, p82–85.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآفر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

اجتماعنا اليوم جميعًا هنا — في هذا المكان على وجه التحديد — هو وقف هذا الذلّ والاحتقار والخزي عن أنفسنا». ومن ثمّ، فهم حميد سراج ضرورة الاستماع إلى انشغالات هؤلاء الرجال، والمهم أن هؤلاء الفلاحين كسروا هاجس الخوف والصمت وصاروا يُعبّرون عن مُعاناتهم بطلاقة⁽¹⁾، ما يرسم صورة الأنا الواعية التي تمسك بزمام الأمر وتتحمل مسؤولية بثّ الوعي في نفوس الأنوات الأخرى، بُغية تحديد المصير المُشترك. فبينما هم كذلك، إذ رفع بن سالم عدّة Bensalem Adda من حدّة صوته قائلاً: «لماذا لا نتحدثون عن المستوطنين؟»، فكان سؤال بن سالم عدّة في صميم المُتسبّب في معاناة هؤلاء الفلاحين، لقد أصاب كبد الحقيقة بسؤاله هذا، سبب مُعاناة الأنا ومصدر تعاستها، أكيد يجب التطرّق إلى الآخر مصدر هذه الآلام، يُواصل قائلاً: «كان من الأجدر أن نتحدث عن أولئك المسؤولين عن آلامنا تحديدًا»⁽²⁾. تكلم بن سالم عدّة بلهجة حادّة وكان وجهه يعكس حال البؤس الذي يُعاني منه الجزائري المُجرّد من أملاكه وأرضه، لقد حرّك سؤال بن سالم عدّة الأنا الجمعيّ للفلاحين وبثّ في نفوسهم الوعي.

وفي خضم ما أعقب سؤال بن سالم عدّة من تداعيات، ذُهل الجميع، وهنا استرجعت الثقة لحميد سراج الذي كان ينوي الردّ على بن سالم عدّة، بيد أن سيد اعلي سبقه إلى الردّ: «متأكد بأنه لا يوجد مكان في العالم يحظى به أناس يمثل هذا التعاطف الكبير مثلما يحظى به الفرنسيون في بلدنا، فكيف تجاوب الفرنسيون مع هذه الصداقة التي كانت، بحق الأرض التي توحدنا، صداقة صادقة وخالصة، كيف تجاوبوا معها؟ أجيّبوني بركم؟ [...] لقد صنعوا من أنفسهم آلهة وأرادوا منّا أن نعبدوها. بارك الله في آبائك وأجدادك يا بن سالم، أتحت لي الفرصة لأقول ما كان يدور في ذهني، لقد حان الوقت لأفصح عمّا في جعبتي»⁽³⁾.

وفي الموقف الذي تلقى فيه جيلالي بن أيوب Djilali ben Youb أمر الالتحاق بالثكنة، لبست زوجته الحداد واكتست والدته ثوبًا بُنيًا حزينًا. وهنا بثّ محمد ديب، في صور شخصيات روايته، مشاهد الحزن وصيحات نسوة القرية، فهذه تندب، وأخرى تنوح، وأخرى تضرب فخذيها، وأخرى تصرخ وتضرب صدرها، وأخرى تلعن العسكر، وأخرى تخذش وجنتيها بأظافرها... وهذه المشاهد تصوير للأنا الجمعيّ النسويّ ومُفاسمة الجيران آلام بعضهم البعض. لقد كان قارا هو المُتسبّب في هذه المأساة، لقد خان قارا جيرانه بإفشاء أسرارهم إلى السلطات الفرنسية حتّى ينقص تعداد بن أيوب وامحمد، لقد كان قارا يحقد

(1) Mohammed DIB, *L'incendie*, op. cit., p85–88.

(2) *Ibid.*, p88–89.

(3) *Ibid.*, p89.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآخري في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

على بن أيوب حَقْدًا شديدًا ويُضمّر له عداوة كبيرة⁽¹⁾، ما يُبرز صورة الأنا الخائنة التي تكيدُ الكيدَ لأختها الأنا.

وعندما كان عمر يجوب شوارع المدينة حاملاً معه قطعة الخبز، كان في الشارع صبية مثله يتسكعون ويتربّون مُطاردة الرُقباء، يُحدّقون في ألبسة الرجال والنساء والأطفال الأوروبيين وأجسادهم النظيفة والسليمة، لدرجة أن أطفال الأوروبيين يخشون العرب، فإذا أراد الأوروبي — على سبيل المثال — ترويع ابنه بسبب مشاكساته أو أراد إسكاته، قال له: «أتسكت أم سأنادي العربي»⁽²⁾. يعكسُ هذا المشهد السردِيّ صورة الأنا البريئة المنهرة بالآخر، وصورة الأنا الجزائرية والعربية البريئة لدى الآخر الأوروبي، ما يُجسّدُ النظرة الاستعمارية المُزدريّة. ذات مرة كان عمر جالساً على مقاعد مُثبّتة في ساحة البلدية، بعدما تجوّل في السوق المغطاة، إذ برجل أوروبيّ يصطحب طفلاً صغيراً يدنونه، أحسَّ عمر بخوف شديد من جرّاء اقتراب هذا الفرنسيّ اتجاهه، ما يُصوّر خوف الأنا الجزائرية البريئة من الآخر الفرنسيّ، لقد كان هذا الفرنسيّ يُريد اصطحاب عمر إلى السوق ليحمل له بعض الأغراض التي يفتنّها من هناك، وهذا دليل على احتقار الآخر للأنا، فتجد الفرنسيّ يُصقّر في مناداته لأحدٍ من الأهالي (! pst ! pst) ويستخدمه حملاً لأغراضه⁽³⁾، وهذه قِمة المهانة والدّلّ التي تعرّضت لها الأنا الجزائرية إبّان الحقبة الاستعمارية.

5.2.3.1 تجليات الأنا والآخري في رواية «Le métier à tisser» لمحمد ديب:

يُصوّر محمد ديب في مقطعٍ سرديّ من رواية «Le métier à tisser» مشاهد استنزاف الآخر الفرنسيّ ثروات الشّعب الجزائريّ وخيراتهِ، إذ يُصوّر الانتشار المفاجئ للمصانع وورش النّسيج التي كانت تُتخذُ سبيلاً لمغادرة السّجاد والبطانيات إلى فرنسا، بلا انقطاع، وفور وصول هذه المنسوجات إلى فرنسا، يقتنّها الألمان بالميزان ولا يهتمون بجودتها، فقد كانت تُمرّق وتُقطّع وتُسحق ثمّ تُحوّل إلى مادة خام. وتُصوّر رواية «Le métier à tisser» الحالة المزريّة التي آل إليها الشّعب الجزائريّ من فقرٍ وتشرّدٍ في الشوارع والأزقة، فقد كان الشّعب في حالةٍ يُرثى لها⁽⁴⁾. حينما سأل غوتي أمين Ghouti Lamine عمرَ عمّا كان يفعل قبل أن يلتحق بهم في ورشة النسيج، أجابه عمر بأنه كان يذهب إلى المدرسة، ثمّ ردّ عليه أمين: «آه! يمكنك القراءة والكتابة إذن»، فأجابه عمر: «أجل». ثمّ سأله أمين: «وهل تعرف القراءة والكتابة

(1) Mohammed DIB, *L'incendie*, op. cit., p102–106.

(2) *Ibid.*, p163–164.

(3) *Ibid.*, p165.

(4) Mohammed DIB, *Le métier à tisser*, op. cit., p16–19.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآفر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

باللغة العربية؟»، أجاب عمر: «لا»، ثمّ ردّ عليه غوتي لمن مُمعناً فيه النّظر: «كيف هذا؟ ألا تعرف لُغتك يا بني!». بعدها عاد عمر إلى عمله وقد خلّفت كلمات لمن في نفسه جدالاً وحيرة. وأمام المغزل، تذكر عمر أيام المدرسة مُتسائلاً في نفسه: «يا تُرى، ما كانت حاجتي في هذا كلّ؟»⁽¹⁾، في مشهدٍ يُصوّر الأنا البرينة المُتسائلة عن سبب مزاولتها الدّراسة — في وقتٍ مضى — ما دامت لم تتعلّم لُغتها الأمّ، ولم تُحسّن من وضعها الاجتماعيّ.

وحينما قرّر عكاشة المغادرة، وقد سبق قرار مغادرته إرهاصات السكوت والانطواء على نفسه، سأله ذات مرة عمر قائلاً: «سوف تُغادر... وماذا بعد ذلك؟»، فكانت إجابة النّسّاج عكاشة تبحث في فرض الأنا والاحترام الذي يجب أن يُقابل به الناس، مُتسائلاً عن نظرة الأوربيين إلى الجزائريّ؟ (أي نظرة الآخر إلى الأنا) وكيف ينظر ماحي بوعنان Mahi Bouanane إلى غيره من النّاس؟ فالأوربيّون ينظرون إلى ماحي بوعنان على أنه ذلك العربيّ الذي لا قيمة له، أي شخص بلا مُثل، أي ذلك الجاهل الخاضع لهم (خضوع الأنا للآخر). ويُنظر ماحي بوعنان إلى غيره من الجزائريّين على أنهم جياع ومساكين، لا سُبُل لهم في هذه الحياة (أي نظرة الأنا الخاضعة للآخر إلى نظيرتها الأنا المُقاومة والمُتمسكة بمقوماتها)، فهُم — حسب اعتقاده — أقرب إلى الهيمة منهم إلى الإنسان، شعب كسول يسعى إلى العيش دون عمل⁽²⁾. وشخصيّة عكاشة التي وظّفها محمد ديب في روايته هذه كانت شخصيّة مُحركة للأنا الجمعيّة، إذ يُمثّل هذا المشهد السردّي قيمة الأنا الجزائريّة لدى الآخر الفرنسيّ، كأن الجزائريّ المسلوب من أرضه أصبح لا يُمثّل شيئاً للآخر الفرنسيّ المُستعمر.

وبعد خروج عمرو عكاشة من دكان الشواء يتجولان في شوارع المدينة، قال عكاشة لعمر: «عمر، ماذا لو كنّا نحن المذنبين في بؤس إخواننا؟ أبذنبنا إخواننا تُعساء؟ هل لنا يد في حالة البؤس هذه؟» كان عكاشة يُحمّل نفسه جزءاً من المسؤولية في حالة البؤس التي يعيشها الناس، ثمّ التفت عكاشة إلى عمر وخاطبه مُبتسماً: «كأن هذا البلد ليس لديه ما يتوقعه من رجاله»، بعدها طلب سيجارة من عمرو وتغيّرت لهجته وملامحه، ثمّ صاح عمر متسائلاً: «كيف هذا؟ من غير المعقول ألا يتوقع هذا البلد شيئاً من رجاله؟»⁽³⁾. ويعكس هذا السؤال الجدليّ — من بدايته — صراع الأنا من أجل إيجاد سبيل للتخلّص من بطش الآخر.

(1) Mohammed DIB, *Le métier à tisser*, op. cit., p57.

(2) *Ibid.*, p124–125.

(3) *Ibid.*, p137–139.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

6.2.3.1 تجليات الأنا والآخر في رواية «La dernière impression» لمالك حدّاد:

حينما كان سعيد يُمعِنُ نظره في الجسر الذي شيّده، كانت لوسيا تُتابع نظراته بعناية فائقة، ثُمَّ سألتَه بصوتٍ طفولي: «ألا يزال قائماً؟»، وهنا أجابها سعيد مُنفَعلاً ضاعطاً على فكّيه بشدّة، لدرجة أن أسنانه اصطكت: «ولمَ لا!»، بالرغم من أن سؤال لوسيا كان عفويّاً، بيد أن سعيد كان له تأويل آخر⁽¹⁾، في مشهدٍ سرديٍّ يُصوِّر الأنا القلقة والمُضطربة خشية أن يكتشف الآخر خططها. وفي مقطعٍ يُجسِّدُ الأنا الراض للآخر، رفضت ما مسعودة زواج ابنها بإدير بالفرنسيّة سيمون، بل راحت تنعتها بأبشع الصفات واصفةً إيّاها بـ: «الخنزرة «La khenza»»، أي المرأة القذرة التي لا تغتسل، أو المرأة الأجنبية عن المجتمع الجزائري والغريبة عنه بصفة عامة⁽²⁾، في مشهدٍ روائيٍّ بثّ فيه السارد (مالك حدّاد) صورة الأنا الجزائرية الراضة للآخر الفرنسي بالرغم من حبل الودّ الرابط بينهما (أي بين الأنا الجزائرية المتمثّلة في شخصيّة إدير، والآخر الفرنسي المتمثّل في شخصيّة سيمون).

وفي وصفٍ الآخر والاستهزاء به، وُصف السيّد روجان M. Rogin بأنه دبّ، دبّ أشوس ولكنه دبّ، لقد تغيّر كثيراً منذ اندلاع الحرب. وربط سعيد بطل هذه الرواية تفكيره المصاحب لهذا الموقف بمقال كامو Camus الذي كان قد قرأه مؤخراً، المُتضمّن مقولة: «لقد حان الوقت الذي يجب أن ينضم فيه كلّ واحد مِنّا لشيئته»⁽³⁾، أي عندما يتعلّق الأمر بالوطن، تنتهي الصداقة والعلاقة والتعامل، هذا كلّهُ في سبيل الوطن.

وفي رواية «الانطباع الأخير»، تُمثّلُ شخصيّة بوزيد، شقيق سعيد، الشخصيّة البائسة للوعي، فيها هو ذا سعيد يتنفس الصعداء حينما علم بأن قوات الاحتلال لم يستطيعوا القبض على أخيه بوزيد حينما أتوا على الثالثة صباحاً للبحث عنه في بيته، إنّ رابطة سعيد بأخيه بوزيد كانت أكثر من مجرد رابطة أخوة بسيطة، فقد كان أخوه الذي أيقظ في نفسه مبدأ الكفاح ومنّ ثَمَّ أحياناً ضميره الوطني. وهنا تبدّى المشاعر التي تكُنّها الأنا لأختها الأنا، بحيث تتجاوز هذه المشاعر الأخوة في الولادة وصلة القرابة لتُدرِك الأخوة النضال في سبيل الوطن. وفي هذا السياق، يُخبر السيّد بلحاسن ابنه سعيد قائلاً: «سألوني أين هو...؟ كانوا...، لقد سألوا، وفعلوا، وقالوا... ضمير النكرة؟ ضمير شخصي؟ ... هم، هم بشر، هم قومٌ، ومع ذلك لديهم اسم، هؤلاء الأشخاص المجردون من آداب اللياقة وحدودها. لاحظ سعيد أن

(1) Malek HADDAD, *La dernière impression*, op. cit., p21.

(2) *Ibid.*, p36.

(3) *Ibid.*, p64.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآخري في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

والده لم يَعدْ يُعلّق وسام جوقة الشرف على صدره»⁽¹⁾. يُعبّر هذا المقطع — بعباراته وضمائره — عن الآخر الفرنسي، مصدر إزعاج الأنا وسبب مُضايقتها.

ومن الخطاب الجدليّ الذي نسج به مالك حدّاد خيوط رواية «الانطباع الأخير»، تركيزه على وجوبِ تغيّر الأحداث، ووجوبِ قلب الصفحة. لقد كان جيل سعيد جيلاً من بُناة الجسور، وجسور النوايا الطيبة والحسنة، لقد سدّ جيل سعيد الفجوة، ومن ثمّ وجب تهديم الجسر، وجب التضحية برجال. حينما قال علي لسعيد: «سوف تُعيدون بناء جُسرٍ أخرى»، كان يقصد جسور الحريّة والاستقلال، فقد يختفي جيل سعيد يوماً ما، هذا الجيل الذي عاش الحرمان، هذا الجيل الذي عاش المعاناة، هذا الجيل الذي عاش القهر، إنّه جيل الربيع الداميّ (مجازر 8 ماي 1945م)، إنّه لجيل حزينٍ حقاً⁽²⁾. في مشهدٍ يُبرز صورة الأنا المضحية في سبيل استقلال الوطن وتحرّره، اضطرت فيه — الأنا — لتخريب الجسر الرابط بينها وبين الآخر لتتّعمّ باستقلالها وتحقيق حُرّيّتها.

7.2.3.1 تجليات الأنا والآخري في رواية «Le quai aux Fleurs ne répond plus» لمالك حدّاد:

يُثيرُ خالد بن طوبال، بطل هذه الرواية، مسألة غربة الجزائريّ في بلاد الآخر، ما يجعله لا يحسُّ باندلاع الحرب في بلاده الجزائر. فهي هو ذا خالد يتدبّر: «في بلاد مونيك، تبدو فرنسا جميلة. في بلادها (أي في بلاد مونيك)، فرنسا لا تجعلك تفكر في الحرب إطلاقاً...»⁽³⁾، في مشهدٍ روائيٍّ يَصوّر إحساس نُزوح الأنا عن وطنها وبُعديها عنه. ومن شدّة تفكير خالد بوضع الجزائر وتعلُّقه بأحوالها، كانت مونيك تتحدث عن الجزائر، وبأن الجزائر بحاجة ماسّة إلى خالد، بينما كان خالد يشكّ أحياناً في صدقها⁽⁴⁾، إذ من غير المعقول أن يهتمّ الآخر بنا، لا سيّما إن كان هو مصدر آلامنا وأحزاننا. يتماهى صوت مالك حدّاد وصوت بطله خالد بن طوبال في غير ما موضعٍ من هذه الرواية، فحين أخبرت مونيك خالد بأن الجزائر بحاجة ماسّة إليه، تبسم وقتها، وهي ابتسامة ترسمُ موقف الأنا المُستخفّة بالآخر. ثمّ عرّج على مَنْ يعتقد بأن وجود الكاتب ضروريّ لحياة مجتمعٍ مُكافح بُغية خلوده، واصفاً هذا الاعتقاد بالأضلولة، لأن الكاتب ليس بوسعه تغيير مسار التاريخ، فالتاريخ عظيم بما يكفي بأحداثه ووقائعه ومساره، والكُتّاب والروائيّون

(1) Malek HADDAD, *La dernière impression*, op. cit., p65–66.

(2) *Ibid.*, p166.

(3) Malek HADDAD, *Le quai aux Fleurs ne répond plus*, op. cit., p20.

(4) *Ibid.*, p26.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآفر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

والشعراء والفنانون ما هم إلا شهود ظواهر عارضة، «فالوطني لا يصنع الوطن، بل إنَّ الوطن هو مَنْ يسمح للوطنيين بأن يكونوا كذلك...»⁽¹⁾، في مشهدٍ روائيٍّ تبحث فيه الأنا الكاتبة (والمُثَقَّفة عُمومًا) عن ضبط موقعها في كتابة تاريخ الوطن.

وتتجلى أنا الكاتب مالك حدّاد في شخصيّة بطله خالد، فلقد كان خالد جزائريًّا لأنه عُرِف — هكذا — بأنه جزائريٌّ، ومنَّ منطلق مبدأ الهويّة وهذه البديهيّة، كان خالد يحتفظ في ذاكرته بأنه جزائريٌّ، وهذا دليل على طفل مخلص لطفولته، لقد كان جزائريًّا لأن اثنين زائد اثنين تساوي أربعة ولا شيء يُثبت صحّة هذه العملية الحسابيّة المنطقيّة أكثر من ذلك. كما تجلّت شخصيّة الكاتب في صورة بطله (خالد بن طوبال) حينما سمع بأن المناضلين الجزائريين ورجال المقاومة ينشدون أشعاره في الجبال والغابات ومراكز المقاومة والسجون، لم يعتريه أي فخر ولم تغمره أي سعادة، بل شعر بخوفٍ شديد وأصيب بذعر رهيب، مُتسائلًا: «هل هو في مستوى تطلّعات هؤلاء الرجال وثوراتهم وجنوحهم التاريخيَّة؟»⁽²⁾، كأنَّ مالك حدّاد كان يُقارن مشواره الأدبيّ — وما قدّمه بوصفه شاعرًا وروائيًّا — بمنَّ جاهد بنفسه في سبيل تحرير هذا الوطن.

وبخصوص معنى الوطن، فلا يمكن — حسب الراوي — أن يُدرّس مثل درّس الحساب، ولا يُشرح بكلماتٍ معدودة، ولا يُحكى بوصفه حكاية؛ بل إنَّ المسألة تُعنى بكيانٍ مبنوٍّ في روح الإنسان، يُجبلُ عليه (درج عليه) المرء منذ نُعومة أظفاره⁽³⁾. فالوطن في مناجاة خالد هو الماضي والفلاح، وجوع الرجال، وبرد الرجال، والرجال الذين يُصفعون ويُعذّبون، وحالة الطوارئ التي كانت تُعلن في المدن الجزائريّة. الوطن في قاموس خالد هو وُزَيْدَة زوجته، والغابات المباركة، والرمال النائمة، والجبال الشريفة، والأطفال البريئين⁽⁴⁾، وهذه كلّها من أبعاد الأنا المبتوثة في حنايا الرواية. دخل خالد في مناجاة تُعبر عن مشاعره العميقة وأفكاره الدفينة، فقد عبّر عن الآخر بلفظ وحوش (les monstres)، وأن هذا الاستعمار الوحشيّ سيُرحّل عاجلاً غير آجلٍ، وستُحرّر السجون، وستعمُّ البهجة شوارع الجزائر وجبالها وصحراءها، وسيخلدُ مجد الرجال الذين كانوا بالأمس أطفالاً يتطلعون إلى غدٍ أفضل، وسيُصعّ تاريخهم بأحرفٍ من ذهب، بوصفهم أساطير الجزائر وعظماءها، الذين بفضلهم ستستعيد الجزائر سيادتها وأمنها ومكانتها⁽⁵⁾.

(1) Malek HADDAD, *Le quai aux Fleurs ne répond plus*, op. cit., p26.

(2) *Ibid.*, p28–29.

(3) Voir : *Ibid.*, p29.

(4) Voir : *Ibid.*, p72.

(5) Voir : *Ibid.*, p29–30.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآخَر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

وفي مشهدٍ روائيٍّ ينسجُ حالة الأنا المثقفة التي تُريد فرض نفسها، يُحاولُ خالد إثبات نفسه وإبراز كيانه في قوله إنه أن الأوان أن يُقدِّم نفسه شاعرًا، يُكافح بكلماته ويفرض وجوده بين الرجال المناضلين في الجبال، إذ أبي إلا أن يُسجِّل اسمه في قائمة المدافعين عن بلده، في هذه الحرب الشَّعْواء التي تقودها فرنسا على الجزائر (التي يعتدي فيها الآخر على الأنا)⁽¹⁾. وتجلَّت أنا مالك حدَّاد كذلك وتمثَّلت في شخصيّة بطله خالد بن طوبال في أثناء المقابلة الصحفية التي جمعتة والصحفيّ السويديّ الذي استجوبته سائلًا: «هل الكُتاب الجزائريُّون جميعًا مثلك مهووسون بما تسمونه بـ"مأساة اللسان"؟»⁽²⁾، كأن هذا السؤال طُرِحَ على مالك حدَّاد مباشرة، أو طرحه مالك على نفسه، إنَّها مأساة التعبير بلُغة الآخر، إنَّها صورة الأنا الكاتبة الجزائرية التي تخطُّ أعمالها بلُغة الآخر الفرنسي.

كما تجلَّت جدليّة الأنا والآخَر في الجلسة التي جمعت خالد وعائلة سيمون، خاصّة في مشهدٍ إهداء خالد نيكول الصغيرة ومونيك وسيمون بعض الهدايا، هذه الهدايا التي كانت تحمل رُموزًا كثيرة. لقد كانت الدُميَّة التي أهداها خالد لنيكول دمية بملابس جزائريّة (بأزياء عاصميّة على وجه التحديد)، وهنا لاحظت نيكول الصغيرة تمايز زي اللِّساء العربيّات الذي يلبسونه في فرنسا على زيهن في بلادهن الجزائر، مُتسائلةً عن اسم هذه الدمية، فكانت إجابة خالد مُختارة بعناية فائقة، بحيث اختار اسم "حُرِّيّة" الذي لم تستطع نيكول نطقه، لعُسْر التلقُّظ بالحرف السادس من حروف الهجاء عند الأعاجم، أي حرف الحاء (لأن حرف "الحاء" حرف مَهْمُوس رُخُو ومخرجه من وسط الحلق). بعدها سألتها عن دلالة هذه التسميّة، فأجابها بمقابل كلمة الحُرِّيّة بالفرنسيّة (liberté)، ليظهر أن الصغيرة لم تكن تعرف إطلاقًا معنى الحُرِّيّة⁽³⁾، وهنا تُمثِّل شخصيّة نيكول الصغيرة الآخر البريء الذي يُولد نقيًّا وطاهرًا.

وبعد سؤال نيكول عن معنى الحرية، تبسّم سيمون ابتسامةً رفيعةً من شدّة حجم هذا السؤال ووقعه على خالد، لما يحمله من دلالات، بيد أن خالد حاول تكييف إجابته حسب مستوى نيكول الصغيرة. بعدها تدخَّل سيمون (الذي يُمثِّل الآخر الواعي بما يقول) وحاول تذكير خالد بزواجه وُرَيْدَة، مُقترحًا تسمية نيكول للدمية بـ"وُرَيْدَة" حتّى يسهل عليها (أي على نيكول) نطقها، لتُكرِّر نيكول تساؤلاتها عن معنى لفظة "وُرَيْدَة"، فأجابها خالد شارحًا بأنّها تعني الوردَة الصغيرة، لتختِمَ نيكول الصغيرة تساؤلاتها بأنّها تعرف الوُرُود الصغيرة، فلقد سبق لها أن رأتها تنمو في الحديقة، ولكنها بالمقابل، لم يسبق

(1) Voir : Malek HADDAD, *Le quai aux Fleurs ne répond plus*, op. cit., p35.

(2) Ibid., p37.

(3) Voir : Ibid., p43–44.

— الفصل الأول: — جدلية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

لها أن رأت الحرّية في الحديقة قطاً⁽¹⁾، وهنا أضمرت أبعاد جدلية الأنا والآخر المبتوثة في حنايا هذا الصراع الجدلي وتكررت بعض الإيحاءات المعبرة عنها.

تتجلى معالم جدلية الأنا والآخر كذلك في سؤال مونيك عن سبب عدم إهداء خالد قصيدة من قصائده، أو كتاباً من كتبه، إلى زوجته وزيدة؛ فأجابها بأنه عربيّ والحياء يمنعه من ذلك، وهذا الحياء هو ثمرة تربية حسنة جُبل عليها خالد مثلما جُبل الجزائريّ عامّةً (مثلما يدرج الجزائريّ منذ ولادته) على الخجل والاحتشام والاحترام وعزة النفس والكرامة. وإنه لا يخفي حبه ومشاعره لزوجته، لأن الحب لا يدعو للخجل، ضارباً المثل بالجزائريّات اللواتي يخجلن من تناول الأكل أمام مرأى الناس حشمةً ووقاراً وعفةً⁽²⁾، في مشهد يجسد فضول الآخر وانهماره بمبادئ الأنا وحسن تربيتها وأخلاقها.

«أنت لا تعرفهم يا أبي!» هكذا صرّح أحد المسافرين في تطرّقه للجزائريّين على متن القطار الذي كان يستقلّه خالد، لقد كان الآخر الفرنسيّ يُعبّر عن الجزائريّين بالضمير (Les)، أي (هم)، قاصداً العرب، دون ذكر التسمية مباشرةً. كما كان الآخر (الفرنسيّ) يعدّ حركة المقاومة نشاطاً إرهابياً، فهذا هو ذا خالد يقرأ نبأ: «تصاعد الإرهاب في الجزائر» وخيانة زوجته وزيدة التي آمنت بدعاية الجزائر فرنسيّة، ما دفع رجال المقاومة إلى قتل هذه المرأة الخائنة⁽³⁾، والقتل أقلّ شيء يمكن أيّ يُباشريه حق من يخون الوطن. لتختتم الرواية بمشهد انتحار بطلها خالد بعد تلقيه الخبر، خبر مفاده الأنا المتواطئة مع الآخر، أو الأنا الخائنة للأنا.

وختاماً لهذا المحور، يُخلص إلى أن الخطاب الروائيّ الجزائريّ المكتوب بالفرنسيّة، بناءً على النماذج الروائية المتتقاة، قائم على ثنائية: الأنا الجزائرية والآخر الفرنسيّ، وما تحمله هذه الثنائية من أبعاد. لقد حضرت الأنا الجزائرية، بخصوصيّاتها ومرجعياتها وأبعادها المختلفة، في الخطاب الروائيّ الجزائريّ في صور:

- الأنا الجزائرية المسلمة والمتمسكة بهويّتها الدينيّة والرافضة لمعتقد الآخر، والأنا الثابتة إلى رُشدها، والأنا المستقيمة المتخلّية عن الأنا الضالّة والطائشة.
- الأنا المقاومة والمتمسكة بمقوماتها، والأنا المدركة لكيانها وهويّتها، والأنا المنشئة بانتمائها وأصلها

(1) Voir : Malek HADDAD, *Le quai aux Fleurs ne répond plus*, op. cit., p44–45.

(2) Voir : *Ibid.*, p48–49.

(3) Voir : *Ibid.*, p115–116.

— الفصل الأول: — جليّة الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

والمفتخرة بهما، والأنا المغتربة عن وطنها وحنينها إليه.

• الأنا الجزائرية الرافضة للآخر الفرنسي، والأنا الثائرة في وجه الآخر، والأنا الجزائرية المنتفضة من جزاء الظلم الذي ألحقه بها الآخر المستعمر.

• الأنا الجزائرية المتعلمة والمثقفة والمفكرة والواعية والمُنْفَتِحَة على الآخر، والأنا المثقفة التي تريد فرض نفسها، والأنا الجزائرية الحكيمة والواعية وهي ترمي الناشئة وتهتمُّ بها، والأنا الحاملة للأمل والواقعة من عودة الأنا الأخرى إلى رُشدها.

• الأنا الفردية المحددة للأنا الجمعيّة بُغية إدراك الهوية الجماعية، والأنا الواعية التي تمسك بزمام الأمر وتتحمّل مسؤولية بثّ الوعي في نفوس الأنوات الأخرى بُغية تحديد المصير المشترك، والأنا المحرّضة للأنا الجمعيّة (أنا الجماعة) لمواجهة الآخر، والأنا الفردية الواقعة من الأنوات الجماعية التي تتولى زمام الأمور، والأنا الفردية التي تُطمئن الأنوات الجماعية حول مستقبلها، والأنا الجمعيّة ومُقاسمة الأنوات آلام بعضهم البعض، والأنا الباحثة عن فرض نفسها وضبط موقعها في كتابة تاريخ الوطن.

• الأنا المُستَخِفّة بالآخر، والأنا الساخرة من الأنا المُساندة للآخر، والأنا المنتصرة للأنا، والأنا البسيطة التي تحترم الأنا المتعلمة والمثقفة وتعتزُّ بها، والأنا المفتخرة بالأنا والمُعْتَزّة بها، والأنا البريئة والواعية في الآن ذاته، والأنا البريئة المنهرة بالآخر، والأنا القلقة والمضطربة خشية أن يكتشف الآخر خطتها.

• الأنا المُنسَجِمَة مع الآخر، والأنا المُتعاطفة مع الآخر، والأنا المُتجاهلة للأنا، والأنا الهاربة إلى الآخر بحثاً عن تحسين وضعها الاجتماعي، والأنا الرافضة لمواجهة الآخر، والأنا المُنْكَرَة للوضع الاستعماري، والأنا المتواطنة مع الآخر، والأنا الخائنة التي تكيد الكيد لأختها الأنا.

بينما اتّخذ الآخر الفرنسي صورة المُستَعْمَر الذي يشنُّ حروباً على الأنا ويتسبّب في آلامها ومعاناتها وأحزانها، ما جعلها تتصدّى له بطرق شتى، بُغية الدفاع عن نفسها والحفاظ على مقومات هويتها. لقد حضر الآخر الفرنسي في الخطاب الروائي الجزائري في صور:

• الآخر الفرنسي الرافض لمعتقد الأنا الجزائرية ودينها، والآخر الفرنسي المنهبر بتعلّق الأنا الجزائرية بمقوماتها العربية والإسلامية، والآخر الضالّ والكافر، والآخر الفضوليّ والمنهبر بمبادئ الأنا وحُسن تربيتها ودماثة أخلاقها.

• الآخر الذي نصّب نفسه سيّداً على الأنا في عُقر دَارِها، والآخر المُستَحْوِذُ على أراضي الأنا، والآخر المُستنزف لثروات الأنا (في صورة الشعب الجزائري) وخيراتها، والآخر الظالم للأنا، والآخر مصدر إزعاج

— الفصل الأول: — جدلية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية —

الأنا وسبب مُضايقتها وتعذيبها واستجوابها، والآخر الفرنسي مصدر أذى الأنا ونذير شؤمها وأمانة حزنها، والآخر الفرنسي المتناقض الذي يعدُّ حركة مقاومة الأنا له نشاطاً إرهابياً، والآخر المدافع عن الآخر والمحتفي به في مواجهة الأنا، والآخر الفرنسي الجمعي المحتفي بجيشه.

• الآخر (بوصفه قوة استعمارية) المهيمن بلُغته والمتحكّم بثقافته على المؤسسات التعليمية، والآخر الواعي بما يقول، والآخر المستعطف للأنا ما يجعله يُوهمها بأنه صاحب رسالة إنسانية، ينشر السلم والأمان، ويحترم الهويّات والأديان، ومن ثمّ يطمس هويّتها.

• الآخر المكابر عناداً بُغية استصغار الأنا والحق من قدرها، والآخر ونظرته الاستعمارية المُزدريّة إلى الأنا، والآخر المُحتقر للأنا، والآخر البريء الذي يُولد نقياً وطاهراً.

وقد تجلّت أنا الذوات الكاتبة الجزائرية (أي الكتاب) في غير ما موضع من الروايات المذكورة، مُتماهيةً وشخصياتها الروائية، طارحةً جدلية الكتابة بلُغة الآخر (أي الفرنسية) في ثناياها.

وفي ختام هذا الفصل الأوّل الموسوم عُنوانه بـ: جدلية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، تجب الإشارة إلى أن مباحثه قد استأثرت بضبط مصطلحات جدلية الأنا والآخر **وتأسيس** المفاهيم المنبثقة منها، ضابطةً هذه المفاهيم من منظورات فلسفية وروائية وترجمية. وعلى هذا الأساس، أبرزت العلاقة الجدلية بين الأنا والآخر في خطاب الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية في الحقبة الاستعمارية، في المبحث الثالث. وبعد ضبط نشأة جدلية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وتطورها (في الفترة الممتدة بين 1920م و1962م)، وتحقيها تحقيقاً يُراعي التسلسل التاريخي في إصدار هذه الروايات، إنتقت الدراسة سبعة نماذج روائية جزائرية مكتوبة بالفرنسية، صادرة في الحقبة الاستعمارية، مُنتقاة وفق تسلسل تاريخي (من 1936م إلى 1961م)، وتتبع تجليات تحوّل الخطاب الروائي الجزائري، بخصوصياته ومرجعياته وأبعاده المختلفة، في ميزان جدلية الأنا والآخر، ما يُمهّد للفصل الثاني الذي سيستدرج جدلية الأنا والآخر إلى حقل معرفي آخر، في ضوء الترجمة ونظرياتها.

الفصل الثَّانِي

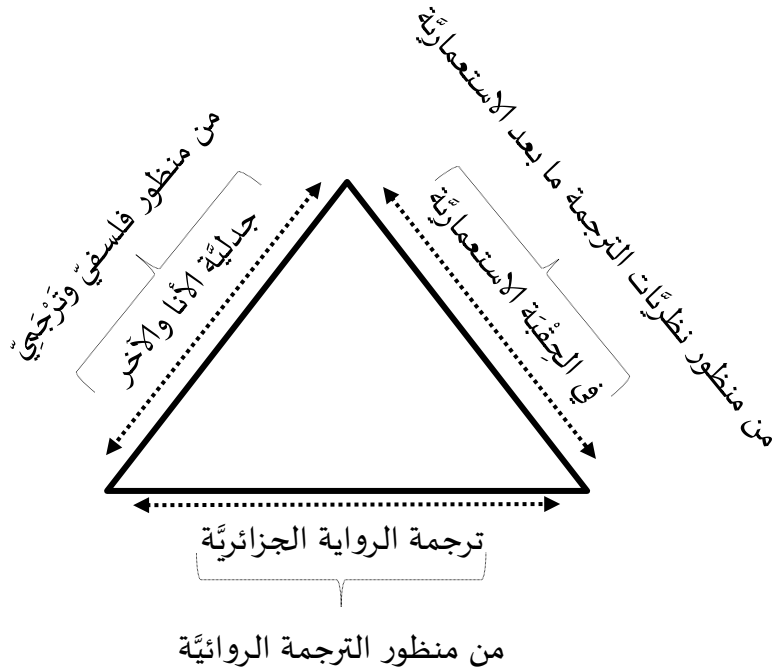
جِلَّةُ الْأَنَا وَالْآخِرِ فِي ضَوْءِ التَّرْجَمَةِ وَنَظَرِيَّاتِهَا

_____ الفصل الثَّاني: _____ جدليَّة الأنا والآخِر في ضوء الترجمة ونظريَّاتها _____

الفصل الثَّاني:

جدليَّة الأنا والآخِر في ضوء الترجمة ونظريَّاتها

بعد تطرُّق الفصل الأوَّل إلى تعريفات جدليَّة الأنا والآخِر وإبراز تجلِّيات جدليَّة الأنا والآخِر في الرواية الجزائريَّة المكتوبة بالفرنسيَّة، في الحقبة الاستعماريَّة على وجه التحديد، يستأثِّر هذا الفصل الثَّاني بإقحام نظريَّات الترجمة في ضوء جدليَّة الأنا والآخِر، وذلك بتناول نظريَّات الترجمة الأدبيَّة (والترجمة الروائيَّة على وجه التحديد) وبعض التَّصورات التَّرجميَّة النَّظريَّة التي تُعنى بأطراف هذه الجدليَّة، بالتركيز على نظريَّات الترجمة ما بعد الاستعماريَّة. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الدِّراسة تضطلع بمُدَارَسَة ثلاثة محاور رئيسة وفق ما يُبرزه الرَّسْم الآتي:



وستستدرجُ مباحث هذا الفصل الثَّاني المحاور الرئيسيَّة التي أبرزها الرَّسْم المُشار إليه إلى حقل الترجمة ونظريَّاتها.

1.2 المبحث الأوَّل:

جدليَّة الأنا والآخِر في مسار التَّأسيس النَّظريِّ لعلم الترجمة مِن منظورٍ فلسفيِّ

تعدَّدت مقاربات الترجمة ونظريَّاتها منذ منتصف ستينيَّات القرن العشرين، فلقد شهدت هذه الحقبة انفجارًا في دراسات الترجمة وأبحاثها، منها ما ارتبط باللِّسانيَّات، ومنها ما تعلَّق بالدِّراسات الأدبيَّة (الأدب المقارن على وجه التحديد)، ومنها ما ارتبط بالدِّراسات الثَّقافيَّة، أو ما إصطَلَح عليه بالمنعطف

_____ الفصل الثَّاني: _____ جدليَّة الأنا والآخَر في ضوء الترجمة ونظريَّاتها _____

الثَّقافيّ (cultural turn)، ومنها ما استندَ إلى أطر اجتماعيَّة مختلفة وترجمات مُستوحاة من سياقات اجتماعيَّة شتَّى، أو ما يُعرف بالمنعطف الاجتماعيّ (sociological turn)، وُصولًا إلى النهج النَّسويّ ونظريَّات الترجمة ما بعد الاستعماريَّة. وبومًا بعد يوم، تزداد مناهج الترجمة ونظريَّاتها زخمًا، وهذا راجع إلى ارتباطها بتخصُّصات عديدة. وفي هذا السياق، يُشير إدوين غينتسler Edwin Gentzler إلى أن دراسات الترجمة، في العقد الأخير، قد تغيَّرت تغيُّرًا ملحوظًا، فتعدَّدت نُهجها، وانفجرت نظريَّاتها، وتنوَّعت دراساتها، فخصَّصت لها مجلَّات مُتخصِّصة، وسلاسل جديدة من الكتب، وبرامج أكاديميَّة جديدة، وأقيمت لها نشاطات ومؤتمرات مختلفة في أنحاء المعمورة كلّها. وتعكس هذه المؤتمرات المنظَّمة، وحركة النَّشر النشطة، والورش التدريبيَّة المُبرمجة، ما تتميز به طبيعة هذا الحقل من حيويَّة وتطوُّر⁽¹⁾ ومرونة، جعلته حقلًا ذا طبيعة حركيَّة عابرة للتخصُّصات.

ما يسترعي الانتباه في تقفِّي مسار تاريخ التَّأسيس النَّظريّ لعلم الترجمة، أنه خاضع في حدِّ ذاته إلى جدليَّة الأنا والآخَر، فالمتتبِّع لحركيَّة نشر الأبحاث التَّرجميَّة يجد أن غالبيتها قد نُشرت بالإنجليزيَّة والفرنسيَّة والألمانيَّة، وتوزَّعت - جغرافيًا - بين أوروبا وأمريكا وكندا، فكان وصف تاريخ الترجمة وصفًا رهيئًا بالسياقات الاجتماعيَّة والسياسيَّة والفكريَّة، ومُرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بأنا المؤرِّخ وتوجُّهاته، على حساب أعمال أخرى لكُتَّاب آخرين من مناطق جغرافيَّة أخرى. وغالبًا ما ينفصل تاريخ نظريَّة الترجمة عن كل من تاريخ مُمارستها، وتاريخ احترافها، والحقول المعرفيَّة الأخرى (نحو: اللسانيَّات والأدب والحضارة) التي تبنَّتها (أي تبنَّت الترجمة) في تاريخها الخاص⁽²⁾.

وفي الشرارات الأولى للتَّأسيس الأوَّلي لعلم الترجمة، من منظور جدليَّة الأنا والآخَر، يُعدُّ كتاب جورج مونان Georges Mounin الموسوم عنوانه بـ: «الجماليَّات الخائنات Les belles infidèles»، من المؤلَّفات الأولى في التاريخ الحديث لعلم الترجمة الذي طُرحت فيه استحالة الترجمة، لخص فيه جورج مونان جميع الاعتراضات على الترجمة في أمرٍ واحدٍ: أنها ليست الأصل (3) Elle n'est pas l'original، فهو من هذا المنطلق يتطرَّق إلى استحالة الترجمة بوصفها انعكاسًا لواقع أرقِّ المُمارسين (les praticiens) للفعل التَّرجيميّ، بناءً على الثَّنائيَّات التَّرجميَّة الجدليَّة التي كانوا يطرحونها: كالوفاء

(1) يُنظر: إدوين غينتسler، في نظرية الترجمة: اتجاهات مُعاصرة، ترجمة: سعد عبد العزيز مصلوح، مراجعة: محمد بدوي، المنظمة العربيَّة للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربيَّة، ط1، بيروت، حزيران (يونيو) 2007م، ص33.

(2) Voir : Mathieu GUIDÈRE, *Introduction à la Traductologie – Penser la traduction : hier, aujourd'hui, demain*, (1^{re} éd.), Bruxelles, Belgique, Groupe de Boeck, 2008, p19.

(3) Georges MOUNIN, *Les belles infidèles*, Villeneuve d'Ascq, Presses Universitaires du Septentrion, 3^e édition, 2016, p13.

_____ الفصل الثاني: _____ جدلية الأنا والآخر في ضوء الترجمة ونظرياتها _____

للأصل أم اللجوء إلى التصرف؟ بين أنا الأصل أو آخريته أم أنا المترجم أو آخريته؟ الترجمة الحرفية أم الترجمة الأدبية؟ الترجمة كلمة بكلمة (Le mot-à-mot) أم الجميلات الخائنات؟⁽¹⁾

ثم عاد جورج مونان، بعد بضعة سنين، وطرح تساؤلاتٍ عدّة متعلّقة بمفاهيم تَرْجَمِيَّة مختلفة، تصبُّ في صميم جدلية الأنا والآخر التَّرجَمِيَّة، مُثيرًا مفهوم التكافؤ (équivalence)، ومُرجِّحًا الكفّة لصالح التكيف (adaptation)^(*)؛ فهل يأخذ المترجم الغاية من الترجمة في الحُسبان؟ وهل يعتمد المترجم على جمهور القُراء المُستهدَفين (le lectorat ciblé) ودرجة ثقافتهم، ومدى معرفتهم بثقافة اللُغة المصدر، ثمَّ يُباشر – بعد ذلك – خياراته وفقًا لتحصيل معطيات وافية بشأنها؟ وهل تلجأ أناه الناقلة لاستخدام النّظارات الملونة (verres colorés) أم تلجأ إلى النّظارات الشّفاfe (verres transparents)، أي بين إنتاج تأثيرٍ لونيٍّ محليٍّ (couleur locale) أو إرباك (dépayser) القارئ وتغريبه؟⁽²⁾ تضع هذه التّساؤلات الفعل التَّرجَمِيّ متأرجحًا بين الأنا والآخر.

وفي السياق التاريخي ذاته، وأكثر مما كانت عليه في الخمسينيّات من القرن الماضي، أصبحت دراسة نظرية الترجمة ومُمارستها نقطة اتصالٍ وتشابكٍ بين التخصصات الراسخة والمتطورة حديثًا، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: علم النّفس، وعلم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، وعلم الاجتماع، والحقول الوسيطة مثل اللّسانيّات الاجتماعيّة، واللّسانيّات الإثنيّة، وفقه اللُغة التّراثي (الفيلولوجيا)، والأدب المقارن، والمعجميّة، وعلم وصف الشُّعوب (الإثنوغرافيا)، والبلاغة، والشّعر، وعلم الصّرف، وعلم النّحو... وغيرها من التخصصات. لقد حاولت هذه الحقول المعرفيّة مجتمعةً دراسة ظاهرة الفعل التَّرجَمِيّ وشرح سيرورة الحياة بين اللّغات (life between languages) وفهمها⁽³⁾.

لقد أُرْم تطوّر دراسات الترجمة (Translation Studies) في التسعينيّات سلسلةً من التحالفات الجديدة التي جمعت بين البحث في تاريخ الترجمة ومُمارستها وفلسفتها والاتّجاهات الفكرية الأخرى المُعالِجة لها، وتُمثّل الروابط بين دراسات الترجمة ونظريّة ما بعد الاستعمار أحد هذه التحالفات مثل

⁽¹⁾ Voir : Delphine CHARTIER, *TRADUCTION : histoire, théories, pratiques*, Presses Universitaires du Mirail, Toulouse, 2012, p54–55.

^(*) أي التصرف والمواءمة والتلاؤم.

⁽²⁾ Voir : *Ibid.*, p55.

⁽³⁾ See: George STEINER, *AFTER BABEL: Aspects of Language and Translation*, London, Oxford, New York, Oxford University Press, 1975, p238. Cité par : Natal'ja M. NESTEROVA [H.M. HECTEPOBA], traduit du russe par Catherine BOUDOU & Tatiana MILLIARESSI, « Le problème philosophique de l'Autre et la secondarité du texte traduit », in Christian BERNER, et Tatiana MILLIARESSI (éds.), *La traduction : philosophie et tradition : Interpréter/traduire*, Villeneuve d'Ascq, France, Presses Universitaires du Septentrion, 2011, (pp. 97–112), p98.

_____ الفصل الثَّاني: _____ جدليَّة الأنا والآخَر في ضوء الترجمة ونظريَّاتها _____

الروابط القائمة بين دراسات الترجمة واللِّسانيَّات النَّصُوصِيَّة^(**)، وثَمَّة تحالف آخر مُهمّ يجمع بين دراسات الترجمة ودراسات النوع الاجتماعي^{(١)(♦)}. ومن منطلق تحالفات دراسات الترجمة وطبيعتها المعرفيَّة مُتعدِّدة التخصُّصات، وسيرورة الحياة بين اللُّغات الحيَّة⁽²⁾، تُثار أسئلة شتَّى حول جدليَّة الأنا والآخَر في مسار الفعل التَّرجَميِّ، هذه الجدليَّة المُتأبِّية مِنْ جَرَّاء الانتقال بين النَّصِّين الأَصْل والمُترَجَم. وبناءً على هذه المُعطيات التَّرجَميَّة، يُسلَّط الضوء على القرارات المُصاحبة للفعل التَّرجَميِّ التي يهتدي إليها النَّقْلَة (أي المُترَجِّمون) قبل الترجمة وأثناءها، هذه القرارات التي تستدعي دراسة فلسفيَّة صِرفة، مُستوحاة مِنْ منظور فلسفة الترجمة لا الترجمة الفلسفيَّة.

وبفضل المقاربات الفلسفيَّة والتَّأويليَّة (الهرمينوطيقيَّة) والثَّقافيَّة، وفي ظلِّها، أبرزت معالم جدليَّة الأنا والآخَر. ومن منظورٍ تاريخيٍّ، اشتدَّ عود بدايات المنعطف الفلسفيِّ في عِلْم الترجمة (le tournant philosophique dans la traductologie) – حسب جورج شتاينر George Steiner – بفضل أبحاث والتر بنيامين Walter Benjamin، وفلسفيِّ هايدغر Heidegger وغادامير Gadamer، وتفكيكيَّة جاك دريدا Jacques Derrida؛ هؤلاء الفلاسفة الذين أثاروا أسئلة فلسفيَّة تُعنى بالتفكير في مكانة المؤلِّف، وموقع المُترَجِّم، وطبيعة النَّصوص النَّاشئة عن الترجمة⁽³⁾. إنَّ اضطلاع هؤلاء الفلاسفة – مثلما صرَّح أنطوان بيرمان Antoine Berman – بمشكلات الترجمة وقضاياها، دليل على أنَّ ثَمَّة وثاقًا قديمًا جدًّا بين الفعل الفلسفيِّ (le philosophe) والفعل التَّرجَميِّ (le traduire)⁽⁴⁾.

يتجلَّى الجانب الفلسفيِّ، في الترجمة، في صعوبة تفسير النَّصوص وتأويلها، وفكِّ خيوطها ورموزها وجدليَّاتها، وهي صعوبة ذات شقَّين: مفاهيميَّة ولِّسانيَّة، ناشئة عن تاريخ النَّص وظروف إصداره. وتُعَدُّ طبيعة هذه الصعوبة رسمًا توضيحيًّا وتجريبيًّا (أمبيرقيًّا) للجدليَّة الفلسفيَّة للأنا (du Même) والآخَر (et de l'Autre)، فالسؤال المحوريِّ المؤسَّس لعِلْم الترجمة قائم على جدليَّة فلسفيَّة مُفادها: هل

(**) تُعرَّفُ بُلُغُوَّات المُتُون (Corpus Linguistics).

(♦) يُصطلح عليها كذلك دراسات الجندر أو الجونسة (Gender Studies).

(1) See: Susan BASSNETT, *Translation Studies*, London and New York, Routledge, Taylor & Francis Group, 4th edition, 2014, p10.

(2) Cité également par : Natal'ja M. NESTEROVA, *op. cit.*, p98.

(3) Voir : *Ibid.*, p100–102.

(4) يُنظر: أنطوان برمان، الترجمة والحرف أو مقام البُعد، ترجمة وتقديم: عز الدين الخطابي، مراجعة: جورج كتورة، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، أيار (مايو) 2010م، ص35–36.

الفصل الثاني: جدلية الأنا والآخر في ضوء الترجمة ونظرياتها

الترجمة ممكنة؟ وهل ثمة إمكانية للترجمة؟ وبصيغة فلسفية صرفة: هل يُمكن فهم النصّ فهمًا تامًّا؟ بناءً على هذين السؤالين، يُطرح التساؤل الفلسفي والترجمي الآتي: هل بوسع المترجم تمرير هذا الفهم المبتوث في حنايا النصّ الأصل، بصورة كاملة، إلى لغةٍ مختلفة عن اللغة الأولى التي حُطَّ بها النصّ الأصل؟⁽¹⁾

ويُفهم النصّ المترجم، في هذا السياق الفلسفي، بأنه نصٌّ مُشتقّ (*dérive*) بطبيعته، وثانويّ (*secondaire*) جوهريًّا، مُولّد (*généré*) من النصّ الأصل الآخر ومُعتمد (*dépendant*) عليه. وتجدر الإشارة في هذا الصدد الترجمي، إلى أن ثانويّة (*secondarité*) النصّ المترجم ذات طبيعة فدّة (*sui generis*)^(*)، تضعه – بقوة القانون الترجمي – ممثلاً ذا حق كامل للنصّ الأصل في بيئة لغويّة وثقافيّة جديدة⁽²⁾، أي نقل أنا النصّ الأصل أو آخريته إلى بيئة أخرى، يتولى زمامها مترجم تكون ترجمته رهينة بذاته المترجمة، مُجاريًّا أنا كاتب النصّ الأصل ولُغته وأسلوبه، بالإضافة إلى ما يُصاحب سيرورة الانتقال بين النصّين الأصل وترجمته من تداعيات.

بناءً على ما بُسّطَ طرحه، يُخلص إلى أن جدلية الأنا والآخر، من هذا المنظور، مُساءلة تندرج في جدلٍ ونقاشٍ فلسفيّين، أي أنها جدلية تتجاوز الزاويتين اللسانيّة والتأويليّة، كما تتجاوز الرؤية الاجتماعيّة أو النفسيّة، لتُدرِك هذه المسألة الفلسفيّة – بنحوٍ أعمق – حقولاً معرفيّة شتّى، لا يمكن أن يكشفها لنا حقل معرفيّ بعينه. إنّ التساؤلات الترجميّة نحو: لماذا نُترجم؟ وكيف نُترجم؟ وما الغاية من الترجمة؟ وما الجوانب المتحكّمة في الترجمة؟ وما موقع جدلية الأنا والآخر في الترجمة؟ وعن مسألتي المثاقفة والتثاقف في الترجمة؟ وأخلاقيّة الترجمة؟ تساؤلات مُنبثقة من جوهر الإشكاليّة الفلسفيّة للترجمة التي استمالت بصائر الفلاسفة ودفعتهم للخوض – فلسفيًّا – في المسائل الترجميّة⁽³⁾. ولقد شدّد

(1) Voir : Christian BERNER, et Tatiana MILLIARESSI, « Aspect philosophique de la traduction », in Christian BERNER, et Tatiana MILLIARESSI (éds.), *La traduction : philosophie et tradition : Interpréter/traduire*, Villeneuve d'Ascq, France, Presses Universitaires du Septentrion, 2011, (pp. 11–20), p18.

(*) بخصوص شرح مصطلح (*sui generis*) وترجمته إلى العربيّة: ينقل محمد جديدي مصطلح (*sui generis*) بـ طراز فريد من نوعه (يُنظر: محمد جديدي، الترجمة: رؤية فلسفية، مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، ط1، الرباط – بيروت، 2019م، ص141). وينقل غسان لطفي المصطلح ذاته بـ نوع خاص، واصفًا علم الترجمة، كما يراه بيرمان، بأنه علم ينتج معرفة من نوع خاص ليست فرعًا من اللسانيّات أو الأدب أو الشّعريّة أو النّقد... ونحو ذلك (يُنظر: غسان لطفي، المطلق النقدي: نظرية الترجمة عند أنطوان بيرمان، دار الأمان – منشورات الاختلاف – منشورات ضفاف، ط1، الرباط – الجزائر العاصمة – بيروت، 1441هـ – 2019م، ص71). وتحضر في فعل الترجمة معرفة محدّدة، وهي معرفة: مُتولّدة ذاتيًّا (*sui generis*)، وهو المُقابل الذي وظّفه المترجم عز الدين الخطابي (يُنظر: أنطوان بيرمان، الترجمة والحرف أو مقام البُعد، المرجع السابق، ص34).

(2) Voir : Natal'ja M. NESTEROVA, *op. cit.*, p103–104.

(3) يُنظر: محمد جديدي، المرجع السابق، ص56–57.

_____ الفصل الثَّاني: _____ جِلَّةُ الأنا والآخَر في ضوء الترجمة ونظريَّاتها _____

باحثو الترجمة أمثال: لورانس فينوتي Lawrence Venuti، ودوغلاس روبنسون Douglas Robinson، وأنتوني بيم Anthony Pym، وماري سنيل هورنبي Mary Snell-Hornby، وأنطوان بيرمان، وجان رينيه لادميرال Jean-René Ladmiral... وباحثين آخرين، بطرق شتى، على أهمية دور المُترجم ووظيفته. ينبثق هذا التركيز الجديد على الذاتية (subjectivity) من تأثيرين مُتميزين⁽¹⁾:

- من منظور الاهتمام المتزايد بالبحث في أخلاقيات الترجمة والتقصي فيها.
- ومن منظور إيلاء اهتمام أكبر وبالغ بالقضايا الفلسفية التي تقوم عليها الترجمة.

ويستمد أنطوان بيرمان مُصطلحي التجربة (expérience) والتأمل (réflexion)^(*) من رحم الفلسفة، إذ لا يُمكن فصل الترجمات العظيمة (les très grandes traductions)، وفق بيرمان، عن التفكير الفلسفيّ الصّرف الخاصّ بفعل الترجمة. لذا، يتعين على علم الترجمة (la traductologie)، دون أن يكون فلسفة للترجمة (philosophie de la traduction)، أن يكون مُتجذراً في الفكر الفلسفيّ (la pensée philosophique)، وهذا ما لَحَّ إليه بنيامين وهيدغر. بناءً على هذه التأملات الفلسفية، يُستنتج أن ثَمَّةَ تقاربٍ جوهرياً (proximité d'essence) بين الفلسفة والترجمة⁽²⁾.

وفي سياق التقارب الجوهريّ بين الفلسفة والترجمة، لا يجب أن نغفل عن جانبي الإبداع والابتكار اللذين تتسم بهما سيرورة الترجمة، فقد يتولّد عنهما (عن الإبداع والابتكار) أصل ثانٍ (un second original)، أي نصّ أوّليّ (texte primaire) آخر يُولّد معانٍ جديدة في أثناء سيرورة قراءته. ومن ثَمَّ، تنبثق جدلية فلسفية مرتبطة بمهنة المُترجم وجوهرها، فالفلسفة والترجمة متحدان ومتشابكان، ليس بغياب مصدر إلهام مُحدّد أو شاعريّة ما، إنّما تُعنى المسألة أيضاً بسرّ مُتأصّل في الترجمة وخفاياها، وهذا هو السرّ الذي تسعى الفلسفة إلى اكتشافه وفكّ رموزه⁽³⁾. إنّ جدلية الأنا والآخَر، من هذا المنظور، جدلية فلسفية تستدرجها هذه الدّراسة إلى حقل الترجمة الروائية بُغية إمطة اللّثام عن سرّ ترجمة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية إلى العربية، وطبيعة النصّ النّاشئ عن الترجمة.

وفي سياق العلاقة الفلسفية والتّرجميّة بين النصّين الأصل والأصل الثّاني (أي النصّ المُترجم)،

(1) See: Susan BASSNETT, *Translation Studies*, op. cit., p10.

(*) تعتمد هذه الدّراسة في ضبط المصطلحات الفرنسيّة – في غير ما موضع من مباحثها وفصولها – على النّسخة الأصلية من هذا الكتاب: Antoine BERMAN, *La Traduction et la Lettre ou l'Auberge du Lointain*, Paris, Éditions du Seuil, Novembre) 1999, p17–18.

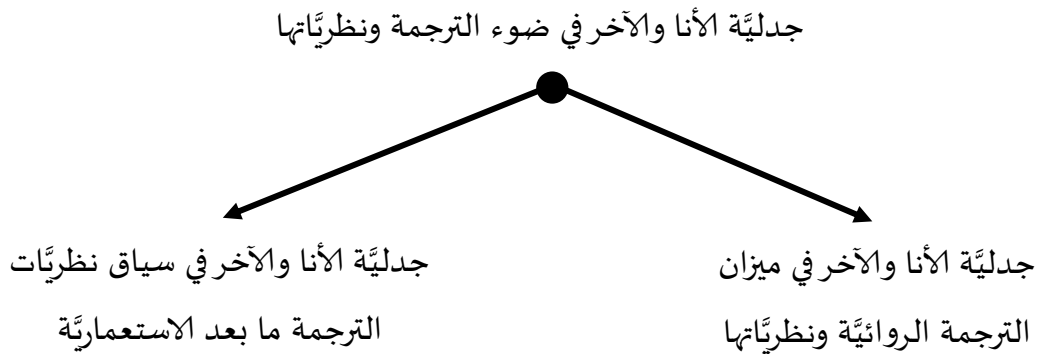
(2) يُنظر: أنطوان برمان، المرجع السابق، ص35.

(3) Voir : Natal'ja M. NESTEROVA, op. cit., p107.

الفصل الثاني: جدلية الأنا والآخر في ضوء الترجمة ونظرياتها

تواصل الأبحاث في علم الترجمة (Translation scholarship)، في القرن الحادي والعشرين، التأكيد على علاقات القوة غير المتكافئة التي اتسمت بها عملية الترجمة. فبينما قُدم هذا التفاوت أو التباين (inequality) في القرون الغابرة في شكل نصٍّ أصليٍّ أسمى (superior original) ونُسخةٍ (مُترجمةٍ) أدنى منه (inferior copy)؛ فإن العلاقة اليوم يُنظر إليها من وجهات نظر أخرى، وأفضل ما يُطلق عليها مصطلح: ما بعد الاستعمار (post-colonial)⁽¹⁾، أو ما بعد الاستعمارية.

وبُغية ضبط جدلية الأنا والآخر في ضوء الترجمة ونظرياتها، يتتبع المبحثان الآتيان تقسيم دلفين كارتيهيه Delphine Chartier لمقاربات الترجمة ونظرياتها^(*)، وتحليلات ماتيو غيدير Mathieu Guidère، وتأملات أنطوان بيرمان. ويرتكز المبحث الثالث – على وجه التحديد – على آراء إدوين غينتسلر^(**)، ودوغلاس روبنسون، وأوبيدي كربونيل كورتيس Ovidi Carbonell Cortés، وتيجاسويني نيرانجانا Tejaswini Niranjana، وغاياتري شاكرافورتى سبيفاك Gayatri Chakravorty Spivak، وسامية محرز Samia Mehrez؛ حول نظريات الترجمة ما بعد الاستعمارية، وفق ما يُبرزه المخطط الآتي:



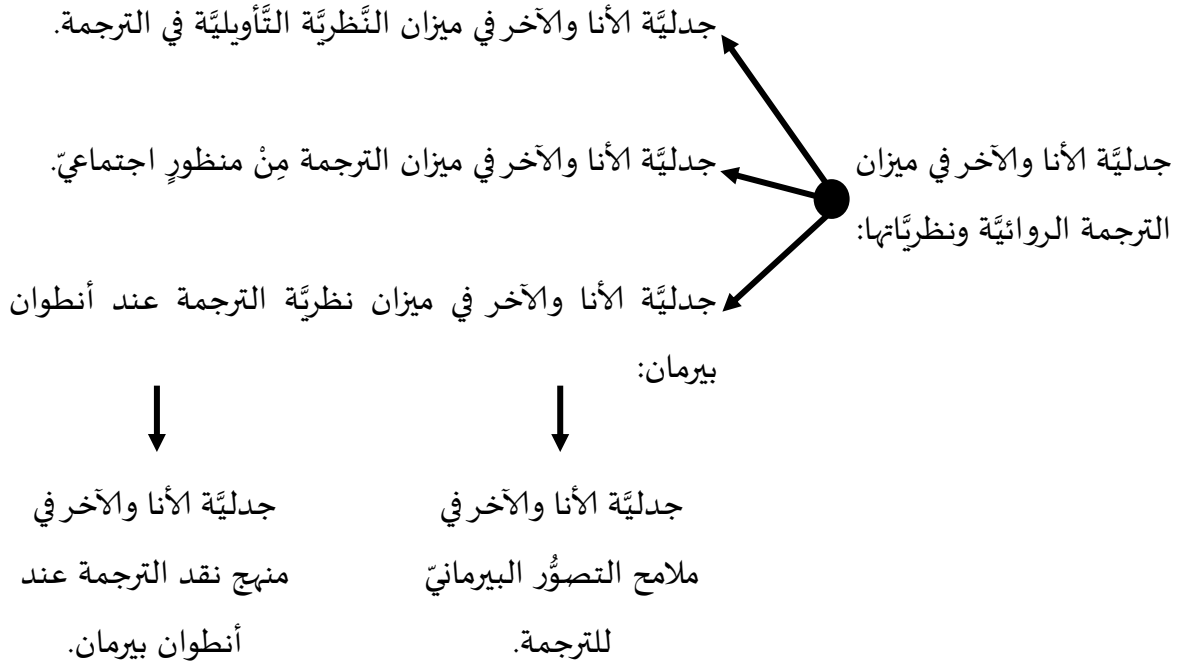
⁽¹⁾ See: Susan BASSNETT, *Translation Studies*, op. cit., p5–6.

^(*) إنطلقت دلفين كارتيهيه Delphine Chartier من التصنيف الزمني الذي إقترحه يوجين نايدا Eugene A. Nida، أي وفقًا لمركز مقاربات الترجمة ونظرياتها المختلفة وما قامت عليه، جمعتها كارتيهيه وفقًا لزاوية معالجتها الظاهرة التَّرجِمِيَّة؛ فالنَّظَرِيَّاتُ الفِيلُولُوجِيَّةُ (Les Théories Philologiques) تعتمدُ على القراءة، أمَّا النَّظَرِيَّاتُ اللِّسَانِيَّةُ (Les Théories Linguistiques) فتركز على اللُّغة، بينما تأخذ النَّظَرِيَّاتُ اللِّسَانِيَّةُ والاجتماعيَّةُ (Les Théories Sociolinguistique) الأبعاد التواصلية للترجمة في الحُسبان (Delphine CHARTIER, op. cit., p55–56).

^(**) التي تضمنها كتابه الموسوم: Edwin GENTZLER, *Contemporary Translation Theories*, Clevedon, UK, (Multilingual Matters Ltd, 2nd edn, 2001) حيث يتتبع فيه غينتسلر ما شهدته الدِّراسات في حقل الترجمة الأدبيَّة من تطوُّر، مُنطلقًا من برنامج ورشة العمل التَّرجِمِيَّة الأمريكيَّة (American Translation Workshop)، ومارًا بأبحاث نظريَّة الأنساق المتعدِّدة (Polysystems Research) التي ذاع صيتها سنوات السبعينيَّات والثمانينيَّات من القرن العشرين، ومُسلِّطًا الضوء كذلك على التفكيكيَّة (Deconstruction)، فالمنعطف اللِّثقافي (Cultural Turn)، فنظريَّات الترجمة ما بعد الاستعماريَّة (Postcolonial Translation Theories)، وما أعقب ذلك كلَّه من نظريَّات (يُنظر: إدوين غينتسلر، المرجع السابق، ص21).

الفصل الثاني: جدلية الأنا والآخر في ضوء الترجمة ونظرياتها

المبحث الثاني:



المبحث الثالث:



ملاحظة: ستخضع مباحث هذا الفصل الثاني لهذا التقسيم المشار إليه أعلاه.

2.2 المبحث الثاني:

جدليةُ الأنا والآخر في ميزان الترجمة الروائيَّة ونظريَّاتها

تستدعي دراسة جدلية الأنا والآخر في ضوء الترجمة الروائيَّة ونظريَّاتها بحثًا في النَّظَرِيَّة التَّأْوِيلِيَّة في الترجمة، وتحليلًا للترجمة مِنْ منظور اجتماعيٍّ (لا سيَّما المصطلحات والمفاهيم التي طرحها بيير بورديو)، ومُعَالَجَةً في ميزان نظرية الترجمة عند أنطوان بيرمان (خاصة نموذجهُ التَّقْدِي)، وذلك بإجلاء مَسَارِثِنايَّةِ الأنا والآخر في مَضْمَارِ الأُسُس النَّظَرِيَّة لهذه النُّهْج التَّرْجُمِيَّة.

1.2.2 جدليةُ الأنا والآخر في ميزان النَّظَرِيَّة التَّأْوِيلِيَّة في الترجمة:

انبثقت معالم النَّظَرِيَّة التَّأْوِيلِيَّة في الترجمة (La théorie interprétative de la traduction) مِنْ أبحاث المدرسة العليا للتَّراجمة والمُترجمين (ÉSIT)^(*)، وهي معروفة باسم مدرسة باريس، ويُطلق عليها كذلك نظرية المعنى (La théorie du sens)⁽¹⁾. وتُعدُّ كلٌّ مِنْ دانيكا سيليسكوفيتش Danica Seleskovitch وماريان لودورير Marianne Lederer مِنْ أوائل مَنْ وضعتا أُسُس هذه النَّظَرِيَّة التي استمالت أُسُسُها النَّظَرِيَّة بصائر العديد مِنْ البُحَّاث والمتابعين المنتشرين في البلدان النَّاطقة بالفرنسيَّة على وجه التحديد⁽²⁾. وُلدت هذه النَّظَرِيَّة مِنْ رحم التجربة المهنيَّة التي خاضتها دانيكا سيليسكوفيتش بوصفها تُرْجُمانَة (مُترجمةً فورية) مؤتمرات، وقد أسَّست دانيكا نموذجًا تَرْجُمِيًّا قائمًا على ثلاث خطوات:

- التَّأْوِيل (Interprétation).
- ثُمَّ عملية التجريد اللُّغوي (Déverbalisation).
- فإعادة الصياغة (Réexpression).

إنَّ هذا التَّمُودَج التي طورته دانيكا قائم، بناءً على فرضياته النَّظَرِيَّة، على كلٍّ مِنْ عِلْم النَّفْس والعلوم المعرفيَّة (sciences cognitives)، مُولِيًا اهتمامًا بالغًا بالعملية الذهنيَّة (le processus mental) التي تطبع المُمَارَسَة التَّرْجُمِيَّة⁽³⁾. انطلاقًا مِنْ هذا التَّقْدِيم، تضطلعُ الدِّراسة بتفحُّص أبعاد

(*) École Supérieure d'Interprètes et de Traducteurs.

(1) Voir : Danica SELESKOVITCH, et Marianne LEDERER, *Interpréter pour traduire*, 3^e Édition – Revue et corrigée, Paris, Didier Érudition, Publications de la Sorbonne, Série : Littératures / 10, Collection “Traductologie 1”, 1993, p116.

(2) Voir : Mathieu GUIDÈRE, *op. cit.*, p69.

(3) Voir : *Ibid.*, p69.

_____ الفصل الثَّاني: _____ جَدَلِيَّةُ الْأَنَا وَالْآخَرُ فِي ضَوْءِ التَّرْجُمَةِ وَنَظَرِيَّاتِهَا _____

جدليَّةُ الْأَنَا وَالْآخَرُ مِنْ هَذَا الْمَنْظُورِ التَّأْوِيلِيّ، بِدَأْءٍ مِنْ مُتَابَعَةِ مَسَارِ تَأْوِيلِ الْمَقَاطِعِ السَّرْدِيَّةِ لِلرَّوَايَةِ الْجَزَائِرِيَّةِ الْمَكْتُوبَةِ بِالْفَرَنْسِيَّةِ، فِي الْحَقْبَةِ الْاِسْتِعْمَارِيَّةِ، وَصُولاً إِلَى إِعَادَةِ صِيَاغَتِهَا بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

وحتى تكتمل سيرورة إعادة الصياغة في اللُّغة المُستَهْدَفَة بنحوٍ سديد، تجدر الإشارة هنا إلى أنَّ الاهتمام المحوريَّ للنَّظَرِيَّةِ التَّأْوِيلِيَّةِ يكمنُ في مسألة المعنى (sens)، أي يُرَكِّزُ على وحدات المعنى (unités de sens) (**). التي تُعدُّ ذات طبيعة غير لفظيَّة أو كلاميَّة (non verbale)، لأنَّ الأمر يُعْنَى بما صرَّح به المتحدِّث (le locuteur) صراحةً (l'explicite)، وعلى ما سكت عنه ضمناً (l'implicite). ومن أجل تحصيل هذا المعنى، على المترجم أن يمتلك زاداً معرفياً (bagage cognitif)، وأن يضبط السياق، وأن يفهم مُراد الكاتب ومقصد القول (vouloir-dire) أو المعنى المقصود الذي يرمي إلى بثِّه وإيصاله. وإن لم يتسلَّح المترجم بهذا الزاد، فسيواجه - لا محالة - صعوبات شائكة من حيث الغموض وتعدُّد التأويلات، وسينعكس ذلك - لا محالة - على النَّصِّ الْمُنْقُولِ ويُعرقل سيرورة ترجمته⁽¹⁾. بناءً على هذه المعطيات التَّأْوِيلِيَّةِ، يُخلص إلى أن إبراز جدليَّةِ الْأَنَا وَالْآخَرِ، بأبعادها وخصوصيَّاتها ومرجعياتها المختلفة، الماثلة في النَّصِّ الروائيِّ، يستدعي زاداً معرفياً كافياً بغية ضبط السياق الروائيِّ وفهم مُراد الكاتب ومقصد قوله البيِّن أو المُتضمَّن في حنايا خطابه الروائيِّ.

ليس المعنى الذي تُعْنَى به النَّظَرِيَّةُ التَّأْوِيلِيَّةُ في الترجمة كما تُعرِّفه الدِّراسات الدَّلَالِيَّةُ أو القاموسيَّة، بوصفه قائماً على رسم تصوُّرات للكلمات أو البنى النَّحْوِيَّةِ، هذا المعنى الذي نُطلق عليه الدَّلالة اللَّسَانِيَّةُ، يتوافق ومعنى الكلمات خارج سياق استعمالها في الكلام. فمعنى الكلام الذي تنقله الرسالة غير ماثوث بصفة منفصلة (أو مُتقطِّعة) في كل كلمة، ولا في كل جملة؛ إنَّما المعنى مبني على دلالات لسانية ولكنه لا يقتصر عليها وحدها فحسب، فهو ماثوث في أرجاء النَّصِّ الروائيِّ برمته، يتجلى في أثناء سيرورة القراءة، مما يُتيح إمكانيَّة فهم قصد الكاتب ومُرادِه. وعليه، فالمعنى عملية تتكشف

(**) تُفِيِّرُ النَّظَرِيَّةُ التَّأْوِيلِيَّةُ في الترجمة، التي تأسَّست على استخدام الإنسان للُّغة، مسألة وحدات الفهم (des unités de compréhension)، أو كما تُطلق عليها ماريان لودويرير Marianne Lederer وحدات المعنى (des unités de sens). وتستنتج بأن الفهم لا يتأتَّى من تحليل الكلام اللفظيَّ الثابت، ولكنه يتقدَّم بوثباتٍ من تركيبٍ إلى تركيبٍ آخر، على مدار الخطاب الذي يغيِّر مدى الذاكرة السَمْعِيَّة (mémoire auditive)، أو البَطَاقِ المرئيِّ الذي تشمله (تمسحه بالعين. balayé par l'œil). ويُنتج هذا التوليف، بين دلاليَّة القول (le sémantisme d'un énoncé) ومعارف خارجية عنه، حالات وعي تتوافق ومعنى التبادلات اللفظيَّة. وعليه، فإن وحدات الترجمة (unités de traduction) ليست إذن كلمة منفردة مأخوذة بمعزل عن الجملة، ولا الجملة المحدَّدة نحوياً بحسبانها مسنداً (sujet-prédicat)؛ بل هي وحدة المعنى (l'unité de sens)، أي مقطع من الخطاب (le segment de discours) الذي يُؤدي تقدُّمه في لحظة معينة إلى جعل المستمع (à l'auditeur) أو القارئ (au lecteur) على دراية بمقصد القول وفحواه (vouloir dire) الذي تُحدِّده الصيغة اللَّسَانِيَّة (Danica SELESKOVITCH, et Marianne LEDERER, *op. cit.*, p267-268).

(1) Voir : Mathieu GUIDÈRE, *op. cit.*, p69.

الفصل الثاني: جدلية الأنا والآخر في ضوء الترجمة ونظرياتها

باستمرار وتبني طَوَال سيرورة الخطاب الروائي بعيداً عن كونه ثابتاً ومُعْطى بنحو موضوعي⁽¹⁾، ومن ثمّ فكّ رموز جدليّة الأنا والآخر المبتوثة في حنايا المقاطع السردية.

وفي سياق فكّ رموز جدليّة الأنا والآخر في الخطابين الروائيّ (الأصل) والترجميّ (النّاتج عن الترجمة)، بُغية تجسيد الوقع ذاته المبتوث في النّصّ الروائيّ الأصل، يحسّن التنبيه أيضاً إلى أن بلوغ الفهم الباطنيّ للسياق برمته يستدعي تحديد العناصر المفهوميّة (les éléments notionnels) من الحقائق والأشياء، والحجج... ونحو ذلك، التي يستحضرها الراوي في الكلمات. ولكن هذا المقام من الفهم الباطنيّ للسياق يستدعي كذلك مقاسمة الإحساس بالمشاعر التي يريد منّا الراوي أن نشعر بها⁽²⁾، وأن نعيشها بالطريقة ذاتها والوقع نفسه. وتضطلع الغاية المثلى للترجمة في هذا الصدد بجعل الذات القارئة تُحسّ بالذات الكاتبة وخلق وثاقٍ وجدانيّ بينهما. وفي هذا السياق، تُصرّح ماريان لودورير:

« Pour traduire, **comprendre soi-même** ne suffit pas, il faut **faire comprendre**. L'opération traduisante se scinde par définition en deux parties, celle de l'appréhension du sens, et celle de son expression. »⁽³⁾.

« أن تفهم ذاتك، بُغية الترجمة، فهذا لا يكفي، بل عليك أن تفهم الآخرين. وتنقسم العملية التّرجميّة بناءً على تعريفها إلى جزأين: جزء يُعنى بفهم المعنى، وجزء آخر مُتعلّق بالتعبير عنه. » (تَرْجَمَتُنَا).

تري دانيكا سيليسكوفيتش أن فصل كل من الشكل (forme) والمعنى (sens)، ثمّ ترجيح كفة إعادة التعبير (réexpression) عن المعنى على حساب نقل المدلول الأصل (signifié original)، وبرهنة أنّ العملية التّرجميّة تشتمل على ثلاث مراحل (وهي: الخطاب الأصل – والتجريد اللّغوي لوحدات المعنى^(*) – ثمّ التعبير عن هذه الوحدات بخطاب جديد^(**))؛ فرضيات يصعب تقبّلها من لدن أولئك الذين يرون الترجمة دائماً عملية قائمة على اللّغات، مُقصين بذلك الذات المفكرة (le sujet pensant) التي تتدخل مع ذلك في سيرورة فهم الرسالة وإدراكها ثمّ إعادة التعبير عنها. ومن هذا المنطلق، فإن سيليسكوفيتش تعي الوعي كلّه بأنها تختلف مع التّظريّات اللّسانية الحالية مُقترحة نظريّة تأويليّة في

(1) Voir : Danica SELESKOVITCH, et Marianne LEDERER, *op. cit.*, p17-18.

(2) Voir : Marianne LEDERER, *la traduction aujourd'hui : le modèle interprétatif*, Paris – Caen, Lettres Modernes Minard, Collection : Cahiers Champollion N°09, (nouvelle édition), 2006, p29.

(3) Danica SELESKOVITCH, et Marianne LEDERER, *op. cit.*, p31.

(*) Déverbalisation des unités de sens.

(**) Expression de ces unités par un nouveau discours.

_____ الفصل الثَّاني: _____ جدلية الأنا والآخَر في ضوء الترجمة ونظريَّاتها _____

الترجمة، تأتت مِنْ رحم الممارَسة التَّرجِمِيَّة وآراء الممارسين (praticiens) لها، مُستخلصةً عدم تطابق (la non-concordance) المدلول أو العلامات أو الجمل في اللُّغات المختلفة، وتسجيل إمكانية هذه اللُّغات في التعبير عن المعنى بصفة تامة على صعيد الخطاب⁽¹⁾. وتُعبرُ النَّظَرِيَّة التَّأْوِيلِيَّة في الترجمة، في هذا السياق، عن جدليَّة تَرْجَمِيَّة مُفادها: أن الترجمة التَّأْوِيلِيَّة هي ترجمة بالتَّعَادِلَات (بالمُكَافِئَات par (équivalences)، بينما تُعدُّ الترجمة اللِّسَانِيَّة ترجمةً بالتَّطَابِقَات (بالتَّعَابِلَات par (correspondances)⁽²⁾. وخلق مُعَادِلَات (مُكَافِئَات (équivalences) هو جوهر النَّظَرِيَّة التَّأْوِيلِيَّة وفق ماريان لودورير⁽³⁾.

ولتحقيق الأثر ذاته في نتاج الترجمة، يجد المُترجم نفسه في حركتيَّ ذهابٍ وإيابٍ بين النَّصِّين الأصل وترجمته، وهذا ما يستدعي زادًا معرفيًّا^(♦) وعُدَّة تَرْجَمِيَّة قائمة على المكملات المعرفيَّة (les compléments cognitifs) التي دائماً ما تكون مفهوميَّة وعاطفيَّة في الآن ذاته، تستميلها أجزاء النَّصِّ جميعًا أو تستدرجها بعض المقاطع النَّصِّيَّة (segments de texte)، تُسمِّيها مكملات معرفيَّة (cognitifs) ولكنها – في الحقيقة – مكملات عاطفيَّة (affectifs) كذلك⁽⁴⁾، تسعى إلى تحقيق الأثر ذاته المبتوث في ثنايا النَّصِّ الأصل، في النَّصِّ المُترجم، وإلى تجسيد جدليَّة الأنا والآخَر في النَّتاج التَّرجِمِيَّ.

ويختتم ماتيو غيدير مُدارسته النَّظَرِيَّة التَّأْوِيلِيَّة في الترجمة مُستخلصًا بأنها نظريَّة مُستهدِفة (ciblisme)، أي هديَّة التوجُّه والمبدأ، تُركِّز – بنحوٍ خاصٍّ – على القارئ المُستهدَف (le lecteur cible)، وعلى نتاج الترجمة في اللُّغة المُستهدِفة^(♦♦)، ومدى مقبوليتها (acceptabilité) في الثَّقافة المُستقبِلة⁽⁵⁾. بيد أن مشكل الكتابة في الترجمة الروائيَّة يكمن في أننا نستهدِف قارئًا ليس لديه معرفة

(1) Voir : Danica SELESKOVIČ, et Marianne LEDERER, *op. cit.*, p93.

(2) Voir : Marianne LEDERER, *op. cit.*, p39–41.

(3) Voir : *Ibid.*, p44.

(♦) الزاد المعرفي le bagage cognitif: هو حصيلة ذكريات، وتصوُّرات ذهنيَّة، وتجارب، وأحداث مُؤثِّرة، ومعارف نظريَّة، وتخيُّلات، ومشاعر، ونتائج تأملات، وثمرة القراءات، والثَّقافة العامة... وغيرها. يُستدعى الزاد المعرفي في أثناء سيرورة قراءة النَّصِّ ويتدخل في فهمه كلما أثار النَّصُّ عنصراً معرفيًّا مُتعلِّقاً به. يُصطلح على الزاد المعرفي بالإنجليزيَّة (encyclopaedic (ou world) knowledge)، أي المعارف الموسوعيَّة أو معرفة العالم، ويشمل المعارف اللِّسَانِيَّة واللِّسَانِيَّة الخارجِيَّة كافة، المخزنة في ذاكرة المرء. بخلاف الحقول التقنيَّة، تصعب المأمورية بالنسبة للمؤلِّفات الأدبيَّة التي تُثير قراءتها اهتزازات وجدانيَّة وتوقظها، ولا تكفي – هنا – معارف المُترجم وحدها، ولكن تُشارك فيها تجربته المعيشة تجربة الكاتب (نُحاكي تجربته المعيشة تجربة الكاتب وتتماهى وأحداثها). وقد تصعب الاستفاضة في ضبط المكملات المعرفيَّة والعاطفيَّة التي تتدخل في تأويل مقطع نصٍّ ما (Voir : *Ibid.*, p29–30).

(4) Voir : *Ibid.*, p29.

(♦♦) تُوظَّف لودورير مصطلح لغة الوصول (La langue d'arrivée) (Voir : *Ibid.*, p22).

(5) Voir : Mathieu GUIDÈRE, *op. cit.*, p71.

الفصل الثاني: جدلية الأنا والآخر في ضوء الترجمة ونظرياتها

بالنصّ الروائيّ الأصل، ولا يُتقن اللُّغة التي خُطَّ بها هذا النصّ الأصل في أغلب الأحيان، وليس له ملاذ آخر لتحصيل المعنى عدا النصّ الروائيّ المُترجم الذي أمامه⁽¹⁾. فهل تُعدُّ، يا تُرى، ترجمة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية إلى العربية ضرباً من هذا القبيل؟ وهل تستهدف الترجمة العربية لهذه الرواية قارئاً لا يُجيد الفرنسية؟ وإذا ما أخذنا في الحُسبان أن المعنى المبتوث في حنايا النصّ الروائي لا يتشكّل من اللُّغة فحسب، وأن الكتّاب الجزائريين لم يكتبوا كلمات وجمالاً منفصلة، بل بثُّوا رسائل مُبطّنة وأفكاراً وآراءً ومواقف مُصرّح بها وغير مُصرّح بها، وإذا ما كانت الترجمة تضطلع بإماطة اللثام عن تلك الأفكار والآراء والمواقف – الصريحة والمُبطّنة – لا بترجمة هيكل اللُّغة فحسب⁽²⁾؛ ما الاستراتيجية التّرجميّة التي يُمكن أن يهندي إليها النّاقل (المترجم) بُغية تجسيد وقع الأصل ومضامينه الجدليّة؟

بناءً على ما ذُكر، وقبل الإجابة عن هذه التّساؤلات الجدليّة، يُخلص إلى أن النّظرية التّأويليّة من بين أنجع نظريّات الترجمة التي يُمكن أن يُستثمر فيها في الترجمة الأدبيّة بصفة عامّة والترجمة الروائيّة على وجه التحديد. وسيُحاول الشّقّ التّطبيقيّ من هذه الدّراسة تطبيق أفكارها بُغية إبراز جدليّة الأنا والآخر، بأبعادها وخصوصيّاتها ومرجعياتها، في الترجمة العربيّة للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية.

2.2.2 جدلية الأنا والآخر في ميزان الترجمة من منظور اجتماعي:

يرتكز زوّاد المنعطف الاجتماعيّ (sociological turn) في دراسات الترجمة على أطر اجتماعيّة مختلفة وترجمات مُستوحاة من سياقات اجتماعيّة شتّى، مُستدرجين بعض المفاهيم الاجتماعيّة إلى حقل الترجمة⁽³⁾. لقد كانت التأمّلات الرئيسة حول المنظورات الاجتماعيّة للترجمة (social perspectives of translation) التي أسهمت في ربط علم الاجتماع بدراسات الترجمة^(*)، حتّى الآن، مُستوحاة من مساعي علماء الاجتماع أمثال: بيير بورديو Pierre Bourdieu، وبرنارد لاهير Bernard

(1) Voir : Danica SELESKOVITCH, et Marianne LEDERER, *op. cit.*, p33–34.

(2) Voir : *Ibid.*, p271.

(3) See: Jacob BLAKESLEY, *Sociologies of Poetry Translation: Emerging Perspectives*, London, UK New York, NY: Bloomsbury Academic, 2019, p1.

(*) ترتكز الدعائم المؤسّسة لعلم الاجتماع التّرجميّ (translation sociology) على مقاربات شتّى، ونُهج مختلفة، تزخر بها دراسات الترجمة، وقد صيغت غالبية هذه المقاربات والنُهج في أعقاب التحوّل الثّقافيّ (cultural turn) الذي تنبأ بقضايا عديدة تطوّرت – فيما بعد – ضمن سياقات اجتماعيّة واضحة المعالم، انبثقت منها بحوث أخرى تُعنى بالسلطة، أو السياسة، أو الأيديولوجيا، أو الأخلاقيّات ethics... أو غيرها من الحقول المعرفيّة.

See: Michaela WOLF, 'Sociology of translation', in Yves GAMBIER, & Luc van DOORSLAER (Eds.), *Handbook of Translation Studies*, Amsterdam/Philadelphia, John Benjamins Publishing Company, Vol. 1, 2010, (pp. 337–343), p337.

الفصل الثاني: جدلية الأنا والآخر في ضوء الترجمة ونظرياتها

Lahire، وبرونو لاتور Bruno Latour، ونيكلاس لوهمان Niklas Luhmann، وأنتوني غيدنز Anthony Giddens، ويواخيم رين Joachim Renn، ومارتن فوكس Martin Fuchs... وغيرهم⁽¹⁾، مُنطلقين في تأملاتهم من هذه القاعدة الاجتماعية، ثُمَّ يُسقطونها بعد ذلك على سيرورة الترجمة من لغاتٍ مختلفة وإليها⁽²⁾.

ومهما اختلفت مصطلحات المنظرين وتعددت، نجدتها تعكس - في جوهرها - مدى أهمية شرح الظواهر المحيطة بالترجمة. بالرغم من أن بير بورديو لم يؤسس نظريته في الترجمة^(*)، تفسح أبحاثه الاجتماعية المجال لمدارسة مصطلحات ومفاهيم ترجمية واجتماعية جديدة تُضاهي - في بنيتها - الثنائيات الترميمية التقليدية المطروحة (راجع الفصل الثالث، المبحث الثاني)، نذكر منها مصطلحات: الحقل (le champ)، والإيلوزيو (l'illusio)، والهابيتوس (l'habitus)⁽³⁾، ورأس المال الرمزي (le capital symbolique). وتُعنى هذه الدراسة بتبني هذه المصطلحات الاجتماعية^(*)، وذلك بالارتكاز على تقسيم دلفين كارتية لمقاربات الترجمة ونظرياتها^(**)، ثُمَّ إسقاطها على تحليل أبعاد جدلية الأنا والآخر

(1) See: Michaela WOLF, *op. cit.*, p338.

(2) See: Jacob BLAKESLEY, *op. cit.*, p1.

(*) يُثير جان مارك غوانفيتش Jean-Marc Gouanvic قضايا كثيرة ورهانات عدّة مُتعلّقة بعلم الترجمة وعلاقته بعلم الاجتماع (سوسولوجيا الترجمة La sociologie de la traduction). مُعترفًا بإسهام نظرية بير بورديو ومُستخدمًا إيّاها بوصفها إطارًا نظريًا في غير ما موضع من أبحاثه، لا يُنكر جان مارك غوانفيتش حدود هذه النظرية وقصورها ومُطاباتها، فنظرية بورديو لم تُعدّ - خصيصًا - للترجمة، ومن ثَمّ تشوبها بعض النقائص. ومن هذا المنطلق، تأتي الحاجة إلى الاستعانة بأدوات أخرى، ذات مواصفات مُحدّدة، بُغية تعزيز هذا الحقل المعرفي وتطويره. وهذا ما دفع جان مارك غوانفيتش إلى التّساؤل حول رهانات علم الترجمة الاجتماعي (traductologie sociologique) وتحديّاه (Voir : Delphine CHARTIER, *op. cit.*, p64).

(3) Voir : Delphine CHARTIER, *op. cit.*, p63.

(*) إنَّ اقتراض مُصطلحي بورديو إلى العربية (الهابيتوس *habitus*، والإيلوزيو *illusio*) وإتباع هذين المصطلحين المُقترضين بالمصطلحين الأصل ليس افتقارًا في العُدّة، إنّما لصعوبة إيجاد مُقابلات عربية تحمل القيمة المعرفية ذاتها التي أراد بورديو تأسيسها. وتجدر الإشارة إلى أننا قدّمنا، بإشراف أ. د. جازية فرقاني، ورقةً بحثيةً موسوم عنوانها ب: الترجمة من منظور اجتماعي: ضبط المصطلح التّرجيمي وتأسيس المفهوم، بمناسبة الملتقى الدولي الافتراضي حول المنعطف السوسولوجي في دراسات الترجمة: أدوار المترجم الجديدة، الذي نظّمه مخبر تكنولوجيايات الإعلام والاتصال في تعليم اللّغات الأجنبية والترجمة، بكلية اللّغات الأجنبية، بجامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف (الجزائر)، المُنعقد بتاريخ: 15 و2022/03/16م: تطرّنا فيها إلى كيفية ضبط المصطلحات التّرجيمية التي ولّدتها المُمارسة الاجتماعية للترجمة، والطريقة التي استُنبِتت بها هذه المصطلحات في الحقل التّرجيمي، بُغية ضبط المصطلح التّرجيمي وتأسيس المفهوم. ونُشرت هذه الورقة البحثية - فيما بعد - وفق البيانات الآتية: جازية فرقاني، وميرشترات، الترجمة من منظور اجتماعي: ضبط المصطلح التّرجيمي وتأسيس المفهوم، مجلة اللّغات والترجمة، المجلد 03، العدد 01، مخبر تكنولوجيايات الإعلام والاتصال في تعليم اللّغات الأجنبية والترجمة، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، 1 جانفي 2023م، ص164-181.

(**) استنادًا إلى محور التّرجمة من منظور اجتماعي (La Traduction dans une Perspective Sociologique) الذي تناولت فيه كارتية مبحثي: النظرية الاجتماعية عند بير بورديو (La Théorie Sociologique de Pierre Bourdieu)، وعلم الاجتماع التّرجيمي (سوسولوجيا التّرجمة La Sociologie de la Traduction)، راجع: (Voir : Delphine CHARTIER, *op. cit.*, p63-64).

الفصل الثاني: جدلية الأنا والآخر في ضوء الترجمة ونظرياتها

التي أفرزتها الترجمة العربية للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، في الحقبة الاستعمارية، وفق منظور تَرْجَمِيٍّ صرف.

1.2.2.2 جدلية الأنا والآخر في الحقل الأدبي:

يتجزأ العالم الاجتماعي إلى عوالم صغرى شتى، تتمثل هذه العوالم الاجتماعية في الحقول، حيث يملك كل واحد رهانات مُعَيَّنَة، ومواضيع مُحدَّدة، ومصالح خاصّة. مثل: الحقل الأدبي، والحقل العلمي، والحقل القانوني، والحقل الاقتصادي، والحقل الديني، والحقل الصحفي، والحقل التَّرجَمِيّ... وغيرها مِنْ حقول⁽¹⁾. ولكل حقلٍ مُتخصِّص مِنْ الحقول المذكورة قوانينه الخاصّة⁽²⁾، وهابيتوسه الخاص، تعمل هذه الهابيتوسات بانتظام فيما بينها لتُنتج حقلاً عامّاً، يُطلق عليه غسان الخالد مصطلح الذهنيّة⁽³⁾. وحتى يشتغل حقل ما ويُفَعَّل، وفق بيير بورديو، يجب أن تكون ثَمّة رهانات مُعَيَّنَة، وأشخاص مستعدون لِلْعِبَة، يتمتعون بالهابيتوس الذي ينطوي على معرفة القوانين الكامنة في اللّعبة والاعتراف بها وسيرورتها ورهاناتها وتداعياتها⁽⁴⁾.

وفي الحقل التَّرجَمِيّ، يُعرّف الحقل (le champ) بوصفه بيئة خاصّة ينشأ فيها الوكلاء (agents) الذين تربطهم مصالح مشتركة في مجال نشاط معين، وتختلف سلطات هؤلاء الوكلاء بحسب المواقع التي يحتلونها، المختلفة باختلاف عامل الوقت. وفي الحقل الأدبي، تتجلى مواقع هؤلاء الوكلاء في صُور المُؤَلِّفين، والنّاشرين، ومُديري النّشر، والمُترجمين؛ الذين ينسجون علاقات قوة بينهم، ومن ثَمَّ يُحدِّدون رهانات ما، وقضايا مُعَيَّنَة، واهتمامات خاصّة. وأحد هؤلاء الوكلاء الذين يُشاركون في اللّعبة التي تجري وقائعها في الحقل الأدبي هو المُترجم⁽⁵⁾.

2.2.2.2 جدلية الأنا والآخر وهابيتوسات الكاتب والمُترجم والقارئ:

يُعرّف الهابيتوس *l'habitus* بأنه «نسق الاستعدادات المكتسبة مِنْ جرّاء التلقين الضمنيّ أو

(1) يُنظر: ستيفان شوفالبيه، وكريستيان شوفيري، معجم بورديو، ترجمة: د. الزهرة إبراهيم، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دار الجزائر، الشركة الجزائرية السورية للنشر والتوزيع، ط1، دمشق - الجزائر، 2013م، ص147.

(2) Voir : Pierre BOURDIEU, *Questions de sociologie*, Paris, Les Éditions de Minuit, 2002, p132.

(3) يُنظر: غسان الخالد، الهابيتوس العربي: قراءة سوسيو - معرفية في القيم والمفاهيم، منتدى المعارف، ط1، بيروت - لبنان، 2015م، ص8-9.

(4) Voir : Pierre BOURDIEU, *Questions de sociologie*, op. cit., p114.

(5) Voir : Delphine CHARTIER, op. cit., p63.

الفصل الثاني: ————— جليّة الأنا والآخر في ضوء الترجمة ونظريّاتها —————

الصريح. ويُؤلّد الهابيتوس استراتيجيّات يمكن أن تتوافق موضوعيًا والمصالح الموضوعيّة لمؤلفها دون أن تكون مُصمّمة – بنحوٍ صريح – لهذا الغرض»⁽¹⁾. فالهابيتوس هو «ما اكتسبه المرء، ولكنه ما تجسّد بنحوٍ دائمٍ في الجسد في ضَرْبِ استعدادات دائمة. ويُشير هذا المفهوم إلى شيء ما تاريخيٍّ (مرتبط بالتاريخ الفرديّ) منحوت في نمط تفكير وراثيٍّ صرف، خلافًا لأنماط التفكير الجوهريّة (مثل مفهوم الكفاءة أو الأهلية *compétence* الذي نجده في معجم تشومسكي)⁽²⁾. وبنحوٍ عامٍّ، يُعدّ الهابيتوس نسقًا من الاستعدادات الدائمة التي تُنقل من جيلٍ إلى جيلٍ بواسطة سيرورة التنشئة الاجتماعيّة، تكون العائلة والمدرسة مهدها لها. إذ تُؤسّس العائلة أحكامًا، كما تُرسّخ المدرسة أفكارًا، ليصبح الفرد بعدها في حياته اليوميّة والعمليّة نتاجًا لهذه الاستعدادات المتناسقة التي تؤدي إلى تشكّل بنية معرفيّة. ويتشكّل الهابيتوس – عمومًا – من جرّاء التجارب السابقة⁽³⁾.

ومن منظورٍ ترجميٍّ، يلجُ كلُّ وكيل (agent) من الوكلاء (من المؤلّفين، والنّاشرين، ومُديري النّشر، والمترجمين)، الحقلَ بزاوِ (Bagage) خاصٍّ به، إنّه هابيتوسه (*son habitus*) الخاصّ. يتشكّل الهابيتوس (*l'habitus*) بمرور الوقت مما يسمح بالتفكير في سلوك الترجمة بوصفها تجليًّا من تجلّيات الاستعدادات المكتسبة التي تدفع المترجم إلى مُباشرة خيارات مُعيّنة، واتخاذ قرارات حاسمة، وفقًا لتاريخه الشخصي، وتجاربه التي يَسْتَقِمها من عصره ويستمدّها كذلك من السياق الاجتماعيّ المحيط به⁽⁴⁾.

وبُغية نقل تجلّيات الأنا والآخر، بخصوصيّاتها ومرجعياتها وأبعادها (راجع الفصل الأوّل، المبحثين الثاني والثالث)، من النّصّ الروائيّ الجزائريّ المصدر (المكتوب بالفرنسيّة) إلى النّصّ المُستهدَف (المكتوب بالعربيّة)؛ فإن سيرورة الترجمة الروائيّة مُطالبّة – في هذا الصّدّد – بتحيين هابيتوس الكاتب (*l'habitus d'auteur*)، وهابيتوس وكلاء الترجمة (*l'habitus des agents de la traduction*)، أي النّاشر والمترجم، وهابيتوس القارئ (*l'habitus du lecteur*) مُستَقْبِل النّصّ المُترجم في الحقل المُستهدَف⁽⁵⁾، سعيًا إلى تجسيد تلك الأبعاد المذكورة، بالتأثير ذاته، والواقع نفسه، والوتيرة ذاتها.

(1) Pierre BOURDIEU, *Questions de sociologie*, op. cit., p119–120.

(2) *Ibid.*, p134.

(3) يُنظر: غسان الخالد، المرجع السابق، ص11.

(4) Voir : Delphine CHARTIER, op. cit., p63.

(5) Voir : Jean-Marc GOUANVIC, *Pratique Sociale de la Traduction : Le Roman Réaliste Américain dans le Champ Littéraire Français (1920–1960)*, Arras, Artois Presses Université, 2007, p36–37.

الفصل الثاني: جدلية الأنا والآخر في ضوء الترجمة ونظرياتها

وإذا سلمنا بأن المنطق الموضوعي للحقول يمرُّ من المترجم وعبره، فإن هابيتوس المترجم (*l'habitus du traducteur*)، المتمثل في استعدادات مكتسبة ودائمة ومُنقولة، هو ما يجعله يُترجم بطريقة ما دون الأخرى⁽¹⁾، أي أن نقل أبعاد جدلية الأنا والآخر المبثوثة في الخطاب الروائي الجزائري المكتوب بالفرنسية إلى العربية رهين هابيتوس المترجم المُتَمَقِّص وجداً الذي تُجسّد به طريقة الترجمة، وينعكس - لا محالة - على نتائجها.

3.2.2.2 جدلية الأنا والآخر وإيلوزيو *l'illusio* النصّ الروائي:

الإيلوزيو (*illusio*) كلمة ذات أصل لاتيني (أصل الكلمة الاشتقاق *ludus*) وتعني اللعب (*Jeu*). ويقصد بها بورديو حقيقة التواجد في ثنايا اللعبة، والاستثمار فيها، وأخذها على محمل الجد. إنّ مصطلح الإيلوزيو (*l'illusio*) هو حقيقة الوقوع في اللعبة، أو الانشغال بها، أو الاعتقاد بأنها تستحق هذا العناء كلّها، أي أنها تستحق اللعب. ويُحيل مصطلح المصلحة (*l'intérêt*)، في جوهره، إلى ما بثّه بورديو - بدقة - في مصطلح الإيلوزيو (*l'illusio*) ومفهومه، إذ يقصد بورديو من توظيفه حقيقة منح لعبة اجتماعية ما أهمية معينة، وأن ما يجري فيها مُهمّ لأولئك الذين يشاركون فيها والذين هم جزء منها. ليُبيدي المرء اهتمامه (أي أن يكون المرء مُهتمًا)، عليه أن يُشارك، ومُشاركته دليل على اعترافه بأن اللعبة تستحق أن تُلعب، وأن الرهانات الناجمة عن حقيقة اللعب تستحق المتابعة⁽²⁾.

بناءً على هذه المعطيات الرصينة، يُعدُّ «الإيمان الجمعي باللعبة (*illusio*) وبالقيمة المقدسة لرهاناتها هو في آن معاً شرط ونتاج لسيرورة اللعبة نفسها»⁽³⁾. ومن هنا يُستنتج بأن مصطلح الإيلوزيو (*l'illusio*) حامل لمعاني الانخراط في اللعبة، والاهتمام بها، والإسهام فيها، والاستثمار فيها وفي مستقبلها، حتّى لا يصير وهماً⁽⁴⁾. وفي جدلية الأنا والآخر المبثوثة في النصّ الروائي، يُعدُّ الإيلوزيو الأدبي (*l'illusio littéraire*) بصفة عامّة، ذلك الانخراط الأصلي في اللعبة الأدبية والاندماج فيها، أي تلك اللعبة الأدبية التي تُؤسّس اعتقاداً بأهمية (*l'importance*) الروايات الأدبية، أو تثبُّ إيماناً بمصلحتها (*l'intérêt*)؛ ضرباً من ضروب متعة لعب اللعبة ومُمارستها، والمشاركة في جدلية الأنا والآخر المبثوثة فيها، والتوافق

(1) Voir : Jean-Marc GOUANVIC, *op. cit.*, p47.

(2) يُنظر: بيار بورديو، أسباب عملية: إعادة النظر بالفلسفة، تعريب: د. أنور مغيث، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، سرت - ليبيا، 2004م، ص175.

(3) بيار بورديو، قواعد الفن، ترجمة: إبراهيم فتحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، القاهرة، 2013م، ص309.

(4) يُنظر: بيار بورديو، الرمز والسلطة، ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، ط3، الدار البيضاء - المغرب، 2007م، ص26.

_____ الفصل الثَّانِي: _____ جِلَّةُ الأنا والآخَر في ضوء الترجمة ونظريَّاتها _____

التَّامَّ والافتراضات المُسبقة للعبة، وضرباً كذلك مِنْ ضُرُوب الوهم الأدبيّ (l'illusion littéraire) وتأثير الاعتقاد (الإيمان croyance) الذي يمكن أن يُنتجه النَّصُّ الروائيُّ الأَصْل⁽¹⁾، بلُغته الأَصْل، ثُمَّ ترجمته فيما بعد.

إذا كان كل حَقْلٍ مِنْ الحقول يُوهب بإيلوزيو (l'illusio) مُحدَّد، فإن سيرورة الترجمة الروائيَّة تستدعي مِنْ المُترجم أن ينقل إلى النَّصِّ الروائيِّ المُستَهْدَف الإيلوزيو (l'illusio) ذاته الذي وضعه كاتب النَّصِّ الروائيِّ الأَصْل، بالوتيرة ذاتها والوَقْع نفسه، مما يُؤمى – للوهلة الأولى – أن اتفاقاً وانسجاماً وأُلْفَةً قد عَقِدَتْ بينهما سَلْقاً (أي بين الكاتب والمُترجم). وفي الأخير، يشعر القارئ المُستَهْدَف بالإيلوزيو (l'illusio) ذاته مثل الذي يُحسُّ به قارئ النَّصِّ الروائيِّ المَصْدَر. ويُقصد بالإيلوزيو (l'illusio) في هذا السياق، قواعد اللُّعبة الروائيَّة المُؤَسَّسة للأَصْل. يعتمد استثمار المُترجم (بمعنى الإيلوزيو illusio) في اللُّعبة – أساساً – على موقعه في حلقة النَّشر، فإن هو أحسن الاستثمار في نفسه وفي موقعه وتحلَّى بالقوة، فبوسعه – حينها – احتلال موقع مُهيمن، وإن لم يكن الأمر كذلك، فإن موقعه مُهدَّد، ويُصبح محكوماً عليه بالاختفاء⁽²⁾. وهذا راجع إلى الاستراتيجية التَّرجِمِيَّة المُنتَهَجَة، والمَشْرُوع التَّرجِمِيّ المُؤَسَّس، والقوى المُتَحَكِّمة في حلقة النَّشر.

يعتمدُ الإيلوزيو (l'illusio) النَّاتج عن النَّصِّ الروائيِّ المَصْدَر على الأساليب التعبيريَّة التي يَبْنُها الكاتب الجزائريُّ في روايته المكتوبة بالفرنسيَّة، أي الأساليب النَّاقلة للمعنى الذي اتَّخذته أبعاد الأنا والآخَر في النَّصِّ الروائيِّ. لكن ما يُوجَّه إليه الإيلوزيو (l'illusio) ليس الأساليب التعبيريَّة فحسب؛ إنَّما التأثير الذي يُثيره النَّصُّ – بأبعاد الأنا والآخَر المَبْثُوثَة فيه – في ذهن القارئ، لا سيَّما أن العلاقة بين النَّصِّ والقارئ قائمة على مُعتقدٍ ما⁽³⁾. وتأسيساً على هذا الفهم، تتوخَّى هذه الدِّراسة – في شِقِّها التَّطْبِيقِيّ – تحليل الإيلوزيو النَّاتج عن ترجمة الرواية الجزائريَّة المكتوبة بالفرنسيَّة والمُمارَس على قارئها، مُتَسَائِلَةً: هل استُبدِل هذا الإيلوزيو في النَّصِّ العربيِّ المُستَهْدَف أم أن سيرورة النَّقل قد حافظت على الإيلوزيو ذاته المُؤَسَّس لكيان الأَصْل الفرنسيّ؟

(1) يُنظر: بيير بورديو، قواعد الفن، المرجع السابق، ص434.

Pierre BOURDIEU, *Les Règles de l'Art : Genèse et Structure du Champ Littéraire*, Paris, Éditions du Seuil, 1992, p455. Cité aussi par : Delphine CHARTIER, *op. cit.*, p63–64. Cité aussi par : Jean-Marc GOUANVIC, *op. cit.*, p35–36.

(2) Voir : Delphine CHARTIER, *op. cit.*, p63–64.

(3) Voir : Jean-Marc GOUANVIC, *op. cit.*, p39.

4.2.2.2 جدليّة الأنا والآخَر في ميزان رأس المال الرمزيّ:

على غرار رأس المال الاقتصاديّ المُتمثّل في الثّورة المادية – وإن كان له انعكاس على الوضع الاجتماعيّ – يتكوّن رأس المال الثّقافيّ من الثروات الرمزية كالمعارف المكتسبة (منها التميّز في حقول المعرفة، والثّقافة، والتحكّم في اللّغة، والدراية بالعالم الاجتماعيّ)، والثروات الثّقافيّة (المُتمثّلة في اللّوحات الفنيّة، والكتب، والمعاجم، والترجمات... إلخ). يتطلب اكتساب رأس المال الثّقافيّ عوامل عدّة، منها عامليّ الوقت والوسائل الماديّة، ومن هنا يُستنتج الارتباط الوثيق الذي يجمع بين رأس المال الثّقافيّ ورأس المال الاقتصاديّ. وبخصوص رأس المال الاجتماعيّ، فهو أحد ضُروب الاتّصالات، والعلاقات، والمعارف، والصدقات، وغيرها من جوانب تُكسبُ الفاعل سِماكةً اجتماعيّةً متينة⁽¹⁾. إجمالاً، تسعى رؤوس الأموال الاقتصاديّة، والثّقافيّة، والاجتماعيّة، واللّغويّة – بدرجاتٍ متفاوتة – إلى الاشتغال بوصفها رأس مال رمزيّ. ويكمن هدف بعض الحقول الدينيّة، والفنيّة، والسياسيّة، والجامعيّة... ونحو ذلك، في إنتاج ثروات رمزيّة نوعيّة⁽²⁾، أي ملكيّة خاصّة ذات قيمة لدى الفرد الاجتماعيّ.

وفي الحقل التّرجيميّ، يُعرّف مفهوم رأس المال الرمزيّ (le capital symbolique) بأنه نتاج (حصيلة) علاقة اجتماعيّة قائمة، مثل سمعة الكاتب، وصيته، ومواقفه، وانتماؤه إلى فضاءٍ ثقافيّ ذا قيمة وشرعيّة. وفي هذا السياق، تُستحضّر الشرعيّة التي يتمتع بها الأدب الجزائريّ المكتوب بالفرنسيّة في الحقل الأدبيّ الجزائريّ، لا سيّما في مُحاولات ترجمة روايات جزائريّة مكتوبة بالفرنسيّة (أو إعادة ترجمتها) إلى العربيّة، في سوق النّشر العربيّة عامّةً، والجزائريّة على وجه التحديد. وتجدر الإشارة إلى أن رأس المال الرمزيّ هذا حاسم في اتخاذ قرار ترجمة أعمال كاتب جزائريّ ما، فكاتب النّصّ الروائيّ المصدر غالباً ما يتكفل بنقل رأس المال الرمزيّ إلى الحقل المُستهدَف ونادراً ما تُسند المهمة إلى المُترجم، حتّى لو كان وكيل نقل مُعتمدٍ تُؤهله مكانته المهمة التي يحتلّها في حلقة النّشر من ذلك⁽³⁾.

وستستأثر الدّراسة التّطبيقيّة من هذا البحث بتحليل الطريقة التي نُقل بها رأس المال الرمزيّ من النّصّ الروائيّ الأصل (المكتوب بالفرنسيّة) إلى النّصّ الروائيّ المُستهدَف (المكتوب بالعربيّة)، في خضم جدليّة الأنا والآخَر. إذ يمكن قراءة رأس المال الرمزيّ، الذي ينتقل من المجتمع المصدر (في حقبته) إلى المجتمع المُستهدَف (في حقبته) عن طريق الترجمة، في النّصّ الروائيّ المُستهدَف في صورة احتمالات

(1) يُنظر: ستيفان شوفالبييه... وآخ، المرجع السابق، ص162-163.

(2) يُنظر: المرجع نفسه، ص164-166.

(3) Voir : Delphine CHARTIER, *op. cit.*, p63.

_____ الفصل الثّاني: _____ جدليّة الأنا والآخر في ضوء الترجمة ونظريّاتها _____

منفتحة على القُراء المُستَهْدَفِين، كأن المجتمع المُستَهْدَف (من موقعه) ينادي بمجيء العالم الذي تملّيه ترجمة النّص الروائيّ المصدر⁽¹⁾، وما يُصاحب سيرورة النّقل هذه من تداعيات.

وفي ختام هذه النّقطة البحثيّة التي تُعنى بمُدَارَسَة جدليّة الأنا والآخر في ميزان الترجمة من منظور اجتماعيٍّ، يُستنتج بأن مفهوميّ الهابيتوس (أو هابيتوسات الكاتب والمترجم والقارئ) والحقل (الحقل الروائيّ الجزائريّ) مرتبطان ارتباطاً وثيقاً، إذ لا يمكن تصوّر أحدهما دون الآخر⁽²⁾. وتُحلّل هذه الدّراسة لحظة ظهور الترجمات العربيّة للرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة وفقاً لهابيتوس الوُكلاء المُترجمين النشّاطين في الحقول التي تستهدفها الترجمات محلّ النّقل، وذلك بإبراز التعاطف الوجدانيّ الذي قامت عليه هذه الترجمة الروائيّة بوصفها نتاجاً. كما تسعى هذه الدّراسة إلى الكشف عن نمط التنشئة الاجتماعيّة المتجسّد في الهابيتوس الذي تفترضه - عادةً - الممارّسة التّرجميّة لهذا الجنس الروائيّ، والذاتيّة التاريخيّة النّاتجة عن انتماء هذا النّصّ الروائيّ الجزائريّ المُترجم (إلى العربيّة) إلى حقل الأدب الجزائريّ المكتوب بالفرنسيّة، في الحقبة الاستعماريّة⁽³⁾، في خضم جدليّة الأنا والآخر وأبعادها.

وبُغية تجسيد جدليّة الأنا والآخر المبنوثة في حنايا الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة في أثناء سيرورة الترجمة، لا بدّ من نقل الأبعاد التي اتخذتها هذه الجدليّة في مسار النّصّ الروائيّ المصدر (الفرنسيّ) إلى النّصّ الروائيّ المُستَهْدَف (العربيّ). إذ تُحَيّن سيرورة الترجمة الروائيّة، في هذا المقام، هابيتوس الكاتب، وهابيتوس وُكلاء الترجمة (أي النّاشر والمترجم)، ورأس المال الرمزيّ، وشرعيّة (la légitimité) النّصّ الروائيّ الجزائريّ المكتوب بالفرنسيّة - بوصفه عملاً مصدراً - في الحقل المُستَهْدَف (le champ cible)، بالتحوّلات الكامنة في الترجمة كلّها⁽⁴⁾. وتجدر الإشارة في هذا الصدد، إلى أن الحقل المُستَهْدَف الذي تتوخّاه الترجمة العربيّة للرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة ليس حكراً على جمهور القُراء الجزائريّين فحسب، بل قد يسع جمهور القُراء العرب برمتهم.

وحثّى يتمكّن النّاقِد التّرجميّ من إبراز تجلّيات جدليّة الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائريّة إلى العربيّة، عليه أن يبحث عن ذلك التّقمّص الوجدانيّ الذي مكّن المترجم من تجسيد طرفي الجدليّة، لا على صعيد النّتاج التّرجميّ - بمعناه الضيّق - فحسب؛ وإنّما في نتاجات أخرى مُتضمّنة فيما وراء

(1) Voir : Jean-Marc GOUANVIC, *op. cit.*, p25.

(2) Voir : *Ibid.*, p23.

(3) Voir : *Ibid.*, p26.

(4) Voir : *Ibid.*, p36-37.

الفصل الثّاني: جدليّة الأنا والآخَر في ضوء الترجمة ونظريّاتها

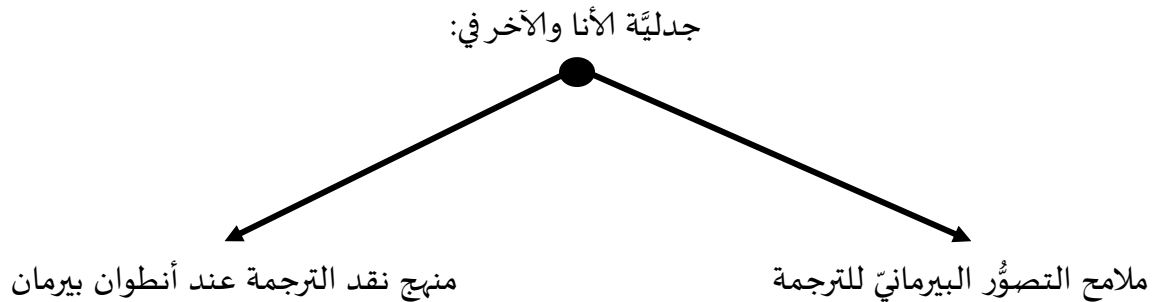
النّتاج التّرجميّ للمُترجم^(*)، مثل ما يُعبّر عنه المُترجم في سيره الذاتيّة، ومُدكّراته، واسْتِغْلالاته، ومُقدّماته، وتصديراته، وتمهيداته، وملاحظاتّه، وهوامشه، وحواشيه⁽¹⁾.

إنّ البحث الاجتماعيّ بمقدوره خلق آفاق تَرْجَمِيّة جديدة يُمكن تبنيها في أثناء تحليل الترجمة الروائيّة مِنْ منظورين اجتماعيّ وتَرْجَميّ، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: عِلْم الاجتماع في دراسته للمُترجمين والوكلاء، وعِلْم الاجتماع في دراسته الترجمة عامّة والعمليّة التّرجميّة على وجه التحديد، وعِلْم الاجتماع في دراسته الترجمات بوصفها نتاجاً⁽²⁾.

وستُزوّج هذه الدّراسة، في تحليلها ترجمات الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة إلى العربيّة، بين المنظورات الاجتماعيّة المختلفة، سواء أكانت اجتماعيّة وثقافيّة أم اجتماعيّة وسياسيّة؛ مُتوخّية تقصّي الأيديولوجيّات والمسالك الاجتماعيّة التي اهتدت إليها تلك الترجمات الواقعة في سياق ما بعد الاستعماريّة.

3.2.2 جدليّة الأنا والآخَر في ميزان نظريّة الترجمة عند أنطوان بيرمان:

تُدارس هذه النّقطة البحثيّة جدليّة الأنا والآخَر في ميزان نظريّة الترجمة عند أنطوان بيرمان مِنْ منظورين اثنين، وفق ما يُبرّزه الرّسْم الآتي:



وستستدرج هذه الدّراسة التّصوُّرات البيرمانيّة النّظريّة والنّقديّة إلى شقّها التّطبيقيّ، أي في سيرورة تحليل جدليّة الأنا والآخَر في ترجمة الرواية الجزائريّة إلى العربيّة ونقدها.

(*) Les productions métatraductionnelles du traducteur.

(1) Voir : Jean-Marc GOUANVIC, *op. cit.*, p26.

(2) See: Jacob BLAKESLEY, *op. cit.*, p7.

_____ الفصل الثاني: _____ جدلية الأنا والآخر في ضوء الترجمة ونظرياتها _____

1.3.2.2 جدلية الأنا والآخر في ملامح التصور البيروماني للترجمة:

أسست أعمال المفكر الفرنسي الراحل أنطوان بيرمان(*) لبنة أساسية في التنظير للترجمة وممارستها، فالترجمة وفق بيرمان منبع للخلق والإبداع، ومقام لاستقبال الآخر والغير والغريب والأجنبي (Étranger)، بلُغته وثقافته وحضارته، وهي كذلك انفتاح وإنصات وتجاوز وتفاعل مع الآخر (l'Autre). لذا، يتعين على الترجمة مناهضة النزعات المركزية العرقية والثقافية⁽¹⁾. ترومُ الغاية الأخلاقية للترجمة - وفق التصور البيروماني - في استقبال الغريب (l'Étranger) في جسدته (dans sa corporéité) (charnelle)، يعني هذا أنها لن تنفصل عن حرف (lettre) العمل الأصل. وبخصوص الأمانة (la fidélité) في الترجمة، يجزم بيرمان بأنه لا أمانة إلا تجاه الحرف⁽²⁾. ينتصر هذا المنظور البيروماني لأننا الكاتب وعمله الأدبي الأصل، والثقافة الأخرى المبتوثة فيه، بغرابتها وغيبيتها وأخريتها، متحديةً بذلك أنا المترجم (أي الذات المترجمة)، وأنا الثقافة المستهدفة، بأعرافها وقواعدها وشرائعها.

ومن أبرز ملامح التصور البيروماني للترجمة مدارسته صيغتين تقليديتين ومهيمنتين في حنايا الترجمة الأدبية وهما:

- الترجمة المتمركزة عرقياً (traduction ethnocentrique).
- والترجمة التحويلية (traduction hypertextuelle).

فالأولى تُرجع كل شيء إلى معايير الثقافة الخاصة بالمترجم (إلى أنا المترجم)، وعدّ ما هو خارج عن نطاق أنا هذه الثقافة كلّها (أي الآخر والغير والغريب) سلبياً. أمّا الثانية، فهي تُحيل على النصوص المتولدة عن التقليد (imitation)، أو المحاكاة الساخرة (parodie)، أو المحاكاة التهمكية للأسلوب (pastiche)، أو التكيف (adaptation)، أو الانتحال (plagiat)، أو أيّ ضرب من ضروب التحويل الشكلي انطلاقاً

(*) مترجم فرنسي وعلم من أعلام علم الترجمة الحديث، يُعدُّ من أبرز مَنْ نظّروا للترجمة في القرن العشرين. وُلد أنطوان بيرمان سنة 1942م، وحاز سنة 1981م شهادة الدكتوراه في اللسانيات بأطروحة تُعنى بنظرية الترجمة عند الرومانسيين الألمان، التي تحوّلت فيما بعد إلى كتاب عنوانه: محنة الغريب: الثقافة والترجمة في ألمانيا الرومانسية. أثنى أنطوان بيرمان الساحة الترجمكية بحصيلة ثقيلة من المؤلفات، جمعت بين الترجمات من الإنجليزية والألمانية وعدد كبير من الكتب والمقالات والمداخلات التي تُعنى بتاريخ الترجمة ونقد الترجمات (ينظر: غسان لطفي، المرجع السابق، ص9). تُوفي أنطوان بيرمان في 22 نوفمبر 1991م، عن عمر ناهز التاسعة والأربعين، خلال الأشهر الثلاثة من مرضه المُفاجئ (Voir : Antoine BERMAN, Pour une critique des traductions : John Donne, Paris, Gallimard, 1995, p7).

(1) يُنظر: أنطوان برمان، المرجع السابق، ص9-10.

(2) يُنظر: المرجع نفسه، ص104.

_____ الفصل الثَّانِي: _____ جِلْيَةُ الْأَنَا وَالْآخَرُ فِي ضَوْءِ التَّرْجُمَةِ وَنَظَرِيَّاتِهَا _____

مِنْ نَصِّ آخَرٍ مَوْجُودٍ سَلْفًا. وَقَدْ بَدَأَ بِيرْمَانُ بِهَاتَيْنِ الصِّغَتَيْنِ لِأَنَّهُمَا كَانَتَا سَبَبًا فِي إِدَانَةِ التَّرْجُمَةِ عَلَى مَرِّ الْأَزْمَنَةِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكْتَسِيَ الْمِثَالُ الْمُتَدَاوِلُ (التَّرْجُمَةُ خِيَانَةٌ traduttore traditore) أَهْمِيَّتَهُ إِلَّا مِنْهُمَا⁽¹⁾.

وَتَقَعُ التَّأْمُّلَاتُ النَّظَرِيَّةُ الْبِيرْمَانِيَّةُ خَارِجَ الْإِطَارِ الْمَفْهُومِيِّ لثَنَائِيَّةِ النَّظَرِيَّةِ وَالْمُمَارَسَةِ، إِذْ يُعَوِّضُهَا بِثَنَائِيَّةِ التَّجَرِبَةِ وَالتَّأْمُلِ؛ فَالتَّرْجُمَةُ بِوَصْفِهَا تَجَرِبَةً بِمَقْدُورِهَا أَنْ تَنْفَتِحَ عَلَى التَّأْمُلِ وَهِيَ - فِي الْأَصْلِ - تَأْمُلٌ بِحُسْبَانِهَا تَجَرِبَةً. وَتُعَدُّ التَّرْجُمَةُ تَجَرِبَةً الْأَعْمَالِ وَكَيُنُونِهَا (l'être-œuvre)، وَتَجَرِبَةُ اللُّغَاتِ وَكَيُنُونِهَا (l'être-langue) عَلَى وَجْهِ التَّحْدِيدِ، وَهِيَ - وَفْقَ هَذَا الْمَنْظُورِ الْبِيرْمَانِيِّ - تَجَرِبَةُ خَاصَّةٍ بِذَاتِهَا وَجَوْهَرِهَا. وَبِعِبَارَاتٍ أُخْرَى، تَحْضُرُ فِي فِعْلِ التَّرْجُمَةِ مَعْرِفَةٌ مُحَدَّدَةٌ، وَهِيَ مَعْرِفَةٌ فَذَّةٌ (sui generis)، وَبِنَاءٌ عَلَى ذَا، لَيْسَتْ التَّرْجُمَةُ أَدَبًا وَلَا نَقْدًا فَرْعِيَّيْنِ، وَلَا لِسَانِيَّاتٍ أَوْ شَعْرِيَّةٍ؛ إِنَّهَا ذَاتُ (sujet) تُعْنَى بِمَعْرِفَةٍ خَاصَّةٍ وَمَوْضُوعِهَا (objet) فِي الْآنِ ذَاتِهِ⁽²⁾. وَفِي سِيَاقِ هَذِهِ التَّأْمُّلَاتِ الْفَلَسَفِيَّةِ لِلتَّرْجُمَةِ، يُشَدِّدُ بِيرْمَانُ عَلَى ثَنَائِيَّةِ مُصْطَلَحِي التَّجَرِبَةِ وَالتَّأْمُلِ فِي تَعْرِيفِهِ عِلْمِ التَّرْجُمَةِ بِ:

« La traductologie : la réflexion de la traduction sur elle-même à partir de sa nature d'expérience »⁽³⁾.

«وَعِلْمُ التَّرْجُمَةِ هُوَ اسْتِبْصَارُ التَّرْجُمَةِ فِي ذَاتِهَا بِنَاءً عَلَى طَبِيعَةِ تَجَرِبَتِهَا.» (تَرْجَمَتُنَا).

وَلَقَدْ اسْتَمَدَّ بِيرْمَانُ مُصْطَلَحِي التَّجَرِبَةِ وَالتَّأْمُلِ مِنْ رَحِمِ الْفَلَسَفَةِ، وَمِنْ التَّفَكِيرِ الْفَلَسَفِيِّ الصِّرْفِ الْخَاصِّ بِفِعْلِ التَّرْجُمَةِ⁽⁴⁾ عَلَى وَجْهِ التَّحْدِيدِ (رَاجِعِ الْمَبْحَثَ الْأَوَّلَ مِنْ هَذَا الْفَصْلِ).

وَمِنْ وَجْهَةِ نَظَرٍ تَطْبِيقِيَّةٍ، يُشِيرُ بِيرْمَانُ إِلَى ثَلَاثَةِ عَشْرَ نَوْعًا مِنَ الْمَيُولِ التَّحْرِيفِيَّةِ (les tendances déformantes)^(*) النَّسْقِيَّةِ، تَتِمَثَّلُ غَايَتُهَا فِي هَدْمِ حُرُوفِ الْأَصُولِ لِصَالِحِ الْمَعْنَى (sens) وَالشَّكْلِ الْجَمِيلِ (belle forme)، الَّتِي انْبَرَى بِيرْمَانُ يُحَلِّلُهَا، وَهِيَ^(**): الْعَقْلَنَةُ (la rationalisation)، وَالتَّوْضِيحُ (la

(1) يُنْظَرُ: أَنْطَوَانُ بَرْمَانُ، الْمَرْجِعُ السَّابِقُ، ص 47-48.

(2) يُنْظَرُ: الْمَرْجِعُ نَفْسُهُ، ص 33-34.

(3) Antoine BERMAN, *La Traduction et la Lettre...*, op. cit., p17.

(4) يُنْظَرُ: أَنْطَوَانُ بَرْمَانُ، الْمَرْجِعُ السَّابِقُ، ص 35.

(*) النَّزَعَاتُ التَّشْوِيهِيَّةُ (ص 121-122)، الْإِبْضَاحُ (ص 129-131)، التَّنْبِيلُ أَوْ التَّفْخِيمُ (ص 134-137)، الْإِفْقَارُ النُّوعِيَّ (ص 137-139)، الْإِفْقَارُ الْكَيِّ (ص 139-141)، هَدْمُ الشَّبَكَاتِ التَّحْتِيَّةِ الدَّالَّةِ (ص 144-147)، تَدْمِيرُ الشَّبَكَاتِ اللُّغَوِيَّةِ الْمُحَلِّيَّةِ أَوْ إِغْرَابِهَا (ص 150-152)، (يُنْظَرُ: غَسَانُ لَطْفِي، الْمَرْجِعُ السَّابِقُ).

(**) وَبُغْيَةُ ضَبْطِ الْمُصْطَلَحَاتِ التَّرْجُمِيَّةِ بِلُغَتِهَا الْأَصْلِ، تَسْتَنْدُ الدِّرَاسَةُ إِلَى الْمَرْجِعِ الْأَصْلِ: (Antoine BERMAN, *La Traduction et la Lettre...*, op. cit., p52-68).

_____ الفصل الثَّانِي: _____ جَدَلِيَّةُ الْأَنَا وَالْآخَرِ فِي ضَوْءِ التَّرْجُمَةِ وَنَظَرِيَّاتِهَا _____

(clarification)، والتطويل (l'allongement)، والتفخيم والتبسيط (l'ennoblement et la vulgarisation)، والاستنفاد الكيفي (l'appauvrissement qualitatif)، والاستنفاد الكمي (l'appauvrissement quantitatif)، والمجانسة (l'homogénéisation)، وهدم الإيقاعات (la destruction des rythmes)، وهدم الشبكات الدالّة والضمنيّة (la destruction des réseaux)، وهدم التنسيقات النَّصِيّة (signifiants sous-jacents)، وهدم الشبكات اللُّغويّة المحليّة أو تغريبها (la destruction ou l'exotisation des textuels)، وهدم العبارات المألوفة والاصطلاحات (réseaux langagiers vernaculaires)، ومحو التراكبات اللُّغويّة (des locutions et idiotismes)، وهدم العبارات المألوفة والاصطلاحات (la destruction des superpositions)، وهدم العبارات المألوفة والاصطلاحات (de langues). إنّ الملاحظ في هذه الميول التحريفية أن بعضها مُنحدر من بعض، كما يتقاطع بعضها والبعض الآخر⁽¹⁾.

يُحدّد بيرمان ثلاثة محاور بإمكانها أن تعطي تأملاً حديثاً في دراسة الترجمة ووضع المترجمين، وهي: تاريخ الترجمة (Histoire de la traduction)، وأخلاقيّة الترجمة (Éthique de la traduction)، وتحليليّة الترجمة (Analytique de la traduction)⁽²⁾. ويصف غسان لطفي هذه التأملات بالمشروع ثلاثي المحاور، إذ لا يمكن في تحليل هذه المحاور فصل تاريخ الترجمة عن نقد الترجمات، لأن التاريخ للترجمة يعني التأريخ لممارستها، وذلك بدراسة ما تُرجم وما لم يُترجم في حقبة ونطاق ثقافيين مُعيّنين. كما إنّ سيرورة تحليليّة الترجمات أو نقدها هي كذلك سيرورة تأريخية بامتياز، خاصّة حينما نواجه ترجمات متباعدة في المدّة، تنتهي إلى حقب معرفيّة أخرى. وينطوي الموقف التّرجيميّ المُتخذ - في عمليّتي التّحليل والنّقد - على محور أخلاقيّة الترجمة، وهذه المحاور متشابكة فيما بينها، جمع فيها بيرمان بين التأريخ والنّقد والتّنظير⁽³⁾.

تتجلّى جدليّة أنا والآخَر، من هذا المنظور البيرمانيّ، في حُسابان مُمارَسة الترجمة منبعاً للخلق والإبداع، ومقاماً لاستقبال الآخر والغير والغريب والأجنبيّ، بلُغته وثقافته وحضارته، فهي من هذا المنطلق، انفتاح وإنصات وتجاوز وتفاعل بين أنا (le Moi) والآخَر (l'Autre). وهنا، ينتصر بيرمان لأنّ الكاتب وثقافته الأخرى المبتوثة في عمله الأدبيّ الأصل، بغرابتها وغيبيتها وآخرتها، التي تتحدّى أنا المترجم

(1) يُنظر: أنطوان برمان. المرجع السابق، ص 75-94.

(2) Antoine BERMAN, *L'épreuve de l'étranger : Culture et traduction dans l'Allemagne romantique : Herder, Goethe, Schlegel, Novalis, Humboldt, Schleiermacher, Hölderlin, les essais* 226, Paris, Gallimard, 1984, p23.

(3) يُنظر: غسان لطفي، المرجع السابق، ص 18-19.

_____ الفصل الثَّاني: _____ جدليَّة الأنا والآخَر في ضوء الترجمة ونظريَّاتها _____

(أي الذات المُترجمة)، وأنا الثقافة المُستندفة، بأعرافها وقواعدها وشرائعها، وهذا ضرب من ضروب زعزعة بنية التمرُّز العرقي لأي ثقافة من الثقافات، والتصدي لأي ضرب من ضروب النرجسيَّة. وتكمن الغاية الجوهرية للمبادئ الأخلاقية التَّرجميَّة التي سنَّها بيرمان في جعل النَّصِّ المُترجم مُقامًا تتجلى فيه ثقافة الآخر، جازمًا بأنه لا أمانة إلا تجاه الحرف. بناءً على هذه المعطيات الحرفية، يضطلع الشَّيخ التَّطبيقي من هذه الدِّراسة باستدراج هذه المبادئ البيرومانيَّة إلى حقل الترجمة الروائيَّة، ومدى إمكانية إسهامها في تجسيد الترجمة العربيَّة – في حال انْتِهَجَتْ في أثناء سيرورة النُّقل – لجدليَّة الأنا والآخَر المبتوثة – بأبعادها المختلفة – في حنايا الرواية الجزائريَّة المكتوبة بالفرنسيَّة في الحقبة الاستعماريَّة.

2.3.2.2 جدليَّة الأنا والآخَر في منهج نقد الترجمة عند أنطوان بيرمان:

وفي نطاق نقد الترجمة الأدبيَّة، يسُنُّ أنطوان بيرمان في كتابه: مِنْ أَجْلِ نقد للترجمات: جُون دون⁽¹⁾، منهجًا نقديًّا للترجمة استوحاه مِنْ رحم ترجماته الأدبيَّة وكتاباتهِ وتجاربهِ ودراساتهِ التَّرجميَّة. وفي مُستهلِّ رَسْم مخططة المنهج، يتفقُ بيرمان خارطة تحليل الترجمات التي تأخذُ الأشكال التي طَوَّرها ميشونيك Meschonnic ومدرسة تل أبيب في الحُسبان، مُؤسِّسًا منهجًا ومفاهيم خاصَّة به، وساعيًا كذلك إلى التوافق والمفهوم البنياميني benjaminien المُعدِّ في نقد الترجمة⁽²⁾. وتحسُنُ الإشارة إلى أن هذه الدِّراسة التَّطبيقيَّة تتبَيَّن هذا المنهج النَّقدي البيرومانيِّ بمراحله كافة، وستُدارسُ النِّقاط الآتية مراحل هذا المنهج النَّقدي التَّرجي في ميزان جدليَّة الأنا والآخَر بأبعادها المُختلفة.

الخطوط العريضة للمنهج ESQUISSE D'UNE METHODE: ينقسمُ مسار بيرمان التَّحليلي، وفق مفهوم منهجي، إلى مراحل عدَّة مُتتابة، تتعلَّق المراحل الأولى بالعمل التمهيدي (travail préliminaire)، أي بالقراءة الفعليَّة (la lecture concrète) للترجمة (أو الترجمات عند الاقتضاء) والنَّصِّ الأصل^(*). بينما تتعلَّق المراحل التَّابِعة لها باللَّحظات الأساسيّة للفعل النَّقدي نفسه⁽³⁾. ويشمل العمل التمهيدي ما يأتي:

(أ) قراءة الترجمة ثُمَّ إعادة قراءتها **Lecture et relecture de la traduction**: وتتمثلُ في الالتزام بقراءة الترجمة (أو الترجمات) ثُمَّ إعادة قراءتها بتنحية النَّصِّ الأصل جانبيًّا. وقد تشدُّ بعض

(1) Antoine BERMAN, *Pour une critique des traductions : John Donne*, Paris, Gallimard, 1995.

(2) Voir : *Ibid.*, p64.

(*) ناهيك بالقراءات المُصاحبة والمُتعدِّدة التي تدعم هاتين القراءتين (يُنظر: المرجع نفسه، والصفحة ذاتها).

(3) Voir : *Ibid.*, p64.

_____ الفصل الثَّاني: _____ جِلَّةُ الأنا والآخَر في ضوء الترجمة ونظريَّاتها _____

المواضع أو المناطق النَّصِّيَّة (zones textuelles)، في أثناء سيرورتي القراءة وإعادة القراءة، انتباه النَّاقِد وتترك في نفسه انطباعات (impressions)، سواءً أكانت إيجابِيَّة أم سلبِيَّة، وسواءً أكانت نقاط قصور أم مواطن قوة، وهي محور العمليَّة النَّقديَّة وصلِّها⁽¹⁾. وفي الشَّقِّ التَّطبيقيِّ مِنْ هذه الدِّراسة، يُسلِّطُ الضوء على المناطق النَّصِّيَّة المُجسَّدة لأبعاد جدليَّة الأنا والآخَر التي تضمنتها الرواية الجزائريَّة المُترجمة مِنْ الفرنسيَّة إلى العربيَّة في ثناياها.

(ب) قراءات النَّصِّ الأَصْل **Les lectures de l'original**: تضطلعُ هذه المرحلة بفحص النَّصِّ الأَصْل وتفسيره، وكشف أنساقه، وإبراز سماته الأسلوبِيَّة المُمَيِّزة لِلفُتة، وتراكيبه النَّحويَّة، وإيقاعاته الفنيَّة والإبداعِيَّة؛ وذلك باستحضار المناطق النَّصِّيَّة (zones textuelles) التي تركت انطباعات (impressions) في أثناء سيرورتي قراءة الترجمة وإعادة قراءتها⁽²⁾.

ويُركِّزُ بيرمان في سيرورة التَّحليل الأوَّلِي والقراءات المصاحبة له على انتقاء النَّمَاذج الأسلوبِيَّة (sélection d'exemples stylistiques) المناسبة، التي تكتسي أهمية بالغة (significatifs) تأتت مِنْ جِزَاء تأويل النَّصِّ الأَصْل (interprétation de l'œuvre) (يختلف هذا التَّأويل باختلاف المحلِّلين). ويُطلقُ بيرمان على هذه المقاطع المُستَلَّة مِنْ الأَصْل مصطلح المناطق الدَّالَّة (les zones significantes)، حيث يبلغُ العمل الأدبيُّ ذروته ومبتغاه الخاصَّ (sa propre visée) (وليس بالضرورة مقصد الكاتب وغايته)، ومركز الثِّقل الخاصَّ به (son propre centre de gravité). ولا يظهر وقع هذه المقاطع (ces passages) عند القراءة البسيطة للأَصْل، بل يُبرزها العمل التفسيرِي (le travail interprétatif) ويثبت كيانها وجدليَّاتها⁽³⁾. وسيستنبُت الشَّقُّ التَّطبيقيِّ مِنْ هذه الدِّراسة، هذه المصطلحات التَّرجُمِيَّة النَّقديَّة المكتوبة بخطِّ بارز (بالحروف الداكنة وبالبُتُّ العريض)، في تحليل المقاطع السردِيَّة المُجسَّدة لجدليَّة الأنا والآخَر بأبعادها وخصوصيَّاتها ومرجعِيَّاتها المختلفة.

(ج) البحث عن المُترجم **À la recherche du traducteur**: بعد قراءة النَّصِّ المُترجم وإعادة قراءته، ثُمَّ الوقوف على المواطن النَّصِّيَّة التي يُمكن أن تدل على ضعفه أو قوته، وتحليل النَّصِّ الأَصْل وتفحصه وتفسيره: ينتقلُ بيرمان إلى محور هذه العمليَّة ألا وهو المُترجم، وهنا تُطرح أسئلة عديدة نحو: مَنْ المُترجم؟ ما جنسيته (جزائريًّا كان أم مغربيًّا أم مشرقيًّا في موضوع هذه الدِّراسة)؟ هل هو

(1) Voir : Antoine BERMAN, *Pour une critique des traductions*, op. cit., p65–67.

(2) Voir : *Ibid.*, p67–73.

(3) Voir : *Ibid.*, p70–71.

_____ الفصل الثَّاني: _____ جِلَّةُ الأنا والآخَر في ضوء الترجمة ونظريَّاتها _____

مُؤَلَّف سبق له إنتاج أعمال مُعينة؟ وَمِنْ أيِّ اللُّغات يُترجم؟ وما صلته بهذه اللُّغات؟ وما جنس الأعمال التي يُترجمها عادةً؟ وما الأعمال الأخرى التي ترجمها سابقاً؟ وهل هو مُترجم مُتعدِّد التخصُّصات (polytraducteur) أم مُترجم أحادي التخصُّص (monotraducteur)؟ وهل كتب حول تجاربه التَّرجميَّة وتصوُّراته النَّظريَّة والمبادئ التي ينتهجها في ترجماته ويستند إليها؟ وغيرها مِنْ تساؤلات. وفي هذه النُّقطة، يجب المُضي قُدماً بُغية تحديد⁽¹⁾:

أ – الموقف التَّرجمي **La position traductive**: وهو الموقف الذي يتَّخذه المُترجم نفسه إزاء الترجمة، يتجلَّى في ذاتيته، وخياراته، وتصريحاته، ومواقفه اللُّغويَّة... وغيرها مِنْ المواقف التَّرجميَّة التي تكون مبنوثة في العمل بصفة ضمنيَّة قد لا يُصرِّح بها المُترجم علناً⁽²⁾.

ب – مشروع الترجمة **Le projet de traduction**: تُنجز كل ترجمة في إطار مشروع معين أو هدف واضح، ويُحدِّد الموقف التَّرجميَّ وبعض المتطلبات الأخرى – التي يطرحها العمل المُراد ترجمته في كل مرة – كلاً مِنْ المشروع أو الهدف المنشود. إذ يُحدِّد المشروع الطريقة المُنتَهجة التي سيُنجزُ بها المُترجم الترجمة الأدبيَّة (والترجمة الروائيَّة في هذه الدِّراسة على وجه التحديد) مِنْ جهة، وكيفية تولي زمام سيرورة الترجمة نفسها مِنْ ناحية أخرى؛ وذلك باختيار أسلوب (mode) الترجمة وطريقتها (manière de traduire). وهنا تُذكر مسألة الحواشي المُدعِّمة للترجمة، والمقدِّمات، والاستهلاكات، وتعليقات المُترجمين، وأي معلومات أخرى تؤكد مشروع المُترجم وأسلوبه وخياراته... وغيرها مِنْ معطيات⁽³⁾.

على النَّاقِد – حسب بيرمان – أن يقرأ الترجمة بناءً على مشروعها^(*)، ولكن لن تتأثَّر حقيقة هذا المشروع إلا مِنْ عملية الترجمة نفسها ونوع الترجمة الأدبيَّة الذي تُنجزه. ولن تتجسَّد حقيقة ما يمكن أن يُصرِّح به المُترجم عن مشروعه ويكتب عنه إلا في سيرورة الترجمة ذاتها ونتائجها. ومع ذلك، فإن

(1) Voir : Antoine BERMAN, *Pour une critique des traductions*, op. cit., p73–74.

(2) Voir : *Ibid.*, p74–75.

(3) Voir : *Ibid.*, p76–79.

(*) تنقسمُ مرحلة تحليل المشروع نفسها – وفق بيرمان – إلى مرحلتين:

- يعتمدُ التَّحليل الأوَّل على قراءة الترجمة (أو الترجمات) وعلى كل ما صرَّح به المُترجم في مُقدِّمات، وملاحق (postfaces)، ومقالات، وحوارات، سواءً أكانت مُتعلِّقة بالترجمة أم لا. ويُعدُّ كل شيء هنا دليلاً يُمكن الاعتماد عليه. وعند البحث المعمَّق، قد تستدعي تصريحات المُترجم، في غير ما موضع، تأويلاً يُمكن إسقاطه على الترجمة.

- يُعدُّ العمل المُقارن نفسه، بناءً على تعريفه، تحليلاً للترجمة وللنَّصِّ الأَصْل ولأساليب تجسيد المشروع وطُرق تنفيذه. وعلى هذا النَّحو، تُقاس حقيقة المشروع (وصلاحيته) في حدِّ ذاتها وفي نتائجها (يُنظر: المرجع نفسه، ص83).

_____ الفصل الثَّاني: _____ جِلَّةُ الأنا والآخَر في ضوء الترجمة ونظريَّاتها _____

الترجمة ليست إلا تجسيداً للمشروع الذي قامت عليه، فهي تذهب إلى حيث يأخذها، بل إلى غاية المدى الذي يسلكه هذا المشروع⁽¹⁾. وسيبوح الشَّقُّ التَّطبيقيُّ من هذه الدِّراسة بحقيقة مشروع ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية، بالكشف عن طريقة تجسيد هذه الترجمة لمشروعها وعواقب هذا المشروع مقارنة بالرواية الأصل المكتوبة باللغة الفرنسية، وهذا كله في ميزان جدليَّة الأنا والآخَر.

ج - أفق المترجم^(**) L'horizon du traducteur: يتمثل في الثَّوابت والمعايير اللُّغويَّة والأدبيَّة والثَّقافيَّة والتَّاريخيَّة المُحدَّدة لإحساس المترجم وردود فعله وطريقة تفكيره. ويمكن ربط مضمون هذا المصطلح، وفق استخدام ياوس Jauss، بأفق توقُّع (horizon d'attente) الجمهور المُستَهْدَف⁽²⁾.

الملاحظ في هذه المرحلة الثَّالثة (مرحلة البحث عن المترجم) من مسار بيرمان (التي تتفرَّع منها دراسة الموقف التَّرجيِّ، ودراسة مشروع الترجمة، ثُمَّ دراسة الأفق التَّرجيِّ)، صعوبة فصل مرحلة الموقف التَّرجيِّ عن مرحلة المشروع، بخلاف مرحلة تحليل الأفق التي تبدو - مبدئيًّا - إجراءً تمهيدياً ومرحلة أوليَّة⁽³⁾.

بناءً على هذا المشروع التمهيدي الذي سنَّه بيرمان، تسعى هذه الدِّراسة في شَقِّها التَّطبيقيِّ إلى مُباشرة قراءات مُؤسَّسة للنُّصوص الروائيَّة الأصل بالفرنسيَّة، ثُمَّ قراءة الترجمة (أو الترجمات) العربيَّة للرواية الجزائريَّة ثُمَّ إعادة قراءتها، ثُمَّ البحث عن المترجم (مُترجمي) الرواية الجزائريَّة إلى العربيَّة، مُحَدِّدين مواقفهم ومشاريعهم وآفاقهم التَّرجميَّة، ومُستثمرين كذلك في هذه الإجراءات المنهجية والتمهيدية التي تُمكننا من الإحاطة بسيرورة العمل التَّرجيِّ، وكذا الإلمام بالظروف والعوامل المُحيطة بالنَّصِّ الروائيِّ الجزائريِّ المكتوب بالفرنسيَّة، في الحقبة الاستعماريَّة، والمنقُول إلى العربيَّة؛ وذلك قبل الشروع الفعليِّ في عمليَّتي النَّقد والتَّقييم، في خضم جدليَّة الأنا والآخَر وتجسيد الوقع ذاته المبتوث في ثنايا الأصل.

⁽¹⁾ Voir : Antoine BERMAN, *Pour une critique des traductions*, op. cit., p77.

^(**) يستعيرُ بيرمان مصطلح (horizon) ومفهومه من الهرمينوطيقا الحديثة (النهج الهرمينوطيقي أو التَّأويلي الحديث). لقد طوَّر هوسرل Husserl وهايدجر Heidegger هذا المصطلح فلسفياً، كما أسَّس كلٌّ من جادامير H.G. Gadamer وبول ريكور Paul Ricœur معالم هذا المصطلح معرفياً وواقعياً، ثُمَّ عكف هانز روبرت ياوس Hans Robert Jauss على استنبات مصطلح الأفق (horizon) ومفهومه في الهرمينوطيقا الأدبية (المنهج الهرمينوطيقي الأدبي) بنحوٍ مُثمرٍ للغاية، ثُمَّ استُدْرَج بعدها - هذا المصطلح - إلى علم الترجمة بصيغة الهرمينوطيقا التَّرجميَّة (herméneutique traductive) على حدِّ تعبير بيرمان (يُنظر: المرجع نفسه، ص79).

⁽²⁾ Voir : *Ibid.*, p79-83.

⁽³⁾ Voir : *Ibid.*, p82-83.

_____ الفصل الثَّانِي: _____ جِلْيَّةُ الْأَنَا وَالْآخَرِ فِي ضَوْءِ التَّرْجُمَةِ وَنَظَرِيَّاتِهَا _____

تحليل الترجمة L'ANALYSE DE LA TRADUCTION: ينتقلُ بيرمان إلى المرحلة الفعلية والحاسمة (المراحل الأساسية للعمل النقدي) في نقد الترجمات، والمتمثلة في المقارنة القائمة بين النصّين الأصل والمترجم، وذلك بإجلاء⁽¹⁾:

(أ) أشكال التَّحليل **Formes de l'analyse**: وتختلفُ أشكال التَّحليل باختلاف الترجمات، سواء تعلّق الأمر بترجمة قصيدة، أو ديوان شعر، أو قصة قصيرة (أقصوصة)، أو رواية... ونحو ذلك. وتُحلَّلُ مجاميع بأكملها (des totalités entières) لا مقتطفات منفردة. ويختلف شكل التَّحليل باختلاف عدد الترجمات، فمن المثمر مقارنة ترجمة ما بترجماتٍ أخرى إنْ وُجدت^(♦). وعلى هذا الأساس، تُصبح سيرورة تحليل ترجمة ما سيرورةً مضاعفة، أي من تحليل ترجمة واحدة إلى تحليل ترجمة مُعادّة، وهذا هو أثرى ضُروب التَّحليل⁽²⁾ وأبرزها.

(ب) عملية المُقارَنة **La confrontation**: تحدثُ عملية المقارنة، من حيث المبدأ، بأربعة أوجه⁽³⁾:

- أوَّلًا: ثَمَّة مقارنة بين عناصر مُنتقاة ومقاطع (passages) مُختارة من النصّ الأصل مع عرض (le rendu) العناصر والمقاطع المُقابِلة لها في النصّ المُترجم.
- ثانيًا: تُباشِرُ بعد ذلك مُقارَنة عكسيّة بين المواضيع أو المناطق النصّية المُترجمة التي حُكِم عليها بأنها مواطن إشكاليّة أو أبانت - على التَّقْيِض من ذلك - عن كمال الترجمة ومثاليّتها، وبين نظيراتها من المواضيع أو المناطق النصّية الموجودة في النصّ الأصل.
- ثالثًا: ثَمَّة كذلك مُقارَنة - تندرجُ في ثنايا النُّقْطَتَيْنِ الأوَّلَيْنِ اللّتين ذُكِرتا سلفًا (أعلاه) - بالترجمات الأخرى إنْ وُجِدَت.

- أخيرًا: ثَمَّة مُقارَنة بين الترجمة ومشروعها لإبراز الطريقة (le comment) الّهيائيّة التي أنجزت بها، التي غالبًا ما تُعنى بذاتيّة المُترجم (la subjectivité du traducteur) وخياراته الشخصيّة النَّابعة من أناه النَّاقِلَة. وفي حال تسجيل أي تباين بين المشروع وطريقة تجسيده، تُحدّد حينها طبيعة هذا

(1) Voir : Antoine BERMAN, *Pour une critique des traductions*, op. cit., p83.

(♦) يُمكن للمُترجم، وفق بيرمان، أن يطلّع (consulte) على ترجماتٍ أخرى بُغية ترجمة العمل الذي بين يديه. ويُعرِّزُ حُضُورَ ترجماتٍ أخرى، في تحليل ترجمة ما، من وزنها، ويُضفي عليها قيمة تعليميّة (pédagogique): فالحلُول التي يُقدِّمها كل مُترجم عند ترجمة عمل ما (بناءً على مشاريعه التَّرجُمِيّة الخاصّة) تكون مُتنوعَةً جدًّا (يُنظر: المرجع نفسه، ص 84-85).

(2) Voir : *Ibid.*, p83-84.

(3) Voir : *Ibid.*, p85-87.

الفصل الثاني: ————— جلية الأنا والآخر في ضوء الترجمة ونظرياتها —————

الاختلاف وضروبه ومُسبباته. ومهما كانت طبيعة المشروع منطقيّة ومتجانسة ومتناسقة، فسيكون ثمة — لا محالة — قصوراً (défectivité) في الترجمة، ومَرَدُّ هذا القصور والاختلاف إلى سيرورة الفعل التَرْجَمِيّ الْمُنْتَهَجْ وإلى ذاتية المترجم وأناه النَّاقِلَة، لا إلى المشروع ذاته⁽¹⁾.

(ج) أسلوب المُقَارَنَة **Le style de la confrontation**: بوصفها عملاً كتابيّاً، على المُقَارَنَة مجابهة مشكلة تواصلية (communicabilité)، أي مقروئيتها (lisibilité)، لأن هذه المشكلة — كما يسهل رؤيتها في قراءة تحليلات الترجمات العديدة — مُهَدَّدة بمخاطر عدّة⁽²⁾. بعبارات أخرى، يعتمد أسلوب المُقَارَنَة على منهج مُحلِّل الترجمة ومشروعه وأهدافه المُتَوَخَّاة مِنْ هذه العملية التحليلية.

(د) أساس التقييم **Le fondement de l'évaluation**: يُعَدُّ أساس التقييم مِنْ أضعب المشكلات التي يُواجهها مُحلِّل الترجمة، وحتى يكون التحليل نقداً حقيقياً، يجب أن يؤدي بالضرورة إلى تقييم (évaluation) عمل المترجم؛ وَمِنْ ثَمَّ تلبية توقعات القُراء، واستجابة لطبيعة أي قراءة قد تُباشِر للترجمة. حتّى إن كان هذا التقييم مصحوباً بالتبريرات الممكنة كافة، ألن يكون^(*) — ببساطة — سوى انعكاساً لأفكار النّاقِد أو نظريّاته المُتَبَنّاة في مجاليّ الأدب والترجمة؟⁽³⁾ وفي هذه النّقطة، تحسن الإشارة إلى صعوبة تحديد أسس نقدية تَرْجَمِيّة — موضوعيّة — للحكم على ترجمة ما بنحوٍ حياديّ. لا تميل هذه الدِّراسة إلى نظريّة ما على حساب نظريّة أخرى، ولا تتبنّى استراتيجيّة تَرْجَمِيّة ما على حساب استراتيجيّة تَرْجَمِيّة أخرى؛ بل تستميل هذه الدِّراسة التّطبيقيّة النظريّات والتقنيّات والاستراتيجيّات التَرْجَمِيّة كافة، التي تضطلع بها فصولها التّظريّة بما يخدم الموضوع وأهدافه، ساعيةً إلى تحليل درجة تجسيد الترجمة العربيّة، المتجليّة في حقبة ما بعد الاستعماريّة، لجدليّة الأنا والآخر المبتوثة في ثنايا الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة في الحقبة الاستعماريّة.

استقبال الترجمة وتلقّيها **LA RÉCEPTION DE LA TRADUCTION**: وتُعنى هذه المرحلة مِنْ النّقد باستقبال العمل المنقُول ودراسته وَقَعه على مُستقبليّه، وكذا دراسة مُعاينة النّقاد وآرائهم حول الترجمة موضوع الدِّراسة، أي كيف سبق تحليلها وتقييمها ودراستها. وتلجأ سيرورة البحث، هنا، إلى المقالات، والأعمال النّقدية، والمجلّات العلميّة، والأوراق البحثيّة، وأطاريح الدكتوراه... وغيرها

(1) Voir : Antoine BERMAN, *Pour une critique des traductions*, op. cit., p85–87.

(2) Voir : *Ibid.*, p87–91.

(*) وفي هذا السياق، يتساءل بيرمان: إذا لم يكتس هذا التقييم طابعاً محايداً، كيف يُمكن له أن يتجنّب الوقوع في الدُّغماتية (أو القطعية (le dogmatisme)، أو على الأقلّ تجنّب تفضيل تصوّر تَرْجَمِيّ مُعَيَّن؟ (يُنظر: المرجع نفسه، ص 91–92).

(3) Voir : *Ibid.*, p91.

_____ الفصل الثّاني: _____ جِلَّةُ الأنا والآخَر في ضوء الترجمة ونظريَّاتها _____

مِنَ الدِّراسات العِلْمِيَّة المُنَجَّزَة⁽¹⁾. كما يُمكن الإشارة هنا، إلى المرحلة التاريخيَّة مِن سياق التلقّي، والشريحة المُستقبِلَة، وظروف التلقّي... وغيرها مِن معطيات.

النَّقد المُنتج LA CRITIQUE PRODUCTIVE: تقتصرُ هذه المرحلة السادسة والأخيرة في مسار بيرمان النَّقديّ على التَّحليل الذي يُعالجُ ترجمةً تستدعي - حتمًا - إعادة ترجمة، ويرجعُ سببُ إعادة الترجمة هذه إلى تسجيل قصورٍ وضعفٍ شديدين في الترجمة الأولى، أو أن الترجمة الأولى لم تكن مرضية، أو أنها كانت قديمة (أي عَمُرَت طويلاً). وفي هذه الحالة، ينبغي لسيرورة التَّحليل أن تُقدِّم نقدًا إيجابيًا ومُنتجًا (productive). وإذا ما طَبَّقنا هذا النَّقد المُنتج على الأدب المُترجم، فسيُسنُّ - أو يسعى إلى سنِّ - مبادئ (principes) جديدة تُؤسِّسُ لإعادة ترجمة العمل (المعنيّ) محلَّ الدِّراسة، ومِن ثَمَّ رسم خارطة مشاريع تَرْجَمِيَّة جديدة⁽²⁾.

بناءً على مرحلة تحليل الترجمة، هذه المرحلة الحاسمة في نقد ترجمة (أو ترجمات) الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية في الحقبة الاستعمارية إلى العربية، والمُتمثِّلة في المُقارنة القائمة بين النَّصَّين الروائيَّين الأصل (الفرنسيّ) والمُترجم (إلى العربية)؛ تُركِّز هذه الدِّراسة التَّطبيقيَّة في سيرورة التَّحليل الأولى على انتقاء النَّماذج الأسلوبية المناسبة، التي تكتسي أهمية بالغة مِن حيث الصراع الجدليّ بين الأنا والآخر، أي تحليل المقاطع (أو المواضع أو المناطق النَّصِّيَّة) السردية المُجسَّدة لجدليَّة الأنا والآخر، بأبعادها وخصوصيّاتها ومرجعياتها المختلفة، المُستلَّة مِن الأصل. وتعكسُ هذه المناطق الدالَّة المُنتقاة، مثلما اصطاح بيرمان، بلوغ العمل الروائيّ ذروته ومبتغاه الخاصّ في بثّ طرفي الجدليَّة وأبعادها ومقصد الكاتب الصريح أو غايته المُبطَّنة. يتجلّى مركز الثِّقل الخاصّ بوقوع هذه المقاطع في القراءة المتأنية للأصل التي يُبرزها العمل التفسيريّ ويُثبِتُ كيانها وجدليَّاتها. ثُمَّ يُقارَنُ - بعد ذلك - بين نتاج الترجمة ومشروعها، وذلك بإبراز ذاتيَّة المُترجم وخياراته الشخصية النَّابعة مِن أَناه النَّاقِلَة. وفي ختام عمليتيّ التَّحليل والنَّقد، تُدرس إمكانية تأسيس مبادئ جديدة لنقدٍ مُنتج يُطبَّق على الترجمة العربية للرواية الجزائرية، بتحديد النُّسخة التي تستدعي إعادة ترجمة بُغية تجسيد جدليَّة الأنا والآخر، ومِن ثَمَّ رسم خارطة مشاريع تَرْجَمِيَّة جديدة.

ينتهجُ الفصل التَّطبيقيّ مِن هذه الدِّراسة مبادئ المنهج النَّقديّ الذي سنّه بيرمان ويُطبِّقه على الترجمة العربية للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية في الحقبة الاستعمارية، وذلك بتحليل الموقف

(1) Voir : Antoine BERMAN, *Pour une critique des traductions*, op. cit., p95-96.

(2) Voir : *Ibid.*, p96-97.

الفصل الثاني: جدلية الأنا والآخر في ضوء الترجمة ونظرياتها

الترجمي ومشروع الترجمة وأفق المترجم في ميزان الذوات الترجمية (راجع الفصل الثالث، المبحث الأول)، وأخذ الحالة الذهنية لمستقبل هذا الجنس الروائي المنقول في الحُسبان. وتركز الدراسة التطبيقية كذلك على مدى تجسيد نتاج الممارسة الترجمية العربية للمقاطع السردية (أو المواضع أو المناطق النصية) جدلية الأنا والآخر، بأبعادها وخصوصياتها ومرجعياتها المختلفة، المبثوثة في ثنايا الأصل الفرنسي.

3.2 المبحث الثالث:

جدلية الأنا والآخر في سياق نظريات الترجمة ما بعد الاستعمارية

يتناول هذا المبحث نظريات الترجمة ما بعد الاستعمارية^(*) عند تيجاسويني نيرانجانا Tejaswini Niranjana، وغاياتري شاكرافورتى سبيفاك Gayatri Chakravorty Spivak، وسامية محرز Samia Mehrez، مُستقصيًا كيفية الاستثمار في هذه النظريات بُغية ترجمة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، الصادرة في الحقبة الاستعمارية، إلى العربية، في حقبة ما بعد الاستعمارية.

يُعرّف الخطاب الاستعماري^(♦) بأنه مزيج غير متجانس من المواقف والمصالح والممارسات التي ترمي إلى بسط هيمنة نظام من السيطرة الدائمة، ويعتمد هذا الخطاب على ضروب شتى من المعرفة، والتمثيل^(*) (Représentation)، واستراتيجيات السلطة، وطرائق إصدار القوانين وتنفيذها، ليس في نطاق المُستعمرات وحدها فحسب، بل حتى في دول المركز (المتروبول). منذ سنوات عديدة، كانت النظرة

(*) تُوظف هذه الدراسة في غير ما موضع من فصولها ومباحثها مُصطلحي: الاستعمارية وما بعد الاستعمارية، ترجمة مُقابِلة للمُصطلحين الأجنبيّين (Colonial/Postcolonial)، وهذا توافقاً وعنواناً وسعيًا إلى توظيف مُصطلحين عربيّين صرّفين، حفاظًا على سلامة اللسان العربي من الرطانة والمعجمة إلا في الحالات القصوى التي تستدعي اقتراضاً للمصطلح الأجنبي كما هو في الأصل. وتجب الإشارة، في هذا السياق، إلى تفضيل بعض المترجمين العرب اقتراض هذين المُصطلحين بصيغة: الكولونيالية وما بعد الكولونيالية، مثلما نجده في المؤلفات الآتية: دوجلاس روبنسون، الترجمة والإمبراطورية: نظريات الترجمة ما بعد الكولونيالية، ترجمة: نادر ديب، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، العدد: 886، ط1، القاهرة، 2005م. وبيل أشكروفت... وآخ، دراسات ما بعد الكولونيالية، المرجع السابق. وأوبيدي كربونيل كورتيس، ترجمة الآخر: نظرية الترجمة، الغرابة، وما بعد الكولونيالية، المرجع السابق.

(♦) يُفضّل إدوارد سعيد (الباحث الأمريكي والفلسطيني الأصل) توظيف مصطلح الإمبريالية مُقابلاً له، ويُعرّفه بأنه ضرب من ضروب الممارسة والنظرية والموقف التي يتبناها المركز الذي ينتهي إلى المتروبول الاستعماري المُتحكّم في أراضٍ قصية. لكن الخطاب الاستعماري (الكولونيالي) لا يُعرّف بالوجود المادي للمستعمر في بلاد بعيدة عن أراضيه فحسب، بل إنه غالبًا ما يكون مُعزّزًا بخطاب إيديولوجي ومُدعمًا به، وبمواقف تدّعي أن بعض الشعوب تتضرّع من أجل أن تخضع للسيطرة، إضافة إلى ضروب أخرى من المعرفة مُتواشجة مع الهيمنة (ينظر: أوبيدي كربونيل كورتيس، المرجع السابق، ص7-8).

(*) يُقصد بالتمثيل أن تستبدل النصوص الاستعمارية الواقع الموضوعي وتحوّله إلى رؤية ذاتية تخدم أهداف المُستعمر في السيطرة. وتتكون هذه التمثيلات في غالب الأحيان من أساطير تضع الآخر (بالحرف الكبير l'Autre/Other/Otro) في مرتبة دونية (ينظر: أوبيدي كربونيل كورتيس، المرجع السابق، ص9).

_____ الفصل الثَّاني: _____ جِلَّةُ الأنا والآخَر في ضوء الترجمة ونظريَّاتها _____

السَّائدة إلى واقع الإنسان المُستَعْمَر تتماهى والرؤية التي يريدها المُستَعْمَر عنه، لتبرير علاقة السيّد بالعبد أو العلاقة القائمة بين الذات المُستَعْمَرَة والذات المُستَعْمَرَة. وتُجَعِّلُ الذات المُستَعْمَرَة، في هذا السياق، مجرد موضوع للدراسة⁽¹⁾.

وفي تعريف مصطلح ما بعد الاستعماريَّة (Postcolonial)، يحسُنُ التنبيه إلى أن الحقول الدِّراسيَّة الموسومة عناوينها بـ: النظرية ما بعد الاستعماريَّة (Postcolonial theory)، أو الدِّراسات ما بعد الاستعماريَّة (Postcolonial studies)، تُعْنَى بجزءٍ مِنْ مجالٍ مُتَعَدِّدِ التَّخصُّصات (interdisciplinary field) يتقاطع والنَّظريَّة الثقافيَّة أو الدِّراسات الثقافيَّة، ويعتمدُ على الأنثروبولوجيا، وعِلْم الاجتماع، ودراسات النوع الاجتماعيّ (*)(gender studies)، والدِّراسات الإثنيَّة والعرقية، والنَّقد الأدبيّ، والتَّاريخ، والتَّحليل النفسيّ، وعِلْم السياسة، والفلسفة؛ في تفحصه النُّصوص والممارسات الثقافيَّة المُختلفة. والجدير بالذكر هنا، أنَّ هذه الدِّراسات الثقافيَّة تجمعُ نُقَادَ الثقافة معاً (**).

ولأنَّ البحث في حقل دراسات الترجمة خاضع إلى اعتبارات أيديولوجيَّة وجغرافيَّة، يتقَفَّى هذا المبحث مسار أبحاث منجزة في أرجاء المعمورة كلّها. ففي خارج حدود القارة الأوروبيَّة مثلاً، نَحَثُ اهتمامات الباحثين وشواغل المُترجمين في كندا والهند وهونغ كونغ والصين وأفريقيا والبرازيل وأمريكا اللاتينيَّة، اتَّجاهات خالفت اهتمامات نظرائهم الأوروبيين وشواغلهم خلافاً شديداً، فلقد شَدَّدَ رُؤَاد هذا المنحى الجديد تركيزهم على التَّحيز والتَّباين اللذين يطبعان علاقات الترجمة. ويرى كُتَّاب أمثال تيجاسويني نيرانجانا Tejaswini Niranjana، وغاياتري شاكرافورتى سيفاكا Gayatri Chakravorty Spivak، وسامية محرز Samia Mehrez، وإيريك تشيفيتز Eric Cheyfitz؛ أن استخدام الترجمة في الماضي كان يعكس مدى تأثيرها الفعَّال بوصفها أداةً للهيمنة الاستعماريَّة، ووسيلةً تكبُّح المُستَعْمَرين وتحريمهم مِنْ إعلاء أصواتهم المقهورة. وفي سياق هذا التَّموذج الاستعماريّ، طغت ثقافة واحدة، بينما كانت الثقافات الأخرى خاضعة لها، وهكذا عزَّزت الترجمة التسلسل الهرميّ

(1) يُنظر: أوبيدي كربونيل كورتيس، المرجع السابق، ص 7-9.

(*) يُصطلحُ عليها كذلك دراسات الجندر أو الجونسة (Gender Studies).

(**) يُنظر: دوجلاس روبنسون، المرجع السابق، ص 27. تلجأ هذه الدِّراسة، في غير ما موضعٍ مِنْ فصولها ومباحثها، إلى النُّسخة الأصل مِنْ هذا كتاب، بُغْيَة ضبط المصطلحات التَّرجميَّة باللُّغَتَيْن الإنجليزيَّة والعربيَّة: (Douglas ROBINSON, *Translation and Empire*:) (Postcolonial Theories Explained, Manchester, U.K: St. Jerome Publishing, 1997, p 12-13).

للسلطة⁽¹⁾.

وفي سياق نظريَّات الترجمة ما بعد الاستعماريَّة التي صاغها كُتَّاب غير أوروبيين، أُعيد النَّظَرُ في نظريَّات عدَّة، ومصطلحات تَرْجَمِيَّة شتَّى، وأصبح يُنظَرُ إلى المُترجم على أنه مُحَرِّر (a liberator)، يُحرِّر النَّصَّ مِنَ العلامات الثَّابِتة في شكله الأَصْل، جاعلاً منه نصًّا مُحَرَّرًا غير خاضع للنَّصِّ المصدِر؛ ولكنه يسعى جاهداً إلى جَسْرِ الهُوَّة بين مؤلِّف النَّصِّ المصدِر والنَّصِّ المُترجم وقُرَّاء اللُّغة المُستهدَفة. يُؤكد هذا المنظور المُنقَّح على مدى إبداع سيرورة الترجمة، إذ يرى فيها علاقةً أكثر انسجاماً مِنْ تلك الموجودة في النِّماذج السابقة، تلك النِّماذج التي وصفت المُترجم بصوَرٍ عنيفة مثل الاحتلال أو الاختراق أو الاستحواذ. وترمي مناهج الترجمة ما بعد الاستعماريَّة ومقارباتها إلى رؤية التبادل اللُّغوي، بحُسابِه تحاوراً جوهرياً، وبوصفه كذلك سيرورة تقع مجرياتها في فضاء لا ينتهي بتاتاً إلى المصدِر ولا إلى الهدف⁽²⁾. وهذا هو الفضاء (راجع الفصل الثَّالث، المبحث الثَّالث) الذي تسعى هذه الدِّراسة التَّطبيقيَّة إلى إبراز طبيعته، أي فضاء عودة الرواية الجزائريَّة المكتوبة بالفرنسيَّة إلى العربيَّة.

اشتدَّ عود الدِّراسات ما بعد الاستعماريَّة^(*) على أنقاض انهيار الإمبراطوريَّات الأوروبيَّة العظمى وتفكُّكها، في أربعينيَّات القرن العشرين وخمسينيَّاته وستينيَّاته، وما تلاها مِنْ بُروز في الأوساط الأكاديميَّة للدِّراسات الثَّقافيَّة المناهضة للهيمنة. تسبقُ الدِّراسات ما بعد الاستعماريَّة – تاريخياً – الدِّراسات الثَّقافيَّة لكنهما ترعرعتا معاً، وتربطهما – اليوم – صلة تبادليَّة وثيقة ومثمرة. لا يزال النِّطاق الدَّقيق لدِّراسات ما بعد الاستعماريَّة مثيراً للجدل، فقد عُرِفَتْ بطرق شتَّى، نذكر منها⁽³⁾:

1 – دراسة المستعمرات الأوروبيَّة السابقة منذ استقلالها: أي مدى استجابتهم للإرث الثَّقافي الاستعماري، هل استوعبوه أم قاوموه؟ وهل تغلبوا عليه في أثناء الاستقلال. يُشير مصطلح ما بعد الاستعماريَّة (Postcolonial)، في هذا السياق، إلى وضع الثَّقافات فيما بعد نهاية (end) الاستعمار (colonialism). وتجدرُ الإشارة إلى أن الفترة التاريخيَّة التي تشملها هي تقريباً النِّصف الثَّاني مِنَ القرن العشرين.

(1) See: Susan BASSNETT, *Translation Studies*, op. cit., p5.

(2) See: *Ibid.*, p7.

(*) يُستخدم – أحياناً – مصطلح آخر مُقابل الدِّراسات ما بعد الاستعماريَّة ألا وهو دراسات التَّابع (subaltern studies)، الذي تألَّى مِنْ جِزء سلسلة مِنَ المقالات كتبها المفكر والمؤرخ الهندي رانا جيت غُها Ranajit Guha بهذا العنوان، في ثمانينيَّات القرن العشرين (يُنظر: دوجلاس روبنسون، المرجع السابق، ص27).

(3) يُنظر: دوجلاس روبنسون، المرجع السابق، ص27-28.

الفصل الثَّاني: ————— جِلَّةُ الأنا والآخَر في ضوء الترجمة ونظريَّاتها —————

2 - دراسة المُستَعْمَرات الأوروبيَّة السابقة منذ تاريخ استعمارها: مدى استجابتهم للإرث الثقافي الاستعماري، هل استوعبوه؟ وهل تكيّفوا معه؟ وهل قاوموه؟ وهل تغلبوا عليه منذ بدايته (منذ بداية دُخول المُستَعْمَر (since its inception)؟ وفي هذا السياق، يُشير مصطلح ما بعد الاستعماريَّة (Postcolonial) إلى حال الثقافات فيما بعد بداية (beginning) الاستعمار (colonialism). والفترة التاريخيَّة التي تشملها هي تقريبًا العصر الحديث، بدءًا من القرن السَّادس عشر.

3 - دراسة الثقافات والمجتمعات والدول والأمم جميعها، من حيث علاقات القوة التي تصلها بالثقافات والمجتمعات والدول والأمم الأخرى: أي الكيفية التي أخضعت بها الثقافات الغازية (الثقافات الفاتحة conqueror cultures) الثقافات المغزوة (المفتوحة conquered cultures) لإرادتها، والكيفية التي استجابت بها الثقافات المغزوة (المفتوحة) لذلك الإكراه. فهل استوعبته؟ أم قاومته؟ أم تغلبت عليه؟ ويُشير مصطلح ما بعد الاستعماريَّة (Postcolonial)، هنا، إلى منظورنا في أواخر القرن العشرين إلى علاقات القوة السياسيَّة والثقافيَّة. أمَّا الفترة التي شملتها، فهي تاريخ البشريَّة كلّها.

يرى دوغلاس روبنسون أن سلسلة التعاريف المشار إليها أعلاه مبالغ فيها، إذ إنّها استعماريَّة (إمبرياليَّة) في ذاتها تدرُجيًّا، تُهيمنُ على ما تبقى من التاريخ البشريّ لصالح منظورٍ نقديّ مُعيَّن. وفي توسُّع تأويلات التعريف الثالث، يتساءل دوغلاس قائلًا: أين هي الثقافة التي لم تحكمها ثقافة أخرى في حقبة ما من حقبة تاريخها؟ ثمَّ توسَّع دوغلاس في ضبط مفهوم ما بعد الاستعماريَّة جاذبًا بذلك مُيول جماعات مختلفة من العلماء، بناءً على اهتماماتهم، ليُقَدِّم لنا التعاريف الثلاثة الآتية⁽¹⁾:

1 - دراسات ما بعد الاستقلال (post-independence' studies): يُعنى بهذه المقاربة البُحَاث المهتمون بدراسة التاريخ القريب ما بعد الاستعماريّ لثقافات مُعينة (أي تاريخ المستعمرات الأوروبيَّة السابقة بعد استقلالها)، مثل الهند وبعض الأمم الأفريقيَّة على سبيل المثال لا الحصر، وذلك بُغية كشف المشكلات النَّاجمة عن بقاء الإرث الاستعماريّ في حقبة الاستقلال، مثل: تداعيات اللُّغة، والمكان، والذات (Self)، وقضايا سياسيَّة وقانونيَّة أخرى... ونحو ذلك.

2 - دراسات ما بعد الاستعمار الأوروبيّ (Post-European colonization' studies): يُعدُّ هذا النهج حقلاً مُثمرًا للُبُحَاث الأوروبيين المناهضين للهيمنة والمهتمين بتقويض الهيمنة الأوروبيَّة الثقافيَّة والسياسيَّة، والبُحَاث المنتمين إلى المستعمرات السابقة المهتمين بسرد تجاربهم الثقافيَّة الحيَّة

(1) يُنظر: دوغلاس روبنسون، المرجع السابق، ص 28-30.

الفصل الثاني: جدلية الأنا والآخر في ضوء الترجمة ونظرياتها —

التي جمعهم والقوة الإمبريالية (imperial power)، باستكشاف أوجه التشابه مع الثقافات الأخرى الواقعة في حقبة ما بعد الاستعمارية.

3 - دراسات علاقة القوة (Power-relations' studies): ويستميل هذا النهج بصائر المنظرين الثقافيّين المهتمين بإبراز علاقات القوة، باتّخاذهم سلسلة من التواريخ دليلاً على السيطرة الإنسانية، وسيطرة ثقافة معينة على ثقافة أخرى.

بناءً على ضبط دوغلاس روبنسون لهذه المفاهيم والمصطلحات، يُستنتج بأن هذه الدراسة التطبيقية تقع - من منظورٍ تَرْجِييٍّ - في خانة التعريف الأول، أي في دراسات ما بعد الاستقلال، وذلك لمعالجة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، في الحقبة الاستعمارية، جدلية الأنا والآخر بأبعادها المختلفة، وطرحها كذلك مشكلات اللغة وإكراهات الكتابة بلغة الآخر الفرنسي، وتطرّقها إلى عاملي المكان والزمان، وتقصمها في مسائل الذات، ومناقشتها قضايا سياسية وثقافية وأدبية، لا سيّما أن ترجماتها العربية تجلّت في حقبة ما بعد الاستعمارية، أي ما بعد نهاية الاستعمار وتحقيق الاستقلال. ولقد نصّ بعض النقاد المعاصرين أمثال أشكروفت Ashcroft، وغريفيث Griffiths، وتيفين Tiffin، في كتاب: الإمبراطورية تردّ بالكتابة (*The Empire Writes Back*)⁽¹⁾، إلى أنّ «ما بعد الاستعمارية ليست مجرد مجموعة من النصوص المنتجة في المجتمعات ما بعد الاستعمارية، وأنّ أفضل طريقة لإدراكها، حُسابها ممارسة قرائية (as a reading practice)». ويمكن تطبيق هذه الرؤية النقدية الصارمة على التعاريف الثلاثة جميعاً المتعلقة بمصطلح ما بعد الاستعمارية والمفاهيم المنبثقة منها⁽²⁾. ومما تحسّن الإشارة إليه، هنا، أنّ الدراسة الحالية تتجاوز مفهوم ما بعد الاستعمارية بوصفها ممارسة قرائية، بل تروم أبعاداً أخرى كان لها تأثير في نمط هذه الممارسة القرائية وطرائقها، بغية إمطة اللثام عن طبيعة الممارسة التّرجمِيّة المنتهجة والقوى المُتَحَكِّمة في سيرورتها.

وفي هذا السياق، يلتبس مُترجمو ما بعد الاستعمار ترويض (reclaim) الترجمة واستخدامها استراتيجيَّةً للمقاومة (strategy of resistance)، إنهم يُريدون من الترجمة إزاحة الصور التي اتّخذتها بعض الثقافات في حق ثقافات أخرى. ومن أبرز العلماء تأثيراً، المنتهجين لمبادئ التفكيكية وأسسها، نجد: تيجاسويني نيرانجانا Tejaswini Niranjana، وغاياتري شاكرافورتى سبيفاك Gayatri

(1) يُنظر: بيل أشكروفت... وآخ، الردّ بالكتابة، المرجع السابق، ص318.

(2) يُنظر: دوغلاس روبنسون، المرجع السابق، ص30.

See: Bill ASHCROFT, Gareth GRIFFITHS and Helen TIFFIN, *The Empire Writes Back*, New York & London, Routledge, 1989, p193. In Douglas ROBINSON, *Translation and Empire*, op. cit., p15.

الفصل الثاني: ————— جليّة الأنا والآخري في ضوء الترجمة ونظريّاتها —————

Chakravorty Spivak⁽¹⁾، وسامية محرز Samia Mehrez. وستعكف النّقاط البحثيّة الآتية على تفحص نظريّات الترجمة عند هؤلاء المنظرين والعلماء، ثمّ استنباط الأفكار والآراء والتّهج والاستراتيجيّات التّرجميّة التي من شأنها الإسهام في تحليل الترجمة العربيّة للرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة، الصادرة في الحقبة الاستعماريّة، ونقدها من هذا المنظور ما بعد الاستعماريّ.

1.3.2 نظريّة الترجمة ما بعد الاستعماريّة عند تيجاسويني نيرانجانا Tejaswini Niranjana:

تحتلّ إشكاليّة الترجمة موقعًا (site) مهمًّا في السياق ما بعد الاستعماريّ لإثارة أسئلة تُعنى بالتمثيل (representation)، والسلطة (power)، والتاريخانيّة (historicity). وتتجسّد ممارسات الإخضاع (subjection) والتذويت (*subjectification)، المتضمّنة في المشروع الاستعماريّ، في خطابات الفلسفة، والتاريخ، وعلم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، وعلم وصف الشّعوب (الإثنوغرافيا)، وعلم الاجتماع، وفقه اللّغة التّراثيّ (الفيلولوجيا)، واللّسانيّات، والتفسير الأدبيّ... وغيرها من الحقول. كما تحضّر الذات (subject) الاستعماريّة، المبنية على تقنيّات القوة والمعرفة أو ممارستهما، في خطابات مختلفة، وفي مواقع متعدّدة، أحد هذه المواقع — مثلما تُورد تيجاسويني نيرانجانا — هو الترجمة⁽²⁾.

تُشكّل الترجمة، بوصفها ممارسةً صِرفة، علاقات القوة غير المتماثلة (غير المتكافئة) the asymmetrical relations of power التي تعمل في ظلّ الاستعمار وتشكّل داخلها. وفي السياق الاستعماريّ، تعتمد الترجمة على المفاهيم الفلسفيّة الغربيّة المُفسّرة للواقع (reality)، والتمثيل (representation)، والمعرفة (knowledge). لذا، فهي تُنتج — كما تزعم نيرانجانا — اقتصادًا مفاهيميًا

(1) يُنظر: إدوين غينتسلر، المرجع السابق، ص 410.

(*) يُثير الفلاسفة مسألة التذويت (subjectification) للتعبير عن بروز فرد يُفكّر ويشعر من جسدٍ يُعتقَد بأنه موضوع (object) أو كيان خامل، بينما يتحدّث المنظرّون السياسيون عن الإخضاع (subjection) بأنه السيطرة والهيمنة على شخص يُعرّف بأنه خاضع (subject) للآخر، ويُدمج ألتوسر Althusser المعنيتين في مصطلح التذويت (subjectification). وفي نظريته (أي في نظرية ألتوسر)، ينطوي التذويت دائمًا على كلٍّ من جرّ الشخص إلى الإدراك الواعي والمكتمل، ومن ثمّ السيطرة عليه، بحيث يُصبح الشخص ذاتًا (subject) بالمعنيين المذكورين في أي واحد، بجعله فردًا يُفكّر ويشعر بأنه فرد يخضع للقوى المهيمنة (subject to hegemonic forces). وبعبارة أخرى، تُعدّ الذاتية (Subjectivity) إخضاعًا (subjection)، فلا يتحقق مبدأ الذاتية (Subjectivity)، أي كون المرء ذاتًا تُفكّر وتشعر، إلا في سياق سياسي من السيطرة (domination) والإذعان (submission) أو الإخضاع (subjection). فما تُفكّر فيه الذات (subject) وتشعر به، هو ما تُريده لها أجهزة الدولة الإيديولوجيّة أن تُفكّر فيه أو تشعر به (يُنظر: دوجلاس روبنسون، المرجع السابق، ص 39-40). See: (Douglas ROBINSON, *Translation and Empire*, op. cit., p23).

(2) See: Tejaswini NIRANJANA, *Siting translation: history, post-structuralism, and the colonial context*, Berkeley and Los Angeles, California/ Oxford, England, University of California Press, 1992, p1-2.

الفصل الثاني: ————— جليّة الأنا والآخِر في ضوء الترجمة ونظريّاتها —————

يندرجُ في خطاب الفلسفة الغربيّة وتدعمه. وفي السياق التّرجميّ ذاته، تُولّد الترجمة مفاهيم شاملة عن الواقع والتمثيل، وتُسهمُ في تشكيل ضربٍ مُعيّنٍ من ضُرُوب الذات (subject)، وفي تقديم نُسخ (أو صُورٍ) مُعيّنة عن المُستعمر (of the colonized). وهذه المفاهيم، حسبما تفترض نيرانجانا، تحجبُ تمامًا العنف الذي يُصاحبُ بناء الذات الاستعماريّة⁽¹⁾.

وتُشاركُ الترجمة — في خطابات الفلسفة، والتأريخ (historiography)، والتعليم — في تثبيت الثقافات المُستعمَرة (colonized cultures)، مما يجعلها تبدو ثابتةً (static) وغير مُتغيّرةً بدلاً من كونها مُشكّلةً تاريخياً. وعلى النّحو، تُنشرُ الترجمة في تلك الخطابات المختلفة بُغية تحيين الهيمنة الاستعماريّة وإدامتها⁽²⁾. إنّ تبادل الترجمة في هذا السياق الاستعماريّ، وفق تحليل إدوين غينتسler، بعيد عن صفة التوازن، لأنّ علاقات القوة بين مُستعملي اللّغات المختلفة ليست متكافئة. كما إنّ الجزم بأن الترجمة وسيلة شفافة غير مُنحازة (unbiased medium)، تقوم بنقل شيء جامد (static) غير مُتغيّر؛ رأي يستدعي تقصّ دقيق وشامل، فمثّل هذه النّظريّات تُعزّزُ — بلا ريب — صُور السيطرة على الأمم المُستعمَرة وتطمس تاريخها⁽³⁾. وعلى هذا الأساس، تُنتجُ الترجمة استراتيجيّات الاحتواء (strategies of containment) باستخدام أنماط مُعيّنة في تمثيل الآخر (representing the other)، كما تُعزّز الترجمة النّسخ المهيمنة من المُستعمرين وتُساعدهم على اكتساب مكانة (status)، أو ما يُطلقُ عليها إدوارد سعيد مُصطلح «تمثيلات»، أو موضوعات (objects) بلا تاريخ⁽⁴⁾.

تستشهدُ نيرانجانا — بنحوٍ إيجابيٍّ — بسوزان باسنيّت Susan Bassnett، ورومان جاكوبسون Roman Jakobson، ممن أبدوا وعياً جليّاً بتعقيدات التداخل السيميائيّ والعوامل الثقافيّة المتقاطعة. ومع ذلك، تُسجّلُ إحساسها واستنتاجها بأن معظم الباحثين في مجال دراسات الترجمة لم يقطعوا أشواطاً كافية في أبحاثهم التّرجميّة⁽⁵⁾. ولتفسير الكيفية التي يُؤثر بها العمل التّرجميّ في مساره المزدوج على كلتا الثقافتين: ثقافة المصدر والثقافة المُستهدّفة، تلجأ نيرانجانا إلى دريدا^(*) Derrida.

(1) See: Tejaswini NIRANJANA, *op. cit.*, p2.

(2) See: *Ibid.*, p3.

(3) يُنظر: إدوين غينتسler، المرجع السابق، ص412.

(4) See: Tejaswini NIRANJANA, *op. cit.*, p3.

(5) يُنظر: إدوين غينتسler، المرجع السابق، ص414-415.

(*) تحظى أفكار دريدا عند نيرانجانا بعناية فائقة، وذلك لممارسته الاستراتيجيّات التفكيكيّة للكتابة المزدوجة (double writing) التي بإمكانها إعانة المُترجمين (ومُترجمي ما بعد الاستعمار على وجه التحديد) على تحديّ مُمارسات الهيمنة، بتقديم صُورٍ وهويّاتٍ بديلة. تكون أقلّ اتصافاً بالتمييز (less discriminatory) وأكثر انفتاحاً على التغيّر والتطوّر الثقافيّين. وفي قراءتها المتعدّدة لدراسة والتر بنيامين

الفصل الثاني: جليّة الأنا والآخَر في ضوء الترجمة ونظريّاتها

وفوكو Foucault، وبنيامين Benjamin؛ لتشرح فكرتي ثنائيّة الأصل (origin) والمركز (أو المنتهى telos) اللتين تفتقران إلى الثبات والاستقرار في سيرورة الترجمة⁽¹⁾. وهذا ما يُعزّز الرؤية الفلسفيّة للترجمة التي استأثر (المبحث الأوّل من هذا الفصل الثاني) بمداستها.

تنتقد نيرانجانا تجاهل دراسات الترجمة علاقات القوة المكوّنة لفعل الترجمة وتجاهلها كذلك للتاريخانيّة أو التاريخ الفعّال للنصوص المترجمة، وتخصّ نيرانجانا بالنقد جدعون توري Gideon Toury، أحد مُنظّري دراسات الترجمة الوصفية المشهورين، الذي يرى أن الترجمات ليس لها أي تأثير في النصّ والنسق المصدريّن، وقواعدهما، ومعاييرهما اللسانية والنصّية، وتاريخهما النصّي⁽²⁾. إذ تعدّه نيرانجانا ومُنظّري النسق المتعدّد (أمثال لامبرت Lambert) شركاء في تجاهل دور الترجمات في تدويت (**)(subjectification) الشعوب المُستعمَرة، مُستدلةً - في حجاجها - بمُقاربتّه الاختباريّة (الإمبريقية empirical approach) التي تقمّع (represses) علاقات القوة غير المتكافئة المُحدّدة للعلاقات القائمة بين اللّغات. بناءً على هذه المعطيات، ترى نيرانجانا أن أيّ نظريّة للترجمة تتجاهل مثل هذه التأثيرات لا يُمكن أن تكون نظريّة إمبريقية (empirical) ولا نسقيّة (systematic)⁽³⁾. كما تنتقد نيرانجانا كذلك مُنظّري الترجمة الهيرمينوطقيين أمثال لويس كيلى Louis Kelly، وجورج شتاينر George Steiner. لويس كيلى الذي يدّعي أن الترجمة حالة حوارٍ ساعٍ لتحقيق توازنٍ بين الأنا والأنت (a balance between I and thou)، وشتاينر - مثلما تُورد نيرانجانا - الذي يُشير إلى أن المترجم الأمين⁽⁴⁾: «يخلق حالة تبادلٍ مُهمّ، تتحرّك فيه سهام المعنى، للمبرّتين الثقافيّة والنفسية، في كلا الاتجاهين. ومن منظور

الموسومة: مهمّة المترجم (The Task of the Translator)، وارتكازها على كتاباته الأخيرة؛ نجد نيرانجانا تُرجّح أن مهمّة المترجم شبيهة بمهمّة المؤرخ. ومن منظورٍ تَرْجِيّ، تربط نيرانجانا بين هذه الأفكار وتصلّ بعضها ببعض ومن ثمّ تبني عليها مشروعها الذي يُعنى بالترجمة في حقبة ما بعد الاستعمار، حيث تتضمن إعادة الترجمة إعادة كتابة التاريخ. وبالنسبة لنيرانجانا، لا يتعلّق الأمر بالاختيار بين سلاسة التمثيل أو تغريبه، بل تُعنى القضية بالمساءلة في إشكاليّة التمثيل نفسها وبرمتها. كيف يمثل المرء الاختلاف دون تفضيل دور المثقف الغربي (المترجم، والإثني، والنّاقِد) أو حتّى دور مثقف حقبة ما بعد الاستعمار؟ وكيف يُمكن للمرء أن يوسّع من إمكانات الترجمة والتمثيل بينما يُبقهما، في الوقت نفسه، محلّ التّساؤل القائم؟ هنا تجد نيرانجانا مرة أخرى في التفكيك (deconstruction) ضالّتها (يُنظر: إدوين غينتسler، المرجع السابق، ص416-417/ص419-420).

(1) يُنظر: المرجع نفسه، ص415-417.

(2) See: Tejaswini NIRANJANA, *op. cit.*, p59-60. See also: Toury, "A Rationale for Descriptive Translation Studies," in *The Manipulation of Literature*, ed. Theo Hermans, London, Croom Helm, 1985, p19.

(**) يُقابل المترجم سعد عبد العزيز مصلوح، في ترجمته كتاب إدوين غينتسler، مصطلح (subjectification) بـ: قهر. وتحسّن الإشارة هنا، إلى أن هذه الدراسة تعتمد، في غير ما موضعٍ من فصولها ومباحثها، في ضبط المصطلحات التّرجميّة الأصل؛ على النّسخة الأصليّة من كتاب إدوين غينتسler: (Edwin GENTZLER, *Contemporary Translation Theories*, *op. cit.*, p178).

(3) يُنظر: إدوين غينتسler، المرجع السابق، ص413-414.

(4) See: Tejaswini NIRANJANA, *op. cit.*, p59.

_____ الفصل الثَّاني: _____ جدليّة الأنا والآخَر في ضوء الترجمة ونظريّاتها _____

مثاليّ، ثَمّة تبادلٌ بدون خسارة»⁽¹⁾. ثُمَّ تُعلّقُ نيرانجانا على عدم جدوى مثل هذه الملاحظات في السياق الاستعماريّ، حيث يكون التبادل بعيداً عن مبدأ المساواة، وحيث يستمرّ التفاوت والتباين (asymmetry) بين اللّغات بناءً على الحُكم الإمبرياليّ⁽²⁾.

لا تدّعي نيرانجانا في دراستها للترجمة إيجاد حلول لمعضلات المترجمين، كما لا تقترحُ دراستها طريقة أخرى للتنظير في الترجمة تُمكن من سنّ منهجٍ يضمنُ تضيق الفجوة بين الثقافات؛ بل إنّها تسعى - بدلاً من ذلك - إلى التفكير في هذه الفجوة وفي هذا الاختلاف، لاستكشاف مكن هواجس الترجمة ورغباتها، ومن ثمّ وصف الأسواق (الاقتصادات) التي تُروّجُ فيها علامة الترجمة وتُتداول. ما يهمُّ نيرانجانا هو التحقيق في أسباب غياب (أو نقص أو قمع) معرفة التفاوت (أو التباين) والوعي بصحة الوقائع التاريخيّة وحقيقتها المبتوثة في ضُروب مختلفة من الكتابة عن الترجمة⁽³⁾. ومن هذا المنطلق، تتبّنى الدِّراسة الحالية هذه الأفكار في تحليل الوقائع التاريخيّة المبتوثة في ثنايا الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة، التي تعكسُ وضع الحقبة الاستعماريّة، والطريقة التي نُقلت بها تلك الأحداث عبر الترجمة العربيّة، في سياق حقبة ما بعد الاستعماريّة، وفي ضوء:

- جدليّة الأنا والآخَر، بأبعادها المختلفة، المبتوثة في ثنايا الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة.
 - جدليّة الأنا والآخَر الكامنة في سيرورة النّقل (إلى العربيّة) التي تضطلعُ بها الممارّسة التّرجميّة.
- تتجاوزُ نيرانجانا في تعريفها الترجمة بأنّها، بالمعنى الضيق للكلمة، تحويل شيء ما من لغةٍ إلى لغةٍ أخرى، أو أنّها نقل بين اللّغات مثلما كان ينظرُ إليها النّقّاد الأدبيّون الغربيّون، أو بوصفها مهمّةً نبيلةً تتمثّل في جسر الهوة بين الشُّعوب، أو بحُسابها مشروعاً إنسانياً مثاليّاً (أو جوهريّاً)، أو أنّها من منظور علماء الإنسان (الأنثروبولوجيين) والعلماء الاجتماعيين المضطلعين بوصف الشُّعوب (الإثنوغرافيين) نقلٌ بين الثقافات، أو ترجمة ثقافة ما بمصطلحاتٍ مفهومة إلى ثقافةٍ أخرى، وتزويد جمهورهم الغربيّ بمعارف كافية حول الشُّعوب المجهولة؛ بل تُركّزُ نيرانجانا^(*) على القضايا التي لم تبدأ مُناقشتها إلا مؤخّراً، ألا وهي مسألة التواطؤ التاريخي في تصاعد الاستعمار الأوروبيّ وتوسُّعه في القرنين التّاسع عشر والعشرين،

(1) George STEINER, *AFTER BABEL*, op. cit., p302. Cited by: Tejaswini NIRANJANA, op. cit., p59. See also: Louis Kelly, *The True Interpreter*, New York: St, Martin's Press, 1979, p214.

(2) See: Tejaswini NIRANJANA, op. cit., p59.

(3) See: *Ibid.*, p9.

(*) في الفصل الثّاني الموسوم: تمثيل النُّصوص والثّقافات: دراسات الترجمة والإثنوغرافيا (Representing Texts and Cultures: Translation Studies and Ethnography)، من كتابها: موقع الترجمة: التاريخ وما بعد البنيويّة والسياق الاستعماريّ (See: *Ibid.*), (p47-86).

_____ الفصل الثَّاني: _____ جِلَّةُ الأنا والآخَرُ في ضوءِ الترجمة ونظريَّاتها _____

مِنْ أَوْلَئِكَ المِهْتَمِّينَ بِترجمة النُّصوص غير الغربيَّة، وأولئك المضطلعين بدراسة الإنسان، مُتَسَائِلَةٌ: هل ثَمَّةُ شيء ما في طبيعة المشكلات المطروحة وكذا الحلول المُتَبَنَّاة في دراسات الترجمة وعِلْم وصف الشُّعوب (الإثنوغرافيا (**)) (ethnography)، يُبَيِّحُ خطاب الاستعمار ويُرَخِّصُ به، هذا الخطاب الذي يُرْسِمُ مشروع الإمبرياليَّة ويدعمه؟⁽¹⁾

تري نيرانجانا أن الترجمة في سياق ما بعد الاستعمار تدعُو إلى الاستشهاد (citation) بالماضي وتشغيل شريط عنوانه: إعادة التذكُّر (a remembering)، أو ما يصطلحُ عليها هومي بابا Homi Bhabha: إعادة تشكيل العضويَّة (re-membering)، أي تجميع أوصال الماضي لإدراك مغزى الصدع في الحاضر⁽²⁾. بناءً على هذه المعطيات التَّرجِمِيَّة الرصينة، تستدرجُ هذه الدِّراسة التَّطْبِيقِيَّة إلى مسارها التحليليِّ قضية الاستشهاد بالماضي (الحقبة الاستعماريَّة)، مُثيرةً مسائل الهويَّة المبتوثة في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسيَّة، دائماً في ميزان جدليَّة الأنا والآخَر، مِنْ منظور ما بعد الاستعمار.

لا يُمكن - وفق نيرانجانا - الاقتصار في تصنيف الترجمة على نماذج نظريَّة تعتمدُ على الثَّنائِيَّات الآتية: الترجمة الأمانة في مُقابل الترجمة الحرَّة، أو النَّص المصدر في مُقابل النَّص المُسْتَهْدَف: بل ينبغي - بدلاً مِنْ ذلك - أن يُنظر إلى هذه الثَّنائِيَّات التَّرجِمِيَّة (راجع الفصل الثَّالث، المبحث الثَّاني) على أنها تدفقٌ يسيِّرُ في اتجاهين هما: التعزيز المتبادل، ونقل أفكار مُترسِّخة عن الثَّقافة والهويَّة والانتماء⁽³⁾. وبذا، يكبحُ مفهوم الإخلاص والأمانة للأصل نظرية الترجمة ويُقيِّدُها مِنْ التفكير في القوى المُتَحَكِّمة في الترجمة (the *force* of a translation)، فنادرًا ما تُفحصُ الروابط الوثيقة بين الترجمات مِنْ اللُّغات غير الغربيَّة إلى الإنجليزيَّة على سبيل المثال لا الحصر، وكذا الهيمنة الاستعماريَّة التي ساعدوا في خلقها⁽⁴⁾.

يُسْتَنْتَجُ، بناءً على ما بُسِطَ عرضه، أن ثَمَّةَ توافقًا بادياً وجلياً بين نظرية نيرانجانا في الترجمة ونظريَّة فينوتي Venuti، إذ نجدها تُناصر استراتيجيَّة التغريب (foreignizing strategy) التي سَتَّها فينوتي، المُقاومة للعُزف والمُنْفَتِحَة على استيراد الاختلاف (راجع الفصل الثَّالث، المبحث الثَّاني). إِنَّ استراتيجيَّة نيرانجانا ليست مجرد تغريب (estrane) ولكنَّها - بالأحرى - التحديِّ بانتهاج مبدأ التغريب،

(**) الإثنوغرافيا ethnography: عِلْم الأعراق، عِلْم الشُّعوب، عِلْم الثَّرَاث العِرقي، عِلْم وصف الأعراق البشريَّة.

(1) See: Tejaswini NIRANJANA, *op. cit.*, p47-48.

(2) يُنظر: إدوين غينتسلر، المرجع السابق، ص418.

(3) يُنظر: المرجع نفسه، ص411.

(4) See: Tejaswini NIRANJANA, *op. cit.*, p58. See also: Louis Kelly, *op. cit.*, p225.

_____ الفصل الثَّاني: _____ جِلَّةُ الأنا والآخَر في ضوء الترجمة ونظريَّاتها _____

وذلك بطرح نماذج جديدة تُعنى بإعادة التأمُّل (re-thinking) الذي يتجاوز الترجمة لِيَسَعَ التاريخ، والتطوُّر الثقافيّ، وتشكيل الهوية⁽¹⁾. وهنا، تُطرح مسألة التحديّ بانتهاج استراتيجيّة التغريب من حيث إكراهات الكتابة بلُغة الآخر التي أثارها الكُتّاب الجزائريُّون في أعمالهم الروائيّة.

إنَّ استراتيجيّات نيرانجانا التَّرجميّة أشدُّ تأثُّراً بالتفكيكيّة (deconstruction) منها بنظريّة فينوتي، فاستراتيجيّة الترجمة عندها لا تهدف إلى إجبار قارئ الترجمة على إدراك طبيعة الوساطة الصادمة التي يؤدّيها النّصّ، أو الاختلافات المتعدّدة، أو طبيعة الأصل فحسب؛ ولكنّها تهدفُ إلى استخدام الترجمة لإيضاح التصدّعات (disunities) والطبيعة المركّبة التي تُميّز الأصل الذي تشكّل تماسكُه بناءً على عملية تاريخيّة مُعيّنة، أي بواسطة المشروع الاستعماريّ⁽²⁾. وفي هذا السياق، يتفحصُ الشّقّ التّطبيقيّ من هذه الدِّراسة، الطريقة التي استُخدِمت بها الترجمة العربيّة لإبراز تجلّيات الأنا والآخَر المُتضمّنة في حنايا الخطاب الروائيّ الأصل، المكتوب بالفرنسيّة، والطبيعة المركّبة التي تُميّز هذا النّصّ الروائيّ الصادر في الحقبة الاستعماريّة، وكذا المشروع الذي أسهم في تشكُّله.

تُبرزُ نيرانجانا، في نظريّتها وتأمُّلاتها التَّرجميّة، أن حقل دراسات الترجمة حقل ذو علائق مُتواشجة مع حقول معرفيّة أخرى، مثل التاريخ والفلسفة. وعلى هذا الأساس، تسنُّ تأمُّلاتها الثّاقبة نظريّة نسقيّة تسعى إلى إبراز دور الترجمة في تطوُّر التاريخ، والنفوذ المتبادل الذي تُحدثه النُّصوص في ثقافتيّ المصدر والهدف⁽³⁾. وفي هذا السياق، تجمعُ هذه الدِّراسة كذلك بين الفلسفة (في الشّقّ الجدليّ: جدليّة الأنا والآخَر)، والترجمة (الترجمة الروائيّة: من الفرنسيّة إلى العربيّة)، والتاريخ (المبثوث في الخطاب الروائيّ الجزائريّ: أي في الحقبة الاستعماريّة): بطرح التّساؤلات الآتية: كيف عالَج المُترجمون العرب نصًّا جزائريًّا صادرًا (بالفرنسيّة) في حقبة استعماريّة، تجلّت ترجماته (بالعربيّة) في عصر ما بعد الاستعمار؟ اعتمادًا على هذه التّساؤلات السديدة، يستأثر الفصل الرّابع (الفصل التّطبيقيّ) من هذه الدِّراسة، بإسقاط أفكار نظريّة الترجمة ما بعد الاستعماريّة عند تيجاسويني نيرانجانا على سيرورة نقل جدليّة الأنا والآخَر المبثوثة في حنايا النّصّ الروائيّ الجزائريّ المكتوب بالفرنسيّة، في الحقبة الاستعماريّة، إلى العربيّة.

(1) يُنظر: إدوين غينتسler، المرجع السابق، ص419.

(2) يُنظر: المرجع نفسه، ص419-420.

(3) يُنظر: المرجع نفسه، ص422.

_____ الفصل الثَّاني: _____ جِلَّةُ الأنا والآخَر في ضوء الترجمة ونظريَّاتها _____

2.3.2 نظريَّة الترجمة ما بعد الاستعماريَّة عند غاياتري شاكرافورتى سبيفاك Gayatri Chakravorty Spivak:

تري غاياتري شاكرافورتى سبيفاك اللُّغة أحد العناصر التي تسمح لنا بفهم أشياء عديدة عن أنفسنا، وفهم أنفسنا هو ما يُنتجُ الهُويَّة. تتمثَّلُ إحدى طرائق الالتفاف حول حدود الهُويَّة حينما يُنتجُ المرء ترجمة عمل لشخص آخر، يُوظَّف فيها لُغةٌ تنتمي إلى آخرين كثيرين، وهذا هو أحد إغراءات الترجمة (the seductions of translating)، إنَّها محاكاة بسيطة لمسؤولية تتبَّع الآخر (the other) في الذات (the self)⁽¹⁾.

تربطُ سبيفاك نظريَّتها في الترجمة(*) بأبحاثها في نظريَّتي النسويَّة وما بعد الاستعماريَّة، وإضافةً إلى ترجماتها القصصية، تُزوِّد سبيفاك القارئ بمعلوماتٍ سياقية (contextual information) تتمثَّلُ في تقديم (مُقدِّمة) المُترجم (translator preface)، ومُقابَلَة الكاتب، والتَّعليق الختامي (an afterword). لا تقتصرُ مُقابَلَة الكاتب على منحه فرصة لإسماع صوته فحسب، إنَّما تُحدِّدُ موقع المُترجم بوصفه شريكاً مُتورِّطاً في الوساطة (mediation). ويُعدُّ تحديد مكانة المُترجم وموقعه، بوصفه ذاتاً وسيطة (as a mediating subject) أو ذاتاً مُترجمة (راجع الفصل الثَّالث، المبحث الأوَّل)، أمراً ذا أهمية بالغة في سياق سيرورة الترجمة في حقبة ما بعد الاستعمار (postcolonial translation). إنَّ وضعَ المادة التمهيدية، والخلفية التاريخية (أي المواد التكميلية وفق مفهوم دريدا)، إلى جانب النَّصِّ المُترجم؛ تقنيَّة ذات أهمية متزايدة ينتهجها – مثلما انتهجتها سبيفاك – مُترجمو حقبة ما بعد الاستعمار (postcolonial translators)⁽²⁾.

مِنَ الضروري، وفق سبيفاك، أن يُدرك رُوَّاد الترجمة في العالم الثَّالث، الآن، أن العجلة قد بدأت تتجه نحوهم، وأن ثنائيَّ اللُّغة في حقبة ما بعد الاستعمار يتمتَّع ببعض المزايا الإيجابية، وإنَّ لم

(1) See: Gayatri Chakravorty SPIVAK, 'The Politics of Translation', in *Outside in the Teaching Machine*, New York & London: Routledge Classics, (1st published 1993 by Routledge), 2009, (pp. 200–225), p200–201 (The basic source of the present research). See another source: Gayatri Chakravorty SPIVAK, 'The Politics of Translation', in Michèle BARRETT, and Anne PHILLIPS, *Destabilizing Theory: Contemporary Feminist Debates*, Stanford, California: Stanford University Press, 1992, (pp. 177–200).

(*) تأتت نظرية غاياتري شاكرافورتى سبيفاك، في الترجمة، من ترجمتها كتاب دريدا Derrida: في علم الكتابة *Of Grammatology* (1974)، ومن ترجمتها ثلاث قصص قصيرة للكاتبة البنغالية ماهاسويتا ديفي Mahasweta Devi، التي جُمعت ونُشرت بعنوان: خرائط متخيَّلة *Imaginary Maps* (1995). تستعينُ سبيفاك بإلمامها بالثقافتين الهندية والبنغالية لتمكين القُرَّاء الغربيين من تخيُّل (imagine) الاختلاف الثقافي الحقيقي (يُنظر: إدوين غينتسلر، المرجع السابق، ص 422–423/ص 426).

(2) يُنظر: إدوين غينتسلر، المرجع السابق، ص 426.

الفصل الثاني: جليّة الأنا والآخر في ضوء الترجمة ونظريّاتها

تكن المترجمة^(**) ثنائيّة اللّغة بحقّ، أو إذا كانت تكتفي بالتحدث بلّغتها الأمّ فقط، لا لغة أخرى غيرها؛ فلا يمكنها أن تكون مترجمة حقّة، تتمتع بمزايا الضرب على لغتين. وبناءً على هذه المعطيات، لا يمكن أن يكون المعيار الواجب توافره في مترجمة تنوي ترجمة أعمال كاتبة أمريكية، على سبيل الاستدلال، «أي شخص يمكنه إجراء محادثة باللّغة الأصل (الإنجليزية في هذه الحالة)»⁽¹⁾، وإذا ما طبقنا هذا المبدأ على لغة من لغات العالم الثالث، يكتسي الموقف - حينها - طابعاً عرقياً صريحاً (مركزية عرقية متأصلة). وعلى هذا النحو، تشترط سبيفاك أن تكون المترجمة (التي تُترجم من لغة من لغات العالم الثالث) على اتصال كافٍ بما يجري في الإنتاج الأدبي المكتوب بهذه اللّغة، مضرب النّقل، لتكون قادرة على الحكم على مدى جودة هذه الكتابة النسويّة، أي التمييز بين الكتابة النسويّة المقاومة (resistant) والكتابة النسويّة المنصاعة (conformist)، وتضيف سبيفاك قائلة:

«She must be able to confront the idea that what seems resistant in the space of English may be reactionary in the space of the original language.»⁽²⁾

«عليها أن تكون قادرة على مواجهة فكرة أن ما يبدو مقاوماً في فضاء اللّغة الانجليزية قد يكون رجعيّاً في فضاء اللّغة الأصل.» (ترجمتُنا).

وبُغية ترويض الكتابة النسويّة لكاتبة من كاتبات العالم الثالث، على المترجمة أن تُعدّ العُدّة، وأن تكون على استعداد تامّ يفوق تهيؤ مترجمة تُعالج لغات أوروبا (الغربيّة)، نظراً لوجود مواقف استعماريّة قديمة كثيرة مبثوثة في العمل مضرب الترجمة⁽³⁾. وتُعدّ الترجمة مُكوّناً من المكوّنات المفاتيح الأساس في نظرية سبيفاك ما بعد الاستعماريّة، فالمطالب التي تُلقى على كاهل المترجم، بوصفه وسيطاً، ثقيلة الوطأة. إنّ استراتيجيّات التغريب (foreignizing) في الترجمة التي تنتهجها سبيفاك شديدة الشبه باستراتيجيّات فينوتي من حيث السياسة والمنهج، كما إنّ مهمّة المترجم عندها لا تكمن في إعادة الوصف (re-describe) - أي إعادة تدوين (re-inscribe) علاقات السلطة مرة أخرى - بل ينبغي له (للمترجم) أن يقيس (to measure) الاختلافات الثقافيّة في مواقف تاريخيّة مُعيّنة، ثمّ يُعيد ضبطها من جديد. وتوظّف سبيفاك استراتيجيّات ما بعد الاستعماريّة لكي تقيس هذه الفروق وتُرتّبها ترتيباً انتقائياً (غالباً

^(**) تُحيل سبيفاك في غير ما موضع من تأملاتها النظريّة إلى الجنس الأنثوي، أي إلى المترجمة (female translator)، أو بضمائر المؤنث المخاطبة (She, her, herself).

⁽¹⁾ Gayatri Chakravorty SPIVAK, *op. cit.*, p210.

⁽²⁾ *Ibid.*, p211.

⁽³⁾ See: *Ibid.*, p212.

_____ الفصل الثَّانِي: _____ جِلْيَةُ الْأَنَا وَالْآخَرُ فِي ضَوْءِ التَّرْجُمَةِ وَنَظَرِيَّاتِهَا _____

بالقياس إلى ما ليس مبنوثاً في النَّصِّ، وإلى ما هو مبنوثٌ فيه فعلاً)، ثُمَّ تقيس تأثير التشكيل الاستعماريّ في الذات (on the subject)، في حدود حقبة ما⁽¹⁾ (أي في نطاقٍ مُحدّد).

وحول مَهْمَة استسلام المترجمة (the translator's task of surrender) وخضوعها للنَّصِّ الأصل قيد النُّقل، تُسجَّلُ سببفاك بعض المفارقات، إذ ليس بوسعنا - على حدِّ تعبيرها - بوصفنا فاعلين أخلاقيين (as ethical agents) أن نتخيّل الآخريّة (otherness) أو الغيريّة (alterity) إلى الحدِّ الأقصى، علينا تحويل الآخر (the other) إلى شيء مثل الذات (the self) حتّى نُحقّق الغاية الأخلاقيّة (بوصفنا أخلاقيين)، فمسألة الاستسلام في الترجمة أشدُّ إثارةً مِنَ الغاية الأخلاقيّة⁽²⁾. وبهذا التأمل، تكون سببفاك قد سنّت مبادئ أخلاقيّة مُخالفة - بعض الشيء - للمبادئ الأخلاقيّة عند بيرمان الذي يجزمُ بأنه لا أمانة إلا اتّجاه الحرف (راجع المبحث الثَّانِي مِنْ هذا الفصل).

تعيّ المنظرّة والمترجمة والنّاقدّة سببفاك بأن ذات ما بعد الاستعمار (postcolonial subject) تعيش بالفعل في ثنايا الترجمة وأعماقها وبواطنها، وأن لغة السلطة المُستعمِرة ومؤسساتها قد شوّهت الثقافات الفطريّة (indigenous cultures) وتاريخها وسياساتها وفنونها وآدابها إلى حدٍّ بعيد، مما جعل هويّاتهم الخاصّة تنطوي في تاريخٍ آخر. ولقد تأثر مشروع سببفاك باشتغال فوكو على الذاكرة المضادة (counter-memory)، واستخدام دريدا للتفكيكيّة (deconstruction) في قراءة المسكوت عنه (non-) (dit) والكشف عن مواطن الصمت في نصٍّ بعينه. وخلافًا لتفكيكيّة دريدا، التي تُفكِّك النُّصوص (dismantles texts) وتُجرِّدُها وتُعرِّبُها، تتجّه تفكيكيّة سببفاك (Spivak's deconstruction) نحو الإنتاج الإيجابي (Affirmative production)⁽³⁾. وهذا ما يُفسّح، لهذه الدِّراسة التّطبيقيّة، المجال لتُميط اللّثام عن طبيعة الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة، في الحقبة الاستعماريّة، وهوية كُتّابها المبنوثة في لغة الآخر، وإثبات مدى صحة أن ذات ما بعد الاستعمار تعيش بالفعل في ثنايا الترجمة، أي في ثنايا الترجمة العربيّة للرواية الجزائريّة.

وفي مقالها المؤسّس لدراسات ما بعد الاستعماريّة، المُعنون بـ: «هل للتابع أن يتكلم؟ Can the Subaltern Speak (1988)»، تتساءلُ سببفاك، على سبيل الاستدلال، عمّا إذا كان مِنْ الممكن (أو مِنْ غير الممكن) أن يُعبّر الأتباع (subaltern) عن أنفسهم في ضوء سيرورات التشكيل الاستعماريّ التي

(1) يُنظر: إدوين غينتسler، المرجع السابق، ص 427-429.

(2) See: Gayatri Chakravorty SPIVAK, *op. cit.*, p205.

(3) يُنظر: إدوين غينتسler، المرجع السابق، ص 423-425.

_____ الفصل الثَّاني: _____ جِلَّةُ الأنا والآخِر في ضوء الترجمة ونظريَّاتها _____

يخضعون لها؟ وتتخذُ سببًا من سيروية الترجمة ملاذًا تتجلى فيه صُور الفلاح الهندي، وسكان القبائل الأفريقيَّة، وسكان أمريكا الأصليين، وخصائصهم؛ ثُمَّ تقصِّي الهيئة التي تظهر بها تلك الصُور والخصائص عبر الترجمة، وكذا الكيفية التي أثَّرت بها على تشكيل الهوية في تلك البلدان⁽¹⁾. وفي هذا الصدد، تعكفُ الدِّراسة التَّطبيقية الحالية على تفحص الطريقة التي استجَّلت بها الترجمة العربيَّة للرواية الجزائريَّة المكتوبة بالفرنسيَّة، في الحقبة الاستعماريَّة، خصائص الهوية وصُور الأنا والآخِر المبتوثة في ثناياها، وكيف أسهمت تلك الترجمات في تشكيل هويَّة هذا الأدب وشرعيته في حقبة ما بعد الاستعماريَّة.

وفي سياق مُقاربة سببها التي تروم فهم آثار التشكيل الاستعماري في الوعي التَّابع، الموسومة بعنوان: الاستخدام الاستراتيجي للجوهريَّة الوضعية، يُوجب إدوين غينتسلر الإشارة إلى مسار الترجمة وسيرويتها، وأنه ينبغي للمُترجمين أن يستهدفوا الولوج في عالم الذات المتنامية (developing subject) في مواقف مُعينة، وإذا ما كانت تلك الذات ذاتًا تابعة (subaltern)، فإن موقعها مبثوث – لا محالة – في ثنايا نصٍّ متورِّط في شبكة رموز خطابية ولغوية تنتمي للمستعمر⁽²⁾. ويُستحضر في هذا السياق الذي تتأرجح فيه الذوات المُترجمة بين مشروعها التَّرجيِّ ومشروع الذات المُستعمرة (الاستعماري) وآثاره في الوعي التَّابع، موضوع فاعلية الآخر، إذ تتحقق هذه الفاعلية عند حافة الترجمة^(*) بنحو غير شفاف، بيد أنها تخدم مصالحه ومعارفه وسلطته في سياق الثقافة المُستهدفة، بحيث يتحوَّل معها الآخر المُهمَّ إلى شخص، ليس ذاتًا واحدة (that which is not self)، يُمكنه أن يتسلَّل في أثناء سيروية تأويله. وتُعدُّ الألفة التي تضطلع بها الممارسة التَّرجميَّة استراتيجية ينتهجها الآخر لإثبات حضوره في لغة المُترجم. وعلى هذا الأساس، يسنُّ المُترجم – بوصفه قارئًا – (لغةً ثالثة) للمعنى المكافئ⁽³⁾.

وبالرغم من أنَّ كل فعل من أفعال القراءة أو التواصل هو – بطريقة ما أو بأخرى – تشابك محفوف بالمخاطر، يكبح رهان سببها على الفاعلية (agency) الحد الأدنى من هذا التشابك، باستثناء سيرويات التواصل والقراءة والحب. وفي هذا السياق، تُصرِّح سببها قائلة:

« The task of the translator is to facilitate this love between the original and its shadow, a love that permits fraying, holds the agency of the translator and the demands of her imagined or actual audience at bay. The politics of translation

(1) يُنظر: إدوين غينتسلر، المرجع السابق، ص 423-424.

(2) يُنظر: المرجع نفسه، ص 425-426.

(*) بناءً على آراء أوبيدي كربونيل كورتيس وتحليله لتأملات سببها Spivak وأقوالها.

(3) يُنظر: أوبيدي كربونيل كورتيس، المرجع السابق، ص 194.

_____ الفصل الثّاني: _____ جِلْيَةُ الأنا والآخَر في ضوء الترجمة ونظريّاتها _____

from a non-European woman's text too often suppresses this possibility because the translator cannot engage with, or cares insufficiently for, the rhetoricity of the original. »⁽¹⁾.

«تكمُنْ مَهْمَةُ المُترجمة في تسهيل هذا الحبّ بين الأصل وظله، هذا الحبّ الذي يسمح بالفتور ويكبحُ جَمَاحِ فاعليّة المُترجمة ومطالب جمهورها المتخيّل أو الفعليّ. وغالبًا ما تقمّعُ سياسة الترجمة مِنْ نصِّ امرأة غير أوروبية هذا الاحتمال وتطمسه، لأنّ المُترجمة لا يمكنها تعاطي بلاغة النصّ الأصل أو لا تهتمّ بها بنحو كافٍ.» (تَرْجَمَتُنَا).

تخلُقُ سبيفاك في ترجماتها ضربًا مِنْ ضُرُوب الكتابة المزدوجة (double-writing)، كما نُعدُّ كتاباتها عن دريدا مُكَمِّلَةً لعملها التّرجميّ، وذلك بإثارتها أسئلة حول التمثيل والمعنى وقابلية الترجمة (translatability) في الثقافات الأصل والنّصوص المصدر⁽²⁾. استنادًا إلى هذه الأسُس النّظريّة، تسنُّ سبيفاك تصوّرًا نظريًّا للترجمة قائمًا على طريقتين⁽³⁾:

- تتمثّل النّقطة الأولى في كمون مَهْمَةُ المُترجمة في تسليم (to surrender) نفسها للبلغة اللّغويّة للنّصّ الأصل والاستكانة لها، بالرغم مِنْ أن هذه النّقطة لها تداعيات سياسيّة كثيرة.
- في حين تُعنى النّقطة الثّانيّة بمدى مقدرة المُترجمة على التمييز في تضاريس العمل الأصل والتبيّن في ثناياه.

بوسع هذه الدّراسة، في شقّها التّطبيقيّ، تبَيّ هذين النّقطتين في أثناء سيرورة تحليل الترجمات العربيّة للرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة، ومدى استكانت المُترجمين العرب للنّصّ الروائيّ الأصل المكتوب بالفرنسيّة ومقدرتهم على التمييز في تضاريسه وكذا التبيّن في أبعاد جدليّة الأنا والآخَر التي تُؤسّس بناءه. ومِنْ وجهة نظر عمليّة، تسنُّ سبيفاك بعض الأسُس التّرجميّة ما بعد الاستعماريّة التي بوسع المُترجم أن ينتهجها في أثناء ترويض النّصّ الأصل ومِنْ ثَمَّ نقله بسهولة ويُسر:

- يجب أن تتحلّى المُترجمة (العاكف على الترجمة بصفة عامة) في أثناء سيرورة القراءة، بوصفها ترجمةً في حقبة ما بعد الاستعمار، بإحساسٍ قوي بالتضاريس المُحدّدة لتُخوم الأصل⁽⁴⁾.

(1) Gayatri Chakravorty SPIVAK, *op. cit.*, p202.

(2) يُنظر: إدوين غينتسلر، المرجع السابق، ص430-431.

(3) See: Gayatri Chakravorty SPIVAK, *op. cit.*, p211-212.

(4) See: *Ibid.*, p211 & p221.

_____ الفصل الثَّانِي: _____ جِلْيَةُ الْأَنَا وَالْآخَرِ فِي ضَوْءِ التَّرْجُمَةِ وَنَظَرِيَّاتِهَا _____

• على المُترجمة أن تستكين للنَّصِّ وأن تستسلم له، كما عليها أن تجتذب النَّصَّ وتلتزمه وتستجديه لإظهار حدود لُغته. سِيحِيلُ هذا الجانب البلاغيّ إلى صمت التلاشي المطلق لِلُّغة وانتكاشها، ما يجعل النَّصَّ يُحاولُ تحاشيه بأسلوبه الخاصّ. وتُشيرُ سبيفاك إلى استحالة الالتفاف حول حقيقة أن الترجمة أشدُّ أفعال القراءة حميميّةً، وما لم تُصبح المُترجمة قارئةً حميمةً (the intimate reader)؛ فلا يَسْعُها – حينها – الاستكانة للنَّصِّ، ولا يَسْعُها تلبية ندائه والاستجابة له⁽¹⁾.

• يعني الاستسلام للنَّصِّ محلَّ النّقل والخضوع له انتهاج مبدأ الحرفيّة، أو منحج الاستكانة الحرفيّة (أي الخضوع الحرفيّ literalist surrender). انتهاجًا لهذا المبدأ، خضعت سبيفاك، في أثناء ترجمتها لديفي Devi، واستسلمت لهذه الكاتبة، واستكانت لها في كتاباتها، لا في المواضيع المتضمّنة والمقاصد المُبطّنة في أحناها⁽²⁾ (أي في أحنا تلك الكتابات).

• قد لا يكفي الإمام بتفاصيل الحياة الشخصية للكاتب أحيانًا، بل يجب إبراز تاريخ اللُّغة، وتاريخ الحقبة التي ينتهي إليها الكاتب في أثناء تأليفه العمل، وتاريخ اللُّغة في الترجمة وفي نسيج النَّصِّ الناتج عن الترجمة⁽³⁾.

• قد يستغرق إعداد المُترجمة وقتًا طويلاً، وقد يكون حُبُّها للنَّصِّ مهارةً قراءةً تتطلبُ الصبر. ولهذا، لا يوجد سبب وجيه يجعلُ الترجمة المسؤولة تستغرقُ وقتًا أطول في الإنجاز والعمل⁽⁴⁾.

• غالبًا ما يكون فعل الترجمة إلى لُغةٍ مِنْ لُغاتِ العالمِ الثَّالثِ مُمارسةً سياسيّةً صريحة ذات ضربٍ مختلف⁽⁵⁾ وطابع خاصّ، تُصاحبها تداعيات شتى.

وفي ختام عرض آراء المنظرة والمُترجمة والنَّاقدة غاياتري شاكرافورتى سبيفاك وتحليلاتها، تبرزُ مفاهيم إغراءات الترجمة ومسؤولية تتبّع الآخر في الذات. كما تطرُحُ سبيفاك مسألة المعلومات السياقيّة المُتمثلة في تقديم (مُقَدِّمة) المُترجم، أو مُقابلة الكاتب، أو التعلّيق الختاميّ، التي مِنْ شأنها تحديد مكانة المُترجم وضبط موقعه بوصفه شريكًا مُتورِّطًا في الوساطة، أو بوصفه كذلك ذاتًا مُترجمةً وسيطة. وتُعدُّ هذه المعلومات السياقيّة أمرًا ذا أهمية بالغة في سياق سيرورة الترجمة في حقبة ما بعد الاستعماريّة، بُغية تحديد المشروع التّرجييّ وأهدافه. ولأن سيرورة الترجمة مِنْ لُغةٍ مِنْ لُغاتِ العالمِ الثَّالثِ، وفق سبيفاك، تكتسي طابعًا عرقيًا صريحًا (أي مركزيّة عرقيّة مُتأصّلة)، على المُترجم، في هذا المقام، أن يكون

(1) See: Gayatri Chakravorty SPIVAK, *op. cit.*, p205.

(2) See: *Ibid.*, p212–213.

(3) See: *Ibid.*, p209.

(4) See: *Ibid.*, p203.

(5) See: *Ibid.*, p213.

_____ الفصل الثَّاني: _____ جدليَّة الأنا والآخَر في ضوء الترجمة ونظريَّاتها _____

على اتصالٍ كافٍ بما يجري في الإنتاج الأدبيِّ المكتوب بهذه اللُّغة ليكون قادرًا على استنباط المعاني المُبطَّنة. وعلى المُترجم، في سياق ترجمة الرواية الجزائريَّة المكتوبة بالفرنسيَّة في الحقبة الاستعماريَّة إلى العربيَّة، أن يُعدَّ العُدَّة مِنْ أجل ترويض هذا النِّصِّ الروائيِّ المكتوب مِنْ لَدُن ذوات كاتبة جزائريَّة منتمية إلى العالم الثَّالث، نظرًا لوجود مواقف كثيرة مناهضة للاستعمار الفرنسيِّ، ماثلة في العمل الروائيِّ الجزائريِّ مضرب الترجمة، مُتمثِّلة في جدليَّة الأنا والآخَر بأبعادها وخصوصيَّاتها ومرجعياتها المختلفة.

وحول مَهْمَة استسلام المُترجم العربيِّ وخضوعه للنِّصِّ الروائيِّ الجزائريِّ الأصل قيد النِّقل، ومسألة تحويل لُغة الآخر الفرنسيِّ إلى شيءٍ مثل الذات، حتَّى تتحقّق الغاية الأخلاقيَّة؛ تفسحُ سبيلُك لهذه الدِّراسة المجالَ لتُميط اللِّثام عن طبيعة الرواية الجزائريَّة المكتوبة بالفرنسيَّة، في الحقبة الاستعماريَّة، وهويَّة كُتَّابها الجزائريِّين الماثلة في لُغة الآخر الفرنسيِّ، وإثبات مدى صحة أن ذات ما بعد الاستعمار تعيش بالفعل في ثنايا الترجمة، أي في ثنايا الترجمة العربيَّة للرواية الجزائريَّة. ولأنَّ سبيلُك تُحيلُ في نظريَّتها ما بعد الاستعماريَّة إلى الجنس الأنثويِّ، تتساءل الدِّراسة الحالية عن كيفية استنبات تأمُّلاتها في ترجمة أعمال كاتبات جزائريَّات أمثال آسيا جبار، على سبيل الاستدلال، إلى العربيَّة. ومِنْ هذا المنظور النَّسويِّ، تُطرح مسألة تولي مُترجمات عربيَّات زمام نقل الرواية الجزائريَّة المكتوبة بالفرنسيَّة، إلى العربيَّة.

بناءً على هذه الاستنتاجات النَّظريَّة التَّرجميَّة، تُحاول هذه الدِّراسة التَّطبيقيَّة تجسيد هذه التَّصورات التَّرجميَّة ما بعد الاستعماريَّة التي طرحتها المُنظِّرة والمُترجمة والنَّاقدة غاياتري شاكرافورتي سبيلُك في أثناء سيرورة تحليل ترجمة الرواية الجزائريَّة المكتوبة بالفرنسيَّة، في الحقبة الاستعماريَّة، إلى اللُّغة العربيَّة، في ظلِّ جدليَّة الأنا والآخَر بأبعادها المختلفة.

3.3.2 نظريَّة الترجمة ما بعد الاستعماريَّة عند سامية محرز Samia Mehrez:

تستهلُّ سامية محرز(*) مشاركتها الموسومة: الترجمة والتجربة ما بعد الاستعماريَّة: النَّصَّ الفرانكفوني في شمال أفريقيا⁽¹⁾، في كتاب فينوتي المَعْنون بـ: إعادة التفكير في الترجمة: الخطاب والذاتية والأيديولوجيا⁽²⁾؛ بمقطع جورج شتاينر التي تضمنه الفصل الثالث (Word against object) في مؤلَّفِه: ما بعد بابل⁽³⁾، حيث لم يستطع شتاينر تذكُّر أي لغة أولى – أو تسبق الأخرى – كان قد تعلَّمها في صغره(♦). وقارنت سامية محرز، على سبيل المثال، تجربة شتاينر مع ظاهرة التعدُّد اللُّغوي بتجربة عالم الاجتماع والروائيِّ والشاعر المغربيِّ عبد الكبير الخطيبي(*)^(*). مِنْ هُنَا يَسْرُدُ الخطيبي نشأته بِلُغَاتٍ ثلاث قائلًا⁽⁴⁾:

« À l'école, un enseignement laïc, imposé à ma religion : je devins triglotte, lisant le français sans le parler, jouant avec quelques bribes de l'arabe écrit, et parlant le dialecte comme quotidien. Où, dans ce chassé-croisé, la cohérence et la continuité ? »⁽⁵⁾.

« في المدرسة، فُرض عليَّ وعلى ديني تعليم علمانيٍّ، فأصبحت ثلاثيِّ اللِّسان، أقرأ الفرنسيَّة دون أن أتحدِّثها، وألعب ببعض القصاصات المكتوبة باللُّغة العربيَّة، وأتحدَّث باللهجة المحليَّة يوميًّا. أين يكمن الانسجام والاستمراريَّة في خضم هذا التَّقاطع المُتبادِل؟ » (تَرْجَمَتُنَا).

(*) أستاذة الأدب الإنجليزيِّ والمقارن في الجامعة الأمريكيَّة بالقاهرة (يُنظر: دوجلاس روبنسون، المرجع السابق، ص 149–150).

(1) Samia MEHREZ, "TRANSLATION AND THE POSTCOLONIAL EXPERIENCE THE FRANCOPHONE NORTH AFRICAN TEXT.", in Lawrence VENUTI (ed.), *Rethinking Translation: Discourse, Subjectivity, Ideology*, London & New York, Routledge, 1st edition, 1992, (pp. 120–138).

(2) Lawrence VENUTI (ed.), *Rethinking Translation: Discourse, Subjectivity, Ideology*, op. cit.

(3) See: George STEINER, *AFTER BABEL*, op. cit., p115–116.

(♦) واصفًا قصته وظاهرة التعدُّد اللُّغويِّ، ومُتحدِّثًا عن اللُّغات الأمِّ (mother tongues) الثلاث التي كان يتحدَّث بها في صغره، وهي: الإنجليزيَّة والفرنسيَّة والألمانيَّة، إضافةً إلى اللُّغات التشيكيَّة واليديشيَّة النمساويَّة Austrian-Yiddish التي كان يُتقنها والده (See: (George STEINER, *AFTER BABEL*, op. cit., p116).

(*) التي سردها الخطيبي في نصِّ يتعلَّق بسيرته الذاتية استهلَّ به روايته: الذاكرة الموشومة La Mémoire tatouée، حيث تطرَّق الخطيبي في الجزء الموسوم: هكذا تدور الثقافة (Ainsi tourne la culture)، إلى مشواره الدِّراسي وكيف أرسله والده إلى المدرسة الفرنسيَّة الإسلاميَّة سنة 1945 م (يُنظر: عبد الكبير الخطيبي، الذاكرة الموشومة، ترجمة: بطرس الخلاق، المؤسَّسة العربيَّة للدراسات والنشر SMER، ط 1، بيروت، 1984 م، ص 43–50)، (See: Samia MEHREZ, op. cit., p120).

(4) Samia MEHREZ, op. cit., p120.

(5) Abdelkebir Khatibi, *La Mémoire tatouée*, Paris : Denoël, 1971, p64. Quoted in: Samia MEHREZ, op. cit., p120.

_____ الفصل الثَّاني: _____ جَلِيَّةُ الْأَنَا وَالْآخَرِ فِي ضَوْءِ التَّرْجُمَةِ وَنَظَرِيَّاتِهَا _____

وترى سامية محرز أن تجربتي تعددية اللغات (plurilinguism) عند شتاينر والخطيبي قد تبدوان، للوهلة الأولى، مُتوازيتين في ظاهريهما، بالرغم من أنهما أنتجتا في ظروف تاريخية مختلفة. فبينما أسس شتاينر تجربته في التقاليد الإنسانية الأوروبية، اليهودية والمسيحية، نجد الخطيبي Khatibi يضبط موقعه الخاص في السياق الاستعماري^(*) (the colonial context)⁽¹⁾.

ثُمَّ تُعَلِّقُ سامية محرز – ملاحظة – أن ما يغيبُ عن مُذكرات السيرة الذاتية لشتاينر هو السياق السياسي وعلاقات القوة التي في ظلّها تُكتسبُ اللغة، وهذا غيابٌ يُقيّد الحدود الأيديولوجية لمشروعه وعمله الضخم – بأكمله – المنجز في الترجمة. ولهذا، يستبعدُ شتاينر في عمله التراثي عن نظرية الترجمة مسائل الاستعمار والهيمنة الثقافية التي يجب أن يتصدى لها ككتاب حقبة ما بعد الاستعمارية المتعدّدي اللغات (plurilingual writers)، والموزعين في بلدان العالم الثالث، الذين يكتبون بلغة المُستعمر السابق (ex-colonizer)؛ لأنه – ببساطة – وضع تجربته الشخصية في حدود الإنسانية⁽²⁾. ويُنصفُ أوبيدي كربونيل كورتيس، في هذا الصّدّد، الباحثة سامية محرز في مسألة إقصاء جورج شتاينر القضايا المُتعلّقة بالاستعمار والهيمنة الثقافية في أبحاثه التّرجُميّة، لكنه لم يتّخذ الموقف نفسه عندما يتعلّق الأمر بموضوع الآخريّة (***) ('otherness') الذي استحضره شتاينر في غير ما موضعٍ من حديثه عن النّصوص الغرائبيّة الوافدة من الغرب⁽³⁾.

ويُستحضرُ في هذا السياق، وضع الجزائر إبان الحقبة الاستعمارية، فقد كانت المدرسة أهمّ المؤسسات التي استهدفتها الاستعمار الفرنسيّ منذ الأيام الأولى من احتلاله الجزائر، إذ كان يعدّها المُستعمر الفرنسيّ المنفذ الرئيس للتسلّل إلى عقول الجزائريين وقلوبهم، ومن ثمّ جعل هذا الشعب يقبل فكرة الاستعمار والتّعايش السلمي مع المُستعمرين. وقد عمد الاحتلال إلى سياسة نشر اللغة الفرنسيّة

(*) وفي هذا السياق، تُصرّح سامية محرز قائلة: «إذا لم يتذكّر شتاينر اللغة الأولى، فمن الواضح تمامًا أن الخطيبي يُرتّب طبقات اللغة في طفولته ترتيبًا هرميًا: اللهجة المغربية المتداولة في المنزل، والعربية الفصحى التي بالكاد تُتقن في المدارس القرآنية المخصّصة للأطفال المسلمين، والفرنسيّة المفروضة، لغة المُستعمر، التي تُدرّس في الثانويّة الفرنسيّة. تعملُ الألسنُ الأمّ لشتاينر على حيّ من المساواة، إذ تُوظّف في وقتٍ واحد تقريبًا، بيد أن القدرات اللّغويّة للخطيبي تظلّ غير متكافئة، ومُتقطعة، وغير مُترابطة، وغير مُتّصلة؛ تشكّلت لا محالة من جرّاء عملية تدريجيّة للتناقف (acculturation) المُنتهجة من المُهيمن، أي اللغة والثقافة الفرنسيّتين.» (تَرْجَمَتُنَا). المرجع نفسه، ص 121 (Samia MEHREZ, *op. cit.*, p121).

(1) See: Samia MEHREZ, *op. cit.*, p120–121.

(2) See: *Ibid.*, p121.

(**) يضعُ شتاينر مُصطلح 'otherness' بين علامتي التّنصيص في غير ما موضعٍ من كتابه: (George STEINER, *AFTER BABEL*, *op. cit.*, pp. 65/222/225/298/362/380/392).

(3) أوبيدي كربونيل كورتيس، المرجع السابق، ص 169.

الفصل الثاني: جليّة الأنا والآخر في ضوء الترجمة ونظريّاتها

شيئاً فشيئاً على حساب اللّغة العربيّة، لِفَرزَسَة الأجيال الصاعدة مِنْ جَزَاء إقبالهم على المدارس الفرنسيّة، ولكن المُستَعْمِر الفرنسيّ وجد صعوبةً بِاللّغة في تغيير واقع المُجتمع الجزائريّ وأحواله، كيف لا والمدارس الابتدائيّة القرآنيّة مُنتشرة في أرجاء الوطن كافة، في المدن والقرى ورؤوس الجبال وأعماق الصحراء، فالتّعليم كان له صلة وثيقة بالحياة الروحية للشعب الجزائريّ، والقرآن - دستور الأُمّة الإسلاميّة - يُوصي بالتّعليم بوصفه واجباً دينيّاً قبل أن يكون مقصداً دُنيويّاً⁽¹⁾.

وفي طرحة مسائل مأساة اللّغة، وحاجِزِيّ الفرنسيّة والأُميّة، والوضعين الثّقافيّ والدينيّ في البلاد إبان الحقبة الاستعماريّة؛ يرى الأديب والروائيّ والشاعر الجزائريّ مالك حدّاد أن اللّغة لا ترضع مِنْ صدر الأمّ فحسب، ولا تُلقَن اللّغة في خلية (يقصدُ العائلة) مُقيّدة وفقيرة فكريّاً، بسبب الوضع الاستعماريّ وتداعياته، بل إنّ اللّغة تُدرّس في المدرسة والثّانويّة والجامعة. وفي هذا السياق، يتساءلُ مالك حدّاد عن عدد الأطفال الجزائريّين غير الملتحقين بالمدارس؟ وعن عدد الذين تمكّنوا من الحصول على شهادة التّعليم الابتدائيّ؟ وعن أولئك الذين اجتازوا شهادة البكالوريا؟ عن نسبة مَنْ بلغوا التّعليم العاليّ؟ واضعاً مضمون التدريس وطُرُقَه موضع تساؤل. إنّ لُغة التدريس المُعتمَدة في المدرسة الابتدائيّة - آنئذٍ - كانت هي الفرنسيّة، ويُحضَرُ اللّجوء إلى اللّغة العربيّة، وكانت اللّغة العربيّة تُدرّس في الثّانويّة بوصفها لُغةً أجنبيّةً، في حين تُلقَن العلوم والرياضيات وغيرها مِنَ المواد باللّغة الفرنسيّة⁽²⁾. وفي هذا الصّدّد، يُصرّح مالك حدّاد قائلاً:

« Notre langue maternelle était en exil dans son propre pays. »⁽³⁾.

« كانت لُغتنا الأمّ في منفى في بلدها الأمّ » (ترجمتُنا).

أمّا اللّغة الفرنسيّة، لُغة المُستَعْمِر، فكانت تتسيّد مجالات الصحافة، والإذاعة، والمؤتمرات، والأفلام، والمسرح، والإعلانات، والإشهار، والملصقات على الجدران، والتعاملات المالية، وإجراءات الحالة المدنيّة؛ فكان كل ما يُكتب خاضعاً للفرنسيّة⁽⁴⁾ وأيديولوجيّاتها الاستعماريّة.

وَمِنْ منظُورِ تَرْجَمِيّ، ترى سامية محرز أن هذه الآداب ما بعد الاستعماريّة النّاطقة بالإنجليزيّة

(1) يُنظر: أحمد منور، المرجع السابق، ص 60-61.

(2) Voir : Malek HADDAD, *écoute et je t'appelle* (poèmes) précédés de : *les zéros tournent en rond* (essai), Paris, FRANÇOIS MASPERO, collection « Voix » N°2, 1961, p16.

(3) *Ibid.*, p16.

(4) Voir : *Ibid.*, p16-17.

_____ الفصل الثَّانِي: _____ جِلَّةُ الأنا والآخَر في ضوء الترجمة ونظريَّاتها _____

والفرنسيَّة التي تشهدها المُستعمرات السابقة، مُلزَمة بأن تتحدَّى مفاهيم عديدة مقبولة ومُتداوِّلة في نظريَّة الترجمة وأن تُعيد تعريفها، هذه المفاهيم التي لا تزال محلَّ نقاشٍ ضمن التقاليد القديمة للإنسانيَّة (humanism) والعالميَّة (universalism) الغربيَّتين. لقد نجحت هذه النُّصوص ما بعد الاستعماريَّة – التي غالبًا ما يُشار إليها بمصطلح هجينة (hybrid) أو مصطلح مُهجَّنة (métissés) بسبب الطبقات الثَّقافيَّة واللُّغويَّة (culturo-linguistic layering) والتضمينات المبتوثة في ثناياها – في صياغة لغة جديدة تتحدَّى مفهوم النَّصِّ الأجنبيِّ الذي يُمكن ترجمته بسهولة إلى لغةٍ أخرى. وبظهور هذا الأدب ما بعد الاستعماريِّ، ترى محرز أنه لم يَعد بمقدورنا أن نُشغِلَ أنفسنا فقط بالمفاهيم التَّرجميَّة التقليديَّة المُتمثلة في التكافؤ اللُّغوي، أو مسألتي الريح (gain) والخسارة (loss)؛ هذه المفاهيم التي لطالما كانت محلَّ حُسبانٍ في نظريَّة الترجمة. وبخصوص هذه النُّصوص المكتوبة بأيادي الذوات (subjects) ما بعد الاستعماريَّة، ثنائيَّة اللُّغة، فإنها تخلقُ لغةً بَيْنِيَّة (in between)، ومن ثَمَّ تأتي الترجمة لتشغل فضاءً (space) بينيًّا (in between) بينهما⁽¹⁾.

لقد كان التحدي الذي رفعه هذا الفضاء البيئي ('space in between') (راجع الفصل الثالث، المبحث الثالث) تحدِّي مُزدوج، فهذه النُّصوص تسعى لتصفية الاستعمار وإعتاق نفسها من مُضطهدين اثنين دفعةً واحدة، وهما⁽²⁾:

- المُستعمر الغربيُّ السابق الذي يتججُّ بسداجة بوجودها وكيانها ثمَّ يستردُّها في نهاية المطاف ويستعيدها.
- وكذلك الثَّقافات التَّراثيَّة والتقليديَّة والوطنية التي تُنكرُ أهميتها – بقصر النظر – ولهذا السبب تُهمَّشها.

وفي هذا المضمَر، تُشيرُ سامية محرز إلى العملية التي تُشَقِّرُ فيها لغة الآخر (the Other) الرسائل المبتوثة في النَّصِّ، التي لا يُمكن لقارئ أحادي اللُّغة (the monolingual reader) أن يفكَّ رموزها بسهولة ويُسر، هذا القارئ الذي يُواصل عالمه المرجعي في استبعاد – وتجاهل وإنكار – وجود عوالم مرجعيةٍ أخرى تُعدُّ ضروريةً لمباشرة قراءة عالميَّة (global) للنَّصِّ وحاسمة في تلقّيه (أي وفق الطريقة التي يقرأ بها العالم هذا النَّصِّ)، بدلاً من قراءة استعماريَّة (colonialist) أو إمبرياليَّة (imperialist). لذلك، فإن هذا الأدب ما بعد الاستعماريِّ المكتوب باللُّغتين الإنجليزيَّة والفرنسيَّة، غالبًا ما يتحدَّى

(1) See: Samia MEHREZ, *op. cit.*, p121.

(2) See: *Ibid.*, p121.

_____ الفصل الثَّاني: _____ جِلَّةُ الأنا والآخَر في ضوء الترجمة ونظريَّاتها _____

مفاهيمنا عن العمل الأصل وترجمته؛ وذلك لاعتماده على أكثر من ثقافة واحدة، وأكثر من لغة واحدة، وأكثر من تجربة عالمية واحدة، كل هذا ضمن حدود النص نفسه. وبطرق عدّة، تُقاوم هذه النصوص ما بعد الاستعماريّة المتعدّدة اللّغات وتُقصي في نهاية المطاف أحادي اللغة، مُطالبَةً قُرَّائها بأن يكونوا أنفسهم مثل هذه النصوص في البينيّة (in between)، أي بين البينين، قادرين على القراءة والترجمة في آنٍ واحد، حيث تُصبِح الترجمة هنا جزءاً لا يتجزأ من تجربة القراءة⁽¹⁾.

وتُركّز سامية محرز، في مقالها هذا المؤسّس لنظريّتها في سياق الترجمة ما بعد الاستعماريّة، على نماذج من أدب شمال أفريقيا المكتوب بالفرنسيّة^(*)، بوصفها عيّنة من نصوص ما بعد الاستعمار التي تضعنا على عتبة تعذّر الترجمة (threshold of the untranslatable)، بحيث لا يمكن أن تكون تجربة القراءة نفسها التي تحظى بها هذه النصوص سوى ترجمة دائمة (perpetual translation). لا تقف سامية محرز، بناءً على ما سلف، ضدّ ترجمة هذه النصوص إلى لغاتٍ أخرى، ما دامت ترجماتها – بلُغاتٍ أخرى – موجودة بالفعل، وهي تُقرأ من نتاج هذه الترجمات؛ بل تكمن حُجة محرز في طبيعة قراءة هذا النصّ، أو بالأحرى، في كيفية قراءة العالم لهذا النصّ (أي كيف يقرأ العالم هذا النصّ)، وما يُثبتُ حقاً بأنها نصوص حقبة ما بعد الاستعمار⁽²⁾.

وفي سياق حديثها عن مُواصلة إنتاج كُتّاب شمال أفريقيا أعمالهم باللّغة الفرنسيّة واتّخاذهم ثنائيّة اللّغة وسيلةً فعّالة لمقاومة ضُروب الهيمنة جميعاً ومكافحتها (عوض التفكير في الانتماء كلياً إلى التقاليد الأدبيّة الفرنسيّة)، وعن ضُروب الإقصاء الذي تعرّضوا له في ثقافتهم الأصليّة (native cultures) وثقافتهم المُضيفّة (host cultures) كذلك، وعن اختيار هؤلاء الكُتّاب ثنائيّ اللّغة المعاصرين لحقبة ما بعد الاستعمار الكلمة على أن يَلْتَزِمُوا الصَّمتَ (بالرغم من النِّقاشات الساخنة التي كانت تُثار آنئذٍ حول مسألة القوميّة والآداب الوطنيّة)؛ تُوردُ سامية محرز قول الكاتب والنّاقِد الأدبيّ المغربيّ عبد الفتّاح كيليطو الذي تطرّق إلى مرارة أن «يفقد المرء لسانه (أي لغته)»⁽³⁾. وفي هذا السياق،

⁽¹⁾ See: Samia MEHREZ, *op. cit.*, p122.

^(*) تُعالِج سامية محرز نُصوصاً لروائيّين أمثال: الكاتب والروائيّ والنّاقِد المغربيّ عبد الفتّاح كيليطو، والكاتب التونسيّ عبد الوهاب المدبّ، والكاتبة الجزائريّة آسيا جبار (L'Amour, la fantasia)، والشاعر والروائيّ المغربيّ الطاهر بن جلون (L'Enfant de sable, La Nuit (sacrée)، وعالم الاجتماع والروائيّ والشاعر المغربيّ عبد الكبير الخطيبي (La Mémoire tatouée, Amour bilingue). See: *Ibid.*, (p120–137).

⁽²⁾ See: *Ibid.*, p122.

⁽³⁾ Abdelfattah Kilito, "Les Mots canins", in *Du Bilinguisme*, Paris : Denoël, 1985, p216. Quoted in: Samia MEHREZ, *op. cit.*, p123.

الفصل الثاني: جليّة الأنا والآخر في ضوء الترجمة ونظريّاتها

يُسْتَحْضَرُ قول مالك حدّاد حينما صاح مُتألِّماً يُخاطبُ صديقه الشاعر الفرنسيّ أراغون Aragon:

« *Moi qui chante en français, poète, mon ami, si mon accent te choque, il faut bien me comprendre : le colonialisme a voulu que j'ai un défaut de langue...* »⁽¹⁾.

« أنا الذي أغني بالفرنسية.. أيها الشاعر يا صديقي! لا تلمني إذا ما صدمتك رطانتني.. لقد أراد لي الاستعمار أن أحمل اللكنة في لساني.. أن أكون معقود اللسان. »^(*).

ما يعكسُ مرارة التعبير بلُغة الآخر (الفرنسيّة) وعدم امتلاك مالك حدّاد ناصية التعبير باللُغة الأمّ (العربيّة). وفي تعقيها على قول عبد الفتّاح كيليطو، تخلصُ سامية محرز إلى أن لغة الآخر يُمكن أن تخدم غرضاً مُزدوجاً: قد تكون ساحةً تبرزُ فيها مُواجهة الآخر ومُقاومته، ولكنها قد تكون كذلك وسيلةً لتحرير الذات (self-liberation)⁽²⁾. وفي مواقف مالك حدّاد من التعبير باللسان الفرنسيّ، تتجسّد أبعاد الغرضين معاً، أي مواجهة الآخر بسلاحه (اللسانيّ)، ومن ثمّ تحرير الذات. بيد أن مالك حدّاد كان يتحسّر على عدم امتلاكه سلاح التعبير بلُغته الأمّ. وتستدلُّ كذلك سامية محرز بالكاتب التونسيّ عبد الوهاب المدّب الذي يُتقن اللُغتين العربيّة الفصحى والفرنسيّة ويكتبُ بهما، وهذا من الأمثلة البارزة التي تتخذها سامية محرز دعماً لحجتها إزاء النصّ مُتعدّد اللُغات، وتبادل سيرورتيّ الأخذ والعطاء المستمرّين بين هاتين اللُغتين (العربيّة والفرنسيّة). وفي هذا المقام، تستحضرُ سامية محرز اصطلاحها ثنائيّة: القارئ المُترجم (the reader/translator)، مُستندةً إلى هذا المقطع بوصفه دليلاً على إثبات فكرتها وتحليلاتها وتأملاتها السديدة⁽³⁾:

« L'écriture française nous "livre" à l'Autre, mais on se défendra par l'arabesque, la subversion, l'inversion, le dédale, le labyrinthe, le décentrage incessant de la phrase et du langage, de manière que l'Autre se perde comme dans

⁽¹⁾ Malek HADDAD, *Le Malheur en danger*, Constantine, Éditions Média-Plus, 2016, p14.

^(*) مالك حدّاد، الشقاء في خطر (من الشعر الثوري الجزائري)، نقلته إلى العربيّة: ملك أبيض العيسى، راجع الترجمة وقدم له: سليمان العيسى، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1979م، ص36-37. ثمّة ترجمة أخرى للمُترجم الجزائريّ عبد السلام يخلف: «إني أغني باللغة الفرنسية. يا صديقي الشاعر، إذا ما استهجنّت لهجتي عليك أن تحاول فهمي: لقد أراد الاستعمار أن تكون لدي عاهة لغوية...». المرجع: مالك حدّاد، الشقاء في خطر (شعر)، ترجمة: عبد السلام يخلف، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2005م، ص16.

⁽²⁾ See: Samia MEHREZ, *op. cit.*, p123.

⁽³⁾ See: *Ibid.*, p123-124.

الفصل الثّاني: جليّة الأنا والآخَر في ضوء الترجمة ونظريّاتها —

les ruelles de la casbah. »⁽¹⁾.

«تُسَلِّمُنا الكتابة بالفرنسيّة إلى الآخَر، لكننا سُدافُع عن أنفسنا بالعَرَبِسة(♦)، والتدمير، والقلْب، والمتَّيِّمة، والتَّضْلِيل، والسَّلْب الدائم لمركزيّة الجملة واللُّغة؛ حتّى يَضِيع الآخَر كما في أزقة القصبة.» (ترجمتُنا).

تري سامية محرز، في تحليل هذا المقطع، أن الاستعارة التي وظّفها المدب تكمن في جعل أصحاب اللّسان الفرنسيّ يفقدون طريقهم في لغتهم الخاصّة مثلما سيفقدون طريقهم في أزقة القصبة الضيّقة والمتعرجة والمنعطفة، وهذه من المتطلبات الجديدة لثنائيّة اللُّغة في حقبة ما بعد الاستعماريّة، بحيث تُصبح النُّصوص المكتوبة بالفرنسيّة نصوصًا مزدوجة، ونصوصًا ثنائيّة اللُّغة، تُطالب قُرّاءها بأن يكونوا ثنائيي اللُّغة ليفكّوا رموزها⁽²⁾. وهذا ما ذكره بيرمان حول طبيعة الفرنسيّة التي يكتب بها كُتّاب أجنبيّ من خارج فرنسا، تُدرج لغتهم في فئة الفرنسيّة الأجنبيّة (français étranger)، حاملة أثر الغرابة في مفرداتها وأساليبها وموضوعاتها، تستخدم فرنسيّة هجينة كأنها تُظهر مُعارضتها للفرنسيّة الاستعماريّة الصّرفة، وهذا ضرب من ضروب المقاومة، إذ يبدو النّص الفرنسيّ - في نهاية المطاف - نصًّا أجنبيًّا وآخرًا (autre) مُقارنةً بالنّص الفرنسيّ الأصل⁽³⁾ (راجع الفصل الثّالث، المبحث الثّالث).

وبخصوص الآثار التي تُخلّفها التّعدديّة اللُّغويّة في عملية الكتابة بالفرنسيّة وسيرورة الترجمة في هذا الصّد، تُحلّل سامية محرز رواية: عشق اللّسانين Amour bilingue. فبينما يستعمل ثنائي اللُّغة لغة واحدة في كل مرة، تكون ثنائيّة اللُّغة عند الخطيبي (Khatibi's bi-langue) في تنقّل مُستمر بين طبقات اللُّغة (اللُّغات) المختلفة. إنّ الإبقاء دائمًا على فضاء بينيّ (مسافة بينيّة 'in a space between') يستدعي قارئًا يمكنه فعل الشيء نفسه. وفي هذا السياق، يُصرّ الخطيبي على⁽⁴⁾:

⁽¹⁾ Abdelwahab MEDDEB, quoted in Jean DÉJEUX, *op. cit.*, p103–104. In Samia MEHREZ, *op. cit.*, p123–124.

(♦) الأَرابِسْك، الأَرابِسْك: مُصطلح يدلّ على الخطوط الانسيابيّة والمنعّمة في الرّسم التشبيهيّ، ويدلّ كذلك في مجال الفنّ التشكيليّ على خطوط الرّسم العربيّ، والرقش العربيّ، والخيط العربيّ، والزخرفة العربيّة، والتوريق. إنّ فنّ الأَرابِسْك أشدّ الفنون التّشكيليّة ارتباطًا بالحياة الثّقافيّة والمكونات الاجتماعيّة، إنّهُ مفهوم جامع للجماليّة العربيّة والإسلاميّة قاطبة.

Source : <http://arab-ency.com.sy/artifacts/details/285>.

⁽²⁾ See: Samia MEHREZ, *op. cit.*, p124.

⁽³⁾ « Écrire, mais dans quelle langue ? ». *Le Monde*, 11-3-1983. In Antoine BERMAN, *L'épreuve de l'étranger*, *op. cit.*, p18–19. Voir aussi : https://www.lemonde.fr/archives/article/1983/03/11/ecrire-mais-dans-quelle-langue_2841445_1819218.html.

⁽⁴⁾ Samia MEHREZ, *op. cit.*, p133–134.

الفصل الثاني: جليّة الأنا والآخر في ضوء الترجمة ونظريّاتها

« La langue 'maternelle' est à l'œuvre dans la langue étrangère. De l'une à l'autre se déroulent une traduction permanente et un entretien en abîme, extrêmement difficile à mettre au jour. »⁽¹⁾.

«تعملُ اللُّغة الأمّ في باطن اللُّغة الأجنبيّة. ومنّ واحدة إلى أخرى، تقعُ مَجْرِيّات ترجمة دائمة وتُحاور في هُوّة يصعبُ الكشف عنها للغاية.» (تَرْجَمَتُنَا).

ولا يُمكن فكّ رموز المعنى المقصود (intended meaning)، المتموضع في ذلك الفضاء البيئيّ، إلا على يد قارئ ذي اللّسانين (bilingual reader)، الذي يُترجمه تلقائيًا إلى فعل قراءة بالفرنسيّة، ومنّ ثمّ تُصبح القيود المُلقاة على عاتق سيرورة الترجمة مقامًا للإبداع⁽²⁾. بناءً على تصريح الخطيبي هذا، تُحاولُ هذه الدِّراسة في شقِّها التّطبيقيّ إبراز طبيعة هذه الفُجّة الفاصلة بين النّصّ الروائيّ الجزائريّ الأصل (المكتوب بالفرنسيّة)، وعودته الثّانيّة – الناجمة عن سيرورة الترجمة – إلى العربيّة.

يَتَّخذُ الخطيبي رواية عِشق اللّسانين (Amour bilingue) أنموذجًا تطبيقيًا يعرضُ فيه ضُروب الترجمة المستمرة (constant translation) منّ لغةٍ إلى لغةٍ أخرى، ومسار الهجرة الدائمة للعلامات (perpetual migration of signs) بين العربيّة الفصحى واللّهجة المغربيّة المحكيّة (المُتداوِّلة والمُتحدّث بها) والفرنسيّة، مُشيرًا إلى الطبقات الرئيّسة الثّلاث التي يُوازن بينها بدقة، ويلجأ إليها في الوقت نفسه، في مشهد توافقيّ وترايطٍ وتشابكٍ دائم في حنايا النّصّ ذاته⁽³⁾. وعلى هذا الأساس، تعمّد النّماذج التّطبيقيّة منّ هذه الدِّراسة إلى تسليط الضوء على المقاطع السرديّة التي تكون فيها علامات الانتقال مُتداخلة بين اللّهجة الجزائريّة والعربيّة والفرنسيّة، في حدود النّصّ الروائيّ الجزائريّ نفسه، وفي خضم أبعاد جدليّة الأنا والآخر المبتوثة في ثناياه.

وفي تعليق إدوين غينتسلر على آراء سامية محرز المتأنيّة منّ مُدارستها كُتاب شمال أفريقيا على وجه التحديد، يرى أن تحليلها تحوّل ظاهرة التّعديديّة اللّغويّة (plurilingualism) والترجمة إلى عناصر ذات طبيعة جذرية تُواصلُ التحرك منّ نسقٍ علاماتي (from one sign system) والهجرة إلى نسقٍ آخر. ويُضيفُ غينتسلر، في تعقيبه على هذه الآراء، أن مثل هذه التّظريّة في الترجمة تُبرزُ تأصّل الترجمة في الكتابة الأصليّة (original writing) بقدر ما هي مُتأصّلة في ترجمتها (أي في ترجمة هذه الكتابة)،

⁽¹⁾ Marc GONTARD, *La Violence du texte*, preface by Abdelkebir KHATIBI, Paris, L'Harmattan, 1981, p8. Quoted in Samia MEHREZ, *op. cit.*, p134.

⁽²⁾ يُنظر: إدوين غينتسلر، المرجع السابق، ص454.

⁽³⁾ See: Samia MEHREZ, *op. cit.*, p134.

_____ الفصل الثَّانِي: _____ جِلْيَةُ الْأَنَا وَالْآخَرُ فِي ضَوْءِ التَّرْجُمَةِ وَنَظَرِيَّاتِهَا _____

مما يُؤدّي إلى تفكيك المفاهيم (deconstructing notions) القائلة إنّه يُمكن قراءة العالم في لغةٍ واحدةٍ أيّاً ما كان حظ هذه اللغة من الهيمنة⁽¹⁾. ولعلّ إدوين غينتسلر استقى تعليقه من تحليل المقاطع التي أجرتها سامية محرز لرواية الخطيبي (عِشْقُ اللِّسَانَيْنِ (Amour bilingue)، حيث استنتجت منها الهجرة المستمرة للخطيبي (Khatibi's constant migration) من نسق علاماتٍ (from one system of signs) إلى نسق علاماتٍ آخر (to the other system of signs)، ومن عالمٍ رمزيٍّ (from one symbolic world) إلى عالمٍ رمزيٍّ آخر (to another symbolic world). فكلّ المقطعين اللذين حللتهما أمثلة من سلسلة لا تنتهي (غير مُتقطعة) من الدلالات والارتباطات التي تتعايش في عقل ثنائي اللغة⁽²⁾. وفي هذا السياق، تخلص محرز إلى:

« The process of translation is a perpetual one, and the traces of both classical Arabic and the dialect are always present within the French. »⁽³⁾.

«إنَّ سيرورة الترجمة سيرورة دائمة، وآثار كل من اللغة العربيّة الفصحى واللّهجة المحليّة مبثوثين دائماً في ثنايا اللغة الفرنسيّة.» (تَرْجَمَتُنَا).

وتعدّ وجهة النظر التّرجميّة التي استخلصتها سامية محرز من صفحة عنوان رواية: عِشْقُ اللِّسَانَيْنِ (Amour bilingue^(*) ضرباً من ضروب الترجمة الدائمة (perpetual translation) التي من المتوقع أن يباشرها أي قارئ يقترب من نصّ روائيٍّ من هذا القبيل⁽⁴⁾. يفتح هذا التحليل السديد لهذه الدّراسة التّطبيقيّة الباب على مصراعيه لتحليل مسار الفعل التّرجميّ المُصاحب لفعل الكتابة باللغة الفرنسيّة بُغية فكّ رموز ظاهرة إدراج كلمات عربيّة (بحروف لاتينيّة) مبثوثة في ثنايا الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة، في الحقبة الاستعماريّة، ومدى إسهام هذه الاستراتيجيّة في تسهيل مأمورية الترجمة إلى العربيّة، في حقبة ما بعد الاستعماريّة، ومن ثمّ تجسيد جدليّة الأنا والآخر، بأبعادها وخصوصيّاتها ومرجعياتها المختلفة، من منظور المترجم بوصفه قارئاً.

(1) يُنظر: إدوين غينتسلر، المرجع السابق، ص 454-455.

(2) Samia MEHREZ, *op. cit.*, p134.

(3) *Ibid.*, p135.

(*) يَظْهَرُ في رواية عِشْقُ اللِّسَانَيْنِ (Amour bilingue) العنوان باللغة الفرنسيّة أعلى الصفحة، وفي الجزء السفلي ترجمته مكتوبة بالخط العربيّ (Arabic calligraphy)، إذ لا يُمكن فهم الدلالة الكاملة للعنوان الفرنسيّ إلا من علاقته بالعنوان العربيّ، فهما مترابطان.

(4) *Ibid.*, p135.

_____ الفصل الثّاني: _____ جِلْيَةُ الأنا والآخَر في ضوء الترجمة ونظريّاتها _____

ثُمَّ تَخْتِمُ سامية محرز تحليلاتها التّرجميّة مُستنتجةً أَنَّ نصًّا روائيًّا مثل نصِّ عِشْقِ اللِّسَانَيْنِ يتحدّى كفاءتنا بوصفنا قُرَّاءً ومُترجمين (as readers/translators) قادرين على مُباشرة قراءة عالميّة (global reading) في حقبة عالم ما بعد الاستعماريّة. وما دامت المؤسسات المُشكّلة للقارئ لم تتغير، فإن أعمال كُتّاب شمال أفريقيا المكتوبة بالفرنسيّة سوف تُقاومُ أُحاديّة اللّغة الاستعماريّة وتحدّوها، هذه السياسة الاستعماريّة التي لا تزال تعتقدُ أنها يُمكن أن تُقرأ في لغتها السائدة والمهيمنة. وتُصرُّ سامية محرز على إبراز مصطلح البينيّة (in between) المُستوحى من تحليلها رواية عِشْقِ اللِّسَانَيْنِ للخطيبي، لإدراك مدى أهميّة أن نُصبح مُترجمين دائمين (perpetual translators) في قراءتنا لعالمٍ مُتعدّد اللّغات⁽¹⁾.

وعلى نهج تيجاسويني نيرانجانا وغاياتري شاكراפורتي سبيفاك وأفكارهما حول نظريّة الترجمة ما بعد الاستعماريّة، تطرُح سامية محرز آراءً تصبُّ في صميم هذه الدِّراسة التّطبيقيّة وفحواها، لا سيّما طرحها مسألة اللّغة البينيّة التي تخلقها أيادي الذوات الكاتبة من جرّاء التفكير بالعربيّة ثُمَّ الخطّ بلُغةٍ أجنبيّة، ما يجعلُ سيرورة الترجمة تتأرجح بين الفضاء البيني الذي يفصلُ بينهما. إذ يُعدُّ النصُّ الروائيّ الجزائريّ المكتوب بالفرنسيّة، في ميزان نظريّة الترجمة ما بعد الاستعماريّة عند سامية محرز، نصًّا هجينًا أو مُهجّنًا، نجحَ في صياغة لُغةٍ جديدة من جرّاء الآثار التي خلّفتها التّعدّديّة اللّغويّة في سيرورة الكتابة بالفرنسيّة، تتحدّى مفهوم النصّ الأجنبيّ (الفرنسيّ) وتُقاومه بطرق عدّة، بسبب الطبقات الثّقافيّة واللّغويّة الماثوثة في ثناياه، ما يجعله يُطالب قُرّاءه بأن يكونوا مثله في البينيّة وفي ثنائيّة اللّغة، قادرين على القراءة والترجمة في آنٍ واحد؛ وهنا تُصبح الترجمة جزءًا لا يتجزأ من تجربة القراءة.

وفي ميزان جدليّة الأنا والآخَر وأبعادها المختلفة، تُعدُّ الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة، في الحقبة الاستعماريّة، ساحةً تبرزُ فيها مُواجهة الآخر الفرنسيّ ومُقاومته، ومنّ ثُمَّ وسيلةً لتحرير الذات (self-liberation) على حدِّ تعبير سامية محرز. بناءً على هذه الآراء الرصينة، تُحاول هذه الدِّراسة التّطبيقيّة إبراز تأصّل الترجمة في سيرورة الكتابة الأصليّة بالفرنسيّة ومدى تأصّلها كذلك في ترجمتها العربيّة، في حقبة ما بعد الاستعماريّة، وكيف يُسهّم هذا الضّرب من ضُرُوب الترجمة الدائمة في تجسيد أبعاد الأنا والآخَر في النّسخة المنقولة إلى العربيّة.

⁽¹⁾ See: Samia MEHREZ, *op. cit.*, p135–137.

_____ الفصل الثَّاني: _____ جدليَّة الأنا والآخر في ضوء الترجمة ونظريَّاتها _____

وقبل أن نطوي مباحث هذا الفصل الثَّاني الذي أُقْحِمَتْ فيه جدليَّة الأنا والآخر في ضوء الترجمة ونظريَّاتها، وَجَبَ التَّذْكِيرُ أَنَّ المبحث الأوَّلَ تقفَى جدليَّة الأنا والآخر في مسارِ التَّأْسيْسِ النَّظْرِيِّ لِعِلْمِ الترجمة مِنْ منظورِ فلسفيٍّ، فقد كان هذا المسار التاريخيَّ خاضعاً في حدِّ ذاته إلى جدليَّة الأنا والآخر، لا سيَّما أن التَّساؤلاتَ المحوريَّةَ المؤسَّسة لِعِلْمِ الترجمة كانت مُنبثِّقةً مِنْ جوهر الإشكاليَّة الفلسفيَّة للترجمة وقائمة عليها، بإثارة أسئلة حول جدليَّة الأنا والآخر في مسار الفعل التَّرجِميِّ، هذه الجدليَّة المُتأَتِيَّة مِنْ جَرَّاء الانتقال بين النَّصِّينِ الأَصْلِ والمُترَجِّمِ، وتسليط الضوء على القرارات المُصاحبة للفعل التَّرجِميِّ التي يهتدي إليها النَّقْلَةُ (أي المُترَجِّمون) قبل الترجمة وأثناءها. لقد استمالت تلك التَّساؤلات الجدليَّة بصائر الفلاسفة ودفعتهم للخوض - فلسفيّاً - في المسائل التَّرجِميَّة وقضاياها. إِنَّ اضطلاع فلاسفة أمثال جورج شتاينر، ووالتر بنيامين، وهایدغر، وغادامير، وجاك دريدا؛ بمشكلات الترجمة وقضاياها، وإثارتهم أسئلة فلسفيَّة تُعنى بالتفكير في مكانة المؤلِّف، وموقع المُترَجِّم، وطبيعة النُّصوص النَّاشئة عن الترجمة، هذه الأسئلة الفلسفيَّة التي أبرزت في ظلِّها معالم جدليَّة الأنا والآخر وأبعادها؛ دليل على اشتداد عود المنعطف الفلسفيِّ في عِلْمِ الترجمة، وأن ثَمَّةَ وَثاقاً قديماً جدّاً بين الفِعلَيْنِ الفلسفيِّ والتَّرجِميِّ مثلما صرَّح أنطوان بيرمان.

ولقد مهَّدَ المبحث الثَّاني، الموسوم عنوانه بـ: جدليَّة الأنا والآخر في ميزان الترجمة الروائيَّة ونظريَّاتها، الطَّرِيقَ لهذه الدِّراسة التَّطبيقيَّة التي تضطلعُ بتفحُّص أبعاد جدليَّة الأنا والآخر مِنْ منظور النَّظريَّة التَّأويليَّة في الترجمة، بدءاً مِنْ متابعة مسار تأويل المقاطع السردية للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسيَّة، وُصولاً إلى إعادة صياغتها باللُّغة العربيَّة المُتأَتِيَّة مِنْ الترجمة. وبناءً على تأملات هذا المنظور التَّأويليِّ، يُخلصُ إلى أن إبراز جدليَّة الأنا والآخر، بأبعادها وخصوصيَّاتها ومرجعياتها، المبثوثة في النَّصِّ الروائيِّ، يستدعي زاداً معرفيًّا كافياً لضبط السياق الروائيِّ وفهم مُراد الكاتب ومقصد قوله البيِّن أو المُتضمَّن في حنايا خطابه الروائيِّ. كما يستدعي تجسيد جدليَّة الأنا والآخر، بُغية تحقيق الأثر ذاته في النِّتاج التَّرجِميِّ، عُدَّةً تَرْجِميَّةً قائمةً على المكملات المعرفيَّة والعاطفيَّة التي تستدرجها المقاطع النَّصِّيَّة.

وُعِنِي محور جدليَّة الأنا والآخر في ميزان الترجمة مِنْ منظور اجتماعيِّ بتبني المصطلحات الاجتماعيَّة التي سنَّها بيير بورديو ثمَّ إسقاطها على تحليل أبعاد جدليَّة الأنا والآخر التي أفرزتها الترجمة العربيَّة للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسيَّة، في الحقبة الاستعماريَّة، وفق منظور تَرْجِميٍّ صَرَفٍ (ما بعد استعماريِّ)، وذلك بمُدارسة جدليَّة الأنا والآخر في ميزان: الحقل الأدبيِّ، وهابيتوسات الكاتب والمُترَجِّم والقارئ، وإيلوزيو *l'illusio* النَّصِّ الروائيِّ، ورأس المال الرمزيِّ. وبناءً على هذه المفاهيم، تُحَيَّنُ سيرورة

_____ الفصل الثَّاني: _____ جدليَّة الأنا والآخر في ضوء الترجمة ونظريَّاتها _____

ترجمة النَّصِّ الروائيِّ الجزائريِّ هابيتوس الكاتب الجزائريِّ، وهابيتوس وكلاء الترجمة (النَّاشِر والمُترجم)، ورأس المال الرمزيِّ، وشرعيَّة النَّصِّ الروائيِّ الجزائريِّ المكتوب بالفرنسيَّة، في الحقبة الاستعماريَّة، فيما يُصاحَّب سيرورة ترجماته العربيَّة الصادرة في حقبة ما بعد الاستعماريَّة (الحقل المُستهدَف) مِنْ تداعيات.

في حين قُسِّمَ محور جدليَّة الأنا والآخر في ميزان نظريَّة الترجمة عند أنطوان بيرمان إلى شقَّين، شقٌّ أوَّل دَارَسَ جدليَّة الأنا والآخر في ملامح التصوُّر البيروانيِّ للترجمة، حيث شدَّد فيه بيرمان على ثنائيَّة مُصطلحي التجربة والتأمُّل في تعريفه علم الترجمة، عادًا مُمارَسة الترجمة منبعًا للخلق والإبداع ومقامًا لاستقبال الآخر والغير والهو والغريب والأجنبيِّ، بلُغته وثقافته وحضارته، فالترجمة مِنْ هذا المنطلق إنصات وانفتاح وتجاوز وتفاعل بين الأنا والآخر. وهنا، ينتصرُ بيرمان لأنَّ الكاتب وثقافته الأخرى المبتوثة في عمله الأدبيِّ الأصل (بغرابتها وغيبيتها وأخريتها)، التي تتحدَّى أنا المُترجم (أي الذات المُترجمة)، وأنا الثقافة المُستهدَفة (بأعرافها وقواعدها وشرائعها)، وهذا ضَرْب مِنْ ضُرُوب زعزعة بنية التمرُّكز العرقيِّ لأي ثقافة مِنْ الثقافات، والتصديِّ لأي ضَرْبٍ مِنْ ضُرُوب النرجسيَّة؛ جازمًا بأنَّه لا أمانة إلا تجاه الحرف، ولا إخلاص إلا بانتهاج الحرفيَّة بوصفها غايةً جوهريَّةً للمبادئ الأخلاقيَّة التَّرجميَّة البيروانيَّة.

وشقٌّ ثانٍ دَارَسَ جدليَّة الأنا والآخر في منهج نقد الترجمة عند أنطوان بيرمان. وتحسُّن الإشارة، هنا، إلى أن الفصل التَّطبيقيِّ مِنْ هذه الدِّراسة سينتهجُ مبادئ المنهج النَّقديِّ البيروانيِّ ويُطبَّقها على ترجمة الرواية الجزائريَّة المكتوبة بالفرنسيَّة، في الحقبة الاستعماريَّة، إلى العربيَّة. وذلك بتحليل (في مرحلة البحث عن المُترجم) الموقف التَّرجميِّ ومشروع الترجمة وأفق المُترجم في ميزان الذوات التَّرجميَّة، ومِنْ منظورٍ ما بعد استعماريِّ. كما تُركِّز الدِّراسة التَّطبيقيَّة، بعد انتقاء النِّماذج الأسلوبية الروائيَّة المناسبة التي تكتسي أهمية بالغة مِنْ حيث الصراعُ الجدليُّ بين الأنا والآخر، على مدى تجسيد نتاج الممارسة التَّرجميَّة العربيَّة للمقاطع السردية (أو المواضع أو المناطق النَّصيَّة) المتضمِّنة لجدليَّة الأنا والآخر، بأبعادها وخصوصيَّاتها ومرجعياتها المبتوثة في ثنايا الأصل، ثُمَّ يُقارَن بين نتاج الترجمة ومشروعها ما بعد الاستعماريِّ.

ولقد ضَبَطَ المبحثُ الثَّالثُ جدليَّة الأنا والآخر في سياق نظريَّات الترجمة ما بعد الاستعماريَّة، مُستدرِّجًا مُصطلح ما بعد الاستعماريَّة إلى حقل الترجمة الروائيَّة. ويُعدُّ لجوء تيجاسويني نيرانجانا، في نظريَّتها للترجمة ما بعد الاستعماريَّة، إلى فلاسفة أمثال دريدا وفوكو وبنيامين لشرح ثنائيَّة الأصل والمركز (أو المنتهى) التي تفتقر إلى الثبات والاستقرار في سيرورة الترجمة؛ تعزيزًا للرؤية الفلسفيَّة للترجمة التي

_____ الفصل الثّاني: _____ جدليّة الأنا والآخَر في ضوء الترجمة ونظريّاتها _____

استأثّر المبحث الأوّل مِنْ هذا الفصل الثّاني بمُدارستها. وتتبنّى هذه الدّراسة أفكار نيرانجانا في تحليل الوقائع التاريخيّة المبنوثة في ثنايا الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة، التي تعكسُ وضع الحقبة الاستعماريّة، والكيفيّة التي نَقَلَتْ بها الترجمة العربيّة تلك الأحداث، في ضوء جدليّة الأنا والآخَر بأبعادها المختلفة، في حقبة ما بعد الاستعماريّة. كما تتبنّى هذه الدّراسة تأملات نيرانجانا التي تتجاوزُ الترجمة لتتسعَ التاريخ، والتطوّر الثقافيّ، وتشكيل الهويّة؛ لا سيّما مسألة التحدّي بانتهاج مبدأ التغريب، هذه الاستراتيجية المتجليّة في إكراهات الكتابة بلغة الآخر الفرنسيّ التي أثارها الكتّاب الجزائريّون في أعمالهم الروائيّة.

أفرزت نظريّة الترجمة ما بعد الاستعماريّة عند غاياتري شاكرافورتى سبيفاك مفاهيم جديدة تُعنى بإغراءات الترجمة ومسؤولية تتبّع الآخر في الذات، طارحةً مسألة المعلومات السياقيّة التي مِنْ شأنها تحديد مكانة المترجم وضبط موقعه بوصفه شريكاً مُتورّطاً في الوساطة، أو بوصفه كذلك ذاتاً مُترجمَةً وسيطةً. وتُعدّ هذه المعلومات السياقيّة أمراً ذا أهمية بالغة في سياق سيورة الترجمة في حقبة ما بعد الاستعمارُبغية تحديد المشروع التّرجميّ وأهدافه. وفي سياق ترجمة الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة، في الحقبة الاستعماريّة، إلى العربيّة، تُطالبُ سبيفاك المترجم بأن يُعدّ العُدّة مِنْ أجل ترويض هذا النّصّ الروائيّ الجزائريّ الذي كتبته ذوات كاتبة جزائريّة مُنتمية إلى العالم الثّالث، نظراً لوجود مواقف كثيرة مناهضة للاستعمار (الفرنسيّ في هذه الدّراسة) مبنوثة في العمل الروائيّ مضرب الترجمة، مُتمثّلة في جدليّة الأنا والآخَر بأبعادها وخصوصيّاتها ومرجعياتها المختلفة.

وحول مهمّة استسلام المترجم وخضوعه للنّصّ الروائيّ الأصل قيد النّقل، ومسألة تحويل الآخر إلى شيءٍ مثل الذات، حتّى تتحقّق الغاية الأخلاقيّة؛ تفسخُ سبيفاك لهذه الدّراسة المجال لتُميط اللّثام عن طبيعة الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة، في الحقبة الاستعماريّة، وهوية كتّابها الجزائريّين المبنوثة في لغة الآخر الفرنسيّ، وكذا إثبات مدى صحة أن ذات ما بعد الاستعمار تعيشُ بالفعل في ثنايا الترجمة، أي في ثنايا الترجمة العربيّة للرواية الجزائريّة.

في حين طرّحتُ نظريّة الترجمة ما بعد الاستعماريّة عند سامية محرز آراءً تصبُّ في صميم هذه الدّراسة التّطبيقيّة وفحواها، لا سيّما طرحها مسألة اللّغة البينيّة التي تخلقها أيادي الذوات الكاتبة الجزائريّة مِنْ جرّاء التفكير بالعربيّة ثمّ الخطّ بلغة أجنبيّة، ألا وهي الفرنسيّة، ما يجعلُ سيورة الترجمة في هذا الصّدّد تتأرجحُ بين الفضاء البينيّ الذي يفصلُ بينهما. فالنّصّ الروائيّ الجزائريّ المكتوب

_____ الفصل الثَّاني: _____ جدليَّة الأنا والآخر في ضوء الترجمة ونظريَّاتها _____

بالفرنسيَّة، في ميزان نظريَّة الترجمة ما بعد الاستعماريَّة عند سامية محرز، نصُّ هجين أو مُهَجَّن، نجح في صياغة لغةٍ جديدة، بسبب الآثار التي خلَّفتها التَّعدُّديَّة اللُّغويَّة في سيرورة الكتابة بالفرنسيَّة، تتحدَّى مفهوم النصِّ الأجنبيِّ (الفرنسيِّ) وتُقاومه بطرقٍ عدَّة، بسبب الطبقات الثَّقافيَّة واللُّغويَّة المبتوثة في ثناياه؛ ما يجعله يُطالبُ قُراءه بأن يكونوا مثله في البينيَّة وفي ثنائيَّة اللُّغة، قادرين على القراءة والترجمة في آنٍ واحد، وهنا تُصبِح الترجمة جزءاً لا يتجزأ من تجربة القراءة.

وفي ميزان جدليَّة الأنا والآخر، تُعدُّ الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسيَّة، في الحقبة الاستعماريَّة، ساحةً تبرزُ فيها مُواجهة الآخر الفرنسيِّ ومُقاومته، ومن ثمَّ وسيلةً لتحرير الذات على حدِّ تعبير سامية محرز. بناءً على هذه الآراء التَّرجميَّة الرصينة، تُحاول هذه الدِّراسة التَّطبيقيَّة إبراز كيفية تأصُّل الترجمة في سيرورة الكتابة الروائيَّة الأصليَّة بالفرنسيَّة، ومدى تأصُّلها كذلك في ترجماتها العربيَّة الصادرة في سياق حقبة ما بعد الاستعماريَّة، وكيفية إسهام هذا الضَّرب من ضُروب الترجمة الدائمة في تجسيد أبعاد جدليَّة الأنا والآخر في النُّسخة المنقولة إلى العربيَّة.

وهذا ما توصَّل إليه البحث في جدليَّة الأنا والآخر في ضوء الترجمة ونظريَّاتها، فما تجلِّيات جدليَّة الأنا والآخر في ميزان المُمَارَسة التَّرجميَّة واستراتيجياتها يا تُرى؟

الفصل الثالث

مبلة الأنا والآفر في مفران الممارسة الترميمية واستراتيجياتها

— الفصل الثالث: — جدليّة الأنا والآخر في ميزان الممارسة التّرجميّة واستراتيجيّاتها —

الفصل الثالث:

جدليّة الأنا والآخر في ميزان الممارسة التّرجميّة واستراتيجيّاتها

بعد تناول جدليّة الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسيّة، في الحقبة الاستعماريّة، في الفصل الأوّل، ثمّ ضبط جدليّة الأنا والآخر في ضوء الترجمة ونظريّاتها في الفصل الثّاني؛ ينتقل هذا الفصل الثّالث إلى دراسة هذه الجدليّة في ميزان الممارسة التّرجميّة واستراتيجيّاتها، وذلك بتقنيّ جدليّة الأنا والآخر في مسارات الذوات التّرجميّة: الذات الكاتبة، والذات المكتوبة، والذات المترجمة، والذات القارئة؛ في المبحث الأوّل. بينما يضطلع المبحث الثّاني بدراسة جدليّة الأنا والآخر في ميزان الثنائيات التّرجميّة الآتية: مبدئي التكافؤ الشكلي والتكافؤ الديناميكي، استراتيجيتي التوطن والتغريب، المصدريّين (دعاة المصدر) والمستهدفين (دعاة الهدف)، البين والمضمّر، الترجمة وإعادة الترجمة. أمّا المبحث الثّالث، فيسعى إلى دراسة جدليّة الأنا والآخر في مسار الترجمة الروائيّة، وذلك بسنّ مقارنة لترجمة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسيّة إلى العربيّة ونقد ترجمتها، بناءً على ما بسّط طرحة سلفاً في الفصول النظريّة الثلاثة.

1.3 المبحث الأوّل:

جدليّة الأنا والآخر في مسارات الذوات التّرجميّة

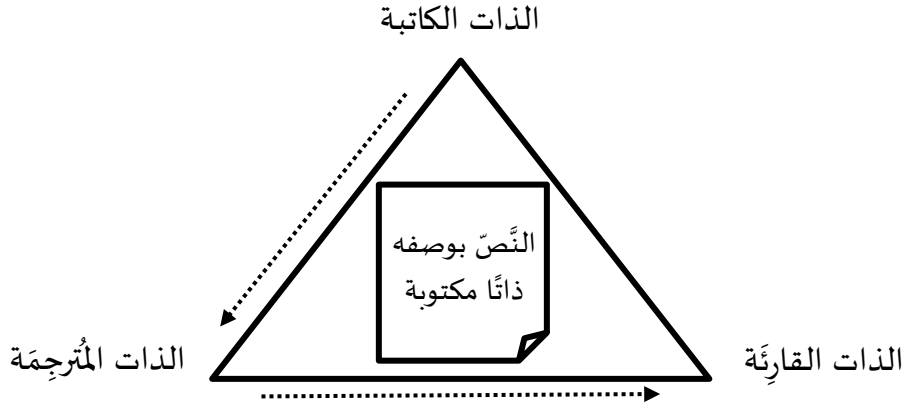
يسعى هذا المبحث إلى تقنيّ أثر جدليّة الأنا والآخر في مسار الذوات التّرجميّة التي تُضبطُ مُصطلحاتها على النحو الآتي:

المؤلف	←	الذات الكاتبة (المؤلّفة).
النصّ	←	الذات المكتوبة (المترجمة أو المنقولة).
المترجم	←	الذات المترجمة (الناقلة).
القارئ	←	الذات القارئة (المستقبلة للترجمة).

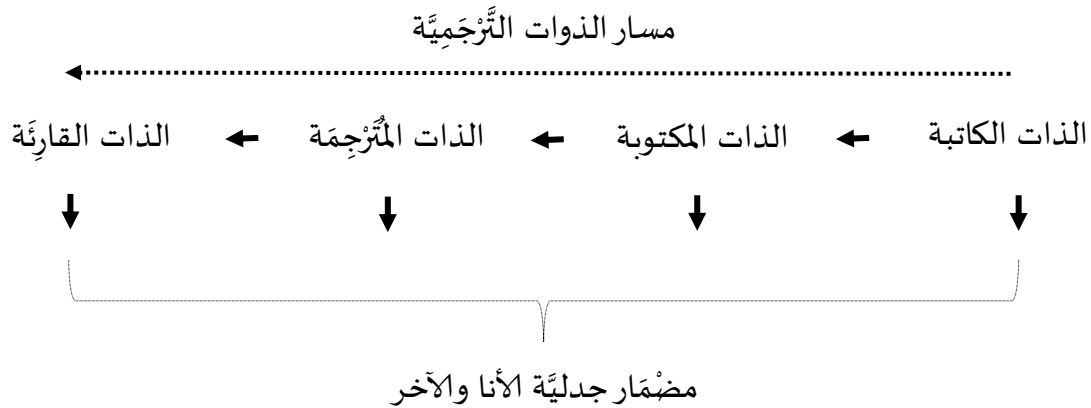
أُختيرت هذه المصطلحات الموظّفة في الدّراسة بصيغة مُصطلح الذوات التّرجميّة (جمع ذات تّرجميّة) بوصفها كيّاناً واعياً، وجوهراً مُفكّراً، تُردُّ إليها أفعال الشعور جميعها. إذ تُعبّر الذوات التّرجميّة (أي الذات الكاتبة، والذات المكتوبة، والذات المترجمة، والذات القارئة) عن مشاعرها وأفكارها ومواقفها

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الترجمة واستراتيجياتها —

وتجاربها الشخصية (راجع الفصل الأول، المبحث الأول). ويروم ضبط هذه المصطلحات وقراءة مفاهيمها، متابعة مسار سيرورة التفاعل الذي يثيره الكاتب في نصّه الروائيّ، ثمّ الطريقة التي ينتهجها المترجم في نقله لهذا النصّ الروائيّ إلى القارئ. وفي هذا السياق، تبرزُ جدلية الأنا والآخر الكامنة في سيرورة النقل. ويبرزُ الرّسم الآتي موقع الذات التّرجميّة في مسار الفعل التّرجيّي بصفة عامّة:



إذ تبتُّ الذات الكاتبة رسائلها في الذات المكتوبة، ثمّ تتكفلُ الذات المترجمة بنقلها إلى الذات القارئة، وما يُصاحب سيرورة النقل هذه من إجراءات. وبناءً على هذا الرّسم التوضيحيّ، يُستنتج بأن الذات المترجمة هي محور هذه العملية التّرجميّة ومركزها، إذ تربطُ بين الذات الكاتبة والذات القارئة مُستندةً إلى الذات المكتوبة. وبُغية تتبّع مسار الذوات التّرجميّة في مضمار جدلية الأنا والآخر، يُعتمدُ على الرّسم الآتي:



ويُظهرُ هذا الرّسم مسار الرّسالة انطلاقاً من الذات الكاتبة، وُصولاً إلى الذات القارئة، في مضمار جدلية الأنا والآخر بأبعادها المختلفة، ويعني هذا:

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجُمِيَّة واستراتيجياتها —

من جهة أولى: تَبَيَّنَت الذات الكاتبة جدليَّة الأنا والآخر في ثنايا الذات المكتوبة بأبعادها وخصوصياتها وتجليَّاتها ومرجعياتها المختلفة (راجع الفصل الأوَّل، المبحثين الثاني والثالث).

من جهة ثانية: تتأصَّل جدليَّة الأنا والآخر في الذوات التَّرجُمِيَّة في حدِّ ذاتها، فالذات الكاتبة — بوصفها أنا — قد تكون آخرًا عند الذاتين المُترجِّمة والقارئة، والذات المكتوبة حاملة في حناياها معالم الأنا والآخر وأبعادهما، والذات المُترجِّمة لها مشروعها التَّرجُمِيَّ وأبعادها الأيديولوجية وخصائصها الثقافيَّة ومرجعياتها الحضاريَّة، والذات القارئة لها كذلك أذواقها وأعرافها وتوجُّهاتها ومُؤيِّلها. وعلى سبيل الاستدلال، قد تُعَدُّ الذات القارئة — بوصفها أنا — الذات الكاتبة آخرًا، ما يجعلُ الذات المكتوبة والمنقولة نقطة لقاء تَأَنَّت مِنْ جَرَاء سيرورة الترجمة التي اضطلعت بها الذات المُترجِّمة.

كما قد تتماهى الذات القارئة والذات المُترجِّمة بوصفهما أَنَانَيْن يَعدَّان الكاتب آخرًا. وإذا ما أُسْقِطَت هذه المعطيات التَّرجُمِيَّة على موضوع هذه الدِّراسة التَّطبيقيَّة، فإن الذوات التَّرجُمِيَّة (أي الذات الكاتبة، والذات المكتوبة، والذات المُترجِّمة، والذات القارئة) قد يتماهى بعضهم بعضًا. وتجبُ الإشارة إلى أن أحد المسالك الرئيسة التي تقوم عليها جدليَّة الأنا والآخر في الترجمة العربيَّة للرواية الجزائريَّة المكتوبة بالفرنسيَّة، الصادرة في الحقبة الاستعماريَّة، محلَّ هذه الدِّراسة؛ يكمنُ في مسار الكتابة بلُغة الآخر، أي أنا الكاتب الجزائري الذي تخطَّ أعمالها الروائيَّة بلُغة الآخر الفرنسي.

1.1.3 الذات الكاتبة:

يقتضي البحث في سيرة الذات الكاتبة إثارة أسئلة عدَّة، مثل التي أثارها بيرمان في سيرورة البحث عن المُترجم (À la recherche du traducteur)، التي تتحوَّل إلى سيرورة البحث عن الذات الكاتبة (À la recherche du sujet écrivain)، وذلك بطرح الأسئلة الآتية: مَنْ الذات الكاتبة؟ ما جنسيتها؟ وما طبيعة الأعمال التي تكتبها؟ وبأيِّ اللُّغات تكتب؟ وما صلتها بهذه اللُّغات التي تخطَّ بها أعمالها؟ وما جنس الأعمال الأدبيَّة التي تكتبها عادةً؟ وهل كتبت حول تجاربها الأدبيَّة وتصوُّراتها النَّظريَّة والمبادئ التي تنتهجها في كتاباتها وتستند إليها... وغيرها مِنْ تساؤلات. وفي هذه النُّقطة، يجبُ المُضي قُدُمًا بُغية تحديد مواقفها الأدبيَّة إزاء كتاباتها، المُتجليَّة في ذاتيتها، وخياراتها، وتصريحاتها، ومواقفها اللُّغويَّة... وغيرها مِنْ المواقف الأدبيَّة التي تكون ماثلة في العمل الأدبي بصفة ضمنيَّة قد لا تُصرِّح بها الذات الكاتبة علنًا⁽¹⁾. كما يجبُ المُضي قُدُمًا مِنْ أجل تحديد مشاريعها الأدبيَّة التي تنطوي عليها كتاباتها، أو التي يُعبَّر عنها في

(1) Voir : Antoine BERMAN, *Pour une critique des traductions*, op. cit., p73-75.

— الفصل الثالث: — جليّة الأنا والآخر في ميزان الممارسة التّرجميّة واستراتيجياتها —

المقدّمات، والاستهلاّلات، والمقالات، والحوارات، والمقابلات الصحفيّة، وأي معلومات تُؤكد مشروع الذات الكاتبة وأسلوبها وخياراتها... وغيرها من مُعطيات⁽¹⁾.

وفي سياق هذه الدّراسة، تكتبُ الذات الكاتبة الجزائريّة الرواية الجزائريّة بلُغة مفروضة عليها استعماريّاً (أي اللّغة الفرنسيّة)، تُعدّ ترجمةً ذاتيّةً، تُثيرُ الألم وتُورثُ الهمّ، وتُوقظُ حنين الذات الكاتبة إلى لُغتها الأمّ (أي اللّغة العربيّة)، هذا الحنين الذي يشدّها شدّاً، ومن ثمّ تُشغّلُ شريط الهوية الضائعة وجدليّة الانتماء. وعلى هذا الأساس، تُصبحُ اللّغة الفرنسيّة (لُغة الكتابة) لُغة منفى (لُغة الآخر)، ومقاماً للغيريّة، أي لُغة الذات المتغرّبة على حدّ تعبير عيساني بلقاسم⁽²⁾.

إنّ الترجمة، من حيث مُسلماتها وغاياتها وأبعادها الأخلاقيّة، ترومُ الأمانة لمقصد الكاتب (la fidélité au vouloir dire de l'auteur) ومُرادُه، ويقتضي هذا رفضَ ضُروب التّلاعب أو التصرّف كلّها، كأن يُستبدل ما قصده الذات الكاتبة (الكاتب) بقصدٍ آخر، سواءً أكان هذا عن قصدٍ أم كان ناجماً عن جهلٍ، أو قلة معارف الذات المترجمة (الذات الناقلة) وضعف ترسّانها التّرجميّة، أو كان تحيُّراً لمصلحة ما. يُراد من أسلوب الذات المترجمة (المترجم)، وفق ما تقتضيه الممارسة التّرجميّة ومبادئها، أن يُحسن النّقل، وأنّ يستبعد التّأويلات المغلوطة والمُستسهلة والتّأويلات التي قد تكون مُنحازة بنحو واضح⁽³⁾، حتّى تتحقّق الغاية الأخلاقيّة التي تضطلعُ بها سيرورة الترجمة، ألا وهي الأمانة لمُراد الذات الكاتبة ومقصدها. إنّ تحرّر سيرورة الترجمة من الذات الكاتبة يعني تحرُّرها من أبعاد الأنا والآخر، بمرجعياتها التاريخيّة والنّفسيّة، وخصوصيّاتها الثقافيّة والحضاريّة، المبتوثة في أحناء الذات المكتوبة⁽⁴⁾.

2.1.3 الذات المكتوبة:

يتمتعُ بناء النّص الأدبيّ — بصفةٍ عامّة — بثلاث صفات نُجملها فيما يأتي⁽⁵⁾:

- اختلاق القصص الواقعيّة ونسج المشاهد الخياليّة.

(1) Voir : Antoine BERMAN, *Pour une critique des traductions*, op. cit., p76–79.

(2) يُنظر: عيساني بلقاسم، الفكر التّرجمي: حيثيات المعنى الحائر بين الأنا والآخر، منشورات ضفاف/ منشورات الاختلاف، ط1، بيروت/الجزائر، 1442هـ – 2021م، ص258–259.

(3) Voir : Danica SELESKOVITCH, et Marianne LEDERER, op. cit., p23.

(4) يُنظر: عيساني بلقاسم، المرجع السابق، ص392.

(5) See: Jean BOASE-BEIER, Lina FISHER and Hiroko FURUKAWA (eds.), *The Palgrave Handbook of Literary Translation*, Guildford, UK, Palgrave Macmillan, 2018, p3.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجموية واستراتيجياتها —

- امتلاك العُدَّة الأدبيَّة (literary devices): مثل اللُّغة والأسلوب والقافية والغموض والإبداع.
- بثّ التأثيرات المعرفيَّة في نفوس قُرَّائه: مثل إثارة مشاعر الحزن والغَمِّ، أو إشعال فتيل الغضب، أو إجلاء التعاطف الوجداني، أو مساعدة المرء على ترتيب أفكاره إزاء موقف ما أو حادثة مُعيَّنة.

وهذه الصفات كلّها مِنْ ضُرُوب جدليَّة الأنا والآخر التي تَبْهُمُ الذات الكاتبة في ثنايا الذات المكتوبة (le sujet écrit) بأبعادها وتجليّاتها وخصوصياتها ومرجعياتها المختلفة (راجع الفصل الأوّل، المبحثين الثَّاني والثَّالث). وعلى هذا الأساس، تحملُ الذات المكتوبة (النَّصّ المكتوب) قصداً مُعيَّناً في داخلها، إذ يُمثِّلُ المعنى المَبْثُوث في ثناياها وجهة نظر مُعيَّنة، وفكرًا مُعيَّناً يرمي إلى شيء مُعيَّن. وعلى هذا النّحو، يُخَلِّفُ المعنى المُسْتَنْبَطُ وقعاً في نفس الذات القارئة ويوجِّهها، ومن ثَمَّ تُؤسِّس عليه هذه الذات القارئة فهماً مُعيَّناً للواقع⁽¹⁾.

وكما كان النَّمُودَج الاستعماريّ قائماً على مفهوم امتلاك ثقافةٍ مُتفوقة (superior culture) ثقافةً أدنى منها (inferior one)، كان يُنظر كذلك إلى الذات المكتوبة الأصل على أنها أسمى (superior) مِنْ نُسخها (copy) المُترجمة. وعلى هذا الأساس، حُكِمَ على الترجمة وقُدِّرَ لها أن تكون في وضعٍ أدنى (أي في موضع دُونيَّة وخُنوع) إزاء الذات المكتوبة المصدر (النَّصّ المصدر) التي اشتقت منها. وفي العلاقة بين الذاتين المكتوبة المصدر والمُسْتَهْدَفَة، وفق التَصوُّر الجديد ما بعد الاستعماريّ، أصبح يُنظر إلى كلٍّ مِنَ الأصل والترجمة أنهما نتاج مُتساوٍ للإبداع، تتقاسمه كلٌّ مِنَ الذات الكاتبة والذات المُترجمة معاً — كل حسب ما تقتضيه مَهْمَتُهُ المختلفة مِنَ الآخر — فالذات الكاتبة تُثَبِّتُ كلماتها بنحوٍ سديد ومثالي لا يتغيَّر، في أحناء الذات المكتوبة، بينما تكمنُ مَهْمَةُ الذات المُترجمة في تحرير تلك الكلمات مِنْ حدود لُغتها المصدر والسماح لها بالعيش مرة أخرى في نطاق اللُّغة التي تُنْقَلُ (تُترجمُ) إليها⁽²⁾. وعلى هذا المنوال، تُنقل أبعاد جدليَّة الأنا والآخر مِنَ الذات المكتوبة المصدر إلى الذات المكتوبة المُسْتَهْدَفَة (الذات المنقولة)، وما يُصاحب سيرورة النّقل هذه مِنْ تداعيات تَرْجَمِيَّة.

يُمْكِنُ لأَيِّ ذات مكتوبة (أي نصٍّ أو ذات منقولة) — وفق بيتر نيومارك Peter Newmark — وتأمُّلاته التَرْجَمِيَّة — أن تُجذب في عشرة اتِّجاهات مختلفة، وإذا أُفْجِمَ النَّصّ الروائيّ الجزائريّ المكتوب بالفرنسيَّة، في الحقبة الاستعماريَّة، في آراء بيتر نيومارك ومسار هذه الاتِّجاهات التي تُجذب إليها الذات

(1) يُنظر: محمّد حكيمي، الدَّات من الفعل إلى الأثر: نحو تأثير المعنى الأدبي على القارئ — مقارنة تحليلية نقدية ثقافية، دار ميم للنشر، الجزائر، 2019م، ص26.

(2) See: Susan BASSNETT, *Translation Studies*, op. cit., p6.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجمة واستراتيجياتها —

المكتوبة، يُمكنُ سرد النقاط الآتية⁽¹⁾:

- 1 — أسلوب الذات الكاتبة ولهجتها الشخصية (idiolect) التي تكتبُ بها الذات المكتوبة الأصل (أي النصّ الأصل SL)، متى يُحافظ عليهما أو متى يجبُ تطويعهما (normalised) في أثناء سيرورة الترجمة؟
- 2 — الخيارات النحويّة والمعجميّة المُعدّة لنصّ روائيّ نصاليّ صادر في الحقبة الاستعماريّة، اعتمادًا على الموضوع والموقف (راجع الفصل الأوّل، المبحث الثالث).
- 3 — عناصر المحتوى المتضمّنة في الذات المكتوبة التي تُشير إلى اللّغة المنقول منها (لغة المصدر SL) وثقافتها على وجه التحديد. ويُستحضرُ في هذا السياق أبعاد جدليّة الأنا والآخر، بخصوصيّاتها ومرجعياتها، المبثوثة في ثنايا الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة في الحقبة الاستعماريّة (راجع الفصل الأوّل، المبحث الثالث).
- 4 — الشكل النّمودجيّ (أو التصميم النّمطيّ The typical format) للنصّ الروائيّ الجزائريّ المكتوب بالفرنسيّة وطبيعته المُستوحاة من التقليد الشائع في الحقبة الاستعماريّة. وبُغية تفكيّ مسار جدليّة الأنا والآخر في نشأة الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة وتطوّرها، يُحقّقُ المحور الأوّل من المبحث الثالث، من الفصل الأوّل، الروايات الصادرة في الفترة الممتدة بين 1920م و1962م، أي منذ ظهور أوّل رواية جزائريّة مكتوبة بالفرنسيّة إلى تاريخ استقلال الجزائر وتحزُّرها، تحقيقًا يُراعي التسلسل التاريخي في إصدار هذه الروايات، تماشيًا ومسار جدليّة الأنا والآخر في تحولات الخطاب الروائيّ الذي يطبع كل مرحلة كُتبت فيها الرواية (راجع الفصل الأوّل، المبحث الثالث).
- 5 — توقعات الذوات القاريّة المُفترضة (القُرّاء المفترضين) وأخذ معرفتهم المُحتملة بالنصّ الروائيّ الجزائريّ المكتوب بالفرنسيّة والأسلوب اللّغويّ الذي يستخدمونه في الحُسبان، فهل يُتقنون الفرنسيّة التي كُتبت بها هذه الرواية يا تُرى؟ أم يكتفون بالنصّ الروائيّ المنقول إلى العربيّة؟ وبالاعتماد على النصّ الروائيّ المنقول إلى العربيّة، يُفترض من الذات المُترجمة ألا تزيد شيئًا أو تنتقص جزءًا من مقاطع الذات المكتوبة الأصل، بل عليها أن تسعى جاهدة إلى تجسيد ما بُثّ فيها بالوَقع نفسه والتأثير ذاته كي تصل إلى عقول الذوات القاريّة وتُلبّي أفق توقعاتهم؛ ومن ثمّ تجسيد أبعاد جدليّة الأنا والآخر المبثوثة في ثنايا الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة في الحقبة الاستعماريّة.

⁽¹⁾ بيترنيومارك، عن الترجمة، ترجمة: خالد توفيق، المركز القومي للترجمة، العدد: 2617، ط1، القاهرة، 2016م، ص83-84.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجموية واستراتيجياتها —

6 و7 و8 — وهي المسائل نفسها والاتجاهات ذاتها المشار إليها في النقاط 2 و3 و4 مُطبَّقة — تبعاً — على اللغة المنقول إليها (أو اللغة المُستهدفة TL)، وذلك بضبط العُدَّة النحويَّة والمُعجميَّة والأسلوبيَّة وفقاً لطبيعة النصِّ الروائيِّ الجزائريِّ الصادر في الحقبة الاستعماريَّة، ومن ثمَّ تحديد انتهاج الاستراتيجيَّة التَّرجميَّة المثلى التي تتركزُ عليها الذات المُترجمة في سعيها إلى تجسيد الموضوع الثَّوريِّ، والموقف النِّضاليِّ، وجدليَّة الأنا والآخر، بأبعادها وتجليَّاتها ومرجعياتها وخصوصيَّاتها، وغيرها من عناصر المحتوى المتضمَّنة في الذات الروائيَّة الجزائريَّة المكتوبة الأصل (بالفرنسيَّة) وطبيعتها المُستوحاة من التقليد الشائع في الحقبة الاستعماريَّة. إذ ترومُ الممارسة التَّرجميَّة تجسيد هذه النِّقاط كلّها في النصِّ الروائيِّ الجزائريِّ المُترجم إلى العربيَّة في حقبة ما بعد الاستعماريَّة.

9 — ما يُوصفُ، أو يُفصَحُ عنه، أو يُتحقَّقُ منه (الحقيقة المرجعيَّة)، بنحوٍ مستقل — قدر الإمكان — عن الذات المكتوبة المصدر ولُغتها وتوقعات الذوات القاريَّة لها (جمهور القُرَّاء).

10 — وفي نطاق عامل الولاء لجماعة بعينها (group loyalty factor)، قد تخضع آراء الذات المُترجمة، ومُيولها، وتحيزاتها (prejudices)؛ لاعتبارات ذاتيَّة وشخصيَّة، أو اجتماعيَّة، أو ثقافيَّة. كما قد تعكسُ — خياراتها التَّرجميَّة — افتراضات قوميَّة، وسياسيَّة، وعريقيَّة، ودينيَّة، وجنسيَّة... ونحو ذلك، تتبناها الذات المُترجمة في أثناء سيرورة الترجمة. وفي هذا المقام، تتبدَّى معالم جدليَّة الأنا والآخر في ميزان الممارسة التَّرجميَّة من منظور ما بعد استعماريِّ، أي في مسار الذات المُترجمة وتأثيرات المشروع التَّرجميِّ ما بعد الاستعماريِّ (راجع الفصل الثَّاني، المبحث الثَّالث).

وتجبُ الإشارة في ختام رسم مسار هذه الاتجاهات التي تُجذبُ إليها الذات المكتوبة، إلى أنَّ هذه العوامل العشرة كلّها قد تُؤثِّرُ فعليًّا — أو يُحتملُ أن تُؤثِّرَ — في سيرورة ترجمة أيِّ ذات مكتوبة بصفة عامة، وفق ما طرحه بيتر نيومارك⁽¹⁾. والملاحظ هنا إمكانية تطبيقها على ترجمة النصِّ الروائيِّ الجزائريِّ المكتوب بالفرنسيَّة، في الحقبة الاستعماريَّة، إلى العربيَّة، مثلما استُدْرِجَتْ نقاطه فيما بُسِّطَ طرحه.

3.1.3 الذات المُترجمة:

تَبْلُورُ مصطلح الذات المُترجمة (le sujet traduisant) من المسار النّقديِّ الذي سنَّه بيرمان في كتابه: من أجل نقد للترجمات (راجع الفصل الثَّاني، المبحث الثَّاني)، الذي يبدأ بقراءات الترجمة ثمَّ

(1) يُنظر: بيتر نيومارك، المرجع السابق، ص 84.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجموية واستراتيجياتها —

فصلها (أي فصل سيرورات قراءات الترجمة هذه) عن قراءات الذات المكتوبة الأصل. وفي هذا السياق، يُصرِّح بيرمان قائلًا:

« La dialectique propre à ces lectures me mène à l'auteur du texte traduit, le fameux « **sujet traduisant** » dont tous les théoriciens de la traduction parlent sans parvenir à mettre la main dessus. Cette partie s'intitule logiquement : « À la recherche du traducteur ». Elle n'a absolument rien de subjectif : elle veut certes savoir, et concrètement, *qui* est le traducteur, mais surtout elle veut déterminer sa *position traductive, son projet de traduction et son horizon traductif*. Ces trois catégories herméneutiques sont longuement et précisément explicitées. »⁽¹⁾.

« تقودني الجدلية المتأصلة في هذه القراءات إلى كاتب النص المترجم، أي «الذات المترجمة» الشهيرة التي يتحدث عنها مُنظِّرو الترجمة جميعهم دون أن يتمكنوا من تحصيل معلومات وافية بشأنها. ولقد وُسمَ عنوان هذا الجزء منطقيًا بـ: «البحث عن المترجم». لا مجال للذاتية في هذا الجزء على الإطلاق، بل إنه يروم، بالتأكيد، التعرف على مَنْ المترجم بنحو ملموس؛ ولكنه قبل كل شيء يسعى إلى تحديد موقفه التَّرجمي، ومشروعه التَّرجمي، وأفق التَّرجمي. لقد شُرِّحت هذه الفئات التأويلية الثلاث باستفاضة ودقة. » (تَرْجَمْتُنَا).

تحمّل الذات المترجمة، مثلها مثل الذات الكاتبة، تمثيلات رمزية (des représentations symboliques) عن مجتمعها، أي لها هابيتوسها مثل هابيتوس الذات الكاتبة (راجع الفصل الثاني، المبحث الثاني). ولهذا، تُعدُّ معرفة هذه الذات ضروريةً لتفسير الأعمال المترجمة وفهمها، وأمرًا لا غنى عنه لدى مَنْ يُريد تحديد الطريقة التي تُرجمت بها تلك الأعمال ويفهمها، فلا «يُمكنُ فصل المبدع عن إبداعه، ولا المترجم عن ترجماته»، فكل منهما يُمثِّل طرفًا من طرفي جدلية الأنا والآخر التي تستأثر هذه الدراسة بتفحصها. ومثلما أبرزته الرسومات التوضيحية التي اضطلع هذا الفصل الثالث بتقديمها، حول موقع الذوات التَّرجميّة في مسار الفعل التَّرجميِّ ومضمار جدلية الأنا والآخر، تُعدُّ الذات المترجمة وثاقًا حيًّا (lien vivant) بين الذات المكتوبة الأصل (النصّ الأصل) وترجمتها (الذات المنقولة نتاج الترجمة)، فهي ليست حزامًا ناقلاً محايدًا، بل إنها تترك بصماتها — عن سبْق إصرار أو عن غير قصدٍ — في الذات المكتوبة التي هي بصدد إعادة إنشائها بلغةٍ أخرى⁽²⁾. وهنا تتبدّى معالم جدلية الأنا والآخر في

⁽¹⁾ Antoine BERMAN, *Pour une critique des traductions*, op. cit., p16.

⁽²⁾ Jean DELISLE (dir.), *Portraits de traductrices*, Ottawa – Canada, Les Presses de l'Université d'Ottawa, Artois Presses Université, coll. « Regards sur la traduction », 2002, p2.

— الفصل الثالث: — جليّة الأنا والآخر في ميزان الممارسة التّرجميّة واستراتيجياتها —

ميزان الممارسة التّرجميّة.

وفي بعض الأحيان، تجدُ الذات المُترجمة نفسها في وضع المدافع عن ترجمةٍ قد لا تجرؤ على تصحيح أخطائها، مثلما هو الحال عند ترجمة نصوصٍ عقديّة (دينيّة) أو دعوويّة أو سياسيّة مُتعصّبة، حيث تلجأ الذات المُترجمة — مُضطرّةً — إلى توظيف عبارات قد تتعارض ومعتقداتها، فتعتمدُ إلى ذكرها بالرغم من أنها لا تمتُّ للمواقف الأيديولوجيّة التي تُؤمنُ بها بصلة، فتتضاربُ المعتقدات المبنوثة في حنايا الذات المكتوبة (المنقولة) ومعتقدات الذات المُترجمة ومواقفها ومصالحها الشخصيّة، وهذا ما أطلق عليه الباحثان سلفادور بينيا Salvador Peña و م. خوصي هيرنانديس M. José Hernandez «بأخلاق المُترجم»^(*)، التي كثيراً ما تردُّ في بعض النصوص⁽¹⁾، وتستدعيها بعض المواقف التّرجميّة. وتجدُر الإشارة إلى أن البنى المُتحكّمة في الترجمة هي المسؤولّة عن تحديد المشروع التّرجميّ، مثلما تناولتها نظريّات الترجمة ما بعد الاستعماريّة (راجع الفصل الثّاني، المبحث الثّالث).

وفي سياق الممارسة التّرجميّة، تُحدّد الذات المُترجمة واقع الذات المكتوبة الأصل وتضبطُ إطارها المعرفيّ، وزمن كتابتها (الحقبة التي كُتِبَ فيها النّصّ الأصل)، وسيرة الذات الكاتبة لها وأعمالها (أي سيرة كاتبها وأعماله المنجزة)، وطبيعة جمهورها (الشريحة القارئة للأصل والمستقبليّة له على حدّ سواء). كما تضعُ الذات المُترجمة المعالم والمعايير اللّازمين، اللّذين في إطارهما تُكمّلُ معارفها المناسبة بين الذات المكتوبة وظاهرها. وفي هذا الإطار المعرفيّ، يُمكنُ الزاد المعرفيّ الذي تتسلّجُ به الذات المُترجمة من استنباط الأفكار وكشف المشاعر التي تتضمنها الذات المكتوبة أكثر مما تُعبّر عنها، مما يُهمّدُ الطريق أمامها (أي أمام الذات المُترجمة) لنقلها إلى الدوات القارئة المُستهدّفة وإيصالها لها بكل سهولة ويُسر⁽²⁾.

من الجليّ أن تُدرك الذات المُترجمة جيّدًا أنها ذات قارئة فذّة، تنوي فهمَ (pour comprendre) ذاتها المكتوبة تارةً؛ وذات كاتبة ثانيّة، تسعى إلى أن تُفهمَ (pour faire comprendre) مقصد القول الأوّل (le vouloir dire initial) ذاته المبنوثة في حنايا الذات المكتوبة الأصل تارةً أخرى. ومن هذا المنطلق، فهي لا تُترجمُ من لغةٍ إلى لغةٍ أخرى فحسب، بل إنّها تفهمُ كلامًا وتنقله بنحوٍ سلسٍ ومفهومٍ.

(*) يُوضّحُ هذان الباحثان، بناءً على أمثلة مُقتبسة من اللّغة العربيّة، بعض المواقف التي يصعبُ أن تكون فيها الذات المُترجمة وفيّةً لنصائح نيومارك التّرجميّة، لا سيّما دعوته الرامية إلى عدم إقحام الذات المُترجمة — في أثناء سيرورة ترجمة عمل ما — طرفًا في السجلات السياسيّة. نجدُ — مثلاً — عند ترجمة الأسماء الجغرافيّة مثل كلمة الخليج تُنقلُ بالخليج العربيّ أو الفارسيّ... ونحو ذلك.

(1) يُنظر: أوبيدي كربونيل كورتيس، المرجع السابق، ص 72-73.

(2) Voir : Marianne LEDERER, *op. cit.*, p32.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجمائية واستراتيجياتها —

إنَّ جمال الترجمة ورونقها وسدادها وفائدتها وغايتها أن تكون دائماً همزة وصل ونقطة تلاقٍ، حيث يُجمَع مقصد الذات الكاتبة (le vouloir dire du sujet écrivain) ومُرادها، وفهم الذات القارئة (le vouloir comprendre du sujet lecteur) واستيعابها⁽¹⁾. وإذا ما أسقطنا هذا الفكر على جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة التَّرجَمِيَّة، مِنْ منظورٍ تجريديٍّ صرفٍ، «فإنَّ المُترجم، ينشئ (لصالح القارئ) هُوية خاصة، يعتمد فيها على تعاقد مع الآخريَّة»⁽²⁾. تنشأ هذه الهُويَّة مِنْ جرَّاء سيرورة تعاقد الذات المُترجمة — بوصفها أَنَا — مع الآخر — بوصفه آخراً — مِنْ جهةٍ أُولى، ومدى اعتماد الذات القارئة — بوصفها أَنَا — على الترجمة (التي تُنتجها الذات المُترجمة) في بناء علاقتها بالآخر — بوصفه آخراً — مِنْ جهة ثانية. وهذا ما يُبرزُ مكانة الذات المُترجمة ودورها المحوري في سيرورة النُّقل.

عطفًا على هذه المعطيات التَّرجَمِيَّة الرصينة، وفي سياقها، تُعدُّ الذات المُترجمة ذاتًا قارئةً مُتميِّزةً، تُدعى إلى فهم جدليَّات الذات المكتوبة وحججها، وإلى الشعور بنبراتها العاطفيَّة (les tonalités affectives) المبتوثة فيها. لذا، فإنَّ الذوات المكتوبة (أي النُّصوص) المختلفة ليست قريبة منها على حَدِّ سواء، فلكل ذات مُترجمة مجالاتها المفضلة، وغالبًا ما يكون لديها ذات كاتبة مُفضَّلة (أي كاتبها المُفضَّل). وعلى سبيل الاستدلال، يحصلُ التَّمَاهي بين الذات المُترجمة الأدبيَّة والذات الكاتبة، بنحوٍ أفضل، كلَّما زادت صِلات الذات المُترجمة بالذات الكاتبة وتعرَّزت (أي كلَّما وُجدت صلة وصلٍ تربطُ بينهما، أو أيَّ رابطة اجتماعيَّة أو قوميَّة أو عقائديَّة تجمعُ بينهما)⁽³⁾، وتتأثَّر صفة التَّمَاهي هذه كذلك مِنْ جرَّاء قراءات الذات المُترجمة المتعدِّدة والمتنوعة، ومُيولها الأيديولوجيَّة، وأذواقها الأدبيَّة.

على الذات المُترجمة، إذا أخذنا برأي نايدا، أن تتماهى والذات الكاتبة، وأن تُشاركها الخلفيَّة الثقافيَّة نفسها، والمُيول ذاتها، والمبادئ ذاتها، مما يُسهِّم في تجسيد وقع الذات المكتوبة (المنقولة) لدى الذات القارئة، بالطريقة ذاتها والوقع نفسه. وفي هذا السياق، يطرحُ نايدا مصطلح التقمُّص الوجدانيِّ الفعَّال (Effective Empathy)، ويرمي مِنْ اصطلاحه هذا ذوبان الذات المُترجمة في الذاتين الكاتبة والمكتوبة (المنقولة) بُغية إدراك الذات القارئة⁽⁴⁾ ومُلامسة أذواقها وأُفق توقعاتها. وعلى الذات المُترجمة أيضًا أن تتحلَّى بقدرات خاصَّة في الفهم والتَّأويل والكتابة باللُّغة المنقُول إليها، كما عليها أن تتسم

(1) Voir : Danica SELESKOVITCH, et Marianne LEDERER, *op. cit.*, p19.

(2) أوبيدي كربونيل كورتيس، المرجع السابق، ص152.

(3) Voir : Marianne LEDERER, *op. cit.*, p30.

(4) يُنظر: يوجين إ. نيدا، نحو علم للترجمة، تَرْجَمَة: ماجد النجار، مطبوعات وزارة الإعلام — الجمهورية العراقية، ط1، بغداد — العراق، 1976م، ص298-299.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجموية واستراتيجياتها —

بالحنكة والقدرة على اتخاذ القرارات الترجموية المناسبة، وأن تتمتع كذلك بحسٍّ فطريٍّ فذٍّ (sui generis). وتبدؤ الذات المترجمة في عملها كأنها ناقدة ومفسرة وناقلة للحقائق ذاتها (من تاريخ وعادات وتقاليد وتراث وحضارة... ونحو ذلك) المبتوثة في العمل الأصل⁽¹⁾، إلى اللغة والثقافة المستهدفتين؛ ومن ثمَّ تتجسّد جدلية الأنا والآخر بأبعادها المختلفة. وإذا ما توافرت هذه المتطلبات في الذات المترجمة المتصدية لترجمة الراوية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، الصادرة في الحقبة الاستعمارية، إلى العربية؛ فإن النسخة المنقولة تكون — لا محالة — ذات جودة وقيمة، تُحقق الأثر ذاته المبتوث في حنايا الأصل، وما يُصاحب مهمّة النقل هذه من تداعيات ترجمية ليست يسيرة على الإطلاق.

4.1.3 الذات القارئة:

يُركّز عادةً في نقد أعمال مترجمة على أربعة عناصر وهي: الذات الكاتبة، والذات المكتوبة، والذات المترجمة، والنصّ الناشئ عن الترجمة (أي النصّ المستهدف أو الذات المنقولة أو الذات المترجمة)، وذلك بتسجيل إغفال الذات القارئة (لترجمة) ودورها في هذه الحلقة المحورية. ولكن حين وصف ميزات الترجمة الجيدة بأنها الترجمة التي تنقل سمات الذات المكتوبة الأصل إلى اللغة المستهدفة، بحيث تفهمها الذات القارئة المستهدفة (le sujet lecteur cible) بالنبرة نفسها، والقوة نفسها، والشحنة الدلالية نفسها، والوقع نفسه، وتحقيق الإقناع المعرفي ذاته المبتوث في ثنايا الذات المكتوبة الأصل، وتغمرها المشاعر ذاتها التي شعرت بها الذات القارئة الأصل للذات المكتوبة الأصل؛ فالتركيز هنا — بنحو غير مباشر — مُنصبٌّ على عاملٍ محوري ألا وهو الذات القارئة⁽²⁾.

تقرأ الذات القارئة الذاتين المكتوبتين، سواءً الذات المكتوبة الأصل أم الذات المترجمة (أي الذات المنقولة)، من موقعها الزمني (من حاضرها)، بينما تُمثّل الذات الروائية المكتوبة — على سبيل الاستدلال — حقبة ماضية. وفي أثناء سيرورة القراءة، يلتقي أفق الذات المكتوبة «الماضي» (في صورة نُسختها المترجمة أو المنقولة) والأفق «الحاضر» للذات القارئة. وعلى هذا الأساس، يُعدُّ فهم الذات القارئة للمعنى المبتوث في حنايا الذات المكتوبة (التي تُمثّل الماضي) فهمًا جديدًا رهينَ أفقها «الراهن» وأفق سيرورة النقل التي اضطلعت بها الذات المترجمة، ومدى ربطها «الماضي» بـ «الحاضر» (أي ربطها لحظتين تاريخيتين مختلفتين ومتباعدتين) بُغية إيصال أحداث الذات المكتوبة وخبراتها وتصوّراتها وحقائق الأمور التاريخية

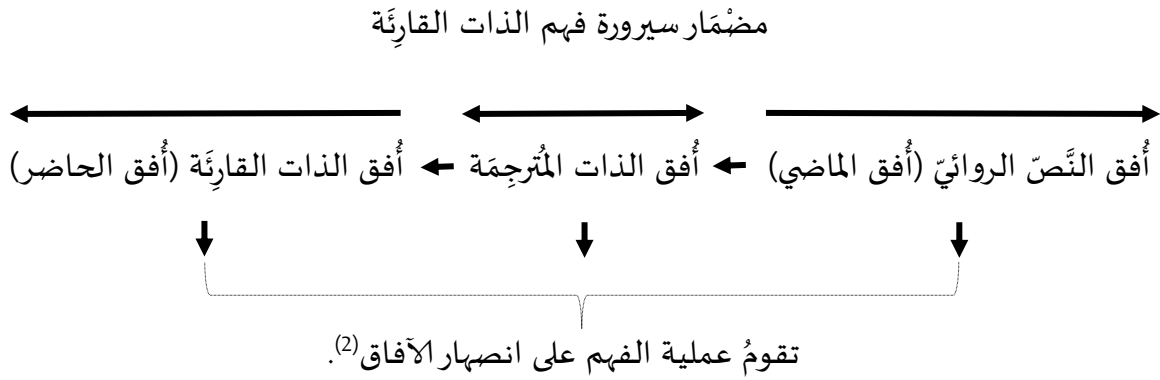
(1) يُنظر: بيتر نيومارك، المرجع السابق، ص 96-97.

(2) يُنظر: المرجع نفسه، ص 118.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجماتية واستراتيجياتها —

المتضمنة فيها⁽¹⁾، وهذا من ضروب أبعاد جدلية الأنا والآخر وتجلياتها.

وفي تتبّع مسار الذات المترجمة في مضمار ربطها أفقي «الماضي» بـ «الحاضر»، بُغية إيصال أحداث الذات المكتوبة وخبراتها وتصوّراتها وحقائق الأمور التاريخية الماثلة فيها، يُعتمدُ على الرّسم التوضيحيّ الآتي:



وبعد انصهار الآفاق، يُمكنُ متابعة مسار جدلية الأنا والآخر — بأبعادها المختلفة — ووقعها على الذات القارئة، والمكتسبات والخبرات المعرفية التي زرعها فيها (أي في الذات القارئة).

ويُغفلُ التركيزُ على الذات القارئة في مسار نقد أعمال مُترجمة لأسباب عدّة، منها أن الذوات القارئة (القراء) — وفق وصف نيومارك وتحليلاته — ما هم إلا أفراد في نهاية المطاف، وإنهم — أنفسهم — سوف يقرءون الذات المكتوبة نفسها بطُرُق مختلفة، في أزمنة مختلفة. فالذات المترجمة لا تعرفُ يقينًا ماهية ذواتها القارئة (قراءها)، ومُستواهم الثقافيّ، والطريقة التي يقرءون بها الأعمال الروائية على سبيل المثال لا الحصر، فمن الطبيعي أن يُغفلَ مُترجمو الأعمال الروائية كيان الذات القارئة ووجودها، ومن ثمّ يتولون زمان الترجمة بوصفهم ذواتًا قارئة (قراء)، ولا يُحمِلون أنفسهم متاعب أخرى تُلقى على عاتقهم مثل سياق الذات القارئة⁽³⁾. وبقطع النّظر عن ثقافتها المنشأ والتلقّي، فإنّه مهما بلغت الترجمات الروائية المنجزة — على سبيل الاستدلال — من درجات الجودة والإتقان، فإنّها لن تُحقق الإجماع وتُطابق توقعات أديبة مُعيّنة لدى الجمهور المُستهدف⁽⁴⁾. ويُعدُّ مُشكل سياق التلقّي هذا من المُشكلات الوعرة والمحفوفة بالمزالق، لخضوعه إلى أذواق ذاتية، وتطلّعات شخصيّة، ومُتطلّبات معرفيّة أخرى.

(1) يُنظر: محمّد حكيم، المرجع السابق، ص 50-51.

(2) يُنظر: المرجع نفسه، ص 50.

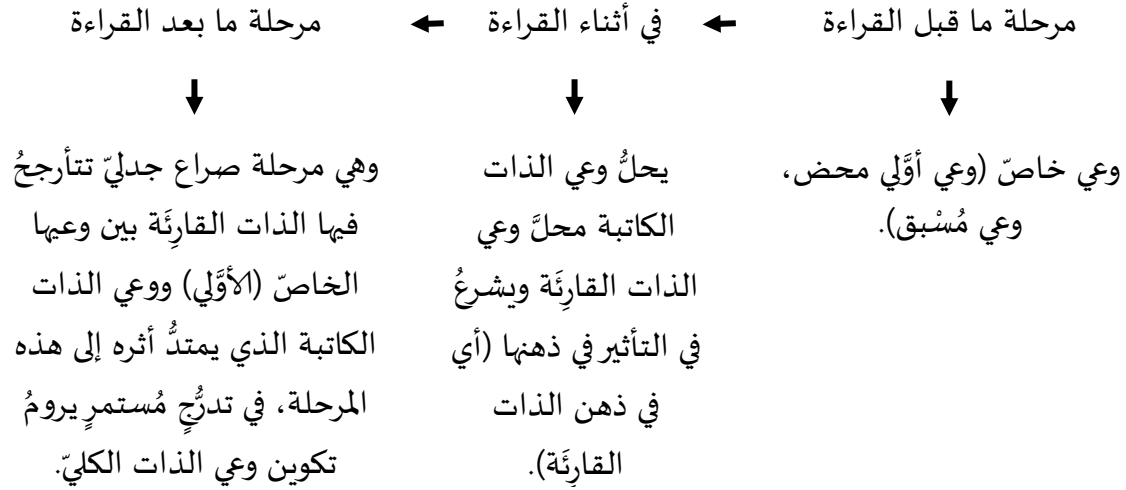
(3) يُنظر: بيتر نيومارك، المرجع السابق، ص 192.

(4) يُنظر: إدوين غينتسلر، المرجع السابق، ص 25.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجموية واستراتيجياتها —

وفي سياق تقفي مسار حالات الوعي المتشكلة عند الذات القارئة قبل سيرورة القراءة وفي أثناءها وبعدها، بُغية ضبط سلوك استجابة الذات القارئة للعمل الروائي المترجم، يُلجأ إلى الرسم التوضيحي الآتي⁽¹⁾:

مضمار تقفي مسار حالات الوعي عند الذات القارئة



توضع هذه المراحل الثلاث في ميزان الممارسة الترجموية التي تضطلع بها الذات المترجمة

وحول صعوبة وجود نموذج مُحدّد يُعنى بتحليل استقبال الأعمال المترجمة ومراجعاتها، يُنوّه جيريمي مندي Jeremy Munday بدور نظرية التلقي (reception theory) وإسهاماتها، ومُصطلح يابوس Jauss المتعلّق بأفق توقّعات (horizon of expectation) الذوات القارئة إزاء الذات المنقولة. ويُركّز مندي كذلك على مُراجعات النقاد وآرائهم ويعدّها من الطرائق المساعدة في فحص تلقي الأعمال المترجمة واستقبالها، لأنها تعكسُ ضروب ردود الفعل (body of reactions) على الذات الكاتبة والذات المكتوبة في الآن ذاته. وتعدُّ هذه المراجعات مصدرًا مفيدًا للمعلومات المتعلّقة بوجهة نظرنا تلك الثقافة إلى الترجمة نفسها⁽²⁾، والكيفية التي جسّدت بها الترجمة الثقافات الأخرى.

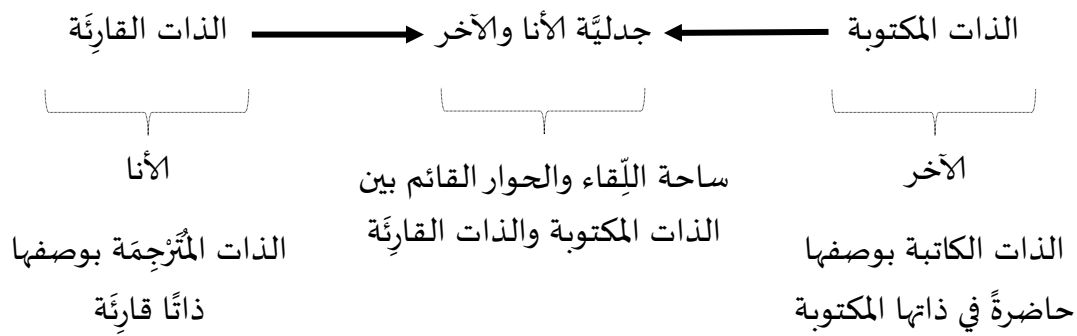
ترجع النتيجة المتحصّلة عليها في الذات المترجمة (الذات المنقولة)، في مجملها، إلى الثقافة

⁽¹⁾ يُنظر: محمّد حكيمي، المرجع السابق، ص 38-39.

⁽²⁾ See: Jeremy MUNDAY, *Introducing Translation Studies: Theories and applications*, London & New York, Routledge, 2nd Edition, 2008, p154.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجماتية واستراتيجياتها —

المُسْتَهْدَفَة^(*)، ومهما كانت هذه النتيجة ذات غرابة وهُجْنة فائقتين، فإن وظائف الذات المُترجمة (الذات المنقولة)، في سياق التلقي، خارجيّة (Etic) دائماً وليست داخلية (Emic). أمّا إذا غيّرت هذه الوظائف أو انتهكت الضُروب الفنيّة المقبولة في الثقافة المُستَهْدَفَة، فإن العلة في ذلك مردها وجود استعدادات قبليّة ومُسبقّة (أي نسق الاستعدادات المُكتسبة، راجع الفصل الثّاني، المبحث الثّاني) لتقبّل مثل هذه الضُروب الشبيهة لها واستقبالها، أي التي تمرّن عليها المتلقي بفعل القراءة، أو بسبب ما تعدّه الذات المُترجمة مُقاربةً حقيقيّةً للذات المكتوبة الأصل⁽¹⁾. تنبثق جدلية الأنا والآخر من جرّاء الحوار القائم بين الذات المكتوبة والذات القارئة وفق ما يُبرزه الرّسم الآتي⁽²⁾:



بناءً على هذا الرّسم التوضيحي، يُستنتج تماهي الذات المُترجمة والذات القارئة بوصفهما أناثين، وتماهي الذات الكاتبة وذاتها المكتوبة بوصفهما آخريّن، وساحة اللقاء (محطة الحوار) وحدها من تتكفل بجسر الهوة بين الذاتين المكتوبة والقارئة.

وفي ختام هذه العلاقة الرباعيّة القائمة بين الذات الكاتبة والمكتوبة والمُترجمة والقارئة، وجب التذكير بضرورة انطلاق الذات المُترجمة، في أثناء مزاولة فعلها التّرجميّ، من خلفيات تاريخيّة وثقافيّة واجتماعيّة ونفسيّة وحضاريّة، وألاً تعدّ الذات المكتوبة الخاضعة للنقل ذاتاً مكتوبةً جامدة. فالرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسيّة، الصادرة في سياق الحقبة الاستعماريّة، تُعدّ نتاج سياقات سياسيّة وتاريخيّة واجتماعيّة خاصّة، على الذات المُترجمة أن تستحضرها في أثناء إعادة لغة الذات الروائيّة المكتوبة هذه إلى منبعها الأصل، ساعيةً قدر الإمكان إلى تجسيد الأثر الجدليّ ذاته المبتوث في ثناياها (أي في حنايا الذات الروائيّة المكتوبة الأصل)، ومن ثمّ، يتسوّى للذات القارئة مُعايشة التجربة ذاتها في الحالة

(*) من جرّاء العمل الذي يؤديه النصّ الهجين في الثقافة المُستَهْدَفَة، واختلاف طبيعته عن أنساق النصّ الأصل.

(1) يُنظر: أوبيدي كريبونيل كورتيس، المرجع السابق، ص 158-159.

(2) يُنظر: محمّد حكيمي، المرجع السابق، ص 56.

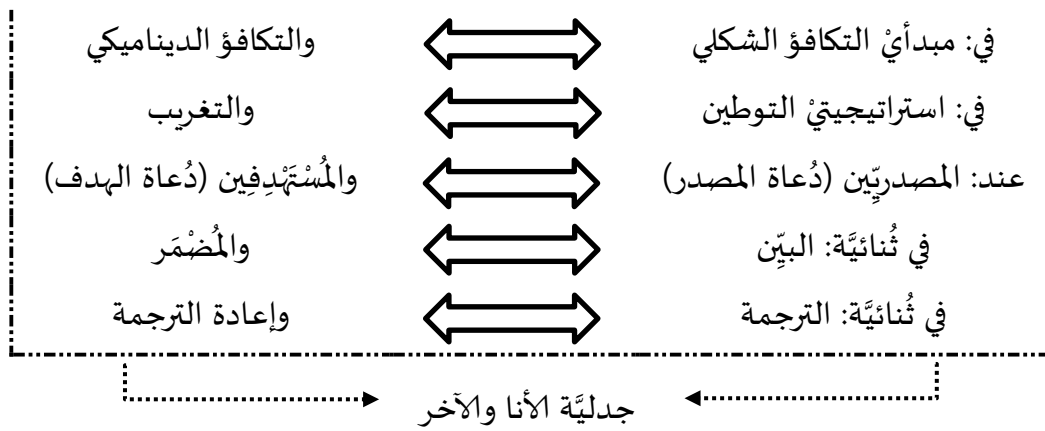
— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان التَّرجَمِيَّة واستراتيجياتها —

الذهنيَّة⁽¹⁾. وبذا، يُمكنُ الحُكْمُ على نتاج الترجمة المُتمثِّل في النسخة المنقولة إلى العربيَّة، ومدى تجسيدها للإقناع المعرفي ذاته المبتوث في حنايا الأصل (المكتوب بالفرنسيَّة)، في سياق حقبة ما بعد الاستعماريَّة.

2.3 المبحث الثاني:

جدلية الأنا والآخر في ميزان الثنائيات التَّرجَمِيَّة

بناءً على ما بُسِّطَ عرضه سلفاً، في مبحث جدلية الأنا والآخر في مسار الدوات التَّرجَمِيَّة، يَظَلُّعُ هذا المبحث بمُدَارَسَةِ جدلية الأنا والآخر في ميزان الثنائيات التَّرجَمِيَّة الآتية:



وذلك بضبط موقع جدلية الأنا والآخر — بأبعادها المختلفة — في مسار هذه الثنائيات التَّرجَمِيَّة المذكورة، على النحو الآتي:

1.2.3 التكافؤ الشكلي والتكافؤ الديناميكي:

ثَمَّة، وفق يوجين إ. نيدا Eugene A. Nida، اتَّجَاهان أساسيان في عملية الترجمة وهما ضربان مختلفان من التكافؤ، يُطلَقُ على الأوَّل مصطلح التكافؤ الشكلي، بينما يُعدُّ الثَّاني تكافؤاً ديناميكياً⁽²⁾.

1.1.2.3 التكافؤ الشكلي:

يُرَكِّزُ التكافؤ الشكلي (Formal equivalence) على شكل الرسالة ومُحتواها على حدٍّ سواء، ويَهْتَمُّ النَّاقِلُ (الذات المُترجِّمة) في مثل هذه الترجمة بمطابقة الشعور بالشعر، والجملة بالجملة، والمفهوم بالمفهوم... ونحو ذلك. ويُتَوَخَّى من الرسالة المنقولة إلى لغة المتلقِّي أقصى درجات الدقَّة والسداد، تتولى

(1) يُنظر: محمد جديدي، الترجمة: رؤية فلسفية، مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، ط1، الرباط — بيروت، 2019م، ص141.

(2) يُنظر: يوجين إ. نيدا، المرجع السابق، ص308.

— الفصل الثالث: — جليّة الأنا والآخر في ميزان الممارسة التّرجميّة واستراتيجياتها —

زمامها ذات مُترجمة تُحاول، قدر الإمكان، استخراج شكل الرسالة الأصلية ومحتواها ونقلها حرفيًا ومعنويًا. ويُسمّى ضربُ الترجمة الذي يرمي إلى تجسيد هذا التكافؤ، في التركيب اللّغوي، بالترجمة المصقولة والمُفسّرة والمُدعّمة بهوامش (Gloss translation)⁽¹⁾، وهي من الحيل التي تلجأ إليها الذات المُترجمة بُغية تدعيم المتن وتعزيزه.

يستخدمُ نيدا مصطلح التكافؤ الشكلي لتقريب عنصر ما في اللّغة المُستهدّفة من نظيره المُتضمّن في اللّغة الأصل. ومن الجليّ أن نُشير إلى أن العناصر اللّغويّة كافة، المُتضمّنة في لغة ما، ليست لها مكافئات شكلية في لغة أخرى؛ لأنها تُومئ بظواهر ثقافيّة أو جغرافيّة ليس لها، بالضرورة، أي مكافئ في اللّغات الأخرى. وسينجمُ — لا محالة — عن إتباع هذا التكافؤ الشكلي في سيرورة النّقل ترجمة لا يمكن فهمها بسهولة ويُسر، مما يستدعي تكملة لها تُدرج في الهامش (الحاشية السفلية)، تكون توضيحًا لما ورد في المتن⁽²⁾، كأن تلجأ الذات المُترجمة إلى الهامش لشرح العبارات ذات البعد الثقافيّ الماثلة في الأصل، بُغية تيسير سيرورة فهم الذات القارئة لمقصد قول الذات الكاتبة.

يستدعي هذا الضّرب من الترجمة (المصقولة) إدراج حواشٍ لغويّة عديدة حتّى تكون الذات المكتوبة المنقولة مفهومةً فهمًا كاملاً لدى المتلقّي. وعلى هذا الأساس، تكون الذات المكتوبة الخاضعة للنّقل مُطابقةً تمامًا، وقدر الإمكان، لسياق الذات المكتوبة المصدر ولُغتها، ناقلَةً عاداتها وأسلوب تفكيرها وطُرق تعبيرها. ويُعدُّ هذا النّقل الحرّفي، الذي قد يُذيلُ بهامش، ترجمةً تفسيريةً تشرحُ محتوى ما ورد في المتن⁽³⁾ وتُعزّزه.

2.1.2.3 التكافؤ الديناميكي:

التكافؤ الديناميكي (Dynamic equivalence) ضربٌ من ضُرُوب الترجمة، تُنقل فيه رسالة الذات المكتوبة الأصل إلى اللّغة المُستقبليّة (receptor language) لدرجة تكون فيها استجابة المتلقّي شبيهة، في جوهرها، لاستجابة المتلقّين الأصليين أنفسهم. وتجدرُ الإشارة، هنا، إلى أن شكل الذات المكتوبة الأصل غالبًا ما يتغيّرُ تغيّرًا يُراعي قواعد التحوّل الرجعيّ (back transformation) في اللّغة المصدر، من الاتساق السياقيّ المُنتهَج في أثناء سيرورة النّقل، وكذا التحوّل السلس في اللّغة المُستقبليّة؛ ومن ثمّ

(1) يُنظر: يوجين إ. نيدا، المرجع السابق، ص 308-309.

(2) يُنظر: مارك شتلويرث، ومورا كوي، معجم دراسات الترجمة، ترجمة: جمال الجزيري، المركز القومي للترجمة، المشروع القومي للترجمة، ط 1، القاهرة، 2008م، ص 134-135.

(3) يُنظر: يوجين إ. نيدا، المرجع السابق، ص 309.

— الفصل الثالث: — جليّة الأنا والآخر في ميزان التّرجمة واستراتيجياتها —

يُحْتَفَظُ بالرسالة وتكون الترجمة ترجمةً وفيّةً⁽¹⁾.

في بُعدٍ آخر، تعتمد الترجمة الرامية إلى إنتاج تكافؤ ديناميكي^(*) (لا شكلي) على مبدأ التأثير المكافئ، بحيث تكون فيها العلاقة بين المتلقّي والرسالة العلاقة نفسها التي كانت موجودة بين المتلقّين الأصليين (الذوات القارئة الأصليّة) والرسالة (بوصفها ذاتًا مكتوبة أصليّة). كما تهدف هذه الترجمة ذات العلاقة الديناميكيّة إلى ربط المتلقّي بصيغ السلوك الملائمة ضمن بيئة ثقافته الخاصّة، غير مكترثة بلزوم فهمه الأساليب الثّقافيّة التي تتمتع بها بيئة اللّغة المصدر⁽²⁾، بغية استيعابه (أي المتلقّي أو الذات القارئة) فحوى الرسالة المنقولة (أي الذات المنقولة).

إذا كان نايدا يُطْلَقُ مُصْطَلَحُ التّكافؤ الشكلي على الترجمات التي تُعْنَى بنقل الرسالة نقلًا شكليًا وحرفيًا، فإنه يرمي إلى تقريب الذات القارئة من الذات الكاتبة، أو أنّا الشريحة المُسْتَهْدَفَة من أنا الذات الكاتبة وموطنها وثقافتها المبتوثة في الذات المكتوبة الأصل. أمّا التّكافؤ الديناميكي الذي يستأثر — في أثناء سيرورة نقل الذات المكتوبة الأصل — بإحداث التأثير المكافئ على مُسْتَقْبَلِهَا (أي على الذات القارئة للذات المكتوبة المُتَرْجَمَة)، فهو يرمي إلى أن تُدْرِك أنا الشريحة المُسْتَقْبَلَة جوهر الذات المكتوبة المنقولة ومغزاها مثلما تُدْرِك أنا الشريحة الأصل فحواها ووقعها في أصلها.

بناءً على ما بُسِطَ طرحه من مُعْطِيّات، يبدو — للوهلة الأولى — أن التّكافؤ الشكلي هو المبدأ

⁽¹⁾ See: Eugene A. NIDA, and Charles R. TABER, *The theory and practice of translation*, Leiden – Netherlands, E. J. Brill, 1982, p200.

^(*) يُعَدُّ مُصْطَلَحُ (Dynamic equivalence) من المصطلحات التّرجميّة التي لاقت فوزاً مُصْطَلَحِيّةً من جرّاء تعدّد نقلها إلى العربيّة، إذ ينقله المُتَرْجِمُ ماجد النجار بالتّكافؤ الدينامي في غير ما موضعٍ من نقله كتاب يوجين إ. نيدا (يُنظر: يوجين إ. نيدا، المرجع السابق، الصفحات: 308–309). بينما يُترجمه محمد عناني بالتّكافؤ الدينامي (يُنظر: محمد عناني، نظريّة التّرجمة الحديثة: مدخل إلى مبحث دراسات التّرجمة، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، ط 1، القاهرة، 2003م، ص 63). وينقل المُتَرْجِمُ سعد عبد العزيز مصطلح المصطلح ذاته بالتّكافؤ الديناميكي في غير ما موضعٍ من ترجمته كتاب إدوين غينتسلر (يُنظر: إدوين غينتسلر، المرجع السابق، الصفحات: 148–149/156/157–183/187–192/196–345). ويُترجم عز الدين الخطابي هذا المصطلح بالتّكافؤ الديناميكي (يُنظر: أنطوان برمان، المرجع السابق، ص 32). في حين ينقل د. جمال محمد عبد الرؤوف الجزيري مصطلح (Dynamic equivalence) بالتّكافؤ الحركي في غير ما موضعٍ من نقله معجم دراسات الترجمة (Dictionary of Translation Studies – By: Mark Shuttleworth & Moira Cowie) (يُنظر: مارك شتلويرث ومورا كوي، معجم دراسات الترجمة، المرجع السابق، الصفحات: 106–108/134). وهو المُقَابِل ذاته (أي التّكافؤ الحركي Équivalence dynamique) الذي يُوظّفه محمد جديدي (يُنظر: محمد جديدي، الترجمة: رؤية فلسفية، المرجع السابق، ص 139). بناءً على هذه الفوضى المُصْطَلَحِيّة، تجب الإشارة إلى أن النّاقِلَ بوسعه مُقَابَلَة هذا المصطلح بمصطلحٍ عربيٍّ صرفٍ (حفاظاً على سلامة اللّسان العربيّ من الرطانة والمعجمة إلا في الحالات القصوى). كأن يُوظّف مصطلح التّكافؤ الحركي (مثلما فعل المُتَرْجِمَانِ جمال محمد عبد الرؤوف الجزيري ومحمد جديدي)، لأن هذا المصطلح حامل معنى النّشاط الدلالي والحركيّة اللّغويّة.

⁽²⁾ يُنظر: يوجين إ. نيدا، المرجع السابق، ص 309.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجمية واستراتيجياتها —

المُخلص للأصل، في حين يُعتقد أن التكافؤ الديناميكي يُعدّ ترويضاً للأصل الذي تُخضعه الذات المترجمة إلى أذواق الذات القارئة وأعرافها. بيد أن لنايدا رأي مُخالف، إذ يُعدّ، من منظور الممارسة الترجمية، الترجمات ذات التكافؤ الشكلي (F-E) مُحَرِّفَةً للذات المكتوبة الأصل أشدّ مما تُحرِّفها الترجمات ذات التكافؤ الديناميكي (D-E)، عاذًا الذات المترجمة التي تنتهج مبدأ التكافؤ الديناميكي ذات مهارة فائقة في الترجمة، مُتفوّقة على نظيرتها المُنتهجة لمبدأ التكافؤ الشكلي، نظرًا لوعيمها وإدراكها الشديدين بفحوى الذات المكتوبة الأصل ومقصدها. ومقابل هذا الرأي، يرى نايدا أن الذات المترجمة المُنتهجة لمبدأ التكافؤ الشكلي غير واعية (not conscious) بالمدى الذي تحتوي فيه ترجماتها — الأمانة ظاهريًا (seemingly faithful) — تحريفات (distortions) خطيرة ومزلق جسيمة، إذ تفتقر الترجمة الموسومة بطابع التكافؤ الشكلي إلى الوعي (lack of awareness)، مما يؤدي بها إلى الوقوع في مصيدة تحريف خطير يفوق كثيرًا التحريف (skewing) المتجلي في الترجمة الموسومة بطابع التكافؤ الديناميكي⁽¹⁾. فالتكافؤ الديناميكي — دائمًا وفق آراء نايدا وتأمّلاته — تتماهى فيه العلاقة بين المتلقين للذات المنقولة (أي الذوات القارئة للذات المترجمة أو المنقولة) والمتلقين الأصليين للذات المكتوبة، في ذاتها الأصل، بالتأثير نفسه والوقع ذاته والوتيرة ذاتها.

2.2.3 استراتيجيتا التوطين والتغريب:

يتأرجح الفعل الترجمي، في مضمار جدلية الأنا والآخر، بين استراتيجيتين هما:

1.2.2.3 استراتيجية التوطين:

يُمثّل التوطين (أي إضفاء الطابع المحلي في الترجمة) عند فينوتي استيعاب ذوات مكتوبة أجنبية واستقبالها ضمن القيم المحلية السائدة، بإفراغ هذه الذوات المكتوبة الأجنبية المترجمة من غرابتها (foreignness) وإخضاعها لأسلوب اللغة الناقلة (the translating language) وخصائصها⁽²⁾، وذلك بجعل الأجنبي مألوفًا من منظور الثقافة المُستهدفة، ويُصطلح على هذه الاستراتيجية التوطين^(*)

(1) يُنظر: يوجين إ. نيدا، المرجع السابق، ص366.

(2) See: Lawrence VENUTI, *The Scandals of Translation: Towards an ethics of difference*, London & New York, Routledge, 1st ed, 1998, p5.

(*) ينقل المترجم جمال محمد عبد الرؤوف الجزيري مصطلح (Domestication) بالتدجين في غير ما موضع من نقله معجم دراسات الترجمة (يُنظر: مارك شتلويرث ومويرا كوي، معجم دراسات الترجمة، المرجع السابق، الصفحات: 101-102/129-130/395)، والمقابل ذاته وظفّه (أي التدجين) المترجم سعد عبد العزيز مصلوح (يُنظر: إدوين غينتسler، المرجع السابق، الصفحات: 116/119/487). في حين يُوظّف د. محمد عناني مُصطلحيّ: التجنيس وإضفاء الطابع المحلي مُقابلًا لمصطلح (Domestication) (يُنظر: محمد عناني، نظريّة

— الفصل الثالث: — جليّة الأنا والآخر في ميزان الممارسة التّرجميّة واستراتيجياتها —

(Domestication). يُعزّز أنطوان بيرمان عن هذه الاستراتيجية بمبدأ الإحاطة بالمعنى والتمركز العرقيّ في الترجمة، فالإقرار بكون غاية الترجمة الإحاطة بالمعنى (la captation du sens) يعني فصل هذا المعنى عن حرفه وجسده. كما يعدّ بيرمان هذه العملية خيانةً إزاء الحرف الأجنبيّ ولكّنها — بالضرورة — أمانة تجاه الحرف الخاصّ، لخضوع معنى العمل الأجنبيّ — في جوهره — لما يُسمّى لغة الوصول (Langue dite d'arrivée). وعليه، فإن هذه الإحاطة لا تُحرّر المعنى داخل لغة أشدّ نموذجيّة وعقلانيّة، بل تسجنه — ببساطة — داخل الترجمة المتمركزة عرقيًا. ولكونها مؤسّسة على أولويّة المعنى، تعدّ لغتها كينونةً ساميةً لا تُمسّ، وأن فعل الترجمة لا يُمكن أن يُعكّر صفوها⁽¹⁾.

يُمكن التعرف على الترجمة السلسلة (fluent translation) على الفور، وفهمها لا يستدعي منّ الذات القارئة جهدًا مُضنيًا، فقد تبدو مألوفةً (familiarised) للغاية وموطّنةً (domesticated)، أي موسومةً بطابعٍ محليّ خالص)، غير مضطربة (disconcerting[ly]) أو أجنبيّة أو غريبة، تُتيح للذات القارئة إمكانية الوصول إلى الأفكار المبتوثة في الأصل دون عقبات تعترضها، بكل أريحية وسهولة ويُسر، وتحيلها مباشرةً إلى ما هو موجود في الذات المكتوبة الأصل. وفي نطاق الترجمة السلسلة (fluent translating)، تسعى الذات المُترجمة إلى جعل عملها خفيًا ومُستترًا غير مرئي (invisible)، إذ تبدو — بعد ذلك — الذات المكتوبة المُترجمة (أي الذات المنقولة) طبيعيّة كأنها غير مُترجمة⁽²⁾.

تعزيرًا لهذا الطرح، يتعيّن ترجمة العمل الأجنبيّ، وفقًا لمبدأ الترجمة المتمركزة عرقيًا على حدّ تعبير بيرمان، بنحو لا يُشعر (l'on ne sente pas) المتلقّي بأن ثمة عملية ترجمة، كما يجب أن تُعطي ترجمة هذا العمل — وفق هذا المبدأ — انطباعًا بأن ذلك ما كانت ستكتبه الذات الكاتبة لو أنها كتبت باللغة المُترجمة (la langue traduisante). وعلى هذا الأساس، تكون سيروية الترجمة مُطالبةً بالتواري، وهذا يعني ضرورة اختفاء كل أثر من آثار اللغة الأصل، كما يجب ألا تصدم (heurter) الترجمة الذات القارئة بصيغ غريبة (par des étrangetés) من الناحيتين المعجميّة أو التركيبيّة⁽³⁾. وبعدها، تُصبح الذات المكتوبة الخاضعة للنقل مطبوعة بثقافة اللغة المُستهدفة (T.L.C)، خاضعة لأعرافها وشرائعها

التّرجمة الحديثة، المرجع السابق، ص258). ويترجم د. محمد عناني مصطلح (Foreignization) بمُصطلحيّ التغريب وإضفاء الطابع الأجنبي (يُنظر: محمد عناني، المرجع نفسه، ص258).

(1) يُنظر: أنطوان برمان، المرجع السابق، ص53-54.

(2) See: Lawrence VENUTI, *The Translator's Invisibility: A History of Translation*, London & New York, Routledge, 1st ed, 1995, p5.

(3) يُنظر: أنطوان برمان، المرجع السابق، ص54.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجماتية واستراتيجياتها —

(canons) ومحرماتها (taboos) ورموزها وأيديولوجياتها. فالغاية من الترجمة، في هذا الصدد، جرُّ الآخر الثقافي (a cultural other)، الغريب والأجنبي، إلى الأنا (as the same)، وإلى المعروف والمألوف. وهذه هي سياسة التوطين الرامية إلى ترويض الذات المكتوبة الأجنبية وفق مشاريع مُحكَّمة، وإخضاعها للثقافة المُستَهْدَفة خدمةً للأجندات المحليَّة والثقافيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة⁽¹⁾.

بناءً على هذه المعطيات، يُستنتج بأن هذه الاستراتيجيَّة التَّرجِمِيَّة التَّوطينِيَّة تجرُّ الآخر والغير والهوَ والأجنبي والغريب إلى أنوات الذات المُترجِّمة (أو الذات النَّاقِلَة) والذات القارئة. إذ تخضع سيرورة الترجمة، في هذا الصدد، إلى الذات المُترجِّمة — ذاتيتها — على حساب آخريَّة الذات الكاتبة وأناها، خدمةً لأنَّ الشريحة المُستَقْبَلَة للترجمة.

2.2.2.3 استراتيجيَّة التغريب:

على التَّقْيِض من استراتيجيَّة التوطين، يستعملُ لورانس فينوتي مصطلح الترجمة التغريبِيَّة (Foreignizing Translation) للدلالة على الترجمة التي تُنتجُ فيها ذاتٌ مكتوبة تُخالفُ أعراف اللُّغة المُستَهْدَفة وتخرقُ قوانينها وشرائعها. إذ تُقدِّمُ طريقة الترجمة، هنا، إلى الذات القارئة، تجربةً غريبةً تغمرها في أثناء قراءة العمل المُترجَّم، وذلك بالاحتفاظ بغرابة الذات المكتوبة الأجنبية⁽²⁾؛ إنَّها تُحضِرُ الآخر إلى المتلقِّي بصورته الحقيقية، خالقةً الاختلاف والمغايرة، وكاسرةً حاجز المؤلف والأعراف والضوابط المحليَّة السائدة. بعبارة أخرى، وحتى تعيش الذات القارئة انطباعاً مُماثلاً لذلك الانطباع الذي يغمرها حين قراءتها العمل الأصل، يتعيَّن على الذات المُترجِّمة تبنيَّ استراتيجيَّة التغريب^(*) التَّرجِمِيَّة (عكس استراتيجيَّة التجنيس^(**) naturalizing)، وأن تُوجِّه نفسها بلُغة الذات المكتوبة المصدر

⁽¹⁾ See: Lawrence VENUTI, *The Translator's Invisibility*, op. cit., p18–19.

⁽²⁾ See: *Ibid.*, p20.

(*) يُعَبِّرُ جيريمي مندي Jeremy Munday عن مصطلح التغريب في هذا السياق بـ: alienating (See: Jeremy Munday, *Introducing Translation Studies*, op. cit., p29).

(**) يُعَبِّرُ دانييل جيل Daniel Gile عن مُصطلحي التوطين والتغريب بالمُصطلحين الفرنسيَّين: Exotisation و Naturalisation. ويستقي جيل مفهوم هذين المصطلحين من فرضيَّة الأمريكي لورانس فينوتي الذي يرى النُّصوص المنبثقة من ثقافةٍ ضعيفة، والمُترجِّمة إلى ثقافةٍ قويَّة، غالباً ما تكون مُوطَّنة (naturalisés/domesticated)، أي تبدو طبيعيَّة للقرَّاء المنتمين إلى هذه الثقافة؛ بينما تكون النُّصوص المنبثقة من ثقافةٍ قويَّة، والمُترجِّمة إلى ثقافةٍ أضعف منها، مُغرَّبة (exotisés/foreignized)، وذلك بالحفاظ على خصائص اللُّغة الأصل بنقائها (Voir: Daniel GILE, *La traduction : La comprendre, l'apprendre*, Paris, Presses Universitaires de France, 1^{re} édition : 2005, 4^e tirage : 2014), 2005, p249–250).

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجموية واستراتيجياتها —

ومحتواها، وعلى الذات المترجمة كذلك تثمين (valorize) الأجنبي ونقله إلى اللغة المستهدفة⁽¹⁾ بصورته الحقيقية.

وفي السياق الترجمي ذاته، يتمثل الفعل الأخلاقي (l'acte éthique) في الترجمة عند بيرمان في الاعتراف بالآخر (l'Autre) بوصفه آخرًا، وفي تقبله؛ إذ يروم البعد الأخلاقي للترجمة – في جوهره – جعل الغريب (l'Étranger) مُنفتحًا بوصفه غريبًا على فضائه اللساني الخاص، وقد تتدخل بعض العوامل التملكية وتخلق الميل الأخلاقي للترجمة وتستحوذ عليه من باب منطق عين الذات (logique du même) والانتصار للأنات، وهنا يربط بيرمان منطق فعل الترجمة بمنطق الأخلاق⁽²⁾.

ولقد استقى فينوتي بلورة معالم مفهوم التغريب من عند اللاهوتي والفيلسوف الألماني فريدريك شلايرماخر Friedrich Schleiermacher الذي ناقش مُجادلاً، في محاضرة ألقاها سنة 1813م حول نُهج الترجمة المختلفة، قائلاً:

« There are only two. Either the translator leaves the author in peace, as much as possible, and moves the reader towards him; or he leaves the reader in peace, as much as possible, and moves the author towards him. »⁽³⁾.

«ثمة طريقتان فقط في الترجمة: إما أن يترك المترجم المؤلف في سلام، قدر المستطاع، وينقل القارئ نحوه؛ أو أن يترك المترجم القارئ في سلام، قدر المستطاع، وينقل المؤلف نحوه.» (ترجمتنا).

بناءً على هذا القول، يُتيح شلايرماخر للذات المترجمة الاختيار بين استراتيجيتين ترجميتين⁽⁴⁾:

- الأولى تغريبية (foreignizing method): تضغطُ ضغطاً عرقياً (an ethnodeviant pressure) على القيم المحلية للثقافة المُستهدفة بُغية إحداث الاختلافين اللغوي والثقافي المبتوئين في ثنایا الذات المكتوبة الأجنبية (وذلك بترحيل الذات القارئة إلى موطن الذات الكاتبة).
- والثانية توطينية (domesticating method): قائمة على اختزال التمرکز العرقي (an

⁽¹⁾ See: Jeremy MUNDAY, *Introducing Translation Studies*, op. cit., p29.

⁽²⁾ يُنظر: أنطوان برمان، المرجع السابق، ص102–103.

⁽³⁾ Lawrence VENUTI, *The Translator's Invisibility*, op. cit., p19–20. See also: André LEFEVERE, *Translating Literature: the german tradition from luther to rosenzweig*, Assen/Amsterdam, the Netherlands, Van Gorcum, 1977, p74. (<https://books.google.dz/books?isbn=9023215133>). See also: Jeremy MUNDAY, *Introducing Translation Studies*, op. cit., p28–29.

⁽⁴⁾ See: Lawrence VENUTI, *The Translator's Invisibility*, op. cit., p20.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجماتية واستراتيجياتها —

(ethnocentric reduction) للذات المكتوبة الأجنبية وفق قيم الثقافة المُستندفة (T.L.C.V) (وذلك بجزر الذات الكاتبة إلى موطن الذات القارئة).

ويعطي شلايرماخر الأفضلية لاستراتيجية التغريب (أي نقل الذات القارئة إلى الذات الكاتبة)، وهذا ما دفع المترجم والمنظر الفرنسي أنطوان بيرمان إلى تبني آراء شلايرماخر وحججه، ومن ثمَّ سنَّ مبادئ أخلاقية للترجمة (ethics of translation) تكمنُ غايتها الجوهرية في جعل الذات المترجمة (أي الذات المنقولة) مقامًا تتجلى فيه ثقافة الآخر⁽¹⁾. وفي سياق التغريب هذا، يُمكن للزعة الغرائبية — وفق أوبيدي كربونيل كورتيس — أن تتوارى عند تقريب ثقافة الأصل بوصفها إعادة خلق جديد لواقع الآخر. فالغربة، وفق هذا المنظور، تقتضي من الذات المترجمة أن تجلب معها إلى الثقافة المنقول إليها مكونات لغوية وثقافية غريبة عنها، كأنها تُعيدُ خلقها من جديد حتى تكون ملائمة للبنية الغرائبية التي تُذكر الذات القارئة بأن الأمر يُعنى هنا بثقافة أخرى أجنبية تنتمي إلى نسق العلامات الأخرى. وغالبًا ما يُركّز على مثل هذه الخصائص في الذات المترجمة (أي في الذات المنقولة)⁽²⁾.

ومن منظور أن سيرورة الترجمة تقتضي، في صلبها، إقامة حوار بين الأنا والآخر، يرى بيرمان أن الوقت قد حان للتفكير في هذا الوضع المكبوت للترجمة والمقاومات (résistances) التي يشهدها هذا الوضع، ما يستدعي — وفق بيرمان — صياغة التأملات الآتية⁽³⁾:

- تقاوم أي ثقافة الترجمة حتى لو كانت بحاجة ماسة إليها.
- تكمنُ الغاية الأساس من الترجمة نفسها (La visée même de la traduction) في إقامة علاقة مع الآخر (l'Autre).
- الانفتاح على مستوى الكتابة وإخصاب ما هو خصوصي (le Propre، أي الثقافة الخاصة)، بواسطة الأجنبي (l'Étranger)، في نقطة تلاقي وتماهِ والثقافة الأجنبية.
- زعزعة بنية التمرُّز العرقي لأي ثقافة من الثقافات، والتصدي لأي ضرب من ضروب النرجسية التي تُريد أن تجعل من المجتمعات كيانًا اجتماعيًا خالصًا (كُلًّا خالصًا un Tout pur غير توليفة مختلفة أو بوتقة تُصهر فيها الأعراق والأجناس المختلفة).
- ثمة، في الترجمة، ضرب من عنف التهجين (la violence du métissage)، على هذا النحو

(1) See: Lawrence VENUTI, *The Translator's Invisibility*, op. cit., p20.

(2) أوبيدي كربونيل كورتيس، المرجع السابق، ص82.

(3) Voir : Antoine BERMAN, *L'épreuve de l'étranger*, op. cit., p16.

— الفصل الثالث: — جليّة الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجميّة واستراتيجياتها —

فهمها هردر Herder، مُشبهًا لغة ما لم تُترجم بعد بفتاة عذراء.

- تُريد أي ثقافة من الثقافات أن تكتفي بذاتها ولذاتها، وهذا الاكتفاء الخياليّ تستطيع أن تتألق على حساب الثقافات الأخرى وتلائم تراثهم، ثمّ تملكه وتستولي عليه.
- بناءً على هذه المعطيات، يُستنتج بأن هذه الاستراتيجية الترجميّة التغريبية تنصير لأنوات الذات الكاتبة، والذات المكتوبة المنقولة، والثقافة الأخرى المبنوثة في العمل الأصل، بغربتها وأخريتها، مُتحديةً بذلك أنوات الذات المترجمة، والذات القارئة، والثقافة المُستهدفة، بأعرافها وقواعدها وشرائعها.

وفي ختام تحليل هذين الاستراتيجيتين وضبط الفروق القائمة بينهما، يُستنتج بأن الذات المترجمة حين تُعيد كتابة الذات المكتوبة الأصل (الخاضعة للنقل) وفق ما هو سائد في الثقافة المُستقبلة (أي ثقافة الذات القارئة) من تعابير وأساليب، وحين تُكَيّف الصور والاستعارات المُتضمنة في الذات المكتوبة الأجنبية طبقاً لأنساق المعتقدات التي تُفضّلها الثقافة المُستهدفة؛ فهي حينئذ لا تُكبل نفسها بالأغلال من حيث الخيارات التي تتبناها في أثناء سيرورة النقل فحسب، ولكنها مُجبرة — لا محالة — على تحريف الذات المكتوبة الأجنبية بجعلها مُنسجمةً والصيغ السائدة في الثقافة المُستقبلة والأفكار المنتشرة لدى شرائحها المختلفة. ويُعدّ هذا الفعل ضررًا من ضرُوب أفعال التوطين (Act of domestication) بجعل الأجنبيّ مألوفًا من منظور الثقافة المُستهدفة، وتزويد الذوات القارئة بتجارب يتعرفون فيها على ثقافتهم (هم) فيما هو أجنبي⁽¹⁾، بالرغم من أن صورة الذات القارئة (المُستقبلة للترجمة) عن ذاتها لا تتكون بمعزل عن صورة الآخر لديها (راجع الفصل الأوّل، المبحث الأوّل).

والذات المترجمة التي تُترجم من أجل جمهور الذوات القارئة، حسب بيرمان، مُجبرة على خيانة الأصل، لأنها تُرجّج كفة جمهورها الذي ستخونه — مع ذلك — وتُقدّم له عملاً مُرتبًا (une œuvre arrangée). وفي السياق ذاته، يُثير همبولت Humboldt المعضلة ذاتها قائلاً: «يواجه كل مُترجم حتمًا إحدى العقبتين الآتيتين: إمّا أن يلتزم — بدقة كبيرة — بالأصل، على حساب ذوق شعبه ولغته، وإمّا أن يلتزم كذلك — بدقة كبيرة — بأصالة شعبه، على حساب العمل المُراد ترجمته...»^(*)، فتجد الذات المترجمة نفسها مُتأرجحةً بين أنانين: أنا الذات الكاتبة، وأنا الشريحة المُستهدفة. وفي السياق الذي يُجرّ

(1) يُنظر: إدوين غينتسلر، المرجع السابق، ص 115-116.

(*) دُكر هذا النصّ:

« Chaque traducteur doit inmanquablement rencontrer l'un des deux écueils suivants : il s'en tiendra avec trop d'exactitude ou bien à l'original, aux dépens du goût et de la langue de son peuple, ou bien à l'originalité de son peuple, aux dépens de l'œuvre à traduire... » (Wilhelm von Humboldt. Lettre à Schlegel, 23 juillet 1796).

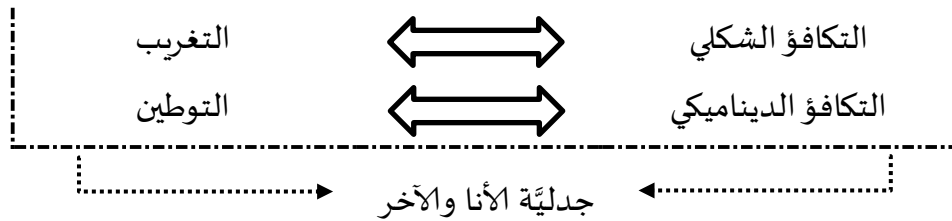
يُنظر: أنطوان برمان، المرجع السابق، ص 98. واستشهد به بيرمان في: (Antoine BERMAN, L'épreuve..., op. cit., p9).

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الترجمة واستراتيجياتها —

فيه الآخر والغير والأجنبي والغريب والذات الكاتبة إلى أنوات الذات المترجمة والذات القارئة (المستقبلة للترجمة)؛ تحتل الترجمة مكاناً غامضاً، ومن ثمّ تنتجُ ترجمات مُتمركزة عرقياً (des traductions ethnocentriques)، أو الترجمات السيئة مثلما يُطلق عليها بيرمان. ومقابل هذا المنحى، تتعارض الغاية الأخلاقية لفعل الترجمة (la visée éthique du traduire) مع هذا الإيعاز، لأن جوهر الترجمة يكمن في الانفتاح والحوار والتهجين (métissage) وتفكيك المركزية (décentrement)⁽¹⁾.

بناءً على هذا الفهم، يرى لادميرال أن أنطوان بيرمان كان يقصد أن الترجمة التي تنمُّ عن صفات الترجمة وآثارها ليست دائماً ترجمة جيّدة، لكن الترجمة التي لا نرى فيها سمات الترجمة وآثارها دائماً ما تكون ترجمة سيّئة. وهذا ضَرْبٌ يُعارض ما يؤمن به لادميرال (بوصفه مُنظِّراً)، ويُخالف ما درّسه (أي ما لقّنه لادميرال بوصفه أستاذاً)، ويُناقض ما مارّسه في ترجماته (بوصفه مُترجماً)، هو، وبعض مُنظّري الترجمة ومُمارسيها. فترجمة غريبة (l'étrangeté) الذات المكتوبة الأصل – وفق لادميرال – يعني نسيان أنّها في لغتها الأصل ليست غريبة (étranger) أو أجنبية. بعبارة أخرى، هي إحداث أثرٍ غريب (un effet d'étrangeté) في نُسخها المُترجمة غير مُتجلى في نُسخها الأصلية⁽²⁾.

يبدو – للوهلة الأولى – أن مفهومي التوطين والتغريب التّرجميين قريبان – في ظاهريهما أو صُلبيهما – من مفهومي التكافؤ الشكلي والتكافؤ الديناميكي، وفق ما يُبرزه الرّسم الآتي:



إذا ما اعتدّ التكافؤ الديناميكي مبدأً من مبادئ الترجمة المُتمركزة عرقياً، فإن التحليل الذي طرحه نايدا يتناقض وأراء بيرمان (المُتأثر بشلايرماخر) الذي سنّ تصوّراً مُناهضاً للمركز العرقي في الترجمة، فمُصطلح الأمانة عند نايدا يعني انتهاج الترجمة الديناميكية (الترجمة الحرة بالمفهوم التقليدي عند مُنظّري الترجمة). وبهذا يكون نايدا قد قلب موازين جدلية الأنا والآخر في ميزان الثنائية التّرجميمة الموسومة بطابع التوطين والتغريب من حيث الأمانة والخيانة.

(1) Voir : Antoine BERMAN, *L'épreuve de l'étranger*, op. cit., p16.

(2) Voir : Jean-René LADMIRAL, *Sourcier ou cibliste : Les profondeurs de la traduction*, Paris, Les Belles Lettres, collection : « Traductologiques », (1^{re} édition : 2014, 2^e édition revue : 2015), 2015, p195–196.

— الفصل الثالث: — جِلْيَةُ الأنا والآخَر في ميزان الممارَسَةِ التَّرْجُمِيَّةِ واستراتيجياتِها —

3.2.3 المصدريون والمستهدفون:

شهدت ستينيات القرن العشرين انطلاق الشرارة الأولى لمقاربات الترجمة ونظرياتها ومناهجها، فتوهجت منظوراتها، وتعددت توجهاتها (راجع الفصل الثاني، المبحث الأول). وفي هذا السياق، يُبَسِّطُ المترجم خالد توفيق ما ذهب إليه المنظرون في انقسامهم إلى فريقين⁽¹⁾:

- فريق يُعطي الأولوية للذات المكتوبة الأصل (sourcerers)، ويُعطي الأولوية للذات الكاتبة (المؤلف). كما يُعنى — هذا الفريق — بنقل الثقافة التي تنتهي إليها الذات المكتوبة إلى الذات القارئة.
 - وفريق ثانٍ يُعطي الأولوية للذات المكتوبة المنقولة (للذات المترجمة أو النص المترجم) (targeteers)، ويُعطي الأولوية للذات القارئة. كما يسعى هذا الفريق، في المقام الأول، إلى أن تتناغم هذه الثقافة وثقافة المتلقي (الذات القارئة والمستقبلة للترجمة).
- وكل فريق يُدافع عن توجهاته وآرائه وتأملاته التَّرجُمِيَّة. في حين، يبقى القاسم المشترك (العروة الوثقى على حدِّ تعبير المترجم خالد توفيق) بين هذه النظريات هو نقل المعنى، أو الرسالة⁽²⁾، أو الذات المنقولة وروحها وفحواها.

يعودُ أصلُ مُصطلحيّ (*) (sourcier et cibliste) إلى الفيلسوف واللِّسانيّ والمترجم ومُدَرِّسِ علم الترجمة ونظرياته الفرنسيّ جان رينيه لادميرال Jean-René LADMIRAL، فقد خصَّصَ لهما كتابًا موسومًا بعنوان: (sourcier ou cibliste)⁽³⁾، امتدادًا لمقال نشره سنة 1986م، أثار جدلاً واسعاً حول مسألة النزعة الحرفية في الترجمة^(**)، وقد عُنونَ آنذاك بـ: Sourciers et ciblistes. اتَّخَذَ لادميرال هذا المقال فصلاً أولاً لكتابه، مُحدِّثًا تغييرات طفيفة مَسَّت بعض وجهات النَّظَر، مما يُعَمِّقُ طرح الإشكالية. ويرمي لادميرال بتوظيف هذين المصطلحين الإشارة إلى مسلكين يُجابهما مُمارِسُو الترجمة

(1) يُنظر: بيتر نيومارك، المرجع السابق، ص 7.

(2) يُنظر: المرجع نفسه، ص 7.

(*) إضافةً إلى اصطلاح ثنائية المصدرين والمستهدفين، يُمكنُ ترجمة هذين المصطلحين التَّرجُمِيَّين بـ: أهل المصدر وأهل الهدف، أو دُعاة المصدر ودُعاة الهدف.

(3) Jean-René LADMIRAL, *Sourcier ou cibliste*, op. cit.

(**) يُشيرُ لادميرال في هامش الصفحة الأولى من الفصل الأوَّل لكتابه الموسوم: *Sourcier ou cibliste : Les profondeurs de la traduction*، إلى أن أصل مُصطلحيّ (Sourciers et ciblistes) يعودُ إلى مُداخلة ألقاها بمناسبة ملتقى فرنسيّ وبريطانيّ حول الترجمة، أقيم بلندن أيام: 16-19 جوان 1983م. ولم يكنْ لادميرال — وقتها — ينوي سنَّ هذين المصطلحين وضبطهما، إذ تفوَّه بهما بارتجال في خضمِّ النَّقاش، ليُشكِّلَا — بعدها — ثنائيةً تَرْجُمِيَّةً ذاع صيتها في عِلْم الترجمة (يُنظر: المرجع نفسه، ص 3).

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجموية واستراتيجياتها —

وَمُنْظَرُوهَا؛ فالمصدرِيُّونَ (♦) (les sourciers) يتشَبَّثُونَ بِالزَّعَةِ الحرفيَّةِ، في حين يتركزُ المُسْتَهْدِفُونَ (les ciblistes) (♣) على تكييفات النُّقل وإحداث بعض التعديلات في سيرورة الترجمة بُغْيَةً سدادها⁽¹⁾.

1.3.2.3 المصدرِيُّونَ:

المصدرِيُّونَ (sourciers) مُصْطَلَحٌ يُطْلَقُ لادميرال على أولئك (أي رُوَادِ الترجمة ومُنْظَرِها على وجه الخصوص) الذين يتشَبَّثُونَ بِدَالِ (signifiant) لُغَةِ الذات المكتوبة الأصل الخاضعة للترجمة⁽²⁾. وتُطْلَقُ صِفَةُ المَصْدَرِيِّ (sourcier, source-orienté) على الذات المُتَرْجِمَةِ التي تُعِيدُ تقديم رسالة نصِّ الانطلاق بنحوٍ حرفيٍّ قدر المُسْتَطَاع، وتُرحَلُ عددًا مُتَغَيِّرًا مِنْ عناصره اللُّغَوِيَّةِ والثَّقَافِيَّةِ والحضاريَّةِ إلى الذات المُتَرْجِمَةِ.

يتشَبَّثُ المُتَرْجِمُ المَصْدَرِيُّ (le traducteur soucier/source-oriented translator) بدوال (signifiants) لُغَةِ الانطلاق (langue de départ) التي تُسَمَّى كذلك بلُغَةِ المصدر (la langue source). ولتتمكن الذات القارئة مِنْ اكتشاف الصيغ الأصيلَّةِ للذات المكتوبة الأجنبية، يدعُو بعض المُنْظَرِينَ والمُمارِسِينَ المؤيِّدِينَ لمسلك الترجمة المصدرِيَّةِ (la traduction soucière) إلى ثني لُغَةِ الوصول في قيود (contraintes) لُغَةِ نصِّ الانطلاق وإكراهاتها. يعكفُ المصدرِيُّونَ (les sourciers)، أساسًا، على ترجمة الذوات المكتوبة الأدبيَّةِ أو الدينيَّةِ⁽³⁾.

وفي مسار جدليَّة الأنا والآخر، تَجَرُّ الذات المُتَرْجِمَةُ المَصْدَرِيَّةُ (le sujet traduisant soucier) الذات القارئة إلى الذات الكاتبة (وننتاجها المُتمثِّل في الذات المكتوبة) وفق ما يُبرزه الشَّكل الآتي:

(♦) يُصَيِّفُ لادميرال كلَّ مِنَ المفكرين أمثال والتر بنجامين Walter Benjamin، وهنري ميشونيك Henri Meschonnic، وأنطوان بيرمان... وغيرهم؛ مِنَ المَصْدَرِيِّينَ (أي مِنْ دُعَاةِ الأصل sourciers)، (يُنْظَرُ: المرجع نفسه، ص22).

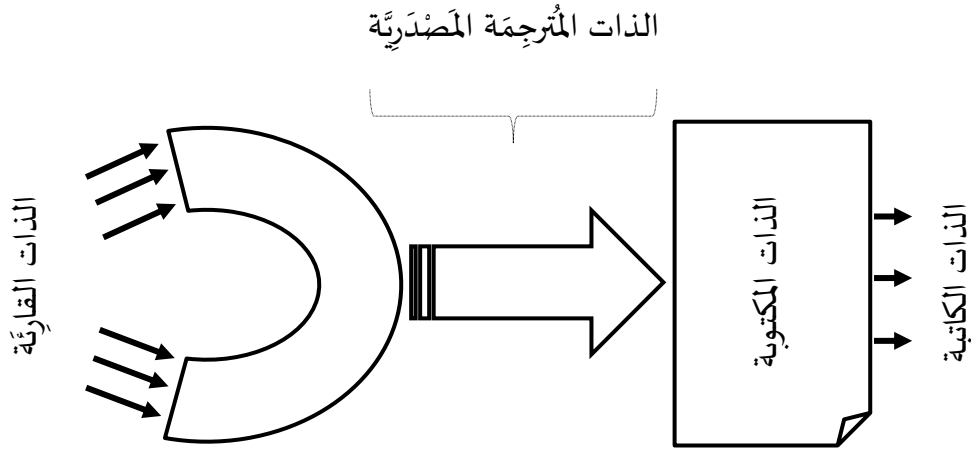
(♣) وَمِنْ بَيْنِ مُنْظَرِي الترجمة (أو علماء الترجمة traductologues) الذين يَعُدُّهم لادميرال مِنَ المُسْتَهْدِفِينَ (أي مِنْ دُعَاةِ الهدف ciblistes)، يذكر: جورج مونان، ويوجين إ. نيدا Eugene A. Nida، وتشالزر. تابير Charles R. Taber... وغيرهم مِنَ المُنْظَرِينَ المُسْتَهْدِفِينَ الذين يَعُدُّ لادميرال نفسه واحدًا منهم (يُنْظَرُ: المرجع نفسه، ص22).

(1) Voir : Jean-René LADMIRAL, *Sourcier ou cibliste, op. cit.*, pXI. (Avant-propos).

(2) Voir : *Ibid.*, p4.

(3) Voir : Jean DELISLE, Hannelore LEE-JAHNKE and Monique C. CORMIER, *Terminologie de la traduction*, Amsterdam/Philadelphia, John Benjamins Publishing Company, 1999, p76.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجموية واستراتيجياتها —



2.3.2.3 المُستَهِدِفُون:

يُطلقُ لادميرال مصطلح المُستَهِدِفِين (ciblistes) على أولئك المُترجمين (الذوات المترجمة) الذين يعتزمون احترام المدلول (*Le signifié*)، أي احترام قيمة الكلام ومعناه الذي يجبُ أن يطرأ على اللغة المُستَهِدَفَة⁽¹⁾. وعلى هذا النحو، يضطلع المُترجم المُستَهِدِف (Cibliste/Target-oriented) بتقديم نصّ الانطلاق (Texte de départ) بنحوٍ طبيعيّ، قدر الإمكان، إلى الذات القارئة لنصّ الوُصول (Texte d'arrivée) وفق استخدامات اللغة والثقافة المُستَهِدَفَتَيْن وتقاليدهما وأعرافهما (أي لغة الوُصول أو ثقافتها *la langue/culture d'arrivée*). وتجدر الإشارة إلى أن المُترجم المُستَهِدِف (le traducteur cibliste/target-oriented translator) يُركّز على معنى الخطاب ويسعى إلى تقديمه مُتوافقاً والامكانات الخاصّة بلغة الوُصول (*la langue d'arrivée*) التي يُطلق عليها أيضاً اللغة المُستَهِدَفَة (*la langue cible*). لذلك يُفضّل التوقّعات اللُغويّة والأسلوبيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة للمُتلقيين (destinataires)، ساعياً إلى إنتاج ترجمة اصطلاحية (traduction idiomatique) غير غريبة أو مُربكة. وعادةً ما تكون الذات المترجمة للنصوص التداوليّة (textes pragmatiques) مُستَهِدَفَة (cibliste)، كما تُعدّ الترجمة المُستَهِدَفَة (la traduction cibliste) كذلك خياراً أساسياً للذوات المترجمة العاكفة على نقل الذوات المكتوبة الأدبيّة أو الفلسفيّة أو الدينيّة⁽²⁾.

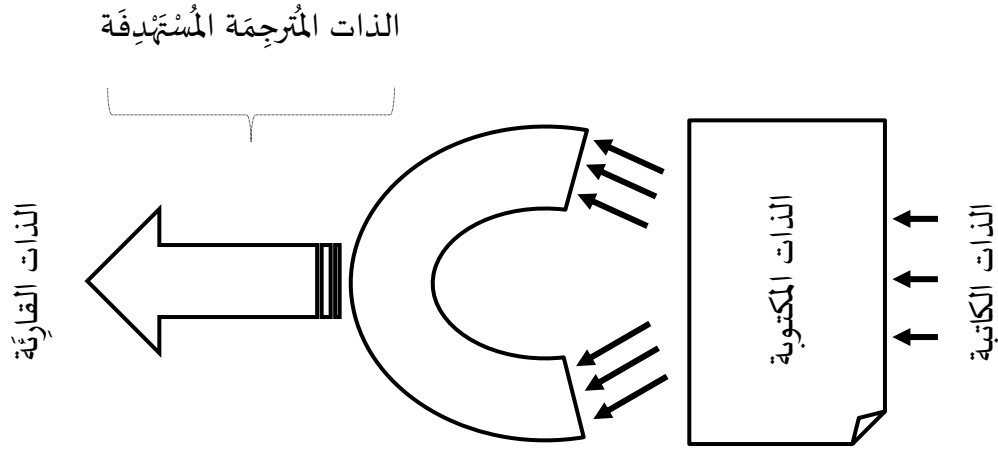
وفي مسار جدليّة الأنا والآخر، تجرّ الذات المترجمة المُستَهِدَفَة (le sujet traduisant cibliste)

⁽¹⁾ Voir : Jean-René LADMIRAL, *Sourcier ou cibliste*, op. cit., p4.

⁽²⁾ Voir : Jean DELISLE et. al., *Terminologie de la traduction*, op. cit., p17–18.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجمية واستراتيجياتها —

الذات الكاتبة (وننتاجها المتمثل في الذات المكتوبة) إلى الذات القارئة وفق ما يبرزه الشكل الآتي:



عطفًا على هذه الثنائيات المذكورة، يستحضر لادميرال الثنائية الترجمية التي تناولها جورج مونان في كتابه «الجماليات الخائئات»⁽¹⁾، حيث قابل فيها مونان ثنائية النظارات الشفافة، التي يقصد بها الترجمات التي تُعطي انطباعًا بأنها كتبت مباشرة باللغة المستهدفة؛ بالنظارات الملونة، أي الترجمات التي يكون فيها النقل كلمة بكلمة، تهدف إلى إعطاء انطباع غريب (*)(une impression dépayssante)، أي يضيف عليها اللون المحلي الأصل وفق تحليل لادميرال. وفي السياق ذاته، يتطرق لادميرال إلى ثنائية يوجين إ. نيدا المتجلية في مبدأي التكافؤ الشكلي والتكافؤ الديناميكي⁽²⁾، ثم يخلص إلى أن المصدريين هم من هوة النظارات الملونة (♦)(verres colorés)، أي أنهم ينتهجون مبدأ التكافؤ الشكلي ويُطبّقونه في أثناء النقل؛ بينما يُعدُّ المُستهدفون من مؤيدي النظارات الشفافة (*)(verres transparents)، أي أنهم ينتهجون مبدأ التكافؤ الديناميكي في أثناء سيرورة الترجمة⁽³⁾.

بناءً على استنتاجات لادميرال، تُستدرج هذه الثنائيات الترجمية إلى مسار جدلية الأنا والآخر

⁽¹⁾ Voir : Georges MOUNIN, *Les belles infidèles*, op. cit., p74–101.

(*) وفي سياق مسألة الحرفية، لا يُعدُّ أنصار الجميلات الخائئات مُستهدفين فحسب، بل إنهم بالأحرى شديّدو (مُتطَرِّفُو) الاستهداف! (des ultra-ciblistes). يتموضع المُستهدفون — حسب استنتاج لادميرال — في الوسط، أي بين المصدريين والمُستهدفين المتطرفين (ultra-ciblistes). (Voir : Jean-René LADMIRAL, op. cit., p.XIV–XV (Avant-propos)).

⁽²⁾ Voir : Jean-René LADMIRAL, *Sourcier ou cibliste*, op. cit., p6–9.

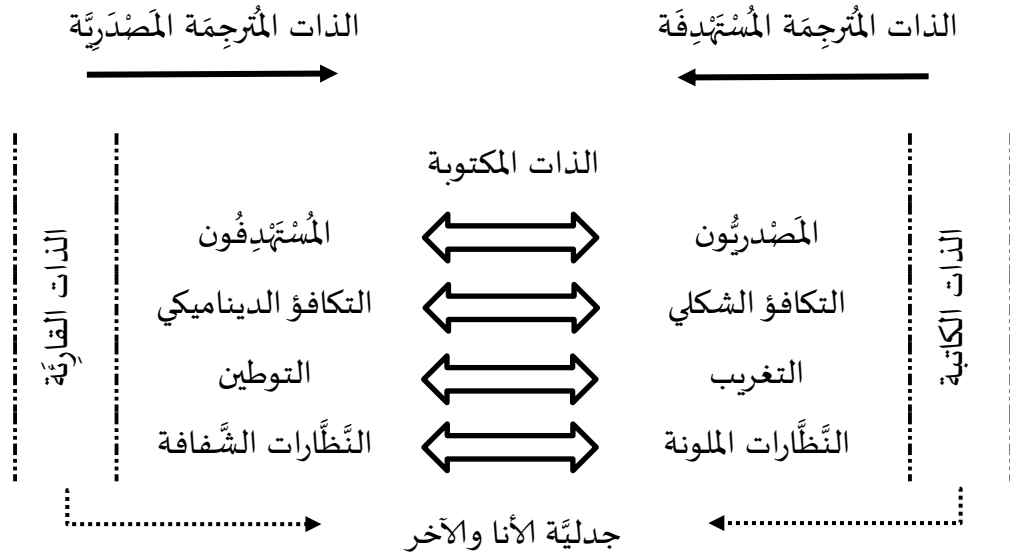
(♦) ويُقصدُ بالنظارات الملونة نقل (الحرف La Lettre)، أي مبدأ دُعاة الأصل (يُنظر: المرجع نفسه، ص74–75).

(*) ويُقصدُ بالنظارات الشفافة نقل (الروح l'Esprit)، أي مبدأ دُعاة الهدف (يُنظر: المرجع نفسه، ص74–75).

⁽³⁾ Voir : *Ibid.*, p9.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الترجمة الاستراتيجية واستراتيجياتها —

ويُتفقُ مَسْلُكُهَا وَفَقِ الرَّسْمِ التَّخْطِيطِيِّ الْآتِي:



وفي تحليل تقفّي مسار جدلية الأنا والآخر، مثلما يوضحه الرسم التخطيطي، يُستنتج بأن الذات المترجمة المصدرية (le sujet traduisant sourcier) تجرّ الذات القارئة إلى الذات الكاتبة (وننتاجها المتمثل في الذات المكتوبة)، مُنتَهَجَةً مبدأ التكافؤ الشكلي، وسالكةً طريق استراتيجية التغريب، بنظارات ملونة. في حين، تجرّ الذات المترجمة المستهدفة (le sujet traduisant cibliste) الذات الكاتبة (وننتاجها المتمثل في الذات المكتوبة) إلى الذات القارئة، مُتَبْنِيَةً مبدأ التكافؤ الديناميكي، ومُعْتَمِدَةً على استراتيجية التوطين، بنظارات شفافة. إنّ الترجمة – وفق لادميرال – مقام تتجلّى فيه جدلية الأنا والآخر، تكون فيها الغيرية (l'altérité) محطة الانطلاق، والخاص (le propre) محطة الوصول (أي غاية السعي). بعبارة أخرى، تنطلق الترجمة من غيريّة دوال اللغة المصدر (l'altérité des signifiants de L.S) لإدراك خصوصيّة اللغة المُسْتَهْدَفَةِ⁽¹⁾ وبلوغها.

ومثلما قلبَ نايدا موازين جدلية الأنا والآخر في ميزان ثنائية التوطين والتغريب، مُناقضاً آراء بيرمان من حيث الأمانة والخيانة، وعاداً انتهاج مبدأ التكافؤ الديناميكي مبدأ يُكرّس الأمانة، مُخَالِفاً بيرمان الذي يعدّ فعل التغريب فعلاً أخلاقياً، وإنّه لا أمانة إلا تجاه الحرف؛ يخلص لادميرال إلى أن المُسْتَهْدِفِينَ مَنْ هُمْ أوفياء للذات المكتوبة الأصل في ختام جدلية الأنا والآخر المُفَضِّلَةِ إلى الترجمة الوفيّة لطبيعة الذات المكتوبة بعناصرها كافة، ويَمُرُّ واقعُ النَّقْلِ هذا عبر وساطة ذاتيّة المُترجم (la subjectivité du traducteur) المُتَجَلِّية في أثناء سيروّة النَّقْلِ. فالذات المُترجمة هي المسؤولة عن إدارة

⁽¹⁾ Voir : Jean-René LADMIRAL, *Sourcier ou cibliste*, op. cit., p220.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجموية واستراتيجياتها —

الانحرافات الناجمة عن الاختلاف في التاريخ واللغات والثقافات، كما إنَّ الذات المترجمة هي المسؤولة كذلك عن الفصل في الخيارات الدقيقة التي تفرضها - أحياناً - سيرورة الترجمة⁽¹⁾. بينما يتوهم المصدريون الشفافية التَّرجُمِيَّة، مُعتقدين أنَّهم كلَّما تشبَّثوا بدالِّ المصدر (le signifiant-source) (أي الذات المكتوبة أو المنقولة)، تفادوا الوقوع في آثار الذاتية (أي تفادي الانصياع للذات المترجمة أو الناقلة والامتثال لها)، ومن ثمَّ تخطَّي احتماليَّة مواجهة ثقل التاريخ واللغات والثقافات⁽²⁾ في أثناء سيرورة النُّقل.

ويصعبُ أن تُوازن الذات المترجمة المتأرجحة بين أنا المصدر وأنا الهدف في طبيعة نتاج الترجمة، كما يستحيلُ أن تكون الذات المترجمة أنا وآخرًا في الآن ذاته. وحول مدى إمكانيَّة أن تكون الذات المترجمة مصدريَّة ومُسْتَهْدِفَةً في الآن ذاته، كأن تُصرِّح ذات مُترجمة ما قائلَةً إنَّها: «مصدريَّة ومُسْتَهْدِفَةً في الآن ذاته!»، يستحيلُ - وفق لادميرال - أن يَصْدُقَ هذا القول، فمثله كمثل مَنْ يجمعُ بين الماء والنَّار. وفي سياق استحالة أن تكون الذات المترجمة هي الأنا والآخر في الآن ذاته، أو أن تكون حلاً وسطاً بين المفهومين، وَجَبَ التذكيرُ بأنَّ النُّقل يتمُّ بين لغتين مُختلفتين، انطلاقاً من اللغة الأصل باتجاه اللغة المُسْتَهْدَفَةِ، وإنَّ أخذنا برأي التَّأرجح بين المُصطلحين (المصدر والهدف)، فهذا يعني أننا لم نفهم الرِّهان التَّرجُمِيَّ بَعْدَ، فالأمر يُعنى بجدليَّة (la dialectique) الأنا (du Même) والآخر (de l'Autre) التي تجري وقائعها في سيرورة الترجمة⁽³⁾ أو مثلما يُصرِّح لادميرال.

يستدلُّ بعض مُعارضِي ثنائيَّة دُعاة الأصل ودُعاة الهدف (بزعمهم تجاوز هذه الثنائيَّة في الترجمة^(*))، بِحُجَجٍ رُوِّدَ المنعطف الثقافيّ (culturalistes)، مُستندين إلى أعمال توري جدعون وطرحه مفهومي الملائمة (adéquation)، لثقافة ما، في حقبة تاريخيَّة مُعيَّنة، والمقبوليَّة (acceptabilité)، من لدن الذات القارئة المُسْتَهْدَفَةِ، بوصفها (أي ثنائيَّة الملائمة والمقبوليَّة) بديلاً لثنائيَّة المصدريين والمُسْتَهْدِفِينَ. وهنا يرى لادميرال أننا لسنا أمام تجاوز (dépassement) مفهوميّ، بل نحنُ أمام استبدال (déplacement) مُصطلحيّ يتسمُ بالغموض⁽⁴⁾، أي بخلق مُصطلحاتٍ تَرْجُمِيَّةٍ أخرى تحملُ - في ظاهرها

(1) Voir : Jean-René LADMIRAL, *Sourcier ou cibliste*, op. cit., p.XIII-XIV (Avant-propos).

(2) Voir : *Ibid.*, p.XIII-XIV (Avant-propos).

(3) Voir : *Ibid.*, p77.

(*) يُشيرُ لادميرال إلى مُنتقدي ثنائيته التي لاقت نقدًا شديدًا، بل قيل إنَّ مُنظري الترجمة قد تجاوزوها فيما بعد. ويستدلُّ مُنتقدو لادميرال بتوري جدعون Gideon Toury، وأندرو تشاسترمان Andrew Chesterman، وهنري ميشونيك Henri Meschonnic؛ لا سيَّما لورانس فينوتي في الآونة الأخيرة. ثُمَّ يَستشهدُ لادميرال بماري فرينا نيكولوف Marie Vrinat-Nikolov التي استهلَّت مقالاً لها مُعَيَّرَةً: «هذه الثنائيَّة ليست عقيمة فحسب، ولكنها - قبل كل شيء - مُهلكة للترجمة» (يُنظر: المرجع نفسه، ص34-35).

(4) Voir : *Ibid.*, p36-37.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجموية واستراتيجياتها —

— اختلافًا بينما قد تُوحى — في صلبها — إلى المفهوم التّرجيّي ذاته.

تكمُنُ وُعورة المسالك التي تُواجه الترجمة الأدبيّة في تداخل الثقافات، وتمايز الأنساق، واختلاف البنى النّحويّة والمخزون المعجميّ للغات. ومن ثمّ، تتجلّى صُعوبة ضبط الاستراتيجيّات التّرجميّة ومُواجهة الثّنائيات التّرجميّة المشهورة، إذ يتأرجح الفعل التّرجيّي، في هذا المقام، بين اللّغة المصدر واللّغة المُستهدّفة، وبين ثقافة المنشأ وثقافة التلقّي، وبين الأمانة والحرية. وعلى هذا النّحو الجدليّ، تجدُ الذات المُترجمة نفسها مُجبرةً على إيجاد الحُلُول وحسم الخيارات بين أنواع المكافئات، الشكليّة والديناميكيّة والوظيفيّة والمقاميّة⁽¹⁾، وحسم القرار بشأن الاستراتيجية التّرجميّة المُنتهجة، أي بين استراتيجيّتي التغريب أو التوطن، وبين الخضوع للأنا أو الامتنال للآخر.

وما الفرضية القائلة إنّه: «كلما زادت أهمية اللّغة المكتوبة بها الذات المكتوبة، زادت أهمية الأمانة في نقلها»⁽²⁾ سوى محاولة لتضييق الفجوة بين الذات المُترجمة ومُنظري الترجمة الذين يُعطون الأولويّة للذات المُترجمة (أو الذات المنقولة) بنحو غريزيّ وحديسي^(**). ومُقابل هذا الرّأي، نجدُ حُصومهم^(♦) — وبيرنيومارك واحد منهم — أنصار إعطاء الأولويّة للذات المكتوبة الأصل بنحو غريزيّ وحديسيّ كذلك^(*). يُفضي حاصل القول إلى أن دُعاة الهدف يميلون إلى الغاية، بينما يميل دُعاة الأصل إلى الوسيلة⁽³⁾. وإذا تعلّق الأمر بثنائية الأنا والآخر، فسيستدعي ذلك الإلمام بالأبعاد المختلفة التي تتخذها هذه الثنائية في مسار الذوات الكاتبة والمكتوبة والمُترجمة والقارئة.

إنّ الملاحظ في تعدّد مُصطلحات هذه الثنائيات التّرجميّة أنه تعدّد مُصطلحيّ مختلف من حيث المصطلح التّرجيّي المُعبّر عنه، صَنُو من حيث المفهوم. فالتكافؤ الشكلي يُشاكل استراتيجيّة التغريب، ويُماثلُ منهج المصدرين ومنعى هُوَاة النّظّارات الملونة. في حين يسلكُ مبدأ التكافؤ الديناميكي مسار

(1) يُنظر: إدوين غينتسلر، المرجع السابق، ص 9.

(2) بيرنيومارك، المرجع السابق، ص 38.

(**) المُستهدّفون (les ciblistes) كما يُطلقُ عليهم لادميرال Admiral، ويُسمّهم بيرنيومارك بمؤيدي النّص المُترجم أو النّص المُستهدّف targeteers (بيرنيومارك، المرجع السابق، ص 38-39).

(♦) يُوجّه لادميرال نقدًا ثلاثيًا لكل من أنطوان بيرمان وهنري ميشونيك، فكلاهما يُدافع عن نظريّة تطغى عليها صبغة مصدرية، لكهما يرفضان توظيف مُصطلحي (المصدرين والمُستهدّفين) صراحةً. وعلاوة على ذلك، تتعارض ممارستهما الترجمة، في كثيرٍ من الأحيان، مع نظريّة دُعاة الأصل ومبادئها (Voir : Jean-René LADMIRAL, *Sourcier ou cibliste*, op. cit., p40).

(*) وهُم المصدريون (les sourciers) كما يُطلقُ عليهم لادميرال Admiral، ويُصطلحُ عليهم بيرنيومارك بالإنجليزيّة مُصطلح sourcerers، أي المُتنبّئين بالنّص المصدر (بيرنيومارك، المرجع السابق، ص 39).

(3) يُنظر: بيرنيومارك، المرجع السابق، ص 38-39.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجموية واستراتيجياتها —

استراتيجية التوطين، ومسلك المُستَهْدِفِينَ وأصحاب النّظّارات الشّفافة، بخلاف مسألة الأمانة التي كانت محلّ اختلاف عند مُنظّري الترجمة وعلمائها. ومردّ اقحام جدلية الأنا والآخر، في هذا السياق، ليس تعدّدًا مُصطلحيًا آخرًا يُفْضِي إلى فوضى مُصطلحيّة، ولا نقدًا للثنائيات التّرجميّة المذكورة أو بحثًا عن سبيلٍ لتجاوزها؛ بل إنّه تتبّع هذه الجدليّة في مسارات تلك الثنائيات، حيث تكون الذات المُترجمة في مُعضلة حقيقيّة، فهل تكون وفيّةً لِأنا الذات الكاتبة للذات المكتوبة أو آخريتها، على حساب أناها المُترجمة أو آخريتها، وأنا الذات القارئة المُستقبليّة للذات المُترجمة (أي الذات المُقولة) أو آخريتها؟

4.2.3 البيّن والمضمّر:

على غرار الثنائيات التّرجميّة المُتناوِلة، تبرزُ في ثنائيّة البيّن (الظاهر، والصريح، والواضح، والجليّ (l'explicite) والمضمّر (الضمّني، والمُبْطَن l'implicite)، جدليّة التجلّي والخفاء، وجدليّة صريح القول وباطنه، وجدليّة الأنا والآخر المُتجلّيّة في فقرات الذات المكتوبة أو المبتوثة في أحنائها.

إنّ التحدّث بصراحة معناه: «أن نتحدّث عن شيء ما»، بينما يُقصدُ بالتحدّث بنحوٍ مُضمّر: «أن تجعل شخصًا ما يُفكّر في شيء ما». ولكن التساؤل الذي يتبادرُ إلى الأذهان هو كيف نجعل شخصًا ما يُفكّر في شيء ما إذا لم يُكتَب هذا الشيء صراحةً وما لم يُطرح جليًّا في الذات المكتوبة؟ وفي بعض الأحيان، يُلَمَّحُ إلى المضامين المُضمّرة (الضمنيّة والخفيّة) في الذات المكتوبة بنحوٍ مُعيّن⁽¹⁾، على الذات المُترجمة أن تفكّ رُموزها، وتتفهّم معانيها، وتضبط دلالاتها.

تميلُ — عادةً — كل ذات مكتوبة لأن تكون حلًّا وسطًا وتوفيقًا مُتجانسًا بين بيّنٍ مُقتضِبٍ حتّى لا تتبرّم الذات القارئة وتُظهر استياءها من جرّاء بثّ أشياء معروفة ومُتداوِلة، ومُضمّرٍ جليّ وواضح حتّى لا تُترك الذات القارئة جاهلةً بالمعنى المبتوث في حنايا الأجزاء البيّنة من الذات المكتوبة⁽²⁾. وبنحوٍ عامّ، يُعدّ الاستنتاج البيّن أشدّ فعّاليةً وصراحةً من الاستنتاج المضمّر، فالذوات القارئة (القُرّاء les sujets) ليسوا سواء — في المنزلة — أو في وضعٍ يسمحُ لهم باستخلاص النتيجة من الرسالة (المُشَقّرة) بأنفسهم واستنباط معانيها الضمنيّة، لذلك يصعبُ تحقيق مبدأ القبول المحتمل للاستنتاج العميق. وعندما تكون الذوات القارئة (القُرّاء les sujets) قادرةً على استخلاص النتيجة بنفسها وضبط الاستنتاج المبتوث في الرسالة بسهولةٍ ويُسر، فإن بثّها ضمنيًا (بنحوٍ مُضمّرٍ) يُجسّدُ — فعلاً — من وقعها (أي وقع الرسالة)،

⁽¹⁾ Voir : Herbert Paul Grice, «Meaning», *The Philosophical Review*, n° 66, Juill. 1957, p380. Cité par : Catherine KERBRAT-ORECCHIONI, *L'implicite*, Paris, Armand Colin, 2° édition, 1998, p21.

⁽²⁾ Voir : Marianne LEDERER, *op. cit.*, p46.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجميمة واستراتيجياتها —

ويُخِلَّفُ تأثيرًا بالغًا في ذهن الذات المتلقية لها⁽¹⁾، هذا في حال معالجة الذات المكتوبة بلغتها الأصل، أمّا إذا تعلّق الأمر بالترجمة، فتُسنَدُ المهمة إلى الذات المترجمة واستراتيجيتها التّرجميمة المنتهجة في أثناء سيرورة النقل.

أحيانًا ما تكون الصياغة المضمرة (*la formulation implicite*) ذات فعالية ونجاعة كبيرتين ولكنها دائمًا ما تكون ذات خطورة بالغة (مجازفة *plus risquée*) تفوق الصياغة الصريحة (*la formulation explicite*) والمباشرة وتداعياتها. وهنا تكون الصياغة مُهدّدة بخطرَيْن جسيمَيْن أحدهما مُرّ، حيث إنّ تجنّب الشّفاقيّة المفردة يُؤدّي — لا محالة — إلى الوقوع في معضلة اللامقروئية، وعلى هذا الأساس، يُترك الأمر للذات الكاتبة (*au sujet écrivain*) لمُعينة مدى جسامة هذه المخاطر بناءً على طبيعة الذات المكتوبة، ووضع الكتابة، وخصائص الذات الكاتبة وأهدافها التداوليّة الخاصّة والمرجوة⁽²⁾. فسيرورة الخطاب الروائيّ — على سبيل المثال لا الحصر — سيرورة تستدعي ضبط جرعة بثّ ثنائية البين والمُضمّر في أرجاء الذات الروائيّة المكتوبة، ووحدها الذات الكاتبة من تتكفّل بتوزيع هذه الجرعات على المقاطع السردية وفق مشروعها السرديّ ومقاصدها ونواياها الإبداعية والفكرية.

وفي تقبّي مسار جدلية الأنا والآخر في ثنائية البين والمُضمّر ومدى تحقيق الأثر ذاته في الترجمة، يُكَيَّفُ بين القول المبتوث في حنايا الذات المكتوبة الأصل ومعارف ذواته القارئة، كما تُكَيَّفُ الذات المترجمة صريح مُرادها وظاهره حسب طبيعة ذواتها القارئة هي كذلك، وبذلك تجدُ في لغتها توازنًا آخرًا بين البين والمُضمّر لتحديد الأحداث والأفكار والمشاعر المبتوثة في حنايا الذات المكتوبة الأصل وضبطها. ويتميّز البين بالعادات التعبيرية الخاصّة باللغة وأعرافها، لذلك تجدُ الذات المترجمة في لغتها الخاصّة صيغًا تتوافق وعادات التعبير وأعرافه التي تعكسُ مع ذلك حسّها الإبداعيّ. بناءً على هذا الفهم، نُعدُّ مشكلة الذات المترجمة مشكلةً مزدوجة ذات شقين: يجب أن تُعرّف بواطن كل مقطع نصي (*segment de texte*) وظواهره بُغية استجلاء معانيه وفهمها وتبيانها، ويجب أن تكون الذات المترجمة كذلك قادرةً على أن تُحدِث في لغتها الوقعين الوجدانيّ والمعرفيّ أنفسهما، مما يخلق المُعادِل (المُكافئ) المُتَوَخَّى⁽³⁾. ومن ثمّ، إبراز تجلّيات جدلية الأنا والآخر بصورها وأبعادها وخصوصياتها المبتوثة في حنايا الأصل.

تتجلّى ثنائية البين والمُضمّر في مسار الذوات التّرجميمة التي تتوخّى تجسيد جدلية الأنا والآخر

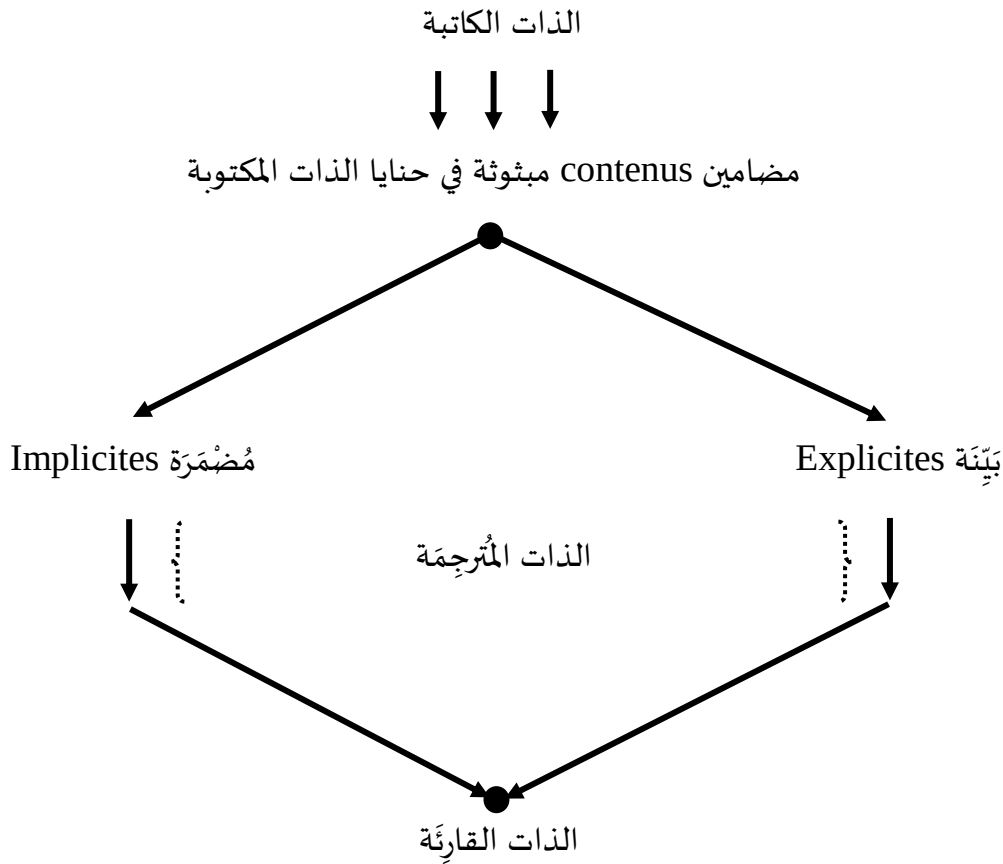
(1) Voir : Catherine KERBRAT-ORECCHIONI, *op. cit.*, p295.

(2) Voir : *Ibid.*, p295.

(3) Voir : Marianne LEDERER, *op. cit.*, p49.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الترجمة واستراتيجياتها —

المبتوثة في الخطاب الروائي في الرّسم البياني الآتي⁽¹⁾:



قد تلجأ الذات الكاتبة - بناءً على هذا الرّسم - إلى صياغة أبعاد الأنا والآخر بنحو صريح (وظاهرٍ ومُتجَلٍ وواضحٍ وبيّنٍ ومُفصّلٍ عنه) ما يجعل تلقّيها في الأصل تلقّيًا مُبَانًا لا يستدعي من الذات القارئة جهدًا مُضنيًا، حتّى إنّ مهمّة النقل تكون مهمّةً سلسلةً لا تستدعي من الذات المترجمة جهدًا مُضنيًا كذلك بُغية إِيصال مقصد القول إلى الذات القارئة للترجمة. وقد تكون أبعاد الأنا والآخر ضمنيّةً ما لم تُصريح بها الذات الكاتبة صراحةً وتُفضّل تركها في حالة مُضمرة بُغية التجسيد من وقعها أو من أجل أن تُخلف تأثيرًا بالغًا في ذهن الذات القارئة للأصل. ومن منظورٍ تَرْجَمِيّ، تُعدّ الذات المترجمة العُدّة وتسلّح بالوسائل التّرجمِيّة اللازمة بُغية فكّ الخيوط التي نسجت بها الذات الكاتبة الذات المكتوبة، ومن ثمّ الاهتمام إلى إجلاء تلك الأبعاد والإفصاح عن مقصد قول الذات الكاتبة وإيصاله إلى الذات القارئة للترجمة على وجه السّداد.

⁽¹⁾ Voir : Catherine KERBRAT-ORECCHIONI, *op. cit.*, p19-20. (L'esquisse ci-dessus a été adaptée).

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجماتية واستراتيجياتها —

ولتتمكن الذات المترجمة من تجسيد هذا كله، ينبغي لها أن تتحلّى بقدراتٍ لسانية وموسوعية وبلاغية وتداولية ومنطقية حتى تتمكن من تأويل الذات المكتوبة وتفك رموزها البيّنة والمضمرة. وعلى صعيد القدرات اللسانية، نجد المعطيات السياقية تؤثر في القدرات اللسانية تأثيراً مباشراً، وغالباً ما يخضع المستوى اللساني إلى معطيات جغرافية، من لغات محلية، أو اجتماعية، أو محكية، أو أيديولوجية (Les lectures : dia-, socio-, idio-, idéo-, ou typo-)... أو غيرها من معطيات⁽¹⁾، يؤدي تذليلها — من لدن الذات المترجمة — إلى تجسيد جدلية الأنا والآخر بصورها وأبعادها المختلفة المبثوثة في ثنايا الذات المكتوبة، بالوقع نفسه والإيقاع ذاته عند الذات القارئة للترجمة.

5.2.3 الترجمة وإعادة الترجمة:

تكثر الترجمات وتتعدّد، مثلما يُعبرُ محمد جديدي، ويُصبح ظهورها ضرورة تُعزّز المسار التطوّري للعمل التّرجميّ وتثريه، فتتألى الترجمات المعادة المختلفة للنص الواحد، ما يطيل بقاءه، ويُتيح له فرص تداوله من جديد، ويُعلي قيمته الفكرية⁽²⁾. وتُباشرُ سيرورات إعادة الترجمة، وفق أنطوان بيرمان، مُجابهةً للترجمات القائمة. وضمن هذا الفضاء، أفرزت الترجمة أعمالها الراقية، وتُحفها الأدبية والفنية، لأن الترجمات الأولى ليست — أو لم تكن على أي حالٍ من الأحوال — هي الأرقى⁽³⁾. لذا، تكون الترجمة الثانية مُبرّزة ما دامت ترمي إلى تجويد الترجمة الأولى وتنقيحها. وتسعى الترجمات المعادة إلى إبراز بعض النقاط التي أُغفلت في ترجمات سابقة، فتُضيء جوانبها الخفية، وتأخذ جوانب نُضج الرؤى الحديثة في الحُسبان، مُستثمرةً في العامل الزمني الذي يفصل بينها وبين الترجمة الأولى (أي القديمة)، ومن ثمّ تُحيي الذات المكتوبة الأصل وتُعيدّها إلى واجهة الساحة القرائية من جديد⁽⁴⁾.

ولا يُمكنُ التطرّق، هنا، إلى ما أضافته الذات المترجمة إلى الذات المكتوبة المنقولة (أي الذات المترجمة)، فالذات القارئة هي المطالبة بإعلان ما ربحته أو خسرت من الذات المكتوبة المنقولة والمُعادِ ترجمتها. وفي مسار تحليل الترجمات المعادة ونقدها، تُراجع الذوات الناقدة الترجمات الأخرى وتُعين ما أضافته الذوات المترجمة السابقة أو حذفته⁽⁵⁾، مُحدّدة الفرق بينها مُقارنةً بالذات المكتوبة الأصل.

(1) Voir : Catherine KERBRAT-ORECCHIONI, *op. cit.*, p295–298.

(2) يُنظر: محمد جديدي، الترجمة: رؤية فلسفية، المرجع السابق، ص169.

(3) يُنظر: أنطوان بيرمان، المرجع السابق، ص138.

(4) يُنظر: عيساني بلقاسم، المرجع السابق، ص414–415.

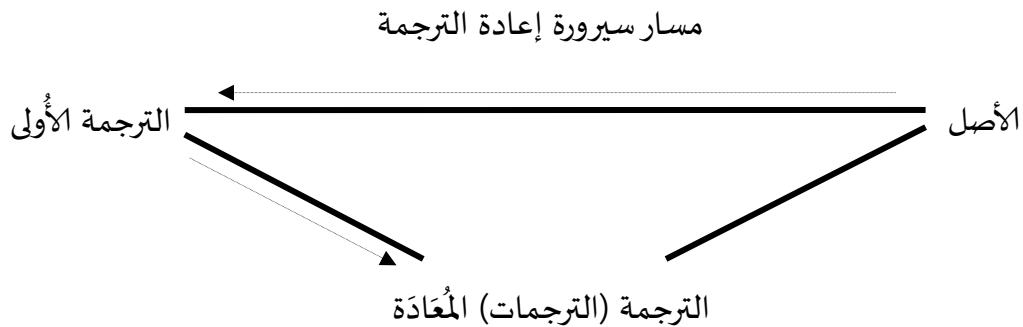
(5) يُنظر: أنطوان بيرمان، المرجع السابق، ص141.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميدان الممارسة الترجماتية واستراتيجياتها —

يُوجِبُ أنطوان بيرمان الإشارة إلى الترجمة المُعَادَة (la re-traduction) مُركِّزًا على التمييز أساسًا بين مكانين (deux espaces) وزمانين (et deux temps) للترجمة، مكان الترجمة (أو الترجمات) الأولى وزمانها، ومكان الترجمة (أو الترجمات) المُعَادَة وزمانها. ويُعَدُّ التمييز بين هذين الفئتين مِنَ الترجمة وأخذهما في الحُسبان مِنْ بين اللَّحظَات الأساسية للتفكير في زمنية فعل الترجمة (la temporalité du traduire)⁽¹⁾.

تقتضي مُدارسة الترجمات المُعَادَة المختلفة للعمل الروائي نفسه إلى اللُّغة نفسها والثَّقافة ذاتها أخذ السياق التاريخي المُحدّد للحظة التي أُنجِزَتْ فيها في الحُسبان، لأن الأحداث التاريخية مُرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالتغيُّرات الاجتماعية، ومنظومة القيم السائدة، والقاعدة الأيديولوجية المُعتمَدة. فالمجتمعات في تطوُّرٍ مُستمرٍّ، وهذا التطوُّر له تأثير مُباشر في مشروع الترجمات وكيفية إنجازها في لحظة تاريخية مُحدَّدة، وفي سياق اجتماعي مُعَيَّن⁽²⁾. ويُعَدُّ موقع الذات المُعيدة للترجمة وحقيبتها⁽³⁾ عاملًا مهمًّا ذا تأثير بالغ في مشروع إعادة الترجمة ونتائجها، لا سيَّما في مشاريع إعادة ترجمة الأعمال الروائية على وجه التحديد.

فالذات المُعيدة للترجمة (le sujet qui re-traduit) — حسب بيرمان — لا تُواجه ذاتًا مكتوبةً واحدةً فقط — أي الذات المكتوبة الأصل — بل تُواجه ذاتين مكتوبتين أو ذوات مكتوبة مُتعدِّدة، ممَّا يسمحُ برسم الشَّكل الآتي⁽⁴⁾:



(1) يُنظر: أنطوان برمان، المرجع السابق، ص138.

(2) See: Susanne M. CADERA, "Literary Retranslation in Context: A Historical, Social and Cultural Perspective.", in Susanne M. CADERA and Andrew Samuel WALSH (eds.), *Literary Retranslation in Context*, Oxford • Bern • Berlin • Bruxelles • Frankfurt am Main • New York • Wien, Peter Lang, Series: New Trends in Translation Studies, vol. 21, 2017, (pp. 5–18), p9.

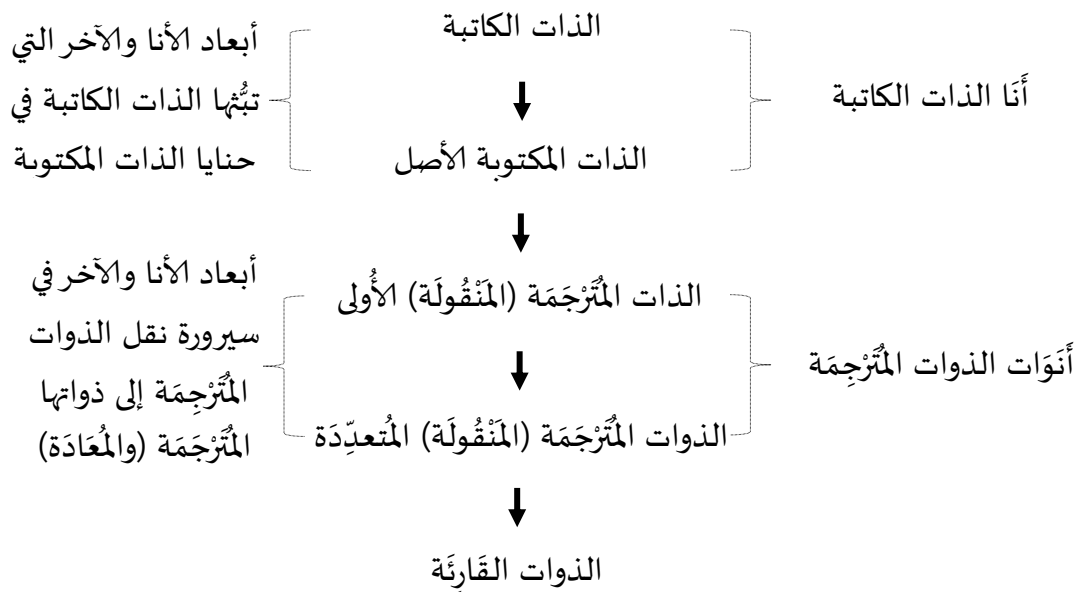
(3) يُنظر: عيساني بلقاسم، المرجع السابق، ص416.

(4) يُنظر: أنطوان برمان، المرجع السابق، ص138.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجموية واستراتيجياتها —

وفي سياق النّقل إلى اللّغة العربيّة، لم يُنكر بشير العيسوي على المُترجمين العرب ظاهرة تعدّدية الذات المكتوبة المُترجمة (إلى اللّغة العربيّة) بصفة عامّة، «إن كان لذلك ما يُبرّره، فظهور ترجمة عربية لعمل مُعين منذ مائة عام لن تكون صالحة لاستخدامنا الآن، وبذا تكون ترجمة ثانية أمرًا واجبًا وضروريًا»⁽¹⁾. وهذا ما أثاره بيرمان، فالنّشاط التّرجميّ له زمن مُحدّد، وظُروف مُعيّنة، وسياق خاصّ. ومسار الترجمات خاضع — بالأساس — لعامل الوقت، ومن ثمّ تشيخ الترجمات وتكبر (les traductions vieillissent)⁽²⁾، ما يستدعي ضحّ دماء جديدة. وقد تُعزى الترجمة الجديدة للعمل الروائيّ نفسه إلى تغيّرات تاريخيّة واجتماعيّة وثقافيّة واقعة في السياق المُستهدف، تستدعي هذا الضّرب الجديد من الترجمة⁽³⁾. ويحسنُ التنبيه، في هذا المقام، إلى أن بيرمان يَعدُّ سيرورات الترجمة المُعادّة ترجمةً ثانيّةً (seconde traduction) ولا وُجود لترجمةٍ ثالثة أو رابعة أو خامسة؛ بل إنّ الأمر يُعنى بترجماتٍ أخرى تُعدُّ جميعها ثانيّةً («secondes» mais d'autre)⁽⁴⁾.

وإذا أُقحمت جدليّة الأنا والآخر في مسار ثنائيّة الترجمة وإعادة الترجمة، يُتحصّل على الرّسم التوضيحيّ الآتي:



⁽¹⁾ بشير العيسوي، الترجمة إلى العربية: قضايا وآراء، دار الفكر العربي، ط2 (طبعة ثانية مزيّدة ومنقحة)، القاهرة، 1421هـ/2001م، ص15.

⁽²⁾ Voir : Antoine BERMAN, « La retraduction comme espace de la traduction », *Palimpsestes* [En ligne], 4 | 1990, mis en ligne le 22 décembre 2010, consulté le 04 août 2022. URL : <http://journals.openedition.org/palimpsestes/596> ; DOI : <https://doi.org/10.4000/palimpsestes.596>, p1-7.

⁽³⁾ See: Susanne M. CADERA, *op. cit.*, p11.

⁽⁴⁾ يُنظر: أنطوان برمان، المرجع السابق، ص138.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجُمِيَّة واستراتيجياتها —

يُظهرُ هذا الرَّسْمُ التوضيحيّ مسار الرسالة انطلاقاً من الذات الكاتبة وُصولاً إلى الذات القارئة، في مضمار جدلية الأنا والآخر وفي رواق الترجمة وإعادة الترجمة على وجه التحديد. إذ تَبَثُّ الذات الكاتبة جدلية الأنا والآخر في ثنايا الذات المكتوبة، بأبعادها وخصوصياتها وتجلياتها ومرجعياتها المختلفة (راجع الفصل الأوّل، المبحث الثاني)، كما تتأصّل جدلية الأنا والآخر في الذوات التَرْجُمِيَّة في حدّ ذاتها، فالذات الكاتبة — بوصفها أَنَا — قد تكون آخرًا عند الذاتين المُترجمة والقارئة، والذات المكتوبة حاملة في حناياها معالم الأنا والآخر وأبعادهما المختلفة، والذات المُترجمة لها مشروعها التَرْجُمِيّ، وأبعادها الأيديولوجية، وخصائصها الثقافية، ومرجعياتها الدينية والحضارية (راجع تقديم المبحث الأوّل، من هذا الفصل الثالث).

كما إنّ الذات المُعيدة للترجمة لها كذلك مشروعها التَرْجُمِيّ، وأبعادها الأيديولوجية، وسياقها التاريخي المرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتغيّرات الاجتماعية، ومنظومة القيم السائدة، والأسباب التي دفعها إلى إعادة ترجمة عملٍ ما تُرجمَ من ذي قبل. تُؤثّر هذه العوامل جميعها في مشروع إعادة الترجمات وكيفية إنجازها. ولا يجب أن نغفل كذلك عن الذات القارئة وأذواقها وأعرافها وتوجّهاتها وسياقها وحقبها، فهي المطالبة بإعلان ما ربحته أو خسرت من الذات المكتوبة المُترجمة (المنقولة) والمُعَادِ ترجمتها.

وفي السياق ما بعد الاستعماريّ، تُعدّ الذات المُترجمة (أو المُعيدة للترجمة) ابنة بيتها، ويُعدّ عملها التَرْجُمِيّ كذلك رهيناً بالأحداث الاجتماعية والسياسية، والأذواق الجمالية والأدبية، وسياسات النشر المُعتمَدة في الحقبة التي تُعاصرها⁽¹⁾. وتُطالبُ سيرورة إعادة الترجمة الروائية — في هذا الصدد — بتحيين هابيتوس الذات الكاتبة (*l'habitus du sujet écrivain*)، وهابيتوس وكلاء الترجمة (*l'habitus des agents de la traduction*)، أي الذات النّاشرة والذات المُترجمة)، وهابيتوس الذوات القارئة (*l'habitus des sujets lecteurs*) المُستقبلة للذات المُترجمة المُعادّة في الحقل المُستهدَف⁽²⁾، تماشيًا والحقبة التي يُنجزُ فيها مشروع إعادة الترجمة، وسعيًا إلى تجسيد أبعاد الأنا والآخر المختلفة، بالتأثير ذاته والوقع نفسه (راجع الفصل الثاني، المبحث الثاني).

إنّ إعادة الترجمة الحديثة (*la re-traduction moderne*) هي ذاكرة العودة إلى الوطن (*une mémoire rapatriante*)⁽³⁾، مثلها كمثل إعادة المهاجر (أو المُغترب) إلى وطنه الأم. وعودة الرواية

(1) See: Susanne M. CADERA, *op. cit.*, p13.

(2) Voir : Jean-Marc GOUANVIC, *op. cit.*, p36–37.

(3) أنطوان برمان، المرجع السابق، ص155.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجماتية واستراتيجياتها —

الجزائرية المكتوبة بالفرنسية (في الحقبة الاستعمارية) إلى العربية، ضرب من ضروب رحلة العودة إلى الوطن (rapatriement)، وما يحمله مسار إعادة التوطين هذا (أي مسلك الرحلة الثانية) من تداعيات. وتجب الإشارة إلى أن أحد المسالك الرئيسة التي تستأثر بها هذه الدراسة التطبيقية قائم على مُدَارَسَة الترجمات العربية للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية (الصادرة في السياق ما بعد الاستعماري)، التي هيمنت على الساحة الأدبية منذ مدة طويلة، كما تعتمد هذه الدراسة على الترجمات العربية المُعَادَة (لِلرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية)، مُحَدَدَةً النُّسخ التي تستدعي ضحّ دماء جديدة، في خضم إعادة بعث سؤال الهوية المُتمثِّل في إثارة جدلية الأنا والآخر في سياق حقبة ما بعد الاستعمار.

ما يسترعي الانتباه، في ختام عناصر هذا المبحث، موقع جدلية الأنا والآخر في ميزان الثنائيات التَرْجَمِيَّة الآتية: مبدأَي التكافؤ الشكلي والتكافؤ الديناميكي، استراتيجيتي التوطين والتغريب، المصدرين (دُعاة المصدر) والمُسْتَهْدِفِينَ (دُعاة الهدف)؛ إذ تضعُ الثنائيات المذكورة الفعلَ التَرْجَمِيَّ في ميزان لُغَتَيْن أجنبيّتين مُختلفتين، وبين ثقافتين مُتباعديتين، تكون فيها الذات الكاتبة — بوصفها أنا — آخرًا عند الذاتين المُترجمة والقارئة، بيد أن وضع الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية (في الحقبة الاستعمارية) مختلف تمامًا، إذ تبلورت في ذهن الذات الكاتبة (أنا الذات الكاتبة الجزائرية) بلُغة عربيّة، ثُمَّ خُطَّت بلُغة الآخر (أي بالفرنسية)، فكيف نُسيّ طبيعة العودة إلى العربية في هذا الصّدد؟(*)

كما تعتمدُ الدِّراسة إلى تبَيُّ ثنائِيَّة البَيِّن والمُضْمَر في سيرورة تحليل المقاطع السردية المُجسَّدة لصياغة أبعاد جدلية الأنا والآخر، سواءً الأبعاد الصريحة (الظاهرة والمتجلىة والواضحة والمُفصَّح عنها) التي لا تستدعي من الذاتين المُترجمة والقارئة جهدًا مُصنِّيًا بُغية تحصيل مقصد القول وفهمه، أم أبعاد جدلية الأنا والآخر الضمنية التي لم تُصرَّح بها الذات الكاتبة صراحةً وفضَّلت تركها في حالة مُضمرة بُغية التجسيد من وقعها، أو من أجل أن تُخلف تأثيرًا بالغًا في ذهن الذات القارئة للأصل. تتطلَّب الأبعاد المُضمرة من الذات المُترجمة إعداد العدة التَرْجَمِيَّة الكافية، والتسلُّح بالوسائل التَرْجَمِيَّة اللازمة، بُغية فكِّ الخيوط التي نسجت بها الذات الكاتبة الذات المكتوبة، ومن ثمَّ الاهتداء إلى إجلائها والإفصاح عن مقصد قول الذات الكاتبة وإيصاله إلى الذات القارئة على وَجْهِ السَّدَاد. وبذا، تُجسَّدُ — في النُّسخة المنقولة إلى العربية — أبعاد جدلية الأنا والآخر المُبطَّنة في ثنايا الخطاب الروائي الجزائري المكتوب بالفرنسية.

(*) يتضمَّن المبحث الآتي (أي المبحث الثالث من هذا الفصل الثالث) جُزءًا من الإجابة، بالإضافة إلى خاتمة الدِّراسة ونتائجها.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الترجمة الاستراتيجية —

أما ثنائيات الترجمة وإعادة الترجمة، فتفسح لهذه الدراسة المجال لتقصي مكان الترجمات العربية للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، الصادرة في السياق ما بعد الاستعماري، ومُدارسة الترجمات المُعادّة والسياق التاريخي المُحدّد للحظة إنجازها، وفق مشروعها التّرجيّي ما بعد الاستعماري، وذلك بتحديد النّسخ التي استطاعت تجسيد أبعاد جدلية الأنا والآخر المبنوثة في ثنائيا الأصل، أو النّسخ التي ما زالت تستدعي ضحّ دماء جديدة، في خضم إعادة بعث سؤال الهوية وإثارة جدلية الأنا والآخر في حقبة ما بعد الاستعمار. وفي سياق تماهي الذات التّرجميّة (أي الذات الكاتبة، والذات المكتوبة، والذات المُترجمة، والذات القارئة) بعضهم بعضًا، تتساءل الدّراسة عن موضع الفعل التّرجيّي في ميزان الثنائيات التّرجميّة المطروحة؟ وبُغية إثارة أسئلة مُماثلة والإجابة عنها، سيضطلعُ المبحث الآتي بتقفي جدلية الأنا والآخر في مسار الترجمة الروائية، وذلك بسنّ مقارنة لترجمة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية إلى العربية ونقد ترجمتها.

3.3 المبحث الثالث:

جدلية الأنا والآخر في مسار الترجمة الروائية:

نحو مقارنة لترجمة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية إلى العربية ونقد ترجمتها

يسعى هذا المبحث إلى سنّ مقارنة لترجمة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية إلى العربية، خاصة الأعمال الصادرة في الحقبة الاستعمارية، ونقد ترجماتها العربية الصادرة في حقبة ما بعد الاستعمارية. وتتمحور نقاط هذه المقاربة حول:

- رسم المسارين التّحليلي والتّقدي.
 - ضبط المصطلحات التّرجميّة وقراءة في المفاهيم.
 - قراءة الذات الروائية المكتوبة الأصل وتفكيكها.
 - البحث عن الذات الكاتبة.
 - قراءة الذات الروائية المُترجمة وتفكيكها.
 - البحث عن الذات المُترجمة.
 - ضبط الاستراتيجية التّرجميّة المُنتهجة.
- وتضطلع نقاط هذه المقاربة بإسقاط التأمّلات التي استأثرت الفصول النَّظريّة الثلاثة بمُدَارستها، ممّهدّة الطريق للفصل التّطبيقي الرَّابع بُغية انتهاجها في أثناء سيرورتي التّحليل والتّقيد.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجمة واستراتيجياتها —

1.3.3 رَسْم المسارَيْن التَّحْلِيلِيَّ والنَّقْدِيَّ:

أُثِيرَت أسئلة شتى عن ترجمة الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية عامّة، مثلما أثارها عمار بلحسن، من بينها وَضْع هذه الترجمة وتداعياتها من حيث مكانة هذا الأدب في النّسق الأدبيّ الجزائريّ المعاصر، ومن حيث استقبال النّقّاد والكتّاب والمترجمين العرب لهذا الأدب ومواقفهم المؤثّرة في قراءته وترجمته ومدى إمكانية إدراجه في خانة الأدبيين الجزائريّ والعربيّ، وما يفترضه هذا الاندماج من تناصّ بين الأدبيين المكتوبين بالعربيّة والفرنسيّة⁽¹⁾. وفي سيرورة كتابة الرواية الجزائرية بالفرنسية على وجه التحديد، تُثارُ كذلك جدليّة الشّكل والمضمون، وعلاقة الفكر باللّغة، وعلاقة الأبنية العميقة بالأبنية السطحية، وعلاقة أنا المُتخيّل الجزائريّ بالمُتخيّل الآخر الفرنسيّ⁽²⁾. لقد كان وَضْع هذا الأدب بعد الاستقلال وضعا مُعَقَّدًا، لا سيّما في سياق الإنتاج الأدبيّ الجزائريّ الصادر في الحقبة ما بعد الاستعماريّة، نظرًا للخلفيات التاريخيّة والاجتماعيّة واللّغويّة والثّقافيّة التي خلّفها الاستعمار الفرنسيّ ومدرسته⁽³⁾ في جزائرها بعد الاستقلال. وفي رسم المسارَيْن التَّحْلِيلِيَّ والنَّقْدِيَّ، تنطلق هذه المقاربة من:

- الفصل الأوّل الموسوم عَنْوانه بـ جدليّة الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، ومباحثه التي استأثرت بضبط مُصطلحات جدليّة الأنا والآخر وقراءة في المفاهيم المنبثقة منها، من منظورات فلسفيّة وروائيّة وترجميّة، لا سيّما المبحث الثّالث الذي أبرزت فيه العلاقة الجدليّة بين الأنا والآخر في خطاب الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، في الحقبة الاستعماريّة، وتنبّعت فيه تجلّيات تحوّل الخطاب الروائيّ الجزائريّ، بخصوصيّاته ومرجعياته وأبعاده المختلفة، وفق تسلسل تاريخيّ (من 1936م إلى 1961م)، في ميزان جدليّة الأنا والآخر (راجع الفصل الأوّل).

- المحور الذي دارس جدليّة الأنا والآخر في منهج نقد الترجمة عند أنطوان بيرمان (راجع الفصل الثّاني، المبحث الثّاني). وتجب الإشارة، في هذا السياق، إلى أن هذه المقاربة تتبنّى هذا المنهج النّقديّ التّرجيميّ البيرونيّ بمراحله كافة، في ميزان جدليّة الأنا والآخر بأبعادها المختلفة.

⁽¹⁾ Amar BELLAHCENE, « LE RETOUR DU TEXTE : À propos de la traduction de la littérature algérienne d'expression française en langue arabe », in *LITTÉRATURES MAGHRÉBINES*, COLLOQUE JACQUELINE ARNAUD, Villetaneuse, les 2, 3 et 4 décembre 1987, Tome 1 : Perspectives générales, ITINÉRAIRES et CONTACTS de CULTURES, Volume 10, Paris, UNIVERSITÉ PARIS-NORD, Centre d'études littéraires francophones et comparées, Publication du Centre d'études francophones de l'université de Paris XIII, L'HARMATTAN, 1989, (pp. 173–180), p174.

⁽²⁾ يُنظر: الطيّب بودريالة، "ترجمة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية إلى العربية"، في: أهمية الترجمة وشروط إحيائها – الندوة الوطنية للترجمة: الجزائر يومي 17 – 18 جوان 2001م، المجلس الأعلى للغة العربيّة، الجزائر، 2004م، (ص. 107–126)، ص113.

⁽³⁾ Voir : Amar BELLAHCENE, *op. cit.*, p175.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجُمِيَّة واستراتيجياتها —

• كما تأخذ هذه المقاربة بأفكار المبحث الذي عالج جدلية الأنا والآخر في سياق نظريات الترجمة ما بعد الاستعمارية ومُخرجاته (راجع الفصل الثاني، المبحث الثالث)، بُغية ضبط المشروع التَّرجُمِيّ ما بعد الاستعماريّ الذي قامت عليه الترجمات العربية للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية في الحقبة الاستعمارية.

2.3.3 ضبط المصطلحات التَّرجُمِيَّة وقراءة في المفاهيم:

تقتضي ترجمة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، إلى العربية، ضبطاً مُصطلحيّاً لغويّاً وتَرْجُمِيّاً قائماً على طبيعتها الفدّة، وقراءةً في المفاهيم العِلْمِيَّة والفلسفيَّة التي تنطوي عليها تلك المصطلحات بما يتوافق وأبعاد جدلية الأنا والآخر الماثوثة في هذه الرواية. وفي مرحلة الضبط المُصطلحيّ المؤسَّسة لبنية هذه الدِّراسة التَّطبيقيَّة، تتمحورُ المقاربة حول المصطلحات التَّرجُمِيَّة الآتية:

- مصطلح الكتابة بلُغة الآخر.
- مصطلح عودة النَّصِّ إلى منبعه.
- مصطلح الرحلة الثَّانيَّة والعودة إلى الأصل.
- مصطلح البيلدونغ *La Bildung*.
- مصطلح البَيْنِيَّة (الفضاء البَيْنِيّ).
- مصطلح العودة الأسطوريَّة.

تُوضَع هذه المصطلحات التَّرجُمِيَّة جميعها في ميزان جدلية الأنا والآخر، سواءً الماثوثة في ثنايا الذات الروائيَّة المكتوبة (النَّصّ الروائيّ الأصل المكتوب بالفرنسيَّة ونتاج الترجمة العربيَّة على حدِّ سواء)، بأبعادها وخصوصيّاتها وتجليّاتها ومرجعياتها المختلفة، أو تلك المتأصِّلة في الدوات التَّرجُمِيَّة الأخرى (أي الذات الكاتبة، والذات المُترجمة، والذات القارئة) في حدِّ ذاتها.

1.2.3.3 مصطلح الكتابة بلُغة الآخر:

استعارَ الروائيُّون الجزائريُّون — مُجبرين — اللُّغة الفرنسيَّة للتعبير عن هُويَّتهم الدينيَّة والوطنيَّة، وخصوصياتهم الثَّقافيَّة والاجتماعيَّة، وآمالهم السياسيَّة بُغية تحقيق الحرية. لقد انتهج الاستعمار الفرنسيّ سياسة الاستئصال الثَّقافيّ والهويّاتيّ، وفرض لُغته وثقافته وحضارته على الشَّعب الجزائريّ برمته (لا سيَّما طبقة المثقَّفين من الأدباء والشُّعراء والروائيِّين... وغيرهم) بُغية تشكيلهم وفق الرؤية

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجمة واستراتيجياتها —

الاستعمارية الفرنسية وأهدافها⁽¹⁾. وفي سياق استقبال المترجمين والنقاد العرب للأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية في الحقبة الاستعمارية وتلقّهم له، يُفصّل المترجم السوري سامي الدروبي (مترجم ثلاثية محمد ديب إلى العربية، راجع الملحق (7)) في جدلية التعبير باللغة الأم والتعبير باللغة الفرنسية، لغة المستعمر، ومأساة الكتّاب الجزائريين الذين استعاروا اللسان الفرنسي للإفصاح عن أحزانهم وآلامهم ومكنوناتهم، ومأساة الكتابة بلغة ليست هي اللغة التي خلقت لتعبر عن ذواتهم وكيانهم وهويّتهم. ثمّ تطرّق المترجم السوري سامي الدروبي إلى صيحات الشاعر والروائي الجزائري مالك حدّاد (راجع الملحق (4)) ومواقفه من التعبير بلغة الآخر الفرنسي، مُستحضراً عباراته التي بثّها في قصائده نحو: مأساة اللغة، ومعقود اللسان⁽²⁾، تعبيراً عن حزنه لعدم امتلاكه سلاح التعبير بلغته الأم (أي العربية).

يرى عمار بلحسن، في تعقيبه على تقديم المترجم سامي الدروبي، أن هذا المترجم السوري قد ضبط موقع الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية في سياقه التاريخي، أي في سياق الحقبة الاستعمارية المتسمة بالسلب الثقافي والتجريد اللغوي، فكانت استعارة هؤلاء الكتّاب الجزائريين، العرب والقوميين على حدّ تعبير سامي الدروبي، للغة الفرنسية حتمية فرضها الوضع الاستعماري الذي جرّدهم من الكتابة بلغتهم الأم، أي الكتابة باللغة العربية. إنّ استعارة (اقتراض) أولئك الكتّاب اللغة الفرنسية أداة للتعبير لا تعني بأي حال من الأحوال استعارة هوية فرنسية (استعمارية) على حساب الهوية الجزائرية⁽³⁾، وما صاحب هذه الاستعارة من تداعيات، خالقة — في صلبها — جدلية الأنا والآخر.

تتمثّل جدلية الأنا والآخر عند الكتّاب الجزائريين — وفق الطيب بودريالة — ومأساة هذه النخبة في التعبير بالفرنسية في مسلكين أحلاهما مرّ⁽⁴⁾:

- مسلك أول: إمّا التجذّر في الهوية الثقافية الأصلية والذوبان فيها (وهذا بعيد المنال وفق الطيب بودريالة لأن المدرسة حققت القطيعة مع الأصل على حدّ تعبيره).
- مسلك ثانٍ: إمّا مُعانقة الآخر والتماهي إيّاه في كل شيء، وهذا كذلك صعب المنال حسب الطيب بودريالة لأن النظام الاستعماري الفرنسي يقوم، في صلبه، على رفض الآخر، ولأن الأديب الجزائري فرع مُتجذّر في شجرة الأمة.

(1) يُنظر: الطيب بودريالة، المرجع السابق، ص 111.

(2) يُنظر: محمد ديب، الدار الكبيرة، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص 7-9.

(3) Voir : Amar BELLAHCENE, *op. cit.*, p177-178.

(4) يُنظر: الطيب بودريالة، المرجع السابق، ص 111.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجماتية واستراتيجياتها —

بالرغم من شرعيته الأيديولوجية بوصفه نصًا محفوظًا في ذاكرة الخطابين الوطني والقومي، وتمثيله المشروع الوطني الجزائري التحرري، وإسهامه في تشكيل المكون الرمزي للشعب الجزائري، وإثارته موضوعات عن الهوية والحرية والثورة الجزائرية؛ ظلّ الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية أسير صورة الفرنسية بوصفها لغة وثقافة تحمل في ظاهرها الخلفية الاستعمارية⁽¹⁾، ما يطرح تساؤلاتٍ عدّة حول تلقي هذا الأدب واستقباله في اللغة العربية. وفي سياق تحليلية الترجمة والفعل الترجمي (une *analytique de la traduction et du traduire*) عند بيرمان، على الصعيد النفسي تحديدًا، تُعدّ الذات المترجمة ذاتًا متناقضة (متضاربة في قراراتها وخياراتها)، تُريد أن تفرض نفسها على كلا الجانبين: إجبار لغتها على إقبال كاهلها بالغرابة (à se lester d'étrangeté)، وإجبار اللغة الأخرى على ترحيلها (أن تُرحّل) إلى لغتها الأم (à se dé-porter dans sa langue maternelle). تُريد أن تكون ذاتًا كاتبة لكنها مجرد ذات كاتبة ثانية، يعدّها البعض ذاتًا مؤلفة ولكنها ليست الذات المؤلفة الأصل – ولا يمكنها أن تكون كذلك مطلقًا – يُعدّ عملها الترجمي (الناتج عن الترجمة) عملاً فنيًا وإبداعيًا ولكنه ليس العمل الأصل. يطرح بيرمان هذه التساؤلات المتضاربة في نسقٍ أيديولوجي تتجاوزه جدلية الأنا والآخر، واضعًا إياها في كفة ميزان تشويه الغاية الترجماتية الصرفة (la pure visée traductrice)⁽²⁾.

وبُغية التوسّع في شرح عبارة: إجبار الذات المترجمة اللغة الأخرى على ترحيلها (أن تُرحّل) إلى لغتها الأم، يلجأ بيرمان إلى الهامش (مُستندًا إلى مقالٍ مُعنون بـ: «أكتب، لكن بأي لغة؟»، من جريدة لوموند Le Monde، نُشر بتاريخ: 11-03-1983م) لي طرح – على لسان كاتب المقال – النقاط الآتية⁽³⁾:

- يُمكننا مقارنة هذا الموقف (أي موقف إجبار الذات المترجمة اللغة الأخرى على أن تُرحّل إلى لغتها الأم) بموقف الكتّاب غير الفرنسيين الذين يكتبون بالفرنسية، ويتعلّق الأمر بأدب البلدان الناطقة بالفرنسية، والأعمال المكتوبة بلُغتنا من كُتاب لا ينتمون إطلاقًا إلى المناطق الناطقة بالفرنسية مثل بيكيت Beckett.

- سنجمع نَفَثاتُ الأقلام هذه (الإنتاج الأدبي) ونُدرجها في فئة الفرنسية الأجنبية (français)

(1) Voir : Amar BELLAHCENE, *op. cit.*, p175.

(2) Voir : Antoine BERMAN, *L'épreuve de l'étranger*, *op. cit.*, p18–19.

(3) Voir : « Écrire, mais dans quelle langue ? ». *Le Monde*, 11-3-1983. In Antoine BERMAN, *L'épreuve de l'étranger*, *op. cit.*, p18–19. Voir ce site : https://www.lemonde.fr/archives/article/1983/03/11/ecrire-mais-dans-quelle-langue_2841445_1819218.html.

— الفصل الثالث: — جليّة الأنا والآخر في ميزان التّرجيّة واستراتيجيّاتها —

(étranger)، لقد كُتبت هذه الأعمال باللّغة الفرنسيّة مِنْ كُتّاب أجنبيّ (étrangers)، وهي أعمال حاملة أثر هذه الغرابة في لغتها وموضوعاتها. تُشبه لغتهم الفرنسيّة (أي لغة أولئك الكُتّاب الأجنبيّ) أحياناً فرنسيّة الفرنسيّين المتداوِّلة في فرنسا، تفصلهم هُوّة (فُجّة) — حسّاسة إلى حدٍّ ما — عن لغتهم مثل الهُوّة (الفُجّة) التي تفصلُ لغتنا الفرنسيّة عن المقاطع المكتوبة بالفرنسيّة التي تتطرّق إلى الحرب والسلم والجبال الساحرة.

• تُحافظُ هذه الفرنسيّة الأجنبيّة على علاقةٍ وثيقةٍ بالفرنسيّة المتأثّية مِنْ جرّاء الترجمة. لدينا أجنبيّ يكتبون بالفرنسيّة وَمِنْ ثَمَّ يطبعون لغتنا ختم غرابتهم (الكُتّاب الجزائريّون الذين يخطّون بالفرنسيّة أنموذجاً)، كما لدينا أعمال أجنبيّة أُعيد كتابتها بالفرنسيّة تأتي لتسكن لغتنا وتعيش بين أركانها واسمّةً إيّاها — كذلك — بغرابتها.

• تُوظّفُ الأعمال المكتوبة بالفرنسيّة، بوصفها أعمالاً أجنبيّة، لغةً فرنسيّة هامشيّة (un français périphérique) ذات طابعٍ عاميّ (de type vernaculaire)، أي لهجة محليّة "محكيّة دارجة"، تُرَجَّبُ بالتعبير الشعبيّ (l'expressivité populaire) وتحتضنه (راجع الفصل الرّابع).

• بما أن هذه الأعمال مكتوبة بالفرنسيّة، فهي تستخدمُ فرنسيّةً هجينةً كأنّها تُظهرُ معارضتها للفرنسيّة الاستعماريّة، وهذا ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوب المقاومة، مُتجاهلةً استخدام فرنسيّة أشدّ نقاءً (un français plus pur) مثل الفرنسيّة الصّرفة (الأصل) المتداوِّلة في فرنسا (راجع الفصل الرّابع).

• يبدو النّصّ الفرنسيّ الأجنبيّ (أي المكتوب بالفرنسيّة) آخرًا (autre) مُقارنةً بالنّصّ الفرنسيّ الأصل الموجود بفرنسا.

• تُشابهُ سيرورة الكتابة باللّغة الفرنسيّة عند الكُتّاب الجزائريّين سيرورة الترجمة، إذ يتقمّص فيها الكاتب الجزائريّ دور المترجم الذي يُواجه نصًّا أجنبيًّا آخرًا (autre) (*)، فيعمدُ إلى الدفاع عن لغته (بتحاشي الإفراط في توظيف الفرنسيّة surfrancisation) وفتحها على العنصر الأجنبيّ (اللهجة الجزائريّة المحليّة)⁽¹⁾.

(*) أشارت الباحثة ريم زموشي إلى وجود تشابهٍ بين استراتيجيّة التغريب في الترجمة واستراتيجيّة الكتابة ما بعد الاستعماريّة (الهجنة)، مُسجّلةً استفحال ظاهرة الاقتراض في الكتابة ما بعد الاستعماريّة وتبادل الأدوار بين المترجم والكاتب ما بعد الاستعماريّ وتشابهها، لا سيّما في مسألة إثارة التجربة الغريبة التي تغمّر القارئ وتُشعره بغرابة النّصّ، بالاحتفاظ بسمات الأصل الأجنبيّ. وقد أكدت الباحثة على هُجنة النّصّ الروائيّ الجزائريّ المكتوب بالفرنسيّة. يُنظر: ريم زموشي، إشراف: أ. د رشيد قريبع، «الأدب الجزائريّ المكتوب باللّغة الفرنسيّة من منظور ما بعد استعماريّ: فضاء الهجنة والترجمة الثقافية — دراسة وصفية تحليليّة "اختفاء اللّغة الفرنسيّة" لآسيا جبار أنموذجاً»، مذكرة مُقدّمة لنيل درجة الماجستير في الترجمة، كلية الآداب واللّغات، قسم الترجمة، مدرسة الدكتوراه، جامعة منتوري — قسنطينة، الجزائر، السّنة الجامعيّة: 2013م/2014م، ص45-46، ص65-88.

(1) Voir : Écrire, mais dans quelle langue ?, op. cit.

— الفصل الثالث: — جِلَّةُ الأنا والآخَر في ميزان المُمارَسَةِ التَّرْجُمِيَّةِ واسْتِراجِيَّاتِهَا —

وهذا ما استنتجته مالك حَدَّاد مِنْ جَرَّاءِ تَجاذبه أطراف الحديث وَكُتَّابًا مِنْ فرنسا، سواءً أكانوا أصدقاءً أم خُصُومًا، إذ كان النَّقاش يدورُ بينهم بالفرنسيَّة ومع ذلك يجزمُ مالك حَدَّاد أنهم لم يكونوا يتحدثون اللُّغة نفسها، لأنَّه كان يشحُّنُ كلماته بمضامين ثقيلة الوطأة ويُلْبِسُها معانٍ لا تستطيعُ العبارة الفرنسيَّة تحمُّلُها، وَمِنْ ثَمَّ تتعدَّرُ ترجمتها — على وجه الكمال — ترجمةً وَفِيَّةً وسديدةً⁽¹⁾.

وفي هذا السياق، يُصْرِّحُ مالك حَدَّاد:

« *Nous nous faisons comprendre. Les mots, nos matériaux quotidiens, ne sont pas à la hauteur de nos idées et encore bien moins de nos sentiments.* »

Il n'y a qu'une correspondance approximative entre notre pensée d'Arabes et notre vocabulaire de Français.

Voilà la raison majeure de ce manège désolé qui fait que LES ZÉROS TOURNENT EN ROND. »⁽²⁾.

« يفهمُ بعضنا بعضًا، بيد أن كلماتنا وَعُدَّتْنا اللُّغويَّة اليوميَّة لا ترقى إلى مستوى أفكارنا، بل أقلَّ مما تكتنه مشاعرنا. ليس ثَمَّةَ سوى تطابق تقريبي بين فكرنا العربيِّ ومفرداتنا الفرنسيَّة. ذلكم السبب الرئيس لهذه الدُّوامة البائسة التي تجعلُ الأصفار تدورُ في حلقاتٍ مُفَرَّغَةٍ » (تَرْجَمَتُنَا).

ويُلجُّ مالك حَدَّاد على مُصطلح الذهنيَّة (mentalité) التي تُكوِّنُ الكاتب الجزائري منذ نشأته، وتُميِّزُ ترسَّانته اللُّغويَّة، ولمساته الإبداعِيَّة، وَعُدَّتْه الأدبيَّة. إذ يُوضِّحُ، حول الكتابة بالفرنسيَّة، قائلاً:

« *Nous écrivons le français, nous n'écrivons pas en français.* »⁽³⁾.

« نكتبُ الفرنسيَّة، ولكنَّا لا نكتبُ بالفرنسيَّة. » (تَرْجَمَتُنَا).

وكَلِّما لجأ إلى التعبير بالفرنسيَّة في تعاملاته اليوميَّة، يُراوده حنينه إلى لُغته الأم (أي العربيَّة). صحيح أن المُغترب قد يُحبُّ البلد الذي يُقيم فيه، وقد يُتقنُ لُغته ويُعجب بها، لكنَّه لن يستطيع أن يكون أحد أبناء ذلك البلد طَوْعًا أو كَرْهًا. وفي هذا السياق، يُصْرِّحُ مالك حَدَّاد:

(1) Voir : Malek HADDAD, *écoute et je t'appelle*, op. cit., p34.

(2) Ibid., p34–35.

(3) Ibid., p35.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجماتية واستراتيجياتها —

« J'aime Aix-en-Provence, mais je ne suis pas aixois. »⁽¹⁾.

«أحبُّ مدينة أكس أون بروفانس، لكنني لست إيكسيًّا.» (ترجمتُنا).

يُخلصُ، بناءً على ما سلف، إلى أن الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية في الحقبة الاستعمارية قائمة — وفق آراء الطيب بودريالة وتحليلاته — على إحدى ضروب الترجمة للنصّ الأصل، هذا النصّ المتضمن عادات وتقاليد وأساطير وثقافات الأنا الجزائرية الخالصة، ومن ثمّ تُصبح اللغة الفرنسية وعاءً يحتضن هذه الفسيفساء ويسهر على هيكلتها. وعلى هذا الأساس، تُعدُّ علاقة اللغة الأم بلغة الآخر علاقةً تحكمها قواعد الإقصاء والتنافر والصراع، إذ يُخيّل للذات الكاتبة الجزائرية أنّ لغة الأم (أي العربية) هي المنتصرة بإخصابها الموروث الثقافيّ الجزائريّ بمكوناته كافة، إنها كتابة الفناء المحققة، في الوقت نفسه، للبقاء على حدّ تعبير الطيب بودريالة⁽²⁾.

2.2.3.3 مصطلح عودة النصّ إلى منبعه:

وفي تقفي مسار عودة النصّ الروائيّ الجزائريّ المكتوب بالفرنسية إلى منبعه، نأخذُ بتصريح المترجم السوريّ سامي الدروبي القائل: «ولقد أنصف ذلك الناقد الفرنسي الذي قال في مقدمة كتبها لإحدى روايات (كاتب ياسين) ما فحواه: يجب أن نعد هذا الكتاب رواية عربية مترجمة إلى اللغة الفرنسية، لا لأن أبطالها عرب، ولا لأن أحداثها تجري في أرض عربية، ولا لأن مدارها على الآلام التي يتحملها العرب في الجزائر وعلى الآمال التي تجيش في صدورهم، بل أولاً وقبل كل شيء لأن العقل الذي أنجبها عقل عربي، له أسلوبه الخاص في كل شيء، في النظر إلى الأمور، في الإحساس بالمشكلات، في معاناة الحياة، بل حتى في تصور الزمان والمكان.»⁽³⁾.

وفي تعقيبه على تقديم سامي الدروبي، يُنوّه عمار بلحسن بتقدير الدروبي واقعية هذا الأدب ورؤيته الثورية التي ترسم صورةً حقيقيةً عن الوضع الاستعماريّ في الجزائر. وعلى هذا النحو، تكون ترجمة هذا الأدب خيانةً مزدوجة. بالرغم من اللغة التي خُطت بها تلك الأعمال الأدبية، يظلّ الأدب الجزائريّ المكتوب بالفرنسية — في حدّ ذاته — ترجمةً قائمةً بذاتها، لأن أحداثه، وشخصياته، وإجراءاته الشكلية، وبنياته التخيلية، ورؤى الزمان والمكان، وغيرها من الآثار: تُحيلُ جميعها إلى البيئة الثقافية

⁽¹⁾ Malek HADDAD, *écoute et je t'appelle*, op. cit., p36.

⁽²⁾ يُنظر: الطيب بودريالة، المرجع السابق، ص112-113.

⁽³⁾ محمد ديب، الدار الكبيرة، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص10.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجمائية واستراتيجياتها —

العربية والإسلامية⁽¹⁾. وفي هذا السياق يُصريحُ عمار بلحسن:

« Ainsi nous sommes devant une traduction paradoxale, un double malaise, une traduction de la traduction, un retour du texte au bercail originaire et originel. »⁽²⁾.

«وعلى هذا النحو، نواجهُ ترجمةً مُتناقضة، وأزمةً مُزدوجة، وترجمةً للترجمة، وعودة النصّ إلى منبعه (منشئه) الأصل.» (ترجمتُنا).

تُعَدُّ عودة النصّ الجزائري (le retour du texte algérien) المكتوب بالفرنسية إلى العربية إبداعاً فريداً بحدّ ذاته أو إعادة خلقٍ جديد، تولّد تناقفاً باطنياً (acculturation interne) تعودُ فيه الأنا إلى منشئها (العربي) الأصل بعدما كُتبت بلُغة الآخر (الفرنسي). وفي إشارةٍ منه إلى اكتشاف أولئك المُترجمين العرب (أمثال: سامي الدروبي، ومُلك أبيض العيسى، وصالح القرمادي... وغيرهم) شرعيةً الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، خاصّة في مرجعياته الثقافيّة المبتوثة في ثنياه، وفي إخلاصه في التعبير عن الأنا والثورة الجزائريّتين؛ يرى عمار بلحسن أن ترجمة هذا الأدب واستعادته مرّة ثانية تندرجُ في مشروعٍ قوميّ عربيّ، وهذا ما دفع المثقفين العرب إلى اتّخاذه سبيلاً من سُبُل دعم الثّورة الجزائريّة والتّعريف بها، لذا صدرت هذه الترجمات بكثرة في الستينيّات ثُمَّ بدأت في التراجع بعد الاستقلال، ممّا طرحَ مشكلة عودة النصّ إلى منبعه مرّة أخرى⁽³⁾، ومَنْ يتولى زمام ترجمة هذا الأدب إلى العربية مُستقبلاً، أي في حقبة ما بعد الاستعمارِيّة.

3.2.3.3 مصطلحا الرحلة الثّانية والعودة إلى الأصل:

أن تُغادر الفكرة لُغتها الأمّ فهذا يعني أنها ترحّل وتترجّل وتهجرُ أرض تلك اللُغة إلى أرضٍ لُغةٍ أخرى، وما يُصاحِبُ مسار هذه الرحلة والهجرة من تداعيات، فقد تكون مجازفةً (محفوفةً بالمخاطر) غير مضمونة النتائج، فهي استنباتُ نباتٍ في تربةٍ غير تربته، ومناخٍ غير مناخه، وبيئةٍ لا تتوفّر فيها العواملُ الضّروريّة (أي لا تهيأ لهذا النبات الظروف الملائمة) لينمو بشكله الطبيعي. وهي كذلك تبه شخص في وطنٍ غريب عن وطنه الأمّ، ما يجعله يُحسُّ بالاغتراب (dépaysement). بين أرضنة الفكر وأقلمة

(1) Voir : Amar BELLAHCENE, *op. cit.*, p177–178.

(2) *Ibid.*, p177.

(3) Voir : *Ibid.*, p178–180.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجماتية واستراتيجياتها —

الشخص، وبين نقل الأفكار وهجرة الأشخاص⁽¹⁾، تتجلى جدلية الأنا والآخر في عودة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية إلى أصلها، وهنا تتساءل الدراسة: هل جسدت الترجمة العربية للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، الصادرة في الحقبة الاستعمارية، جدلية الأنا والآخر المبنوثة فيها، في سياق حقبة ما بعد الاستعمارية؟ وفي مسار إعادة نقل هذه الرواية إلى اللغة العربية — الذي يُعدُّ بمنزلة ارتحالٍ ثانٍ لها — هل كان مسلك هذه العودة آمنًا ومضمون النتائج؟

وفي ختام تحليل بيرمان للمبادئ التي نظمت ترجمة هولدرلين Hölderlin لسوفوكليس Sophocle ونسقتها، يؤكد بيرمان أن هولدرلين قد نقل إلينا شيئًا أساسيًا يتعلّق بجوهر الترجمة، أي الترجمة بوصفها تجليًا لأصل الأصل (*la traduction comme manifestation de l'origine de l'original*)، مُستعيرًا عبارات جان بوفري Jean Beaufret التي يقول فيها: إنّ الترجمة تغريب يُعيد إلى الوطن (*dépaysement qui rapatrie*)⁽²⁾، وهنا تبرزُ مصطلحات الرحلة الثنائية والتغريب الذي يُعيد إلى الوطن الأصل في ترجمة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية (في الحقبة الاستعمارية) إلى العربية (في حقبة ما بعد الاستعمارية).

4.2.3.3 مصطلح البيلدونغ La Bildung:

استُدْرَجَ هذا المصطلح إلى هذه الدراسة التطبيقية من جِراء فحص أنطوان بيرمان ترجمة هولدرلين Hölderlin لمسرحيتين تراجيديتين لسوفوكليس Sophocle، فقد كانت الحقبة التي أصدر فيها هولدرلين ترجماته حقبة الترجمات العظيمة بألمانيا، وكان فعل الترجمة وقتئذٍ يُعدُّ من اللحظات الأساس لبناء الثقافة وتشكيل البيلدونغ (*La Bildung*) وتأسيسهما معًا. وقتها طرّحت ألمانيا الرومانسية والكلاسيكية مُسلّمةً مُطلقةً مُفادها استحالة وجود أيّ ثقافة وطنية (*nationale*) من دون المرور عبر الأجنبي (*l'étranger*)، وتؤدي سيرورة الترجمة في هذا الصدد دورًا مهمًا ضمن حلقة دائرية أركانها:

خاصّ — أجنبيّ — خاصّ (*propre-étranger-propre*)⁽³⁾.

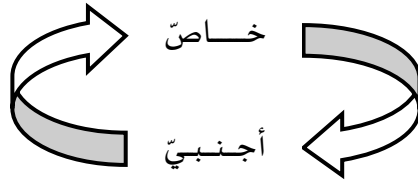
(1) يُنظر: محمد جديدي، الترجمة: رؤية فلسفية، المرجع السابق، ص146.

(2) أنطوان برمان، المرجع السابق، ص127 (Antoine BERMAN, *La Traduction et la Lettre*, op. cit., p95-96).

(3) يُنظر: المرجع نفسه، ص114.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة التَّرجُمِيَّة واستراتيجياتها —

وفي خضم الحركة الدائريَّة للبيلدونغ (La Bildung):



يَضَعُ هولدرلين Hölderlin حركتين مُتزامنتين إحداهما في اتِّجَاه الأُخرى، وهما: التعرُّف على الغريب وتعلُّم ما هو خصوصي، بحيث تُصَحِّح كل حركةٍ مِنْ هذه الحركات ما هو مُبالغ فيه لدى الحركة الأُخرى، كما يُفَجِّرُ هذا القانون الجديد الإيقاع الجدلي للبيلدونغ (Bildung)، وعلى هذا النَّحو تُفَجِّرُ الوظيفة الإنسانيَّة للترجمة⁽¹⁾. وفي نقل هذا المصطلح إلى العربيَّة، يستعيرُ (يقترضُ) غسان لطفي مصطلح الـ (Bildung) في العربيَّة بصيغة: البيلدونغ، مُستخلصًا أن هذا المصطلح يعني: «العملية التي تمنح شيئًا ما — فردًا كان أم أمة أم عملاً أدبيًّا أو إبداعِيًّا — كينونة وشكلًا»⁽²⁾، ويشملُ هذا التَّعريف — على هذا النَّحو — اللُّغة، والأعمال الأدبيَّة، والفنون الإبداعِيَّة المُختلفة⁽³⁾. في حين يُترجمُ عز الدين الخطابي مُصطلح الـ (Bildung) إلى العربيَّة بـ: ثقافة إنسيَّة⁽⁴⁾، كما يُعزِّزُ عنه في مواضع أُخرى بمصطلح: الثَّقافة⁽⁵⁾.

ينطوي مصطلح البيلدونغ (Bildung) على مفاهيم محوريَّة في الثَّقافة الألمانيَّة ذاع صيتها في نهاية القرن الثَّامن عشر ويعني الثَّقافة بصفة عامَّة، ويُمكنُ عَدُّه الرُّوج اللَّفْظيَّ الجرْمانيَّ المُرادِف لكلمة Kultur، وهي مِنْ أصلٍ لاتينيٍّ. ولكنَّ يحملُ هذا المصطلح، بناءً على العائلة المعجميَّة التي ينتمي إليها، دلالات كثيرة، وينطبقُ على سَجَلاتٍ عديدة، إذ يُمكنُ للمرء التطرُّق لمصطلح البيلدونغ (Bildung) في أثناء سيرورة مُدارسة عملٍ فنيٍّ مُعيَّن، أو نشاطٍ إبداعِيٍّ ما، وتتبعُ درجة تشكُّلها أو تكوينها. كما يحملُ مصطلح البيلدونغ (Bildung) في أثناء سيرورتي التَّكوين والتَّعليم دلالتين إحداهما بيداغوجيَّة وأُخرى تربويَّة. ويُلَخِّصُ هذا المفهوم تصوُّر الثَّقافة الألمانيَّة لنفسها (لذاتها)، في ذلك الوقت، والكيفيَّة التي تُفسَّرُ بها (الثَّقافة الألمانيَّة) بَسْطَ نفوذها ومدى انتشارها، فالبيلدونغ (Bildung) — وفق تحليل بيرمان

(1) يُنظر: أنطوان برمان، المرجع السابق، ص116.

(2) غسان لطفي، المرجع السابق، ص59.

(3) Voir : Antoine BERMAN, L'épreuve de l'étranger, op. cit., p73.

(4) يُنظر: أنطوان برمان، المرجع السابق، ص102.

(5) يُنظر: المرجع نفسه، ص116.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة التجريبية واستراتيجياتها —

وتأملاته — هو السيرورة (العملية) ونتاجها على حدٍ سواء⁽¹⁾.

يرى هايدغر Heidegger، في تعريفه مصطلح البيلدونغ (*Bildung*)، أن وجود العقل في ذاته (*l'être-en-soi-même de l'esprit*) يستدعي — أولاً وقبل كل شيء — العودة إلى الذات (*le retour à soi*)، ولا يمكن أن تتحقق هذه العودة إلا من الوجود خارج الذات (*l'être-hors-de-soi*)⁽²⁾. بناءً على الصّعيدين التاريخي والثقافي، يختلف تفسير الكتاب للمبدأ التأملي لمفهوم البيلدونغ (*La Bildung*)، إذ يُعدُّ سيرورة ذاتية (*un auto-processus*) تُعنى بالأنا (*même*) التي تنتشر (تنتج *se déploie*) حتى تُدرك أبعادها الكاملة. ومفهوم التجربة، في هذا المقام، هو المفهوم الأسعي الذي ولده الفكر الألمانيّ آنذاك لتفسير هذه العملية، وقد اجتثَّ هيغل Hegel جذور مفهوم التجربة من المعنى الضيق الذي منحه إيَّاه كانط (Kant)⁽³⁾.

يحتضن مفهوم التجربة (في اشتماله على مصطلح البيلدونغ *La Bildung*) التوسّع واللائيائية، والتجربة في هذا السياق معبّرٌ من الخاصّ إلى العامّ، واختبارٌ للانشطار والمنتهي والمشروط، ورحلة أو نُزْهة أو هجرة؛ يسعى جوهرها إلى إلقاء الأنا (*même*) في البُعْد الذي سيحوّلها فيما بعد إلى شيء آخر، إنّها حركة الأنا (*même*) التي تجد نفسها مُتحوّلةً إلى آخر (*autre*) ومُتغيّرةً إليه. وبوصف البيلدونغ رحلةً، تُعدُّ هذه الرحلة تجربةً مُستمدةً من آخرية العالم (*de l'altérité du monde*) بُغية الوصول إلى ما يُعرف تحت ستار صيرورة الآخر (*d'un devenir-autre*) ما هي في الحقيقة إلا صيرورة للذات (*un devenir-soi*)، بحيث يجبُ على الأنا (*le même*) أن تخوض تجربةً فيما ليس لها فيه خبرة، أو تبدو على الأقلّ كأنّها خاضت تلك التجربة. أمّا بخصوص التّزعة المثاليّة، فتكمن التجربة النّاجحة في أن تصبح ذاتاً من الآخر (صيرورة الذات من الآخر *le devenir-soi de l'autre*) وأن تصبح آخرًا من الأنا (صيرورة الآخر من الأنا *le devenir-autre du même*)⁽⁴⁾.

تتشكّل الذات (*soi*) باختبار الغيرية (*l'épreuve de l'altérité*)، وبوصفه طريقًا من الأنا تجاه الأنا نفسها (*du même vers lui-même*) وتجربةً فدّةً، يتخذ البيلدونغ (*La Bildung*) شكل رواية، فالرواية هي تجربة الغرابة الظاهرة للعالم والغرابة الظاهرة للأنا إزاء الأنا نفسها (*du même à lui-même*)

(1) Voir : Antoine BERMAN, *L'épreuve de l'étranger*, op. cit., p72–73.

(2) Voir : Heidegger, *Approche de Hölderlin*, Paris, Gallimard, 1973, p114. Cité par : Antoine BERMAN, *L'épreuve de l'étranger*, op. cit., p73–74.

(3) Voir : Antoine BERMAN, *L'épreuve de l'étranger*, op. cit., p74.

(4) Voir : *Ibid.*, p74.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجموية واستراتيجياتها —

(même). ومن صُلب الرواية تتأثّر الثنائيات القطبية مثلما يُعرّفها غوته Goethe والرومانسيين بأنّها: العاديّ والعجائبيّ (أو الغرائبيّ أحد أوجه الغرابة l'étrangeté)، القريب والبعيد، المعروف والمجهول، المنتهي والأبديّ، الأنا والآخر⁽¹⁾.

وفي علاقة مصطلح البيلدونغ (Bildung) بالترجمة، يُحاول بيرمان إبراز أن الترجمة، بوصفها طرازًا لإقامة علاقة بالأجنبيّ، علامةٌ مُسجّلةٌ بنيويًا في حلقة البيلدونغ (Bildung). ويستأثّر البيلدونغ بشدّة (بنحوٍ وثيقٍ) بحركة الترجمة، لأن حركة الترجمة تبدأ من الخاصّ (du propre)، أي من الأنا (du même)، من الذات، من المعلوم والعادي والمألوف؛ بغية الذهاب إلى الأجنبيّ (l'étranger)، إلى الآخر (l'autre)، إلى المجهول، إلى العجائبيّ والغرائبيّ، إلى المخيف والغريب والخارق للطبيعة. ومن هذه التجربة، يعود مسار هذه الحركة إلى نقطة بدايته وانطلاقه⁽²⁾.

لا يتوقّف المرء عن الخروج من نفسه باحثًا عن مُكمّلٍ لكيانه الأكثر حميميّةً والعثور عليه في أعماق كيان الآخرين، ويكمن جوهر الروح في أن تُحدّد نفسها وأن تخرج من ذاتها (de soi) ثمّ تعود إلى ذاتها (en soi-même) من جديد، في حركة تناوبٍ دائمٍ ومُستمرٍ. تنطوي هذه الطبيعة الحلقية والدورية والمتناوبة للبيلدونغ (Bildung) — في حدّ ذاتها — على شيء من الترجمة مثل التوضع فيما وراء الذات (un se-posser-au-delà-de-soi)، لذلك كانت أهمية الترجمة بالنسبة للثقافة الألمانية في نهاية القرن الثامن عشر مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بمفهومها عن نفسها (أي التصوّر الذي تُطلقه على نفسها) والمستوحى من التجربة. ونظرًا لأن الأجنبيّ يتمتع بوظيفة وسيطة، يُمكن أن تصبح الترجمة أحد وكلاء البيلدونغ (La Bildung)⁽³⁾.

وتُعدّ سيرورة الانتقال من الأنا إلى الآخر سيرورةً تُشاكل حركة البيلدونغ (La Bildung) بحكم طبيعته القائمة على التجربة، فالبيلدونغ مغامرة تُوصف بالجولة الكبرى (Le grand tour) وفق اصطلاح فريدريش شليجل (Friedrich Schlegel)، يكون الذهاب فيها من الأنا إلى الآخر ثمّ العودة إلى الأنا⁽⁴⁾. وإذا كانت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، في الحقبة الاستعمارية، ترجمةً ثانيةً (راجع مُصطلحات: الكتابة بلغة الآخر، وعودة النصّ إلى منبعه، والرحلة الثانية والعودة إلى الأصل المُشار إليها أعلاه،

(1) Voir : Antoine BERMAN, *L'épreuve de l'étranger*, op. cit., p75.

(2) Voir : *Ibid.*, p72-77.

(3) Voir : *Ibid.*, p78-79.

(4) Voir : *Ibid.*, p80.

— الفصل الثالث: — جليّة الأنا والآخر في ميزان التّرجمة واستراتيجياتها —

ومُصطلحي: البينيّة والعودة الأسطوريّة المُشار إليهما أدناه)، فإن سيرورة عودتها إلى الأصل تشقّ مسارَ فضاء ثلاثيّ الأبعاد، كأنّه «ترجمةُ ترجمةٍ للترجمة»، وهذا ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوبِ الجولة الكبرى الشليجيليّة (نسبة إلى فريدريش شليجل)⁽¹⁾، وَوَجْهٌ مِنْ أَوْجِهٍ حركة البيلدونغ بحكم طبيعته القائمة على تجربة اختبار الغيريّة، أي غيريّة اللّغة التي خُطّت بها الرواية الجزائريّة.

5.2.3.3 مصطلح البينيّة (الفضاء البينيّ):

تعكسُ حركيّة الشُّعوب حول العالم فاعليّة سيرورة الترجمة ذاتها، إذ لم تُعدّ الترجمة مجرد نقل للنصوص مِنْ لُغَةٍ إِلَى لُغَةٍ أُخْرَى فَحَسَبَ، بل أصبحت سيرورة تفاوضٍ بين النُّصوص والثّقافات، خاضعةً لوساطة شخصيّة الذات المُترجمة وأيديولوجيّتها ومشروعها التّرجميّ. وفي هذا السياق، يُوظّفُ المُنظّرُ الثّقافيّ هومي بابا Homi Bhabha مُصطلح الترجمة مجازًا لوصف وضع العالم المعاصر، هذا العالم الذي يعجُّ بملايين المهاجرين الذين يُغيّرون مواقعهم كل يوم. وعلى هذا الأساس، تُعدّ الترجمة حلقةً أساسيّةً في سيرورة النّقل مِنْ مكانٍ إِلَى مكانٍ آخَرٍ في هذا العالم⁽²⁾. يقول هومي بابا:

« We should remember that it is the ‘inter’ – the cutting edge of translation and renegotiation, the *in-between* space – that carries the burden of the meaning of culture. »⁽³⁾.

«علينا أن نتذكّر أنّ “البين” – حدّ القطع بين الترجمة وإعادة التّفاوض، أي الفضاء البينيّ الواقع بينهما – هو الذي يحملُ عبء معنى الثّقافة على عاتقه.» (تَرْجَمَتُنَا).

بما أن الترجمة تَجَسِّيرُ للفضاء البينيّ بين المصدر والهدف، يُركّزُ البُحَاثُ في حقل الترجمة وخارجه على تقديس هذه البينيّة (in-betweenness) وجعلها محلّ أبحاثٍ لهم⁽⁴⁾، وهذا ما تستأثّرُ هذه النّقطة البحثيّة بمُدَارَسَتِهِ، لا سيّما تغيّر موقع الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة (موقع الانطلاق^(*))، في الحقبة الاستعماريّة، المُترجمة إلى العربيّة (موقع العودة)، في حقبة ما بعد الاستعماريّة.

(1) Voir : Antoine BERMAN, *L'épreuve de l'étranger*, op. cit., p175.

(2) See: Susan BASSNETT, *Translation Studies*, op. cit., p6–7.

(3) Homi K. BHABHA, *The Location of Culture*, London and New York, Routledge, 1st edition, 1994, p38. In Susan BASSNETT, *Translation Studies*, op. cit., p7.

(4) See: Susan BASSNETT, *Translation Studies*, op. cit., p11.

(*) بالرغم مِنْ تبلورها في ذهن الذوات الكاتبة الجزائريّة باللّغة العربيّة، خُطّت بلُغَةٍ آخَرٍ (أي باللّغة الفرنسيّة).

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجيحية واستراتيجياتها —

ترى ميكائلا فولف Michaela WOLF أن مفهوم بابا للهجنة (hybridity) صعب قضية فهم الأبعاد الثقافية، «فالثقافات ليست أحادية في حد ذاتها، ولا مجرد ثنائية كما في العلاقة القائمة بين الذات والآخر»⁽¹⁾، بل ثمة فضاء ثالث (Third Space) لا يمكن اختزاله في جدلية الذات (the self) ولا في جدلية الآخر (the other)، لا في العالم الأول ولا في العالم الثالث. بناءً على هذا الفهم، يُنتج المعنى خارج الحدود الثقافية، أي في الفضاء الثالث (the Third Space) على وجه التحديد، وهو ضرب من ضروب الفضاء البيني (in-between space) الواقع بين الأنساق المرجعية والعداءات القائمة. وباستنادها إلى هومي بابا، ترى ميكائلا فولف أن الفضاء الثالث هو الموقع المحتمل الذي يرسم نقطة انطلاق لاستراتيجيات الترجمة المنتهجة في حقبة ما بعد الاستعمار⁽²⁾، لأن ميثاق التأويل — وفق هومي بابا — ليس مجرد فعل اتصال بين الأنا (I) والأنت (You)، سواء أعبر عنه في القول أم في ذات مكتوبة معينة، فسيرورة إنتاج المعنى — في هذا الصدد — تتطلب تعبئة هذين المكانين في المرور عبر فضاء ثالث⁽³⁾.

يُترجم محمد جديدي، مُستنداً إلى آراء سلوى لوست بولبينة^(**) Seloua Luste Boulbina، مُصطلح in between بـ: بين عالمين⁽⁴⁾، مُحللاً وجهة نظر إدوارد سعيد حول هذا المصطلح الذي يُعد تعبيراً عن حالة نفسية الفرد الفلسطيني المُشتت جغرافياً وترجمةً لمأساته، ويعني به إدوارد سعيد البحث عن مأوى ووطن حتى في باطن الكلمات (التي تمنحه هذا الملاذ) والانتقال الدائم بينها. وتنمُّ الإقامة بين العالمين عن قوة اللغة وقدرتها على الفعل والتغيير، فهي من منظور المثقف الفلسطيني القدرة على تحرير الوطن، والقدرة على إعادة التوقيع في العالم، وإثبات الذات عبر اللغة، أي ترجمة فكر الأنا إلى اللغة ومن ثم إلى الوجود. فاللغة — في هذا السياق — ليست مجرد وسيلة ولا غاية، إنما هي تحرُّر للأنا من الآخر، وهي كذلك إعلاء لصوت الأنا على صوت الآخر⁽⁵⁾.

وفي سياق آراء إدوارد سعيد وتأملاته، يُعبرُ مالك حداد (رَاجِعِ المُلْحَق (4)) عن حاجز اللغة الفرنسية الذي يفصله عن الجزائر أكثر مما يفصله عنها البحر الأبيض المتوسط، مُشيراً في غير ما موضع

(1) Homi K. BHABHA, *op. cit.*, p35–36.

(2) See: Michaela WOLF, «The Third Space in Postcolonial Representation», in Sherry SIMON and Paul ST-PIERRE (dirs.), *Changing the Terms: Translating in the Postcolonial Era*, Ottawa, Ont., Canada, University of Ottawa Press, 2000, (pp. 127–146), p135.

(3) See: Homi K. BHABHA, *op. cit.*, p36.

(**) باحثة فرنسية (ذات أصول جزائرية) في مجالات الفلسفة والدراسات ما بعد الاستعمارية.

(4) يُنظر: محمد جديدي، الترجمة: رؤية فلسفية، المرجع السابق، ص 147. ثم عاد وترجمه بـ: بين اثنين أو بين عالمين في موضع آخر (يُنظر: المرجع نفسه، ص 149).

(5) يُنظر: المرجع نفسه، ص 149–150.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجموية واستراتيجياتها —

من مُقدِّمته النَّقدية «الأصفار تدور حول نفسها» التي تصدَّرت ديوانه «انصت وسأناديك» أنه سيهجرُ المنفى ليس من أجل العودة إلى الأصل، لأن مَالِكَ لم يهجر أصله إطلاقاً على حدِّ تعبيره⁽¹⁾. وفي ردِّه على جبرائيل أوديزيو Gabriel Audisio الذي استشهد بمقولة «اللغة الفرنسية وطني»، ليُجيبه مَالِكَ حداد قائلاً: «اللغة الفرنسية منفاي»⁽²⁾. وإنَّه، باتِّخاذهِ الفرنسية لغة تعبير، يُحسُّ كأنه يعيشُ في منفى، بيد أنه يشكُّر هذه اللغة التي مكَّنته من خدمة وطنه الحبيب الجزائر⁽³⁾. وعلى شاكلة إدوارد سعيد، يتَّخذُ الكاتب الجزائري الفرنسي ملاذاً يُعزِّز فيه عن حلمه وغضبه وآلامه وشكواه وآماله وحنينه إلى لغته الأم⁽⁴⁾ التي سلبها منه الاستعمار الفرنسي.

يُعدُّ الفضاء البيني (the space-in-between) مساحةً خصبةً حيث يحدثُ التفاعل الجدلي بين ثقافتين على الأقل، إنَّه موضع تخريب الثقافة واللغة المهيمنتين وتقويضهما، وهذا ضرْبٌ من ضرُوب المقاومة. وإذا ما اعتدَّ الفضاء الثالث (the Third Space) نقطة انطلاق محتملة لاستراتيجيات تَرْجُمِيَّة أخرى حديثة، فَمِنْ الجلي أن تتجاوز هذه الاستراتيجيات المفاهيم التَّرجُمِيَّة التقليدية مثل ثنائية الأصل والترجمة، وثنائية التغريب والتوطين، وثنائية التكافؤ الشكلي والتكافؤ الديناميكي، وثنائية النظَّارات الملونة والنظَّارات الشَّفافة؛ إذ تجرُّ هذه الاستراتيجيات الثقافات إلى المركز، حيث يلتقي بعضها بعضاً، ومن ثمَّ يُعادُ خلطُ المعاني بنحوٍ فعَّال. وبهذه الحركة، تتَّخذُ الهُجنة (hybridity) الترجمة موضعاً⁽⁵⁾.

أمَّا فيما يتعلَّق بجدلية الكتابة عند الكُتَّاب الجزائريين الذين يكتبون بالفرنسية فهي جدلية وليدة صراع باطني ينبع من أعماق الذوات الفردية والجماعية، وإذا أردنا تحديد موقع هذه الجدلية من العالم⁽⁶⁾، نجدها تتموقع في فضاء ثالث (Third Space) أحد ضرُوب الفضاء البيني (in-between space) الواقع بين الأنساق المرجعية للرواية الجزائرية والمقاومات المتضمنة في سيرورة الكتابة بلغة الآخر، قاومت فيها أنا الكاتب الجزائري لغة الآخر الفرنسي، متضمنةً في ثناياها جدلية الأنا والآخر بأبعادها وخصوصياتها ومرجعياتها.

تأسيساً على ما سلف، تُعدُّ الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ضرباً من ضرُوب الكتابة

(1) Voir : Malek HADDAD, *écoute et je t'appelle*, op. cit., p9–11.

(2) *Ibid.*, p21.

(3) Voir : *Ibid.*, p23.

(4) Voir : *Ibid.*, p32–33.

(5) See: Michaela WOLF, «The Third Space in Postcolonial Representation», op. cit., p141.

(6) يُنظر: الطيب بودربالة، المرجع السابق، ص112.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجموية واستراتيجياتها —

مُتعدِّدة اللُّغات، خُطَّت بأيادي ذوات كاتبة ثُنائية اللُّغة. وإذا كان مفهوم الفضاء البيئي (the space-between) مُعتمدًا على مفهوم التهجين (hybridization)، فإن النّص الروائيّ الجزائريّ المكتوب بالفرنسيّة نصٌّ من النّصوص الهجينة (hybrid) أو المِهْجَنَة (métissés)^(*)، لأنّ فرنسيّته لم تكن فرنسيّةً خالصةً، بل كانت تهجينًا بسبب الطبقات الثقافيّة واللُّغويّة (culturo-linguistic layering) والتضمينات المبتوثة في ثناياها. ومثلما تُشيرُ سامية محرز، فإن تلك النّصوص الروائيّة تخلُقُ لُغةً بينيّة (in between) ومن ثَمَّ تأتي الترجمة لتشغل فضاء (space) بينيًا (in between) بينهما⁽¹⁾ (راجع الفصل الثّاني، المبحث الثّالث). يتموضع هذا الضّرْب من الكتابة في الفضاء البيئيّ الهجين (hybrid space in-between) الذي تنطوي عليه تلك اللُّغات واللهجات والثّقافات المحليّة، أو ما يصطلحُ عليه هومي بابا الفضاء الثّالث (third space).

يفسحُ مصطلح الفضاء الثّالث المجالَ أمام دراسة طبيعة عودة الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة إلى منبعها الأصل، وإماطة اللّثام عن طبيعة الممارسة التّرجميّة المُنتهجة في مسار نقلها إلى العربيّة، في ظلّ مصطلح تمثيل (أو إعادة تمثيل الرواية الجزائريّة المُترجمة إلى العربيّة) جدليّة الأنا والآخر بتجليّاتها وأبعادها وخصوصيّاتها ومرجعياتها المختلفة، في سياق ما بعد الاستعمار. ومن هذا المنظور ما بعد الاستعماريّ، تعتمدُ الدّراسة على مُصطلح البينيّة (أو مصطلح الفضاء البيئيّ 'in a space between') المُتجَلّي في تتبّع مسار انتقال الأنا إلى الآخر وعودة الأنا من موقع الآخر إلى موقع الأنا الأصل من جديد، ومُصطلح الهُجنة المُتجَلّي في الآثار التي خلّفها العربيّة واللهجات الجزائريّة المحليّة في لُغة الآخر (الفرنسيّ)، ما يُبرزُ هويّة الذات الكاتبة الجزائريّة المغتربة في لُغة الآخر الفرنسيّ.

6.2.3.3 مصطلح العودة الأسطوريّة:

يُعرفُ الطيب بودربالة مُصطلح العودة الأسطوريّة قائلاً: «إن الترجمة إلى العربيّة هي ترجمة من الدرجة الثّانيّة، لأن هناك، في البداية، ترجمة أوّلى سمحت للأديب الجزائريّ أن ينقل ثقافته الأصليّة إلى فضاء اللُّغة الفرنسيّة. وعودة النّص إلى منبعه، هي عودة أسطوريّة، لأنها تتم عن طريق متخيل جديد وقنوات جديدة، ويتحقق التواصل الأسطوري من خلال المسافة المُمتدّة بين النّص الثّقافيّ

^(*) وهذا ما توصّلت إليه الباحثة ريم زموشي، مُؤكّدة هُجنة النّص الروائيّ الجزائريّ المكتوب بالفرنسيّة. يُنظر: ريم زموشي، المرجع السابق، ص 89-161.

⁽¹⁾ See: Samia MEHREZ, *op. cit.*, p121.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجماتية واستراتيجياتها —

الأصلي، والنص الثقافي الجديد الذي تكشف عنه الترجمة الثانية⁽¹⁾.

يُعدُّ هذا الاستنتاج الذي توصل إليه الطيب بودريال استنتاجاً جامعاً للمصطلحات الترميمية المؤسسة لهذه المقاربة، واصفاً مسار عودة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية إلى منشأها بالعودة الأسطورية. ويجد التحليل في مصطلحات: ترجمة من الدرجة الثانية، ترجمة أولى، الترجمة الثانية: آراء مالك حداد في تطرقه إلى الكتاب الجزائريين من أصل عربي وأمازيغي، فبالرغم من اتّخاذهم الفرنسية أداةً للتعبير في أعمالهم الأدبية، على حدّ تعبير مالك حداد، نجدهم يُترجمون فكراً جزائرياً صرفاً، بخصوصياته وأبعاده ومرجعياته المختلفة، وكان هذا الفكر المُعبر عنه بالفرنسية سيكتسي أبهى حُلّه الإبداعية، ويستوفي أطرافه السردية وبلاغة تعبيره لو أنه خُطَّ بلُغةً عربيةً وصيغ بكلماتها⁽²⁾.

وتعزيزاً لهذا الطرح، من منظور الممارسة الترميمية، أورد المترجم السوري سامي الدروبي في مُقدِّمة ترجمته (المؤرخة في 1960/11/1م) ثلاثية محمد ديب إلى العربية (راجع الملحق (7)) هذا القول: «والفاجعة، بعد، عند من يترجم إلى العربية آثار كتاب الجزائر المكتوبة بالفرنسية أنه يحس بأنه لا يرد إلى الأثر شيئاً مما كان يمكن أن يكون له من رواء لو كتب بالعربية، وإنما هو يفقده مزيداً من ذلك الرواء، فالأثر قد ضاع منه شيء مرتين: مرة حين كتب بالفرنسية، ومرة حين ترجم عن الفرنسية»⁽³⁾. ويُبرز هذا القول، المستوحى من رحم الممارسة الترميمية، الطبيعة الفدّة للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وترجمتها العربية، لا سيّما أن أبعاد جدلية الأنا والآخر وخصوصياتها قد تبلّورت في ذهن الذات الكاتبة الجزائرية بلُغةً عربيةً، ثم خُطَّت بلُغةً فرنسيةً، ما جعل آثار عودتها مرة ثانية إلى العربية عودةً أسطوريةً، وما صاحب فعل الترجمة من تداعيات. ويُستخضر في المصطلحات والجمل المصطلحية الآتية: فضاء اللُغة الفرنسية، والمسافة المُمتدة بين النص الثقافي الأصلي والنص الثقافي الجديد؛ مصطلحات: الفضاء البيئي (the space-in-between)، ومُصطلح الفضاء الثالث (the Third Space) اللذين أرسى أوتادهما هومي بابا Homi Bhabha، ومُصطلح عودة النص إلى منبعه الذي طرحه عمار بلحسن.

وفي ختام مرحلة الضبط المصطلحي التي قامت عليها هذه المقاربة، وجب التذكير بأن المصطلحات الترميمية الآتية: مُصطلح الكتابة بلُغة الآخر، ومُصطلح عودة النص إلى منبعه، ومُصطلحي الرحلة الثانية

(1) الطيب بودريال، المرجع السابق، ص 121.

(2) Voir : Malek HADDAD, *écoute et je t'appelle*, op. cit., p33–34.

(3) محمد ديب، الدار الكبيرة، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص 10.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجيحية واستراتيجياتها —

والعودة إلى الأصل، ومُصطلح البيلدونغ *La Bildung*، ومُصطلح البينية (الفضاء البيني)، ومُصطلح العودة الأسطورية؛ قد أماطت اللثام عن طبيعة الترجمة العربية (الصادرة في سياق ما بعد الاستعمارية) للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، في الحقبة الاستعمارية، مُتفقيةً مسار جدلية الأنا والآخر، سواءً الميثوثة في ثنايا الذات الروائية المكتوبة (النصّ الروائيّ الأصل المكتوب بالفرنسية أو المُترجم إلى العربية)، بأبعادها وخصوصياتها ومرجعياتها وتجلياتها المختلفة، أو تلك المتأصلة في الذات التّرجميّة (أي الذات الكاتبة، والذات المُترجمة، والذات القارئة) في حدّ ذاتها.

3.3.3 قراءة الذات الروائية المكتوبة الأصل وتفكيكها:

يُباشِرُ المُترجمُ أو النّاقِدُ في هذه المرحلة قراءةً مُتأنيّةً للذات الروائية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، مُسلّطاً الضوء على المناطق النصّية (*zones textuelles* وفق المُصطلح البيروانيّ)، أو المقاطع السردية المُجسّدة لجدلية الأنا والآخر بأبعادها وخصوصياتها ومرجعياتها وتجلياتها المختلفة، آخذاً مسالك المعنى الميثوثة في حناياها في الحُسنان، هذا المعنى الذي لا يتشكّل من اللّغة فحسب، لأنّ الذات الكاتبة الجزائرية لم تكتب كلماتٍ مُنفردة، ولا جملاً مُنفصلة، ولا فقرات مُتفرقة؛ بل بثّت رسائل مُبطّنة، وأفكاراً وآراءً ومواقف مُصرّح بها (بيّنة) وغير مُصرّح بها (مُضمرة).

يَبْزُرُ، بناءً على هذه المعطيات الرصينة، مُصطلح الإيلوزيو (*l'illusio*) الذي أسّسه بيريورديو الذي يُوهبُ به الحقل الروائيّ الجزائريّ المكتوب بالفرنسية، أي قواعد اللعبة الروائية المُؤسّسة للأصل. وعلى هذا الأساس، تستدعي سيرورة الترجمة الروائية (أو نقدها) من الذات المُترجمة (أو الذات النّاقدة) قراءة الذات الروائية المكتوبة الأصل وتفكيكها، وتبيان مواضع جدلية الأنا والآخر الميثوثة في حناياها، قصد نقل الإيلوزيو (*l'illusio*) ذاته (أي تلك الأفكار والمواقف والآراء المُتجلية أو المُبطّنة) الذي زرعه الذات الكاتبة في حنايا ذاتها الروائية المكتوبة الأصل (بالفرنسية) إلى الذات الروائية المُترجمة (المُسْتهدفة) إلى العربية، بالوتيرة ذاتها والوَقْع نفسه.

4.3.3 البحث عن الذات الكاتبة:

يرتبطُ المعنى الاتّصاليّ — حسب بيترنيومارك — بخلفيّة الذات الكاتبة، أو مواقفها، أو التأثيرات اللّسانية التي تحملها اللّغة المنقول منها (لغة الذات الكاتبة التي تخطّ بها ذاتها الروائية المكتوبة الأصل) في حناياها. فحين يتّصلُ المعنى بحياة الذات الكاتبة الشخصية تظهرُ الظروف الاجتماعية بين ثنايا

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجموية واستراتيجياتها —

الفقرات، ومن بعض المفردات التي تستعملها الذات الكاتبة بعينها، كالألهجة المحلية (المرتبطة بحقبة ما، وتقاليد معينة، وراث ما، ومعانٍ متصلة بالثقافة والأيدولوجيا، ومفاهيم سياسية... ونحو ذلك) تُستنبط المعاني. وقد تكون المعاني المتعلقة بالثقافة أو الأيدولوجية مبنوثة ضمناً في ثنايا الذات المكتوبة⁽¹⁾. ومثلما استأثر به المبحث الأول من هذا الفصل الثالث، يستدعي البحث عن الذات الكاتبة الجزائرية إمطة اللثام عن:

- سيرتها الذاتية (مولدها، ونشأتها، وتعليمها... ونحو ذلك) التي أسهمت في تكوين هابيتوسها ونسق استعداداتها.
 - جنس الأعمال الأدبية التي تكتبها عادةً وطبيعتها وموضوعاتها (تحديد الحقول وفق مصطلح بيير بورديو).
 - الحقبة التي كتبت فيها أعمالها الروائية (بانتهاج التحقيق الذي اضطلع المحور الأول من المبحث الثالث للفصل الأول بضبطه، فقد كان تحقيقاً يُراعي التسلسل التاريخي في إصدار الروايات الجزائرية المكتوبة بالفرنسية تماشياً ومسار جدلية الأنا والآخر في تحولات الخطاب الروائي الذي يطبع كل مرحلة كتبت فيها الرواية).
 - موقفها من الكتابة بلغة الآخر الفرنسي.
 - مواقفها السياسية، ونزعتها الفكرية، ونشاطاتها الثورية.
- تُستشف هذه المعلومات جميعها من المقدمات، والاستهلاات، والمقالات، والحوارات والمقابلات الصحفية، وأي مصادر أخرى تؤكد مشروع الذات الكاتبة وأسلوبها وخياراتها... ونحو ذلك.

5.3.3 قراءة الذات الروائية المترجمة وتفكيكها:

يقرأ المترجم ترجمته العربية ويُراجعها ويتفحصها بعناية فائقة مُستحضراً تلك المقاطع السردية المُجسدة لجدلية الأنا والآخر بأبعادها وخصوصياتها ومرجعياتها وتجلياتها المختلفة، كاشفاً الرسائل، والأفكار، والآراء، والمواقف المُصرَّح بها (البينة) وغير المُصرَّح بها (أي المُضمرة أو المُبطنة)، المبنوثة في حنايا الخطاب الروائي الناتج عن الترجمة، سعياً إلى تجسيد الإيلوزو (l'illusio) ذاته المؤسس لقواعد اللعبة الروائية الجزائرية الأصل.

(1) يُنظر: بيتر نيومارك، المرجع السابق، ص 79-82.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجماتية واستراتيجياتها —

في حين يُركّز النّاقِدُ في هذه المرحلة على تفكيك الذات الروائيّة الجزائريّة المترجمة إلى العربيّة وإبراز مدى تجسيدها لأبعاد جدليّة الأنا والآخر المبتوثة في حنايا الذات الروائيّة المكتوبة الأصل، وذلك بإمالة اللّثام عن استراتيجيّة الترجمة الروائيّة المُنتهجة ومدى مُطابقة الترجمة العربيّة لمشروعها ما بعد الاستعماريّ الذي قامت عليه.

6.3.3 البحث عن الذات المترجمة:

تَضَطِّلُ الذات النّاقدة العاكفة على تحليل الترجمة العربيّة للرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة بالبحث عن الذات المترجمة التي انبرت تنقلها، إذ تُشاكِلُ سيرورتها نظيرتها التي عُنيَتْ بالبحث عن الذات الكاتبة. ويرومُ البحث في هذا السياق تفحص:

- سيرة الذات المترجمة (مولدها، ونشأتها، وتعليمها، وجنسيّتها... ونحو ذلك) التي أسهمت في تكوين هابيتوسها ونسق استعداداتها (لأنها ستنعكس — لا مَحَالَة — على ترجماتها).
- مِنْ أيّ اللّغات تُترجم (واللّغات الأجنبية التي تُتقنها).
- طبيعة الأعمال التي تُترجمها عادةً.
- تجاربها التّرجميّة، وتصوّراتها النّظريّة، والمبادئ التي تنتهجها في ترجماتها، وتصريحاتها النّقديّة، ومقالاتها العلميّة، والأبحاث التي أشرفت أو تُشرف عليها... ونحو ذلك.
- مشاريعها التّرجميّة (ما بعد الاستعماريّة).
- مواقفها السياسيّة، ونزعتها الفكريّة، ونشاطاتها الثّقافيّة.

تُسْتَشَفُّ هذه المعلومات كذلك مِنْ مُقدِّمات الذات المترجمة، وتصديراتها، واستهلالاتها، وحواشيها المدعّمة للترجمة، وتعليقاتها، ومُلاحظاتِها. كما يُمكنُ أَنْ تُسْتَشَفَّ هذه المعلومات السياقيّة (contextual information) — التي تنتهجها سبيفاك Spivak في أثناء مُمارساتها التّرجميّة — مِنْ نتاجات أخرى واقعة فيما وراء النِّتاج التّرجميّ للذات المترجمة (les productions métatraductionnelles du sujet traduisant)، وفي مرحلة البحث عنها (في المقالات، والحوارات والمقابلات الصحفيّة، ومُذكّرات الذات المترجمة وسيرتها الذاتيّة)، وفي نتاج سيرورة الترجمة نفسها (أي على صعيد النِّتاج التّرجميّ بمعناه الضيّق)، وأيّ مصادر أخرى تُؤكّد مشروع الذات المترجمة وأسلوبها وخياراتها التّرجميّة ونحو ذلك.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجموية واستراتيجياتها —

7.3.3 ضبط الاستراتيجية الترميمية المنتهجة:

تقتضي العودة الأسطورية للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية (في الحقبة الاستعمارية) إلى اللغة العربية (في سياق حقبة ما بعد الاستعمارية) إمالة اللثام عن خبابا النسخة الأصل (révèle) (l'occulté de l'original) المكتوبة بالفرنسية وخفاياها وبواطنها، وهذا تجلٍ (manifestation) من التجليات التي تستأثر بها الاستراتيجية الترميمية المنتهجة⁽¹⁾ في أثناء سيرورة النقل، ولا يمكن أن يتجسد هذا التجلي إلا بإحداث الوقع نفسه — في النسخة المترجمة — للخطاب الجدلي بين الأنا والآخر بأبعاده المختلفة. بناءً على هذا الفهم، يستدعي إبراز جدلية الأنا والآخر، بأبعادها وخصوصياتها ومرجعياتها وتجلياتها المختلفة، المبنوثة في ثنايا الذات الروائية الجزائرية المكتوبة زادًا معرفيًا كافيًا بغية ضبط السياق الروائي وتحديد حقبة، وفهم مُراد الذات الكاتبة الجزائرية ومقصد قولها البين أو المتضمن في حنايا خطابها الروائي.

وترتكز مرحلة ضبط الاستراتيجية الترميمية المنتهجة على مرحلة الضبط المصطلحي التي قامت عليها هذه المقاربة، إذ تعكفُ على استنبات المصطلحات الترميمية الآتية: مُصطلح الكتابة بلغة الآخر، ومُصطلح عودة النص إلى منبعه، ومُصطلحي الرحلة الثانية والعودة إلى الأصل، ومُصطلح البيلدونغ La Bildung، ومُصطلح البينية (الفضاء البيني)، ومُصطلح العودة الأسطورية؛ واستنباط تأملاتها في مسار إمالة اللثام عن طبيعة الترجمة العربية (الصادرة في سياق ما بعد الاستعمارية) للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية (في الحقبة الاستعمارية). وفي مسار تقفي جدلية الأنا والآخر المبنوثة في ثنايا الذات الروائية المكتوبة (النص الروائي الجزائري الأصل المكتوب بالفرنسية أو المترجم إلى العربية)، بأبعادها وخصوصياتها ومرجعياتها وتجلياتها المختلفة، تُركّز الذات المترجمة في أثناء ترجمتها، والذات الناقدة في أثناء تحليلها النسخ المترجمة إلى العربية، على مُصطلحي:

- مُصطلح التقمُّص (Réincarnation)، أي انتقال الروح من جسد الذات الكاتبة إلى جسد الذات المترجمة، أو التقمُّص الوجداني الرامي للإدراك الانفعالي لوجدانيات الذات الكاتبة ومُشاركتها فيها⁽²⁾.
- مُصطلح التماهي (توحيد الذات عند فرويد Identification)، أي تماهي الذات المترجمة

(1) يُنظر: أنطوان برمان، المرجع السابق، ص 118.

(2) يُنظر: جميل صليبا، الجزء الأول، المرجع السابق، ص 329.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجماتية واستراتيجياتها —

والذوات الكاتبة ومشاركتها في أحاسيسها وعواطفها وفكرها ومواقفها كأنهما شخص واحد. أي أن تتوحد عواطف الأنا والآخر معاً⁽¹⁾ (راجع المبحث الأول من هذا الفصل الثالث) لاستجلاء عوالم جدلية الأنا والآخر — بأبعادها المختلفة — المبنوثة في حنايا الذات الروائية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية.

إنّ نقل أبعاد جدلية الأنا والآخر المبنوثة في الخطاب الروائي الجزائري المكتوب بالفرنسية إلى العربية رهين بـ:

- هايتوس الذات المترجمة المتقمّص وجدانياً الذي تجسّد به طريقة الترجمة.
- الرؤية ما بعد الاستعمارية واستراتيجيات الترجمة التي تنتهجها الذوات المترجمة ما بعد الاستعمارية (مترجمو حقبة ما بعد الاستعمار، راجع الفصل الثاني، المبحث الثالث).

وحول تفعيل حلقة المراجعة، تتبنّى المقاربة رأي بيتر نيومارك Peter Newmark في قضية وجوب مراجعة ذات مترجمة ثانية الذات الروائية المترجمة إلى العربية (أي الناتجة عن ترجمة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية)، على أن تكون ضليعةً في لغتها الأمّ (أي العربية بوصفها لغةً مُستهدَفةً). ويُستحسن أن تكون الذات المترجمة الثانية متمكّنة من اللغتين العربية والفرنسية، وبذا تحتلّ موقع قوة يؤهلها لرصد الزلات الجسيمة، أو الأخطاء الناجمة عن سوء التقدير، أو التوظيف اللساني الخاطئ، أو بعض الأساليب الركيكة، أو الأخطاء الناجمة عن سقطات المعنى وسوء التأويل⁽²⁾؛ خاصّة في نقل المقاطع المُجسّدة لأبعاد جدلية الأنا والآخر التي تقع فيها الذات المترجمة الأولى.

وإذا ما أُسندت المهمة إلى ذات مترجمة ثانية تضرب على اللغتين العربية والفرنسية، لن نكون بحاجة إلى ذات مترجمة ثالثة لغتها الأمّ هي لغة الذات المكتوبة الأصل (أي الفرنسية)، بغية التأكد من أن الذاتين المترجمتين، الأولى والثانية، قد فهمتا الذات المكتوبة الأصل واستوعبتها (خلاقاً لبيتر نيومارك الذي ارتأى، من باب التفضيل، وجود الذات المترجمة الثالثة التي تتقن لغة الأصل في هذه الحلقة). في حين تُعدّ مسألة الاستعانة بخبير مُختصّ في موضوع الذات المكتوبة الأصل (أي ضليع في تفحص الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ومُدارستها) أمراً ذا أهمية بالغة للتأكد من أن الذات المترجمة قد استخدمت المستوى الأسلوبى المناسب⁽³⁾ لتجسيد أبعاد جدلية الأنا والآخر، ومن ثمّ تحقيق الأثر ذاته

(1) يُنظر: جميل صليبا، الجزء الأول، المرجع السابق، ص362.

(2) يُنظر: بيتر نيومارك، المرجع السابق، ص93.

(3) يُنظر: المرجع نفسه، ص93.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجُمِيَّة واستراتيجياتها —

المبثوث في حنايا الذات الروائيَّة المكتوبة الأصل.

لقد أماطَ هذا الفصل الثالث اللثامَ عن جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجُمِيَّة واستراتيجياتها، بحيث دَارَسَ المبحث الأول جدلية الأنا والآخر في مسار الذوات الترجُمِيَّة: الذات الكاتبة، والذات المكتوبة، والذات المترجمة، والذات القارئة؛ مُسْتَنَيجًا بأن الذات المترجمة هي محور هذه العملية الترجُمِيَّة ومركزها، إذ تربطُ بين الذات الكاتبة والذات القارئة مُستندةً إلى الذات المكتوبة. وفي تتبُّع مسار الذوات الترجُمِيَّة في مضمار جدلية الأنا والآخر، يُظهرُ هذا المبحث مسار الرسالة انطلاقًا من الذات الكاتبة ووصولًا إلى الذات القارئة من وجهتين: حيث تَقَفَّت الوجهة الأولى بثَّ الذات الكاتبة جدلية الأنا والآخر في ثنايا الذات المكتوبة بأبعادها وخصوصياتها ومرجعياتها وتجلياتها، في حين أسفرت الوجهة الثَّانِيَّة عن تأصُّل جدلية الأنا والآخر في الذوات الترجُمِيَّة في حدِّ ذاتها. فالذات الكاتبة — بوصفها أنا — قد تكون آخرًا عند الذاتين المترجمة والقارئة، والذات المكتوبة حاملة في حناياها معالم الأنا والآخر وأبعادهما، والذات المترجمة لها مشروعها التَّرجِيي، وأبعادها الأيديولوجية، وخصائصها الثقافية، ومرجعياتها الحضارية، والذات القارئة لها كذلك أذواقها وأعرافها وتوجُّهاتها.

وإذا ما أُسْقِطَت هذه المعطيات الترجُمِيَّة على موضوع هذه الدِّراسة التَّطبيقيَّة، فإن الذوات الترجُمِيَّة قد يتماهى بعضهم بعضًا. وتجبُ الإشارة إلى أن أحد المسالك الرئيسة التي تقومُ عليها جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسيَّة، الصادرة في الحقبة الاستعماريَّة، محلّ هذه الدِّراسة؛ يكمنُ في مسار الكتابة بلُغَةِ الآخر، أي أنا الكاتب الجزائري التي تخطُّ أعمالها الروائيَّة بلُغَةِ الآخر الفرنسي. وفي ختام مُدَارَسَةِ طبيعة هذه العلاقة الرُّباعِيَّة القائمة بين الذوات الكاتبة والمكتوبة والمترجمة والقارئة، يَخْلُصُ هذا المبحث إلى ضرورة انطلاق الذات المترجمة، في أثناء مُزاولة فعلها التَّرجِيي، من خلفيات سياسيَّة وتاريخيَّة وثقافيَّة واجتماعيَّة ونفسيَّة وحضاريَّة، وألَّا تُعالِج الذات المكتوبة الخاضعة للنقل كما لو أنَّها ذات مكتوبة جامدة؛ فالرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسيَّة، الصادرة في سياق الحقبة الاستعماريَّة، تُعدُّ نتاج سياقات سياسيَّة وتاريخيَّة واجتماعيَّة خاصَّة، على الذات المترجمة أن تستحضرها في أثناء إعادة لُغَةِ الذات الروائيَّة المكتوبة إلى منبعها الأصل، ساعيةً إلى تجسيد الأثر الجدليّ ذاته المبثوث في ثنايا الذات الروائيَّة المكتوبة الأصل، ومن ثَمَّ، يتسَّي للذات القارئة عيش التجربة ذاتها في الحالة الذهنيَّة واستشعار ذلك الصراع الجدليّ القائم بين الأنا الآخر بأبعاده المختلفة. وبذا، يُمكنُ الحُكْمُ على نتاج الترجمة، المُتمثِّل في النُّسخة المُنْقُولَة إلى العربيَّة، ومدى تجسيدها الإقناع المعرفي ذاته المبثوث في حنايا الأصل المكتوب بالفرنسيَّة.

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الترجمة الاستراتيجية واستراتيجياتها —

بينما اضطلع المبحث الثاني بدراسة جدلية الأنا والآخر في ميزان الثنائيات الترجمية الآتية: مبدأ التكافؤ الشكلي والتكافؤ الديناميكي، استراتيجيتي التوطين والتغريب، المصدرين (دعاة المصدر) والمستهدفين (دعاة الهدف)، البين والمضمر، الترجمة وإعادة الترجمة. فإذا كان نايدا يُطلقُ مُصطلح التكافؤ الشكلي على الترجمات التي تُعنى بنقل الرسالة نقلاً شكلياً وحرفياً، فإنه يرمي إلى تقريب الذات القارئة من الذات الكاتبة، أو أنا الشريحة المُستهدفة من أنا الذات الكاتبة وموطنها وثقافتها المبتوثة في الذات المكتوبة. أمّا التكافؤ الديناميكي الذي يستأثر — في أثناء سيرورة نقل الذات المكتوبة — بإحداث التأثير المكافئ على الشريحة المُستهدفة (أي الذات القارئة للذات المكتوبة)، فهو يرمي إلى أن تُدرك أنا الشريحة المُستقبل للذات المكتوبة مثلما تُدرك أنا الشريحة الأصل فحواها ووقعها.

وتجرّ الاستراتيجيّة الترجميّة التّوطينيّة الآخر والغير والأجنبي والغريب إلى أنوات الذات المُترجمة (أو الذات الناقلة) والذات القارئة. وتخضع سيرورة الترجمة في هذا الصدد، إلى الذات المُترجمة — وذاتيتها — على حساب آخريّة الذات الكاتبة وأناها، خدمةً لأنّ الشريحة المُستقبل للترجمة. بينما تنتصر الاستراتيجية الترجميّة التّغريبية لأنوات الذات الكاتبة، والذات المكتوبة المنقولة (أي الذات المُترجمة أو الخاضعة للنقل)، والثّقافة الأخرى (المبتوثة في حنايا العمل الأصل الخاضع للنقل) بغرابتها وآخريتها؛ مُحدّيةً بذلك أنوات الذات المُترجمة، والثّقافة المُستهدفة بأعرافها وقواعدها وشرائعها.

يبدو للوهلة الأولى أنّ مفهومي التوطين والتغريب التّرجميّين قريبان — في ظاهرها أو صُلبيهما — من مفهومي التكافؤ الشكلي والتكافؤ الديناميكي، بيد أن سيرورة البحث قد كشفت عن اختلاف بينهما. إذا ما اعتدّ التكافؤ الديناميكي مبدأً من مبادئ الترجمة المتمركزة عرقياً، فإن التحليل الذي طرحه نايدا يتناقض وُراء بيرمان (المُتأثر بشلايرماخر)، فمُصطلح الأمانة عند نايدا يعني انتهاج الترجمة الديناميكية (الترجمة الحرة بالمفهوم التقليدي عند مُنظري الترجمة). وبهذا يكون نايدا قد قلب موازين جدلية الأنا والآخر في ميزان الثنائية الترجميّة الموسومة بطابع التوطين والتغريب من حيث الأمانة والخيانة.

وفي مسار جدلية الأنا والآخر في ميزان ثنائية المصدرين والمستهدفين، يُستنتج بأن الذات المُترجمة المصدريّة (le sujet traduisant sourcier) تجرّ الذات القارئة إلى الذات الكاتبة (وننتاجها المتمثّل في الذات المكتوبة)، مُنتهجةً مبدأ التكافؤ الشكلي، وسالكةً طريق استراتيجية التغريب، بنظارات مُلونة. في حين، تجرّ الذات المُترجمة المُستهدفة (le sujet traduisant cibliste) الذات الكاتبة (وننتاجها المتمثّل في الذات المكتوبة) إلى الذات القارئة، مُتبنيةً مبدأ التكافؤ الديناميكي، ومُعتمدةً على استراتيجية

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الترجمة واستراتيجياتها —

التوطين، بنظارات شفافة.

إنَّ الملاحظ في تعدد مصطلحات هذه الثنائيات التَّرجِمِيَّة أنه تعدد مُصطلحيّ مُختلف من حيث المصطلح التَّرجِمِيّ المُعبَّر عنه، صَنُوعٌ من حيث المفهوم. إذ يُشاكِلُ التكافؤ الشكلي استراتيجيَّة التغريب، ويُماثلُ منهج المصدريين، ويُشابهه منحي هُواة النظَّارات الملونة. في حين يسلكُ مبدأ التكافؤ الديناميكي مسار استراتيجيَّة التوطين، ومسلك المُستَهْدِفين، وتوجُّه أصحاب النظَّارات الشَّفافة، بخلاف مسألة الأمانة التي كانت محلَّ اختلاف عند مُنظري الترجمة وعلمائها. ومردُّ اقحام جدليَّة الأنا والآخر، في هذا السياق، ليس تعدُّدًا مُصطلحيًّا آخرًا يُفضي إلى فوضى مُصطلحيَّة، ولا نقدًا للثنائيات التَّرجِمِيَّة المذكورة أو بحثًا عن سبيلٍ لتجاوزها؛ إنَّما هو تتبُّع لهذه الجدليَّة في مسار تلك الثنائيات التَّرجِمِيَّة، حيث تكون الذات المُترجمة في معضلة حقيقيَّة، فهل تكون وفيَّةً لِأنا الذات الكاتبة للذات المكتوبة (أو آخريتها) على حساب أناها المُترجمة (أو آخريتها) وأنا الذات القارئة المُستقبِلة للذات المنقولة (أو آخريتها)؟

وما يسترعي الانتباه في ختام عناصر هذا المبحث، أن جدليَّة الأنا والآخر في ميزان الثنائيات التَّرجِمِيَّة الآتية: مبدأي التكافؤ الشكلي والتكافؤ الديناميكي، استراتيجيتي التوطين والتغريب، المصدريين (دعاة المصدر) والمُستَهْدِفين (دعاة الهدف)؛ تضع الفعل التَّرجِمِيّ في ميزان لُغتين أجنبيَّتين مُختلفتين، وبين ثقافتين مُتباعديَّتين، تكون فيها الذات الكاتبة - بوصفها أنا - آخرًا عند الذاتين المُترجمة والقارئة. بيد أن وَضْع الرواية الجزائريَّة المكتوبة بالفرنسيَّة (في الحقبة الاستعماريَّة) مختلف تمامًا، إذ تَبَلَّوَرَتْ في ذهن الذات الكاتبة الجزائريَّة (أنا الذات الكاتبة الجزائريَّة) بلُغة عربيَّة، ثُمَّ حُطَّت بلُغة الآخر، أي بالفرنسيَّة، فكانت طبيعة العودة إلى العربيَّة (في سياق حقبة ما بعد الاستعماريَّة) طبيعةً فدَّة، ذات طابع أُسطوريّ فريد.

أمَّا ثنائيَّة البين والمُضَمَّر، فتعمدُ الدِّراسة إلى تبنيها في أثناء سيرورة تحليل المقاطع السردية المُجسَّدة لصياغة أبعاد جدليَّة الأنا والآخر، سواءً الأبعاد الصريحة (الظاهرة والمتجليَّة) والواضحة والمُفصح عنها) التي لا تستدعي من الذاتين المُترجمة والقارئة جهدًا مُضنيًّا بُغية تحصيل مقصد القول وفهمه، أم أبعاد جدليَّة الأنا والآخر الضمنيَّة التي لم تُصرِّح بها الذات الكاتبة صراحةً وفضَّلت تركها في حالة مُضَمَّرَةٍ بُغية التجسيد من وقعها، أو من أجل أن تُخلِّف تأثيرًا بالغًا في ذهن الذات القارئة للأصل، هذه الأبعاد التي تتطلَّب - من الذات المُترجمة - إعداد العُدَّة التَّرجِمِيَّة الكافية، والتسلُّح بالوسائل التَّرجِمِيَّة اللازمة، بُغية فكِّ الخيوط التي نَسَجَتْ بها الذات الكاتبة الذات المكتوبة، ومن ثمَّ الاهتداء إلى

— الفصل الثالث: — جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجماتية واستراتيجياتها —

إجلائها والإفصاح عن مقصد قول الذات الكاتبة وإيصاله إلى الذات القارئة على وجه السداد. وبذا، تُجسّد — في النسخة المنقولة إلى العربية — أبعاد جدلية الأنا والآخر المبطّنة في ثنايا الخطاب الروائي الجزائري المكتوب بالفرنسية، في الحقبة الاستعمارية، بالوقع نفسه والإيقاع ذاته عند الذات القارئة للترجمة، في حقبة ما بعد الاستعمارية.

كما تفسح ثنائية الترجمة وإعادة الترجمة لهذه الدراسة المجال لتقصّي مكان الترجمات العربية (الصادرة في السياق ما بعد الاستعماري) للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية (الصادرة في الحقبة الاستعمارية)، ومدارسة الترجمات المعادة والسياق التاريخي المحدّد للحظة التي أنجزت فيها بناءً على مشروعها التّرجيميّ، وذلك بتحديد النّسخ التي استطاعت تجسيد جدلية الأنا والآخر — بأبعادها المختلفة — المبتوثة في ثنايا الأصل، أو النّسخ التي ما زالت تستدعي ضحّ دماء جديدة، في خضم إعادة بعث سؤال جدلية الأنا والآخر في سياق ما بعد الاستعمار.

أمّا المبحث الثالث، فاستأثر بدراسة جدلية الأنا والآخر في مسار الترجمة الروائية، وذلك بسنّ مقارنة لترجمة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية إلى العربية ونقد ترجمتها بناءً على ما بُسّط تناوله سلفاً في الفصول النظرية الثلاثة، ما يُمهد الطريق للفصل الرابع الموسوم بطابع تطبيقيّ صِرف، مُعالِجة جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية، بتسليط الضوء على الروايات الصادرة في الحقبة الاستعمارية على وجه التحديد، وإبراز تجليات ترجمة جدلية الأنا والآخر — بأبعادها المختلفة — المبتوثة في حنايا الذوات المكتوبة الروائية الصادرة في تلك الحقبة، وذلك بتحليلها ونقدها وتبيان استراتيجيّة النّقل المُعتمَدة، بناءً على المشروع التّرجيميّ ما بعد الاستعماريّ الذي قامت عليه.

الفصل الرابع

جِلَّةُ الأنا والآخِر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

الفصل الرابع:

جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية

بعد ضبط جدلية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية في الفصل الأول، وتناول الفصل الثاني موقع هذه الجدلية في ضوء الترجمة ونظرياتها، ثم الانتقال في الفصل الثالث إلى معالجة جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجميمة واستراتيجياتها؛ يأتي هذا الفصل الرابع بطابع تطبيقي صرف، إسقاطاً لما عُرض سلفاً في الفصول النظرية الثلاثة، موسوماً بعنوان: جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية، مُسلطاً الضوء على الروايات الصادرة في الحقبة الاستعمارية على وجه التحديد، ومُبرزاً تجليات ترجمة جدلية الأنا والآخر – بأبعادها المختلفة – الماثلة في حنايا الذوات المكتوبة الروائية الصادرة في تلك الحقبة، وذلك بتحليلها ونقدها وتبيان استراتيجيات النقل المُعتمدَة، بناءً على المشروع الترجيمي ما بعد الاستعماري الذي قامت عليه.

1.4 المبحث الأول:

تقديم مُدَوَّنة الدِّراسة ورسم منهجية المسارين التحليلي والنقدي

1.1.4 تقديم مُدَوَّنة الدِّراسة:

يتناول هذا الشقّ التطبيقي من الدِّراسة سبع روايات جزائرية مكتوبة بالفرنسية، صادرة في الفترة الممتدة ما بين 1936م و1961م (أي الحقبة الاستعمارية)، وذلك بمراعاة التسلسل التاريخي في إصدار هذه الروايات وكذا الترتيب الزمني في ترجماتها العربية، نعرضها على النحو الآتي:

- رواية «Myriem dans les palmes»⁽¹⁾ لمحمد ولد الشيخ أغا، الصادرة سنة 1936م، التي ترجمها إلى العربية: د. معراج أغا بـ «مريم بين النخيل»⁽²⁾، وصدرت هذه الترجمة في السداسي الثاني من سنة 2020م.

- رواية «Lebbeik : Pèlerinage de Pauvres»⁽³⁾ لملك بن ني، الصادرة سنة 1947م، التي

(1) Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *MYRIEM DANS LES PALMES (Réédition)*, Tiaret – Algérie, Yotoubia Éditions et Distribution, 2^e semestre 2020.

(2) محمد ولد الشيخ أغا، مريم بين النخيل، ترجمة: د. معراج أغا، تدقيق ومراجعة لغوية: بخايتي عيسى، أحمد رحمان، فواصل للنشر والإعلام، غرداية – الجزائر، السداسي الثاني 2020م.

(3) Malek BENNABI, *Lebbeik : Pèlerinage de Pauvres*, collection : « problèmes de la civilisation », Éditions BENMERABET, 2017.

— الفصل الرابع: — جليّة الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

ترجمها إلى العربية: د. زيدان خوليف بن «ليبك: حج الفقراء»⁽¹⁾، الصادرة في طبعها الثانية سنة 1436هـ/2015م.

- رواية «La grande maison»⁽²⁾ لمحمد ديب، الصادرة سنة 1952م، بترجمتها إلى العربية:
- ✓ الترجمة الأولى: نقلها د. سامي الدروبي بن «الدار الكبيرة»⁽³⁾، الصادرة سنة 1968م في طبعها الأولى عن دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.
- ✓ الترجمة الثانية: نقلها أحمد بن محمد بكلي بن «الدار لكبيره»⁽⁴⁾، الصادرة سنة 2011م.
- رواية «L'incendie»⁽⁵⁾ لمحمد ديب، الصادرة سنة 1954م، بترجمتها إلى العربية:
- ✓ الترجمة الأولى: ترجمها د. سامي الدروبي بن «الحريق»⁽⁶⁾، الصادرة سنة 1968م في طبعها الأولى عن دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.
- ✓ الترجمة الثانية: ترجمها أحمد بن محمد بكلي بن «الحريق»⁽⁷⁾، الصادرة سنة 2011م.
- رواية «Le métier à tisser»⁽⁸⁾ لمحمد ديب، الصادرة سنة 1957م، بترجمتها إلى العربية:
- ✓ الترجمة الأولى: ترجمها د. سامي الدروبي بن «النول»⁽⁹⁾، الصادرة سنة 1968م في طبعها الأولى عن دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.
- ✓ الترجمة الثانية: ترجمها أحمد بن محمد بكلي بن «المُنسَج»⁽¹⁰⁾، الصادرة سنة 2011م.
- رواية «La dernière impression»⁽¹¹⁾ لمالك حدّاد، الصادرة سنة 1958م، التي ترجمها إلى العربية: أ. د. السعيد بوطاجين بن «الانطباع الأخير»⁽¹²⁾، وصدرت هذه الترجمة سنة 1429هـ/2008م.

(1) مالك بن نبي، ليبك: حج الفقراء، ترجمة: د. زيدان خوليف، دار الفكر، ط2، دمشق، 1436هـ/2015م.

(2) Mohammed DIB, *La grande maison*, Paris, Éditions du Seuil, 1952.

(3) محمد ديب، الدار الكبيرة، ترجمة: سامي الدروبي، سلسلة روايات الهلال، دار الهلال، العدد: 262، القاهرة، أكتوبر 1970م.

(4) محمد ديب، الدار لكبيره، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، دار سيديا، دط، الجزائر، 2011م.

(5) Mohammed DIB, *L'incendie*, Paris, Éditions du Seuil, 1954.

(6) محمد ديب، الحريق، ترجمة: سامي الدروبي، سلسلة روايات الهلال، دار الهلال، العدد: 263، القاهرة، نوفمبر 1970م.

(7) محمد ديب، الحريق، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، دار سيديا، دط، الجزائر، 2011م.

(8) Mohammed DIB, *Le métier à tisser*, Paris, Éditions du Seuil, 1957.

(9) محمد ديب، النول، ترجمة: سامي الدروبي، سلسلة روايات الهلال، دار الهلال، العدد: 264، القاهرة، ديسمبر 1970م.

(10) محمد ديب، المُنسَج، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، دار سيديا، دط، الجزائر، 2011م.

(11) Malek HADDAD, *La dernière impression*, Paris, Éditions René Julliard, 1958.

(12) مالك حدّاد، الانطباع الأخير، ترجمة: السعيد بوطاجين، الدار العربية للعلوم ناشرون/منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر العاصمة – الجزائر/بيروت – لبنان، 1429هـ/2008م.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

- رواية «Le quai aux Fleurs ne répond plus»⁽¹⁾ لمالك حدّاد، الصادرة سنة 1961م، بترجمات الثلاث إلى العربية:

- ✓ الترجمة الأولى: نقلها د. حنفي بن عيسى بـ «رصيف الأزهار لا يجيب»⁽²⁾، الصادرة سنة 1965م.
- ✓ الترجمة الثانية: نقلها د. ذوقان قرقوط بـ «ليس في رصيف الأزهار من يجيب»⁽³⁾، الصادرة سنة 1970م في طبعها الأولى عن الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر (المطبعة الثقافية).
- ✓ الترجمة الثالثة^(*): نقلها أحمد نظير نشوقي بـ «رصيف الزهور»⁽⁴⁾.

تنوّعت النّماذج الروائيّة تنوّعاً يتماشى ومسار جدليّة الأنا والآخر في تحولات الخطاب الروائيّ الجزائريّ الذي يطبع كل مرحلة كُتِبَتْ فيها الرواية، وكذا الأبعاد التي اتّخذتها جدليّة الأنا والآخر وفق الأوضاع السياسيّة المتغيّرة في كل حقبة، بدءاً بالرواية التي تبثّ انفتاح الأنا الجزائريّة على الآخر الفرنسيّ وتطرح مسائل الهوية الهجينة والاندماج في الآخر والتأثر به، مُروّراً بالروايات التي تبثّ الوعي واليقظة وتدعو إلى تحريك الأنا الجمعيّة ومن ثمّ التمرد على المُستعمر الفرنسيّ، وُصُولاً إلى الرواية التي تُعلن نُضج الأنا الجزائريّة وثورتها على الآخر الفرنسيّ وتُصوّر وقائع الثورة وتدعو إلى الاستقلال؛ وهذا بناءً على ما استأثر به المحور الأوّل من المبحث الثاني من الفصل الأوّل (راجع الفصل الأوّل، المبحث الثاني).

⁽¹⁾ Malek HADDAD, *Le quai aux Fleurs ne répond plus*, Paris, Éditions René Julliard, 1961.

⁽²⁾ مالك حدّاد، رصيف الأزهار لا يجيب، ترجمة: حنفي بن عيسى، المطبوعات الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1965م.

⁽³⁾ مالك حدّاد، ليس في رصيف الأزهار من يجيب، ترجمة: ذوقان قرقوط، سلسلة آفاق الكتابة، العدد: 25، الهيئة العامة لقصور الثقافة — شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، 1999م.

^(*) بخصوص ترتيب ترجمة أحمد نظير نشوقي (رصيف الزهور)، تُشير الدّراسة إلى أن النّسخة (المُصوّرة) التي تحصّلت عليها من عنْد أ. د. سهيلة مربي، الصادرة عن دار الاتحاد (بيروت)، لم تحمل تاريخ الإصدار في بياناتها، ما صعب مهمّة ترتيبها. كما تجب الإشارة إلى أن أ. د. سهيلة مربي قد وضعت هذه الترجمة في المرتبة الثانية، أي بين ترجمتيّ الجزائريّ د. حنفي بن عيسى والمُترجم السوريّ د. ذوقان قرقوط (يُنظر: مربي سهيلة، إشراف: الأستاذ الدكتور رشيد بن مالك، «المنحى التداولي في رواية مالك حدّاد LE QUAI AUX FLEURS NE REpond PLUS وترجماتها الثلاث إلى العربية — دراسة تحليلية مقارنة لترجمة أفعال الكلام»، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الترجمة، جامعة الجزائر 2 — أبو القاسم سعد الله، معهد الترجمة، الجزائر، السّنة الجامعية: 2015م — 2016م، ص 168-215). وبعد محاولات عديدة، لم تتوصّل الدّراسة إلى تحديد تاريخ إصدار هذه الترجمة. وما دامت ترجمة الجزائريّ د. حنفي بن عيسى، التي نشرها ديوان المطبوعات الوطنيّة الجزائريّة، صادرة سنة 1965م، وترجمة السوريّ د. ذوقان قرقوط صدرت — في طبعها الأولى — سنة 1970م عن الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر (المطبعة الثقافية)؛ لا يُمكن للدّراسة الحاليّة أن تضبط تاريخ إصدار ترجمة أحمد نظير نشوقي بين سنتي 1965م و1970م ما دامت المعلومات غير متوفرة بدقّة. لذا، تقرر وضعها بعد التّرجمتين المذكورتين، أي في المرتبة الثالثة.

⁽⁴⁾ مالك حدّاد، رصيف الزهور، ترجمة: أحمد نظير نشوقي، دار الاتحاد، بيروت، د.ت.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

2.1.4 رَسْم منهجية المسارين التحليلي والنقدي:

تنطلق منهجية المسار التحليلي المنتهجة في هذه الدراسة التطبيقية من مخرجات الفصل الأول، لا سيما المحور الثاني من المبحث الثالث المعنون بـ: تجليات الأنا والآخر في روايات الحقبة الاستعمارية: نماذج روائية مُنتقاة. ولقد تأتى رَسْم منهجية المسارين التحليلي والنقدي من جرّاء:

- قراءات (بصيغة الجمع) الروايات المختارة بنسختها الأصل ثم المترجمة إلى العربية. وتجدر الإشارة، هنا، أن بيرمان يستهل المرحلة التمهيدية في منهجه النقدي الترجيقي بقراءة الترجمة (أو الترجمات) أولاً، ثم إعادة قراءتها بتنحية النصّ الأصل جانباً، مُركّزاً على المواضيع أو المناطق النصّية (zones textuelles) التي قد تشدّ انتباه الناقد في أثناء سيرورتي القراءة وإعادة القراءة وتترك في نفسه انطباعات⁽¹⁾. وفي هذه الدراسة التطبيقية، يُسلط الضوء على المناطق النصّية المُجسّدة لتجليات جدلية الأنا والآخر – بأبعادها المختلفة – التي حملتها الرواية الجزائرية المترجمة إلى العربية في ثناياها. ثم يتجه بيرمان إلى مباشرة سيرورات قراءات النصّ الأصل وتفحصه، وتفسيره، وكشف أنساقه، وإبراز سماته الأسلوبية، وضبط إيقاعاته الفنية؛ وذلك باستحضار تلك المواضيع أو المناطق النصّية التي تركت انطباعات في أثناء سيرورتي قراءة الترجمة وإعادة قراءتها⁽²⁾ (راجع الفصل الثاني، المبحث الثاني)، أي أن بيرمان يُسبقُ قراءة الترجمة (أو الترجمات) ثم إعادة قراءتها على قراءات النصّ الأصل.

- التركيز على المقاطع السردية (المواضع أو المناطق النصّية وفق المصطلح البيرماني) التي تتجلى فيها الأنا بمرجعياتها الدينية والروحية والفكرية والتاريخية والوطنية، وخصوصياتها الثقافية والاجتماعية والجمالية، والأبعاد الأخرى التي اتخذتها الأنا في سيرورة الخطاب الروائي الجزائري المكتوب بالفرنسية.

- التركيز على المقاطع السردية التي يتجلى فيها الآخر، بوصفه كيئاً مُخالفًا للأنا، من حيث الأبعاد التي اتخذها وصُور ذكره – وحضوره – في سيرورة الخطاب الروائي الجزائري المكتوب بالفرنسية.

- البحث عن الذوات الكاتبة وضبط نواياها من توظيف الشخصيات الروائية، ومغزاها من اللعبة الروائية (الإيلوزيو الروائي *l'illusio romanesque*)، وتحديد الحيزين المكاني والزمني اللذين – في ظلّهما – تجري الوقائع والأحداث؛ ومن ثمّ تحديد مواطن جدلية الأنا والآخر وأبعادها المختلفة. ثمّ البحث عن الذوات المترجمة وإمالة اللثام عن مشاريعها التّرجميمة ما بعد الاستعمارية.

(1) Voir : Antoine BERMAN, *Pour une critique des traductions*, op. cit., p65–67.

(2) Voir : *Ibid.*, p67–73.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجرائرية إلى العربية —

كما يتركز هذا المسار التحليلي على المقاربة التي سنّها المبحث الثالث من الفصل الثالث، التي تمحورت نقاطها حول:

- رَسْم المسارين التحليلي والنقدي.
- ضبط المصطلحات الترجمية وقراءة في المفاهيم.
- قراءة الذات الروائية المكتوبة الأصل وتفكيكها.
- البحث عن الذات الكاتبة.
- قراءة الذات الروائية المترجمة وتفكيكها.
- البحث عن الذات المترجمة.
- ضبط الاستراتيجية الترجمية المنتهجة.

بناءً على نقاط هذه المقاربة ومحاورها، يضطلع رَسْم المسارين التحليلي والنقدي بتحديد المنهجية الآتية:

1.2.1.4 من حيث الشكل:

- تُرتَّب الروايات ترتيباً مِيقَاتِيًّا (classification chronologique / chronological order) بناءً على تصنيف الوقائع تصنيفاً زمنياً وانعكاساتها على تحوُّل الخطاب الروائي الصادر في تلك الحقبة، والأبعاد التي اتخذتها جدلية الأنا والآخر وفقاً للأوضاع السياسية المتغيّرة في كل مرحلة (وفق تسلسل تاريخي).
- تُرتَّب المقاطع السردية على النحو الآتي: المقطع الأوّل، المقطع الثاني، المقطع الثالث... وهكذا دواليك، مع الحفاظ على عنوان الرواية وفق التسلسل التاريخي المذكور أعلاه.
- تُقسَّم المقاطع السردية الطويلة إلى أجزاء، ثُمَّ تُرتَّب هذه الأجزاء وفق الترتيب الأبجدي (نحو: (أ)، (ب)، (ج)، (د)... ونحو ذلك) مع الحفاظ على العدد الترتيبي للمقطع السردية (نحو: المقطع الأوّل (أ)، المقطع الأوّل (ب)، المقطع الأوّل (ج)... وهكذا دواليك).
- يُوضَع المقطع الأصل (بالفرنسية)، ثُمَّ تُقابلُه الترجمة (أو الترجمات) العربية. كما تُرتَّب المقاطع المترجمة وفق تسلسل تاريخي يُراعي ظُهور الترجمة (أو الترجمات) العربية دون أخذ الطبعة ودار النشر في الحُسبان (قد تستعين الدراسة الحالية بطبعة حديثة من النسخة المترجمة غير الطبعة الأولى).

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

2.2.1.4 من حيث المضمون:

تُحلّل استراتيجيات الوساطة المُنتَهجة مِنْ لَدُن الذوات المُترجمة (المُترجمين) وقراراتهم المُتخذة، اعتمادًا على مشاريعهم التَّرجميّة (مِنْ منظورٍ ما بعد استعماريّ)، ثُمَّ التَّعليق عليها بناءً على:

- الكيفية التي نُقِلَتْ بها تجليات جدلية الأنا والآفر، بأبعادها وخصوصيّاتها ومرجعياتها المختلفة، المبنوثة في حنايا الخطاب الروائيّ الأصل (المكتوب بالفرنسيّة) إلى العربيّة، وذلك بتحديد مواطن التوافق والتخالف الواردة في كل ترجمة. بعبارةٍ أُخرى، تُشرّح العلاقة بين الذاتين الأصل والمُترجمة (المُتقولة) وتُحلّل وتُنقّد وفقًا لما بُسِطَ عَرَضُهُ سلفًا في الفصول النّظرية الثلاثة.

- التركيز في هذه الروايات المُختارة على مواضع جدلية الأنا والآفر، بتجليّاتها وأبعادها وخصوصيّاتها ومرجعياتها المختلفة، والطريقة التي نُقِلَتْ بها هذه المقاطع (les fragments/les passages) إلى العربيّة. وهذا لا يعني أن الأجزاء الأخرى مِنْ هذه الروايات ذات طابعٍ عشوائيٍّ (un caractère aléatoire) على حدّ تعبير بيرمان⁽¹⁾، فقط لأن جدلية الأنا والآفر تتجسّد في بعض المقاطع دون سواها، بغضّ النّظر عن تجسيد المقاطع الأخرى للموروث الثّقافيّ، والوضع الاجتماعيّ، والواقع الاستعماريّ (بالرغم مِنْ أن هذه العوامل كلّها تندرج في أبعاد هذه الجدلية وصُورها المختلفة). ولقد تأتت فكرة التركيز على انتقاء النّماذج الأسلوبية المناسبة التي تكتسي أهميةً بالغةً مِنْ جِزَاء تأويل النّصّ الروائيّ الأصل وتفسيره مِنْ منهج بيرمان النّقديّ التَّرجميّ، بحيث يُطلَق بيرمان على هذه المقاطع المُستلّة مِنْ الأصل مُصطلح المناطق الدالّة (les zones signifiantes)، حيث يبلغ العمل الروائيّ ذروته ومُبتغاه الخاصّ ومركز الثّقل الخاصّ به. ولا يَظْهَرُ وَقَعُ هذه المقاطع (ces passages) السردية عند القراءة البسيطة للأصل، بل يُبرزها العمل التّفسيريّ ويُثبتُ كيانها وجدليّاتها⁽²⁾ (راجع الفصل الثّاني، المبحث الثّاني).

- البحث عن الذات المُترجمة ومدى تأثيرها في توجيه مسار العملية التَّرجميّة، وإلى أيّ حدّ وُقِّقت في نقل تأثيرات جدلية الأنا والآفر – بأبعادها المختلفة – المبنوثة في ثنايا النّصّ الروائيّ الجزائريّ الأصل إلى الذات القارئة المُستهدفة، بالوَقَعِ ذاته والكيفية نفسها والوتيرة ذاتها.

- وفي ختام سيرورة تحليل المقاطع السردية مُنفردةً، تُحلّل النتائج التي أَسْفَرَتْ عنها الدّراسة التّطبيقية كاملةً في مبحثٍ مُنفصلٍ (أي المبحث الثّالث مِنْ هذا الفصل الرّابع)، بحيث يُراعى – في أثناء

(1) Voir : Antoine BERMAN, *Pour une critique des traductions*, op. cit., p71.

(2) Voir : *Ibid.*, p70–71.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجرائرية إلى العربية —

سيرورة تحليل النتائج – ترتيب الروايات المترجمة المُعالَجة في المبحث الثاني بناءً على مشروعها التَّرجيمي ما بعد الاستعماري، بإسقاط ما بُسِطَ طَرُحُهُ سَلَفًا في الفصول النَّظريَّة الثلاثة.

”

تُركِّز هذه الدِّراسة التَّطبيقيَّة على المقاطع السردية المُجسَّدة لتجليات جدلية الأنا والآخر، بأبعادها وخصوصياتها ومرجعياتها المختلفة، المبتوثة في حنايا الخطاب الروائيِّ الأصل (المكتوب بالفرنسيَّة)، والكيفية التي تُرجمت بها تلك المقاطع السردية (إلى العربيَّة)، دون تَسْلِيْط الأضواء على سَقَطات النَّقل أو التدخُّل في خيارات المُترجمين (النَّحويَّة والأسلوبية والتَّرجميَّة... ونحو ذلك)، عدا المتَّصلة بموضوع الدِّراسة وإشكاليَّتها وأهدافها.

“

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

2.4 المبحث الثاني:

سيرورة تحليل ترجمة المقاطع السردية إلى العربية ونقدها

1.2.4 جدلية الأنا والآخر في ترجمة رواية «Myriem dans les palmes» لمحمد ولد

الشيخ أغا إلى العربية:

المقطع الأول (أ):

Texte Source de Mohammed OULD CHEIKH AGHA.	ترجمة: معراج أغا.
« Rassérénée, Khadija dépose sur le front de la jeune fille un long baiser. Bien qu'elle eût épousé un occidental, Khadija est demeurée musulmane ; elle s'habille à la mauresque et pratique sa religion avec ferveur. » ⁽³⁾	« بكل هدوء تُقبّل خديجة إبنيتها على جبهتها... رغم زواجها من ضابط فرنسي إلا أنها ظلت متمسكة بدينها حيث ترتدي اللباس المحتشم وتقوم بكل واجباتها الدينية بكل حب وحماسة. » ⁽¹⁾
« Elle s'était unie au capitaine Debussy, dans un moment de folie sans penser aux ennuis que lui réservait la différence de leurs sentiments, de leurs goûts et de leurs croyances. Elle ne s'aperçut de son erreur qu'à la naissance de Jean... Elle comprit sa faute mais c'était trop tard. » ⁽⁴⁾	« إلتقت خديجة مع الضابط "ديبوسي" في فترة جنون الشباب بدون تفكير في عواقب الزواج المختلط والمشاكل المترتبة عنه من اختلاف في الأدواق والإحساس والمعتقدات... لكن خديجة هذه لم تفق من غفوتها إلا بعد ولادة جون. فتبين لها خطأها بعد فوات الأوان. » ⁽²⁾

يُظهر هذا المقطع الصراع الجدلي بين الأنا والآخر الذي نشب بين الأمّ خديجة المسلمة (صورة الأنا الجزائرية المسلمة) والأب الفرنسي النقيب ديبوسي (الذي يُمثّل صورة الآخر الفرنسي). ومن منظور النقل إلى العربية، تصرّف المترجم معراج أغا (زاجع الملحق (5)) في الترجمة، إذ لم يتشبّث بالأصل، خاصّة في نقل مُستهلّ هذا المقطع:

« Bien qu'elle eût épousé **un occidental**, Khadija est **demeurée musulmane** ; elle s'habille **à la mauresque** et pratique sa religion avec ferveur».

«... رغم زواجها من ضابط فرنسي إلا أنها ظلت متمسكة بدينها حيث ترتدي اللباس المحتشم وتقوم بكل واجباتها الدينية بكل حب وحماسة.»

(1) محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص 20.

(2) المرجع نفسه، ص 21.

(3) Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *op. cit.*, p22.

(4) *Ibid.*, p22.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

إنَّ تصرُّف المترجم معراج أغا في نقل ما كُتِبَ بخطِّ بارزٍ (بالحروف الداكنة وبالبُنْط العريض) وارد من حيث الخيارات التَّرجَمِيَّة، خاصة في نقل «elle s'habille à la mauresque» بـ «ترتدي اللباس المحتشم»، حيث شرح المترجم طبيعة هذا اللباس «المورسكي أو المغاربي»، أنه لباس محتشم، يتماشى وأعراف المنطقة وضوابط لباس المرأة المسلمة. بيد أنَّ مُقَابِلَة «un occidental» بـ «غربي» أشدَّ وقعاً من توظيف «ضباط فرنسي» (المُقابِل الذي لجأ إليه المترجم) من حيث تصوير الآخر. كما إنَّ ترجمة «Khadija est demeurée musulmane» بـ «ظَلَّتْ خديجة مُسلمة»، يُجسِّدُ الهويَّة الدينيَّة الماثوثة في الرواية أفضل من توظيف «ظلت متمسكة بدينها» (أي العبارة التي لجأ إلى توظيفها المترجم معراج أغا)، هذا من منظور تجسيد أبعاد الهويَّة التي اتَّخذتها الأنا الجزائريَّة في مواجهة الآخر الفرنسي. المقطع الأوَّل (ب):

اشتدَّ ذلك الصراع الجدلي بين الأنا والآخر، بتجلياته وأبعاده المُختلفة، فَبَعْدَ إنجاب خديجة للولدين:

ترجمة: معراج أغا.	Texte Source de Mohammed OULD CHEIKH AGHA.
«خمس سنوات تمرَّ بعد زواجها مع "ديبوسي" لتولد لهما بنت سمّاها مريم. ألحقت هذه الولادة أضرارا كبيرة بخديجة إذ تبيَّن لها مدى الإزعاج الذي قد يهدد سعادتها. بعد مدَّة لما كان ضروريا الاعتناء بتربية أولادها تعرضت لمشاكل عديدة من طرف زوجها بحيث أن كلا منهما كان يتمنى تحويل الآخر إلى عقيدته.» ⁽¹⁾	« Cinq ans après, elle mit au monde une fillette : Myriem. Cette nouvelle maternité affecta profondément Khadija, et dès lors elle ne douta plus du malaise qui menaçait son bonheur. Plus tard, quand il fallut s'occuper de l'éducation de ses enfants, elle eut maintes difficultés avec son mari, car chacun souhaitait de les convertir à sa religion. » ⁽²⁾ .

لجأت الذات المُترجِمة (المترجم معراج أغا)، في نقل هذا المقطع إلى العربية، إلى التَّأويل النَّاجم عن فهم الذات الأصل وتفكيكها، وذلك بتوظيف مُقابلاتٍ سديدة نحو: أضرارا، الإزعاج، المشاكل؛ بوصفها مُقابلاتٍ عربيَّة تُجسِّدُ — من حيث الشحنة الدلاليَّة — من وَفَعِ الصراع القائم بين الأنا والآخر، وهذا ما يَبْنُئُه المقطع السردِيّ الأصل.

⁽¹⁾ محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص21.

⁽²⁾ Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *op. cit.*, p22.

الفصل الرابع: جدلية الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية

المقطع الأوّل (ج):

Texte Source de Mohammed OULD CHEIKH AGHA.	ترجمة: معراج أغا.
« Lorsque le petit Jean eut huit ans, Khadija voulut le baptiser Musulman, mais le Capitaine s'y opposa formellement. L'officier répugnait de voir sa femme parler trop arabe à ses enfants ou de les initier à ses coutumes ancestrales. Il ne tolérait pas non plus qu'elle les emmenât avec elle au Marabout. Cette suspicion accrut davantage la douleur de Khadija qui voulait, comme toute mère, prodiguer à ses enfants sa tendresse, son affection et sa sollicitude. » ⁽³⁾ « Un mois plus tard, le Capitaine partit pour le sud et durant son absence Khadija fit circoncire son fils et lui donna le prénom de Hafid. » ⁽⁴⁾	« لما بلغ جون سن الثمانية أرادت خديجة تعميده مسلماً؛ لكن النقيب ديبوسي اعترض عليها وبشدة. الضابط كان يكره أن يرى زوجته تكثر الكلام بالعربية مع ولديه أو أن تعدّهما إلى عادات أسلافها. كما أنه لم يتقبل مرافقتهما إلى ضريح الولي الصالح. هذا الشك زاد من آلام خديجة وهي التي كانت تودّ تلقين ولديها الحنان والمودة والاهتمام. » ⁽¹⁾ « وأثناء غياب النقيب في مهمة إلى الجنوب دامت شهراً، قامت خديجة بتختين ولدها وأعطته إسم حفيظ. » ⁽²⁾

وفي هذا المقطع السردّي، يُعدّ إصرار الأمّ خديجة أن يكون ابنها جون مسلماً، على عقيدة التوحيد، انتصاراً لمعتقد الأنا المسلمة، بيد أن النقيب ديبوسي (الآخر)، كان يرفض المقترح رفضاً قاطعاً، كما كان يكره رؤيتها وهي تُكلّم ولديها بالعربية، خشية أن تفطرهما على عادات أسلافها، ولم يكن يتقبّل كذلك مرافقتهم لها إلى ضريح الولي الصالح، في مشهدٍ يُجسّد الآخر الفرنسيّ الرافض للأنا الجزائرية ومعتقداتها، مما أجج من آلام خديجة وزاد من حدة أوجاعها، خديجة التي كانت تريد أن تغمر ولديها بالحب والحنان وتجبلهما على فطرة الإسلام. كما يُصوّر السارد، محمد ولد الشيخ أغا (راجع الملحق 1))، لحظة انتهاز خديجة (التي تُمثّل صورة الأنا) فرصة غياب زوجها النقيب ديبوسي (الذي يُمثّل صورة الآخر الفرنسيّ) بُغية فرض أناها (المُتمثلة في المرجعية الدينيّة)، فاختنت ولدها جون وسَمّته حفيظ.

ومن منظور النّقل إلى العربيّة، يُعدّ توظيف الفعل عمّد مُقابلاً للفعل الفرنسيّ (baptiser) غامضاً عند المسلمين، لأن التعميد عادة وثنية قديمة، وطُقُس من الطُقُوس الشائعة عند النصاريّ، يغمسون فيها الطفل الصغير (في سنّ السابعة أو الثامنة) في الماء (أي يغسلونه بماء المعموديّة) بغرض تطهيره ومحو الخطايا – التي لم يرتكبها الطفل الصغير أصلاً – وهذه من الطُقُوس الدينيّة التي تتمتع بها عقيدة الآخر. أمّا عقيدة الأنا المسلمة، فتفطر الطفل وتجبله على فطرة الإسلام. ويُستحسن، في هذا

(1) محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص 21.

(2) المرجع نفسه، ص 24.

(3) Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *op. cit.*, p22.

(4) *Ibid.*, p24.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

السياق، أن تبرز الذات المترجمة هذا الفرق، بخلاف الحمولة الدينية التي تبثها لغة الآخر (الفرنسية) في الفعل (baptiser)، كأن يُوظف التأقّل عبارات: «أرادت خديجة أن تجبله على فطرة الإسلام»، أو «أرادت خديجة أن يكون ابنها جون مُسلمًا»، وهذا بُغية إضفاء المرجعية الدينية للأنا الجزائرية الحاضرة في صورة الأم المسلمة خديجة، توافقًا وفطرة الختان (la circoncision بصيغة الفعل circoncire) التي كانت حاضرة في هذا السياق السردّي.

المقطع الثاني:

ترجمة: معراج أغا.	Texte Source de Mohammed OULD CHEIKH AGHA.
«لا ترى نجاة ولديها إلا في الدين، الذي يبصر الإنسان ويضفي عليه طابعا أخلاقيا؛ وهي ترغب بشدة أن يعتنقا الدين الإسلامي، لكن دون اندفاع، خشية أن تصدم مشاعرهما. غداة وفاة النقيب "ديبوسي" توجهت خديجة عند شيخ، عالم كبير معروف بعلمه، وسخائه، وزهده، وكرمه. فاستشارته في أمرها.	« Elle ne voit le salut que dans la religion qui éclaire les hommes et les moralise ; et, elle désire ardemment islamiser ses enfants sans toutefois les y engager, n'osant pas heurter leurs sentiments. Au lendemain de la mort du capitaine Debussy ; Khadija se rendit chez un Cheikh, un grand savant réputé pour sa science, sa bonté et sa vie pieuse et charitable. Elle le consulta.
- حقّظي كلمة الله لولديك، أجب الشيخ، سيرجعان لا محالة إلى الصواب، القرآن منهاج ونور العباد في هذا العالم المتحول والذي هو عبارة عن سفينة ضائعة. طاعة الله وحدها سبيل النجاة.» ⁽¹⁾	- Fais apprendre la parole de Dieu à tes enfants répondit le saint homme. Ils reviendront certainement à la raison. Le Coran est le guide et la lumière des hommes dans ce monde dégénéré qui est un vaisseau en perdition... Seul le culte d'Allah est leur salut. » ⁽²⁾

وفي ترجمة هذا المقطع السردّي — إلى العربية — الذي يُجسّد تمسُّك الأنا الجزائرية بهويتها الدينية في محاولة إنقاذ خديجة لولديها، تجلّت الذات المترجمة المتماهية والذات الكاتبة (الكاتب محمد ولد الشيخ أغا، راجع الملحق (1))، إذ تصرّف المترجم معراج أغا في النّقل بما يتوافق والسياق الدينيّ الماثوث في حنايا الأصل.

⁽¹⁾ محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص25.

⁽²⁾ Mohammed OULD CHEIKH AGHA, op. cit., p25.

الفصل الرابع: ————— جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —————

المقطع الثالث (أ):

ترجمة: معراج أغا.	Texte Source de Mohammed OULD CHEIKH AGHA.
«مریم تقرأ: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ". - يقول أحمد عن هذا المثال: كما يبدو في الآية فإن المفعول به يسبق الفعل أحياناً. وتفسير الآية يقول: - أنت الذي نعبد، ومنك نستمد الفرج. - يُتمِّم إيباتوف: هذا الغبي، يُعَلِّمُ مريم القرآن.» ⁽¹⁾ .	« Myriem Lisant : « Yaka naboudou oua ayaka nastainou ». - Comme on le voit, dit Ahmed par cet exemple du Coran, le pronom régime se place quelquefois avant le verbe. En voici la traduction : « C'est toi que nous adorons : c'est de toi que nous implorons le secours ! » - C'est drôle, murmure Ipatoff, lui enseigne le Coran maintenant. » ⁽²⁾ .

ينسجُ هذا المقطع مشهداً يُجسِّدُ رفض الآخر الفرنسي مُعتقد الأنا الجزائرية. ففي المشهد الذي كان يُلقَّن فيه سي أحمد مسعودي مريم دروساً في العربية، مُستدلاً بآيات من القرآن الكريم، كانت مريم تقرأ قوله تعالى: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»، وكان أحمد يشرح لها التركيبة النحوية لهذه الآية، ويُترجم لها المعنى الذي تنطوي عليه باللغة الفرنسية، وهنا طفق إيباتوف Ipatoff يُتمِّم ويقول في نفسه: «ها هُوَ ذَا الآن يُعَلِّمُها القرآن»، في موقفٍ يُجسِّدُ خوفه من أن يفقد خطيبته مريم. كأنَّ السَّارِدَ (محمد ولد الشيخ أغا) يريد أن يُنقذ بطلته مريم من الوقوع في الخطأ ذاته الذي وقعت فيه والدتها من ذي قبل، لذا صوِّر لنا هذا المشهد والمشادة الكلامية التي وقعت بين مريم وإيباتوف⁽³⁾، ما يعني القطيعة بين الأنا والآخر ثمَّ العودة إلى حُضن الأنا، أي العودة إلى سي أحمد مسعودي، هذه الشخصية التي وظَّفها ولد الشيخ إحالةً إلى الهويتين الدينيتين واللُّغويتين (راجع الفصل الأوَّل، المبحث الثالث).

ومن منظور النُّقل إلى العربية، يُلاحظُ انتهاج تقنية الرُّومنة (*)(Romanization) في نقل قوله تعالى: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» إلى الفرنسية، وذلك بكتابة الآية كما تُنطقُ (بالعربية) ولكن بحروف لاتينية «Yaka naboudou oua ayaka nastainou»، وهذه من الآثار التي يُخلِّفها الأصل في الترجمة الأولى، أي أن طبيعة الرواية الجزائرية، عربية في أصلها، خطَّتها الذات الكاتبة بلُغة الآخر الفرنسي.

وقد أضافت الذات المُترجمة في نقلها للعبارة الأخيرة من المقطع عبارة «هذا الغبي» التي لم ترد

(1) محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص35.

(2) Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *op. cit.*, p31.

(3) *Ibid.*, p32-33.

(*) تُبْنَى الرُّومنة (رُومنة آيات القرآن الكريم في المثال المُشار إليه في المتن) على كيفية كتابة الكلمة أو العبارة العربية كما تُنطقُ بالحروف اللاتينية (سماعياً). يُنظر: النظام العربي الموحد لنقل الحروف العربية إلى الحروف الرومانية (اللاتينية)، Arabic Romanization System (الرُّومنة)، (النظام الذي أقر في المؤتمر الحادي عشر للمجموعة العالمية لخبراء الأسماء الجغرافية في البند 2/11 نيويورك 2017م)، الشعبة العربية لخبراء الأسماء الجغرافية، ص4.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجرائية إلى العربية —

في الأصل، وهذا بغرض توصيف حالة غيرة إيباتوف (الذي يُمثّل الآخر) وخوفه من أن يفقد خطيبته مريم. مريم التي أصبحت تتدارس القرآن وتتدبّر في معانيه. وهذه إضافة جسّدت من وقع الأصل وأسهمت في رسم المشهد بصورة حقيقية، وهو ما يُحسب للمترجم معراج أغا الذي صوّر أبعاد الأنا والآخر في النسخة المترجمة إلى العربية.

المقطع الثالث (ب):

Texte Source de Mohammed OULD CHEIKH AGHA.	ترجمة: معراج أغا.
« Ahmed citant un autre verset : « Méfie-toi de l'affaire dont les abords sont vastes et faciles ; l'issue en sera étroite et pénible... » - C'est un « FAL » pense Khadija, c'est un avertissement, un mauvais présage... » ⁽²⁾ .	«يواصل أحمد ذكره لآية أخرى: - "اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم." يقول أحمد لخديجة: في هذه الآية، تحذير. - هذا "فأل" تفكر خديجة، هذا تحذير، إنه شؤم...» ⁽¹⁾ .

وفي السياق ذاته، يُواصل أحمد استدلاله بمثال آخر، شارحاً لخديجة بأن محتوى هذا المثال ومضمونه تحذير، كأن إيباتوف، هذا الذي يُمثّل صورة الآخر الفرنسي، هو مصدر هذا الشؤم وأمارته. لا سيّما أنّ الموقف تصادف وتودّد إيباتوف لخديجة، عارضاً عليها مساعدته لها في تسيير شؤون مزرعتها، لكنّها رفضت وتحجّجت بأنها أوكلت تسييرها لأحدٍ من أقاربها ما دام أن ابنها جون لا يزال وفياً لالتزاماته مع الجيش. وهو موقف يُجسّد تفضيل الأنا (المُتمثّل في أحد أقارب خديجة) وصدّ الآخر (إيباتوف) بالرغم من تودّده الخبيث ومحاولاته الماكرة. وفي تحليل الأصل وتفكيكه قبل المرور إلى الترجمة العربية، ترمي الذات الكاتبة (محمد ولد الشيخ أغا) بذكرها في الأصل:

« Ahmed citant un autre **verset** :

« Méfie-toi de l'affaire dont les abords sont vastes et faciles ; l'issue en sera étroite et pénible... »⁽³⁾.

قاصدةً توظيف آية قرآنية. ولكن بعد البحث في النسخة المترجمة إلى الفرنسية للمقدّمة النحويّة (الأجرومية)، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي (النحويّ المشهور بابن أجروم)، التي نقلها المترجم (L.-J. BRESNIER)⁽⁴⁾؛ عُزِر على المقطع الآتي:

⁽¹⁾ محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص 36.

⁽²⁾ Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *op. cit.*, p31–32.

⁽³⁾ *Ibid.*, p31.

⁽⁴⁾ Abou-Abdallah Mohammed ben Mohammed ben Dawoud EL-SANHÂDJI (ÉBN ADJOURROUM), *DJAROUMIYA : GRAMMAIRE ARABE ÉLÉMENTAIRE (Principes de Syntaxe)*, Texte Arabe et Traduction

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجرائرية إلى العربية —

« Quelquefois, par énergie, le pronom régime se place avant le verbe, comme on le voit par cet exemple du Coran, chap.1, v. 4. :

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

C'est toi que nous adorons ; c'est de toi que nous implorons le secours.

Le mot *إِيَّا* avec le pronom de seconde personne est quelquefois une espèce d'interjection qui signifie *prends garde !* En voici un exemple tiré du *Hamasa* (p. 512, éd. de M. Freytag) :

إِيَّاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنَّ تَوَسَّعَتْ

مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِرُ

Méfie-toi de l'affaire dont les abords sont vastes et faciles ; l'issue en sera étroite et pénible. »⁽¹⁾.

ما يسترعي الانتباه في هذا المقطع المُستلَّ من المُقدِّمة النَّحويَّة (الآجروميَّة)، الذي يُماثل ما وظَّفه محمد ولد الشيخ في روايته، أنه وظَّف بغرض شرح ضمير النَّصب المُنفصل (الذي تتَّصل به الضَّمائر جميعها) "إِيَّاكَ"، وتحديد موقعه في الجملة، وكيفية إعرابه، واستخداماته المختلفة؛ مما اقتضى الاستدلال بذكر آية من آيات سورة الفاتحة: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» (إِيَّاكَ: ضميرُ نصبٍ مُنفصل مبني على السُّكون في محلِّ نصب مفعول به مُقدَّم، والكاف: حرف خطاب مبني على الفتح) وشرحها، ثُمَّ استحضار بيت من هذين البيتين^(*):

إِيَّاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنَّ تَوَسَّعَتْ مَدَاخِلُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِرُ

فَمَا حَسَنٌ أَنْ يَغْدِرَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ عَازِرُ

Française Accompagnés de Notes Explicatives par L.-J. BRESNIER, Alger, Bastide, libraire - Éditeur, 2^e Édition, 1866.

⁽¹⁾ *Ibid.*, p76.

^(*) استدللَّ بهما أبو تمام في ديوان الحماسة ولم ينسهما لأحد، مُشيرًا في الهامش إلى أن البيت الأوَّل قد يردُّ بصيغة: «إن توسَّعت مَوَارِدُهُ ضاقت عليك المصَادِرُ» (ذُكر في شرح التبريزي). يُنظر: أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (المتوفى سنة 421هـ)، شُرُح ديوان الحماسة لأبي تَمَّام، علَّق عليه وكتب حواشيه: غريد الشيخ، وضع فَهْرَسَةُ العَامَّة: إبراهيم شمس الدِّين، منشورات محمَّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت - لبنان، 1424هـ - 2003م، ص809.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

وفي شرح هذين البيتين، ناب ضميمُ النَّصب المنفصل "إِيَّاكَ" عن "أَحْذَرُكَ"، كأنَّه قال: «أَحْذَرُكَ أن تُلَابِسَ الأمر الذي إن توسَّعتْ مَوَالِجُهُ، ضاقت عليك مَخَارِجُهُ»⁽¹⁾. ومعناه: «تَأَمَّلْ كُلَّ ما تُلَابِسُهُ، واعْرِفْ أَوَاخِرَهُ وإن اشْتَبَهَتْ، كما تَعْرِفْ أَوَائِلَهُ وإن تَبَيَّنَتْ (واعْرِفْ أَوَائِلَهُ وأَوَاخِرَهُ)⁽²⁾، لأنه يَقْبُحُ بالمرء أن يكون فيما يقتحمُهُ عند نفسه معذورًا، وعند الناس مَلُومًا»⁽³⁾، فما «يَحْسُنُ عَذْرُ المَرْءِ نفسَه فيما يتولَّاه وليس له من الناس عاذِرٌ»⁽⁴⁾. كأنَّ السَّارد (محمد ولد الشيخ أغا)، باستحضاره لهذا البيت، يُحذِرُ بطلته (خديجة) مِنْ تودُّد إيباتوف الذي عرض عليها مساعدته لها في تسيير شؤون مزرعتها.

وبناءً على هذا الشَّرح، يُسْتَنْتَجُ بأن هذه الأبيات هي المُقابل السَّديد لما تضمَّنه الأصل. فالآية التي وظَّفها المُترجم معراج أغا: «اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ»، ترجمةً (لهذه الأبيات)، لا يُمْكِنُهَا إحالة القارئ إلى البُعْدِ (المُتَضَمَّن) الذي اتَّخذته جدلية الأنا والآخر في هذا المشهد. وما يُثبِتُ سداد هذا التَّحليل، تدبُّرُ خديجة لفحوى العبارة وتأويلها، إذ نجم عنه استنتاج مُفاده فأل شؤم وتحذير، بل إنَّه نذير شؤم على حدِّ تعبيرها، أمارته هو هذا المُسَمَّى إيباتوف الذي يُمثِّلُ صورة الآخر، لكتِّها - في نهاية الأمر - رفضت مُقترحته وتحجَّجت بأنها أوكلت تسيير شؤون أراضيها الفلاحية لأحدٍ مِنْ أَقاربها ما دام أن ابنها جون لا يزالُ وَفِيًّا لالتزاماته مع الجيش. وهو موقف يُجسِّدُ تفضيل الأنا (المُتمثِّل في أحد أقارب خديجة) وصدِّ الآخر (إيباتوف) بالرغم مِنْ تودُّده الخبيث ومحاولاته الماكرة.

ولعلَّ الذات المُترجمة، في هذا السياق، كانت ضحية الأصل، أي بذكر الذات الكاتبة كلمة «Ahmed citant un autre verset»، لذلك اضْطُرَّت إلى البحث عن آية قرآنية تُجسِّدُ الموقف.

كما اقْتُرِضَتْ كلمة (FAL) إلى الفرنسيَّة، وهذا ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوب الترجمة المستمرة التي تطبَّع كتابة الرواية الجزائرية باللُّغة الفرنسيَّة، إذ تُصاحِبُ فيها الكلمات العربيَّة سيرورة التحرير بالفرنسيَّة.

(1) يُنظر: أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، المرجع السابق، ص 809.

(2) محمَّد محمَّد حسن شُرَّاب، شَرْح الشَّواهِد الشَّعْرِيَّة في أُمِّهَات الكُتُب النَّحْوِيَّة «لأربعة آلاف شاهدٍ شِعْري»، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزء: 1، ط 1، بيروت - لبنان، 1427هـ - 2007م، ص 422.

(3) يُنظر: أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، المرجع السابق، ص 809.

(4) يُنظر: المرجع نفسه، ص 809-810.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

المقطع الرابع:

Texte Source de Mohammed OULD CHEIKH AGHA.	ترجمة: معراج أغا.
« - Je vous remercie, ami... J'espère réussir, je l'espère avec toute ma volonté et toute mon énergie... - Ine Cha Allah ! - In cha Allah, répète Myriem ! » ⁽²⁾ .	« - أشكرك صديقي... - أتمنى لك النجاح، وأتمناه بكل إرادتي وبكل قواي. - إن شاء الله. تردّ مريم. » ⁽¹⁾ .

ويُصوّر هذا المقطع الأنا (سي أحمد مسعودي) الداعمة للأنا والآخر (مريم المتأرجحة بين الأنا والآخر). ومن وجهة نظر ترجمية، يُمكن تفسير توظيف الذات الكاتبة محمد ولد الشيخ عبارة « Ine Cha Allah » بأنها أحد أوجه تقنيات: الرؤمّة، أو الاقتراض⁽³⁾، أو النّقْحَرَة، المُصاحبة للكتابة بالفرنسية مثلما أُشير إليه في (المقطع الثالث (أ)).

المقطع الخامس:

Texte Source de Mohammed OULD CHEIKH AGHA.	ترجمة: معراج أغا.
« Myriem, caressant les joues de la fillette, lui demande : - Ki Semmouk ? (comment t'appelles-tu ?). - Fatima. - Fatima ! répète la jeune fille, quel joli nom ! Elle lui donne une pièce de monnaie. - Khoudi, ya benti. (Tiens, ô ma fille). Et la petite Fatima lève vers la française généreuse ses yeux noirs, ses beaux yeux mélancoliques et doux. Et, reconnaissante, elle dit : - Allah innajik ! (qu'Allah te protège). Quel beau présage ce vœu exprimé par la bouche de l'enfance ! Myriem en est réjouie. » ⁽⁵⁾ .	« تُربت مريم على خدي الطفلة وتسألها. - كي سَمُوك؟ ... "ما إسمك؟" - فاطمة. - فاطمة! تردد البنت الصغيرة. ما أجمل اسمك! وتمدّها قطعة نقود. - خذي يا بنتي. ترفع فاطمة الصغيرة عينها السوداوين، عينها الجميلتين الحزنتين والحلوتين نحو الفرنسية السخية. وتشكر مريم قائلة: - الله ينحك. ما أحسنها بشارة وفأل يخرجان من فم الطفولة. سَعِدَت مريم بهذا الكلام. » ⁽⁴⁾ .

وفي ترجمة هذا المقطع إلى العربية، الذي تتأرجح فيه شخصية بطلة الرواية مريم بين الأنا والآخر في الآن ذاته (راجع الفصل الأول، المبحث الثالث)، أسهمت العبارات المنقّحة (أو الرؤمّة) إلى الفرنسية، لغة تحرير الرواية، في تسهيل مأمورية العودة إلى الأصل، أي إلى اللغة العربية، وهذا ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوب

⁽¹⁾ محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص48.

⁽²⁾ Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *op. cit.*, p39.

⁽³⁾ Voir : Jean-Paul VINAY & Jean DARBELNET, *STYLISTIQUE COMPARÉE du FRANÇAIS et de L'ANGLAIS*, [1^{re} édition 1958], Paris, Didier, 1972, p8.

⁽⁴⁾ محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص54-55.

⁽⁵⁾ Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *op. cit.*, p43.

— الفصل الرابع: — جليّة الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

الترجمة المستمرة التي كانت تُصاحب سيرورة الكتابة بلغة الآخر، أي الفرنسية. ما يعكس صورة الآخر (الفرنسي) المتعاطف مع الأنا (الجزائري)، أو بالأحرى ترجيح كفة الأنا المبتوثة — بمرجعياتها المختلفة — في شخصية مريم على حساب كفة الآخر، مما جسّد تعاطف الأنا مع الأنا التي رسمها السارد في روايته.

المقطع السادس:

Texte Source de Mohammed OULD CHEIKH AGHA.	ترجمة: معراج أغا.
« À ce moment, Zaghari, chef du djich pénètre. - Que la baraka d'Allah soit avec toi ! - Sur toi le salut, Zaghari ! Où as-tu mené le djich ? - Tout près d'Erfoud... Nous ramenons un riche butin ; deux prisonniers roumis : Un homme et une femme. » ⁽³⁾ « Il fait signe à un garde. - Conduis-le. Belqacem, satisfait, dit à Zaghari : - Meziane ¹¹ , Zaghari, tu recevras ta récompense... Maintenant va te reposer. » ⁽⁴⁾ ¹¹ Meziane : Bien.	« في هذه اللحظة يدخل "زغاري" قائد الجيش. - الله يبارك لكم والسلام عليكم. - عليك السلام "زغاري". أين خرجت مع الجيش؟ - بالقرب من أرفود، وأحضرنا غنيمة غالية: سجينين روميّين، رجل وامرأة. ⁽¹⁾ «يومئ لأحد الحراس: - خذه. بلقاسم راض يقول لزغاري: - "مزيان" يا زغاري. ستأخذ مكافأتك والآن اذهب وارتح.» ⁽²⁾

يُصوّر هذا المقطع لحظة زفّ زغاري خبر إلقاء القبض على مريم ومرافقها دالبري Dalbret الذي كان يُحاول إصلاح العطب الذي أصاب — فجأةً — محرك الطائرة، فخرج جيش بلقاسم وألقى القبض عليهما. وهو مشهد يُصوّر الأنا المُنتدِية بالنصر على الآخر، أو الآخر الواقع في قبضة الأنا، ما جعلها (الأنا) راضيةً مسرورةً. إنّ الآثار التي خلّفتها سيرورة نقل أبعاد الأنا والآخر (في صورتَي المكان والأشخاص) من العربية (في ذهن الذات الكاتبة) إلى الفرنسية (اللغة التي خُطّت بها الرواية، أي الذات الروائية المكتوبة)، في المحطة الأولى، جعلت العودة (نتاج الترجمة) إلى العربية، بوصفها محطةً ثانيةً، مهمّةً يسيرة، إذ لم تُواجه الذات المُترجمة (معراج أغا) أي صعوبة تُذكر في إعادة الذات المكتوبة (بأبعاد الأنا والآخر المبتوثة فيها) إلى منبعها الأصل.

(1) محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص 91.

(2) المرجع نفسه، ص 92-93.

(3) Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *op. cit.*, p70.

(4) *Ibid.*, p71.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

المقطع السابع:

وفي المشهد الذي كانت تسأل فيه يَسْمَة Yesma بلقاسم عمّا سيفعله بأسيرته مريم، وكانت يسمة تخشى في قرارة نفسها أن يتزوّج بلقاسم أسيرته مريم، أي صورة الأنا المتوجّسة من الآخر. وفي سياق هذا الحديث، تستحضر يسمة جرائم بلقاسم التي ارتكبها في حق الشُرْفة chorfa والبرئين والعزل لا سيّما اغتياله لحَبْرٍ يهوديٍّ، ثُمَّ يردُّ عليها بلقاسم قائلاً:

ترجمة: معراج أغا.	Texte Source de Mohammed OULD CHEIKH AGHA.
«- إنه يهوديٌّ واليهود يكرهوننا.» ⁽¹⁾	« - C'était un ihoudi et les Juifs nous détestent. » ⁽²⁾

في موقفٍ يعكسُ الأنا الرافض للآخر، بالرغم من الشخصية الجدلية التي تطبع بلقاسم في هذه الرواية (راجع الفصل الأول، المبحث الثالث). لقد نوّعت الذات الكاتبة في هذا المقطع السردّي بين اللّغتين العربيّة والفرنسيّة، إذ اقترضت كلمة "ihoudi" التي تُمثّل صورة الآخر المخالف لعقيدة الأنا في المرّة الأولى، بينما وظّفت الفرنسيّة في الاستعمال الثاني. ومردُّ لجوء الذات الكاتبة إلى هذا التنوع بين اللّغتين العربيّة والفرنسيّة خلق الشحنة ذاتها في توصيف شخصية بلقاسم وتجسيد الموقف ذاته، أي تجسيد مشهد الأنا الرافض لمعتقد الآخر. في حين استرجعت الذات المترجمة (معراج أغا) هذه الكلمة إلى العربيّة الفصحى بصيغة: "يهوديّ". وفي مُجاراة الأصل، يُمكن نقل هذه الكلمة على النّحو الآتي: "يهوديّ"، أي وسّم حُرُوفها بالحركات بُغية إضفاء الطّابع الجزائريّ المحليّ الخالص على سيرورة النّقل إلى العربيّة.

⁽¹⁾ محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص101.

⁽²⁾ Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *op. cit.*, p78.

الفصل الرابع: جدلية الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية

المقطع الثامن:

Texte Source de Mohammed OULD CHEIKH AGHA.	ترجمة: معراج أغا.
« Des sources jaillissant du sol alimentent des gueltas⁵ et les séguias qui se creusent et sinuent parmi les bosquets de lauriers-roses. »⁽⁶⁾. ⁵ – Gueltas : Retenues d'eau. « - Combien étaient-ils ? - Quinze à vingt, belmiz⁷. »⁽⁷⁾. ⁷ - Belmiz : Environ. « Sadiq s'adressant aux gardes : - Assess, qui t'a dit de faire entrer cet homme ? »⁽⁸⁾. « ... L'« anaia¹⁶ » c'est-à-dire l'« a mane », cette "anaia" [...] Veux-tu, ma sœur, nous chanter une Qacida¹⁷? [...] Apporte la derbouka de ta maîtresse. »⁽⁹⁾. ¹⁶ - Anaia : Confiance. ¹⁷ - Qacida : Chant à thème. « ... Un jardinier surveille deux ânes [...] Il les excite à marcher par un coup de fouet ou en criant un « arrah » guttural. »⁽¹⁰⁾.	«... ينابيع الماء تخرج من الأرض لتسقي "الفلّات" (أحواض الماء) والسواقي التي تحفر طريقها الملتوي بين مجموعة أشجار الدفلى»⁽¹⁾. «كم كان عددهم؟ - من خمسة عشر إلى عشرين بالمئز (تقريباً)»⁽²⁾. «صديق يسأل المخازني: - يا "عَسَّام" من أذن لك بإدخال هذا الرجل؟»⁽³⁾. «... النية [...] الأمان [...] أتريدين يا أختاه أن تغني لنا قصيدة. [...] أحضري الدربوكة لسيّدتك.»⁽⁴⁾. «... بستاني يراقب حماريه [...] يثيرهما حتى يمشيا إما بضربة سوط أو يصيح عليهما "أزة... أزة"»⁽⁵⁾.

أخذت صُور الأنا في هذه المقاطع المُجمّعة أبعادًا مختلفة، تجلّت في: جماليّة المكان، دَمَانَة الأخلاق وورقة الطبايع (أي أخلاق زوجات بلقاسم: يَسْمَة وْبَيْضَاء وَيَطُو، في تعاطفهنّ مع الآخر، أي تعاطفهنّ مع مريم، وكسرهنّ حاجز الاختلاف معها، وربطهنّ جِسْرَ التفاهم معها، وتجاوزهنّ أطراف الحديث معها)، البُعد الثّقافيّ (الغناء وترفيه النّسوة عن أنفسهنّ). وشهدت هذه المقاطع المُجمّعة كذلك توظيف الذات الكاتبة (محمد ولد الشيخ) كلمات عربيّة (مُستوحاة من اللّهجة الجزائريّة المحليّة) في الأصل، متبوعةً بالترجمة الفرنسيّة في الحاشية السفليّة، ما انعكس - إيجابًا - على الترجمة العربيّة وسهّل مهمّة النّقل التي اضطلعت بها الذات المُترجمة. ويلاحظُ كذلك لجوء الذات المُترجمة إلى توظيف كلمات وعبارات

(1) محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص55.

(2) المرجع نفسه، ص61.

(3) المرجع نفسه، ص84.

(4) المرجع نفسه، ص107-108.

(5) المرجع نفسه، ص119.

(6) Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *op. cit.*, p43.

(7) *Ibid.*, p47.

(8) *Ibid.*, p65.

(9) *Ibid.*, p82-83.

(10) *Ibid.*, p90.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

مُستوحاة من اللهجة الجزائرية المحلية (أي العامية)، ثم شرحها بالعربية الفصحى بين قوسين.

المقطع التاسع (أ):

Texte Source de Mohammed OULD CHEIKH AGHA.	ترجمة: معراج أغا.
« C'est la Ouada³¹ de Mouley Ali Chérif patron du Tafilalet. [...] Allah, protège-moi des méchancetés des chouatine³². [...] Ya Moulana. [...] Dans la cour, un groupe de femmes exécutent une « hadra », danse fanatique. Les tambourins résonnent. La voix de la moqademma (directrice,) calme [...] Le « jdib » n'est pas un rite musulman mais plutôt un rite barbare adopté par les indigènes qui ignorent la vraie religion mahométane... [...] Dehors, des négres dansent en s'accompagnant de leurs castagnettes. »⁽³⁾. ³¹- Ouada : Couscous offert aux pèlerins. ³²- Chouatine : pluriel de chitane, démon. « Nahleff³³ ! Tu es menteuse et parjure ! Tu sais qu'Allah réprouve le jdib... »⁽⁴⁾. ³³- Nahleff : Je jure.	«إنها وعْدَة وليّ تافيلالت مولاي علي شريف [...] يا الله احمني من كل شرّ الشياطين [...] يا مولانا [...] في الساحة مجموعة من النساء يُنفِذن "الحضرة" التي هي نوع من أنواع رقص المتعصّبين. البنادر تُدوّي. يرتفع صوت المُقدّمة [...] "الجديب" ليس طقساً إسلامياً ولكنه بربري اعتاده الفقراء الذين يجهلون الدين المحمدي الحقيقي. [...] أما في الخارج، زنوج يرقصون مرفوقين "بالقرقابو".⁽¹⁾ «نَحْلَفُ! أنتِ كَذّابة وشاهدة زور! ألا تعلمين أن الله يكره الجديب؟»⁽²⁾.

يرسمُ هذا المقطع تجليات الأنا في صُور الموروث الثقافيّ وبعض الطُّقُوس الأخرى الدّخيلة على العادات الجزائرية، فصّل فيها السّاردُ تفصيلاً شافياً، أخذاً التّفاصيل كلّها بعمقٍ واهتمامٍ كبيرين، ما يعكسُ توبيخ القاضي لعبدته (جاريته أو أمته) زُهرة لما علّم برقصها للجديب عند ضريح الولي الصالح، أي الأنا الرافضة للطُّقُوس الدّخيلة على دينها وعاداتها. وما يسترعي الانتباه في تحليل المقطع الأصل وتفكيكه، توظيف ولد الشيخ للكلمات العربية (المُستوحاة من العامية أو اللغة الشّعبية المحكيّة) ذات البُعد الثقافيّ، في الأصل، واستناده إلى الحاشية السفليّة في ترجمتها إلى الفرنسيّة. بالمقابل، تمكّنت الذات المُترجمة (معراج أغا) من استعادة أبعاد الأنا المبتوثة في الأصل الفرنسيّ إلى العربية بنجاحٍ وتوفيقٍ كبيرين، مُحاولَةً تجسيد الوقع ذاته المبتوث في حنايا الأصل.

(1) محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص 137-139.

(2) المرجع نفسه، ص 143.

(3) Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *op. cit.*, p103-104.

(4) *Ibid.*, p107.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

المقطع التاسع (ب):

وعطفاً على المقطع المشار إليه أعلاه، قرّر القاضي بيع عبّده (جاريته أو أمته) زهرة في السوق، وقد شرع في استفزازها بأنه سيعرضها عاريةً انتقاماً منها، لأنها فضحته سابقاً في قضية شذوذه الجنسي. وبعد أن أحكم قبضته على ذراعها وهي تصرخ (أطلقني)! إذ به يواصل استفزازها قائلاً:

ترجمة: معراج أغا.	Texte Source de Mohammed OULD CHEIKH AGHA.
«اسمعي... لا يوجد شيء أكثر ألماً وأثقل وأقسى من الموت إلا الفضيحة!	« – Ecoute, dit il en resserrant son étreinte, écoute... Une chose est plus douloureuse et plus pénible et plus cruelle que la mort, c'est l'humiliation !... Il répète ce dernier mot en martelant les syllabes : L'humiliation !... Et d'une violente poussée il la jette sur le tapis. Elle gémit sous la douleur. » ⁽²⁾ .
- ا ل ف ض ي ح ة... كرز الكلمة حرفاً وحرفاً ومشدداً على ألفاظها! ... وبقوة يدفع زهرة فتسقط على البساط... تتألم وتصرخ تحت الوجع» ⁽¹⁾ .	

لقد كانت الحروف المتقطعة التي وظّفها المترجم معراج أغا في كلمة "ا ل ف ض ي ح ة"، المشفوعة بشرح يُحدّد طريقة نطقها، حيلةً في النّقل تُحاكي الموقف الأصيل وتُجسّد وَضْعَ الأنا المؤنّبةً للأنا التي أتت بفعلٍ فاضح، أو الأنا المنتقمة من الأنا.

المقطع التاسع (ج):

وفي الموقف الذي يُصوّر مشهد أخذ زهرة إلى السوق بغرض بيعها:

ترجمة: معراج أغا.	Texte Source de Mohammed OULD CHEIKH AGHA.
«وعلى متن ظهر بغلة يقودها زنجي بواسطة حبل، تركب امرأة شابة لا ترتدي إلا "فَرَّاجِيّة" (لحافاً خفيفاً) وشعر طويل. تمر في وسط الحشود مطأطئة الرأس من الحشمة والحياء.» ⁽³⁾ .	« Une jeune femme vêtue seulement d'une farajia et de sa longue chevelure est assise sur une mule qu'un négre conduit par la longe. Elle passe au milieu de la foule, la tête baissée, dans une attitude pudique et résignée » ⁽⁴⁾ .

اضطّرتّ الذات المترجمة إلى شرح كلمة "فَرَّاجِيّة" بين قوسين بـ (لحافاً خفيفاً) لتعريف الذات القارئة بهذا اللباس الجزائري التقليدي، متأثرةً بسياسة الذات الكاتبة التي تنتهجها في كل مرة تُوظّف فيها كلمة أو عبارة مُستوحاة من العربية الفصيحة أو اللغة الشعبيّة الجزائرية المحكيّة.

(1) محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص145.

(2) Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *op. cit.*, p108.

(3) محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص151.

(4) Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *op. cit.*, p111.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

المقطع العاشر:

وفي درس المبارزة بالسيف الذي كان يُلقّنه المحارب الشلحي لإيباتوف:

Texte Source de Mohammed OULD CHEIKH AGHA.	ترجمة: معراج أغا.
« Ouahed, zouje... Ouahed, zouje. [...] Balek ! Balek ! dit-il, je ne suis pas un mannequin, moi ! [...] - Balek, bougre d'animal ! Tu vas me blesser. - Labess ! Labess ! répond le guerrier en frappant toujours. [...] Mazel chouia, ya sidi. - J'en ai assez, comprends-tu?... J'en ai assez ! - Labess ! Labess ! - Alors, fais attention, « roud balek », tu peux me faire mal. [...] - Balek, sidi, balek ! » ⁽²⁾ .	« واحد، زوج... واحد، زوج... [...] بالاك! بالاك! يقول. أنا لست تمثالاً. [...] بالك.. يا واحد الحيوان! احذر أن تصيبي. - لابس! لابس! يجيب المحارب وهو مستمر في الضرب. [...] - ما زال شويّة يا سيدي. - خلاص تعبت، ألا تفهم؟ لقد ضقتُ ذرعاً! لابس! لابس! - هيا احذر... رد بالك، يمكنك أن تؤلمني. [...] - بالاك، سيدي، بالاك! » ⁽¹⁾ .

يَعكّسُ هذا المقطع صورة الأنا (المحارب الشلحي) الساخرة من الآخر (إيباتوف) الذي لا يُحسنُ فنّ المبارزة بالسيف. إضافةً إلى الكلمات المُقترضة (أو المُرومنة) من العامية إلى اللغة الفرنسية، أضفتُ الذات المُترجمة الجزائرية على نقلِ هذا المقطع — إلى العربية — طابعاً محلياً جزائرياً خالصاً.

المقطع الحادي عشر:

Texte Source de Mohammed OULD CHEIKH AGHA.	ترجمة: معراج أغا.
« Sa villa dénommée « El Boustane » (le jardin) au faubourg de Gambetta... » ⁽⁹⁾ . « - Mazel. (Pas encore). » ⁽¹⁰⁾ . « - Ouakha ! (Bien !) » ⁽¹¹⁾ . « - Allahou Akbar ! (Dieu est le plus grand !) [...] ... Il fait sa profession de foi : formule que tout musulman doit prononcer encore une dernière fois, dans sa vie, au moment ultime : « Echehadou éne la	«... تقطن مريم في فيلا راقية بحي قنبيطا Gambetta تسعى فيلا البستان...» ⁽³⁾ . « - ما "زال" 1 (لا تزال). » ⁽⁴⁾ . 1- كلمة موجودة في الأصل. «وَحَّة!» ⁽⁵⁾ . «- الله أكبر! ... الله أكبر! [...] ... يردّد الشهادة التي توجب على كل مسلم عند خروج الروح:

(1) محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص 199-201.

(2) Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *op. cit.*, p145-146.

(3) محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص 19.

(4) المرجع نفسه، ص 49.

(5) المرجع نفسه، ص 127.

(9) Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *op. cit.*, p21.

(10) *Ibid.*, p40.

(11) *Ibid.*, p95.

— الفصل الرابع: — جدليّة الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

illaha il'Allah, oua echehadou énnna Mohammed rassoul Allah !... »⁴⁸. »⁽⁷⁾. ⁴⁸- J'atteste qu'il n'y a d'autre divinité qu'Allah... Et j'atteste que Mohammed est l'envoyé d'Allah... « - Sebahak mabrouk ! (Que ton jour soit béni.) »⁽⁸⁾. « - Un faress... Un faress⁵⁰. »⁽⁹⁾. ⁵⁰- Faress : Cavalier.	"أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله!" (1) «...» «- صباحك مبروك!»⁽²⁾. «- فارس... فارس.»⁽³⁾.

يجمعُ هذا المقطع حوارات وعبارات مُجسّدة للصُّور التي اتَّخذتها جدليّة الأنا والآخر بأبعادها المختلفة في حنايا الرواية، وقد شهدت — مثلما هو مشار إليه أعلاه — توظيف محمد ولد الشيخ أغا كلمات وعبارات جزائريّة خالصة (عربيّة) في الأصل الفرنسيّ (في روايته المكتوبة بالفرنسيّة)، ثُمَّ يُتبع هذه الكلمات بشرح بين قوسين في المتن الأصل، أو يلجأ إلى الهامش لترجمة دلالاتها بالفرنسيّة. وفي مسار عودة هذه الكلمات والعبارات إلى العربيّة، تُنوّع الذات المُترجمة (معراج أغا) خياراتها، فتارةً تُضفي على سيرورة التّقل طابعاً محلّياً خالصاً (بتوظيف اللّغة العاميّة)، وتلجأ إلى القوسين أو الحاشية السفليّة تارةً أخرى (مُوظّفة اللّغة العربيّة الفصيحة)، شارحةً — بأيّ ضَرْبٍ مِنَ الضُّرُوب — طبيعة الذات الروائيّة المكتوبة الأصل التي تُواجهها.

المقطع الثّاني عشر:

Texte Source de Mohammed OULD CHEIKH AGHA.	ترجمة: معراج أغا.
« Le kébir (président de la djemaa) convoque le coupable et mouille en sa présence une petite pierre plate... [...] » Ô guerriers !... Ô guerriers ! Si vous mourrez loin de nous, qui lavera vos corps ?... Qui vous ensevelira ?... Qui récitera pieusement sur vos tombes les « sourates » Qui procurent aux âmes des moudjahidine⁵² la rahma⁵³ de l'Unique, celui qui ne meurt pas. »⁽¹¹⁾.	« كبير الجماعة يستدعي المذنب فتبلل في حضوره حجرة صغيرة مستوية... [...] » "أيها المحاربون.. أيها المحاربون. إذا مِتّم بعيداً عنا، فمن ذا الذي يغسلكم ويصلي ويدعولكم بالرحمة رحمة العليّ الذي لا يموت."⁽¹⁰⁾.

(1) محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص 221-223.

(2) المرجع نفسه، ص 230.

(3) المرجع نفسه، ص 237.

(7) Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *op. cit.*, p159-160.

(8) *Ibid.*, p167.

(9) *Ibid.*, p173.

(10) محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص 255-259.

(11) Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *op. cit.*, p183-185.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجرائية إلى العربية —

⁵²- Moudjahidine : Pluriel de moujahid : qui fait la guerre sainte, combattant pour la foi.

⁵³- Rahma : Miséricorde, clémence de Dieu.

يرسمُ هذا المقطع مشاهد استعداد الأنا لمواجهة القوات الفرنسية (الآخر) التي وصلت لقصر زربة، ما دفع رجال بلقاسم لإعداد العُدّة وجمع الرّاد استعدادًا للحرب وتطبيق عقوبات صارمة ضدّ مَنْ يرفض الامتثال لهذه الإجراءات. كما يُصوّرُ هذا المقطع مشهد النساء يُغنين - وأُعِينُنَّ تفيضُ مِنَ الدَّمْعِ حزنًا - أغاني الحرب وهنّ يجمعنّ أغصان الدفلى اليابسة التي يُسْتَخْدَمُ فحمها في صناعة البارود. وتُبرزُ هذه الأغنية الأنا النّسويّة وصيحاتها، ومُعاناتها، وآلامها، وخوفها مِنْ أن تفقد أبًا أو زوجًا أو ابنًا في هذه الحرب.

تُلاحظُ الاستراتيجية ذاتها المُنتَهجة في الأصل، إذ تُواصلُ الذات الكاتبة لجوءها إلى القوسين أو الحاشية لشرح بعض الكلمات العربية المُفترضة إلى الفرنسية. بينما لم تلجأ الترجمة العربية لهذا المقطع إلى القوسين أو الحاشية السفليّة ما دام المعنى المقصود مُعبّر عنه في العربية. ويُلاحظُ، هنا، أن الذات المُترجمة (معراج أغا) لم تأتِ على ذكر كلمة "المجاهدين" - صراحةً - في ترجمتها العربية، وهي كلمة مفتاحية تُجسّدُ صورة الأنا المبتوثة في المقطع السرديّ لما لها مِنْ أبعاد دينيّة ووطنية. لذا، يُستحسنُ توظيفها صراحةً في الترجمة العربية مثلما ورد في الأصل (المكتوب بالفرنسيّة) على النّحو الآتي:

«أيّها المحاربون! أيّها المحاربون!

إذا ما استشهدتم بعيديّن عنّا، فمَنْ ذا الذي يُغسِّلُكم؟

ومَنْ ذا الذي سيكفّنُكم ويدفنُكم ويتلو عليكم سُورًا مِنَ الذكر الحكيم على قبوركم؟

ومَنْ ذا الذي يرفعُ أكُفَّ الضّراعة لأرواح المجاهدين داعيًا رحمة الواحد الأحَد، الحيّ الذي لا يموت؟». (تَرْجَمَتُنَا).

وعلى هذا النّحو، يُستحسنُ إظهارها عوض إسقاطها في أثناء سيرورة النّقل إلى العربية، ومِنْ ثَمَّ تجسيد بُعديّ الأنا (الدينيّ والوطنيّ) التي اتّخذتهما في هذه الأغنية.

الفصل الرابع: ————— جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —————

المقطع الثالث عشر:

Texte Source de Mohammed OULD CHEIKH AGHA.	ترجمة: معراج أغا.
« - Aroua, sidi ! dit un légionnaire à un qsourien qui passe. Celui-ci revient vers le soldat et lui présente des amulettes. - La baraka, sidi... la baraka !... Ça porte bonheur... - Farceur, va ! C'est tout ce que tu vends ?... - Moi mesquine, sidi... moi vendi la baraka, un hassani, oukane !... - Un hassani pour ta vétille !... Es-tu maboul, vieux chacal. » ⁽²⁾ .	« - أزواج. سيدي (تعالى)! يقول أحد أفراد الفيلق للقصورى الذي كان يمر بمحاذاته. يرجع هذا الأخير نحو الجندي ويقدم له "تعويدة" (حجاب). - البركة يا سيدي.. البركة! ... هذه تجلب السعادة... - أيها المشعوذ! اذهب! ... أهذا ما تريد؟ - أنا مسكين يا سيدي... أبيع البركة بواحد "حسني"1... أوكان. - واحد حسني من أجل شيء نافه! ... أنت مهبول يا واحد الذيب.» ⁽¹⁾ . 1- حسني: عملة المنطقة.

في المخيم الفرنسيّ المقام للحرب ضد جيش بلقاسم، كان المتسوّقون (les souqiers) يتنقلون من خيمة إلى خيمة أخرى، يعرضون سلعهم على الجنود الفرنسيين، بعضهم فضوليون أو جواسيس في ثوب تجار، يقفون أمام دبابات الجيش الفرنسي ومدافعه مذهولين أمام هذا العتاد الحربيّ، في مشهد يعكس صورة الأنا المنهجرة بقوة الآخر وترسّانته الحربيّة. كما يَصوِّرُ هذا المقطع السرديّ الآخر (المتّمثِّل في أفراد الجيش الفرنسيّ) المتوجّس من الأنا (المتّمثّلة في المتسوّقين).

لقد صَاحَبَ فعل الترجمة في هذا المقطع الأصل فعل الكتابة، كأنّها ذات مكتوبة بالعربيّة تتخلّلها كلمات فرنسيّة، اضطرتّ فيها الذات الكاتبة إلى كتابة بعض الجمل بفرنسيّة ركيكة تُحاكي صورة المتسوّقين الذين لا يُحسنون التحدّث بفرنسيّة طليقة. أمّا في مسار العودة إلى العربيّة، فيُلاحظُ بأنّ الذات المترجمة قد زَاوَجَتْ بين العاميّة واللّغة العربيّة الفصحى، مُستعينةً بالقوسين والحاشية السفليّة لشرح معنى بعض هذه الكلمات المحليّة. وبذا، تعيش الذات القارئة للمقطع المترجم إلى العربيّة الموقف ذاته والأحداث ذاتها كأنّها عايشتها حقيقةً، وهذا ما يُحسبُ للمترجم الجزائريّ معراج أغا الذي جسّد من وقع أبعاد الأنا والآخر في الذات المكتوبة المُستهدّفة (أي المترجمة إلى العربيّة).

إنّ الذات القارئة المتفحّصة للأصل (الفرنسيّة لغة الرواية) تُحسُّ كأنّها تقرأ ذاتاً روائيةً مكتوبةً بالعربيّة، نظرًا لزخم الكلمات والعبارات العربيّة الواردة فيها، بل إنّ الذات الكاتبة كانت تُتبع في كل مرّة

⁽¹⁾ محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص276.

⁽²⁾ Mohammed OULD CHEIKH AGHA, op. cit., p197.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجرائرية إلى العربية —

الكلمات العربية بترجمة فرنسية (وهو ما تعكسه المقاطع: الخامس، والسابع، والثامن، والعاشر، والحادي عشر، والثاني عشر، المشار إليها أعلاه). ومن حيث الإجراءات الترجمية، يمكن تفسير توظيف الذات الكاتبة (محمد ولد الشيخ أغا) للكلمات والعبارات المنقولة حرفياً من اللغة العربية – الفصحى والعامية – إلى اللغة الفرنسية، بأنها أحد أوجه تقنيات الرؤية، أو الاقتراض، أو النقحرة، المصاحبة لفعل الكتابة الفرنسي في الذات الروائية المكتوبة الأصل.

ومن حيث نظريات الترجمة ما بعد الاستعمارية، يُعدّ توظيف محمد ولد الشيخ لتلك الكلمات والعبارات – التي استُدلّ بها فيما سلف، وسيُستدلّ بها فيما هو آتٍ – من تداعيات ثنائية اللغة في الحقبة الاستعمارية ومتطلباتها، بحيث تصبح النصوص الروائية المكتوبة بالفرنسية نصوصاً مزدوجة، ونصوصاً ثنائية اللغة، تُصاحِبُ فيها العبارات العربية (المروّمة أو المنقحرة أو المقترضة) اللغة الفرنسية، ما يجعلهما (العربية والفرنسية) مترابطين، يكملان بعضهما البعض، كأنهما لغة واحدة. وبذا، تُطالب الذوات القارئة بأن تكون ثنائية اللغة كذلك لفك رموز تلك الذوات المكتوبة وفهم محتواها، وهذا ضرب من ضروب الترجمة الدائمة (perpetual translation) التي من المتوقع أن تُباشرها أي ذات قارئة تقترب من ذات مكتوبة من هذا القبيل (راجع الفصل الثاني، المبحث الثالث).

وبالمقابل، تستثمر الذات المترجمة – بوصفها ذاتاً قارئة بامتياز – في هذه الآثار التي تُخلفها التعددية اللغوية في عملية الكتابة بالفرنسية، ما يجعل سيرورة الترجمة، في هذا الصدد، سيرورة ذات طابع فذ، تستعيد فيها اللغة المنقول إليها (العربية في هذا السياق) ما نُقلَ منها في المرة الأولى. ولتأبئة تجليات الذات المترجمة في أثناء سيرورة النقل، مُستثمرة في نسق استعداداتها، تُحلّل ترجمة الأغاني والقصائد التي تضمّنتها الرواية على النحو الآتي:

المقطع الرابع عشر (أ):

تجلّت معالم الذات المترجمة (المترجم معراج أغا) في ترجمة القصيدة التي غنتها بيضاء Beïda للنسوة المجتمعات (زوجات بلقاسم) حول مريم وهنّ يحاولنّ الترويح عنها، والتخفيف من حدة مشاكلها (صورة الأنا المتعاطفة مع الآخر)، وهذا بإلحاح من يسمّة Yesma التي طلبت من إحدى الخادמות إحضار الدربوكة لبيضاء التي طفقت تُغني:

الفصل الرابع: ————— جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —————

ترجمة: معراج أغا.	Texte Source de Mohammed OULD CHEIKH AGHA.
« واحد النهار شُفت أميرة قلبي وقُلت ليها أنا عبدك واش نكون خديمك أنا كنغير من اللي يقرب منك رفعت عينيا ليا وقالت ليا من لي شفتك ما بقيتش الأميرة أنا خديمتك. » ⁽¹⁾ .	« J'ai vu un jour la princesse de mon cœur et je lui ai dit : « Je suis ton esclave, daigne me prendre à ton service. Car j'envie tout ceux qui t'approchent... » Elle a levé son bon regard vers moi il m'a répondu : « Depuis que je t'ai vu, je ne suis plus princesse, mais ton esclave... » ⁽²⁾ .

المقطع الرابع عشر (ب):

وبعدما طلبت يَسْمَةَ مِنْ بَيْضَاء أَنْ تُغَيِّيَ لَهِنَّ مَقْطَعًا عَنْ فِرَاقِ الْأَحَبَّةِ، طَفَقَتْ بَيْضَاءُ تَضْرِبُ عَلَى الدَّرْبُوكَةِ وَهِيَ تُغَيِّي:

ترجمة: معراج أغا.	Texte Source de Mohammed OULD CHEIKH AGHA.
« وما ننساش حبيبي بالرغم من لفراق بعدت عليه وابتعد عليا افكارنا كتتكلم وقلوبنا ديما مجموعين » ⁽³⁾ .	« Je n'oublierai jamais mon bien-aimé, malgré l'espace qui nous sépare... Nous sommes éloignés l'un de l'autre, pourtant nos pensées s'échangent et nos cœurs sont ensemble. » ⁽⁴⁾ .

المقطع الرابع عشر (ج):

ثُمَّ تُطَالِبُ بَيْضَاءُ وَيَسْمَةَ يَطُوتُو Itto أَنْ تَرْقِصَ بَعْدَ أَنْ رَفَعَتْ بَيْضَاءُ إِيقَاعَ الضَّرَبَاتِ عَلَى الدَّرْبُوكَةِ، وَالنِّسْوَةُ يُصَفِّقْنَ مُغْنِيَات:

ترجمة: معراج أغا.	Texte Source de Mohammed OULD CHEIKH AGHA.
« ف دار السلطان يا لالاً بستان جميل يا لالاً زهور بالالوان يا لالاً والأميرات كالغزلان يا لالاً مع الخدام يا لالاً قمره بلوان يا لالاً مدور بنجوم يا لالاً	« Chez le sultan, ya Lalla, Un beau jardin, ya Lalla, Aux bosquets fleuris, ya Lalla, Un bassin d'anis, ya Lalla, Et des filles joyeuses, ya Lalla, Une belle princesse, ya Lalla, Et ses suivantes, ya Lalla, Comme une belle lune, ya Lalla... Entourée d'étoiles, ya Lalla, Chez le sultan, ya Lalla... » ⁽⁷⁾ .

⁽¹⁾ محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص 109.

⁽²⁾ Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *op. cit.*, p83.

⁽³⁾ محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص 109-110.

⁽⁴⁾ Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *op. cit.*, p84.

⁽⁷⁾ *Ibid.*, p84.

الفصل الرابع: جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية

« Le chant continue. Itto tourne sur elle-même et ses khlakhel ¹⁸ , qui entourent ses chevilles, résonnent en cadence. [...] Voilà [...] Sahhitti ! Très bien ta danse, ô ma sœur, très bien. [...] Que votre jour soit béni. [...] Bonjour mère. » ⁽⁴⁾ 18- Khlakhel : Bracelet autour des chevilles.	وعند السلطان يا لالا ⁽¹⁾ . « يستمر الغناء. يطو تدور على محورها والخلاخيل التي تحيط كاحلها تدوي في وتيرة منتظمة. [...] خلاص! [...] صحيتي كانت رقصة هائلة يا أختي [...] الله يصحح نهاركم بالخير. [...] صباح الخير يا لميمة. » ⁽²⁾ .

وفي تحليل ترجمة المقطع الرابع عشر (أ، وب، وج)، يلاحظ بأن الذات المترجمة (معراج أغا) قد أضفت على ترجمتها طابعاً محلياً جزائرياً خالصاً، وذلك بتوظيف كلمات مستوحاة من اللهجة الجزائرية تجسّد ما ورد في الأصل حقيقة. إنّ إلمام الذات المترجمة بالموروث الثقافي الجزائري - بحكم انتمائها - أسهم بوجه كبير في خلق الأثر ذاته المبتوث في حنايا الأصل، ومن ثمّ تجسيد أبعاد الأنا المتعاطفة مع الآخر التي تضمّنها المشهد الأصل.

وفي تقفي مسار المزاوجة بين توظيف العربية الفصحى واللهجة الجزائرية المحلية في ترجمة الأغاني التي وردت في الرواية، يضبط الجدول الآتي سياق تلك الأغاني وطريقة ترجمتها، دائماً في خضم تجليات جدلية الأنا والآخر وأبعادها المختلفة.

موضع الترجمة:	موضع الأصل:	تحديد السياق وضبط استراتيجيّة الترجمة المنتهجة
(ص ص. 120-121)	(ص. 91)	ترجمة أغنية الدرويش واللحظات المصاحبة للعزف على آلة القمبري، هذه المشاهد التي رسمتها الذات الكاتبة في توصيف لحظات تواجد الملازم الأول ديبوسي في مدينة ريساني، وهنا انبرت الذات المترجمة (معراج أغا) تنقل تلك الأغنية من الفرنسية إلى العربية العامية، مُحاولَةً خلق إيقاع فني رائع (باللهجة الجزائرية).
(ص ص. 139-141)	(ص ص. 104-105)	وفي تصوير السارد طقوس وعُدة ولي تافيلالت مولاي علي شريف في مدينة ريساني، يُترجم معراج أغا تسابيح الحضور وابتهالاتهم وتضرعاتهم بالعربية العامية (الجزائرية)، جازاً الذات الفارقة الجزائرية - على وجه التحديد - إلى خوض تجربة اجتماعية تُعايشها (أو تكون قد عايشتها) حقيقة في فترة ما من حياتها.
(ص ص. 146-147)	(ص. 109)	وفي مقطع يُصوّر موكب زفّ عروس، تنقل الذات المترجمة (معراج أغا)، بالدارجة الجزائرية، أغنية الزنجيات وهنّ يحملن متاع العروس على وقع ضَرْب البنّادير، فكان النّقل مُميّزًا، يُجسّد الوقع ذاته، لا سيّما إن كان مُستقبِل الترجمة جزائريًا.
(ص ص. 172-173)	(ص. 125)	حينما وصل الملازم الأول ديبوسي (المتنكر في شخصية ابن الشيخ إبراهيم، واسمه حفيظ أو إبراهيم، مُدعيًا بأنه مُرسَل من عند البربر)

(1) محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص 110-111.

(2) المرجع نفسه، ص 111-112.

(4) Mohammed OULD CHEIKH AGHA, op. cit., p84-85.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

		إلى معقل بلقاسم، بعدما تمكّن من تموينه، سمع صوت أغنية حزينة كانت تُؤدّيها مريم. وقد تَرَجَمَ معراج أغا هذه الأغنية إلى اللهجة الجزائرية المحليّة مُخَيِّلاً إيقاعاً مُميّزاً في الكلمة التي تختتم كل بيت (نحو: نقاسي، نواسي، ناسي، قلبي، ضُري، البربري... ونحوها)، مُجتهداً في خلق إيقاعٍ فنيٍّ غير موجود في الأصل.
(ص. 209)	(ص. 151)	تُسجِّل الذات القارئة في ترجمة أغنية سي أحمد مسعودي (التي سمعتها مريم واستحضرتّه مباشرة)، إلى اللهجة الجزائرية، خلق إيقاعٍ مُميز كذلك في الترجمة (في كلمات نحو: النوم، مهموم، العالي، بحالي، الليل، العليل)، وهذا ما لم يكن موجوداً في الأصل.
(ص. 219–216)	(ص. 157–155)	أبدعت الذات المترجمة (معراج أغا) في توظيف العاميّة الجزائرية في أثناء نقلها أغنية الدرويش الذي كان يعني موت سيدي مولاي لحسن، هذا الشيخ المحبوب والرجل الصالح الذي تأمر عليه بلقاسم وقتله مُستعيناً بأحد رجاله. وهنا تكون الذات المترجمة (معراج أغا) قد جسّدت فحوى الأصل ووقّعه لدى ذواته القارئة.
(ص. 259–256)	(ص. 185–184)	بخلاف ما سبق، نجد المترجم معراج أغا، هذه المرة، ينقل أغنية الحرب (التي أدتها النسوة اللاتي كنّ يجمعن أوراق الدفلى بغرض صناعة البارود) إلى العربية الفصحى.
(ص. 267–266)	(ص. 192–191)	كما نقل المترجم معراج أغا غناء المحارب الذي تخلف في مقر الاجتماع الذي دار بين بلقاسم وقادة من البربر بشأن شنّ الحرب والتخطيط لها، بالعربية الفصحى.
(ص. 271–270)	(ص. 194–193)	وظّف المترجم معراج أغا العربية الفصحى كذلك في ترجمة غناء الأمهات اللاتي كنّ يودعن أولادهنّ وهنّ يندبنّ ويخدشنّ وجناتهنّ بأظافرهنّ، يصبنّ جامهنّ على بلقاسم، وكانت لعناتهنّ مصحوبةً بنواحٍ وعويلٍ كبيرين، يُلَعَن مَنْ أراد شنّ هذه الحرب.
(ص. 273–271)	(ص. 195–194)	كما نقل المترجم معراج أغا أغنية الفارس الذي كان يحمل الراية وهو يمتطي جواده (كان في غنائه شيء من التحدي والاعتزاز بالانتماء للأمازيغ والحرية، يُؤيِّل مَنْ استفزه...) إلى العربية الفصحى.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

وفي سيرورة تجسيد أبعاد جدلية الأنا والآخر المبتوثة في ثنايا الرواية، لجأت الذات المترجمة إلى الهامش (الحاشية السفلية)، في غير ما موضع من ترجمتها، لشرح بعض التسميات ذات الأبعاد الثقافية والاجتماعية والجغرافية والتاريخية، تعزيزاً للمتن وإجراءً من الإجراءات المساعدة على الترجمة.

لُجُوء المترجم معراج أغا إلى الهامش:

(لُبْلَاذ: تطلق كلمة لبلاد على الأراضي الفلاحية ذات الملكية الخاصة)⁽¹⁾. (البيكو: - كان هذا اللفظ مستعملاً كثيراً عند الفرنسيين وصفا للجزائري، وهو الحط من قدره، حيث كان يساويه بالحمير. ثم شاع هذا الاستعمال وأخذ أبعادا عنصرية)⁽²⁾. (موجيك: لفظ يطلق على شخص يوصف بالشیطان)⁽³⁾. (تَقْدَى: Tagda)⁽⁴⁾. (زَكُور: Zeqqour)⁽⁵⁾. (الرقاس: سعاة البريد)⁽⁶⁾. (قَصَر: ksar)⁽⁷⁾. ("أرفود": Erfoud)⁽⁸⁾. ("القُومِيَّة": goumia)⁽⁹⁾. ("الغومة": gomme)⁽¹⁰⁾. (البربرية: barbare)⁽¹¹⁾. (مُخَالَة La m'halla: هو الحي اليهودي)⁽¹²⁾.

(1) محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص36.

(2) المرجع نفسه، ص38.

(3) المرجع نفسه، ص40.

(4) المرجع نفسه، ص51.

(5) المرجع نفسه، ص52.

(6) المرجع نفسه، ص52.

(7) المرجع نفسه، ص53.

(8) المرجع نفسه، ص57.

(9) المرجع نفسه، ص62.

(10) المرجع نفسه، ص68.

(11) المرجع نفسه، ص78.

(12) المرجع نفسه، ص279.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجرائرية إلى العربية —

2.2.4 جدلية الأنا والآخر في ترجمة رواية «Lebbeik : Pèlerinage de Pauvres» لمالك

بن نبي إلى العربية:

المقطع الخامس عشر:

Texte Source de Malek BENNABI.	ترجمة: زيدان خوليف.
« Brahim avait le sentiment de l'opprobre qui frappe cette catégorie interlope de gens et qui, formée depuis que la vie a pris une tournure moderne, errant sans toit et sans toit et sans famille, en marge de deux sociétés : la société musulmane et la société européenne. Il avait le sentiment d'appartenir à cette catégorie-là. Il en soupirait maintenant avec un vague désir d'évasion. Mais, la nostalgie du passé reprit son esprit. Deux figures surgirent dans sa mémoire. Il voyait son père et sa mère comme ils vivaient jadis, d'une vie aisée réglée et pieuse dans cette maison d'en face où habitait déjà « l'oncle Mohammed ». C'est dans cette maison, d'ailleurs, que Brahim fut lui-même marié. Il en fut ensuite expulsé parce que ses locataires le jugèrent indésirable à cause de son inconduite et de son état de « Zebentout », célibataire : sa femme ayant demandé et obtenu le divorce. »⁽²⁾.	« كان لدى إبراهيم هذا الإحساس بالخزي الذي ينزل بهذه الشريحة المشبوهة من الناس الذين طبعتهم الحياة التي أخذت منعطفاً عصرياً والذين هم متشردون دون مأوى ولا عائلة على هامش مجتمعين: مجتمع مسلم وآخر أوربي. كان لديه إحساس بأنه ينتمي إلى الشريحة الثانية هذه. وقد تنهد الآن برغبة مبهمة منه في الهروب، لكنَّ الحنين إلى الماضي ملك فكره إذ طافت صورتان في ذاكرته. فترأى له أبوه وأمه عندما كانا على قيد الحياة. كانت حياتهما ميسورة، كلها تقوى وانتظام في هذا البيت المقابل الذي يقطنه العم محمد، وفي هذا البيت نفسه كان إبراهيم قد تزوّج، لكنه طردَّ منه لأنه لم يعد مرغوباً فيه بسبب سوء سلوكه إذ إنه كان (زبنطوط)⁽¹⁾ أي أعزب. بعد أن طلبت منه زوجته الخلع وحصلت على الطلاق. ⁽¹⁾ كلمة من أصل عثماني وهي تشير في الأصل إلى رتبة عسكرية⁽¹⁾.

يعكسُ هذا المقطع السردِي استيقاظ ضمير بطل الرواية إبراهيم وشعوره بالخزي من جرّاء الحالة التي آل إليها، خالقاً جدلية الصراع بين الأنا والآخر، بين الأنا المسلمة والآخر الكافر، بحيث صوّر لنا مالك بن نبي وضع إبراهيم الذي كان ضائعاً وتائهً ومُتَحَلِّياً بصفات الآخر، مما جعله يحسُّ بالانتماء إلى المجتمع الآخر (المجتمع الأوروبي)، أي مجتمع غير مجتمعه. لكن حنينه إلى الماضي واستحضاره صورة والديه وتفاصيل حياته السابقة، جعلت ضميره يحيا ومن ثمَّ العودة إلى أحضان الذات (راجع الفصل الأوّل، المبحث الثالث).

ومن منظور النّقل إلى العربية، حاول المترجم زيدان خوليف (راجع الملحق (6)) نقل هذا المقطع إلى العربية وفق أسلوب مالك بن نبي (راجع الملحق (2))، بما يتوافق وطبيعة العربية، إذ لم تُسجَل أيّ ملاحظة تَرْجَمِيَّة تستدعي الوقوف إلا في نقل لفظة "Zebentout" التي أعادة اقتراضها زيدان خوليف إلى العربية بمقابل "زبنطوط"، ثمَّ لجأ إلى شرح دلالة هذه اللفظة في الهامش. وهو لفظ يعكسُ الوضع

⁽¹⁾ مالك بن نبي، لبك، المرجع السابق، ص 45-46.

⁽²⁾ Malek BENNABI, *Lebbeik*, op. cit., p27-28.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجرائرية إلى العربية —

الاجتماعي الذي آل إليه إبراهيم مما دفع زوجته إلى طلب الطلاق، في مشهد يُصوّر تخلي الأنا المُستقيمة عن الأنا الضالة والطائشة، أو صورة الأنا المحافظة والرافضة لكل ما يُزعزع كيائها. إنَّ مثلَ إبراهيم — في هذا السياق — كممثل الخائن الذي يُتبرأ منه. وقد استعمل المترجم في سياق نقله: «... لكنه طرد منه لأنه لم يعد مرغوباً فيه بسبب سوء سلوكه إذ إنّه كان (زبنطوط)⁽¹⁾ أي أعزب، بعد أن طلبت منه زوجته الخلع وحصلت على الطلاق»⁽¹⁾، مُواجهةً للفقرة الأصل الآتية:

« ... C'est dans cette maison, d'ailleurs, que Brahim fut lui-même marié. Il en fut ensuite expulsé parce que ses locataires le jugèrent indésirable à cause de son inconduite et de son état de «Zebentout», célibataire : sa femme ayant demandé et obtenu le divorce. »⁽²⁾.

حيث وظّف المترجم زيدان خوليف تأويل طلب الخلع ثمّ الحصول على الطلاق مجازاً للموقف الذي اتخذته زوجة إبراهيم، دون التركيز على النسخة الأصلية، وكان هذا عقاباً لإبراهيم الذي حاد عن الطريق المستقيم.

المقطع السادس عشر:

Texte Source de Malek BENNABI.	ترجمة: زيدان خوليف.
« Un souvenir traversant son esprit le fit sourire. C'était celui d'une scène assez burlesque qui fut à l'origine de son déménagement de la maison familiale où il était demeuré jusque-là, contre tout le monde, sauf l'oncle Mohammed. Les voisins regardaient très mal la présence à la maison d'un homme divorcé, ivrogne par-dessus le marché. Mais on tolérait Brahim parce qu'il était le propriétaire, quoique déconsidéré et aussi parce que l'oncle Mohammed, le plus vieux de la maisonnée, le soutenait à cause du souvenir de ses parents. Aussi Brahim était-il « sur les cœurs » : les hommes, ses voisins détournaient la tête quand ils le rencontraient dans la rue et les femmes, ses voisines, se cachaient quand elles l'entendaient à la porte rentrant ou bien quand il descendait l'escalier pour sortir. D'ailleurs, lui-même se rendait compte, dans ses moments d'éclaircie, de la quarantaine. » ⁽⁴⁾ .	« ملكته سعادة لا توصف، لأنه لم يعد يشعر بالألم عند تذكره لماضيه الذي مكّنه ابتعاد المركب من رؤية تفاصيله على الميناء. مرت بخاطره ذكرى، رسمت على وجهه ابتسامة، كان مشهداً مضحكاً سبب رحيله من المنزل العائلي الذي كان يقيم فيه رغماً عن كل ساكنيه عدا العم محمد. لم يتقبل الجيران أن يكون بينهم مطلق وسكير ولكنهم احتملوه لأنه كان صاحب المنزل أيضاً لأن العم محمداً كبير البيت، كان يدافع عنه احتراماً لذكرى والديه. لقد كان (فوق القلوب) أي لا يحبه أحد باللهجة المحلية. كان جيرانه يديرون وجوههم عن لقائه. وكانت جاراته يختفين عند دخوله وخروجه. كان إبراهيم يحس في أوقات صحوته بهذه العزلة المضروبة حوله. » ⁽³⁾ .

⁽¹⁾ مالك بن نبي، لببيك، المرجع السابق، ص 45-46.

⁽²⁾ Malek BENNABI, *Lebbeik*, op. cit., p27-28.

⁽³⁾ مالك بن نبي، لببيك، المرجع السابق، ص 77-78.

⁽⁴⁾ Malek BENNABI, *Lebbeik*, op. cit., p50.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

يُصَوِّرُ السَّارِدُ (مالك بن نبي) في هذا المقطع لحظة استحضر إبراهيم لماضيه، مُوظِّفًا شخصية العمّ محمد بوصفها شخصية مُفعَّلةً للأنا، وشخصيةً حاملةً للأمل والعودة إلى الذات واستعادة المجد، خاصةً بوقوف العمّ محمد مع إبراهيم في مواقف كثيرة. وفي ترجمة هذا المقطع إلى العربية، أضافت الذات المترجمة هذه العبارة الشارحة: «... لقد كان (فوق القلوب) أي لا يحبه أحد باللهجة المحلية. كان جيرانه يديرون...»⁽¹⁾، وهي عبارة غير موجودة في الأصل استعملها المترجم زيدان خوليف لشرح عبارة «sur les cœurs»، خدمةً لتأويل الفكرة المبتوثة في حنايا الراوية والموقف الحامل لمعنى الرفض (أي الأنا الراضية للأنا الحائدة عن الطريق المُستقيم من جرّاء تأثرها بالآخر)، وإنّ جيران إبراهيم قد ضجروا منه وضاقوا به ذرعًا. وقد أسهم انتهاج هذه الترجمة الشارحة في نقل التأثيرات ذاتها المبتوثة في ثنايا الذات الروائية المكتوبة الأصل، تجسيدًا لصورة الأنا الفردية المغترية عن الأنوات الجماعية من جرّاء تأثرها بالآخر الأوروبي، بُغية تعريف الذات القارئة العربية عامةً، بمعنى هذه العبارة المأخوذة من اللهجة الجزائرية المحليّة، لأن الذات القارئة الجزائرية تُدرك معنى فوق القلوب بسهولة ويُسر.

المقطع السابع عشر:

وفي لحظة استحضر إبراهيم زوجته السابقة زهرة، ناسجًا في خياله بأنّها ستُسَرُّ عند رؤيتها له وهو يرتدي اللباس الحجازي:

Texte Source de Malek BENNABI.	ترجمة: زيدان خوليف.
« Du moment qu'elle a pensé à m'envoyer ce chapelet, se dit-il en tâtant l'objet à son cou, c'est qu'elle ne m'a pas tout à fait oublié. Et, si elle a été dégoûtée de Brahim Bouquer'a... » ⁽³⁾ .	«... فراح يحدث نفسه قائلاً: بما أنها فكرت في إرسال السبحة إليّ، وهو يتلمسها، هذا يعني أنها لم تنس، ومتسائلاً عما إذا كان إبراهيم (بوقرعة) لا يزال يقرفها؟...» ⁽²⁾ .

يُلاحَظُ في هذا المقطع توظيف الذات الكاتبة عبارة: «Brahim Bouquer'a»، هذه العبارة التي كان يُعايرُ بها إبراهيم من جرّاء مُعاقرة الخمر، وهي من الألقاب التي تطالُّ الرجل المُعاقِر للخمر المنتشرة في أوساط المجتمع الجزائري. يُعيدُ المترجم زيدان خوليف اقتراض هذه اللفظة إلى العربية كونها اقترُضت من اللهجة الجزائرية المحليّة إلى الفرنسية، في المرّة الأولى، ثمّ أعادت الذات المترجمة اقتراضها ثانيّةً إلى العربية، واضحةً إيّاها بين قوسين، ومُضيفَةً عبارةً شارحةً في السياق الآتي: «... ومتسائلاً عما إذا كان

(1) مالك بن نبي، لببيك، المرجع السابق، ص 78.

(2) المرجع نفسه، ص 93.

(3) Malek BENNABI, *Lebbeik*, op. cit., p61.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

إبراهيم (بوقرعة) لا يزال يقرؤها؟..»⁽¹⁾، شارحةً معنى لفظ (بوقرعة). وهذه من الحيل التي تلجأ إليها الذات المترجمة بغية إحداث الأثر ذاته المبتوث في ثنانيا الذات المكتوبة الأصل، ومن ثمّ توسيع شريحة الذوات القارئة وكسب ذوات قارئة أخرى تتجاوز نطاقها المحليّ.

المقطع الثامن عشر (أ):

ترجمة: زيدان خوليف.	Texte Source de Malek BENNABI.
« نحن المسلمين لا نأكل الخنزير. مخاطباً إياه بالعربية ومناولاً إياه قطعة من الرفيس» ⁽²⁾ .	« Nous autres, musulmans, nous ne mangeons pas de porc, dit-il en arabe en prenant de son rfiss un morceau qu'il tendit au curieux. » ⁽³⁾ .

يُصوّر هذا المقطع مشهد البحّار (الأخر) الفضوليّ الذي دنا من جماعة الحجيج المتحلّقين حول وجبة الغداء، وكان الإمام حينها يتحقّق من أن قطع اللحم ليست لحم خنزير، شارحاً لهذا البحّار الفضوليّ — بالعربية — سبب تأكده من قطع اللحم بأن المسلمين لا يأكلون لحم الخنزير، مُهدّياً إياه قطعة من حلوى الرفيس. إنّ إهداء الإمام قطعة الحلوى التقليديّة (الرفيس) للبحّار دليل على سماحة الإسلام والمسلمين، فقد جسّرت الهوة بين جماعة الحجيج (النحن أو الأنا الجمعيّة) وهذا البحّار الفضوليّ (الهُو أو الآخر)، فاتحةً قناة حوار بينهم (أي بين الأنا والآخر). ومن زاوية النّقل إلى العربية، تُسجّل كذلك حالة اقتراس في تسمية هذه الحلوى التقليديّة الجزائريّة من اللّهجة الجزائريّة المحليّة إلى الفرنسيّة أوّلاً، ثمّ استرجاعها إلى العربية ثانيةً. وتجدر الإشارة إلى أن الذات الكاتبة (مالك بن نبي) قد ذكرت، قبل هذا المقطع، بعض الحلويات التقليديّة الجزائريّة التي كانت تأخذها العائلات الجزائريّة معها في مؤونتها المخصّصة للحج. وفي هذا السياق، يُورّد السّاردُ قائلاً:

« Aujourd'hui, on n'emporte plus que ces gâteaux dont chaque famille charge, coûte que coûte, le pèlerin : le **baklawa** du bourgeois des villes, le **makroud** du simple et pauvre citadin et le **rfiss** du campagnard »⁽⁴⁾.

«أمّا اليوم فالمؤونة اقتصرت على كعك وحلويات تحملها العائلات لحجاجهم، من البقلاوة الخاصة بالعائلات الغنية، و(المقروض) لقاطن المدينة والفقير، أما (الرفيس) فللريفي»⁽⁵⁾.

(1) مالك بن نبي، لبك، المرجع السابق، ص 93.

(2) المرجع نفسه، ص 103.

(3) Malek BENNABI, *Lebbeik*, op. cit., p68.

(4) *Ibid.*, p67.

(5) مالك بن نبي، لبك، المرجع السابق، ص 102.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

وهذه من سمات الترجمة والبُعد الثقافي، إذ تُنقل هذه الخصائص حرفيًا دون تصوّف مثلما فعلت الذات الكاتبة في المرحلة الأولى، ثمّ الذات المُترجمة في المرحلة الثّانية. وقد خلقت قطعة الرّفيس المُهداة إلى البحّار، في المقطع المُشار إليه أعلاه، جسّرَ تواصل وقناة حوار بين الأنا والآخر.

المقطع الثّامن عشر (ب):

أمسك البحّار قطعة الرّفيس غير أنه لم يفهم ما قاله له الإمام، سائلًا الحجيج وهو يتذوق طعم الرّفيس:

Texte Source de Malek BENNABI.	ترجمة: زيدان خوليف.
« - C'est bon ! Merci ! Merci ! Est-ce que vous comprenez le français ? Les pèlerins qui, pour la plupart, n'avaient saisi que les mots « bon » et « merci » se crurent obligés d'offrir encore du makroud au matelot, cependant que Brahim lui répondait, avec l'accent caractéristique du sabir: - Moi je comprends un peu le français. [...] Vous autres, les Musulmans, vous ne mangez pas de cochon et vous ne buvez pas de vin ? Mohammed vous l'interdit ? [...] - On ne doit ni manger du cochon, ni boire du vin sinon on va à l'enfer... » ⁽²⁾ .	«إنه لذيذا! شكرًا! شكرًا. هل تتكلمون الفرنسية؟ الحجاج الذين لم يفهموا مما قيل غير كلمتي "merci bon"، ظنوا أنه يجب تقديم المزيد من المقروض للبحاري حين أن إبراهيم ردّ عليه بفرنسية ركيكة: - أنا أفهم قليلاً. ارتأى البحار أن فرنسية إبراهيم كانت كافية فسأله: - أنتم أيها المسلمون لا تأكلون الخنزير ولا تشربون الخمر، أمحمد هو الذي يمنعكم؟ التفت أصحاب إبراهيم إليه بنظرات كلّها تساؤلات وهو يجيب البحّار: يجب ألا نأكل الخنزير وألا نشرب الخمر وإلا ذهبنا إلى الجحيم...» ⁽¹⁾ .

يُحافظ المُترجم زيدان خوليف في ترجمته هذا المقطع السردّي إلى العربيّة على: «... كلمتي "bon merci"...»، وهذا ما يُعطي انطباعًا مُماثلًا للحوار الجدليّ الواقع بين الحجيج والبحّار، أي بين الأنا والآخر، كما سهّلت بساطة أسلوب الذات الكاتبة في هذا المقطع السردّي مهمّة النّقل إلى العربيّة بوصفها رحلةً ثانيّةً وعودة الذات المكتوبة إلى منبعها الأصل.

المقطع الثّامن عشر (ج):

بينما كان إبراهيم يُترجم لأصحابه الحجيج تفاصيل هذا الحوار، لاحظ الإمام أن إجابة إبراهيم كانت ناقصةً لأنه لم يذكُر كلمة "محمد" التي تضمّنّها سؤال البحّار، ثمّ عاد إبراهيم وأكمل إجابته قائلاً:

⁽¹⁾ مالك بن نبي، لبّيك، المرجع السابق، ص 104.

⁽²⁾ Malek BENNABI, *Lebbeik*, op. cit., p68.

الفصل الرابع: جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية

Texte Source de Malek BENNABI.	ترجمة: زيدان خوليف.
« Se tournant vers le matelot qui suivait sans comprendre la discussion des pèlerins, Brahim entre deux bouchées, lui dit : - Ce n'est pas Mohammed qui a défendu le vin et le cochon ; c'est le Bon Dieu. » ⁽²⁾ .	«التفت إبراهيم إلى البحار الذي كان يتابع نقاش الحجاج دون فهم، ليقول له في هنية ما بين لقمتين: - ليس محمد من منع الخمر والخنزير بل إن الله هو الذي قد حرّمهما على المسلمين.» ⁽¹⁾ .

يواصل المترجم زيدان خوليف اللجوء إلى الترجمة الشارحة في نقله الحوار القائم مُضيقاً عبارة: «بل إن الله هو الذي قد حرّمهما على المسلمين»، خدمةً للحوار الجدلي القائم بين الأنا والآخر المبتوث في ثنايا الذات الروائية المكتوبة الأصل.

المقطع الثامن عشر (د):

وفي لحظة إقبال حاج آخر تبدؤ عليه ملامح المثقف الجزائري، يُتابع مجريات هذا الحوار، ردّ البحار ساخراً وهو يُتابع هذا الحاج المُقبل نحوهم:

Texte Source de Malek BENNABI.	ترجمة: زيدان خوليف.
« - Oui, mais c'est Mohammed lui-même qui vous a affirmé cela. Vous n'avez pas vous-mêmes entendu Allah ? Brahim semblant embarrassé avala une bouchée comme pour prendre contenance. Le pèlerin appuyé au bastingage et que sa chéchia rouge et sa mine désignaient pour un de ces intellectuels bilingues qui se rencontrent en Algérie, intervint : - Ce n'est ni Mohammed, ni Allah... mais Dieu qui a fait cette interdiction. Le matelot quelque peu saisi par cette intervention demanda en prenant un ton plus sérieux : - Alors, pour vous, ce n'est pas la même chose Dieu et Allah ? - Pour moi si, répondit le pèlerin, tandis qu'il n'en est pas de même pour vous : quand vous dites Allah vous pensez à un « fétiche des musulmans » et quand vous dites Dieu, vous pensez à peu près ce que je pense en disant Allah. » ⁽⁴⁾ .	«- أجل ولكن محمداً هو من قال لكم هذا، فأنتم لم تسمعه من الله. بدا على إبراهيم الضيق فابتلع لقمة كي يحافظ على رباطة جأشه. تدخل الحاج الذي كان متكئاً على المترسة والذي كانت شاشيته الحمراء وشكله يدلان على أنه أحد المثقفين الجزائريين والذين يجيدون لغتين على الأقل. - ليس محمد ولا الله... لكن الربّ هو الذي قرّر المنع. ارتبك البحار لهذا التدخل غير المتوقع وسأله بشيء من الجدية: إذن فبالنسبة إليكم الله والربّ ليس لهما المعنى نفسه؟ - بالنسبة إليّ نعم ولكن بالنسبة إليكم فالأمر ليس كذلك، عندما تقولون الله يذهب بكم تفكيركم إلى صنم يعبدّه المسلمون، لكن حين تقولون الربّ فسيبتادر إلى أذهانكم الشيء نفسه عندما نقول نحن (الله).» ⁽³⁾ .

وفي هذا المقطع، يُقابل المترجم زيدان خوليف كلمة Dieu بـ: الربّ، وينقل اسم الجلالة Allah بـ: الله، مُحاولاً نقل الفرق الذي كان يرمي إليه الحاج المُثقف (صورة الأنا المُثقف) في ردّه على البحار (صورة الآخر)، وتصحيح بعض المفاهيم عن مُعتقد الأنا المُتداوِّلة - بوجه خاطئ - في فكر الآخر. تُترجم

(1) مالك بن نبي، لبّيك، المرجع السابق، ص 105.

(2) Malek BENNABI, *Lebbeik*, op. cit., p69.

(3) مالك بن نبي، لبّيك، المرجع السابق، ص 105-106.

(4) Malek BENNABI, *Lebbeik*, op. cit., p69.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجرائرية إلى العربية —

كلمة Dieu إلى العربية بالمقابلات الآتية: إله، الإله، الرب... ونحو ذلك. وإن أرادت الذات المترجمة أن تُضفي عليها طابعاً محلياً (عرقياً ودينياً من وجهة نظر المسلم)، فتنقلها بـ: الله، الباري، الأحد، القدير... أو أي اسم آخر من أسمائه الحُسنى. بيد أن نقل اسم الجلالة "الله" إلى أي لغة أجنبية كانت، يستدعي اقترافاً من العربية بصيغة "Allah" للدلالة على إله المسلمين ورب هذا الكون.

المقطع الثامن عشر (هـ):

انطلق حوار ديني بين الحاج المثقف (صورة الأنا المثقفة) والبحار (صورة الآخر)، يُفصل الفرق بين دلالة "الله" و"الرب أو الإله"، ولكن اتضح - في أثناء الحوار - أن البحار لم يكن يؤمن بوجود رب يُسير هذا الكون. وفي تلك الأثناء، كان إبراهيم يُترجم حيثيات هذا الجدال إلى أصحابه الحجاج الذين عبّروا عن اعتراضهم على ما بدر من البحار مُستنكرين قوله. وها هو ذا الإمام يشفق على حال البحار لعدم إيمانه بالله، وأن مصيره سيكون - لا محالة - نار جهنم خالداً فيها، في مقطع يُجسد صورة الأنا المُشفقة على الآخر المُلحد. ثم ناول الإمام إبراهيم قطعة من اللحم وقال له مُستنكراً:

Texte Source de Malek BENNABI.	ترجمة: زيدان خوليف.
« - Le vin les a étourdis, dit-il, en désignant le matelot d'un air apitoyé et ajoutant : ils penseront à Dieu dans un jour épouvantable et ils s'apercevront que la vie n'était qu'un bandeau sur leurs yeux. Et, prenant un morceau de rfiiss il le tendit au matelot en disant : - Tiens, mange cela avant d'être dévoré par l'enfer. Les convives se mirent à rire de la réflexion, en ramassant les ustensiles du repas terminé, cependant que le pèlerin appuyé sur le bastingage reprenait : - Voyez-vous, les difficultés de la vie, les conflits, les misères ne sont ni le fait du hasard, ni par la faute de Dieu. C'est la société civilisée qui a tout d'abord par intérêt, enfreint les règles élémentaires du bonheur. Aujourd'hui, elle essaie de les remplacer par des règles artificielles. Mais le bonheur n'a pas d'ersatz... et la vérité non plus... la science et la politique ne rebâtiront jamais ce qui a été détruit dans l'âme humaine... » ⁽²⁾ .	« - لقد أفقدهم الخمر وعيهم، وهو يشير إلى البحار كمن يشفق عليه وأضاف: - سوف يتذكرون الله في يوم رهيب أت وسيكتشفون حينئذ أن الحياة لم تكن سوى عصابة على أعينهم. ناول البحار أيضاً قطعة من الرفيس وهو يقول: - خذ، كل هذا قبل أن تلتهمك نيران جهنم. ضحك الجميع لهذه الملاحظة وهم يجمعون أوانهم بعد أن فرغوا من طعامهم. واصل الحاج المتكئ على المترسة كلامه: - إن مصاعب الحياة والصراعات والبؤس ليست وليدة المصادفة ولا من صنع الله، كل هذا هو نتاج المدينة المتحضرة التي خالفت القوانين الأساسية للسعادة. أما اليوم فهي تحاول تعويضها بقوانين مصطنعة لكن السعادة ليس لها بديل... والحقيقة أيضاً... العلوم والسياسة لا يستطيعان أبداً إعادة بناء الأرواح البشرية المحطمة. » ⁽¹⁾ .

تماهت، في ترجمة هذا المقطع السردية إلى العربية، الذات المترجمة (زيدان خوليف) والذات الكاتبة (مالك بن نبي)، إذ تبدت أفكار الذات الكاتبة في الحوار بين الحاج المثقف والبحار، ما انعكس

⁽¹⁾ مالك بن نبي، لبك، المرجع السابق، ص 107.

⁽²⁾ Malek BENNABI, *Lebbeik, op. cit.*, p70.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

على سيرورة التّقل التي تجلّت فيها استعدادات الذات المترجمة - وفق مشروعها (راجع الملحق (6)) - مُتصرّفةً في التّقل، ومُوطّنةً كلمة "Dieu" في غير ما موضعٍ من المقطع، بما يتوافقُ والرسالة الدينيّة المبتوثة في الرواية.

المقطع الثامن عشر (و):

لقد خلق الحديث الذي جمع الحاج المثقّف المتكئ على العمود الحديديّ والبحّار قنّاة حوار بين الأديان، بين حاج مُسلم وآخر لا يُؤمن بوجود إله:

Texte Source de Malek BENNABI.	ترجمة: زيدان خوليف.
« Le matelot interrompit : - Et la religion que peut-elle rebâtir, à supposer même une religion universelle ? Ah ! Je vois ça d'ici... une église mondiale subjuguant les peuples, raflant les consciences et les deniers. Le pèlerin coupa le matelot en lui tendant une cigarette : - Que voulez-vous ? dit-il, nous nous entendons mal sur les mots : quand nous disons la même chose, nous pensons autrement. D'ailleurs, en incriminant les religions, vous incriminez, au fond, la diversité, je suppose aussi que vous accusez les langues et que vous êtes partisan de l'espéranto. Mais la tour de Babel est demeurée une utopie... Et ayant frotté une allumette, il donna du feu au matelot, alors que celui-ci lui demandait : - Sans doute êtes-vous croyant puisque vous allez à la Mecque. Pourtant, quand vous causez on a l'impression d'un homme trop instruit pour être croyant ? »⁽²⁾.	« قاطعه البحّار : - ماذا يمكن للدين أن يبني لو فرضنا أن هناك ديناً عالمياً؟ أستطيع الآن أن أخبرك ماذا سيحصل. كنيسة عالمية تخضع الشعوب وتقهّرمهم وتسليمهم ضمائرهم وأموالهم. قطع الحاج على البحار حديثه وهو يمدّه بسيجارة : - ماذا تريد أن تقول نحن غير متفقين على الألفاظ؟ نحن نقول الشيء نفسه ولكن من منطلقين مختلفين، بتجريمك للأديان، أنت تجرم الاختلاف أعتقد أنك تهم التنوع اللغوي أيضاً، لا بد أنك من أنصار (الاسبرانتو)⁽¹⁾، اعلم أن برج بابل بقي فكرة طوباوية... قدح عود الثقاب، وأشعل سيجارة البحّار الذي سأله : - من دون شك أنت مؤمن بما أنك متّجه إلى مكة، ولكن عند النقاش معك تعطي انطباعاً بأنك رجل مثقّف ومتعلّم وحرّي بك ألا تكون مؤمناً. »⁽¹⁾. ⁽¹⁾ لغة أراد مخترعها زمنهوف Zamanhof في 1887م، أن يجد وسيلة يسهل بها التواصل بين كل شعوب العالم.

إنّ تعرّض الحاج، في المقطع المشار إليه أعلاه، إلى مثل هذه المواضيع، دليل على معدن الأنا الجزائرية المتعلّمة والمثقّفة والمُفكّرة والمُنْفَتِحَة على الآخر، هذا الآخر الذي يُكابِرُ عناداً بُغية استصغار الأنا والخطّ من قدرها. وفي سيرورة الترجمة إلى العربية، أفلحت الذات المترجمة في غير ما موضعٍ من نقلها لهذا المقطع السرديّ إلى العربية، بحيث استعانت بالهامش لشرح معنى مصطلح (الاسبرانتو).

⁽¹⁾ مالك بن نبي، لبّيك، المرجع السابق، ص 108-109.

⁽²⁾ Malek BENNABI, *Lebbeik*, op. cit., p70-71.

الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

المقطع الثامن عشر (ز):

وفي سياق المقطع السابق:

Texte Source de Malek BENNABI.	ترجمة: زيدان خوليف.
« - C'est votre impression, rétorqua vivement le pèlerin, ajoutant, c'est-à-dire l'impression d'un milieu où on entend la religion et la science et leurs rapports mutuels d'une certaine manière. Dans ce milieu le musulman cultivé paraît... un sceptique et le musulman simple un fanatique. Bien qu'ayant perdu pied, Brahim prêtait attention à la conversation des deux hommes. Il approuvait, à part lui, le pèlerin en chéchia avec une vague impression d'assister à un duel épique entre l'Islam et le koufr. En enveloppant dans un papier quelques gâteaux restés après le repas, Brahim désignant à un convive les deux hommes qui se retiraient en continuant leur débat : - Je n'ai pas bien compris, lui dit-il, mais j'ai l'impression que le hadj a bien défendu l'Islam. Il parle bien le français. »⁽²⁾.	«ردّ الحاج بقوة قائلاً: - هذا انطباعك أنت وانطباع وسط ينظر إلى العلاقة المتبادلة بين الدين والعلوم بطريقة معينة. في مثل هذا الوسط ينظر إلى المسلم المثقف على أنه متشكك وإلى المسلم العادي على أنه متعصب. أما إبراهيم الذي كان يتابع باهتمام حديث الرجلين فلم يستطع أن يواكهما لضعف مستواه في الفرنسية غير أنه كان مستحسنًا لموقف الحاج ذي الشاشية، كان لديه انطباع غامض أنّ ما شهده كان صراعًا بين الإسلام والكفر. لفّ إبراهيم ما تبقى من الحلويات في ورقة وهو يتحدث إلى أحد رفقاءه عن الرجلين اللذين ابتعدا وهما يتابعان النقاش: - لم أفهم جيدًا ما دار بينهما ولكيّ واثق أنّ الحاج قد دافع عن الإسلام بحق، إنه يتكلم الفرنسية بطلاقة.»⁽¹⁾.

لقد أجبر الحاج — في نهاية النقاش — البحار (الآخر) على الاعتراف بسعة ثقافته (صورة الأنا التي تفرض نفسها وكيانها جاعلة الآخر يعترف بمنزلتها)، هذا الحاج الذي أعاد ترتيب المفاهيم السائدة (حول علاقة الدين بالعلم) في ثقافة الآخر التي ترى المسلم الملتزم غير متعلّم، وغير مثقّف، وغير مُلمّ بالعلوم الدنيويّة المختلفة. أمّا إبراهيم، فكان يُوليّ حيثيات هذا النقاش الذي دار بين الرجلين اهتمامًا بالغًا، وبالرغم من محدوديّة ثقافته ومستواه — في الفرنسية — الذي لم يُؤهله لفهم الحوار كاملاً، غير أنه كان على يقين بأن الحاج قد دافع عن الإسلام ونصره (في موقفٍ يُجسّدُ الأنا المنتصرة للأنا)، خاصّة أنه يتكلم الفرنسية بطلاقة. إنّ لقاء الآخر ومحاورته ومناقشته سبيل من السُّبُل الكفيلة بإنزال مكانة الأنا منزلتها الحقيقيّة عنده (أي عند الآخر) (راجع الفصل الأوّل، المبحث الثالث).

ومن منظور النّقل إلى العربيّة، لم تجد الذات المترجمة أيّ صعوبة تُذكر في نقل أبعاد الأنا التي اتخذتها المشاهد السردية المؤسّسة لبنيان الرواية، نحو كلمات: «chéchia»، «Islam»، «Koufr»، «le hadj»؛ لأنّ الذات الكاتبة (مالك بن نبي) كانت قد وظّفتها (مُقتَرَضَةً من العربيّة) في ذاتها الروائيّة المكتوبة الأصل بالفرنسيّة. وكان السّارد (مالك بن نبي) يُنبِغ عباراته المفتاحية المنقولة من العربيّة بترجمة

⁽¹⁾ مالك بن نبي، لبّيك، المرجع السابق، ص 109.

⁽²⁾ Malek BENNABI, *Lebbeik*, op. cit., p71.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

فرنسيّة (صُورة الذات الكاتبة التي تخطُّ أعمالها بلُغة الآخر الفرنسي)، نحو:

ترجمة: زيدان خوليف.	Texte Source de Malek BENNABI.
«الله أكبر! الله أكبر! [...] حيَّ على الفلاح! الله أكبر، لا إله إلا الله.» ⁽¹⁾	« Allahou Akbar! Allahou Akbar! [...] Hayya 'alal Falah. Venez au Salut. » ⁽²⁾ .

وهذا ما فعله في توظيفه لعبارات المؤذن – المنادي لصلاة الصبح – التي تزامنت مع الصراع القائم بين إبراهيم وذاته، فكانت عبارات ذات وقعٍ رُوحِيٍّ، ما جعلها تُحيي ضميره وتُمدِّدُ لتوبته ورجوعه إلى الله. ومن حيث الإجراءات التَّرجِمِيَّة، يُمكنُ تفسير توظيف الذات الكاتبة للكلمات والعبارات المنقولة حرفيًا مِنَ اللُّغة العربيَّة – الفصحى والعاميَّة – إلى اللُّغة الفرنسيَّة، بأنها إحدى تقنيات الرُّومنة (Romanization)، أو الاقتراض (Borrowing)، أو النَّقْحَرَة (Transliteration)، المُصاحبة لسيرورة الكتابة بالفرنسيَّة.

وتجدرُ الإشارة إلى أن الذات الكاتبة (مالك بن نبي) كانت تُتبعُ العبارات العربيَّة المُرتَحَلة إلى الفرنسيَّة بترجمة فرنسيَّة حتَّى يُفهمَ المعنى المقصود (بالفرنسيَّة)، وفق ما تُبرزُه النِّماذج الآتية:

الترجمة المُصاحبة للأصل:
« ... « Lebbeik ». Je suis à toi, mon Dieu... « Lebbeik, Lebbeik » ⁽³⁾ [...] Interpellent familièrement par le sobriquet de « Bouquer'a », « l'homme à la bouteille »... « Ya Bouquer'a » ⁽⁴⁾ [...] Assalamou Aleikoum ! : Que le salut soit avec vous ! ⁽⁵⁾ [...] As Salamou Aleikoum, que le salut soit sur vous ! ⁽⁶⁾ [...] Oncle Mohammed, je prierai pour vous à « la grille du Prophète », voulant dire la grille qui entoure le catafalque de notre Seigneur Mohammed... « Chebbek Ennabi » ⁽⁷⁾ [...] Hamdou lillah ! (Louange à Dieu !) ⁽⁸⁾ [...] Allahou Akbar ! Dieu est grand ⁽⁹⁾ [...] »

⁽¹⁾ مالك بن نبي، لبك، المرجع السابق، ص 50-51.

⁽²⁾ Malek BENNABI, *Lebbeik*, op. cit., p31.

⁽³⁾ *Ibid.*, p15.

⁽⁴⁾ *Ibid.*, p30.

⁽⁵⁾ *Ibid.*, p33.

⁽⁶⁾ *Ibid.*, p74.

⁽⁷⁾ *Ibid.*, p47.

⁽⁸⁾ *Ibid.*, p48.

⁽⁹⁾ *Ibid.*, p54.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

وهذا ما أسهم في نقل الأبعاد الدينيّة التي اتّخذتها الأنا في الرواية الأصل (المكتوبة بالفرنسيّة). بالإضافة إلى توظيفها (أي الذات الكاتبة) كلماتٍ وعباراتٍ مُستوحاة من اللهجة الجزائرية المحليّة في غير ما موضعٍ من الرواية، مثلما تُبرزه النماذج الآتية:

توظيف كلمات وعبارات عربيّة في النصّ الروائيّ الأصل:

« Lebbeik, Allahoumma Lebbeik⁽¹⁾ [...] Tu es un « mesquine »⁽²⁾ [...] Tu crois que je suis « Kafer » comme toi...⁽³⁾ [...] Brahim s'était vu drapé de l'« ihram »⁽⁴⁾ [...] chaussures « ouleds el Haram »⁽⁵⁾ [...] « guezzana »... « guezzanate »⁽⁶⁾ [...] Laisse-moi tranquille, ya Brahim !!!⁽⁷⁾ [...] »

وهذا ما سهّل مهمّة النّقل إلى العربيّة، إذ استثمرت الذات المترجمة في هذه الاستراتيجية المنتهجة من الذات الكاتبة بُغية تجسيد تجليات الأنا والآخر — بأبعادها المختلفة — المبتوثة في حنايا هذه الرواية.

⁽¹⁾ Malek BENNABI, *Lebbeik*, op. cit., p16.

⁽²⁾ *Ibid.*, p20.

⁽³⁾ *Ibid.*, p23.

⁽⁴⁾ *Ibid.*, p23.

⁽⁵⁾ *Ibid.*, p26.

⁽⁶⁾ *Ibid.*, p28.

⁽⁷⁾ *Ibid.*, p32.

— الفصل الرابع: — جدليّة الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

3.2.4 جدليّة الأنا والآخر في ترجمة رواية «La grande maison» لمحمد ديب إلى العربية:

المقطع التاسع عشر (أ):

Texte Source de Mohammed DIB.	
« A peine s'emboîtaient-ils dans leurs pupitres que le maître, d'une voix claironnante, annonça : - Morale ! Leçon de morale. Omar en profiterait pour mastiquer le pain qui était dans sa poche et qu'il n'avait pas pu donner à Veste-de-kaki. Le maître fit quelques pas entre les tables ; le bruissement sourd des semelles sur le parquet, les coups de pied donnés aux bancs, les appels, les rires, les chuchotements s'évanouirent. L'accalmie envahit la salle de classe comme par enchantement : s'abstenant de respirer, les élèves se métamorphosaient en merveilleux santons. Mais en dépit de leur immobilité et de leur application, il flottait une joie légère, aérienne, dansante comme une lumière »⁽¹⁾.	
ترجمة: أحمد بن محمد بكلي.	ترجمة: سامي الدروبي.
« لم يكّد التلاميذ يستوون في مقاعدهم بالطاولات، حتى دوى صوت المعلم معلنا: - تربية أخلاقية! درس في الأخلاق. سيستغل عمر فرصته من أجل التلذذ بقطعة خبز كانت في جيبه، فلم يتمكن من تقديمها إلى "معطف الكاكي". جال المعلم بخطوات بين الطاولات؛ توقف حفيف النعال على البلاط، وضربات الأرجل على مقاعد الطاولات، كما توقفت النداءات والضحكات والهمسات. حل الهدوء بالقاعة وكانه بمفعول سحري: كبت التلاميذ أنفاسهم، فتحولوا إلى شبه دمى ترابية مرصوفة بروعة. لكن بالرغم من توقفهم عن الحركة وبالرغم من الجدّة التي أبدوها، فقد كانت الأجواء محفوفة بفرحة لطيفة، سماوية، راقصة كالنور »⁽³⁾.	« ما أن جلس التلاميذ على مقاعدهم حتى أعلن المعلم بصوت كأنه صوت البوق أن الدرس درس أخلاق. - أخلاق. الدرس درس أخلاق. إذن في وسع عمر أن ينتهز هذه الفرصة ليمضغ الخبز الذي كان في جيبه ولم يستطع أن يعطيه للمعطف بالقميص الكاكي. سار المعلم بضع خطوات بين مناضد التلاميذ. فتبددت الضوضاء الصماء، ضوضاء ضرب الأرض بالنعال وخبط المقاعد بالأرجل، والنداءات والضحكات والهمسات. وخيم الهدوء المؤقت على القاعة كأنما بسحر، فإذا التلاميذ يحبسون أنفاسهم، وينقلبون إلى أولياء صالحين. ولكن رغم سكوتهم ورغم اجتهدهم، كان يتموج في الجوفرح خفيف مجنح متراقص كالضياء »⁽²⁾.

يُصوّر هذا المقطع السرديّ صراعاً جدليّاً بين الأنا والآخر، أو بالأحرى جدليّة الانتماء التي طرحها درس الأخلاق والقيّم الذي ألقاه المعلّم حسن على التلاميذ الصغار، يُعلّمهم معنى الوطن ويغرس في نفوسهم حبّ الانتماء. وفي تحليل الترجمتين العربيتين، لا نكاد نجد اختلافاً كبيراً بين المترجمين سامي الدروبي (راجع الملحق (7)) وأحمد بن محمد بكلي (راجع الملحق (8)) عدا في نقل عبارة: « les élèves se métamorphosaient en merveilleux santons », التي ترجمها الدروبي بـ: « وينقلبون إلى أولياء صالحين »، بينما يترجمها أحمد بن محمد بكلي بـ: « فتحولوا إلى شبه دمي ترابية مرصوفة بروعة ». وهذا

⁽¹⁾ Mohammed DIB, *La grande maison*, op. cit., p19.

⁽²⁾ محمد ديب، الدار الكبيرة، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص 22.

⁽³⁾ محمد ديب، الدار الكبير، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، المرجع السابق، ص 21.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

ما ينم عن نوايا المترجمين في تأويل هذا المقطع السردى بما يتوافق وطبيعة الموقف الذي آلت إليه حالة التلاميذ. وتعدُّ ترجمة الدروبي ترجمةً مُوطَّئَةً وفق ما تقتضيه طبيعة الذات العربية المُستقبلة لهذا النصّ، في حين انتهج المترجم الجزائري أحمد بن محمد بكلّي النقل الحرفي مُتَشَبِّهًا بالأصل.

المقطع التاسع عشر (ب):

وفي المقطع السردى ذاته، وبعد أن خيم الهدوء على أرجاء القسم، يُواصلُ المُعلِّمُ حسن شرحه الدرس:

Texte Source de Mohammed DIB.	
« M. Hassan, satisfait, marcha jusqu'à son bureau, où il feuilleta un gros cahier. Il proclama : - La Patrie. L'indifférence accueillit cette nouvelle. On ne comprit pas. Le mot, campé en l'air, se balançait. - Qui d'entre vous sait ce que veut dire : Patrie ? Quelques remous troublèrent le calme de la classe. La baguette claqua sur un des pupitres, ramenant l'ordre. Les élèves cherchèrent autour d'eux, leurs regards se promenèrent entre les tables, sur les murs, à travers les fenêtres, au plafond, sur la figure du maître ; il apparut avec évidence qu'elle n'était pas là. Patrie n'était pas dans la classe. Les élèves se dévisagèrent. Certains se plaçaient hors du débat et patientaient benoîtement»⁽¹⁾.	
ترجمة: سامي الدروبي.	ترجمة: أحمد بن محمد بكلّي.
«سر الأستاذ حسن، فسار إلى منبره، وأخذ يقلب أوراق دفتر كبير ثم قال: - الوطن.. لم يكثرث الصبية بالنبأ. إنهم لا يفهمون. وعسكرت الكلمة في الهواء تهتز. - من منكم يعلم معنى كلمة: الوطن.. فقامت حركات عكرت هدوء الفصل. فضرب المعلم إحدى المناضد بعصاه، فأعاد إلى القاعة النظام. بحث التلاميذ فيما حولهم، وطافت نظراتهم بين المناضد، وعلى الجدران، ومن خلال النوافذ، وفي السقف، وفي وجه المعلم. ظهر واضحاً أن الوطن ليس في أي مكان من هذه الأمكنة التي طافت بينها نظراتهم. إن الوطن ليس في الفصل. ونظر التلاميذ بعضهم إلى بعض. إن منهم من كان يضع نفسه خارج المنافسة، ويصبر راضياً سعيداً» ⁽²⁾ .	«مضى موسيو حسن، وهو راض، حتى وصل مكتبه، حيث فتح كراساً كبيراً معلناً: - الوطن. استقبل العنوان بلا مبالاة عامة. كلمة غير مفهومة. ظلت عالقة في الجو، تتأرجح. - من منكم يعرف معنى كلمة الوطن؟ تكرر هدوء القسم ببعض الحركات. دوى صوت العصا فوق بعض الطاولات، فأعاد الهدوء إلى سابق هيمنته. بحث الأولاد من حولهم، طافت نظراتهم بين الطاولات، على الجدران، من خلال النوافذ، في السقف، في وجه المعلم؛ بدا بديهياً أن الكلمة لم تكن موجودة هناك. لم يكن الوطن موجوداً في القسم. ألقى التلاميذ على بعضهم نظراً محدقاً متفحصاً. ومن التلاميذ من أخرج نفسه من نطاق النقاش فلاذ بالصبر الأبله» ⁽³⁾ .

وفي ترجمة هذا المقطع السردى إلى العربية، تُقابلُ الذات المُترجمة السوروية (سامي الدروبي) شخصية «M. Hassan» بـ: «الأستاذ حسن»، في حين قرّرت الذات المُترجمة الجزائرية (أحمد بن محمد

⁽¹⁾ Mohammed DIB, *La grande maison*, op. cit., p19–20.

⁽²⁾ محمد ديب، الدار الكبيرة، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص 22–23.

⁽³⁾ محمد ديب، الدار لكبيره، ترجمة: أحمد بن محمد بكلّي، المرجع السابق، ص 22.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

بكلّي) اللّجوء إلى الاقتراض بتوظيف عبارة: «موسيو حسن»، وهي الطريقة التي كان يُنادي بها التلاميذ المُعلّم حسن، مُحاولةً تصوير المشهد الذي أرادت الذات الكاتبة (محمد ديب، راجع المُلحق (3)) بثّه في الأصل. كما فضّل المُترجم سامي الدروبي استخدام كلمة «الفصل» مُقابل «la classe»، بينما وظّف المُترجم الجزائريّ أحمد بن محمد بكلّي كلمة «القسم»، وهذا ما يُبرز اختلاف منهجيّ الذاتين المُترجمتين، أي بين مُترجم سوريّ وآخر جزائريّ.

المقطع التاسع عشر (ج):

وفي مُحاولة الإجابة عن سؤال المُعلّم حسن:

Texte Source de Mohammed DIB.	
« Brahim Bali pointa le doigt en l'air. Tiens, celui-là ! Il savait donc ? Bien sûr. Il redoublait, il était au courant. - La France est notre mère Patrie, ânonna Brahim. Son ton nasillard était celui que prenait tout élève pendant la lecture. Entendant cela, tous firent claquer leurs doigts, tous voulaient parler maintenant. Sans permission, ils répétèrent à l'envi la même phrase » ⁽¹⁾ .	
ترجمة: أحمد بن محمد بكلّي.	ترجمة: سامي الدروبي.
«أشار إبراهيم بالي بإصبعه إلى سقف القسم. كيف يفعل ذلك؟ أكان على دراية بالموضوع إذن؟ لا عجب طبعاً، فقد كرر السنة. كان طبعياً أن يعرف. - فرنسا هي وطننا الأم، غمغم إبراهيم. نبرة صوته المنبعثة من الأنف، هي النبرة التي يتميز بها صوت التلاميذ في حصة القراءة. عند سماع ذلك، طفقت الأصابع كلها، وصار الجميع راغباً في تناول الكلمة الآن. من غير إذن من أحد، كانوا جميعاً يكررون نفس الجملة» ⁽³⁾ .	«رفع إبراهيم بالي أصبعه. ها... إذن هو يعرف. لا غرابة. أنه يعيد سنته، فلا بد أن يعرف. قال إبراهيم: - فرنسا هي أمنا الوطن. كان صوته الأخنف هو الصوت الذي يصطنعه كل تلميذ حين يقرأ. فحين سمع التلاميذ هذا الكلام، أصبحوا يقرعون جميعاً أصابعهم، أصبحوا يريدون جميعاً أن يتكلموا: ودون استئذان، رددوا العبارة نفسها متنافسين» ⁽²⁾ .

وفي ترجمة هذا المقطع السردّي الذي يبتّ جدليّة الانتماء، قابل المُترجم سامي الدروبي عبارة «La France est notre mère Patrie, ânonna Brahim»، بـ: «قال إبراهيم: فرنسا هي أمنا الوطن»، بينما يُترجمها أحمد بن محمد بكلّي بـ: «فرنسا هي وطننا الأم، غمغم إبراهيم». لقد أسقط المُترجم السوريّ سامي الدروبي في سياق ترجمته الفعل «ânonner» الحامل لمعاني: التلعثم، والتتعثّع، والتلجّج، أي مَنْ يتردّد في قراءته أو جوابه، أو مَنْ يتعثّر لسانه في أثناء الإجابة (أو القراءة) ويتبلّد، أو مَنْ به عيّ في نطق كلامه. بينما وظّف المُترجم الجزائريّ أحمد بن محمد بكلّي الفعل غمغم، وهو مُقابل سديد

⁽¹⁾ Mohammed DIB, *La grande maison*, op. cit., p20.

⁽²⁾ محمد ديب، الدار الكبيرة، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص23.

⁽³⁾ محمد ديب، الدار لكبيره، ترجمة: أحمد بن محمد بكلّي، المرجع السابق، ص22-23.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

يُجسّد المشهد الروائي الأصل الذي تبدّى فيه صورة الأنا البريئة مُحاولَةً الإجابة عن سؤال محوري ومفصليّ طرحته الذات الكاتبة (محمد ديب) في روايتها.

المقطع التاسع عشر (د):

عطفًا على ردّ التلميذ إبراهيم بالي الذي دفع بقية التلاميذ إلى تكرار الإجابة نفسها:

Texte Source de Mohammed DIB.	
« Les lèvres serrées, Omar pétrissait une petite boule de pain dans sa bouche. La France, capitale Paris. Il savait ça. Les Français qu'on aperçoit en ville, viennent de ce pays. Pour y aller ou en revenir, il faut traverser la mer, prendre le bateau... La mer : la mer Méditerranée. Jamais vu la mer, ni un bateau. Mais il sait : une très grande étendue d'eau salée et une sorte de planche flottante. La France, un dessin en plusieurs couleurs. Comment ce pays si lointain est-il sa mère ? Sa mère est à la maison, c'est Aïni ; il n'en a pas deux. Aïni n'est pas la France. Rien de commun. Omar venait de surprendre un mensonge. Patrie ou pas patrie, la France n'était pas sa mère. Il apprenait des mensonges pour éviter la fameuse baguette d'olivier. C'était ça, les études. » ⁽¹⁾	
ترجمة: سامي الدروبي.	ترجمة: أحمد بن محمد بكلي.
« كانت شفتا عمر مزومتين، فهو يعجن في فمه لقمة من الخبز. فرنسا، عاصمتها، باريس، إنه يعرف هذا. الفرنسيون الذين يراهم في المدينة، قادمون من تلك البلاد. وإذا أراد أحد أن يذهب إلى هناك أو أن يعود من هناك، عليه أن يجتاز البحر، أن يركب باخرة.. البحر، البحر الأبيض المتوسط. إنه لم ير البحر في حياته، ولا رأى باخرة. ولكنه يعرف: يعرف أن البحر مساحة كبيرة من الماء المالح، وأن الباخرة نوع من خشبة كبيرة عائمة. وفرنسا، رسم ملون بعدة ألوان. ولكن كيف تكون تلك البلاد البعيدة أمه.. إن أمه في البيت.. إنها «عيني». وليس له أمان اثنتان. «عيني» ليست فرنسا. ليس ثمة أشياء مشتركة بين أمه وفرنسا. لقد اكتشف عمر الكذبة. فرنسا ليست أمه، سواء أكانت هي الوطن أم لم تكن هي الوطن. إنه يتعلم أكاذيب، تحاشيا لعصا الزيتون الشهيرة. هذه هي الدراسة...» ⁽²⁾	« كانت شفتا عمر متماسكة وهو يمضغ كرة الخبز في فمه. فرنسا، عاصمتها باريس. هو يعرف ذلك. فالفرنسيون الذين نشاهدهم في المدينة، جاؤوا من ذلك البلد. علينا أن نجتاز البحر للتوجه إليه أو للعودة منه، واستقالة باخرة... البحر: البحر الأبيض المتوسط؟ لم يسبق له أن شاهد البحر، ولا الباخرة. لكن يعرف ما هي: امتداد عظيم من الماء المالح، ونوع من الأخشاب الطافية. فرنسا، رسم مختلف الألوان. كيف يمكن لبلد بعيد كهذا أن يكون أمه؟ أمه في الدار، هي عيني، وليست له أم ثانية. وعيني ليست فرنسا. ولا يوجد أدنى شبه بين الاثنين. لقد ضبط عمر كذبة مباشرة. وطن أم لا، ففرنسا ليست أمه. كان يتعلم الكذب اجتنابا لوقع عصا الزيتون في ظهره. تلك هي طبيعة الدراسات...» ⁽³⁾

لم يختلف المترجمان - سامي الدروبي وأحمد بن محمد بكلي - كثيرًا في نقل هذا الصراع الجدلي الذي دار في ذهن عمر الصغير حول حقيقة أن "فرنسا هي وطنه الأم". ومردّد هذا التشابه الكبير بين الترجمتين الأسلوب البسيط الذي لجأت إليه الذات الكاتبة في إحداث التوافق والموقف الذي كان يُصارُ فيه عمر الصغير ذاته بحثًا عن الحقيقة، ونسق استعدادات الذاتين المترجمتين في مُعالجتهما هذه المنطقة النصّية الدالة (وفق المصطلح البيروني)، حيث تجلّت الأنا بمرجعياتها الوطنية والهوياتية، وحيث

⁽¹⁾ Mohammed DIB, *La grande maison*, op. cit., p20-21.

⁽²⁾ محمد ديب، الدار الكبيرة، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص23.

⁽³⁾ محمد ديب، الدار لكبيره، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، المرجع السابق، ص23.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

بلغ العمل الروائي ذروته ومُبْتَغاه ومركز الثقل الخاص به.

المقطع التاسع عشر (هـ):

ثُمَّ شرع المُعَلِّم حسن في شرح معنى كلمة الوطن:

Texte Source de Mohammed DIB.	
« M. Hassan ouvrit la leçon. - La patrie est la terre des pères. Le pays où l'on est fixé depuis plusieurs générations. Il s'étendit là-dessus, développa, expliqua. Les enfants, dont les vellétés d'agitation avaient été fortement endiguées, enregistraient. La patrie n'est pas seulement le sol sur lequel on vit, mais aussi l'ensemble de ses habitants et tout ce qui s'y trouve »⁽¹⁾.	
ترجمة: أحمد بن محمد بكلي.	ترجمة: سامي الدروبي.
«فتح موسيو حسن الدرس: - الوطن هو أرض الآباء. هو البلد الذي أقمنا فيه منذ أجيال كثيرة. توسع في شرح هذا طويلاً. كان الأطفال، وقد وُضع حد قوي لتزوعهم إلى الهرج، يسجلون. - فالوطن لا يتمثل فقط في التربة التي نعيش عليها، لكن في مجموع سكانها وكل ما يوجد فيها»⁽³⁾.	«وبدا الأستاذ حسن الدرس: - الوطن هو أرض الآباء. هو البلد الذي نسكنه منذ أجيال. وتوسع الأستاذ حسن في الموضوع، فشرح وفسر. وكان الصبية يسجلون كلامه، بعد أن حبس ما في نفوسهم من رغبة في الحركة حبساً قوياً. - ليس الوطن هو الأرض التي نعيش فوقها فحسب، بل هو كذلك كل ما على هذه الأرض من سكان، وكل ما فيها بوجه الإجمال»⁽²⁾.

وفي ترجمة هذا المقطع السردية إلى العربية، يُواصل المترجم السوري سامي الدروبي ترجمة "M. Hassan" بـ: "الأستاذ حسن"، كما يُواصل المترجم الجزائري أحمد بن محمد بكلي اقتراض التسمية ذاتها بـ: "موسيو حسن"، مع تسجيل تشابه في النّقل واختلاف طفيف في الأسلوب دون التأثير في توجيه مسار دلالة الوطن بوصفها مرجعيةً لأننا المبتوثة في حنايا هذه الرواية.

المقطع التاسع عشر (و):

يُواصل الصبي عمر صراعه مع ذاته بُغية اكتشاف معنى الوطن، وتحديد انتمائه، والتعرّف على أعدائه (أو أعداء وطنه):

⁽¹⁾ Mohammed DIB, *La grande maison*, op. cit., p22.

⁽²⁾ محمد ديب، الدار الكبيرة، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص24.

⁽³⁾ محمد ديب، الدار لكبيره، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، المرجع السابق، ص24-25.

الفصل الرابع: ————— جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —————

Texte Source de Mohammed DIB.	
« Impossible de penser tout le temps au pain. Omar laisserait sa part de demain à Veste-de-kaki. Veste-de-kaki était-il compris dans la patrie ? Puisque le maître disait... Ce serait quand même drôle que Veste-de-kaki... Et sa mère, et Aouïcha, et Mériem, et les habitants de Dar-Sbitar ? Comptaient-ils tous dans la patrie ? Hamid Saraj aussi ? - Quand de l'extérieur viennent des étrangers qui prétendent être les maîtres, la patrie est en danger. Ces étrangers sont des ennemis contre lesquels toute la population doit défendre la patrie menacée. Il est alors question de guerre. Les habitants doivent défendre la patrie au prix de leur existence. Quel était son pays ? Omar eût aimé que le maître le dît, pour savoir. Où étaient ces méchants qui se déclaraient les maîtres ? Quels étaient les ennemis de son pays, de sa patrie ? Omar n'osait pas ouvrir la bouche pour poser ces questions à cause du goût du pain. - Ceux qui aiment particulièrement leur patrie et agissent pour son bien, dans son intérêt, s'appellent des patriotes. La voix du maître prenait des accents solennels qui faisaient résonner la salle. Il allait et venait »⁽¹⁾.	
ترجمة: أحمد بن محمد بكلي.	ترجمة: سامي الدروبي.
« لم يعد في الإمكان قصر التفكير على الخبز وحده. سيترك عمر نصيبه من خبز الغد لـ "معطف الكاكي". هل كان "معطف الكاكي" مشمولاً في الوطن؟ ما دام المعلم قد قال... سيكون الأمر عجيبة أن "معطف الكاكي"... ثم أمه، وعويشة، ومريم، وسكان دار السبيطار؟ هل يشكلون جميعاً جزءاً من الوطن؟ وهل الأمر كذلك بالنسبة لحميد سراج أيضاً؟ - عندما يأتي من الخارج أجنب يدعون أنهم الأسياد، يكون الوطن في خطر. فهؤلاء الأجنب أعداء، يفرضون على كافة السكان واجب الدفاع عن الوطن المهدد. هنا يكون الخيار هو الحرب. يقع على السكان واجب الدفاع عن الوطن، والتضحية بوجودهم في سبيله. فما هو بلده؟ كان عمر يود لو أن المعلم قالها، حتى يكون على علم. وأين يوجد هؤلاء الأشرار الذين يدعون أنهم أسياد؟ من هم أعداء بلده ووطنه؟ لم يكن عمر يجرؤ على فتح فمه لطرح تلك الأسئلة، بسبب مذاق الخبز. - والذين يكونون لوطنهم محبة خاصة، ويعملون لخيرهم، وفي مصلحته، يسمون بالوطنيين. اتخذ صوت المعلم نبرة رسمية، اهتز لها كل القسم. كان يسير في جيئة وذهاب»⁽³⁾.	«يستحيل أن يفكر المرء في الخبز طوال الوقت. سيحتفظ عمر بحصة الغد لصاحب القميص الكاكي. هل يشمل الوطن صاحب القميص الكاكي أيضاً.. المعلم يقول هذا.. إنه لأمر غريب مع ذلك. أن يكون المقمط بالقميص الكاكي.. ثم أمه؟ وعويشة؟ ومريم؟ وسكان دار سبيطار؟ هل هؤلاء جميعاً يعدون من الوطن؟.. وحيد سراج أيضاً؟..» «- وحين يأتي من خارج الوطن أناس أجنب يدعون أنهم هم السادة، فإن الوطن يكون عندئذ في خطر. هؤلاء الأجنب أعداء يجب على جميع الأهالي أن يدافعوا عن الوطن، وأن يقدموا حياتهم ثمن ذلك. أي بلد هو بلده؟.. إن عمر يود لو يسأل المعلم ذلك، كي يعلم. أين أولئك الخبيثاء الذين يدعون أنهم هم السادة.. من هم أعداء بلده، من هم أعداء وطنه.. ولم يكن عمر يجرؤ على أن يفتح فمه لطرح هذه الأسئلة، بسبب طعم الخبز. - إن الذين يحبون وطنهم، ويعملون في سبيل خيرهم، في سبيل مصلحته، يسمون وطنيين. واكتسب صوت المعلم نبرات فخمة أخذت تدوي في القاعة. وكان يذهب ويعي»⁽²⁾.

اختلفت الذاتان المترجمتان في نقل بعض الشخصيات الرئيسة للرواية، إذ تَرَجَمَ الدروبي شخصية "Veste-de-kaki" بـ "المقمط بالقميص الكاكي"، وتَرَجَمَ "Aouïcha" بـ "عويشة". أما المترجم أحمد بن محمد بكلي فنقل تلك الشخصيات بـ "معطف الكاكي"، و"عويشة" على التوالي. وهنا،

⁽¹⁾ Mohammed DIB, *La grande maison*, op. cit., p22-23.

⁽²⁾ محمد ديب، الدار الكبيرة، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص24-25.

⁽³⁾ محمد ديب، الدار لكبيره، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، المرجع السابق، ص25-26.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

أرادت الذات المترجمة الجزائرية (أحمد بن محمد بكلي) نقل شخصية "عويشه" مثلما تُنطق في اللهجة الجزائرية المحكية.

إنَّ تشبُّث الذات المترجمة الجزائرية (أحمد بن محمد بكلي) بالذات الروائية المكتوبة الأصل أدَّى بها إلى تجسيد أبعاد الأنا المهددة من الآخر، أو الأنا المطالبة بالدفاع عن وطنها والتضحية في سبيله وفداءً له، لا سيَّما في نقل الجملة الآتية:

« Ces étrangers sont des ennemis contre lesquels toute la population doit défendre la patrie *menacée*. *Il est alors question de guerre*. Les habitants doivent défendre la patrie au prix de leur existence ».

ترجمة السوريّ سامي الدروبي: «هؤلاء الأجانب أعداء يجب على جميع الأهالي أن يدافعوا عن الوطن، وأن يقدموا حياتهم ثمن ذلك».

ترجمة الجزائريّ أحمد بن محمد بكلي: «فهؤلاء الأجانب أعداء، يفرضون على كافة السكان واجب الدفاع عن الوطن المهدد. هنا يكون الخيار هو الحرب. يقع على السكان واجب الدفاع عن الوطن، والتضحية بوجودهم في سبيله».

حيث يُلاحظ إسقاط المترجم السوريّ سامي الدروبي كلمة: «... الدفاع عن الوطن "المهدد"» وعبارة: «فالمسألة مسألة حرب (بين الأنا والآخر)».

المقطع التاسع عشر (ز):

بعدها شرع عمر الصغير في طرح تساؤلاتٍ جدلية على نفسه:

Texte Source de Mohammed DIB.	
« M. Hassan était-il patriote ? Hamid Saraj était-il patriote aussi ? Comment se pouvait-il qu'ils le fussent tous les deux ? Le maître était pour ainsi dire un notable ; Hamid Saraj, un homme que la police recherchait souvent. Des deux, qui le patriote alors ? La question restait en suspens. Omar, surpris, entendit le maître parler en arabe. Lui qui le leur défendait ! Par exemple ! C'était la première fois ! Bien qu'il n'ignorât pas que le maître était musulman – il s'appelait M. Hassan –, ni où il habitait, Omar n'en revenait pas. Il n'aurait même pas su dire s'il lui était possible de s'exprimer en arabe. » ⁽¹⁾ .	
ترجمة: أحمد بن محمد بكلي.	ترجمة: سامي الدروبي.
«هل كان موسيو حسن وطنيا؟ وهل كان حميد سراج وطنيا أيضا؟ كيف يمكن أن يكون الاثنان كذلك؟ يمكن أن نعتبر	«هل الأستاذ حسن وطني؟.. هل حميد سراج وطني أيضا؟ كيف يمكن أن يكون كلاهما وطنيين؟ إن المعلم من

⁽¹⁾ Mohammed DIB, *La grande maison*, op. cit., p23.

الفصل الرابع: جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجرائية إلى العربية

المعلم رجلا من الأعيان؛ وحמיד سراج رجل تبحث عنه الشرطة في العديد من المرات. فمن هو الوطني من بين الرجلين؟ ظل السؤال عالقا. تفاجأ عمر، عندما سمع المعلم يتحدث بالعربية. كيف؟ وهو الذي يمنع عنهم ذلك! عجب! حدث هذا لأول مرة! حتى وإن لم يكن عمر يجهل أن المعلم مسلم - اسمه موسيو حسن - ولا مكان مسكنه، فإن هذا أمر لا يكاد يصدق. لم يكن في وسعه حتى أن يؤكد بأنه كان في مستطاعه أن يتحدث بالعربية»⁽²⁾.	الوجهاء، بينما حميد سراج شخص تلاحقه الشرطة في كثير من الأحيان.. أي الاثنين هو الوطني؟ ظل السؤال معلقا بلا جواب. ودهش عمر حين سمع المعلم يتكلم باللغة العربية، هو الذي كان يحظر عليهم أن يتكلموا بالعربية.. عجيب.. هذه أول مرة.. شدة عمر، رغم أنه لا يجهل أن المعلم مسلم - فاسمه حسن - ورغم أنه لا يجهل أين يسكن. حتى لقد كان لا يعرف هل هذا المعلم يستطيع حقا أن يتكلم بالعربية»⁽¹⁾.

تماهت الذاتان المترجمتان (سامي الدروبي وأحمد بن محمد بكلي) وشخصيتي الذات الكاتبة وعمر الصغير بطل الرواية، ما انعكس على سلاسة الترجمة وسدادها، وبذا تجسيد جدلية الأنا والآخر - بتجلياتها وأبعادها المختلفة - الماثلة في حنايا هذا المقطع السردى.

المقطع التاسع عشر (ح):

Texte Source de Mohammed DIB.	
« D'une voix basse, où perçait une violence qui intriguait : - Ça n'est pas vrai, fit-il, si on vous dit que la France est votre patrie. Parbleu ! Omar savait bien que c'était encore un mensonge. M. Hassan se ressaisit. Mais pendant quelques minutes il parut agité. Il semblait être sur le point de dire quelque chose encore. Mais quoi ? Une force plus grande que lui l'en empêchait-elle ? Ainsi, il n'apprit pas aux enfants quelle était leur patrie. »⁽³⁾	
ترجمة: أحمد بن محمد بكلي.	ترجمة: سامي الدروبي.
« بصوت منخفض ينبعث منه عنف محير، أضاف المعلم: - لا تصدقوا، إن قيل لكم بأن فرنسا هي وطنكم، طبعاً، كان عمر على يقين بأن تلك كذبة أخرى. عاد موسيو حسن للجلوس. غير أنه بدا، لبضع دقائق، مضطرباً. بدا عليه بأنه يستعد لإضافة شيء آخر أيضاً. لكن ماذا؟ فهل تمنعه عن ذلك قوة تفوق طاقته؟ وهكذا، لم يخبر التلاميذ ما هو وطنهم بالضبط.»⁽⁵⁾	«وقال المعلم، بصوت خافت يخالطه عنف محير: - ليس صحيحاً ما يقال لكم من أن فرنسا هي وطنكم. عجيب.. لقد كان عمر يعرف أن ذلك كذب. وسيطر الأستاذ حسن على نفسه. ولكنه ظل يبدو مضطرباً خلال لبضع دقائق. كان يلوح عليه أنه بهم بأن يقول شيئاً آخر أيضاً. ولكن ما عساه يقول.. أليس ثمة قوة أكبر منه تمنعه من أن يقول ما يريد قوله. وهكذا لم يعلم الصبية ما هو وطنهم..»⁽⁴⁾

إنَّ توظيف المترجم سامي الدروبي للعبارة الشارحة الآتية: «ولكن ما عساه يقول..» تُبرزُ سداد التَّأويل التَّرجيمي الذي استندت إليه الذات المترجمة، في هذا السياق، لتجسيد الوقع ذاته المتضمن في

(1) محمد ديب، الدار الكبيرة، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص 25.

(2) محمد ديب، الدار الكبيره، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، المرجع السابق، ص 26.

(3) Mohammed DIB, *La grande maison*, op. cit., p23.

(4) محمد ديب، الدار الكبيرة، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص 25.

(5) محمد ديب، الدار الكبيره، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، المرجع السابق، ص 26.

— الفصل الرابع: — جليّة الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

ثنايا الذات الروائية المكتوبة الأصل، أي ما عسى الأنا الجزائرية تقول... وهي تحت أنظار (الآخر)، أو السُّلطة الاستعمارية المُتَحَكِّمة في المؤسسات التَّعليميّة.

المقطع العِشْرُون:

Texte Source de Mohammed DIB.	
« Il était rare de ne pas découvrir dans les poches de son large paletot, vieux et gris, des livres brochés dont la couverture et les pages se détachaient, mais qu'il ne laissait jamais perdre. C'est lui qui avait prêté à Omar ce livre qui s'intitulait <i>Les Montagnes et les Hommes</i> ; l'enfant l'avait déchiffré patiemment, page après page, sans se décourager ; il lui avait fallu quatre mois pour en venir à bout. Au début les voisines questionnaient : - Où a-t-il appris à lire ? Et elles pouffaient de rire. Fatima, sa sœur, répliquait : - Il a appris tout seul. Si vous ne voulez pas me croire, venez voir ! Elles s'approchaient du seuil de la chambre [...] En ce temps-là, les femmes allaient souvent épier Hamid. Il était toujours en train de lire. Elles s'en retournaient en courant, avec des mouvements de volatiles effarouchés, dans un grand froissement de robes. - Oui, c'est vrai ! - Nous l'avons vu de nos propres yeux. Elles riaient. Point de scepticisme cette fois. Elles riaient tout simplement parce qu'elles trouvaient bizarre qu'un homme lût des livres. Pourquoi lui seul, parmi tous les hommes qu'elles connaissaient ? »⁽¹⁾.	
ترجمة: سامي الدروبي.	ترجمة: أحمد بن محمد بكلي.
« كان يندر أن لا يرى المرء في جيوب سترته العريضة القديمة الرمادية كتباً كانت أغلفتها وصفحاتها تنفصل ولكنها لا تضع، لأن حميدا لا يدعها تضع أبداً. وهو الذي أعار عمر ذلك الكتاب الذي عنوانه «الجبال والرجال». فراح الصبي يفك رموزه في صبر وأناة، صفحة بعد صفحة، دون أن تخور عزمته، واحتاج إلى أربعة أشهر لإتمام قراءته. كانت الجارات تسألن في أول الأمر: - أين تعلم القراءة؟ ثم يضحكن مقهقهات. فتجيبن فاطمة، أخته، بقولها: - تعلم القراءة بنفسه، وحده... فإذا كنتن لا تصدقن ذلك، فما عليكم إلا أن تجئن لترين.. فكن يقترين من عتبة الباب [...] في هذه اللحظة كانت النساء تمضي لتلصص على حميد في كثير من الأحيان. إنه ما ينفك يقرأ. وكن يرجعن من هذا التلصص راكضات، بحركات كأنها حركات سرب من الطيور روع.. وأثوابهن تحف حفيفاً كبيراً. - نعم، صحيح.. - رأيناه بأعيننا.	« من النادر ألا يكتشف في جيوب سترته الواسعة، الرمادية القديمة، كتباً ورقية الغلاف، ذات طبعات اقتصادية، يتنصل غلافها ورقها، غير أنه شديد الحرص على عدم تضييعها. هو الرجل الذي أعار لعمر، ذلك الكتاب المعنون: الجبال والرجال؛ كتاب جلس الطفل ليفكك رموزه بصبر وأناة، صفحة، صفحة، دون كلل أو ملل؛ كلفه الفراغ من قراءته أربعة أشهر. في بداية الأمر تسألت جارات حميد: - كيفاش؟ وين تعلم القرايه؟ وكن ينفجرن بضحك ساخر. كانت أخته فاطمة، ترد: - تعلمها وحدو. إلا ما أمنتونيش، أرواحو شوفو بعينيكم! كن يقترين من عتبة الغرفة [...] في ذلك الوقت، كثيرا ما كانت النسوة يتوجهن لمراقبة حميد. كان منشغلاً دوماً بالقراءة. كن ينسحن مسرعات، بحركات طيور مفزعة، يجرنن معهن حفيف فساتينهن. - نعم، هذا صحيح! - شفنا ابعينينا.

⁽¹⁾ Mohammed DIB, *La grande maison*, op. cit., p63–64.

الفصل الرابع: ————— جليّة الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —————

وكن يضحكن لا لأن شكا يراودهن الآن بل لأنهن يرين أنه أمر مستغرب أن يقرأ رجل كتباً. لماذا ينفرد هو بهذا، بين جميع الرجال الذين يعرفهم؟» ⁽¹⁾ .	وكن يضحكن. لا مجال للشك الآن. كن يضحكن، لمجرد أنهن يجدن غرابية في رؤية رجل يقرأ الكتب. لماذا كان الوحيد من بين كافة الرجال المعروفين لديهن؟» ⁽²⁾ .

يُوظَّف محمد ديب شخصية حميد سراج بوصفها شخصية روائية تُمثِّل الأنا الجزائرية المثقفة والقارئة والواعية، التي تُحاول إيقاظ ضمير الأنا الجزائرية بالعلم، وتحريك الأنا الجماعية من أجل الثور ضد المستعمر. وفي ترجمة هذا المقطع السردى إلى العربية، لجأت الذات المترجمة (أحمد بن محمد بكلي) إلى توظيف اللهجة الجزائرية المحلية، مُستعملة العبارات الآتية: «كيفاش؟ وين تعلم القرايه؟»، «تعلمها وحدو. إلّا ما أمنتونيش، أرواحوشوفو بعينيكم!»، «شفنا ابعينينا»؛ مازجةً بينها وبين العربية الفصحى. إنَّ لجوء الذات المترجمة الجزائرية إلى اللهجة الجزائرية المحلية مرّدُه الحفاظ على الوقع نفسه المبتوث في حنايا الذات الروائية المكتوبة الأصل، مُحاولَةً تصوير المشهد ذاته الذي أرادت الذات الكاتبة (محمد ديب) تصويره، ولو أنها كتبت روايتها بلغة الآخر (أي الفرنسية). وسلّط هذا المقطع السردى الضوء على إحدى الشخصيات البارزة في الرواية، شخصية حميد سراج، هذا المثقف (صورة الأنا الجزائرية المثقفة) الذي كان يبث رسائل الوعي والفكر في نفوس جيرانه وشعبه، خاصّةً عمر الصغير. بينما اكتفت الذات المترجمة السورية (سامي الدروبي) بنقل هذا المقطع السردى بلغة عربية فصيحة تماشياً ومشروعها التّرجيميّ (راجع الملحق (7)).

المقطع الحادي والعشرون:

Texte Source de Mohammed DIB.	
« - Taisez-vous. Silence, femmes ! [...] - Écoutez. Il a été arrêté. Ma fille Zhor, que voici, a vu les gendarmes lui mettre les chaînes aux mains. Elle pourra vous le dire. [...] Alors Fatima explosa. - Ha haï ! Mon frère. Son cri partit, s'enfla de plus en plus. Ha haï ! Mon frère. Ha haï ! Mon frère. Bouh ! Bouh ! Bouh ! » ⁽³⁾ .	
ترجمة: أحمد بن محمد بكلي.	ترجمة: سامي الدروبي.
« - حابسو، اسكتو يا انسا ! [...] - اسمعوا. ألقى عليه القبض. ابنتي زهور، هذه، شاهدت رجال الدرك وهم يضعون السلاسل في يديه. في وسعها أن تشهد على هذا. [...] عندها انفجرت فاطمة.	« - سكوت، صمت، يا نساء. [...] - اسمعوا. لقد اعتقلوه. بنتي زهور، وهذه هي، رأت رجال الدرك يكبّلون يديه بالسلاسل. وفي وسعها أن تقص عليكم النبأ. [...] وهنا انفجرت فاطمة تصرخ: - آي... أخي. انطلقت صرختها فجأة، وما انفكت تتسع:

⁽¹⁾ محمد ديب، الدار الكبيرة، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص 54-55.

⁽²⁾ محمد ديب، الدار الكبيره، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، المرجع السابق، ص 72-73.

⁽³⁾ Mohammed DIB, *La grande maison*, op. cit., p106-107.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

- آي أخي، ويلي.. أخي.. آي.. آي..» ⁽¹⁾ .	- ها هاي! على خويا. تضخم صراخها أكثر فأكثر. ها هاي! على خويا. ها هاي! على خويا. بوووه! بوووه! بوه!» ⁽²⁾ .

يُصوِّرُ هذا المقطع السردِيّ اللَّحْظَةَ التي أوقفت فيها زينة النِّساء المتعاركات زافَةً إِلَيْهِنَّ خبر اعتقال حميد سراج، وهي مِنَ اللَّحْظَات التي صَوَّرت مشاهد مُعاناة الشعب الجزائريّ، والمرأة الجزائرية على وجه التحديد، مِنَ البطش الذي يُمارسه الآخر الفرنسيّ وظُلمه للأنا الجزائرية، هذا الآخر الفرنسيّ المُستَعْمِر الذي كان يقفُ وراء كلِّ مُواطن جزائريّ يبثُّ الوعيّ في نفوس الجزائريّين.

وَمِنْ منظور الترجمة إلى العربية، لجأت كذلك الذات المُترجمة الجزائرية (أحمد بن محمد بكلي) إلى توظيف عباراتٍ مُستوحاةٍ مِنَ اللَّهْجَةِ الجزائرية، نحو: «حابسو، اسكتويا انسا!»، «ها هاي! على خويا»، «ها هاي! على خويا. ها هاي! على خويا. بوووه! بوووه! بوه!». وهي عبارات مألوفة لدى الجزائريّ، تُصوِّرُ مشهد معاناة النِّساء الجزائريّات وصراخهنّ مِنْ جَرَاء مكروه لحق بهنّ. بينما اكتفى المُترجم السوريّ سامي الدروبي بالانتقال مِنْ نسقٍ رمزيّ (مِنْ نسق اللَّهْجَةِ الجزائرية المحليّة المُتضمّنة في حنايا الذات الروائيّة المكتوبة الأصل) إلى نسقٍ رمزيّ آخر (إلى العربية الفصحى نتاج الترجمة)، لأن الذات الكاتبة كانت قد أوردت في روايتها المكتوبة بالفرنسيّة العبارات الآتية: «Ha haï! Mon frère»، «Ha haï! Mon » فرّ. Ha haï ! Mon frère. Bouh ! Bouh ! Bouh ! فلو حاول الدروبي اقتراض هذه العبارات في ترجمته؛ لكان أقرب إلى المشهد الروائيّ الحقيقيّ، مثلما فعلت الذات المُترجمة الجزائرية (أحمد بن محمد بكلي).

المقطع الثّاني والعشرون (أ):

ولقد سبَّبَ نبأ اندلاع الحرب التي يشنّها زعيم النّازيّة أدولف هتلر ضدّ جيُوش الحلفاء (منهم بريطانيا وفرنسا) صراعاً جديلاً آخرًا، فقد كانت صافرات الإنذار تُدوي مِنْ حينٍ لآخر:

Texte Source de Mohammed DIB.
« Les gens de Dar-Sbitar avaient plusieurs fois de suite entendu cette sirène au cours des semaines précédentes ; on l'essayait régulièrement. On leur avait bien dit que la guerre allait éclater. [...] Celui qui déchaînerait cette guerre, disait-on, était un homme puissant. Son emblème, cette croix aux branches bizarrement cassées qui ressemblait à une roue, recouvrait les murs de la ville, tracé au charbon, à la craie. Il y avait des croix géantes peintes au goudron à côté de l'inscription : Vive Hitler. [...] Les exercices d'alerte étaient entrés dans les mœurs. On disait : - Ah ! la voilà qui crie. [...] Le dialogue des femmes reprit : - C'est signe de guerre.

(1) محمد ديب، الدار الكبيرة، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص 85-86.

(2) محمد ديب، الدار لكبيره، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، المرجع السابق، ص 120-121.

الفصل الرابع: جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية

- C'est sûr !
- Quoi ? Ce qui vient d'arriver à Attyka ? C'est signe de rien.
- C'est selon.
- Allez ! ne racontez pas d'histoires. Elle est comme ça, Attyka ; nous la connaissons depuis longtemps. Pourquoi voulez-vous que ce soit signe de quelque chose ?
- Chut ! Chut !⁽¹⁾.

ترجمة: أحمد بن محمد بكلي.	ترجمة: سامي الدروبي.
«سمع ناس دار السبيطار، عدة مرات متتابة، صفارة الإنذار أثناء الأسابيع السابقة. كان يقام بتجربتها بانتظام. لقد قيل لهم بأن الحرب ستندلع. [...] يقال بأن الرجل الذي سيفجر هذه الحرب، رجل قوي. كان شعاره، ممثلاً في ذلك الصليب ذي الفروع المتكسرة بشكل غريب، الذي يشبه العجلة، يغطي جدران المدينة، وقد خط بالفحم وبالطباشير. وجدت صلبان عملاقة رسمت بالزفت، كتب إلى جانبها: "يحيا هتلر". [...] صارت تمارين الإنذار من جملة الأشياء المألوفة، كان الناس يقولون:	«كان سكان دار سبيطار قد سمعوا صوت صفارة الإنذار عدة مرات متتالية خلال الأسابيع الماضية. كانت صفارة الإنذار هذه تجرب باطراد. وقد قيل لهم أن الحرب ستندلع. [...] كان يقال أن الذي سيظهر هذه الحرب رجل قوي جبار. إن شعاره وهو ذلك الصليب المعقوف الذي يشبه عجلة، يملأ جدران المدينة موسوما بالفحم أو بالطباشير. وكان هناك صلبان رسمت بالقطران وكتب إلى جانبها: يعيش هتلر. [...] كانت تجارب صفارة الإنذار قد دخلت حياة الناس، فمتى أخذت تدوي قيل:
- آه! ها هي اتعيط. [...] عاد حوار النساء من جديد:	- هي ذي تصرخ. [...] واستأنفت النساء حوارهن:
- أمانة الحرب.	- هذه علامة على أن الحرب واقعة.
- بكل تأكيد!	- حتما.
- ماذا؟ تتحدثون عما حدث لعتيقة؟ أمانة والو.	- أية علامة؟ ما وقع لعاتكة؟ إنه ليس علامة على شيء.
- كل واحد كيفاش.	- هذا رأيك أنت.
- يا الله، بركاوي من الخريقات. عتيقة ديما هاكذا، نعرفها من بكري. لماذا تردن أن يكون ما حدث لها الآن رمزا لشيء ما؟	- كفى خرافات. إنها دائما هكذا، عاتكة. نحن نعرفها منذ مدة طويلة. لماذا يكون هذا علامة على شيء؟
- اشت! اشت! ⁽³⁾	- صه.. صه» ⁽²⁾ .

ومن منظورٍ تَرْجَمِيٍّ صِرف، وَسَمَتِ الذات المُتَرْجِمَةُ الجزائريَّة (أحمد بن محمد بكلي) نُسخَها المُنْقُولَةَ إلى العربيَّة بطابعٍ محليٍّ خالص، إذ واصلت توظيفها للهِجَة الجزائريَّة المحليَّة في العبارات الآتية: «"يحيا هتلر"»، «آه! ها هي اتعيط»، «كل واحد كيفاش»، «يا الله، بركاوي من الخريقات. عتيقة ديما هاكذا، نعرفها من بكري»، «اشت! اشت!». فكانت هذه العبارات أقرب إلى مُراد محمد ديب، خاصة في تصوير وضع الأنا القلقة وهي في حيرةٍ من أمرها.

وبخلاف تسجيل خطأ في نقل الدروبي لاسم "Attyka" بـ "عاتكة"، والمقابل الصحيح هو "عتيقة" مثلما وظّفه المُترجمُ الجزائريُّ أحمد بن محمد بكلي، تُعدُّ ترجمة سامي الدروبي ترجمةً سليمةً من النّاحيتين اللّغويّة والأسلوبيّة، غير أن الذات الجزائريَّة القارئة لترجمة أحمد بن محمد بكلي تعيش التجربة ذاتها التي عاشتها شخصيات الرواية، وهذا بسبب توظيفه عباراتٍ مُتداوِلةً في المجتمع الجزائري،

⁽¹⁾ Mohammed DIB, *La grande maison*, op. cit., p177-181.

⁽²⁾ محمد ديب، الدار الكبيرة، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص136-139.

⁽³⁾ محمد ديب، الدار لكبيره، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، المرجع السابق، ص198-203.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

لذلك كان أقرب إلى تجسيد الصراع الجدلي ذاته بين الأنا والآخر المبتوث في ثنايا الذات الروائية المكتوبة الأصل.

المقطع الثاني والعشرون (ب):

وبينما كانت نساء دار السبيطار يتساءلن عما يحدث:

Texte Source de Mohammed DIB.	
« Des voix d'hommes s'élevèrent dans la ruelle, tout près de la maison. Profonde, grave, une semblait appartenir à un homme d'âge. On reconnut alors la voix de Si Salah. - Rentrez dans vos demeures. Tout ce qui arrive là, ne vous concerne pas. Une autre répliqua : - C'est la guerre pourtant. Ça n'est pas rien. - Le moment de vérité est arrivé, répondit quelqu'un. - Oui, c'est la guerre, on ne peut pas le nier »⁽¹⁾.	
ترجمة: أحمد بن محمد بكلي.	ترجمة: سامي الدروبي.
«ارتفعت أصوات رجال في الرقاق، بمقربة من الدار. من جملة الأصوات، صوت عميق جاد، يبدو صوت رجل مسن. تعرف الجميع عندها على صوت سي صالح: - أدخلوا مساكنكم. فكل ما يحدث هنا، لا يهمكم. رد صوت آخر: - هاذي حرب، ما شي لعب. - جاء الوعد الحق، رد آخر. - نعم هي الحرب، لا يمكن نكران هذا»⁽³⁾.	«إن أصوات رجال ترتفع في الشارع الصغير قرب البيت. هذا صوت عميق وقور. إنه صوت رجل متقدم في السن. وأدركت النساء أنه صوت سي صلاح. عودوا إلى بيوتكم. كل هذا الذي يحدث لا شأن لكم به. ويجيئه آخر: - هي الحرب مع ذلك. ليست الحرب بالأمر الهين. ويجيئ ثالث: - جاء يوم الحق. - نعم هي الحرب. لا يمكن إنكار ذلك»⁽²⁾.

وهنا اختلف المترجمان في نقل اسم شخصية "Si Salah"، هذه الشخصية التي تُمثّل صورة الأنا الفردية الواثقة من الأنوات الجماعية التي تتولى زمام الأمور، إذ نقلها الدروبي بـ "سي صالح"، مُعتمداً على الأصل، غير أن المترجم الجزائري أحمد بن محمد بكلي فضّل توظيف "سي صالح"، هذا الاسم ذو الصيت الدائع في أوساط المجتمع الجزائري. وقد لجأت الذات المترجمة الجزائرية (أحمد بن محمد بكلي) مرة أخرى إلى توظيف اللهجة الجزائرية المحلية في ترجمتها عبارة: «هاذي حرب، ما شي لعب»، بغية إضفاء طابع محليّ (جزائريّ) خالص على النسخة المنقولة إلى العربية.

⁽¹⁾ Mohammed DIB, *La grande maison*, op. cit., p181–182.

⁽²⁾ محمد ديب، الدار الكبيرة، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص139.

⁽³⁾ محمد ديب، الدار لكبيره، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، المرجع السابق، ص203–204.

— الفصل الرابع: — جليّة الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

المقطع الثاني والعشرون (ج):

وفي الحوار الذي دار بين السي الصالح وبعض الرجال الواقفين بالقرب من دار السببطار عن أسباب اندلاع هذه الحرب، في صورةٍ تعكس وضع الأنا الجمعيّة القلقة وهي في حيرةٍ من أمرها، عاد السي الصالح ينصّحهم:

Texte Source de Mohammed DIB.	
« Le dialogue reprenait, encore plus accablé. - On ne croit plus de nos jours. On ne croit plus et c'est un malheur ! - Oui, c'est un malheur. - Dieu prépare le châtement de ses créatures. Si Salah, posément murmura : - Maintenant, regagnez vos maisons. Les hommes qui nous gouvernent savent ce qu'ils font. - Dieu fasse que tu dises vrai. Mais nous n'en sommes pas certains. - Mais non ! C'est nous qui récolterons les calamités ; sur nous tout retombera. - Occupons-nous de nos affaires. Nous aurons de l'ouvrage à abattre jusqu'à la fin de nos jours. Qu'on nous laisse en paix ! »⁽¹⁾.	
ترجمة: سامي الدروبي.	ترجمة: أحمد بن محمد بكلي.
« واستؤنف الحوار بمزيد من الإرهاق: - أصبح الناس في أيامنا هذه لا يؤمنون بالله. أصبحوا لا يؤمنون بالله.. هذه كارثة. - هي كارثة حقا. ودمدم سي صلاح في رصانة: - الآن عودوا إلى بيوتكم. أولياء أمورنا يعرفون ما يفعلون. - سمع الله لك. ولكننا على ثقة من ذلك. - لا.. لا.. نحن الذين سنجنّي المصائب والكوارث. علينا نحن ستقع المصائب والكوارث. - علينا بأعمالنا نهتم بها وننصرف إليها. إن لدينا أعمالاً سنظل منهمكين فيها إلى آخر العمر. دعونا من هذا الكلام كله. »⁽²⁾.	« من جديد انطلق الحوار مشحوناً أكثر. - لم نعد نؤمن في هذه الأيام. لم نعد نؤمن، وهذي هي المصيبة! - صح، هي المصيبة. - يحضّر الله لمحاسبة خلانقه. تمتم سي صالح بهدوء: - الآن ادخلوا مساكنكم، فالناس الذين يتولون أموركم، على دراية بما يفعلون. - من فمك ال ربي. لكننا غير متأكدين من هذا. - لا لا! المصائب تقع على رؤوسنا نحن؛ كلش ايطيح علينا. - لننشغل بشؤوننا. أماننا عمل كبير نقوم به إلى نهاية أيامنا. خلونا ترانكيل! »⁽³⁾.

يواصل المترجم الجزائري أحمد بن محمد بكلي توظيفه اللّهجة الجزائرية المحليّة في نقل العبارات الآتية: «من فمك ال ربي»، «لا لا! المصائب تقع على رؤوسنا نحن؛ كلش ايطيح علينا»، «خلونا ترانكيل!». في حين تَرَجَمَ السوري الدروبي العبارات ذاتها بعربيّة فصيحّة، نحو: «سمع الله لك»، «لا.. لا.. نحن

⁽¹⁾ Mohammed DIB, *La grande maison*, op. cit., p182.

⁽²⁾ محمد ديب، الدار الكبيرة، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص140.

⁽³⁾ محمد ديب، الدار لكبيره، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، المرجع السابق، ص204.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

الذين سنجني المصائب والكوارث. علينا نحن ستقع المصائب والكوارث»، «دعونا من هذا الكلام كله».

كما اختلف الناقلان في ترجمة الجملة الآتية:

« Dieu fasse que tu dises vrai. *Mais nous n'en sommes pas certains* ».

ترجمة سامي الدروبي: «سمع الله لك. ولكننا على ثقة من ذلك».

ترجمة أحمد بن محمد بكلي: «من فمك ال ربي. لكننا غير متأكدين من هذا».

في الوقت الذي كان ينصح فيه السي الصالح الرجال المتسائلين عن أسباب اندلاع هذه الحرب، بأن يعودوا إلى منازلهم، وأن يفوضوا أمرهم إلى الرجال الذين يحكمونهم؛ أجابه أحدهم قائلاً: «جعلك الله ممن يقولون الحقيقة. ولكننا لسنا متأكدين من هذا»، في مشهدٍ روائيٍ يصورُ الأنا المُشكِّكة في الوضع. وفي ترجمة هذه الجملة محلّ الشكّ، إلى العربية، لم ينفِ الدروبي الجملة لفظاً ولا معنىً، بل أكدها فعلاً، عكس ما أورد السارد في ذاته المكتوبة الأصل. بينما وُفق المترجم الجزائري أحمد بن محمد بكلي في نقل الجملة التي صوّرت الأنا الجزائرية المترتبة من الوضع.

المقطع الثاني والعشرون (د):

وفي سياق المقطع السردية ذاته:

Texte Source de Mohammed DIB.

« ... Les lumières de la ville ne brillaient pas encore et on avançait dans l'obscurité grandissante. On ne reconnaissait plus les visages mais on marchait côte à côte. Alors les voix se reconnaissaient, se rejoignaient au-dessus des têtes.

- Krimou, es-tu là ?

- Oui, et toi ?

- Oui, moi aussi. Je suis par là.

- Alors, c'est la guerre, ou quoi ?

- Oui, la guerre.

Puis une autre conversation s'engageait.

- C'est la guerre ça, Kader. Fils dénaturé de ta mère, comment vas-tu faire ?

- Hé, je ferai comme tout le monde. On ira au front.

- Tu sais au moins tenir un fusil ? Comment feras-tu quand on te donnera un fusil ?

- Tu viendras me montrer.

Deux Français parlaient à côté d'Omar.

- Ils nous ont eu maintenant, les cochons, avec leur guerre.

- Je disais bien qu'ils ne faisaient que mentir quand ils juraient qu'il n'y aurait pas de guerre. On nous avait bien dit qu'ils s'étaient mis d'accord à Munich...

- Il va falloir se démerder. Leur guerre, on l'a sur le dos maintenant »⁽¹⁾.

⁽¹⁾ Mohammed DIB, *La grande maison*, op. cit., p185.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

ترجمة: أحمد بن محمد بكلي.	ترجمة: سامي الدروبي.
«... غير أن الناس كانوا يسرون جنبا إلى جنب. عندها، صارت الأصوات تتعارف، يلتحق بعضها ببعض، فوق الرؤوس. - كريموارك اهنا؟ - أنعم وانتا؟ - أنعم، أنا ثاني راني في الحوما. - واش، هي الحرب أم ماذا؟ - نعم الحرب. ثم يدور حديث آخر. - هذه حرب يا قادر، ماشي لعب، يا ولد أملك. كيفاش راح اتدير؟ - انديركيما الناس. سنذهب إلى الجبهة. - تعرف على الأقل، كيف تمسك بندقية؟ كيف ستفعل عندما تعطى لك بندقية؟ - اتجي اتوري لي. فرنسيان كانا يتحدثان بجانب عمر. - الخنازير! لقد ورطونا الآن في حربهم. - سبق أن قلت بأنهم لم ينقطعوا عن الكذب، حين كانوا يقسمون بأن الحرب لن تندلع. لقد سبق أن أكدوا لنا بأنهم تفاهموا في ميونيخ... - علينا أن ندبر شؤوننا. فالحرب الآن على عاتقنا.» ⁽²⁾	«... أصبحت الوجوه لا ترى، ولكن الناس يمشي بعضهم حذو بعض. إنهم يتعارفون بأصواتهم ويتواصلون من فوق الهامات: - أنت هناك يا كريمو؟ - نعم، وأنت؟ - أنا أيضا هنا. أهي الحرب أم ماذا؟ - هي الحرب. ثم يقوم حديث آخر. - هي الحرب يا قادر، يا زعيم، فما عساك صانعا؟ - أصنع ما يصنعه سائر الناس. نذهب إلى الجبهة. - وهل تعرف على الأقل كيف تمسك بندقية؟ ما عساك صانعا إذا أعطيت بندقية؟ - تأتي أنت فتعلمني.. وهذان رجلان من الفرنسيين يتكلمان قرب عمر: - إذن لقد غرروا بنا، هؤلاء الخنازير. - قلت دائما إنهم كانوا يكذبون حين يحلفون أن الحرب لن تقوم. لقد قالوا إنهم قد انتهوا إلى اتفاق في ميونيخ. - يجب أن نعرف الآن كيف نتخلص من الورطة. إن الحرب في ظهرنا الآن.» ⁽¹⁾

وهنا كذلك لجأت الذات المترجمة الجزائرية (أحمد بن محمد بكلي) إلى توظيف اللهجة الجزائرية المحلية في غير ما موضع من ترجمتها، مستعملة العبارات الآتية: «كريموارك اهنا؟»، «أنعم وانتا؟»، «أنعم، أنا ثاني راني في الحوما»، «واش، هي الحرب أم ماذا؟»، «هذه حرب يا قادر، ماشي لعب، يا ولد أملك. كيفاش راح اتدير؟»، «انديركيما الناس. سنذهب إلى الجبهة»، «اتجي اتوري لي». وهي عبارات أرادت الذات المترجمة الجزائرية من توظيفها تجسيد جدلية الأنا والآفر التي اتخذها النقاش الذي دار بين كريمو وقادر. بينما نقل المترجم السوري سامي الدروبي العبارات ذاتها بعربية فصيحة. يُستنتج، بناءً على الترجمتين، ما يأتي: ترجمة مُوجَّهة إلى جمهورٍ عربيٍّ ذي نطاقٍ واسع، وترجمة أخرى مُوجَّهة إلى جمهورٍ جزائريٍّ ذي نطاقٍ محدود.

(1) محمد ديب، الدار الكبيرة، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص 142-143.

(2) محمد ديب، الدار الكبير، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، المرجع السابق، ص 208-209.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخري في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

4.2.4 جدلية الأنا والآخري في ترجمة رواية «L'incendie» لمحمد ديب إلى العربية:

المقطع الثالث والعشرون:

وفي مُستهلّ رواية «الحريق»، تُحاولُ شخصيّة كومندار إيقاظ ضمير الصبي عمر وبثّ الوعي في نفسه، كاشفًا له بعض الأسرار. ولم يكن كومندار - آنئذٍ - يكثرُ بفهم الصبي عمر له أم لا، بل كان هدفه تنشئته وتوعيته وأن يحفظ ما يقوله له عن ظهر قلب، حتّى إذا كبر وصار رجلًا في المستقبل تذكّر قوله، وفهم مُرادَه، ثمّ أحسن تسيير حياته بما يخدمُ البلاد:

Texte Source de Mohammed DIB.	
« - Peu importe ! lui avait-il dit un jour. Que tu comprennes ou non, fiston, ce n'est pas ce qui compte pour l'instant. Ouvre tes oreilles, et retiens ceci. Plus tard, quand ta raison sera formée, feras-tu un bon usage de la vie ? ... Plus tard, quand tu seras un homme ? » ⁽¹⁾ .	
ترجمة: أحمد بن محمد بكلي.	ترجمة: سامي الدروبي.
« قال له، في يوم من الأيام، "بني، لا يهم أن تفهم أم لا، ليس هذا هو المهم الآن. "حل وذنيك واحفظ هاذي" في مستقل الأيام، عندما يكتمل تشكّل عقلك، هل ستنتفع بالحياة على الشكل الأنسب؟... لاحقاً، في مستقبل الأيام، عندما تكبر وتكون رجلاً؟» ⁽³⁾ .	«قال له ذات يوم: - لا بأس.. سيان أن تفهم وألا تفهم في هذه اللحظة يا بني. فإنما المهم أن تفتح الآن أذنيك وأن تحفظ ما أقوله لك، حتى إذا اشتد ساعدك ونضج عقلك في المستقبل، أفدت منه وعرفت كيف تنفق حياتك.. نعم، في المستقبل.. حين تصير رجلاً..» ⁽²⁾ .

ويرسمُ هذا المقطع السرديّ مشهد الأنا الجزائريّة الحكيمة والواعية وهي ترعى النَّاشئة وتهتمُّ بها. ومن منظور النّقل إلى العربيّة، حاولت الذات المُترجمة الجزائريّة (أحمد بن محمد بكلي) الاقتراب أكثر فأكثر من المشهد الروائيّ الذي أراد محمد ديب تصويره، وذلك في نقله عبارة ديب الأصلية: «Ouvre tes oreilles, et retiens ceci» بـ: «"حل وذنيك واحفظ هاذي"»، بخلاف المُترجم سامي الدروبي الذي اكتفى بنقل هذه العبارة بعربيّة فصيحّة على الوجه الآتي: «فإنما المهمّ أن تفتح الآن أذنيك وأن تحفظ ما أقوله لك».

المقطع الرابع والعشرون (أ):

وفي هذا المقطع السرديّ المُشار إليه أدناه، تُمثّل شخصيّة بن أيوب Ben Youb، هذا الشيخ الهرم، شخصيّة البطل الصريح والمقدام والشجاع، بدأ يُحرّك الأنا الجماعيّة لجيرانه وإخوانه الفلاحين

⁽¹⁾ Mohammed DIB, *L'incendie*, op. cit., p13.

⁽²⁾ محمد ديب، الحريق، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص13.

⁽³⁾ محمد ديب، الحريق، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، المرجع السابق، ص20.

الفصل الرابع: ————— جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —————

بسبب الظلم الذي ألحقه بهم الآخر الفرنسي الذي استحوذ على أراضيهم. بدأ بن أيوب خطابه بأنهم (هو وجيرانه) مسؤولون — إن تخلوا عن أراضيهم وهجروها ولم يُدافعوا عن حقوقهم — أمام أبنائهم وأحفادهم والأجيال القادمة التي تأتي بعدهم. ليرفع بن أيوب من حدة خطابه مُتوجِّهاً إلى جيرانه:

Texte Source de Mohammed DIB.	
« - Ne sommes-nous pas comme des étrangers dans notre pays ! Par Dieu, mes voisins, je vous dis les choses comme je les pense. On croirait que c'est nous les étrangers, et les étrangers les vrais gens d'ici. Devenus les maîtres de tout, ils veulent devenir du coup nos maîtres aussi. Et, gorgés des richesses de notre sol, ils se font un devoir de nous haïr. Naturellement ils savent cultiver ; pour ça, ils le savent bien ! N'empêche que ces terres sont toutes à nous. Travaillées avec l'araire ou même pas travaillées du tout, elles nous ont été enlevées. Maintenant avec elles, avec notre propre terre, ils nous étouffent. Ne croyez-vous pas qu'on est tous encagés comme dans une prison, pris à la gorge ? On ne peut plus respirer, frères, on ne peut plus ! [...] Ben Youb examina l'un après l'autre ses voisins, qui se taisaient. Ses yeux ne contenaient plus le rire qui s'y allumait tout à l'heure en étincelles pétillantes. - Celui d'entre vous qui peut respirer encore, questionna-t-il, qu'il le dise ici. Qui peut encore respirer ? »⁽¹⁾.	
ترجمة: أحمد بن محمد بكلي.	ترجمة: سامي الدروبي.
« - ألسنا كمثل الأجانب في بلدنا؟ "شرع الله يا جيرياني"، إنني أقول لكم الأشياء كما أراها. تبدو الأمور، وكأننا نحن الأجانب، وبأن الأجانب هم أهل البلد بحق. فبعد أن بسطوا سيادتهم على كل شيء، هاهم عازمون الآن على أن يكونوا سادة علينا أيضاً. وبعد أن أترعوا من ثروات أرضنا، فهم يرون بأن من واجهم أن يمتقنونا. بالطبع، يعرفون كيفية الغرس، "هذي، ما عندنا ما انقولو، يعرفوها امليح!" غير أن هذا لا يمنع كون الأراضي ملكا لنا. نزرعها بالمحراث التقليدي، أو لا نزرعها قط، فقد انتزعت منا. هم الآن يخنقوننا بها، بواسطة أرضنا الخاصة. ألا ترون بأننا محشورين، وكأننا في سجن، يستمسكون برقبتنا؟ لم نعد قادرين على التنفس "يا الخاوا"، لم نعد أبدا! [...] تفحص بن أيوب جيرانه واحدا بعد الآخر، وكانوا سكوتا. لم تعد عيناه تحتويان على البسمة التي كانت تنقد فيها منذ ساعة بشرارات متفجرة. - اللي قادر فيكم يتنفس دورك، ايقولها هنا. اشكون يقدر يتنفس؟ »⁽³⁾.	« - ألسنا كالأجانب في بلادنا؟ والله أني، أيها الجيران، لا أقول إلا ما أفكر فيه وأشعر به. كأننا نحن الأجانب، وكأن الأجانب هم أهل هذه البلاد. إنهم بعد أن ملكوا كل شيء، يريدون أن يملكونا نحن أيضاً دفعة واحدة. وإنهم، وقد أتخموا من ثروات أرضنا، يرون أن من واجهم أن يحملوا لنا البغض والكراهية. صحيح أنهم يعرفون كيف يزرعون. لست أماري في هذا. ولكن ذلك لا ينفي أن هذه الأراضي أراضينا. لقد انتزعت منا سواء أكننا نفلحها بالمحراث أم كنا لا نفلحها البتة. وهم الآن بعد أن استولوا على هذه الأراضي، أرضينا، يخنقوننا خنقا. ألا تعتقدون أننا كمن أدخل إلى سجن وأمسك بخناق؟ أصبحنا لا نستطيع أن نتنفس، أيها الإخوة، لا نستطيع أن نتنفس. [...] ونظر بن أيوب إلى جيرانه واحدا بعد آخر. إنهم صامتون. إن عينيه لا تشتملان الآن على تلك الضحكة التي كانت تلمع فيهما منذ قليل شرارات متوهجة. - الذي لا يزال يستطيع أن يتنفس هنا منكم، فليسمعني صوته. من منكم يستطيع أن يتنفس؟ »⁽²⁾.

لم يختلف الناقِلان كثيراً في ترجمة هذا المقطع السردي إلى العربية، إذ واصلت الذات المُترجمة السورّيّة (سامي الدروبي) توظيف العربية الفصحى في نقلها خطاب بن أيوب المُحرّك للأنا الجماعيّة لجيرانه وإخوانه الفلاحين بسبب الظلم الذي ألحقه بهم الآخر الفرنسي. بينما كانت هذه العبارات: «ألسنا

⁽¹⁾ Mohammed DIB, *L'incendie*, op. cit., p45-46.

⁽²⁾ محمد ديب، الحريق، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص46-47.

⁽³⁾ محمد ديب، الحريق، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، المرجع السابق، ص76-77.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

كمثل الأجانب في بلدنا؟ "شرع الله يا جيراني"، «هذي، ما عندنا ما انقولو، يعرفوها امليح!»، «ألا ترون بأننا محشورين، وكأننا في سجن، يستمسكون برقبتنا؟ لم نعد قادرين على التنفس "يا الخاوا"، لم نعهه أبدا!»، «اللي قادر فيكم يتنفس دورك، ايقولها هنا. اشكون يقدر يتنفس؟»؛ المُستوحاة من اللهجة الجزائرية المحلية، التي اعتمدت عليها الذات المترجمة الجزائرية (أحمد بن محمد بكلي) - في ترجمتها - أشد تجسيداً لتجليات جدلية الأنا والآخر المبتوثة في حنايا الرواية.

المقطع الرابع والعشرون (ب):

وبعد مُرور بضعة أيام، عاد كل من عيسي Aissi، وبوشناق Bochnak، وامحمد M'hamed، ونجار Nedjar؛ لرؤية بن أيوب Ben Youb، يستفسرون عن مقصده ومُرادِه من الحديث الذي وَجَّهَهُ إليهم سابقاً. وبعد تجاذب أطراف الحديث بينهم، علّق امحمد قائلاً:

Texte Source de Mohammed DIB.	
« ... L'homme d'aujourd'hui pense bien plus qu'il ne sait exprimer, commenta M'hamed. L'homme algérien pense beaucoup en ce moment. Eh, que va-t-il sortir de tout cela ! Rien de mal, j'espère. - Du bien, voisin M'hamed ! Rien que du bien, crois-moi, répliqua ben Youb. - L'âme très vaste de notre pays est ébranlée, assura M'hamed. » ⁽¹⁾ .	
ترجمة: سامي الدروبي.	ترجمة: أحمد بن محمد بكلي.
«- إنسان هذه الأيام يفكر أكثر مما يحسن التعبير. الإنسان الجزائري يفكر الآن كثيرا. أرجو ألا يخرج من هذا إلا خير. فأجاب بن أيوب: - لن يخرج منه إلا خير، أيها الجار محمد. لن يخرج منه إلا خيرا. صدقني. فقال محمد مؤكدا: - أخذت الروح العظيمة تهتز في أرضنا» ⁽²⁾ .	«- رجل اليوم، يفكر أكثر من قدرته على التعبير. والرجل الجزائري يفكر كثيرا في هذا الوقت. "واش راح ايجينا منها! ان شاء الله، ما ا يكون غير الخير". - الخير، جاري امحمد! غير الخير، صدقني، رد ابن أيوب. - تزعزعت روح بلدنا الشاسعة، أكد امحمد» ⁽³⁾ .

يواصل المترجم أحمد بن محمد بكلي إضفائه للطابع المحليّ الجزائريّ في عبارات: «"واش راح ايجينا منها! ان شاء الله، ما ا يكون غير الخير"، «الخير، جاري امحمد! غير الخير، صدقني، رد ابن أيوب»؛ مُجسِّداً صورة الأنا الجزائرية المتوجِّسة من الفكرة والوضع برمته. أمّا بخصوص نقل اسم شخصية "M'hamed" فقد نقلها الدروبي بـ "محمد"، في حين أصاب المترجم الجزائري أحمد بن محمد بكلي بترجمتها بـ "امحمد" في غير ما موضع من الرواية.

⁽¹⁾ Mohammed DIB, *L'incendie*, op. cit., p49.

⁽²⁾ محمد ديب، الحريق، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص50.

⁽³⁾ محمد ديب، الحريق، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، المرجع السابق، ص82.

— الفصل الرابع: — جليّة الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

المقطع الخامس والعشرون:

وفي مشهد يرسم صورة الاعتزاز بالوطن وروح الانتماء، يُخاطب با ددوش Ba Dedouche الفلاح الشاب قائلاً:

Texte Source de Mohammed DIB.	
« - Il n'y a pas un seul pays comme le nôtre. Le corps de Ba Dedouche oscillait d'avant en arrière. Le jeune fellah ne répondait rien. - Va n'importe où. Quand tu auras trouvé un pays comme le nôtre, tu me le diras... Je ne pense pas, non, qu'il existe, ce pays... » ⁽¹⁾ .	
ترجمة: أحمد بن محمد بكلي.	ترجمة: سامي الدروبي.
«- "ما تصيبش بلاد واحد كيما بلادنا". كان جسد با ددوش يتدبب من الأمام إلى الورا. لم يرد الفلاح الشاب. - "روح وين ابغيت". حين تجد بلدا واحدا يشبه بلدنا، فخبرني... أنا لا أعتقد بوجود بلد كهذا...» ⁽³⁾ .	«- ليس في الدنيا بلد كبلدنا. قال با ددوش ذلك وجسمه يهتز من أمام إلى وراء. ولم يجب الفلاح الشاب عن كلامه بشيء. - اذهب حيث شئت، فإذا وجدت بلدا كبلدنا قل لي أي بلد هو. لا، لا أظن أنك واجد بلدا كهذا البلد...» ⁽²⁾ .

وبُغية تصوير مشهد الأنا المُفتخرة بانتمائها والمُعترّة بوطنها، تُوظف الذات المُترجمة الجزائرية (أحمد بن محمد بكلي) اللّهُجة الجزائرية المحليّة في العبارات الآتية: «"ما تصيبش بلاد واحد كيما بلادنا"»، «"روح وين ابغيت"». كما اختلفت الذاتان المُترجمتان في نقل شخصيّة "Ba Dedouche"، إذ نقلها سامي الدروبي بـ "با ددوش"، في حين تَرَجَمَ الجزائري أحمد بن محمد بكلي هذه الشخصيّة بـ "با ددوش".

المقطع السادس والعشرون:

Texte Source de Mohammed DIB.	
« - Il y avait trop de luttas, dit le cultivateur, du temps des tribus, trop de bandits dans les collines. - Aujourd'hui, c'est le vrai temps des bandits. Comment toi, messire Kara, ne le sais-tu pas ? Mais, tu ne peux pas le savoir. - Et pourquoi ? - Parce que les colons sont des voleurs, le caïd est un voleur, les gendarmes sont des voleurs, l'administrateur est un voleur et messire Kara... - Et messire Kara ? - Un voleur aussi ! Tous des voleurs et des sans-honte. Le front du gros homme s'assombrit. - Tu parles surtout pour te faire valoir, dit-il. [...] Et les pauvres ?... Que leur nombre est grand ! Mon père, ma mère, mes deux frères et moi, nous ne sommes que des fellahs ! Brusquement <u>ils</u> sont venus et <u>ils</u> ont	

⁽¹⁾ Mohammed DIB, *L'incendie*, op. cit., p49.

⁽²⁾ محمد ديب، الحريق، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص51.

⁽³⁾ محمد ديب، الحريق، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، المرجع السابق، ص83.

الفصل الرابع: ————— جلدية الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجرائية إلى العربية —————

enlevé mon père. Ce n'était peut-être qu'une erreur. Il a toujours été un homme paisible, mon père. Mais tu les connais, tu sais comment ils sont, kaourates, chambettes⁽¹⁾, gendarmes, caïds... Le diable les emporte tous !

- Oh ! fit le gros homme.

- Oh ? Toi, tu vauخ peut-être mieux qu'eux. Et peut-être ne vauخ-tu pas plus cher !

- Eh ! Oh ! Comment oses-tu !

Le cultivateur lui jeta un regard furibond. Dans les champs, pas âme qui vive : il n'ajouta plus un mot.

(¹) *Chambette* : déformation de garde-champêtre ».

ترجمة: أحمد بن محمد بكلي.	ترجمة: سامي الدروبي.
«- في العهد القبلي، وجدت صراعات كثيرة جدا، قال المزارع، وكثير من اللصوص في الجبال.	«وقال المزارع متابعا كلامه:
- واليوم، هوزمن اللصوص بحق. لصوص، ميسير قارا،	- وكان ثمة نزاع كثير في عهد القبائل، وكانت ثمة عصابات من اللصوص في الجبال والروابي.
«كيفاه ما علابالكش؟» لكنك كنت عاجزا عن معرفة هذا.	- زمان العصابات من اللصوص إنما هو هذا الزمان،
- ولماذا؟	مسيو قرة. كيف لا يعرف هذا رجل مثلك يا مسيو قرة؟ ولكن لا،
- لأن المعمرين سراق، والقائد سارق، ورجال الدرك	إنك لا تستطيع أن تعرفه.
سراق، الحاكم سارق، وميسير قارا...	- ولماذا ترى أن زمان عصابات اللصوص هو هذا
- وميسير قارا؟	الزمان؟
- سارق أيضا! الكل سراق، «لا حيا ولا حشمة». اسودت	- لأن المستوطنين الفرنسيين لصوص، ولأن القائد لص،
جهة الرجل السمين.	ولأن رجال الدرك لصوص، ولأن المدير لص، ولأن مسيو قرة..
- تتحدث بالأخص، كي يكون لك في الناس شأن. [...]	- مسيو قرة ماذا؟
والفقراء؟... ما أكبر عددهم! أبي، أمي أخوي وأنا، لسنا سوى	- لص أيضا. جميع هؤلاء لصوص، وليس بهم حياء ولا
فلاحين! فجأة <u>جاؤوا</u> ، و <u>ختطفوا</u> أبي. ربما كانت مجرد غلطة. لقد	خجل. فلما سمع قرة علي هذا الكلام أظلم وجهه، وقال:
كان دوما رجلا مسالما، أبي. لكنك تعرفهم، وتعرف كيف هم:	- أنت لا تتكلم إلا لتبرهن على أن لك شأنًا وقيمة. [...]
«اشنابط»، رجال الدرك، القايد... «الله يلعنهم كيما راهم!»	أما الفقراء؟ أه ما أكثر الفقراء! .. نحن لم نكن، أنا وأبي وأمي
- إيبه! قال الرجل السمين.	وأخوي، إلا فلاحين. وفجأة جاء هؤلاء فأخذوا أبي. لعل ذلك لم
- واش إيه؟ أنت، بالاك تسوا خير منهم، أو بالاك ما	يكن إلا خطأ. لقد كان أبي رجلا مسالما طوال حياته ولكنك
تسواش!	تعرفهم، تعرف هؤلاء الجنود والحرس والدرك والضباط.. لعنهم
- إيه! أووه! كيف تجرؤ!	الله جميعا.
رمقه المزارع بنظر حانق. الحقول خالية، لا وجود فيها	- هو..
لأي كائن بشري: لم يضيف أية كلمة». ⁽³⁾	- هو؟ قد تكون أنت خيرا منهم، أو لا تكون كذلك.
	- ها.. هو.. كيف تجرؤ على قول هذا الكلام؟ قال
	المزارع ذلك، ورمى الفلاح بنظرة حانقة. ولم يكن في الحقول أحد
	البتة، فما زاد على ذلك شيئا». ⁽²⁾

تُمثِّل شخصية السيّد قارا Messire Kara، في هذه الرواية، الشخصية المتواطئة مع الآخر، لدرجة وصفه المناضلين في الجبال باللصوص، وأن عملياتهم ما هي إلا صراعات قَبَلِيَّة جاهليَّة. ثُمَّ أتاه الردّ من سليمان مسكين بأن زمن اللصوص هو هذا الزمن مثلما ورد في المقطع السردِي.

(¹) Mohammed DIB, *L'incendie*, op. cit., p67-68.

(²) محمد ديب، الحريق، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص70-71.

(³) محمد ديب، الحريق، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، المرجع السابق، ص116-117.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

وفي تحليل الممارسة الترجمية العربية المنتهجة من لدن سامي الدروبي وأحمد بن محمد بكلي، تُواصل الذات المترجمة الجزائرية إضفاءها الطابع الجزائري المحلي في نقلها الحوار الدائر بين سليمان مسكين والسيّد قارا. كما حافظت الذات المترجمة الجزائرية (أحمد بن محمد بكلي) في نقلها عبارة: «فجأة جاؤوا، واختطفوا أبي» على الفعلين بخطهما المائل مُجَاراةً للأصل حيث وظّفت فيه الذات الكاتبة (محمد ديب): «Brusquement ils sont venus et ils ont enlevé mon père». ويُوحى الضمير "هم ils" إلى الآخر (الفرنسي).

وفي تحليل هذا المقطع السردّي، ترسمُ شخصيّة السيّد قارا، هذه الشخصيّة الروائية الجدلية، صورة الأنا المتجاهلة للأنا — وهي تعلمُ مصدر آلام الأنا الجزائرية — أو الأنا المنكّرة للوضع الاستعماري والمتواطئة مع الآخر الفرنسي والمتعاطفة معه. وفي سياق المقطع السردّي المذكور، اضطرّ سليمان مسكين لتذكير السيّد قارا بقهر الآخر الفرنسي — برجاله وجيشه — لوالده الذي سُلِبَت منه أرضه، وُزِّجَ به في السجن، لا لشيء إلا لأنه أراد قول كلمة حقّ، فذكّره سليمان مسكين بهم جميعاً:

« Mais tu les connais, tu sais comment ils sont, kaourates, chambettes⁽¹⁾, gendarmes, caïds... Le diable les emporte tous ! »⁽¹⁾.

ترجمة السوريّ سامي الدروبي: «ولكنك تعرفهم، تعرف هؤلاء الجنود والحرس والدرك والضباط... لعنهم الله جميعاً»⁽²⁾.

ترجمة الجزائريّ أحمد بن محمد بكلي: «لكنك تعرفهم، وتعرف كيف هم: "اشنابط"، رجال الدرك، القايد... "الله يلعنهم كيما راهم!"»⁽³⁾.

وفي هذه الجملة التي يتجلّى فيها الآخر الفرنسي بجيشه، لجأ الروائيّ محمد ديب إلى تعمّد تشويه كلمة "chambettes" ثمّ شرحها في الهامش بأنها كلمة فرنسيّة مُشوّهة وأصلها garde-champêtre. ومردّد هذا التشويه هو الاقتراب من اللهجة الجزائرية المحليّة، خاصة شريحة الفلاحين البُسطاء الذين كثيراً ما يُشوّهون مفردات فرنسيّة بعد إخضاعها للهجة الجزائرية المحليّة. ومن زاوية الترجمة إلى العربية، يُسجّلُ توظيف الدروبي مُقابلات عربيّة فصيحة. في حين استوحت الذات المترجمة الجزائرية (أحمد بن

⁽¹⁾ Mohammed DIB, *L'incendie*, op. cit., p68.

⁽²⁾ محمد ديب، الحريق، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص 71.

⁽³⁾ محمد ديب، الحريق، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، المرجع السابق، ص 117.

— الفصل الرابع: — جليّة الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

محمد بكلي) مُقابل "اشنابط" من رحم المجتمع الجزائري العميق.

وفي تسمية "le caïd" المُقترضة من اللهجة الجزائرية إلى اللغة الفرنسية، فضلت الذات المُترجمة الجزائرية نقلها بـ "القايد"، أي قُلبت فيها الهمزة ياءً، مُتخذةً صبغةً محلّيةً (جزائريةً) محضةً. في حين ينقلها سامي الدروبي بـ "قائد"، وهي ترجمة صائبة بالعربية الفصحى غير أنها أُفرغت من رُوحها المُربطة بتاريخ الجزائر والثورة الجزائرية على وجه التحديد. وفي السياق الاستعماري، ارتبطت تسمية "le caïd" ارتباطاً وثيقاً بتاريخ الجزائر، فقد استعملتها الإدارة الفرنسية الاستعمارية على مَنْ يتولى مهام تنفيذية ومسؤوليات إدارية، يستفيد من جرّائها "القايد" من امتيازات عديدة، من أراضٍ وأموالٍ نظير خدمته للإدارة الفرنسية. لذلك نجد دلالة تسمية "قايد" لدى الذات القارئة الجزائرية خاصة، حاملةً لمعنى الخيانة العظمى، تحيلُ إلى العميل الذي خان الثورة (الأنا الخائنة) وعمل لصالح الاستعمار الفرنسي (الآخر المُستعمر). وعليه، أفرغ المُترجم السوري سامي الدروبي هذه التسمية المفتاحية من فحواها التاريخي في غير ما موضع من ترجمته.

أمّا شخصيّة "Messire Kara"، فقد ترجمها سامي الدروبي بـ "مسيو قرة"، ونقلها المُترجم الجزائري أحمد بن محمد بكلي بـ "ميسير قارا". تُشير كلمة "Messire"، في هذا السياق السردية، إلى تسمية فخريّة تُحفظ لأصحاب المقام والمكانة، وتُنسب كذلك إلى بعض المهن التي تتطلب معرفة ودراية كبيرتين، مثل: مُعلّم، طبيب، قاضي... ونحو ذلك. بناءً على هذه المعطيات، وبانتهاج أسلوب المُترجم الجزائري أحمد بن محمد بكلي في النقل، يُقترح توظيف تسمية "السي" المُتداولة في أوساط المجتمع الجزائري.

وفي ترجمة صيغ التأفف وعبارات التأوّه والضجر الذي أصاب السي قارا من جرّاء ثقل كلمات سليمان مسكين ووقعها، وظف المُترجم السوري سامي الدروبي الترجمات الآتية: «هوه.. هوه؟ [...] ها.. هوه...»، وهي مُقابلات عربية سليمة لغوياً. بينما يُترجم الجزائري أحمد بن محمد بكلي تلك الصيغ بـ «إيبيه! ... واش إيه؟ [...] إيه! آووه! ...» كأنه يُصوّر لنا مشهداً جزائرياً خالصاً، بالإضافة إلى لجوئه إلى توظيف عبارات جزائرية محلّية أخرى، تُحاكي المشهد الروائيّ الأصل، في غير ما موضع من ترجمته.

الفصل الرابع: ————— جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —————

المقطع السَّابع والعِشْرُون (أ):

وفي مشهد اجتماع رجال القرية وفلاحها، شرع با ددوش في تقديم حميد سراج للحاضرين:

Texte Source de Mohammed DIB.	
« - Monsieur ici présent... dit encore Ba Dedouche avec solennité, en se tournant vers Hamid Saraj, monsieur ici présent est un bourgeois, savant et versé dans toutes les connaissances, à n'en point douter, un Grand Bourgeois !... - Voyons, Ba Dedouche ! se récria Ali bér Rabah. Tu n'y es pas ! Tu dérailles même, si je puis me permettre d'utiliser cette expression. Hamid est notre frère à tous. - Sans doute, répondit Ba Dedouche. Tout l'honneur est pour nous. Je reconnais qu'il pourrait être mon fils, et je l'appellerais volontiers mon fils, avec tout le respect que je lui dois. Je ne veux pas dire cela pour l'offenser. Croyez bien que c'est un sentiment sincère. [...] Hamid sourit faiblement. »⁽¹⁾	
ترجمة: أحمد بن محمد بكلي.	ترجمة: سامي الدروبي.
« - السيد الحاضر معنا... قال با ددوش مرة أخرى، بكل جدية، ملتفتا إلى حميد سراج، السيد الحاضر معنا من عائلة عريقة، عالم ومطلع على كافة المعارف، لا شك في هذا، من عائلة عريقة جدا... - يا با ددوش! هتف علي بر راج. ما راكش معنا! اسمح لي انقول لك راك اتخرف. حميد خونا كيما رانا. - "هذي ما انشكش فيها"، رد با ددوش. وهو ما يزيدنا شرفا. أعترف بأنه يمكن أن يكون بمثابة ابني، وأدعوه طواعية ابني، بكل احترام وتقدير. [...] ابتسم حميد، باستحياء.»⁽³⁾	«... وتابع بادعدوش يقول في فخامة وهو يلتفت إلى حميد سراج: - إن هذا السيد الحاضر هنا رجل من أهل المدن، لا نشك في أنه عالم ومتبحر في جميع العلوم.. هذا لا نشك فيه، إنه رجل عظيم من سكان المدن.. صاح بن رباح: - ما هذا يا بادعدوش.. أنت مخطئ. لقد انحرفت عن جادة الصواب، إذا جاز لي أن أستعمل هذا التعبير، حميد هو أخونا جميعا. فأجاب بادعدوش؟ - طبعاً. وهذا يشرفنا كثيراً. وأنا أعترف بأن من الممكن أن يكون ابني، بل إنه لطيب لي أن أسميه ابني، مع أجزل الاحترام الذي يجب له علي. [...] ابتسم حميد ابتسامة ضعيفة.»⁽²⁾

يُصوِّرُ هذا المقطع السردِيّ مشاهد الأنواع الجماعية البسيطة (الفلاحين) التي تحترم الأنا المُعلِّمة والمُثقَّفة وتعتزُّ بها (مشهد الأنا المُفتخرة بالأنا والمُعْتَزَّة بها). وفي ترجمة هذا المقطع إلى العربية، اختلفت الذاتان المُترجمَتان في نقل شخصيّة "Ali bér Rabah"، إذ ترجمها الدروبي بـ "بن رباح" مُسقِطاً اسم "علي" Ali، بينما ينقل المُترجمُ الجزائريّ أحمد بن محمد بكلي هذه الشخصيّة بـ "علي بر راج"، استناداً إلى الأصل وتماشياً وطبيعة التسمية المتداولة في المجتمع الجزائريّ. كما واصل المُترجمُ أحمد بن محمد بكلي توظيفه للهجة الجزائرية المحليّة في نقله: «يا با ددوش! هتف علي بر راج. ما راكش معنا! اسمح لي انقول لك راك اتخرف. حميد خونا كيما رانا. "هذي ما انشكش فيها"، رد با ددوش».

⁽¹⁾ Mohammed DIB, *L'incendie*, op. cit., p80.

⁽²⁾ محمد ديب، الحريق، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص 83-84.

⁽³⁾ محمد ديب، الحريق، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، المرجع السابق، ص 137.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

بُغية تجسيد الحوار الدائريين المُجتمعين.

المقطع السَّابع والعِشْرُونَ (ب):

وفي السياق السردِيّ ذاته، شرع حميد سراج في تنظيم الجلسة وطلب تعيين رئيس لها يُعطي الكلمة لمن يرغب في التدخل، ثُمَّ فسّر للفلاحين سبب تعيين رئيس للجلسة وسبب الاجتماع من بين التِّقاطات التَّنظيميَّة. وبعد أن كسر الفلاحون هاجس الخوف والصمت وصاروا يُعزِّزون عن مُعاناتهم بلا خوف، رفع بن سالم عدَّة Bensalem Adda من حدَّة صوته قائلاً: «لماذا لا نتحدثون عن المستوطنين؟»⁽¹⁾، فكان سؤال بن سالم عدَّة في صميم المُتسبِّب في معاناة هؤلاء الفلاحين، لقد أصاب كبد الحقيقة من سؤاله هذا، سبب مُعاناة الأنا ومصدر تعاستها، أكيد يجب التطرُّق إلى الآخر مصدر هذه الآلام كلّها. يُواصلُ قائلاً: «كان من الأجدر أن نتحدث عن أولئك المسؤولين عن آلامنا تحديداً»⁽²⁾. تكلم بن سالم عدَّة بلهجة حادَّة وكان وجهه يعكسُ وَضْعَ البؤس الذي يُعاني منه الجزائري المُجرَّد من أملاكه وأرضه. لقد حرَّك سؤال بن سالم عدَّة الأنا الجمعيّ للفلاحين (أو النّحن). وفي خضم ما تركه سؤال بن سالم عدَّة من تداعيات، ذُهلَ الجميع، وهنا استُرجعت الثقة لحميد سراج الذي كان ينوي الردَّ على بن سالم عدَّة، بيد أن سيد اعلي سبقه إلى الردّ:

Texte Source de Mohammed DIB.	
« ... Le premier, Saraj voulut répondre à Bensalem Adda. Mais déjà Sid Ali avait pris la parole. - Nulle part au monde, à coup sûr, hommes n'ont été entourés d'une aussi grande sympathie que les Français, chez nous. Et comment ont-ils répondu à cette amitié, qui était vraie et sincère, je l'affirme par le sol qui nous unit, comment ? [...] Ils ont fait les dieux, et ils auraient voulu que nous les adorions. Bénis soient tes aïeux, Bensalem ; tu m'as donné l'occasion de dire ce que j'avais sur le cœur. »⁽³⁾.	
ترجمة: سامي الدروبي.	ترجمة: أحمد بن محمد بكلي.
«... وأراد سراج أن يجيب بن سالم عاده أول المجيبين، ولكن سيد علي كان قد شرع في الكلام: يقيني أنه ما من بلد من بلاد الدنيا أحيط فيه أناس بالمودّة والعاطفة مثلما أحيط بهما الفرنسيون في بلادنا. فكيف رد الفرنسيون على هذه الصداقة التي كانت - وأقسم على ذلك بهذه الأرض التي تضمنا الآن - صادقة مخلصّة؟ كيف رد الفرنسيون على هذه الصداقة؟ [...] لقد نصبوا أنفسهم آلهة وأربابا وأرادوا أن نتجه إليهم بالعبادة. رحم الله	«... كان سراج ينوي أن يكون أول من يرد على بن سالم عده، لكن سيد اعلي سبقه إلى أخذ الكلمة. - من المؤكد أنه لا يوجد مكان في العالم، حيث يجد الفرنسيون أنفسهم محاطين بمثل هذا الود، كما هو الحال عندنا. فكيف كان ردهم على تلك الصداقة التي كانت حقيقية ومخلصّة، أؤكد على هذا، بحق الأرض التي تشدنا إلى بعضنا، كيف؟ [...]»

⁽¹⁾ Mohammed DIB, *L'incendie*, op. cit., p88.

⁽²⁾ Voir : *Ibid.*, p89.

⁽³⁾ *Ibid.*, p89.

الفصل الرابع: ————— جليلية الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —————

أجدادك يا بن سالم، فقد أتحت لي فرصة الإفصاح عما بنفسي» ⁽¹⁾ .	«أثربوا»، فأرادوا أن نكون عبادا لهم. الله يرحم اللي جابوك، يا بن سالم؛ لقد منحت لي فرصة إفراغ ما كان في قلبي» ⁽²⁾ .

وفي ترجمة هذا المقطع إلى العربية، يُلاحظُ بأن توظيف المترجم الجزائري أحمد بن محمد بكلي عبارات: «أثربوا» (خاصة بتشكيله الكلمة ووسم حروفها بالحركات)، «الله يرحم اللي جابوك، يا بن سالم»؛ كان أشدَّ وقفاً من ترجمة السوري سامي الدروبي لهذه العبارات بـ: «لقد نصبوا أنفسهم آلهة وأربابا»، «رحم الله أجدادك يا بن سالم». كما اختلفت الذاتان المترجمتان في نقل شخصية "Bensalem Adda"، إذ نقلها الدروبي بـ "بن سالم عاده" في حين أصاب المترجم أحمد بن محمد بكلي في نقلها بـ "بن سالم عده". وترجم الدروبي شخصية "Sid Ali" بـ "سيد علي" في حين أرادت الذات المترجمة الجزائرية (أحمد بن محمد بكلي) إضفاء طابع محلي على التسمية بنقلها بـ "سيد اعلي".

المقطع الثامن والعشرون:

Texte Source de Mohammed DIB.	
« Mama pleura avec les femmes. - Laisse, mon cœur est plein à déborder, dit-elle à la vieille Toma qui essayait de la calmer. J'ai besoin de pleurer. - Tu es jeune, ma petite ; tu n'as perdu personne, toi. Chasse le Malin de ta pensée. - Je pleure sur moi et sur ma vie. Les femmes de la maison geignaient tout bas, exhalant des plaintes de bêtes blessées. Elles avaient des voix rauques et le visage lacéré à coups d'ongles. Des pleureuses étaient venues dans l'après-midi. - Qu'une meule te broie, proféraient-elles avec un accent monotone, maudit sois-tu entre tous, toi qui fais pleurer les femmes et leurs enfants, qui tues les maris. Que tu pleures toi aussi des larmes de sang. Que tes yeux fondent à force de pleurer. Que le malheur retombe sur toi seul, et que la pointe du feu traverse ta chair, et que tu ne trouves aucune main fraternelle pour te secourir. Sur toi tombe toute la haine des hommes. Plusieurs d'entre elles ponctuèrent leurs imprécations par de grands cris : Ha haï ! Ha haï ! en redoublant les coups sur leur poitrine. Safia, la mère des deux garçons, lança alors la stridente lamentation de la mort. Elle se frappa trois fois les cuisses. - Maudit ! maudit soit-il ! Elle continua de crier : - Quelle torture, mon cœur est en cendres. »⁽³⁾.	
ترجمة: سامي الدروبي.	ترجمة: أحمد بن محمد بكلي.
«بكت زوجته مع الباقيات من النساء. وقالت للعجوز طعمة التي حاولت أن تهدئها: - دعيني، لقد طفح قلبي. إنني في حاجة إلى البكاء. - أنت صبية يا بني، وما فقدت أحدا، ففيم البكاء؟ أطردني أبلّيس من نفسك.	«بكت ماما، مع النساء. - "خليني". قالت للعجوز "طوما" التي حاولت أن تهدئ من روعها، "قلبي امعمر، باغيه نكي". - أنت صغيرة يا ابني، لم تفقد أحدا، أطردني عنك الشيطان.

(1) محمد ديب، الحريق، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص 93-94.

(2) محمد ديب، الحريق، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، المرجع السابق، ص 152.

(3) Mohammed DIB, *L'incendie*, op. cit., p104-105.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

- نبكي على روحي وعلى حياتي. كانت نسوة الدار، ينشجن بصوت خافت، يصعدن ألما كأوجاع الحيوانات المجروحة. كانت أصواتهن صدئة، وفي وجوههن أخاديد رسمتها أظافرهن. وجاءت "النواحات" بعد الظهر. كن يرددن الشتائم واللعنات بأصوات رتيبة: - "تُزجيك الزُخا، يا ملعون، انتا اللي تبكي النساء وأولادها، انتا اللي تقتل الرجال. تبكي انشا الله، بدموع الدم، ويذوبو عينيك. ايطيح لئلا عليك وحدك، يعطيك كيه تكوي لحملك، وما تلقى مَن يسلكك، هم الناس ايطيح على راسك." كثير منهم يفصلن لعناتهن بصيحات كبيرة: ها حاي! ها حااي! ويضاعفن الضربات على صدرهن. أرسلت صفية، أم الطفلين، صيحات عويل حادة. ضربت فخذها ثلاث مرات. - الله يلعنوا! الملعون! ثم تواصل صيحاتها: - يا خي مصيبه! قلبي راه كيجمر»⁽²⁾.	- إنما أبكي على نفسي، وعلى حياتي. كانت النساء تتأوه بصوت خافت، وتئن أنين المهائم الجريحة. لقد بحت أصواتهن وتقرصت وجوههن من خدش الأظافر. وجاءهن بعد الظهر عدد من الباكيات أخذن يرددن بنبرة رتيبة متكررة: - فلتطحن وحدك إن شاء الله يا من تبكي النساء وأطفالهن وتقتل الأزواج يلعنك الله. ولتبك عينك دموعا. ولتذب عينك من فرط البكاء. ولا ينزل الشقاء إلا عليك وحدك، وليحرق لحملك، فلا تجد أحدا يمد يده إليك لينجذك. ولينصب عليك كره البشر كلهم فلا يبقى لك صاحب. وكان بعضهم يطلق اللعنات مصحوبة بعويل وصراخ: أي.. أي.. ويضاعف لطم الصدور بالأيدي. وصرخت صفية، أم الشابين، نادية ناعية، لاطمة فخذها: - الله يلعنه. الله يلعنه. واستمرت تصيح: - ما هذا العذاب. لقد احترق قلبي، وأصبح من رماد...»⁽¹⁾.

يُصور هذا المقطع السردى لحظة تلقّي جيلالي بن أيوب Djilali ben Youb أمر الالتحاق بالثكنة، وهنا بثّ محمد ديب، في صُور شخصيات روايته، مشاهد الحُزن وصيحات نسوة القرية، فهذه تندب، وأخرى تنوح، وأخرى تضرب فخذها، وأخرى تصرخ وتضرب صدرها، وأخرى تلعن، وأخرى تخذش وجنتها بأظافرها⁽³⁾. وهذا كله تصوير لمشاهد الأنا الجمعي ومقاسمة الجيران آلام بعضهم البعض. وكان المُتسبّب في هذه الفاجعة، السي قارا، ومَن غيره؟! لقد خان قارا جيرانه وتواصل مع السلطات الفرنسية — بإفشاء أسرارهم — حتّى ينقص تعداد بن أيوب وامحمد، فقد كان قارا يحقد على بن أيوب ويضمّر له عداوة كبيرة⁽⁴⁾، ما يُبرز صورة الأنا الخائنة التي تكيد الكيد لأختها الأنا.

ومن زاوية النّقل إلى العربيّة، تَرجم سامي الدروبي شخصيّة العجوز "Toma" بـ "طعمة"، في حين تَرجمها أحمد بن محمد بكلي بـ "طوما". كما واصل الجزائريّ أحمد بن محمد بكلي توظيف اللّهجة الجزائرية المحليّة في نقله العبارات الآتية: «"خليني" ... "قلبي امعمر، باغيه نبكي"»، «نبكي على روحي وعلى حياتي»: لا سيّما في توظيفه كلمة "النواحات" مُقابلاً لـ Des pleureuses. ثمّ نقل اللّعنات والصيحات

(1) محمد ديب، الحريق، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص 109-110.

(2) محمد ديب، الحريق، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، المرجع السابق، ص 177-178.

(3) Mohammed DIB, *L'incendie*, op. cit., p102-106.

(4) *Ibid.*, p103-104.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

على النَّحْوِ الآتِي: «تَرْجِيكَ الرَّحَا، يَا مَلْعُون، أَنْتَا الَّتِي تَبْكِي النِّسَاءَ وَأَوْلَادَهُنَّ، أَنْتَا الَّتِي تَقْتُلُ الرِّجَالَ. تَبْكِي أَنْشَاءَ اللَّهِ، بِدُمُوعِ الدَّمِ، وَيَذُوبُ عَيْنِيكَ. أَيَطِيحُ لِبَلَاً عَلَيْكَ وَحَدَكْ، يُعْطِيكَ كَيْهَ تَكْوِي لِحْمِكَ، وَمَا تَلْقَى مَنْ يَسْلُكُكَ، هَمَّ النَّاسِ أَيَطِيحُ عَلَى رَأْسِكَ»، «كثير منهن يفصلن لعناتهن بصيحات كبيرة: ها حاي! ها حاي! ويضاعفن الضربات على صدرهن»، «الله يلعنوا! الملعون! ثم تواصل صيحاتها: يا خي مصيبه! قلبي راه كيجمر». لقد كانت هذه العبارات أشدَّ وَقَعًا مِنْ نظيرتها التي اهتمت إليها الذات المترجمة السوربية (سامي الدروبي)، مما جسّد مشاهد مُعَانَاة الأنا النِّسَوِيَّة الجزائرية وآلامها.

5.2.4 جدلية الأنا والآخر في ترجمة رواية «Le métier à tisser» لمحمد ديب إلى العربية:

المقطع التاسع والعشرون:

Texte Source de Mohammed DIB.	
« ... Une subite prolifération de manufactures et d'ateliers se déclarait, pendant que sans arrêt, des tapis, des couvertures partaient pour la France. Les Allemands recevaient en fin de compte tous ces tissages. Ils achetaient au poids et ne se souciaient guère de la qualité. On racontait qu'aussitôt arrivée chez eux, indifféremment, chaque pièce était déchirée, triturée et retransformée en matière brute. » ⁽¹⁾	
ترجمة: سامي الدروبي.	ترجمة: أحمد بن محمد بكلي.
«... وتكاثر المناسج والمعامل تكاثرا مبالغيا، بينما كانت تسافر إلى فرنسا بغير توقف سجاجيد وأغطية. كان الألمان يأخذون في نهاية الأمر جميع هذه الأنسجة، يشترونها بالوزن ولا يعنهم النوع. وروى بعضهم أن كل قطعة من هذه القطع كانت متى وصلت إليهم تمزق وتسحق وتحول إلى مادة خام» ⁽²⁾ .	«... عرفت المدينة تكاثرا فجائيا للورشات والمصانع، بينما كانت المفروشات والأغطية تنطلق دون انقطاع نحو فرنسا. في نهاية المطاف، كان الألمان يستقبلون كافة تلك الأنسجة. كانوا يشترونها بحسب وزنها، ولا يعيرون أي اهتمام للنوعية. يقال بأنه فور وصول المنتجات إلى "هناك"، كانت كل قطعة فيها دون تمييز، تقطع وتطحن وتحول إلى مادة خام» ⁽³⁾ .

يُصَوِّرُ محمد ديب في هذا المقطع السرديّ مشاهد استنزاف الآخر الفرنسي لثروات الشعب الجزائري وخيراته. وفي ترجمة هذا المقطع إلى العربية، وضعت الذات المترجمة الجزائرية (أحمد بن محمد بكلي) كلمة "هناك" بين شولتين مُزدوجتين (علامتي تنصيص) في نقلها جملة: «يقال بأنه فور وصول المنتجات إلى "هناك"، كانت كل قطعة فيها دون تمييز، تقطع وتطحن وتحول إلى مادة خام»، قاصدةً مِنْ ورائها مكاناً "آخرًا"، أي وجهة الثروات الجزائرية المُستنزَفة. بناءً على هذا الإجراء، جسّدت الترجمة العربية الصورة التي اتّخذها الآخر في هذا المقطع السرديّ.

⁽¹⁾ Mohammed DIB, *Le métier à tisser*, op. cit., p16.

⁽²⁾ محمد ديب، النول، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص14.

⁽³⁾ محمد ديب، المنسج، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، المرجع السابق، ص22.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

المقطع الثلاثون:

تُصوّر رواية «Le métier à tisser» الحالة المزرية التي آل إليها الشعب الجزائري من فقر وتشرد في الشوارع والأزقة، فقد كان الشعب في حالة يُرثى لها:

Texte Source de Mohammed DIB.	
« Sans relâche, l'armée grouillante des meurt-de-faim affluait à travers rues et venelles. Elle soulevait le sol, aurait-on pensé, pour déboucher de profondeurs inconnues. Honteuse cohue qui s'épouillait en plein air, étalait ses membres épuisés, ses escarres purulentes, ses yeux trachomateux. Une cendre froide saupoudrait ces êtres sans identité. » ⁽¹⁾ .	
ترجمة: سامي الدروبي.	ترجمة: أحمد بن محمد بكلي.
« لا يزال الجيش اللجب المتحرك من الجياح يزدهم في الشوارع والأزقة بغير انقطاع. وكأنه يشق الأرض ويخرج من أعماق مجهولة. غمار من الناس مخجل، يتفلى في الهواء الطلق، عارضا أعضاء منهوكة، وقروح القائحة، وأعينه المحتقنة بالتراخوما. إن رمادا باردا قد نثر على هذه المخلوقات التي لا هوية لها.» ⁽²⁾ .	«كان جيش "الميتين بالشر" يتدفق دون انقطاع على الأنهج والأزقة. كأنما رفعت بوابة في الأرض ليخرج منها، مثل النمل، من أعماق مجهولة. غوغاء "امهدله"، تتبادل التقاط القمل على الهواء الطلق، تنشر أعضائها المنهكة، قروحها المتقيحة، وعيونها التي عفنتها التراخوما. كائنات لا تحمل هوية معينة، كأنها رشت بالرماد البارد.» ⁽³⁾ .

يُسجّل في نقل هذا المقطع إلى العربية لجوء الذات المترجمة الجزائرية (أحمد بن محمد بكلي) للهجة الجزائرية في نقل عبارات: «الميتين بالشر»، «امهدله». واضعاً إيّاها بين شولتين مزدوجتين (علامتي تنصيص)، وهذا بغرض تجسيد الوضع الذي آلت إليه الأنا الجزائرية بسبب الوضع الاستعماري وتداعياته. إنّ انتهاج هذه الاستراتيجية في النقل من شأنه استمالة الذات القارئة ومن ثمّ فهم الفحوى بالوقع ذاته الذي أرادت الذات الكاتبة بثّه في الذات الروائية المكتوبة الأصل.

⁽¹⁾ Mohammed DIB, *Le métier à tisser*, op. cit., p17.

⁽²⁾ محمد ديب، النول، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص15.

⁽³⁾ محمد ديب، المنسج، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، المرجع السابق، ص23.

الفصل الرابع: — جليّة الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

المقطع الحادي والثلاثون:

وحينما سأل غوتي أمين Ghouti Lamine عمر قائلاً:

Texte Source de Mohammed DIB.	
« - Que faisais-tu avant de venir ici ? - J'allais à l'école. - Ah ! tu sais lire et écrire... - Oui. - Et tu sais lire et écrire en arabe ? - Non, dit Omar. - Comment ? Tu ne connais pas ta langue, petit père ! Ghouti Lamine le devisagea d'un air d'incompréhension et se tut. Cette fois, rien ne semblait pouvoir le tirer de son mutisme. Le gamin s'en retourna à son travail, déconcerté par les dernières paroles du vieux. Devant son dévidoir, il se ressouvint de l'école, de ses études. « Quel besoin avais-je de tout ça ? » se dit-il. »⁽¹⁾.	
ترجمة: أحمد بن محمد بكلي.	ترجمة: سامي الدروبي.
«- ما الذي كنت تفعله قبل المجيء إلى هنا؟ - كنت أذهب إلى المدرسة. - آه! تعرف القراءة والكتابة... - نعم. - هل تعرف القراءة والكتابة بالعربية؟ - لا. قال عمر. - كيفاش؟ ما تعرفش لغتك يا أبي! تأمله غوتي أمين بنظرة توجي بعدم الفهم. وسكت. لا شيء، كان يبدو، هذه المرة، قادراً على إخراجه من الصمت الذي لاذ به. عاد الولد إلى عمله، حائراً من الكلمات الأخيرة التي تلفظ بها الشيخ. أمام بكرة الإفرغ، عادت إليه ذكريات المدرسة ودراسته فقال في نفسه: "وهل كنت في حاجة إلى كل هذا؟"»⁽³⁾.	«- ماذا كنت تعمل قبل أن تأتي إلى هنا؟ - كنت أذهب إلى المدرسة. - ها.. أنت تعرف القراءة والكتابة؟ - نعم. - وتعرف القراءة والكتابة بالعربية؟ - لا. - كيف لا؟ أتجهل لغتك يا بني؟ ونظرقوطي الأمين إلى الصبي متفرساً مدهوشاً، وصمت. لا شيء يمكن أن يخرج في هذه المرة عن صمته. وعاد الصبي إلى عمله، وقد أقلقته تلك الكلمات الأخيرة التي قالها له الرجل العجوز. وأمام مكبه تذكر المدرسة وتذكر دروسه فقال لنفسه: «ما كانت حاجتي إلى هذا كله؟»»⁽²⁾.

اختلفت الذاتان المترجمتان في نقل شخصية "Ghouti Lamine"، إذ ترجمها سامي الدروبي بـ "قوتي الأمين"، ولكن المقابل الأصح هو: "غوتي أمين" الذي وظّفته الذات المترجمة الجزائرية (أحمد بن محمد بكلي). كما واصلت الذات المترجمة الجزائرية توظيفها للهجة الجزائرية المحلية في نقلها عبارة: «كيفاش؟ ما تعرفش لغتك يا أبي!»، مُواجهةً للعبارة الأصلية: «Comment ? Tu ne connais pas ta langue, petit père !» التي وظّفها محمد ديب في الأصل. ولقد ترجم السوري سامي الدروبي تلك العبارة بـ: «كيف لا؟ أتجهل لغتك يا بني؟». إنّ ترجمة الجزائري أحمد بن محمد بكلي لـ: «petit père

⁽¹⁾ Mohammed DIB, *Le métier à tisser*, op. cit., p57.

⁽²⁾ محمد ديب، النول، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص47.

⁽³⁾ محمد ديب، المنسج، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، المرجع السابق، ص74.

— الفصل الرابع: — جليّة الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

« يا آبي! » كانت أقرب إلى الأصل، مُجسّدة صورة الأنا المُستَغربة مِن أختها الأنا المُتعلّمة التي تجهل لغتها الأمّ ولا تُثَقِّن القراءة والكتابة بها.

المقطع الثاني والثلاثون:

حينما قرّر عكاشة المغادرة، وقد سبق قرار مغادرته إرهابات السكوت والانطواء على نفسه، سأله ذات مرة عمر قائلاً:

Texte Source de Mohammed DIB.	
« - Tu partiras... Et alors ? Mais Ocacha lui répondit : - Il faut accorder aux hommes le respect qui leur est dû. Pourquoi le monde est devenu ce qu'il est : quelque chose sur quoi on n'a pas envie de jeter un regard ? C'est faute de respect. Les hommes qui respectent leurs semblables, il n'y en a plus sur ce sol. Les Européens, par exemple, avec quels yeux vous regardent-ils ? Mahi Bouanane, comment lui apparaissent les autres hommes ? Il est lui, pour les Européens, l'Arabe, l'individu sans idéal, vautré dans la crasse et le laisser-aller, et qui ne changera pas, quelque effort qu'il fasse pour se décrotter, etc. Et nous, pour lui, des affamés sans idéal, plus proches de la bête que de l'être humain, des fainéants qui prétendent vivre sans travailler, etc. - Tu en veux à tout le monde. - À tout le monde ? Ocacha réfléchit. - Possible, dit-il. - C'est ça qui fait mal au cœur. Ocacha serra le poing et le montra à un témoin invisible. »⁽¹⁾	
ترجمة: سامي الدروبي.	ترجمة: أحمد بن محمد بكلي.
« - ستسافر... وبعد؟ ولكن عكاشة أجابه: - يجب أن يولي البشر ما يستحقون من احترام. لماذا صار العالم إلى ما صار إليه، لماذا صار العالم شيئاً لا يشتهي المرء أن يلقي عليه نظرة؟ لفقدان الاحترام. إن الذين يحترمون إخوتهم بني الإنسان، لا وجود لهم اليوم على هذه الأرض. كيف ينظر إلينا الأوروبيون مثلاً؟ وكيف ينظر ماحي بوغانان إلى غيره من الناس؟ الأوروبيون ينظرون إليه على أنه «العربي» أي الإنسان الذي ليس له مثل أعلى. الإنسان المتمرغ في الجهل والإهمال والاستسلام، الإنسان الذي لن يتبدل مهما يبذل من جهود من أجل أن ينظف نفسه من الوحل، الخ... وماحي بوغانان ينظر إلينا على أننا جيايع ليس لنا مثل أعلى، على أننا أقرب إلى الهيمة منا إلى الإنسان، على أننا أناس كسالى نريد أن نعيش من دون أن نعمل، الخ.. - أنت تكره جميع الناس. - جميع الناس؟ وفكر عكاشة لحظة ثم أضاف:	« - ستغادر... أو مَنْ بعد؟ غير أن عكاشة ردّ عليه: - ينبغي أن نولي للرجال ما يستحقونه من احترام. ما الذي جعل العالم في الصورة التي هو عليها: شيء لا نرغب حتى في إلقاء نظرة عليه؟ السبب هو انعدام الاحترام. لم يعد الناس الذين يحترمون نظراءهم موجودين على هذه الأرض. بأيّة عيون ينظر الأوروبيون إليكم، مثلاً؟ كيف يبدو الرجال الآخرون في نظر ماحي بوغانان؟ فهو بالنسبة للأوروبيين عربيّ، أي شخص لا مُثُل له في الحياة، يظل مسترخياً في الوسخ والتهاون، لن يتغير مهما بذل من جهد في تنظيف نفسه، إلخ. ونحن بالنسبة إليه، نمثل جيّاعاً لا مُثُل لهم، أقرب إلى الحيوان ممّا إلى الكائن البشري، كسالى ندّعي العيش دون عمل، إلخ. - أنت تلوم جميع الناس؟ - كيف جميع الناس؟ فكر عكاشه، وقال: - ممكن.

⁽¹⁾ Mohammed DIB, *Le métier à tisser*, op. cit., p124-125.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

- ربما...	- هذا هو ما يحز في القلب» ⁽²⁾ .
- ذلك بعينه هو ما يحز في النفس. شد عكاشة قبضة يده، ولوح بها لشاهد خفي لا يرى» ⁽¹⁾ .	

وفي ترجمة هذا المقطع إلى العربية، وضع المترجم السوري سامي الدروبي كلمة «العربي» بين شولتين مزدوجتين (علامتي التنصيص) ليركّز في تأويله - الترجمي - على نظرة احتقار الآخرين «الأوروبيين» إلى ماحي بوحنان الذي يُمثّل صورة العربي (الجزائري). فالعربي عند الآخر (الفرنسي) ليس سوى جاهل ليست له أي مكانة يحظى بها. كما واصلت الذات المترجمة الجزائرية (أحمد بن محمد بكلي) إضفاءها للطابع الجزائري المحلي في نقل عبارة: «ستغادر... أو من بعد؟»، بغية تمثيل الموقف ذاته المبتوث في ثنانيا الأصل.

المقطع الثالث والثلاثون:

وبعد خروج عمرو وعكاشة من دكان الشواء يتجولان في شوارع المدينة، قال عكاشة لعمر:

Texte Source de Mohammed DIB.	
« - Omar, et si c'est de notre faute que nos frères sont malheureux ? [...] Il avait dit ces mots avec une intonation presque humble. - C'est à toi que je parle, petit père ! [...] Ocacha se tournait vers Omar et souriait également. - C'est comme si ce pays n'avait rien à attendre de ses hommes. Le tisserand fouilla dans une de ses poches, puis dans une autre, et à la fin, avec une amertume qui contredisait le ton gai de ses paroles, il demanda : - Tu n'as pas une cigarette à me passer, quelque chose à fumer, n'importe quoi, même si c'est du poison ! »⁽³⁾.	
ترجمة: سامي الدروبي.	ترجمة: أحمد بن محمد بكلي.
«- عمر، ما قولك في أننا مستولان عن هذه الحياة البائسة التي يعيشها إخواننا؟ [...] قال عكاشة هذه الكلمات بنبرة توشك أن تكون نبرة مذلة وأضاف: - لك أنت أقول هذا الكلام !! [...] التففت عكاشة إلى عمرو ابتسم مثله. ثم قال: - كأن هذه البلاد لا تتوقع من رجالها شيئا.	«- عمر، لعلنا نحن السبب في حالة البؤس التي يعيشها إخواننا؟ [...] تلفظ بهذه الكلمات، بنبرة تكاد تكون متواضعة. - راني انتكلم امعاك يا ابني! [...] استدار عكاشه نحو عمر مبتسما كذلك. - كأن هذا البلد ليس له ما ينتظره من رجاله. بحث النسيج في أحد جيوبه، ثم في جيب آخر، وبمرارة تناقصت النبرة الباسمة العالقة بكلامه، سأل عمر:

(1) محمد ديب، النول، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص 101.

(2) محمد ديب، المنسج، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، المرجع السابق، ص 162.

(3) Mohammed DIB, *Le métier à tisser*, op. cit., p137-138.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

- أليست لديك سيجارة تقدمها لي، شيء ما للتدخين، أي شيء، "حتى الريح"؟⁽²⁾.	ودس الحائك يده في إحدى جيوبه ينبشها، ثم دسها في جيب أخرى، ثم سأل صاحبه بمرارة لا تتفق ولهجة المرح التي كانت تشيع في كلماته. - أليس معك سيجارة تعطينيها، أليس معك أي شيء أدخنه، أي شيء ولو كان سما؟⁽¹⁾.

ويعكسُ هذا المقطع السردِيّ — بأسئلته الجدليّة — صراع الأنا مِنْ أجل إيجاد سبيل للتخلُّص مِنْ بطش الآخر، لقد كان عكاشة يُحمِلُ نفسه جزءاً مِنْ المسؤولية في حالة البؤس التي يعيشها النَّاس. وَمِنْ منظورٍ تَرْجِييٍّ، أضفت الذات المُترجمة الجزائرية (أحمد بن محمد بكلي) على نقل تلك الأسئلة الجدليّة التي اتَّخذتها صُور الأنا والآخر طابعاً محليّاً جزائريّاً خالصاً، لا سيّما في نقل عبارات: «راني انتكلم امعاك يا ابّي!»، «"حتى الريح"!».»

(1) محمد ديب، النول، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص112.

(2) محمد ديب، المنسج، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، المرجع السابق، ص178-179.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

6.2.4 جدلية الأنا والآخر في ترجمة رواية «La dernière impression» لمالك حدّاد إلى العربية:

المقطع الرابع والثلاثون:

حينما كان سعيد يُمعِنُ النَّظَرَ في الجسر الذي شَيَّده، كانت لوسيا تُتابعُ نظراته بعناية فائقة، ثُمَّ سألته بصوتٍ طفولي:

Texte Source de Malek HADDAD.	ترجمة: السعيد بوطاجين.
« Au-dessus du cosy, dans un sous-verre très simplement bordé de papier marron, on pouvait voir un pont et, accoudé à son entrée, Saïd. C'était le pont de Saïd. Ce pont qui justement... Lucia suivit le regard de Saïd ou crut le suivre. Elle demanda avec une voix de gosse : - Il tient toujours ? Saïd à cette question serra si fortement ses mâchoires que ses dents en crièrent. Et c'est presque durement qu'il répondit : - Et pourquoi pas ! Pourtant Lucia n'avait fait aucune allusion – et pour cause – au destin de ce pont qui était la première vraie joie de Saïd. Et, gauchement, comme pour s'excuser d'une faute qu'il n'avait pas commise, ce dernier prit les mains de la jeune femme, des mains dont la fraîcheur lui fit comprendre qu'il était fiévreux. - Bien sûr qu'il tient. C'est du travail, je te promets... Et, comme pour lui-même, dans la naïveté enthousiaste des adolescents faisant l'apologie de leurs jeunes prouesses, il dit : « Il a fait gagner à la route plus de soixante kilomètres. ». Tu sais ce que représentent soixante kilomètres chez nous ? Ils m'ont assez ennuyé les minus académiques : la terre est trop fluide, les roches sont dégénérées. J'avais affaire à des marchands de goudron et de gravier qui avaient tout intérêt à ce que la route prenne le chemin des écoliers. Et ces épiciers de la sueur des Arabes n'avaient trouvé rien d'autre que cet argument : « Le terrain ne s'y prête pas... ».(2).	« في أعلى الركن الحميمي، في إطار زجاجي محفوظ ببساطة كبيرة بورق بني يمكن رؤية جسر، ومستند إلى مدخله: سعيد. إنه جسر سعيد. وكانت لوسيا تتابع نظرة سعيد، أو هكذا خوّلت لها نفسها. ثم سألته بصوت طفولي. - ألا يزال قائماً؟ هذا السؤال جعل سعيد يضغط على فكّيه بقوة حتى اصططكت أسنانه. وبشبه صعوبة أجابها: ولم لا؟ على أن لوسيا لم تلمّح، على أية حال، إلى قدر هذا الجسر الذي كان السعادة الحقيقية الأولى لسعيد. وبارتباك، وللاعتذار عن خطأ لم يرتكبه، شدّد هذا الأخير على يدي لوسيا، يدان باردتان جعلتا يعرف بأنه محموم. طبعاً، إنه قائم. عمل متقن، أعدك... وكمن يحدث نفسه قال بسذاجة مفعمة بحماسة المراهقين الذين يبررون مآثرهم الصغيرة: «لقد جعل الطريق تربح أكثر من ستين كيلومتراً». هل تعرفين ماذا تمثل ستون كيلومتراً بالنسبة لنا. لقد ضايقني هذه الأكاديميات المحدودة بما فيه الكفاية: الأرض مائعة كثيراً، الصخور منحلّة. كنت في مواجهة تجّار القطران والحصباء الذين كان في مصالحهم أن يسلك الدرب أطول الطرق. وتجّار عرق العرب هؤلاء لم يجدوا سوى هذه الحجّة: التربة غير مناسبة».(1).

وفي ترجمة هذا المقطع السرديّ إلى العربية، أوّلّت الذات المترجمة الجزائرية (السعيد بوطاجين، راجع الملحق (9)) تمهيد سؤال لوسيا بإضافة العبارة الآتية: «وكانت لوسيا تتابع نظرة سعيد، أو هكذا خوّلت لها نفسها» في نقلها العبارة الأصل: « Lucia suivit le regard de Saïd ou crut le suivre. ». كأنّ الذات المترجمة تمهّد لمدى حساسيّة هذا السؤال الجدليّ الذي طرحته لوسيا (التي تُمثّل

(1) مالك حدّاد، الانطباع الأخير، المرجع السابق، ص 15-16.

(2) Malek HADDAD, *La dernière impression*, op. cit., p20-22.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

صورة الآخر) على سعيد (الذي يُمثّل صورة الأنا) وَوَقَّعِهِ عليه، قائلة: «? Il tient toujours», أي: «ألا يزال قائماً؟».

المقطع الخامس والثلاثون:

وفي مقطعٍ يُجسِّدُ الأنا الراض للآخر، رفضت مّا مسعودة زواج ابنها إيدر بالفرنسية سيمون قائلة:

Texte Source de Malek HADDAD.	ترجمة: السعيد بوطاجين.
« - Mon fils, tu n'épouseras jamais une Française. Ma'Messaouda respirait faiblement. La grand-mère de Saïd faisait son testament. Elle ajouta : - Abaden !⁽¹⁾ Mouhal ! Mouhal !⁽²⁾ et s'assoupit. [...] Ma'Messaouda ouvrit les yeux : - Jamais une Française... Puis, tournant péniblement sa tête vers son fils et sans lâcher la main de Saïd, elle s'enquit : - Et ta khenza, où est-elle ? La « khenza » c'était Simone, la femme d'Idir. Khenza ne se traduit pas en français. Ce mot peut aussi bien signifier sale que nauséabond. Celle qui ne se lave pas. Celle qui n'est pas propre. En fait, celle qui n'est pas de chez nous et en clair qui n'est pas la belle-fille que moi j'aurais choisie... L'étrangère ! (1) Abaden : jamais. (2) Mouhal : impossible. »⁽²⁾.	«- يا بني. لن تتزوج فرنسية أبداً... كانت مّا مسعودة تنفس بوهن. لقد كتبت جدة سعيد وصيتها. وأضافت: - أبداً! (3) محال! وتهددت. [...] فتحت مّا مسعودة عينها. فرنسية... أبداً. ثم أدارت رأسها بصعوبة تجاه ابنها، ودون أن تتخلى عن يد سعيد، أردفت: - وخزنتك (5)، أين هي؟ «الخزنة» هي سيمون، زوجة إيدر. خزنة لا تترجم إلى الفرنسية. هذه الكلمة تعني القذرة أو مثيرة القىء. تلك التي لا تغتسل. تلك التي ليست نظيفة. في الواقع، تلك التي ليست من عندنا. وبوضوح، تلك التي ليست الكنة التي كنت سأختارها... الأجنبية! (3) الكلمتان جاءتا بالعربية. (4) الكلمتان جاءتا بالعربية. (5) تستعمل صفة خزنة، بتسكين النون، للدلالة على المرأة القذرة، وهي عربية الأصل، من خنز الشيء، أي فسد (المترجم).»⁽¹⁾.

ينسجُ السَّارْدُ (مالك حدّاد، راجِعِ المُلْحَق (4)) في هذا المقطع السردّي مشهد الأنا الجزائريّة الرافضة للآخر الفرنسيّ بالرغم من حبل الودّ الرابط بينهما (أي بين الأنا الجزائريّة "إيدر" والآخر الفرنسيّ "سيمون")، إلا أن مّا مسعودة ظلّت مُحافِظَةً على مبادئها رافضةً بناء جِسْرِ المودة بين الأنا والآخر. ومن منظورٍ تَرْجَمِيٍّ، تَمَكَّنَت الذات المُترجمة الجزائريّة (السعيد بوطاجين) من العودة بالآثار التي خلّفتها اللّهجة الجزائرية في الأصل الفرنسيّ إلى بيئتها الأصل وهي العربية (ليست العربية الفصحى، بل اللّهجة الجزائرية

(1) مالك حداد، الانطباع الأخير، المرجع السابق، ص 27-28.

(2) Malek HADDAD, *La dernière impression*, op. cit., p35-36.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

المحليّة)، خاصّة في نقل كلمات الرفض التي تفوّهت بها مّا مسعودة: « ! Mouhal⁽¹⁾ ! Abaden⁽²⁾ ! Mouhal»، التي ترجمها الجزائريّ السعيد بوطاجين بـ «أبدأ⁽³⁾ ! محال⁽⁴⁾ !» (ولم يُكرّر كلمة محال مرتين مثلما وردت في الأصل)، ثمّ شرح معنى هذين الكلمتين في الهامش بـ «الكلمتان جاءتا بالعربية».

وفي هذا المقطع السرديّ، لم تكتفِ الذات الكاتبة (مالك حدّاد) بتوظيف كلمات من اللهجة الجزائرية المحليّة فحسب، بل راحت تشرّح معنى «الخنزة» La «khenza» (هذه الصفة البشعة التي نعتت بها مّا مسعودة الفرنسية سيمون زوجة ابنها إيدير) في متنها الروائيّ، بأنها المرأة القذرة التي لا تغتسل، أو المرأة الأجنبية عن المجتمع الجزائريّ والغريبة عنه بصفة عامّة. وهي كلمة لا تُترجم إلى الفرنسية، إنّما اقترضها مالك حدّاد من اللهجة الجزائرية المحليّة إلى الفرنسية، ووسّمها بحروفٍ لاتينية. كما لجأت الذات الكاتبة (مالك حدّاد) إلى الحاشية السفليّة بغية ترجمة كلمات الرفض التي تفوّهت بها مّا مسعودة إلى اللغة الفرنسية.

يُعدّ توظيف مالك حدّاد لهذه الكلمات وجهًا من أوجه تداعيات ثنائيّة اللغة في الحقبة الاستعماريّة، بحيث تُصبح النصوص الروائيّة المكتوبة بالفرنسيّة نصوصًا مزدوجة، ونصوصًا ثنائيّة اللغة، تُصاحب فيها العبارات العربيّة (المُرومّنة أو المُنقّحة أو المُقترضة) اللغة الفرنسيّة، ما يجعلهما (العربيّة والفرنسيّة) مترابطتين يكملان بعضهما البعض، كأنهما لغة واحدة. وبذا، تُطالبُ الذوات القاريّة بأن تكون هي كذلك ثنائيّة اللغة لفكّ رُموزها (أي رُموز تلك الذوات المكتوبة) وفهم محتواها، وهذا ضرب من ضروب الترجمة الدائمة (perpetual translation) التي من المتوقع أن تُباشرها أي ذات قاريّة تقترب من ذات مكتوبة مُماثلة (راجع الفصل الثّاني، المبحث الثّالث). ممّا دفع الذات المُترجمة (السعيد بوطاجين) — بوصف الذات المُترجمة ذاتًا قاريّةً بامتياز، ذات طبيعة فذّة — إلى التوسّع في شرحها في الهامش بأن: «صفة «خنزة» بتسكين النون، تُستعمل للدلالة على المرأة القذرة، وهي عربيّة الأصل، من خنز الشيء، أي فسد». وبالرجوع إلى المعجم، نجد: خَنَزَ (بِالْكَسْرِ) اللَّحْمُ وَالتَّمَرُ وَالْجَوْزُ أَي فَسَدَ وَأَنْتَنَ وفاحت منه رائحة كريهة، والخَنَزُ هو الرائحة الكريهة والعفونة والتّعفن⁽¹⁾.

(1) يُنظر: ابن منظور، لسان الغريب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، 1981م، ص 1275-1276.

الفصل الرابع: ————— جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —————

المقطع السادس والثلاثون:

Texte Source de Malek HADDAD.	ترجمة: السعيد بوطاجين.
« M. Rogin avait toujours été un ours. Un brave ours, mais un ours. Depuis la guerre néanmoins, beaucoup de choses avaient changé. Un instant Saïd songea à un article de Camus qu'il venait de lire : « Le temps est venu où chacun doit rejoindre sa communauté ». » ⁽²⁾ .	« كان السيد روجان دُبّاً دائماً. دُبّ طيب، ولكنه دُبّ. غير أنه منذ بداية الحرب، تغيرت أشياء كثيرة. وفكر سعيد برهة في أحد مقالات كامو التي قرأها حديثاً: «آن الأوان ليلتحق كل واحد بطائفته.» ⁽¹⁾ .

يُصوّر هذا المقطع مشهد الأنا المُستهزئة بالآخر، بحيث وُصف السيد روجان بأنه دُبّ أشوس ولكنه دُبّ، لقد تغير كثيراً منذ اندلاع الحرب، وربط سعيد – بطل الرواية – تفكيره المُصاحب لهذا الموقف بمقال كامو Camus الذي كان قد قرأه مؤخراً. وفي ترجمة هذا المقطع إلى العربية، تصرّفت الذات المُترجمة الجزائرية (السعيد بوطاجين) مؤولةً هذا الموقف الساخر من الآخر في نقلها الجملة الآتية:

« M. Rogin avait toujours été un ours. Un brave ours, mais un ours ».

ب: «كان السيد روجان دُبّاً دائماً. دُبّ طيب، ولكنه دُبّ»، مُضيفاً كلمة "نائماً" بُغية تجسيد مشهد السخرية من الآخر المبتوث في ثنايا الأصل الفرنسي.

المقطع السابع والثلاثون:

Texte Source de Malek HADDAD.	ترجمة: السعيد بوطاجين.
« - Ils sont venus chercher ton frère vers trois heures du matin. Ils étaient d'abord passés chez lui puis, ils sont venus ici. Mais ils n'ont rien trouvé... Saïd respira. Bien plus qu'une simple fraternité l'attachait à son frère. Bouzid, son aîné de six ans, était en quelque sorte sa conscience. D'ailleurs c'est ainsi qu'il l'avait baptisé... - ... Ils ont frappé vers trois heures du matin... Ils étaient une quinzaine en armes... Je me suis habillé... Ta mère, tu sais qu'elle est cardiaque... Ils m'ont demandé où il était... Ils ont, ils ont demandé, ils ont fait, ils ont dit... Pronom indéfini ? Pronom personnel ?... Ils, on, eux, ils ont pourtant un prénom, ces gens qui n'ont pas le sens des convenances. Saïd remarqua que son père ne portait plus sa Légion d'honneur. » ⁽⁴⁾ .	«- في الثالثة صباحاً جاءوا للبحث عن أخيك. مرّوا على بيته ثم جاءوا إلى هنا، ولكنهم لم يعثروا على شيء... تنفس سعيد. ثمة رابطة أكثر من الأخوة تجمعهم بأخيه: كان بوزيد، الذي يكبره بست سنوات بمثابة وعيه. والحال أنه سماه كذلك... - ... طرّقوا الباب في الثالثة صباحاً... كانوا خمسة عشرة مسلحاً... ارتدّيت ملابس... أملك، أنت تعرف بأنها مصابة بالقلب... سألوني عن مكان تواجده، قاموا، سألوا، فعلوا، قالوا... ضمير نكرة؟ ضمير شخصي؟... هم، ناس، أولئك، رغم ذلك فإن لهم أسماء هؤلاء البشر الذين ليس لهم حسن المجاملات. لاحظ سعيد بأن أباه لم يعد يحمل وسام الشرف.» ⁽³⁾ .

(1) مالك حداد، الانطباع الأخير، المرجع السابق، ص 49.

(2) Malek HADDAD, *La dernière impression*, op. cit., p64.

(3) مالك حداد، الانطباع الأخير، المرجع السابق، ص 50.

(4) Malek HADDAD, *La dernière impression*, op. cit., p65–66.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

تُمثِّل شخصية بوزيد - شقيق سعيد - في هذه الرواية الشخصية الباثية للوعي، فهي هو ذا سعيد يتنفس الصعداء حينما علِمَ بأن أفراد قوات الاحتلال الفرنسي لم يستطيعوا القبض على أخيه بوزيد حينما أتوا على الثالثة صباحاً للبحث عنه في بيته. لقد كانت رابطة سعيد بأخيه بوزيد أكثر من مجرد رابطة أخوة بسيطة، فقد كان أخوه الجزائري الذي أيقظ في نفسه مبدأ الكفاح ومن ثمَّ أخياً ضميره الوطني. وفي هذا السياق، تنقل الذات المترجمة الجزائرية (السعيد بوطاجين) هذه الجملة:

« Bouzid, son aîné de six ans, était en quelque sorte sa conscience.
D'ailleurs c'est ainsi qu'il l'avait baptisé... »⁽¹⁾.

بالنَّحو الآتي: «كان بوزيد، الذي يكبره بست سنوات بمثابة وعيه. والحال أنه سماه كذلك...»⁽²⁾.

وترمي الذات الكاتبة (مالك حداد) من هذه العبارة قول: «على هذا النَّحو جُبِلَ «سعيد» على التعلُّق بأخيه الذي يكبره سنّاً». والفعل "baptisé" لا يعني - في هذا السياق - التعميد أو التنصير، بل يُوحى إلى (الجبل)، أي الفطرة التي فطره بوزيد عليها، أي طَبَعَهُ على حُبِّ الذات الجزائرية المُتحرِّرة وكُره الآخر الفرنسي المُستعمر. وقد ختمت الذات الكاتبة الجملة بعلامة قطع (نقط الإضمار)، أي ثلاث نقاط مُتتابعة (...). كما ينقل المترجم السعيد بوطاجين هذه الجملة:

« Ils m'ont demandé où il était... Ils ont, ils ont demandé, ils ont fait, ils ont dit... Pronom indéfini ? Pronom personnel ?... Ils, on, eux, ils ont pourtant un prénom, ces gens qui n'ont pas le sens des convenances »⁽³⁾.

على النَّحو الآتي: «سألوني عن مكان تواجده، قاموا، سألوا، فعلوا، قالوا... ضمير نكرة؟ ضمير شخصي؟... هم، ناس، أولئك، رغم ذلك فإن لهم أسماء هؤلاء البشر الذين ليس لهم حسن المجاملات»⁽⁴⁾.

وفي تحليل هذا المقطع، وظَّفت الذات الكاتبة (مالك حداد): ضمير التنكير (ضمير مبهم)، والضمير الشخصي، والضمير المذكر الثالث الذي يُمثِّل الجمع (أي هُمْ *Ils*)، والضمير المبهم *on* الذي يُحيل إلى إنسان غير مُحدَّد أو أي شخص ما (وهنا يتعلَّق الأمر بالأشخاص الذين لم يُعرَّف على هُويتهم الخاصة

⁽¹⁾ Malek HADDAD, *La dernière impression*, op. cit., p66.

⁽²⁾ مالك حداد، الانطباع الأخير، المرجع السابق، ص50.

⁽³⁾ Malek HADDAD, *La dernière impression*, op. cit., p66.

⁽⁴⁾ مالك حداد، الانطباع الأخير، المرجع السابق، ص50.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجرائرية إلى العربية —

أو لم يُتمكَّن من تحديدها، أي شخص غير مُحدَّد)، والضمير الشخصي *eux* (للشخص الثالث) لجمع الذكور. ولقد استأثر السرد بهذه الضمائر كلها بغرض الإحالة إلى صورة الآخر الفرنسي بجيشه ورجاله.

ومن وجهة نظر ترجمية، يُلاحظ تماهي الذات المترجمة والذات الكاتبة، ممَّا ولَّد ترجمةً سديدةً جسّدت فحوى الذات الروائية المكتوبة الأصل بيّنها ومُضمّرها.

7.2.4 جدلية الأنا والآخر في ترجمة رواية «Le quai aux Fleurs ne répond plus»

مالك حدّاد إلى العربية:

المقطع الثامن والثلاثون:

أتى على لسان خالد بن طوبال، بطل رواية «Le quai aux Fleurs ne répond plus»، وهو يتدبّر قائلاً:

Texte Source de Malek HADDAD.	ترجمة: حنفي بن عيسى.
	«وارتفع القمر في السماء.. كان جدول لبوفرون يبدو وكأنه نائم. وارتعشت الحشائش. وقال خالد فيما بينه وبين نفسه: «حينما يكون الإنسان في بلاد مونيك تبدو له فرنسا جميلة، ولا يوجد أي شيء يجعله يعتقد بأن الحرب قائمة...» ⁽²⁾ .
	ترجمة: ذوقان قرقوط.
	«ويدنو القمر. في حين يكون البوفرون هاجعا. والغُشب يتوجس خيفة. فيفكر خالد: «إن فرنسا في ديارها جميلة، وفرنسا هنا لا تفكر بالحرب أبدا...» ⁽³⁾ .
	ترجمة: أحمد نظير نشوقي.
	«ويقترب نور القمر بينما البوفرون يغفو بسلام والأعشاب وجلة. ويفكر خالد في نفسه: «في بلد مونيك تبدو فرنسا جميلة. في بلدها لا يمكن لفرنسا أن تجعل المرء يفكر بالحروب...» ⁽⁴⁾ .

يعكس هذا المقطع شخصية الذات الكاتبة (مالك حدّاد، راجع الملحق (4)) المتماهية وشخصية بطل الرواية خالد المبتوثة فيها، فوجود خالد في بلاد مونيك (أي في بلاد الآخروهي فرنسا)، فهذا لا يجعله

⁽¹⁾ Malek HADDAD, *Le quai aux Fleurs ne répond plus*, op. cit., p20.

⁽²⁾ مالك حدّاد، رصيف الأزهار لا يجيب، ترجمة: حنفي بن عيسى، المرجع السابق، ص 22-23.

⁽³⁾ مالك حدّاد، ليس في رصيف الأزهار من يجيب، ترجمة: ذوقان قرقوط، المرجع السابق، ص 23.

⁽⁴⁾ مالك حدّاد، رصيف الزهور، ترجمة: أحمد نظير نشوقي، المرجع السابق، ص 21.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

يُحسُّ باندلاع الحرب في بلاده الجزائر. يُصوِّرُ هذا المقطع حال الأنا الجزائرية المغتربة في بلاد الآخر الفرنسي. وفي الترجمة العربية لهذا المقطع السردي، اقتربت الذوات المترجمة الثلاث "أحمد نظير نشوقي، وحنفي بن عيسى (راجع الملحق (10))، وذوقان قرقوط (راجع الملحق (11))" من الأصل: إذ أضفى المترجم السوري ذوقان قرقوط على نقل هذه الجملة بُعدًا تأويليًا يُجسِّدُ جدلية الأنا والآخر بنحو مُضمر، فالذات القارئة لجملة: «إن فرنسا في ديارها جميلة، وفرنسا هنا لا تفكر بالحرب أبدا...»، تفهم — بعد استنباط المعنى المُبطَّن — أن مونيك تُمثِّلُ الآخر (أي فرنسا)، لهذا لم تأتِ الذات المترجمة السورية (ذوقان قرقوط) على ذكر كلمة "مونيك" — صراحةً — مُكتفيةً بذكر الضمير "ها"، ما يُجسِّدُ ذلك الصراع الجدلي الذي عاشته الأنا الجزائرية وهي في بلاد الآخر الفرنسي.

بخلاف ترجمة الجزائري حنفي بن عيسى الذي فضَّلَ ذكر كلمة "مونيك" في نقله لهذه الجملة بالوجه الآتي: «حينما يكون الإنسان في بلاد مونيك تبدو له فرنسا جميلة، ولا يوجد أي شيء يجعله يعتقد بأن الحرب قائمة»، وهذا أسلوب شارح غرضه إفهام الذات القارئة بمقصد القول مباشرة. ولقد انتهج المترجم أحمد نظير نشوقي الأسلوب ذاته في نقله للجملة المذكورة على النحو الآتي: «في بلد مونيك تبدو فرنسا جميلة. في بلدها لا يمكن لفرنسا أن تجعل المرء يفكر بالحروب...».

إنَّ إضافة الذات المترجمة الجزائرية (حنفي بن عيسى) عبارة: «بأن الحرب قائمة»، دليل على أن الحرب لا تزال قائمة في الجزائر، وهذا ضرب من ضروب تماهي الذات المترجمة والذات الكاتبة من أجل تصوير وضع الأنا المغتربة في بلاد الآخر.

المقطع التاسع والثلاثون:

وَمِنْ شِدَّةِ تَفْكِيرِ خَالِدٍ بَوْضِعِ الْجَزَائِرِ وَتَعَلُّقِهِ بِأَحْوَالِهَا:

Texte Source de Malek HADDAD.	« C'était Monique qui parlait de l'Algérie. Et parfois, Khaled doutait qu'elle ne fût pas sincère. - L'Algérie, j'en crèverai. - Voulez-vous vous taire. Elle a besoin de vous. Khaled sourit devant cette formule à l'usage des prophètes mythomanes. Il y a un tas de gens qui pensent qu'un écrivain est nécessaire à la vie et à la survie d'une communauté en lutte. La belle erreur, oui, la belle erreur, c'est une erreur, mais elle est très belle. Les écrivains n'ont jamais modifié le sens de l'Histoire, l'Histoire qui est assez grande	ترجمة: حنفي بن عيسى. «مونيك هي التي كانت تتحدث عن الجزائر. وفي بعض الأحيان كان خالد يشك في صدق أقوالها. - مشكلة الجزائر هي التي ستكون سببا في هلاكي. - لا تقل هذا لأن الجزائر في حاجة إليك. وابتسم خالد لهذه العبارة التي كثيرا ما يستعملها المولعون بالتنبؤ. هناك كثير من الناس يعتقدون بأن وجود الكاتب ضروري بالنسبة للشعوب المكافحة التي تريد الحياة وتصمد أمام القوى الهدامة. إن هذه مغالطة مزخرفة. ولكنها مع ذلك تظل مغالطة، إذ لم يستطع الكتاب في يوم من الأيام أن

dame pour savoir se diriger toute seule. Les écrivains, romanciers et poètes, les artistes en général, ne sont que des témoins, des témoins et des épiphénomènes. Une femme qui est belle est belle sans son coiffeur et, quand bien même ce dernier embellirait sa chevelure, en aucun cas, il ne pourrait se targuer de l'avoir fait pousser. La forêt masque les arbres et c'est très bien ainsi. Un patriote ne fait pas la patrie, mais la patrie permet les patriotes. Le reste est prétention et la Résistance conçue dans une autre optique ne serait qu'un facile exercice de style »⁽¹⁾.

يغيروا اتجاه التاريخ، لأن التاريخ لا يحتاج إلى من يحدد له وجهته. إن الكتاب، والقصصيين، والفنانين بصورة عامة ليسوا سوى شهود وملاحظين. المرأة التي تتصف بالجمال، ستظل جميلة حتى لو فرضنا أنها امتنعت عن الذهاب إلى الحلاق. وإذا أضاف الحلاق شيئاً من الجمال إلى شعرها، فهو لا يستطيع على كل حال أن يدعي بأنه هو الذي أنبت ذلك الشعر. إن الغابة تخفي سائر الأشجار وهي توهم الناظر إليها من بعيد بأنه لا توجد أشجار على حدة. والمناضل لا يخلق وطنه، بل الوطن هو الذي يخلق الظروف التي تجعله مناضلاً وغير هذا مجرد إدعاء وغرور. وإذا كانت لبعض من الناس وجهة نظر أخرى في مغزى المقاومة فإن ذلك لا يتعدى أن يكون كلاماً فارغاً»⁽²⁾.

ترجمة: ذوقان قرقوط.

«كانت مونيك هي التي تتكلم عن الجزائر وكان خالد، أحياناً، يشك في ألا تكون صادقة في كلامها.
- الجزائر، لقد ضقت بها ذرعاً.
- هل لك أن تسكت، إنها بحاجة إليك.
وابتسم خالد لهذه الجملة التي درج على استعمالها الأنبياء المسوسون. فإن هناك زمرة من الناس تظن أن الكاتب ضروري من أجل حياة جماعة ولبقاءها وهي تكافح. فالخطأ الجميل، أجل الخطأ الجميل، هو خطأ ولكنه جد جميل. ذلك أن الكتاب لم يعدلوا أبداً في معنى التاريخ، التاريخ الذي أصبح سيداً راشداً له من العمر ما يكفي لمعرفة السير وحده. فالكتاب شهود وظاهرات عارضة. والمرأة التي تكون جميلة هي جميلة بدون حلاقها. وعندما يعمل هذا الحلاق على تجميل شعرها فإنه لا يستطيع الادعاء على أية حال، أنه هو الذي جعله ينبت. والغابة تحجب الأشجار وراءها وتكون في وضع حسن هكذا. فالوطني لا يصنع الوطن، لكن الوطن يتيح الوطنية للوطنيين. وما عدا هذا فإنه ادعاء. وحرب المقاومة التي لا ينظر إليها من هذه الزاوية ليست إلا تمريناً سهلاً في بيان الأسلوب»⁽³⁾.

ترجمة: أحمد نظير نشوقي.

«كانت مونيك هي التي تتكلم عن الجزائر، وكان خالد أحياناً لا يشك بصدقها.
- الجزائر! سوف انفجر!
- أتريد أن تسكت؟ إن الجزائر بحاجة إليك.
وابتسم خالد عند سماعه هذه العبارة التي يستعملها الأنبياء الدجالون فهناك كثير من الناس يعتقدون أن الكاتب

(2) مالك حداد، رصيف الأزهار لا يجيب، ترجمة: حنفي بن عيسى، المرجع السابق، ص 28-29.

(1) Malek HADDAD, *Le quai aux Fleurs ne répond plus*, op. cit., p26.

(3) مالك حداد، ليس في رصيف الأزهار من يجيب، ترجمة: ذوقان قرقوط، المرجع السابق، ص 31-32.

الفصل الرابع: ————— جدلية الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —————

	ضروري لحياة بل ولأنقاذ [هكذا] أمة تحارب. هذا هو الخطأ، الخطأ الجميل، نعم الخطأ الجميل. فالكتاب لم يغيروا يوماً وجهة التاريخ، التاريخ الذي يشبه سيدة من الكبر بقدر تعرف معه لى [هكذا] أين تتجه. إن الكتاب والروائيين والشعراء والفنانين بوجه عام ليسوا إلا شهوداً وإلا ظاهرة تأتي فوق الظواهر الأخرى. إن المرأة الجميلة جميلة دون مزين، وإن كان للمزين فضل تجميل شعرها فليس له أن يفتخر بكونه خلق هذا الشعر. كالغابة تعطي قناعاً للأشجار وهذا أحسن ما في الأمر. ليس الوطني من يخلق الوطن بل إن الوطن هو الذي يقدم الفرص للوطنيين. وغير ذلك ليس إلا ادعاء، والمقاومة إذا ما اعتبرت على مستوى غير هذا المستوى فلن تكون أكثر من تمرين إنشائي»⁽¹⁾.

يتماهي صوت الذات الكاتبة (مالك حدّاد) وصوتَ بطلها خالد بن طوبال في غير ما موضعٍ من هذه الرواية، فحين أخبرت مونيك خالد بأن الجزائر بحاجةٍ ماسّةٍ إليه، تبسم وقتها، وهي ابتسامة ترسمُ موقف الأنا المُستخفّة بالآخر، إذ من غير المعقول أن يهتم الآخر بنا، لا سيّما إن كان هو مصدر الأمانا وأحزاننا. ثمّ عرّج على مَنْ يعتقدُ بأن وجود الذات الكاتبة ضروري لحياة مجتمعٍ مكافحٍ بُغية خلوده، واصفاً هذا الاعتقاد بالأضلولة، لأن الذات الكاتبة ليس بوسعها تغيير مسار التاريخ، في مشهدٍ روائيٍ تبحثُ فيه الذات الكاتبة (الأنا المثقفة عموماً) عن ضبط موقعها في كتابة تاريخ الوطن. ومن منظورٍ تَرْجَمِيٍّ، وفي مستهلّ هذا المقطع تحديداً، اختلفت الذوات المُترجمة الثلاث في نقل:

« *L'Algérie, j'en crèverai. Voulez-vous vous taire. Elle a besoin de vous* »⁽²⁾.

إذ تنقلها الذوات المُترجمة الجزائرية (حنفي بن عيسى) على النحو الآتي: «مشكلة الجزائر هي التي ستكون سببا في هلاكي. لا تقل هذا لأن الجزائر في حاجة إليك»⁽³⁾.

بينما فضّلت الذوات المُترجمة السورية (ذوقان قرقوط) نقلها بالوجه الآتي: «الجزائر، لقد ضقت بها ذرعاً. هل لك أن تسكت، إنها بحاجة إليك»⁽⁴⁾.

في حين ترجمها المُترجمُ أحمد نظير نشوقي بـ: «الجزائر! سوف انفجر! أتريد أن تسكت؟ إن

(1) مالك حدّاد، رصيف الزهور، ترجمة: أحمد نظير نشوقي، المرجع السابق، ص 29.

(2) Malek HADDAD, *Le quai aux Fleurs ne répond plus*, op. cit., p26.

(3) مالك حداد، رصيف الأزهار لا يجيب، ترجمة: حنفي بن عيسى، المرجع السابق، ص 28.

(4) مالك حداد، ليس في رصيف الأزهار من يجيب، ترجمة: ذوقان قرقوط، المرجع السابق، ص 31.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

الجزائر بحاجة إليك»⁽¹⁾.

وعلى هذا النَّحْو، كانت ترجمة الجملة الأولى موضع اختلاف بين الذات المترجمة الثلاث، فَقَوْل مالك حَدَّاد على لسان بطله خالد بن طوبال: «*L'Algérie, j'en crèverai*»، فهذا يعني أن هُموم الجزائر ومُعاناتها سوف تُودي بحياته (صورة الأنا القلقة بشأن وضع بلادها)، لا سيَّما أن مونيكَ (صورة الآخر) هي التي كانت تتحدث عن الجزائر (صورة الأنا). ويُمكن تفسير استجابة خالد — السلبية — هنا، بأنه أراد إخفاء انشغاله بالجزائر عن مونيكَ (صورة الأنا وهي تُمَوِّه الآخر)، لأنه كان يشكُّ في صدق حديثها عن الجزائر. وبذا، كانت هذه التأويلات: «الجزائر! سوف انفجر!»، و«مشكلة الجزائر هي التي ستكون سببا في هلاكي»، و«الجزائر، لقد ضقت بها ذرعا»؛ انعكاسًا لتأويلات الذات المترجمة بُغية إيصال مقصد القول — المُضَمَّر — المبتوَّث في ثنايا الذات الروائية المكتوبة الأصل.

وفي الدِّقِّ الثَّانِي — مِنْ الجملة المذكورة — الذي حاولت فيه مونيكَ تأنيب خالد على سلبيته، لم يكن النَّقْل الحرفي الذي انتهجه المُترجمُ أَحْمَد نظير نشوقي صائبًا، لا سيَّما في توظيفه عبارة: «أريد أن تسكت؟ إن الجزائر بحاجة إليك»، مُقَابِل قول مالك حَدَّاد: «*Voulez-vous vous taire*»؛ فالموقف — هنا — يستدعي عبارةً حاملةً لِلَّوم والحثِّ على تجنُّب التصريح بمثل هذا القول على لسان خالد، كأن تُوظَّف الذات المترجمة عبارة: «هَلَّا سَكَتَ!»، أو مثلما فعلت الذات المترجمة الجزائرية (حنفي بن عيسى): «لا تقل هذا»، والذات المترجمة السورية (ذوقان قرقوط): «هل لك أن تسكت».

كما يُسَجَّلُ في هذا المقطع مخالفة الذات المترجمة الجزائرية (حنفي بن عيسى) نظيرتها، أَحْمَد نظير نشوقي وذوقان قرقوط، في ترجمة كلمة «*Un patriote*»، إذ ترجمتها بـ: «المناضل»، في حين نقلتها الذاتان المُترجمَتان بـ: «الوطني».

(1) مالك حَدَّاد، رصيف الزهور، ترجمة: أَحْمَد نظير نشوقي، المرجع السابق، ص 29.

الفصل الرابع: ————— جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —————

المقطع الأربعة:

Texte Source de Malek HADDAD.	« Vivre, c'est vieillir, c'est-à-dire changer. Khaled Ben Tobal n'était fidèle qu'à son enfance. On racontait de lui qu'il était patriote. C'était peut-être vrai, peut-être faux. La politique l'ennuyait, comme à l'école primaire les leçons de calcul. Il était Algérien parce qu'il se savait Algérien. Il était Algérien parce qu'il était Algérien et que, illustrant ce principe d'identité et cette lapalissade, il se conservait dans sa mémoire, sans se prendre au sérieux, enfant loyal de son enfance. Quand il disait, en se moquant de ses propres intonations, de ce lyrisme qu'il recherchait pour voiler sa pudeur, quand il disait : « C'est une question d'honneur », on savait bien qu'il était grave, qu'il pilotait la bonne conscience, qu'il s'efforçait d'être à la hauteur d[<i>tel quel</i>] ses sentiments plutôt qu'à celle de ses idées. Car des idées, il n'en avait guère. Il laissait ces parties de ping-pong aux cruciverbistes d'une dialectique frelatée. Il était Algérien parce que deux et deux font quatre et que rien ne prouve d'ailleurs la véracité de cette opération. »⁽¹⁾.	ترجمة: حنفي بن عيسى. « الإنسان يحيا ويعيش. ومعنى ذلك أنه يهرم. والهرم معناه التغير. ولم يكن خالد مخلصا إلى شيء باستثناء طفولته. يقول الناس عنه أنه مناضل وذلك قد يكون صحيحا أو خاطئا، لأن السياسة لا تهمة مثلما كانت دروس الحساب لا تهمة في المدرسة الابتدائية. إنه جزائري لأنه يعرف في قرارة نفسه بأنه جزائري. وقد اعتمد على مبدأ التعريف هذا وعلى هذه القاعدة فاحتفظ في ذاكرته، من غير تكلف، بهويته، طفلا مخلصا لطفولته. إنه كان يسخر من نبرات صوته، وأسلوبه الغنائي الذي يحرص عليه في الحديث ليخفي خجله، حينما يقول: «إنها قضية شرف» وكان الناس يعرفون تمام المعرفة بأنه جاد كل الجد في قوله، وأنه مخلص في ذلك كل الإخلاص، وأنه يحاول أن يرتفع إلى مستوى عواطفه لا إلى مستوى أفكاره. وذلك أنه لم تكن له أفكار. وكان يدع هذه المساجلات الكلامية إلى المولعين بالجدل العقيم. إنه جزائري لأن اثنين زائد اثنين يساوي أربعة، وأنه لا يوجد أي دليل يبرهن على صحة هذه العملية الحسابية.»⁽²⁾. ترجمة: ذوقان قرقوط. «الحياة، هي أن يشيخ الإنسان أي أن يتبدل. لكن خالد بن طوبال لم يكن وفيا إلا لطفولته. يروى عنه أنه كان وطنيا. ربما كان هذا صحيحا وربما كان كذبا. فالسياسة تبعث في نفسه السأم كدروس الحساب في المدرسة الابتدائية. فقد كان جزائريا لأنه عرف نفسه جزائريا. وكان جزائريا لأنه كان جزائريا. وهو إذ يمجّد مبدأ الهوية وهذا التأكيد البديهي الأبله، يحتفظ لنفسه في مخيلته بصورة الطفل الوفي لطفولته دون أن يحمل نفسه على محمل الجد. وعندما كان يقول ساخرا من استهلالاته ومن تلك الشاعرية الغنائية التي يبحث عنها ليسترخي خجله، أنه عندما كان يقول: «أنها مسألة شرف» فمن المؤكد أنه كان جادا وأنه كان يضع علامات على الطريق بنية خالصة وأنه كان يبذل ما في وسعه ليكون في مستوى مشاعره قبل أن يكون في مستوى أفكاره. ذلك أن الأفكار، كان يفتقر إليها. فقد كان يترك هذه الأنشواط في لعبة البنج – بونج إلى هواة الكلمات المتقاطعة في ديكالتيك مغشوش.. كان جزائريا لأن اثنين واثنين يساويان أربعة وأنه ليس هناك مع ذلك ما يثبت حقيقة هذه العملية.»⁽³⁾.

⁽¹⁾ Malek HADDAD, *Le quai aux Fleurs ne répond plus*, op. cit., p28–29.

⁽²⁾ مالك حداد، رصيف الأزهار لا يجيب، ترجمة: حنفي بن عيسى، المرجع السابق، ص 31–32.

⁽³⁾ مالك حداد، ليس في رصيف الأزهار من يجيب، ترجمة: ذوقان قرقوط، المرجع السابق، ص 35.

الفصل الرابع: ————— جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —————

	ترجمة: أحمد نظير نشوقي. «أن يحيا الإنسان يعني أن يشيخ، أن يتغير. وخالد بن طوبال لم يكن مخلصاً إلا لطفولته كان يقال عنه أنه وطني قد يكون ذلك صحيحاً، وقد لا يكون. فالسياسة كانت تثير ضجره، شأن دروس الحساب في الصفوف الابتدائية. فهو جزائري لأنه جزائري ولأنه يحتفظ في داخل مخيلته بذكرى طفل مخلص لطفولته. وعندما كان يقول: «إنها مسألة شرف»، هازئاً من لهجته ومن حماسه الذي يلجأ إليه لإخفاء حيائه، كان الكل يعرف أنه جاد في كلامه وأنه إنما يعبر عن ضميره وأنه يحاول أن يكون في مستوى عواطفه أكثر من أن يكون في مستوى أفكاره. لأن الأفكار لم يكن لها وجود في رأسه. وكثيراً ما كان يضطرب للانسحاب أمام جماعة لا تعرف إلا الثروة وإلا النقاش المغشوش. إنه جزائري لأن اثنين مع اثنين تساوي أربعة دون حاجة لإثبات.»⁽¹⁾

يُجسّد هذا المقطع السرديّ أنا الذات الكاتبة (مالك حدّاد) وهويته المُتمثّلة في شخصيّة بطل روايته خالد التي فُطر عليها منذ طفولته. وفي ترجمة هذا المقطع إلى العربية، اختلف تأويل الذوات المترجمة الثلاث في نقل هذه الفقرة:

« Il était Algérien parce qu'il se savait Algérien. Il était Algérien parce qu'il était Algérien et que, illustrant ce principe d'identité et cette lapalissade, il se conservait dans sa mémoire, sans se prendre au sérieux, enfant loyal de son enfance »⁽²⁾.

ترجمة الجزائريّ حنفي بن عيسى: «إنه جزائري لأنه يعرف في قرارة نفسه بأنه جزائري. وقد اعتمد على مبدأ التعريف هذا وعلى هذه القاعدة فاحتفظ في ذاكرته، من غير تكلف، بهويته، طفلاً مخلصاً لطفولته»⁽³⁾.

ترجمة السوريّ ذوقان قرقوط: «فقد كان جزائرياً لأنه عرف نفسه جزائرياً. وكان جزائرياً لأنه كان جزائرياً. وهو إذ يمجّد مبدأ الهوية وهذا التأكيد البديهي الأبله، يحتفظ لنفسه في مخيلته بصورة الطفل الوفي لطفولته دون أن يحمل نفسه على محمل الجد»⁽⁴⁾.

(1) مالك حدّاد، رصيف الزهور، ترجمة: أحمد نظير نشوقي، المرجع السابق، ص 31.

(2) Malek HADDAD, *Le quai aux Fleurs ne répond plus*, op. cit., p28-29.

(3) مالك حداد، رصيف الأزهار لا يجيب، ترجمة: حنفي بن عيسى، المرجع السابق، ص 32.

(4) مالك حداد، ليس في رصيف الأزهار من يجيب، ترجمة: ذوقان قرقوط، المرجع السابق، ص 35.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

ترجمة أحمد نظير نشوقي: «فهو جزائري لأنه جزائري ولأنه يحتفظ في داخل مخيلته بذكرى طفل مخلص لطفولته»⁽¹⁾.

وفي تحليل الترجمات الثلاث، أسقطت الذات المترجمة (أحمد نظير نشوقي) جزءاً كبيراً من الفقرة، فكانت ترجمتها ترجمةً مُوجزةً تميل إلى الحرفية، في حين كانت ترجمة السورّي ذوقان قرقوط ترجمةً حرفيةً بامتياز، تشبّثت فيها الذات المترجمة السورّيّة تشبُّثاً مُطلقاً بالأصل، بينما حاولت الذات المترجمة الجزائرية (حنفي بن عيسى) مجازاة الأصل، خاصّة بتوظيفها كلمة: «... من غير تكلف، "بهويته"، طفلاً مخلصاً لطفولته»، هذه الكلمة التي جسّدت تجلّي الأنا الذي اتّخذته هذه المنطقة السردية في صورة الهوية، فهويّة بطل الرواية هي هويّة الذات الكاتبة (مالك حدّاد).

المقطع الحادي والأربعون:

كما تجلّت أنا الذات الكاتبة (مالك حدّاد) في شخصيّة بطله خالد بن طوبال حينما:

Texte Source de Malek HADDAD.	ترجمة: حنفي بن عيسى.	
	«لقد بلغ مسامع خالد بن طبال [هكذا] أن كثيراً من الناس يرددون أشعاره في الجبال والسجون. ولم يكن يشعر لذلك بالاعتزاز أو الفرح، بل كان يشعر بالخوف. بلى كان يشعر بالخوف الشديد. كان يتساءل: هل أنا في مستوى الرجال؟ وثورة هؤلاء الرجال، ومطامحهم التي يسجلها التاريخ؟ هل أنا أشعر بالخوف حينما يشعرون به، ولا أغتر بالقاب البطولة؟ من السهل جداً أن أكون رجلاً مثل سائر الرجال ولكن أن أكون إنساناً، فهذا هو الأمر الصعب، وهذا هو الأمر المهم» ⁽³⁾ .	
	ترجمة: ذوقان قرقوط.	
« On a dit à Khaled Ben Tobal que dans les maquis, dans les prisons, ses poèmes se lisaient. Il n'en retire aucune fierté, aucune joie. Mais de la peur ! Une peur panique. Est-il à la hauteur des hommes, de leurs explosions, de leur vocation historique ? Sait-il avoir peur comme ils ont peur, sait-il mépriser l'héroïsme comme ils ignorent eux-mêmes qu'ils sont des héros ? Il n'est rien d'être un homme. Rien, absolument rien. Mais, être humain, voilà le difficile, voilà l'essentiel » ⁽²⁾ .	« قيل لخالد بن طوبال أن أشعاره كانت تقرأ في مراكز المقاومة وفي المعتقلات. فلم يعتره من ذلك زهو ولا فرح. وإنما اعتراه الخوف! الخوف الشديد. هل هو في مستوى الرجال، في مستوى انفجاراتهم وفي مستوى دورهم التاريخي؟ هل يعرف الخوف مثلما يخافون. هل يعرف الاستخفاف بالبطولة كما يجهلون هم أنفسهم أنهم أبطال؟ فهو ليس شيئاً ليكون رجلاً.. لا	

⁽¹⁾ مالك حدّاد، رصيف الزهور، ترجمة: أحمد نظير نشوقي، المرجع السابق، ص 31.

⁽²⁾ Malek HADDAD, *Le quai aux Fleurs ne répond plus*, op. cit., p29.

⁽³⁾ مالك حدّاد، رصيف الأزهار لا يجيب، ترجمة: حنفي بن عيسى، المرجع السابق، ص 32-33.

الفصل الرابع: ————— جليّة الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —————

		شيء، مطلقاً، لا شيء. أما، أن يكون المرء إنسانياً، فهذا هو الصعب وهذا هو الجوهرى»⁽¹⁾. ترجمة: أحمد نظير نشوقي. « قيل لخالد أن أشعاره تقرأ في معسكرات المقاومة وفي السجون. وهو لا يشعر لذلك بأي فخر ولا بأية فرحة، بل بوجل، بوجل شديد، فهل هو حقاً في مستوى أولئك الرجال، في مستوى تفجراتهم وعمق إيمانهم التاريخي؟ هل يعرف كيف يخاف كما يخافون؟ هل يعرف كيف يحتقر البطولات كما يجهلون هم أنهم أبطال؟ ليس مهماً أن يكون المرء من بني الإنسان، ليس ذلك مهماً أبداً، أما أن يكون إنسانياً، فهذا هو الصعب وهذا هو المهم»⁽²⁾.

تستشعر الذات القارئة لهذا المقطع السردى حضور الذات الكاتبة في حنايا عملها الروائي وتُلامسه، كأنّ مالك حدّاد كان يُقارنُ مشواره الأدبيّ – وما قدّمه بوصفه شاعراً وروائياً (راجع الملحق (4)) – بمنّ جاهد بنفسه في سبيل تحرير هذا الوطن. وفي ترجمة هذا المقطع إلى العربية، تجلّت أنا الذات المترجمة الجزائرية (حنفي بن عيسى) وبرز نسق استعداداتها في نقل الجملة الآتية:

« On a dit à Khaled Ben Tobal que dans les maquis, dans les prisons, ses poèmes se lisaient ».

ب: «لقد بلغ مسامع خالد بن طبال [هكذا] أن كثيراً من الناس يرددون أشعاره في الجبال والسجون».

صحيح أن كلمة "Les maquis" حاملة لمعنى "معسكرات المقاومة" (العبارة التي وظّفها المترجم أحمد نظير نشوقي)، و"مراكز المقاومة" (العبارة التي وظّفها المترجم السوري ذوقان قرقوط)؛ ولكن "الجبال" هي التي كانت تُتخذُ مقراً للمُجاهدين الجزائريين، وهذا هو المُقابل السديد في هذا السياق، إنّه بُعدٌ من أبعاد الأنا الجزائرية وتجليّاتها المبتوثة في ثنايا هذه الرواية.

كما اختلفت الذوات المترجمة الثلاث في تأويل هذا التساؤل الجدليّ الذي طرحه مالك حدّاد على لسان بطله خالد:

(1) مالك حداد، ليس في رصيف الأزهار من يجيب، ترجمة: ذوقان قرقوط، المرجع السابق، ص36.

(2) مالك حدّاد، رصيف الزهور، ترجمة: أحمد نظير نشوقي، المرجع السابق، ص31-32.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

« Est-il à la hauteur des hommes, de leurs explosions, de leur vocation historique ? »⁽¹⁾.

ترجمة الجزائريّ حنفي بن عيسى: «كان يتساءل: هل أنا في مستوى الرجال؟ وثورة هؤلاء الرجال، ومطامحهم التي يسجلها التاريخ؟»⁽²⁾.

ترجمة السوريّ ذوقان قرقوط: «هل هو في مستوى الرجال، في مستوى انفجاراتهم وفي مستوى دورهم التاريخي؟»⁽³⁾.

ترجمة أحمد نظير نشوقي: «فهل هو حقا في مستوى أولئك الرجال، في مستوى تفجراتهم وعمق إيمانهم التاريخي؟»⁽⁴⁾.

يُعدُّ توظيف الذات المترجمة الجزائرية (حنفي بن عيسى) عبارة: "وثورة هؤلاء الرجال" مقابلًا لـ: "de leurs explosions"، ضَرْبًا مِنْ ضُرُوبِ الرؤية ما بعد الاستعمارية التي تولّدت مِنْ هابيتوس الذات المترجمة الجزائرية ونسق استعداداتها. في حين اكتفت الذاتان المترجمتان (أحمد نظير نشوقي وذوقان قرقوط) بنقلها حرفيًا بـ: "تفجراتهم" و"انفجاراتهم" على التوالي.

المقطع الثاني والأربعون (أ):

وهنا دخل خالد في مناجاة تُعبّر عن مشاعره العميقة، وأفكاره الدفينة، فقد عبّر عن الآخر الفرنسي بلفظ "les monstres وحوش"، وبأن هذا الاستعمار الوحشي سيُرخل عاجلاً غير آجل، وستُحرّض السجون، وستعمُّ البهجة شوارع الجزائر وجبالها وصحراءها، وسيخلدُ مجدُّ الرجال الذين كانوا بالأمس أطفالاً يتطلعون إلى غدٍ أفضل، وسيُرصّع تاريخهم بأحرفٍ مِنْ ذهب، بوصفهم أساطير الجزائر وعظماءها، الذين — بفضلهم — ستستعيد الجزائر سيادتها وأمنها ومكانتها:

⁽¹⁾ Malek HADDAD, *Le quai aux Fleurs ne répond plus*, op. cit., p29.

⁽²⁾ مالك حداد، رصيف الأزهار لا يجيب، ترجمة: حنفي بن عيسى، المرجع السابق، ص32.

⁽³⁾ مالك حداد، ليس في رصيف الأزهار من يجيب، ترجمة: ذوقان قرقوط، المرجع السابق، ص36.

⁽⁴⁾ مالك حداد، رصيف الزهور، ترجمة: أحمد نظير نشوقي، المرجع السابق، ص31.

« Mais quand ils partiront, les monstres, les monstres subalternes et les monstres omnipotents, les monstres quotidiens, les monstres qui ne ressemblent pas à des monstres et qui sont tous des bénéficiaires, à un degré divers certes, mais tous des bénéficiaires de la monstruosité colonialiste, ils partiront tous, ils s'en iront tous, il ne restera dans les rues de Constantine, dans les maquis, dans les prisons – les maquis redevenus prairies, les prisons vidées –, il ne restera sur les murs de la rue d'Isly et sur ceux d'Aix-en-Provence, au Sahara dont les sables sont tellement blonds que les blés qui sont blonds y refusent de naître, dans la neige si blanche que l'innocence ne peut y comparaître, mais quand ils partiront, ils partiront tous, ils s'en iront et il restera des hommes, ces enfants fabuleux, ces enfants qui ne voyaient pas très clair mais qui voyaient très loin.

Il restera l'amour et le gosse qui n'a plus faim, qui n'a plus froid, qui n'a plus peur, et qui craint déjà de ne plus savoir se souvenir»⁽¹⁾.

ترجمة: حنفي بن عيسى.

«ولكن حينما سيرحل الوحوش سواء منهم الوحوش الصغار أو الوحوش الكبار، أو الوحوش الذين نلتقي بهم كل يوم، أو الوحوش الذين لا يشبهون الوحوش ولكن يستفيدون، على درجات متفاوتة من الاستعمار الوحشي، حينما سيرحلون، سيرحلون كلهم، سيذهبون كلهم ولن يبقى في شوارع قسنطينة وفي الجبال التي ستعود – كما كانت – خضراء، وفي السجون التي ستخوى ممن فيها، لن يبقى على جدران شارع دزلي وشوارع أكس أن بروفانس وفي الصحراء ذات الرمال الشقراء، بل هي شقراء إلى درجة أن سنابل القمح الشقراء ترفض أن تنبت فيها، حينما سيرحلون، سيرحلون كلهم، ولن يبقى فوق الثلوج التي تفوق البراءة في نضاعة بياضها لن يبقى سوى الرجال، أولئك الأطفال الكبار الذين أصبحوا أسطورة يروها التاريخ، أولئك الأطفال الكبار الذين يفكرون في روية وينظرون إلى البعيد. وسيبقى الحب وسيعيش الطفل الذي لا يعرف الجوع والبرد والخوف، ويخشى – إذا حاول أن يتذكر الماضي – أن لا يستطيع ذلك»⁽²⁾.

ترجمة: ذوقان قرقوط.

«ولكن، عندما ترحل هذه الوحوش، الوحوش المأجورة، الوحوش كلية القدرة، الوحوش اليومية، الوحوش التي لا تشبه الوحوش والتي تستفيد جميعها بدرجات متفاوتة وإيم الحق، إلا أنها جميعها تستفيد من الوحشية الاستعمارية. ولسوف ترحل جميع هذه الوحوش وتنصرف من هنا، جميعها، ولن تبقى في شوارع قسنطينة ولا في مراكز المقاومة ولا في المعتقلات والسجون – فإذا الأماكن العاصية المستعصية عادت حقولا والسجون أخليت ولن يبقى على حيطان شارع إيسلي وحيطان أكس – أن – بروفانسي وفي رمال الصحراء الشقراء التي يأبى القمح الأشقر أن ينبت فيها وفي الثلج الأبيض بياضا تخجل البراءة من المثول بين يديه.. ولكن عندما تنصرف هذه الوحوش، فسوف تنصرف جميعها، من هنا، ويبقى الرجال، يبقى هؤلاء الأطفال الأسطوريون، هؤلاء الأطفال الذين لم يكونوا يرون رؤية واضحة جدا إلا أنهم كانوا يرون بعيدا جدا. سوف يبقى الحب والطفل الذي لا يكون جائعا ولا يكون مفرورا ولا يكون خائفا ويكون قد صار يخشى أن لا يتذكر»⁽³⁾.

ترجمة: أحمد نظير نشوقي.

⁽¹⁾ Malek HADDAD, *Le quai aux Fleurs ne répond plus*, op. cit., p29-30.

⁽²⁾ مالك حداد، رصيف الأزهار لا يجيب، ترجمة: حنفي بن عيسى، المرجع السابق، ص33-34.

⁽³⁾ مالك حداد، ليس في رصيف الأزهار من يجيب، ترجمة: ذوقان قرقوط، المرجع السابق، ص36-37.

الفصل الرابع: ————— جليّة الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —————

«لكنهم عندما يذهبون، عندما تذهب هذه الوحوش، هؤلاء الموظفين الصغار هذه الوحوش أصحاب السلطان المطلق، هذه الوحوش التي لا تشبه الوحوش والتي تمتاز بنفعية متفاوتة الدراجات، سيذهبون، سيذهبون، وعندئذ لن يبقى أحد في شوارع قسنطينة وفي معسكرات المقاومة وفي السجون — وتكون عندئذ معسكرات المقاومة قد عادت مروجاً والسجون قد أفرغت — لن يبقى على جدران شارع اسلي وعلى جدران شارع اكسان بروفنس وفي الصحراء ذات رمال الذهب حيث يأبى القمح الذي بلون الذهب أن ينمو، ولن يبقى على الثلوج الناصعة التي لا يمكن للبراءة أن تضاهيها نصاعة، عندما سيذهبون، عندما سيذهبون كلهم، وسيذهبون، سيبقى رجال، شبان الأساطير، الشبان الذين لم يكونوا يرون بوضوح، لكنهم كانوا يتطلعون إلى البعيد، وسيبقى الحب، وسيبقى طفل زال عنه جوعه وخوفه وزمهريره طفل يخاف أن ينسى كيف يتذكر»⁽¹⁾.

وفي هذا المقطع السردى، تُثبت الذات المترجمة الجزائرية (حنفي بن عيسى) مُجدداً اختيارها لـ: "الجال" مُقابلاً لـ: "les maquis" عوضَ المُقابلات الآتية: "معسكرات المقاومة" (العبارة التي وظّفها المترجم أحمد نظير نشوقي)، و"مراكز المقاومة" (العبارة التي وظّفها المترجم السوري ذوقان قرقوط). وما يسترعي الانتباه في هذا المقطع السردى، هو الفعل "ils partiront" الذي قابله المترجم أحمد نظير نشوقي بـ: "سيذهبون"، في حين قرّرت الذات المترجمة الجزائرية (حنفي بن عيسى) توظيف الفعل "سيرحلون"، بينما لجأت الذات المترجمة السورية (ذوقان قرقوط) إلى الفعل "سوف ترحل" تارةً، والفعل "انصرف" بصيغة "تنصرف هذه الوحوش" تارةً أخرى.

لم تُشكّل الذات المترجمة الجزائرية (حنفي بن عيسى) الفعل "سيرحلون" (أي لم تضبط حروفه بالحركات)، وبعد تشكيل الفعل وَوَسَم حروفه بالحركات، يُحصّل على الصيغة الآتية: "سِيرْحَلُون" (من الفعل رَحَلَ)، أي جعلهم يرحلون "les faire partir" (وذلك باستعمال الفعل المتعدي "faire partir")، هذا الفعل الذي يعني إجبارهم على الرحيل. وهنا يكون مقصد قول الذات المترجمة "بأنهم لم يرحلوا بإرادتهم" بل "دُفِعُوا لِلرَّحِيل". وفي هذه الحالة تُدرج الصيغة الناجمة عن الترجمة في خانة نظريات الترجمة ما بعد الاستعمارية واستراتيجياتها التي تخضع للذات المترجمة بوصفها إحدى القوى المُتحكّمة في الترجمة.

(1) مالك حداد، رصيف الزهور، ترجمة: أحمد نظير نشوقي، المرجع السابق، ص32.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

أمّا مُقابَلَة الفعل "ils partiront" بـ "سيرحلون"، مثلما اختارت الذات المُترجمة الجزائرية (حنفي بن عيسى)، فهذا يدلُّ على قُربِ رحيلهم دون التفصيل في طريقة الرّحيل، بخلاف الفعل "سيذهبون" الذي وظّفه المُترجمُ أحمدَ نظير نشوقي، إذ يُوحى بقُربِ ذهابهم دون تصوير طريقة الدّهاب كذلك. أمّا أفعال "سوف ترحل" و"سوف تنصرف" التي وظّفها الذات المُترجمة السّوريّة (ذوقان قرقوط)، فهي أقلّ شحنة ووَفقاً مِنَ الفِعلين "سيرحلون" و"سيذهبون"، فالحرف "سَوْفَ" في العربيّة حرف يختصّ بالفعل المضارع للاستقبال البعيد، وهو أوسع من السين في مدّة الاستقبال، يقتضي معنى التنفيس والمُماطلة والتأخير. وبذا، ترك مُدّة واسعة من أجل أن ترحل تلك الوحوش.

كما تُسجّل الذات القارئة – الجزائرية على وجه التحديد – خطأً معرفياً في ترجمة "les rues de Constantine" بـ "شوارع قسطنطينية" عند المُترجم أحمدَ نظير نشوقي، وبـ "شوارع قسطنطينية" عند الذات المُترجمة السّوريّة (ذوقان قرقوط)، ما قد يُحيل الذات القارئة – العربيّة عامّة – إلى مُدن أخرى غير المدينة الجزائريّة (قسطنطينية).

المقطع الثّاني والأربعون (ب):

وفي سياق المقطع السابق ذاته:

Texte Source de Malek HADDAD.	ترجمة: حنفي بن عيسى.
	«وسيشرق الفجر، وستعود السيادة، أعلى مراتب الحقوق المقدسة، والجزائر التي يسميها البعض من أجل حوادثها اليومية ستذكر الناس أن الفوضى لا تنشأ عن سوء التفاهم ولكن عن الجهل وعدم احترام الغير. سيتركون الدار نظيفة وسيرحلون، وذات يوم سيشرق الفجر مشعا بنوره الوهاج إلى درجة أن اللثام سيتركون الدار نظيفة وسيرحلون. سيرحلون إلى الأبد!» ⁽²⁾ .
	ترجمة: ذوقان قرقوط.
« Royauté retrouvée de tous les droits suprêmes, le matin viendra. L'Algérie qu'on insulte dans tous ses gestes quotidiens rappellera que la discorde ne naît jamais d'un malentendu mais de la méconnaissance et de l'irrespect. Un jour, il fera tellement beau que les imbéciles laisseront la maison propre, ils s'en iront, et qu'ils s'en aillent !... » ⁽¹⁾ .	«أيها السلطان المستعاد، سلطان جميع الحقوق الإلهية، إن الصباح سوف يأتي وهذه الجزائر التي يشتمونها في جميع تصرفاتها اليومية، سوف تذكرهم بأن الشقاق لا ينشأ أبداً من سوء التفاهم بل ينشأ من عدم الاعتراف وعدم الاحترام. وذات يوم سوف يكون الطقس على درجة فائقة من الجمال

⁽¹⁾ Malek HADDAD, *Le quai aux Fleurs ne répond plus*, op. cit., p30.

⁽²⁾ مالك حداد، رصيف الأزهار لا يجيب، ترجمة: حنفي بن عيسى، المرجع السابق، ص34.

الفصل الرابع: ————— جليّة الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —————

	بحيث يغادر هؤلاء الحمقى البيت نظيفاً، وينصرفون. فليذهبوا!...»⁽¹⁾. ترجمة: أحمد نظير نشوقي. «أيها السلطة المستهترة بكل حق مقدس لن يطول انبلاج الصباح. إن الجزائر التي تهان في كل حركة من يومها سوف تذكر الناس أن الشقاق لا ينجم أبداً عن سوء تفاهم بل عن نكران الجميل وعن قلة الاحترام. سيأتي نهار يكون النور فيه ساطعاً لدرجة أن الحمقى – سيتركون البيت نظيفاً ويذهبون. وليذهبوا!...»⁽²⁾.

يرمي مالك حدّاد – من توظيف هذا المقطع السردّي – الإشارة إلى الغير، وأنه لا يُمكن لأيّ كان أن يلوم الجزائر التي تُدافع عن نفسها وتشنّ ثوراتها لتحرير ذاتها من الآخر. وعلى صعيد النّقل إلى العربيّة، وفي ختام هذه الفقرة تحديداً، يقول مالك حدّاد:

« Un jour, il fera tellement beau que les imbéciles laisseront la maison propre, ils s'en iront, et qu'ils s'en aillent !... »⁽³⁾.

ترجمة الجزائريّ حنفي بن عيسى: «وذات يوم سيشرق الفجر مشعا بنوره الوهاج إلى درجة أن اللئام سيتركون الدار نظيفة وسيرحلون. سيرحلون إلى الأبد!»⁽⁴⁾.

ترجمة السوريّ ذوقان قرقوط: «وذات يوم سوف يكون الطقس على درجة فائقة من الجمال بحيث يغادر هؤلاء الحمقى البيت نظيفاً، وينصرفون. فليذهبوا!...»⁽⁵⁾.

ترجمة أحمد نظير نشوقي: «سيأتي نهار يكون النور فيه ساطعاً لدرجة أن الحمقى – سيتركون البيت نظيفاً ويذهبون. وليذهبوا!...»⁽⁶⁾.

وعطفاً على ما سبق تحليله في المقطع السابق، أضافت الذات المترجمة الجزائرية (حنفي بن عيسى) عبارة: «... وسيرحلون. سيرحلون إلى الأبد!»، مُواصلةً توظيف الفعل "سيرحلون" (دون ضبط حروفه بالحركات). وبعد تشكيل الفعلين الواردين في الجملة ووسم حروفهما بالحركات، يتحصّل على

(1) مالك حدّاد، ليس في رصيف الأزهار من يجيب، ترجمة: ذوقان قرقوط، المرجع السابق، ص 37.

(2) مالك حدّاد، رصيف الزهور، ترجمة: أحمد نظير نشوقي، المرجع السابق، ص 32.

(3) Malek HADDAD, *Le quai aux Fleurs ne répond plus*, op. cit., p30.

(4) مالك حدّاد، رصيف الأزهار لا يجيب، ترجمة: حنفي بن عيسى، المرجع السابق، ص 34.

(5) مالك حدّاد، ليس في رصيف الأزهار من يجيب، ترجمة: ذوقان قرقوط، المرجع السابق، ص 37.

(6) مالك حدّاد، رصيف الزهور، ترجمة: أحمد نظير نشوقي، المرجع السابق، ص 32.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

الصيغة الآتية: «... سيُرحّلون، فليُرحّلوا فوراً!...». وعلى هذا النحو، تكون الذات المترجمة قد أضفت لمسة من لمسات استراتيجيات نظرية الترجمة ما بعد الاستعمارية، التي تتدخل فيها الذات المترجمة مباشرة في سيرورة النقل. بينما واصلت الذات المترجمة (أحمد نظيرنشوقي) لجوءها للفعل «... ويذهبون. وليذهبوا!...»، كما فضلت الذات المترجمة السوروية (ذوقان قرقوط) المحافظة على الفعل «... وينصرفون. فليذهبوا!...»، غير أن هذه الصيغة الأخيرة حملت في طياتها معاني الضجر (من الآخر) والأمر (أمره بالرحيل)، تماشياً وصيغة الفعل في لغته الأصل «... et qu'ils s'en aillent!».

المقطع الثالث والأربعون:

Texte Source de Malek HADDAD.	ترجمة: حنفي بن عيسى. «لقد أصبح من الضروري في هذا العصر أن تكثر الاتصالات بين الناس، وأن يعاد النظر في سائر الأشياء، وأن يقع الاختيار على جملة من القيم. وأصبح من الضروري أن يكون لكل مجتمع شاعر يحدث الناس، ويرغمهم على أن يقبلوه بين صفوفهم، ويفرض نفسه عليهم وحرب الجزائر... هذه الحرب التي تشنها فرنسا، بالرغم من أن الناس كانوا يتوقعونها، إلا أنها مع ذلك معجزة أليمة من معجزات هذا العصر.»⁽²⁾
	ترجمة: ذوقان قرقوط. «ينبغي لنا أن نلتقي بالرجال ونعيد طرح جميع الأمور ونعيد النظر في كل شيء وأن نتخير كل شيء. وينبغي أن نقدم لهم شاعراً، يخاطبهم ويعمل على أن يحظى بقبولهم واستحسانهم وينال احترامهم. ولو أنها كانت متوقعة فإن حرب الجزائر، حرب فرنسا، تبقى عجيبة أفسى العجب.»⁽³⁾
	ترجمة: أحمد نظيرنشوقي. «يجب أن يعود لملاقة الناس، ليعيد طرح كل المسائل، ليعيد النظر بكل شيء، لينتقي كل شيء. يجب أن يقدم للناس شاعراً، أن يتكلم معهم أن يجعلهم يتقبلونه ويرضون به، يجب أن يفرض شخصيته بينهم. ولو أن حرب الجزائر، حرب فرنسا، قد استدركت لما كانت في شدة غرابتها أقل مما هي عليه الآن...»⁽⁴⁾
	« Il faudra rencontrer les hommes, tout remettre en question, tout revoir, tout choisir. Il faudra leur offrir un poète, leur parler, se faire admettre, se faire accepter, s'imposer. Si elle était prévue, elle n'en demeure pas moins durement miraculeuse, la guerre d'Algérie, la guerre de la France... »⁽¹⁾.

⁽¹⁾ Malek HADDAD, *Le quai aux Fleurs ne répond plus*, op. cit., p35.

⁽²⁾ مالك حداد، رصيف الأزهار لا يجيب، ترجمة: حنفي بن عيسى، المرجع السابق، ص 40.

⁽³⁾ مالك حداد، ليس في رصيف الأزهار من يجيب، ترجمة: ذوقان قرقوط، المرجع السابق، ص 43.

⁽⁴⁾ مالك حداد، رصيف الزهور، ترجمة: أحمد نظيرنشوقي، المرجع السابق، ص 38.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

ينسخُ هذا المقطع السرديّ مشهداً روائياً تتبدّى فيه حالة الأنا المثقّفة التي تُريدُ فرض نفسها. فيها هو ذا خالد يُحاولُ إثبات نفسه وإبراز كيانه في قوله إنّه آن الأوان أن يُقدّم نفسه شاعراً يُكافحُ بكلماته ويفرضُ وجوده بين الرجال المناضلين في الجبال، إذ أبي إلا أن يُسجّل اسمه في قائمة المدافعين عن بلده، في هذه الحرب الشّعواء التي تقودها فرنسا على الجزائر.

وفي ترجمة هذا المقطع السردّي إلى العربيّة، تدخلت أنا الذات المترجمة الجزائرية (حنفي بن عيسى) مُتمثلةً في نسق استعداداتها التي مكّنتها من إضافة عبارة شارحة في هذه الجملة المنقولة إلى العربيّة: «... وحرب الجزائر... "هذه الحرب التي تشنها فرنسا"...»، مُوضحةً بأن الحرب التي تشنها فرنسا على الجزائري معجزة أليمة من معجزات العصر. بخلاف ما لجأ إليه المترجم أحمد نظير نشوقي في نقله للجملة المُشار إليها بالوجه الآتي: «... ولو أن حرب الجزائر، حرب فرنسا، قد...»، فقد كان النّقل هنا نقلاً حرفياً نجم عنه غموض من شأنه تأريق الذات القاريّة وإرباكها. والنّقل الحرفي ذاته تُصادفه الذات القاريّة في ترجمة ذوقان قرقوط للجملة المذكورة بـ: «... ولو أنها كانت متوقعة فإن حرب الجزائر، حرب فرنسا، تبقى...». لقد تولّد هذا النّقل الحرفي من جرّاء التشبُّث بالأصل، إذ لجأت الذاتان المترجمتان إلى الجملة الاعتراضية (بين فاصلتين) دون التصرّف ومن ثمّ إجلاء المعنى المُضمر.

المقطع الرابع والأربعون (أ):

لقد خلقت الجلسة التي جمعت خالد وعائلة سيمون، خاصّة في مشهد إهداء خالد نيكول الصغيرة ومونيك وسيمون بعض الهدايا، جدليّة الأنا والآخر، فكانت تلك الهدايا تحملُ رموزاً كثيرةً مثلما توضّحه المقاطع المُشار إليها أدناه:

Texte Source de Malek HADDAD.	« Khaled avait offert à la petite Nicole une poupée algéroise, une adorable miniature troublante de poésie réelle et de fidélité au modèle. [...] La petite Nicole remarqua : - Ici, les femmes arabes ne sont pas habillées comme ça..., mais elle est belle quand même. Comment s'appelle-t-elle ? - Elle s'appelle Houria, fit Khaled. La gosse répéta : - Comment dis-tu ? Ouria ? - Non, Houria, précisa Khaled, pas Ouria, Houria, avec « heu », n'arrives-tu pas à dire « heu » ? L'enfant essaya mais en vain » ⁽¹⁾ .	ترجمة: حنفي بن عيسى. «وكان خالد قد أهدى إلى نيكول الصغيرة، دمية ترتدي ثياباً جزائرية، وكانت الدمية صورة مصغرة، رائعة الجمال توهم الناظر إليها أنها تكاد تنطق لشيء القوي للنموذج الأصلي [...] وأبدت نيكول الصغيرة هذه الملاحظة: - ثياب النساء العربيات هنا لا تشبه ثياب هذه الدمية. ومع ذلك فإنها جميلة، ما هو اسمها؟ فقال خالد: - اسمها حرية. فأعادت الطفلة الصغيرة:

⁽¹⁾ Malek HADDAD, *Le quai aux Fleurs ne répond plus*, op. cit., p43-44.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

		- ماذا تقول؟ أريّة؟ وقام خالد بتصحيح خطئها: - لا. لا إنني أقصد حرية لا أريّة، باستعمال حرف الحاء، ألا تستطيعين أن تلفظي حرف الحاء؟ وحاولت الطفلة ذلك عبثاً⁽¹⁾. ترجمة: ذوقان قرقوط. «كان خالد قد قدم هدية إلى نيقول الصغيرة، عروسة جزائرية تكاد تكون تحفة، تغلب اللب بشاعريتها الحقيقية المثيرة ومحاسنها الآمنة للأصل [...] ولاحظت نيقول الصغيرة: - النساء العربيات هنا، لا يرتدين مثل هذه الثياب.. لكنها جميلة رغم كل شيء. فما اسمها؟ فقال خالد: - حرية. ورددت الصغيرة: - ماذا تقول؟ أوريّة. وأردف خالد يحدد نطقها: - كلا بل حرية لا أوريّة، حرية بالحاء ألا تتمكنين من نطق الحاء؟ فحاولت الطفلة ولكن عبثاً⁽²⁾. ترجمة: أحمد نظير نشوقي. «وكان خالد قد قدم كهديّة لنيكول الصغيرة عروساً جزائرية مثيرة بشاعريتها وبكونها صورة مصغرة مطابقة كل المطابقة للأصل. [...] وسألته نيكول: - عندنا لا تلبس النساء العربيات هذا اللباس. إلا أنها جميلة. ما اسمها؟ وأجابها خالد: - اسمها حرية. وأعادت الصغيرة الاسم. - ماذا تقول؟ أريّة؟ وصحح لها خالد: - كلا، حرية وليس أريّة. الفظي «حو» ألا تستطيعين لفظ «حو»؟ وجربت الطفلة أن تلفظ «حو» ولكن دون جدوى⁽³⁾.

وفي ترجمة الشقّ الأوّل من هذا المقطع السرديّ إلى العربيّة، لجأ المترجم أحمد نظير نشوقي إلى النّقل الحرفيّ لجملة: «كلا، حرية وليس أريّة. الفظي «حو» ألا تستطيعين لفظ «حو»؟ وجربت الطفلة

(1) مالك حداد، رصيف الأزهار لا يجيب، ترجمة: حنفي بن عيسى، المرجع السابق، ص 50-51.

(2) مالك حداد، ليس في رصيف الأزهار من يجيب، ترجمة: ذوقان قرقوط، المرجع السابق، ص 53.

(3) مالك حداد، رصيف الزهور، ترجمة: أحمد نظير نشوقي، المرجع السابق، ص 47-48.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

أن تلفظ «حو» ولكن دون جدوى»، مُتَشَبِّهًا بالأصل. في حين اكتفت الذاتان المُترجِمَتان (حنفي بن عيسى وذوقان قرقوط) بِذِكْرِ حرف "الحاء" دون التركيز على سياق لفظ هذا الحرف مثلما ورد في الأصل، «heu» أي "حو". واسم «Ouria» يُقَابِلُهُ لفظ «أورية» مثلما نقلت الذات المُترجمة السوروية (ذوقان قرقوط) أفضل مِنْ نقلِ "أرية" عند الذات المُترجمة أحمد نظير نشوقي، و"أرية" عند الذات المُترجمة الجزائرية حنفي بن عيسى.

المقطع الرابع والأربعون (ب):

وفي سياق المقطع السردِيّ نفسه، كانت الدُمِيَّة التي أهداها خالد لنيكول دُمِيَّةً بملابس جزائرية (بأزياء عاصمية على وجه التحديد)، وكانت تسميتها الرمزية مِنْ خيارات الهوية (بُعْد مِنْ أبعاد الأنا) التي بثتها الذات الكاتبة (مالك حدّاد) في شخصيات روايتها. ثُمَّ سألت نيكول الصغيرة خالد عن اسم الدُمِيَّة، فكانت إجابة خالد مُختارة بعناية فائقة، بحيث اختار لفظ "حرية" الذي لم تستطع نيكول نُطقه، لِعُسْرِ التلفظ بالحرف السَّادِس مِنْ حُرُوف الهجاء عند الأعاجم، أي حرف "الحاء" (لأن حرف "الحاء" حرف مَهْمُوس رَخُو ومخرجه مِنْ وسط الحلق). بعدها سألتها عن دلالة هذه التسمية، فأجابها بمقابل لفظة "الحرية" بالفرنسية "liberté"، ليظهر أن الصغيرة لم تكن تعرف إطلاقاً معنى الحرية. وهنا تُمَثِّل شخصية نيكول الآخر البريء الذي يُولَدُ نَقِيًّا طاهرًا:

Texte Source de Malek HADDAD.	« - Et ça veut dire quoi, Ouria ? - Ça veut dire : liberté. - Et liberté, ça veut dire quoi ? La question était de taille. Simon souriait de son sourire très fin, à peine ébauché. Monique s'était noué le foulard autour du cou et, à l'endroit même de sa gorge, on pouvait lire le nom de Khaled Ben Tobal et le titre de son dernier ouvrage. - Alors, ça veut dire quoi, liberté ? - Ma chérie, ça veut dire qu'on peut faire dodo quand on veut et chanter les chansons que l'on veut. Nicole hocha gravement la tête, sembla se perdre dans on ne sait quelles réflexions tout en enveloppant d'un geste maternel la poupée dans ses bras. - Liberté, ça veut dire qu'on peut sucer son pouce quand on veut ? Khaled ne sut que répondre : - Liberté, ça veut dire qu'une poupée comme Nicole peut faire dodo avec une poupée	ترجمة: حنفي بن عيسى. «- وماذا تعني كلمة «أرية»؟ - إنها تعني: ليبرتي. - وماذا تعني كلمة ليبرتي؟ كان السؤال على غاية من الأهمية. وانفجرت شفتا خالد عن ابتسامة خفيفة. كانت مونيك قد عقدت المنديل حول عنقها فظهر اسم خالد بن طبال وعنوان كتابه الأخير في جيدها بالضبط. - قل لي، ماذا تعني كلمة ليبرتي؟ - يا عزيزتي معناها أن ينام الإنسان حينما يريد، وأن ينشد الأناشيد التي يحبها. وهزت مونيك رأسها يميناً وشمالاً، واهتمت في عالمها الخاص بينما كانت تضم بين ذراعيها دُميتها كما تفعل الأمهات. - هل تعني كلمة الحرية أن الإنسان يستطيع أن يمص إبهامه متى شاء؟ وارتج على خالد⁽¹⁾ فاكتفى بالقول:

الفصل الرابع: ————— جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —————

comme Houria. Khaled prononçait ce prénom avec évidemment l'accent qu'il fallait. »⁽¹⁾.	- الحرية، معناها أن دمية مثل نيكول تستطيع إذا شاءت أن تنام مع دمية مثل «حرية». ولفظ خالد اسم الدمية لفظاً صحيحاً. (¹) يقال: أرتج عليه إذا احتار الإنسان ماذا يقول (المترجم).»⁽²⁾. ترجمة: ذوقان قرقوط. «- وماذا تعني أورية. - إنها تعني لبييرتيه بالفرنسية. - وليبيرتيه هذه تعني ماذا؟ كان السؤال في قدها وراح سيمون يبتسم ابتسامته التي لا تكاد ترتسم لفرط نعومتها على حين عقدت مونيك المنديل حول عنقها فظهر اسم خالد بن طوبال وعنوان كتابه الأخير واضحاً كل الوضوح عند نحرها. - إذن تعني ماذا كلمة لبييرتيه. - إنها تعني يا عزيزي أنه يمكننا أن ننام ساعة نشاء وأن ننشد الأغنيات التي نريدها. وهزت نيقول رأسها جادة وبدت كأنها تشرّد في ألوان من التأمّلات مجهولة وهي تضم عروسها بين ذراعيها بحركة من حركات الأمومة. - فهل تعني كلمة لبييرتيه أن الإنسان يستطيع مص إبهامه متى أراد؟ ولم يدر خالد بما يجب. - لبييرتيه، تعني أن عروسة مثل نيقول تستطيع النوم مع عروسه حرية. كان خالد بالطبع ينطق الكلمة كما ينبغي لها بالعربية، بالحاء»⁽³⁾. ترجمة: أحمد نظير نشوقي. «- وماذا يعني ذلك؛ «أرية». - ذلك يعني الحرية. - والحرية، ماذا يمكن أن تعني؟ كان السؤال بمستواها. وكانت مونيك قد لفت عنقها بالمنديل وبدأ عند حنجرتها تماماً اسم خالد بن طوبال واسم آخر مؤلفاته. - نعم؟ ماذا تعني حرية؟ - هذا يعني يا حبيبتي أن للمرء أن ينام متى يشاء وأن يغني متى يشاء كل الأغاني التي يحبها. وهزت نيكول رأسها بجد ظاهر وكأنها قد ضاعت في بحر من التأمّلات وقالت وهي تحتضن لعبتها بين ذراعيها:

(2) مالك حداد، رصيف الأزهار لا يجيب، ترجمة: حنفي بن عيسى، المرجع السابق، ص 51.

(1) Malek HADDAD, *Le quai aux Fleurs ne répond plus*, op. cit., p44.

(3) مالك حداد، ليس في رصيف الأزهار من يجيب، ترجمة: ذوقان قرقوط، المرجع السابق، ص 53-54.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

	- وهل تعني الحرية أيضاً أن باستطاعتي أن أمتص إيهامي متى أشاء؟ ولم يعرف خالد بماذا يجيبها. - الحرية تعني أن عروساً كنيكول تستطيع النوم مع عروس كحرية وكان خالد يشدد على لفظ كلمة حرية بالشكل العربي الصحيح⁽¹⁾.

وفي ترجمة الشقّ الثاني من هذا المقطع السرديّ إلى العربية، فضّلت الذاتان المترجمتان (حنفي بن عيسى ولا سيّما ذوقان قرقوط) اقتراض كلمة "liberté" على النّحو الآتي: "ليبرتي" عند حنفي بن عيسى، و"ليبيرتيه" عند ذوقان قرقوط، تماشيًا وطبيعة الأصل الذي أراد فيه خالد مُقابَلة معنى "الحرية" بالفرنسيّة "liberté". وعلى هذا الأساس، لجأت الذاتان المترجمتان إلى اقتراض هذه الكلمة من الفرنسيّة إلى العربيّة لإحالة الذات القاريّة إلى أن: "ليبرتي" أو "ليبيرتيه" هي المُقابل الفرنسيّ الذي وظّفه الراوي (الذات الكاتبة) على لسان بطله خالد. في حين قرّر المترجم أحمد نظير نشوقي ترجمة الكلمة بالعربيّة "حرية" دون التفصيل في المسألة، وهذا ما أفقَدَ سيرورة النّقل إلى العربيّة وقَعَهَا وتجسيدها لأبعاد الأنا التي اتّخذتها كلمة "الحرية" في هذا المقطع السرديّ.

كما لجأت الذات المترجمة الجزائرية (حنفي بن عيسى) إلى شرح كلمة «وارتج على خالد⁽¹⁾» في الهامش على النّحو الآتي: «⁽¹⁾ يقال: ارتج عليه إذا احتار الإنسان ماذا يقول (المترجم)»، والفعل «ارتج» حامل لمعاني الاضطراب والاهتزاز بشدّة، أو الشخص الذي اختلط عليه الأمر والتبس. وهنا تكون الذات المترجمة الجزائرية قد حاولت نقل التأثيرات ذاتها المبتوثة في الموقف الأصل من شدّة وقَع السؤال الذي طرحته نيكول الصغيرة (صورة الآخر البريء) على خالد (صورة الأنا الواعيّة) في حضرة عائلة سيمون وزوجته مونيك (صورة الآخر الواعي).

المقطع الرابع والأربعون (ج):

وبعد سؤال نيكول عن معنى الحرّية، تبسم سيمون ابتساماً رفيعةً من شدّة حجم هذا السؤال ووقّعهِ على خالد، لما يحمله من دلالات، بيد أن خالد حاول تكييف إجابته حسب مستوى نيكول الصغيرة. بعدها تدخل سيمون (الذي يُمثّل الآخر الواعي بما يقول) وحاول تذكير خالد بزواجه وزيّدة مُقترحاً تسمية نيكول للدمية بـ «زيّدة» حتّى يسهل عليها (أي على نيكول) نُطقها:

(1) مالك حدّاد، رصيف الزهور، ترجمة: أحمد نظير نشوقي، المرجع السابق، ص 48.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

Texte Source de Malek HADDAD.	
	ترجمة: حنفي بن عيسى. «- لا يا كالد «لم تكن تستطيع أن تلفظ: خالد»، من الصعب علي أن ألفظ كلمة حرية بالعربية. بلى. إن ذلك لمن الصعب. لذلك سأسميها أرية. وتدخل سيمون: - سمعها وريدة، يكن ذلك أحسن. سمعنا وطاعة يا أبي، فذلك أسهل. وماذا تعني كلمة وريدة؟ فشرح لها خالد: معناها: الوردة الصغيرة. فصفت نيكول بحماس، منشرحة: - إنني أعرف الورد الصغيرة كل المعرفة. لقد رأيته تنبت في الحديقة. أما الحرية فلم أشاهدها في الحديقة أبدا، أليس كذلك يا بابا؟ ... وكان قد مضى حينئذ شطر كبير من الليل، فأخذت الطفلة إلى سريرها لتنام»⁽²⁾.
	ترجمة: ذوقان قرقوط. «- كلا يا كالد (لم تكن تقول خالد) من الصعب نطق كلمة ليبييرته بالعربية. أجل أن نطقها خشن. أورية أسهل. لسوف أدعوها أورية. وتدخل سيمون. - بل الأخرى أن تسميها وريدة. - بكل طيبة خاطر. وريدة كلمة أسهل. وماذا تعني وريدة؟ وشرح خالد: - تعني وردة صغيرة. فصفت نيقول بيديها، متألقة: - أعرف الوريدات الصغيرات، فهي تنبت في الحديقة. ولم أرفي الحديقة أبدا أورية. أليس كذلك يا بابا؟ كان موعد نوم الصغيرة قد فات فاضجعت في سريرها»⁽³⁾.
	ترجمة: أحمد نظير نشوقي. «- كلا، هل ترى يا كالد (لم تكن تلفظ «خالد» أبداً) أن هذا الاسم أصعب من أن يلفظ بالعربية. نعم صعب جداً، أرية أسهل سأدعوها أرية. ويتدخل سيمون:
	« - Non, tu vois, Kaled (elle ne disait pas Khaled), c'est trop dur à dire, la liberté, en arabe. Oui, c'est trop dur. Ouria, c'est plus facile. Je l'appellerai Ouria... Simon intervint : - Appelle-la plutôt Ourida. - Je veux bien, Ourida, c'est plus facile. Et qu'est-ce que ça veut dire, Ourida ? - Ça veut dire petite rose, expliqua Khaled. Nicole battit les mains, radieuse : - Les petites roses, je les connais, il en pousse dans le jardin. Je n'ai jamais vu de liberté dans le jardin, hein, papa ?... Il se faisait tard. On coucha la petite.»⁽¹⁾.

⁽¹⁾ Malek HADDAD, *Le quai aux Fleurs ne répond plus*, op. cit., p45.

⁽²⁾ مالك حداد، رصيف الأزهار لا يجيب، ترجمة: حنفي بن عيسى، المرجع السابق، ص 51-52.

⁽³⁾ مالك حداد، ليس في رصيف الأزهار من يجيب، ترجمة: ذوقان قرقوط، المرجع السابق، ص 54-55.

الفصل الرابع: ————— جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —————

	- سمها بالأحرى وريدة. - أحب أن أدعوها وريدة. فذلك أسهل، ولكن ماذا تعني هذه الكلمة؟ وبشرح خالد الكلمة: - إنها تعني الوردة الصغيرة. وتصفق نيكول بيديها فرحة: - الوردود الصغيرة! إنني أعرفها، إنها تنبت في الحديقة، أما الحرية فلم أرها أبداً في الحديقة أليس كذلك يا بابا؟ كان الوقت قد تأخر. وذهبت نيكول لتنام⁽¹⁾.

وفي ترجمة هذا المقطع إلى العربية، تُواصل الذات المترجمة السوروية (ذوقان قرقوط) افتراضها كلمة "ليبيرته" في سياق صُعوبة نطق نيكول الصغيرة لهذه الكلمة بالعربية. كما عبّرت عن كلمة "liberté" بـ "أورية" في سياق حديث نيكول عن رؤيتها الوردود الصغيرة تنبت في الحديقة بيد أنها لم تر "الحرية" تنمو هناك البتة. في حين حاولت الذاتان المترجمتان (أحمد نظير نشوقي وحنفي بن عيسى) ترجمتها إلى العربية مباشرة.

المقطع الخامس والأربعون:

وحول معنى الوطن، وهو بُعد من أبعاد الأنا المبتوثة في الرواية، فلا يمكن – حسب الراوي – أن يُدرّس مثل درس الحساب، ولا يُشرح بكلمات معدودة، ولا يُحكى بوصفه حكاية؛ بل إنّ المسألة تُعنى بكيان ماثوث في رُوح الإنسان، يُجبل عليه المرء منذ نعومة أظفاره. فالوطن في مناجاة خالد هو:

ترجمة: حنفي بن عيسى.	
«وماذا تعني كلمة الوطن؟ الوطن هو الماضي الحافل بالذكريات. بلى. إنه الماضي قبل كل شيء. كلمة الوطن قد تشير مثلاً إلى أولئك الذين أرغموا على أن يعيشوا على هامش الحياة، أو الفلاحين ذوي المظلات الثقيلة، أو الرجال الذين يضمنهم الجوع، وتصفعهم الأيدي. وقد تشير كلمة الوطن إلى وباء التيفوس الذي اجتاح البلاد في سنة ١٩٤٢، والشارع الخالي من المارة بعد إعلان حالة الطوارئ والأزقة الضيقة التي يذوب فيها القطران في شهر يوليو وقصة شميني بالقرب من غابة أكفاد مع المعلم البروطاني ايف، بلى، ايف الذي كان معه في غاية اللطف. ولكن كلمة الوطن توقظ في خياله قبل كل شيء صورة وريدة وقد شملها بنظراته وضمها بين ذراعيه وأحاطها بهالة من البطولة والحنان. إن الوطن الذي يؤمن به أمام الله والناس الوطن الذي يؤمن به في أيام المحنة، هو وطن الغابات	« Et le pays, c'est le passé, c'est d'abord le passé. C'est la sieste imposée dans la pénombre des vacances, les fellah aux lourds chapeaux de paille, les hommes qui ont faim, les hommes qui ont froid, les hommes qu'on gifle. C'est l'épidémie de typhus des années 42, c'est la rue-état-d'urgence, c'est la ruelle qui voit le goudron se ramollir au beau mois de juillet, c'est Chemini à l'orée d'Ak-Fadou avec l'instituteur breton – Yves bien sûr – qui était tellement gentil. Mais c'est d'abord Ourida dans les bras de mes regards, dans les bras de ma confiance, dans mes bras pour dessiner au ciel sa silhouette de légende et ma tendresse de tous les jours. Dans la merveilleuse sagesse du malheur, devant Dieu et devant les hommes, ma patrie devenait la promesse des forêts bienheureuses, des sables assoupis, des montagnes honorables

(1) مالك حداد، رصيف الزهور، ترجمة: أحمد نظير نشوقي، المرجع السابق، ص 48-49.

الفصل الرابع: ————— جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجرائرية إلى العربية —————

	et des gamins qui jouent aux osselets dans la rue des Arabes... »⁽¹⁾.	الوارفة السعيدة، والرمال الهامدة الهادئة، والجبال التي تحافظ على شرف الأجيال، والأطفال الصغار الذين يلعبون لعبة العظام⁽¹⁾ في الأحياء العربية. (1) لعبة العظام نوع من ألعاب الأطفال – المترجم – «(2). ترجمة: ذوقان قرقوط. «ذلك أن البلاد هي الماضي. إنها الماضي قبل كل شيء. فهي الملاذ الذي يلجأ إليه في أوقات الراحة بعيداً عن الشهرة وهي أولئك الفلاحون بقبعاتهم القش الثقيلة والرجال الجائعون والرجال المغرورون والناس الذين يصفعون. وهي وباء التيفوس في سنين كسنة ٤٢ وهي شارع السير في حالة السرعة وهي الزقاق الذي يصير فيه الزفت لدنا من حرارة الشمس في شهر تموز وهي قرية شيميني الواقعة على تخوم غابة الأكفادو ومعلمها البريتوني – ايفز بالطبع – الذي كان على جانب وافر من اللطف. لكن البلاد هي قبل كل شيء وريدة تحيط بها رعايتي وتشملها نظراتي وفي حى ثقتي وبين ذراعي لكي أرسم في السماء طيف أسطورتها ورقتي في كل يوم. ففي حكمة الشقاء العجيبة وأمام الله وأمام الناس يصبح وطني هو وعد الغابات السعيدة والرمال الغافية والجبال المكربة والصبية العابثين الذين يلعبون بالكعاب في شارع العرب...»⁽³⁾. ترجمة: أحمد نظير نشوقي. «والوطن هو الماضي. هو الماضي قبل كل شيء. هو القيلولة التي تفرض عليك فرضاً في ظل العطلات. هو الفلاح الذي يعتمر قبعة من القش. هو الرجال الجائعون الذين يرتجفون برداً، هو الرجال إذ يُصفعون؛ هو وباء التيفوس سنة ١٩٤٢، هو شارع «الحالة المستعجلة» هو الشارع الصغير حيث تشعر بالأسفلت يطري تحت قدميك في شهر تموز الجميل، هو «شاميني» في طرف غابة أكفادو مع الأستاذ ايف. لكنه قبل كل شيء أيضاً وريدة إذ أعانقها بنظراتي وبذراعي والثقة التي تغمرني كي أرسم في السماء أسطورة شبحها وحناني الدائم. وهكذا في حكمة الشقاء العجيبة وأمام الله وأمام بني الإنسان يصبح وطني وعد الغابات السعيدة والرمال الغافية والجبال الكريمة، يصبح وطني وعد الأولاد وهم يلعبون بقطع العظام في حي العرب...»⁽⁴⁾.

(2) مالك حداد، رصيف الأزهار لا يجيب، ترجمة: حنفي بن عيسى، المرجع السابق، ص 88–89.

(1) Malek HADDAD, *Le quai aux Fleurs ne répond plus*, op. cit., p72.

(3) مالك حداد، ليس في رصيف الأزهار من يجيب، ترجمة: ذوقان قرقوط، المرجع السابق، ص 95.

(4) مالك حداد، رصيف الزهور، ترجمة: أحمد نظير نشوقي، المرجع السابق، ص 83.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

خالفت الذات المترجمة السورية (ذوقان قرقوط) الذاتان المترجمتان (أحمد نظير نشوقي وحنفي بن عيسى) في اختيارها كلمة "البلاد" مُقابلًا لكلمة "le pays"، في حين قابلت كلمة "la patrie" — في موضع آخر — بـ "الوطن". بينما اختارت الذاتان المترجمتان (أحمد نظير نشوقي وحنفي بن عيسى) كلمة "الوطن" مُقابلًا للكلمتين الفرنسيّتين "le pays et la patrie" معًا. كما خالفت الذات المترجمة الجزائرية (حنفي بن عيسى) الذاتان المترجمتان (أحمد نظير نشوقي وذوقان قرقوط) في نقلها عبارة: "des montagnes honorables" بـ "والجبال التي تحافظ على شرف الأجيال". لقد تأتّى هذا التأويل من جرّاء معرفة الذات المترجمة الجزائرية بأن "الجبال" هي التي كانت تتخذ مقرًا للمجاهدين الجزائريين المدافعين عن شرف الجزائر (مثلما هو مُشارٌ إليه في المقطع الحادي والأربعين)، وهذا ضرب من ضروب النظرة ما بعد الاستعمارية في الترجمة، تُحاول فيها الذات المترجمة الانتصار لترجمتها بتأويل الذات المكتوبة الأصل وفق مشروع الترجمة وأغراضه. بينما نقل أحمد نظير نشوقي العبارة ذاتها بـ "والجبال الكريمة"، أمّا الذات المترجمة السورية (ذوقان قرقوط) فقد اختارت العبارة الآتية: "والجبال المكرمة"، تماشيًا والأصل. كما لجأت الذات المترجمة الجزائرية (حنفي بن عيسى) إلى الحاشية السفلية بُغية شرح "لعبة العظام"^(١) بـ: «(١) لعبة العظام نوع من ألعاب الأطفال — المترجم —».

المقطع السادس والأربعون:

Texte Source de Malek HADDAD.	« Et puis, il y eut cette réflexion vers Chalon ou Lyon : - Mon père, vous ne les connaissez pas. « Les », c'étaient les Arabes. Ensuite, il y eut le journal – non, c'était avant Lyon, avant les fleuves sournois. Et dans ce journal que Monique-jeudibleu lui avait acheté, Khaled put lire, en troisième page, en italique, écrit tout petit, cette nouvelle sans importance : <i>Recrudescence du terrorisme en Algérie</i> (Ça, c'est le titre, il est écrit plus gros.) Puis, la nouvelle sans importance : ... A Constantine, boulevard de l'Abîme, des terroristes ont assassiné une femme musulmane et un lieutenant parachutiste. La malheureuse victime avait affirmé sa croyance en une Algérie française en participant à une tournée avec la générale X... Elle avait rompu depuis plusieurs mois avec son mari, le pseudo-écrivain Khaled Ben Tobal, à qui seule une	ترجمة: حنفي بن عيسى. «... وقبل وصول القطار إلى مدينة شالون أوليون قال خالد للخوري - يا أبي، إنك لا تعرفهم. وكان يقصد بذلك العرب، سكان الجزائر. ثم فتح الجريدة، لا: بل حدث ذلك قبل وصول القطار إلى ليون وقبل اجتياز الأنهار التي تنساب في المروج. وفي هذه الجريدة التي اشتريتها له مونيك العزيزة، قرأ خالد في الصفحة الثالثة مكتوبًا بحروف مائلة صغيرة، قرأ هذا الخبر العادي: «ازدياد النشاط الإرهابي في الجزائر». هذا هو العنوان. وهو مكتوب بحروف غليظة ثم قرأ هذا الخبر: «قتل الإرهابيون امرأة مسلمة وضابطًا من المظليين وذلك في شارع كاف شكارا بمدينة قسنطينة، وكانت المرأة التي ذهبت ضحية هذا العمل الإجرامي قد عبرت عن إيمانها بالجزائر الفرنسية، وذلك باشتراكها في حملة للدعاية قامت بها زوجة الجنرال س.. ومن الجدير بالذكر أن هذه المرأة قد قطعت منذ عدة أشهر علاقتها

الفصل الرابع: جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية

	carence des autorités permet encore de s'exprimer...»⁽¹⁾.	مع زوجها خالد بن طبال الذي يدعي أنه كاتب والذي ما كان ليمارس الكتابة في هذه الظروف لولا تهاون السلطات...»⁽²⁾. ترجمة: ذوقان قرقوط. «... وقبيل شالون أوليون أطلق أحدهم هذه الفكرة: - أنت لا تعرفهم يا أبتى. والضمير «هم» يعني العرب. بعد ذلك جاء دور الجريدة - كلا، كان ذلك قبل الوصول إلى ليون، قبل الأنهار التي تخفي ما تبطن. في هذه الجريدة، التي اشترتها له مونيك - الخميس - الأزرق قرأ خالد بن طبال في الصفحة الثالثة هذا الخبر الذي لا أهمية له - مكتوباً بحروف صغيرة: «تصاعد الإرهاب في الجزائر» (هذا هو العنوان كتب بأحرف أكبر) ثم يليه الخبر، عديم الأهمية: «... اغتال بعض الإرهابيين امرأة مسلمة وضابطاً مظلياً في شارع الهوة بقسطنطينة. وقد سبق للضحية البائسة تأكيد اعتقادها في قيام جزائر فرنسية وذلك باشتراكها في جولة دعائية مع زوجة الجنرال X... وقطعت منذ عدة شهور علاقتها بزوجها الكاتب صاحب الاسم المستعار خالد بن طوبال، هذا الكاتب الذي ما يزال الافتقار إلى السلطة يسمح له بالتعبير...»⁽³⁾. ترجمة: أحمد نظير نشوقي. «... وبالقرب من «شالون أوليون» جرى هذا الحديث: - إنك لا تعرفهم يا أبتاه. وال «هم» تعني العرب. ثم الصحيفة - كلا، كان ذلك قبل ليون، قبل الأنهر الخبيثة -. في هذه الصحيفة التي اشترتها له مونيك - الخميس الأزرق - استطاع خالد أن يقرأ هذا الخبر وقد طبع من الصفحة الثالثة بخط صغير دون أن يعطى أية أهمية: اشتداد موجة الارهاب في الجزائر. (كان هذا هو العنوان وقد كتب بخط كبير) وتحتة جاء الخبر الذي لم يعط له أية أهمية: «... في قسطنطينة، وفي شارع لاييم، قتل بعض الارهابيين سيدة عربية وملازماً طياراً. وقد أكدت الضحية البائسة قبل وفاتها إيمانها بجزائر فرنسية وكانت تقوم بجولة مع الضباط. وكانت قد قطعت كل صلة لها بزوجها المدعو خالد بن

⁽²⁾ مالك حداد، رصيف الأزهار لا يجيب، ترجمة: حنفي بن عيسى، المرجع السابق، ص 147-148.

⁽¹⁾ Malek HADDAD, *Le quai aux Fleurs ne répond plus*, op. cit., p115-116.

⁽³⁾ مالك حداد، ليس في رصيف الأزهار من يجيب، ترجمة: ذوقان قرقوط، المرجع السابق، ص 151-152.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

طوبال الذي يدعي أنه كاتب والذي ما زال يستطيع التعبير عن آرائه بحرية بفضل تواريه عن أنظار السلطات.⁽¹⁾

وَرَدَ في هذا المقطع السرديّ عبارة: "أنت لا تعرفهم يا أبي"، هكذا صرّح أحد المسافرين في تطرّفه للجزائريين على متن القطار الذي كان يستقلّه خالد، فقد كان الآخر الفرنسيّ يُعزّز عن الجزائريين بضمير "Les"، أي "هم"، أي "العرب"، دون ذكر التسمية مباشرة. كما كان الآخر (الفرنسيّ) يعدّ حركة المقاومة نشاطاً إرهابياً، فما هو ذا خالد يقرأ نبأ "تصاعد الإرهاب في الجزائر" وخيانة زوجته وُرَيْدَة التي آمنت بدعاية الجزائر فرنسيّة، ما دفع رجال المقاومة إلى قتل هذه المرأة الخائنة، والقتل أقلّ شيء يُمكن أيّ يُباشر في حق مَنْ يخون الوطن. لُتْخَمَ الرواية بمشهد انتحار بطلها خالد بعد تلقّيه الخبر، هذا الخبر الذي تجلّت فيه الأنا المتواطئة مع الآخر أو الأنا الخائنة للأنا. وفي سيرورة الترجمة إلى العربية، تصرّفت الذات المُترجمة الجزائرية (حنفي بن عيسى) في نقل عبارة:

« Mon père, vous ne les connaissez pas. «Les», c'étaient les Arabes ».

ب: «يا أبي، إنك لا تعرفهم. وكان يقصد بذلك العرب، سكان الجزائر»، مُفصّلةً في بُعد الأنا الذي اتّخذ ضمير "Les"، ومُضيفَةً عبارة "سكان الجزائر" على وجه التحديد. في حين فضّل المُترجم أحمد نظير نشوقي التشبُّث بالأصل ناقلاً هذه العبارة بالصيغة الآتية: «إنك لا تعرفهم يا أبتاه. وال «هم» تعني العرب». وعلى النّسقي والأسلوبِ نفسهما، تنقلُ الذات المُترجمة السورّيّة (ذوقان قرقوط) العبارة ذاتها على النّحو الآتي: «أنت لا تعرفهم يا أبتى. والضمير «هم» يعني العرب».

والخطأ المعرفي ذاته (المُرْتَكَب في المقطع الثّاني والأربعين (أ)) يُسجّل كذلك في نقل اسم مدينة "Constantine" عند الذاتين المُترجمتين (أحمد نظير نشوقي وذوقان قرقوط)، إذ نقلها بـ: "قسنطينة"، و"قسنطينيه" على التّوالي.

واختلفت الذوات المُترجمة الثّلاث في نقل تسمية شارع "boulevard de l'Abîme"، بوصفه أحد أبعاد الأنا المبتوثة في حنايا الرواية، إذ افترض المُترجم أحمد نظير نشوقي تسمية هذا الشارع مباشرةً إلى العربيّة بصيغة: "شارع لابيّم"، بينما فضّلت الذات المُترجمة السورّيّة (ذوقان قرقوط) ترجمة التسمية إلى العربيّة بـ: "شارع الهوة"، في حين لجأت الذات المُترجمة الجزائرية (حنفي بن عيسى) إلى توطين التسمية وذلك باختيارها المُقابل الآتي: "شارع كاف شكاره".

(1) مالك حدّاد، رصيف الزهور، ترجمة: أحمد نظير نشوقي، المرجع السابق، ص 129-130.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

كما استبدل المترجم أحمد نظير نشوق نقله عبارة: "امرأة عربية" بـ "امرأة مسلمة" في ترجمته للجملة الآتية:

« ... *A Constantine, boulevard de l'Abîme, des terroristes ont assassiné une femme musulmane et un lieutenant parachutiste* ».

بـ «... في قسطنطينة، وفي شارع لآبيم، قتل بعض الارهابيين سيدة عربية وملازماً طياراً».

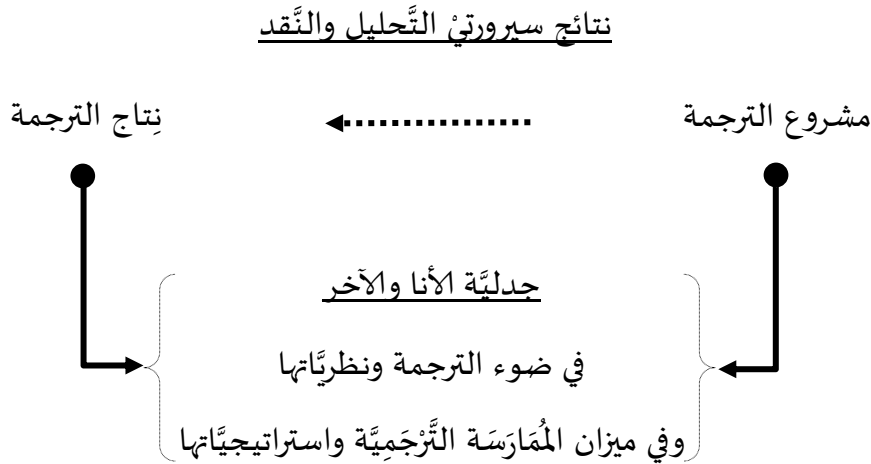
إذ غيّر المترجم هنا البعد الذي اتخذته الأنا في هذا المقطع، من بُعد ديني إلى بُعد وطني.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

3.4 المبحث الثالث:

نتائج سيرورتي التحليل والنقد

وفي ختام سيرورتي التحليل والنقد المطبقة على ترجمة الروايات المختارة أعلاه، يتركز هذا المبحث على تحليل إنتاج الترجمة العربية ونقدها - وما أسفرت عنه - بناءً على مشروعها، وفق ما تبرزه الخطاطة الآتية:



يَسْتَنْدُ تحديد مشروع الترجمة (Le projet de traduction) العربية للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، في الحقبة الاستعمارية، إلى المنهج النقدي البيروني (راجع الفصل الثاني، المبحث الثاني)، وإلى المعلومات السياقية (contextual information) التي تنتهجها سبيفاك Spivak (راجع الفصل الثاني، المبحث الثالث) في ترجماتها. وتُعدُّ المقدمات التي تُوضَعُ إلى جانب الذات المترجمة (الذات المنقولة)، والاستهلاكات، والمادة التمهيدية، والخلفية التاريخية، وتعليقات المترجمين وملاحظاتهم، والحواشي المدعمة للترجمة، والتعليق الختامي، ومُقابلة الذات الكاتبة، وأي معلومات أخرى تُؤكِّد مشروع الذات المترجمة - بوصفها ذاتًا وسيطة - وأسلوبها وخياراتها الترجموية؛ إجراءً ذا أهمية بالغة في سياق سيرورة الترجمة في حقبة ما بعد الاستعمارية، وتقنيةً تَرْجَمِيَّةً مِنَ التقنيات التي ينتهجها مُترجمو حقبة ما بعد الاستعمار.

وقبل ضبط نتائج سيرورتي التحليل والنقد، وَجَبَ التذكيرُ بأن إنتاج الترجمة يرتكز ارتكازًا وثيقًا على مشروعها، ولكن لَنْ تتأتَّى حقيقة هذا المشروع التَّرجِمِيّ - مثلما أوضح بيروني - إلا مِنْ سيرورة الترجمة نفسها، وَلَنْ تتجسَّدَ حقيقة ما صرَّحت به الذات المترجمة في مُقدِّماتها، واستهلاطاتها، وموادها

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

التمهيدية، وتعليقاتها، وملاحظاتنا، وحواشها المدعمة للترجمة، وتعليقاتها الختامية، ومقابلاتها التي جمعتها والذات الكاتبة... وغيرها من المعلومات المصرّح بها عن مشروعها وما كتبت عنه؛ إلا من نتائج الترجمة ذاتها (راجع الفصل الثاني، المبحث الثاني). وسيبوح محور نتائج الترجمة بحقيقة مشروع الترجمة العربية للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، في الحقبة الاستعمارية، وذلك بالكشف عن طريقة تجسيد هذه الترجمة لمشروعها، وبعواقب سياق هذا المشروع مقارنة بالرواية الأصل المكتوبة باللغة الفرنسية. تضع هذه المعطيات كلها جدلية الأنا والآخر، بأبعادها وخصوصياتها ومرجعياتها المختلفة، في ضوء الترجمة ونظرياتها وفي ميزان الممارسة الترجمة واستراتيجياتها، من منظور ما بعد استعماري.

1.3.4 مشروع ترجمة رواية «Myriem dans les palmes» لمحمد ولد الشيخ أغا إلى العربية:

استهل المترجم معراج أغا (ابن أخت الكاتب محمد ولد الشيخ أغا، راجع الملحق (5)) ترجمته رواية «Myriem dans les palmes» لمحمد ولد الشيخ أغا إلى العربية بتقديم (مؤرخ في 30 ماي 2020م، بعين تموشنت) شرّح فيه الأسباب التي دفعته لترجمة رواية خاله محمد ولد الشيخ إلى العربية، وتعريف الذوات القارئة بطبيعة هذا الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية الصادر في حقبة ما بين الحربين العالميتين⁽¹⁾، مُسلّطاً الضوء على حياة محمد ولد الشيخ أغا وأعماله الأدبية⁽²⁾ (راجع الملحق (1)). وقد أدلى المترجم معراج أغا - في تقديمه - ببعض الآراء حول تصنيف بعض الباحثين والمحلّلين لـ بن شريف محمد بن سي أحمد، وعبد القادر حاج حمو، وشكري خوجة، ورايح زناتي، ومحمد ولد الشيخ على وجه التحديد؛ من دُعاة الاندماج دون التعمّق في دراسة أعمالهم⁽³⁾. بناءً على هذا التقديم، يُستنتج بأن الذات المترجمة الجزائرية (معراج أغا) قد أفصحت عن مشروعها الترجمي الرامي إلى التعريف بخالها محمد ولد الشيخ أغا، ونيتها في إبراز معالم الهوية المبتوثة في حنايا رواية مريم بين النخيل.

وفي الملخص الظاهر في الواجهة الخلفية من غلاف الرواية المترجمة، يذكر المترجم الكلمة الآتية:

(1) يُنظر: محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص6.

(2) يُنظر: المرجع نفسه، ص6-14.

(3) يُنظر: المرجع نفسه، ص14-16.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

«أراد أن يبلغنا الروائي: محمد ولد الشيخ أغا رسالة حول الهوية الجزائرية في: أبعادها الثلاثة الإسلام والعروبة والأمازيغية مقاومًا بذلك الاستعمار الفرنسي: بقلمه.»⁽¹⁾، فكانت هذه الأبعاد الثلاثة المذكورة من تجليات جدلية الأنا والآخر المبتوثة في حنايا الرواية.

1.1.3.4 نتائج ترجمة رواية «Myriem dans les palmes» لمحمد ولد الشيخ أغا إلى العربية:

لجأ المترجم الجزائري معراج أغا في نقله رواية «Myriem dans les palmes» لمحمد ولد الشيخ أغا (إلى العربية) إلى التصرف في غير ما موضع من ترجمته للرواية، إذ لم يتشبَّث بالأصل، بل استند إلى التأويل الناجم عن فهم الذات الروائية المكتوبة الأصل وتفكيكها، مُستثمرًا في الآثار التي خلَّفتها هذه الذات الأصل في الترجمة الأولى، أي تلك العبارات المنقَّحة أو المروَّمنة التي استدرجتها الذات الكاتبة بلغة الآخر إلى الأصل الفرنسي (أي الفرنسية لغة تحرير الرواية)، مما أسهم في تسهيل مأمورية العودة إلى المنبع الأصل، أي إلى اللغة العربية. وهذا ضرب من ضروب الترجمة المستمرة التي كانت تُصاحبُ سيرورة الكتابة بلغة الآخر (أي الفرنسية).

لقد شهدت رواية «Myriem dans les palmes» توظيف الكاتب محمد ولد الشيخ أغا كلمات وعبارات جزائرية خالصة (عربية مُستوحاة من اللهجة الجزائرية المحلية) في الأصل الفرنسي (في روايته المكتوبة بالفرنسية)، متبوعةً بشرح (بالفرنسية) بين قوسين في الأصل، أو في الهامش (الحاشية السفلية) بترجمة دلالاتها بالفرنسية (راجع المقطع الثامن، والمقطع التاسع (أ)، والمقطع الحادي عشر، والمقطع الثاني عشر). وعلى هذا الأساس، صاحب فعل الترجمة فعل الكتابة كأنها ذات روائية مكتوبة بالعربية تتخلَّلها كلمات فرنسية، ما انعكس - إيجابًا - على الترجمة العربية وسهَّل مهمة النقل التي اضطلعت بها الذات المترجمة. ويلاحظ كذلك لجوء المترجم معراج أغا إلى توظيف كلمات وعبارات مُستوحاة من اللهجة الجزائرية المحلية (أي العامية)، ثمَّ شرحها بالعربية الفصحى بين قوسين (راجع المقطع الثامن، والمقطع التاسع (ج)، والمقطع الحادي عشر، والمقطع الثالث عشر)، مُتأثرًا بسياسة الكاتب التي ينتهجها في كل مرة يُوظَّف فيها كلمة أو عبارة مُستوحاة من العربية الفصحى أو اللغة الشعبية المحكية. في بُعد آخر، تخلق الذات الكاتبة (محمد ولد الشيخ أغا) في روايتها ضربًا من ضروب الكتابة

(1) المرجع نفسه (الواجهة الخلفية من غلاف الرواية المترجمة).

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

المزدوجة (double-writing)، مُحوّلة لغة الآخر (the other) إلى شيء مثل الذات (the self)، ومُحقّقة بذلك مبدأً من المبادئ التّرجميّة التي سنّتها غاياتري شاكراپورتى سبيفاك (راجع الفصل الثّاني، المبحث الثّالث)، ليس في سياق مهمّة استسلام الذات المُترجمة وخضوعها للذات المكتوبة الأصل – قيد النّقل – فحسب، إنّما في سيرورة ترويض لغة الآخر الفرنسيّ بواسطة الكتابة وإخضاعها للعربيّة.

إنّ الذات القارئة المتفحّصة للأصل (الفرنسيّة لغة الرواية) تُحسّ كأنّها تقرأ ذاتاً روائيةً مكتوبةً بالعربيّة، نظرًا لزخم الكلمات والعبارات العربيّة الواردة فيها، بل إنّ الذات الكاتبة كانت تُتبع في كل مرّة الكلمات العربيّة بترجمة فرنسيّة. لقد كانت هذه الرواية ساحةً برزت فيها مواجهة الآخر (the Other) الفرنسيّ ومُقاومته بلُغته، بحيث تجعل لغة الرواية (الفرنسيّة) أصحاب اللسان الفرنسيّ يفقدون طريقهم في لغتهم الخاصّة، مثلما سيفقدون طريقهم في أزقة القصبة الضيّقة (عبارة الكاتب التونسيّ عبد الوهاب المدب التي وظّفها سامية محرز في نظريّتها)، ومن ثمّ وسيلةً لتحرير الذات (self-liberation) (راجع الفصل الثّاني، المبحث الثّالث).

من حيث نظريّات الترجمة ما بعد الاستعماريّة، يُعدّ توظيف محمد ولد الشيخ أغا لتلك الكلمات والعبارات العربيّة من تداعيات ثنائيّة اللّغة في الحقبة الاستعماريّة ومُتطلّباتها، بحيث تُصبح النصوص الروائيّة المكتوبة بالفرنسيّة نصوصًا مزدوجة، ونصوصًا ثنائيّة اللّغة، تُصاحب فيها العبارات العربيّة (المُرومنة أو المُنفحّرة أو المُقترضة) اللّغة الفرنسيّة، ما يجعلهما (العربيّة والفرنسيّة) مُترابطتين يُكملان بعضهما البعض كأنّهما لغة واحدة. وبذا، تُطالبُ الذوات القارئة بأن تكون هي كذلك ثنائيّة اللّغة لفكّ رُموز تلك الذوات المكتوبة وفهم محتواها، وهذا ضَرْبٌ من ضُرُوب الترجمة الدائمة (perpetual translation) التي من المتوقّع أن تُباشرها أيّ ذات قارئة تقترب من ذاتٍ مكتوبة من هذا القبيل (راجع الفصل الثّاني، المبحث الثّالث). وبالمُقابل، تستثمرُ الذوات المُترجمة (المُترجم) – بوصفها ذاتًا قارئةً بامتياز – في هذه الآثار التي تُخلّفها التّعدديّة اللّغويّة في عمليّة الكتابة بالفرنسيّة، ما يجعلُ سيرورة الترجمة، في هذا الصّدّد، سيرورة ذات طابع فدّ، تستعيدُ فيها اللّغة المنقُول إليها (العربيّة في هذا السياق) ما نُقلَ منها في المرّة الأولى.

ومن حيث الإجراءات التّرجميّة، يُمكنُ تفسير توظيف الذات الكاتبة (محمد ولد الشيخ أغا) للكلمات والعبارات المنقولة حرفيًا من اللّغة العربيّة – الفصيحة والعاميّة – إلى اللّغة الفرنسيّة، بأنّها إحدى تقنيّات الرّومنة (Romanization)، أو الاقتراض (l'Emprunt)، أو النّفحّرة (la

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجرائرية إلى العربية —

(Translitération)، المُصاحبة لسيرورة الكتابة بالفرنسيّة، (مثلما أُشير إليه في المقطع الثالث (أ)، والمقطع الثالث (ب)، والمقطع الرابع، والمقطع الخامس، والمقطع السابع، والمقطع الثامن، والمقطع التاسع (أ)، والمقطع العاشر، والمقطع الثاني عشر، والمقطع الثالث عشر). وتُعدُّ تلك الإجراءات وجهًا من أوجه الآثار التي خلّفتها سيرورة نقل أبعاد الأنا والآخر من العربيّة (في ذهن الذات الكاتبة) إلى الفرنسيّة (اللغة التي خُطت بها الرواية، أي الذات الروائيّة المكتوبة)، في المحطة الأولى، جاعلةً العودة (نتاج الترجمة) إلى العربيّة، بوصفها محطةً ثانيّة، مهمّةً سيرة، إذ لم تُواجه الذات المترجمة أيّ صعوبة تُذكر في إعادة الذات المكتوبة (بأبعاد الأنا والآخر المبتوثة فيها) إلى منبعها الأصل.

تُعدُّ هذه الاستراتيجية المنتهجة من لدن الذات الكاتبة (محمد ولد الشيخ أغا) ضربةً من ضروب استراتيجية التغريب (foreignizing strategy) المقاومة للعرف (التي سنّها فينوتي Venuti في نظريته، واعتمد عليها بيرمان Berman في تأملاته، وتتبناها نيرانجانا Niranjana وسبيفاك Spivak في مُدارستهما نظريّة الترجمة ما بعد الاستعماريّة) والمُنْفَتحة على استيراد الاختلاف إلى اللغة الفرنسيّة. وبذا، يكون محمد ولد الشيخ أغا قد انتهج تأملات نيرانجانا الرامية إلى التحديّ بانتهاج استراتيجية التغريب، مُقاومًا إكراهات الكتابة بلغة الآخر ومُتصدّيًا لها.

لقد نجحت رواية محمد ولد الشيخ أغا — وفق آراء سامية محرز Samia Mehrez وتحليلاتها — في صياغة لغة جديدة تتحدّى مفهوم الذات المكتوبة (أي الفرنسيّة الأجنبيّة)، فقد كانت ذاتًا روائيةً هجينّة (hybrid) أو مُهَجَّنَة (métissés)، بسبب الطبقات اللغويّة والثّقافيّة والتّضمينات المبتوثة في ثناياها، خالقةً بذلك لغةً بينيّة (in between)، بين الأصل (العربيّة) ولغة الرواية (الفرنسيّة)، ومن ثمّ تأتي الترجمة لتشغل فضاء (space) بينيّاً (in between) بينهما (راجع الفصل الثاني، المبحث الثالث)، وهي في رحلتها الثّانيّة، أي رحلة العودة إلى الأصل.

وفي مسار عودة تلك الكلمات والعبارات (المُقتَرَضَة من اللهجة العاميّة إلى اللغة الفرنسيّة في المقام الأوّل) إلى العربيّة (المنبع الأصل في المقام الثّاني)، تُنوّع الذات المترجمة (معراج أغا) خياراتها، فتارةً تُوظّف اللغة العربيّة الفصيحة، وتُضفي على سيرورة النّقل طابعًا محليًّا خالصًا تارةً أخرى (بتوظيف اللهجة العاميّة)، مُستعينّةً بالقوسين أو الحاشية السفليّة في غير ما موضعٍ من ترجمتها، شارحةً باللغة العربيّة الفصيحة طبيعة تلك الكلمات المحليّة ذات الأبعاد الثّقافيّة والاجتماعيّة والجغرافيّة والتاريخيّة، سعيًا إلى تجسيد جدليّة الأنا والآخر المبتوثة في ثنايا الذات الروائيّة المكتوبة الأصل التي تُواجهها.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

تجلّت معالم الذات المترجمة (المترجم معراج أغا) المتماهية والذات الكاتبة (الكاتب محمد ولد الشيخ أغا) في أثناء ترجمة القصائد والأغاني التي وردت في الرواية، إذ تصرّفت الذات المترجمة في النّقل بما يتوافق والسياق المبتوث في الأصل، فكان مسار النّقل متأرجحاً بين توظيف العربية الفصحى واللهجة الجزائرية المحلية، إذ زاوجت الذات المترجمة بينهما سعياً إلى تجسيد تجليات الأنا والآخر وأبعادها المختلفة المبتوثة في حنايا تلك القصائد والأغاني. يلاحظ — على سبيل المثال لا الحصر — في ترجمة المقطع الرابع عشر (أ، وب، وج) أن الذات المترجمة (معراج أغا) قد أضفت على ترجمتها طابعاً محلياً خالصاً، وذلك بتوظيف كلمات مُستوحاة من اللهجة الجزائرية المحلية تُجسّد ما ورد في الأصل حقيقةً. لقد أسهم إلمام الذات المترجمة بالمووروث الثقافيّ الجزائري — بحكم انتمائها — بوجه كبير في خلق الأثر ذاته المبتوث في ثنايا الأصل.

وفي سيرة تجسيد أبعاد جدلية الأنا والآخر المبتوثة في ثنايا الرواية، لجأت الذات المترجمة إلى الهامش (الحاشية السفلية)، في غير ما موضع من ترجمتها، لشرح بعض التسميات ذات الأبعاد الثقافية والاجتماعية والجغرافية والتاريخية، تعزيزاً للمتن وإجراءً من الإجراءات المُساعدة على الترجمة. وبارتكاها على وحدات المعنى (unités de sens)، البيّنة والمضمّرة، أضافت الذات المترجمة بعض العبارات التي لم ترد في الأصل، بغرض التجسيد من وقعها والإسهام في رسم مشاهد صور الأنا والآخر وأبعادها المختلفة. لقد تأتّى هذا الإجراء من فهم مُراد الذات الكاتبة ومقصد القول (vouloir-dire) الذي كانت ترمي إلى بيّنه وإيصاله (راجع الفصل الثاني، المبحث الثاني)، وهو ما يُحسب للمترجم الجزائري معراج أغا الذي صوّر تلك الأبعاد في أثناء سيرة الترجمة إلى العربية (راجع المقطع الثالث (أ)).

إنّ الذات القارئة للمقاطع المترجمة إلى العربية تعيش الموقف ذاته والأحداث ذاتها كأنها عايشتها حقيقةً، وهذا ما يُحسب للمترجم معراج أغا الذي جسّد من وقّع أبعاد جدلية الأنا والآخر في الذات المكتوبة المُستهدفة (أي المترجمة إلى العربية)، بناءً على مشروعه التّرجيميّ المُشار إليه سلفاً.

2.3.4 مشروع ترجمة رواية «Lebbeik : Pèlerinage de Pauvres» لمالك بن نبي إلى العربية:

افتُتحت ترجمة رواية «Lebbeik : Pèlerinage de Pauvres» لمالك بن نبي إلى العربية بتصدير بقلم معالي عمر مسقاوي (مؤرّخ بطرابلس، في ١٠/٤/٢٠٠٩م). استهلَّ عمر مسقاوي تصديره بتقديم تبني دار الفكر، في دمشق، نشر رواية لبيك باللغة العربية، التي كتبها مالك بن نبي (راجع الملحق

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

(2) عام ١٩٤٧م^(*)، أي بعد عام واحد من إصدار كتاب الظاهرة القرآنية (باللغة الفرنسية) عام ١٩٤٦م، مُفصِّحًا عن المترجم الجزائري الدكتور زيدان خوليف المهتم بفكر الفيلسوف مالك بن نبي، هذا المترجم الذي قدّم أطروحته بالفرنسية عام ٢٠٠٦م، بعنوان: حياة مالك بن نبي وأعماله من عام 1905م إلى 1973م، بإشراف البروفسور برهان غليون، في جامعة السوربون الجديدة باريس 3. وقد فصلَ عمر مسقاوي في زيارة المترجم زيدان خوليف له في طرابلس الشام، وكيف زوّدَ عمر مسقاوي زيدان خوليف بالمعلومات الكافية لإنجاز بحثه نظرًا للصدّاقة التي كانت تربطه بمالك بن نبي في القاهرة منذ عام ١٩٥٦م، حيث التقى عمر مسقاوي مالك لما كان طالبًا، ولا يزال يتذكّر كيف كان مالك بن نبي يؤسّس لهم آراءه وأفكاره حول مُشكلات الحضارة ومُستقبل العالم الإسلامي⁽¹⁾.

مُثنيًا على المترجم زيدان خوليف، ومادحًا إيّاه على بحثه الجادّ، وشاكّرًا له اجتهاده في تقصي آثار مالك بن نبي وفكره، ومُقدّرًا له إهداءه رواية لبّيك، هذه القصة التي كان يسمّع بها عمر مسقاوي ولكتّها لم تكن بحوزته، مُشيرًا إلى أن هذه القصة ترسم، في حناياها، عمق الرّوح الجزائريّة وشخصيتها، وتراثها، وثقافتها، وحضارتها الإسلاميّة⁽²⁾؛ مُعلّقًا: «فقصة "لبّيك" في أعقاب "الظاهرة القرآنية" كانت في زمن مبكر من تأمل بن نبي ترسم الطريق والاتجاه بعصر جديد يكتبه الجيل القادم بعد أن تستسلم الحضارة المادية الغربية لمصيرها في مسيرة القرن كما توقع بن نبي في دراساته أنه مسرى حج الفقراء لتلبية للنداء الإلهي "لبّيك اللهم لبّيك" في عفوية روحهم وأصالتها؛ في شخصيّة الجزائر التي غلفتها ظلل من ليل الاستعمار المظلم لكنها بقيت تستبطن البواعث في قيم الرسالة مع الظاهرة القرآنية التي كانت — كما يقول بن نبي في شهادته — أول إنجاز علمي وأدبي مقاوم للاستعمار ومؤسس لمفهوم البداية في أفق النهاية»⁽³⁾.

وقد فصلَ عمر مسقاوي في الفكر الإسلامي الذي أسّسه مالك بن نبي، مُعرجًا على إصداراته التي تتقاطع مع فحوى هذه القصة، وشارحًا استجابته لطلب المترجم زيدان خوليف الذي التمس منه وضع كلمة بمناسبة إصدار النسخة المترجمة إلى العربية. إنّ تطرّق عمر مسقاوي لفكر مالك بن نبي وقضايا تصفية سلبية القابلية للاستعمار، ورسم وجهة العالم الإسلامي الذي تتلاقح فيه الفكرة الآسيوية

(*) سنة 1948م وفق تأريخ الباحث جان ديجو Jean Déjeux (op. cit., p190). (Voir : Jean DÉJEUX, op. cit., p190).

(1) يُنظر: مالك بن نبي، لبّيك، المرجع السابق، ص 9-10.

(2) يُنظر: المرجع نفسه، ص 10.

(3) المرجع نفسه، ص 11.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

والإفريقية، وحضور العالم الإسلامي في العالم برمته، ومسألة ميراث هزيم الحضارة الاستعمارية الغربية التي أوشكت بها النهاية على حدّ تعبير عمر مسقاوي⁽¹⁾؛ كانت رَسْمًا لمسار يُؤسّس رؤية ما بعد الاستعمارية التي ارتكزت عليها الترجمة.

أما مُقدِّمة المترجم زيدان خوليف (راجع الملحق (6))، المؤرّخة بباريس، في ٥ جويلية (تموز/يوليو) ٢٠٠٧م، فقد تمحورت حول حيثيات الرواية، بدءًا بالطريقة المستعجلة التي كتب بها مالك بن نبي هذه الرواية بين سافرتين في غرفة الفندق، مُرورًا بسنة إصدارها (سنة ١٩٤٧م) والدار التي نشرتها (دار النهضة بالجزائر)، ووصولًا إلى إعادة نشرها. ثمّ تطرّق المترجم إلى أحداث الرواية (إبان الحقبة الاستعمارية) وشخصيّاتها، مُستخلصًا قراءاته الخاصّة وتحليلاته المُستنبدة إلى أطروحته حول: حياة مالك بن نبي وأعماله. مُشيرًا إلى أن شخصيّة العمّ محمد ترمز إلى الأصالة المُتجذّرة في الأمة الجزائرية⁽²⁾، بينما تُمثّل شخصيّة إبراهيم فئة من المجتمع الجزائري التي تأثرت بالآخر (الأوربي) من جرّاء مُعايشتها له واحتكاكها به، بيد أن صراعه مع ذاته أيقظ فيه ذرة الإيمان المبتوثة في كيانه، وأخيا فيه فطرته التي جُبل عليها، فعادَ إلى الله تائبًا وأدّى مناسك الحج كفارًا عن أخطائه المُرتكبة. وترجع عودة إبراهيم إلى رُشده إلى هابيتوسه (*son habitus*) وإخلاصه لذكرياته العائليّة التي استعادتته - في نهاية المطاف - من الضلال. وتُحيلُ شخصيّة هادي إلى النشء الذي كان بن نبي يراهن عليه في نهضته الحضارية، في حين تُمثّل زهرة أنموذج المرأة الجزائرية الصابرة على زوجها بالرغم من عريته وسوء تصرّفاته بقيت وفيّة له تكنّ له الاحترام وتُحسنُ معاملته؛ لذلك لم ينسَ مالك بن نبي صورة المرأة الجزائرية التي تُعدّ قوامًا للأمة ونواةً أساسيّة في تشكيل كيانه⁽³⁾.

وتُشير الذات المُترجمة زيدان خوليف إلى أن كتابات مالك بن نبي لم تخل من التطرّق إلى عقيدة الآخر، مُستدلًا بالنقاش الذي دار بين البحّار ومجموعة الحجيج حاملًا في ثناياه الاحترام بالرغم من اختلاف المبادئ والمعتقد، وهذا ما يعكسُ سُبُل التّعائش التي حتّ عليها الإسلام وزرعها بين البشر على اختلاف أعراقهم ودياناتهم ولُغاتهم وثقافتهم⁽⁴⁾. ويُفسّر إسقاط الذات المُترجمة زيدان خوليف شخصيّات الرواية على فكر مالك بن نبي وتأملاته عدّة معرفيّة تسلّحت بها الذات المُترجمة قبل مُباشرة الترجمة،

(1) يُنظر: مالك بن نبي، لبيك، المرجع السابق، ص 11-15.

(2) يُنظر: المرجع نفسه، ص 17-22.

(3) يُنظر: المرجع نفسه، ص 18-19.

(4) يُنظر: المرجع نفسه، ص 19-20.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

مكنتها من رسم مسار مشروعها الترجمي.

وفي الملخص الظاهر في الواجهة الخلفية من غلاف الرواية المترجمة، ركزت الذات المترجمة على عمق الروح الجزائرية التي ترسمها هذه الرواية المنتمية إلى تراث الثقافة والحضارة الإسلاميتين، مُعرجة على شخصية الجزائر التي غلفتها ظلل من ليل الاستعمار المظلم بيد أنها ظلت تستبطن قيم الرسالة مع الظاهرة القرآنية التي كانت أول إنجاز علمي وأدبي مقاوم للاستعمار⁽¹⁾.

1.2.3.4 نتائج ترجمة رواية «Lebbeik : Pèlerinage de Pauvres» لمالك بن نبي إلى العربية:

يُعيد المترجم زيدان خوليف (راجع الملحق (6)) في ترجمة رواية «Lebbeik : Pèlerinage de Pauvres» لمالك بن نبي إلى العربية افتراض بعض الكلمات ذات الأبعاد الدينية (نحو: لبيك، السلام عليكم، الله أكبر... وغيرها)، والثقافية (في تسمية بعض الحلويات التقليدية الجزائرية)، والاجتماعية (كلمة زينطوط)؛ إلى العربية كونها إقتضت من اللهجة الجزائرية المحلية إلى الفرنسية في المرحلة الأولى، ثم استرجعها المترجم زيدان خوليف (أعاد افتراضها) إلى العربية في المرحلة الثانية، واضعاً إيّاها بين قوسين ومُضيفاً عبارات شارحة لمعناها ودلالاتها سواء في المتن أو في الهامش (الحاشية السفلية). وهذه من الحيل التي تلجأ إليها الذات المترجمة بغية إحداث الأثر ذاته المبتوث في ثنايا الذات المكتوبة الأصل، ومن ثم توسيع شريحة الذوات القارئة وكسب ذوات قارئة أخرى تتجاوز نطاقها المحلي (راجع المقطع الخامس عشر، والمقطع السابع عشر، والمقطع الثامن عشر (أ)).

وفي ترجمة بعض المقاطع السردية إلى العربية، أضافت الذات المترجمة (زيدان خوليف) عبارات شارحة (أي عبارات غير موجودة في الأصل، دون التركيز على النسخة الأصلية والتشبيث بها) لشرح بعض الكلمات والتعابير والصيغ المحلية الواردة في الرواية، وخدمة كذلك لتأويل فكرة ما أو موقف معين أو مشهد يجسد صورة من الصور التي اتخذتها جدلية الأنا والآخر المبتوثة في ثنايا الرواية. لقد تأتى هذا الإجراء من جرّاء فهم مُراد الذات الكاتبة ومقصد قولها البين أو المتضمن في حنايا خطابها الروائي، وهذا من مبادئ النظرية التأويلية في الترجمة التي تُركّز على وحدات المعنى، مما استدعى زاداً معرفياً وعدة ترجمية قائمة على المكملات المعرفية (les compléments cognitifs)، تسلّحت بها الذات المترجمة

(1) يُنظر: المرجع نفسه (الواجهة الخلفية من غلاف الرواية المترجمة).

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

قبل إنجازها الترجمة (راجع الفصل الثاني، المبحث الثاني). وقد أسهم انتهاج هذه الترجمة الشارحة في نقل التأثيرات ذاتها التي ولّدها الحوار الجدليّ القائم بين الأنا والآخر، المبتوث في حنايا الذات الروائية المكتوبة الأصل.

لم تجد الذات المترجمة الجزائرية أيّ صعوبة تُذكر في نقل الأبعاد الدينيّة التي اتخذتها الأنا في غير ما موضعٍ من المشاهد السردية المؤسسة لبنيان الرواية، نحو كلمات: "Islam"، "chéchia"، "Koufr"، "le hadj"؛ لأن الذات الكاتبة (مالك بن نبي) كانت قد وظفتها (مُقترضةً من العربية ومُستوحاة من اللهجة الجزائرية المحليّة على وجه التحديد) في ذاتها الروائية الأصل المكتوبة بالفرنسية. فالذات الكاتبة (مالك بن نبي، راجع الملحق (2)) للذات الروائية المصدر (المكتوبة بالفرنسية) هي من تكفلت بنقل رأس المال الرمزيّ (le capital symbolique) إلى الفرنسية أولاً، في حين استرجعت الذات المترجمة رأس المال هذا إلى الحقل الروائيّ المُستهدف (أي المكتوب بالعربية) وفق الإيلوزيو (l'illusio) المُحدّد لقواعد اللعبة الروائية المؤسسة للأصل (راجع الفصل الثاني، المبحث الثاني).

وتجدر الإشارة إلى أن الذات الكاتبة (السارد مالك بن نبي) كانت تُتبع العبارات المفتاحية المترحلة من العربية إلى الفرنسية بترجمة فرنسية (صورة الذات الكاتبة التي تخطّ أعمالها بلغة الآخر الفرنسي) حتّى يفهم المعنى المقصود (بالفرنسية). ومن حيث الإجراءات التّرجميّة، يُمكن تفسير توظيف الذات الكاتبة للكلمات والعبارات المنقولة حرفياً من اللغة العربية – الفصحى والعامية – إلى اللغة الفرنسية بأنها إحدى تقنيّات الرّؤمنة (Romanization)، أو الاقتراض (Borrowing)، أو النّفحرة (Transliteration)، المُصاحبة لسيرورة الكتابة بالفرنسية. وهذا ضربٌ من ضروب التحديّ بانتهاج استراتيجيّة التغريب وفق تيجاسويني نيرانجانا، وَوَجْهٌ من أَوْجُه الكتابة المُردوجة (double-writing) وفق غاياتري شاكراפורتي سبيفاك (راجع الفصل الثاني، المبحث الثالث)، مما سهّل مأمورية الذات المترجمة ومكّنها من التمييز في تضاريس الذات الروائية المكتوبة الأصل والتبنيّ في ثناياها (على حدّ تعبير سبيفاك Spivak)؛ ومن ثمّ تيسير مهمّة النّقل إلى العربية، إذ استثمرت الذات المترجمة في هذه الاستراتيجية المُنتهجة من الذات الكاتبة بُعية تجسيد تجليات الأنا والآخر – بأبعادها المختلفة – المبتوثة في حنايا هذه الرواية.

وفي سيرورة الترجمة إلى العربية، تماهت الذات المترجمة (زيدان خوليف) والذات الكاتبة (مالك بن نبي)، إذ تبدّت أفكار الذات الكاتبة في الحوار القائم بين الأنا والآخر، ما انعكس – إيجاباً – على

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

سيرورة النقل التي تجلّت فيها استعدادات الذات المترجمة - وفق مشروعها - مُتصرّفةً في النقل في غير ما موضعٍ بما يتوافقُ والرسالة الدينيّة المبتوثة في ثنايا الرواية. لقد سهّلت بساطة أسلوب الذات الكاتبة في هذه الرواية مهمّة النقل إلى العربيّة بوصفها رحلةً ثانيّةً وعودةً الذات المكتوبة إلى منبعها الأصل.

3.3.4 مشروعاً ترجمةً ثلاثيّة «La grande maison» و«L'incendie» و«Le métier à tisser»

لمحمد ديب إلى العربيّة:

استهلّ المترجمُ السوريّ سامي الدروبي (راجع الملحق (7)) مُقدّمة ترجمته (المؤرّخة في 1960/11/1م) رواية «La grande maison» لمحمد ديب إلى العربيّة (وهي مُقدّمة تشملُ الروايات الثلاث "الثلاثيّة" التي صدرت في سلسلة روايات الهلال جميعها) بسؤالٍ عن مدى وجود مدرسة أدبيّة في شمال أفريقيا؟ وعن طبيعية الأدب المكتوب باللّغة الفرنسيّة الذي يُنتجه كُتّاب شمال أفريقيا، هذا الأدب الفدّ، أي ذا طابع خاصّ قائم بذاته، فهل هو جزء من الأدب الفرنسيّ يا تُرى؟ أم هل يُعدُّ مدرسة من مدارس الأدب الفرنسيّ؟⁽¹⁾

ثمّ استندَ في إجابته عن تلك التّساؤلات إلى كُتّاب شمال أفريقيا الذين يرون أن هذا الأدب المغاربيّ ليس من الأدب الفرنسيّ في شيء، إنّما هو أدب عربيّ استعار - مُضطّراً - اللّسان الفرنسيّ في التعبير لأسباب عديدة انتهجها الاستعمار الفرنسيّ بغية طمس لُغة الشّعب الجزائريّ وهويته، مُستدلاً برّد محمد ديب على تلك التّساؤلات: «بل قولوا إن أدباً قومياً يظهر الآن في المغرب عامة وفي الجزائر خاصة. غير أن الأمر الذي له دلالة بليغة هو أن هذا الأدب يكتب باللغة الفرنسية في بلاد ذات تراث ثقافي إسلامي لا تزال تحاول، ولو في كثير من العناء، أن تقدم إنتاجاً أدبياً باللغة العربيّة»⁽²⁾.

ثمّ فصلّت الذات المترجمة السوريّة (سامي الدروبي) في جدليّة التعبير باللّغة الأمّ والتعبير باللّغة الفرنسيّة، لُغة المُستعمر، ومأساة الكُتّاب الجزائريّين الذين استعاروا اللّسان الفرنسيّ للإفصاح عن أحزانهم وآلامهم ومكنوناتهم، إنّها مأساة الكتابة بلُغة ليست هي اللّغة التي خُلقت لتعبّر عن ذواتهم وكيانهم وهويتهم. ثمّ تطرّق الدروبي إلى صيحات الشاعر والروائيّ الجزائريّ مالك حدّاد ومواقفه من التعبير بلُغة الآخر الفرنسيّ، مُستحضراً عباراته التي بثّها في قصائده نحو: مأساة اللّغة، ومعمود اللّسان⁽³⁾.

(1) محمد ديب، الدار الكبيرة، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص7.

(2) المرجع نفسه، ص7.

(3) يُنظر: المرجع نفسه، ص7-9.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

و«لقد أنصف ذلك الناقد الفرنسي الذي قال في مقدمة كتبها لإحدى روايات (كاتب ياسين) ما فحواه: يجب أن نعد هذا الكتاب رواية عربية مترجمة إلى اللغة الفرنسية، لا لأن أبطالها عرب، ولا لأن أحداثها تجري في أرض عربية، ولا لأن مدارها على الآلام التي يتحملها العرب في الجزائر وعلى الآمال التي تجيش في صدورهم، بل أولاً وقبل كل شيء لأن العقل الذي أنجبها عقل عربي، له أسلوبه الخاص في كل شيء، في النظر إلى الأمور، في الإحساس بالمشكلات، في معاناة الحياة، بل حتى في تصور الزمان والمكان»⁽¹⁾. و«الفاجعة، بعد، عند من يترجم إلى العربية آثار كتاب الجزائر المكتوبة بالفرنسية أنه يحس بأنه لا يرد إلى الأثر شيئاً مما كان يمكن أن يكون له من رواء لو كتب بالعربية، وإنما هو يفقده مزيداً من ذلك الرواء، فالأثر قد ضاع منه شيء مرتين: مرة حين كتب بالفرنسية، ومرة حين ترجم عن الفرنسية»⁽²⁾.

وذكرت الذات المترجمة السورية (سامي الدروبي) في مُقدِّمتها جزءاً من كلمة محمد ديب التي بعث بها إليها بمناسبة إصدار هذه الترجمة العربية لرواياته، ذَكَرَتْ فيها الذات الكاتبة موضوع الروايات الثلاث وخباياها، ثُمَّ أشار الدروبي إلى آراء بعض النُّقاد الأدبيين الفرنسيين وتعليقاتهم على روايات محمد ديب وأساليبها الإبداعية. بعدها ذكر الدروبي بشارات الثورة وإرهاصات التي بثتها تلك الروايات، ثُمَّ ختم المُترجم السوري مُقدِّمته بسيرة ذاتية مُقتضبة عن نشأة محمد ديب وتعليمه، والمهن التي اشتغل بها، والجوائز التي نالها⁽³⁾.

وفي المُلخَص الظاهر في الواجهة الخلفية من غلاف كل جزء من أجزاء ثلاثية محمد ديب المُترجمة إلى العربية، أُشير إلى طبيعة الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية وآثار الاستعمار الفرنسي الذي حرم الجزائريين من لغتهم، غير أن هذا الأدب ظلَّ ينبض بقلب الجزائر وعقلها وهويّة شعبها الإسلامية ولُغتها العربية. كما أُشيدَ بالدكتور المُترجم السوري سامي الدروبي (سفير سوريا في مصر – القاهرة) وثقافته الواسعة، وتحكُّمه في اللغتين العربية والفرنسية، وذوقه الأدبي الرفيع، وحُسن اختيار ترجماته المختلفة، وإثرائه المكتبة العربية بترجمة ثلاثية محمد ديب إلى العربية، هذه الترجمة التي وُصفت بالترجمة الممتازة والدقيقة والأمنية والمحتفظة بما ورد في الأصل كلّ من جمالي ونضارة ومُتعة، مُهدياً الذات القارئة العربية عملاً أدبياً من الدرجة الأولى على حدّ تعبير الناشر (روايات الهلال). وقد خصّصت سلسلة روايات الهلال لإصدار هذه الثلاثية المُترجمة إلى العربية أعداداً مُتتالية، في ثلاثة أشهر مُتعاقة (العدد: 262،

(1) محمد ديب، الدار الكبيرة، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص 10.

(2) المرجع نفسه، ص 10.

(3) يُنظر: المرجع نفسه، ص 10-13.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

في أكتوبر 1970م، والعدد: 263، في نوفمبر 1970م، والعدد: 264، في ديسمبر 1970م⁽¹⁾.

وفي الترجمة المعادة، لم نجد أي تقديم في ترجمات الجزائري أحمد بن محمد بكلي يفصح فيه المترجم عن مشروعه الترجمي صراحةً، بل استُشِفَّ من المعلومات السياقية وتصريحاته – الواقعة فيما وراء النتاج الترجمي – حول ترجمته ثلاثية محمد ديب إلى العربية (راجع الملحق (8))، حيث أفصح المترجم الجزائري عن مشروعه الترجمي الرامي إلى جزارة الترجمة وإضفاء الطابع المحلي الجزائري، لا سيما أن هذه الترجمات صدرت بدعم من وزارة الثقافة الجزائرية بمناسبة تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011م.

1.3.3.4 نتائج ترجمتي رواية «La grande maison» لمحمد ديب إلى العربية:

وفي تحليل ترجمتي رواية «La grande maison» لمحمد ديب إلى العربية، لم يختلف المترجمان السوري سامي الدروبي (راجع الملحق (7)) والجزائري أحمد بن محمد بكلي (راجع الملحق (8)) كثيراً في نقل الصراع الجدلي بين الأنا والآخر الذي دار في ذهن عمر الصغير حول معنى الوطن ومدى حقيقة أن «فرنسا هي وطنه الأم» (راجع المقطع التاسع عشر (أ)، والمقطع التاسع عشر (د)، والمقطع التاسع عشر (ه)). ومردُّ هذا التشابه الكبير بين الترجمتين الأسلوب البسيط الذي لجأت إليه الذات الكاتبة بغية إحداث التوافق والموقف الذي كان يُصارع فيه عمر الصغير ذاته بحثاً عن الحقيقة، ونسق استعدادات الذاتين المترجمتين في معالجتهم هذه المناطق النصية الدالة (وفق المصطلح البيروني)، حيث تجلّت الأنا بمرجعياتها الوطنية الحاملة لمعالم الهوية، وحيث بلغت الذات الروائية المكتوبة ذروتها ومبتغاها ومركز الثقل الخاص بها (راجع الفصل الثاني، المبحث الثاني).

كما تماهت الذاتان المترجمتان (سامي الدروبي وأحمد بن محمد بكلي) وشخصيتي الذات الكاتبة وعمر الصغير، بطل الرواية، واستسلمتا للذات الكاتبة، واستكانتا لها في ذاتها الروائية المكتوبة (وفق تعبير سبيفاك (Spivak)، ما انعكس على سلاسة الترجمة وسدادها، وبذا تجسّد جدلية الأنا والآخر – بتجلياتها وأبعادها المختلفة – المبتوثة في غير ما موضع من المقاطع السردية (راجع المقطع التاسع عشر (ز)).

(1) يُنظر: محمد ديب، الدار الكبيرة – الحريق – النول، ترجمة: سامي الدروبي، المراجع السابقة (راجع الملخص الظاهر في الواجهة الخلفية من غلاف كل جزء من أجزاء ثلاثية محمد ديب المترجمة إلى العربية).

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

ومن منظورٍ تَرْجَمِيٍّ صرف، وَسَمَتُ الذات المترجمة الجزائرية (أحمد بن محمد بكلي) نُسختها المنقولة إلى العربية بطابعٍ محلِّيٍّ خالص، إذ لجأت إلى توظيف اللهجة الجزائرية المحلية في غير ما موضع من ترجمتها، مازجةً بينها وبين العربية الفصحى (راجع المقطع العشرين، والمقطع الحادي والعشرين، والمقطع الثاني والعشرين (أ)، والمقطع الثاني والعشرين (ب)، والمقطع الثاني والعشرين (ج)، والمقطع الثاني والعشرين (د)). بينما اكتفت الذات المترجمة السورية (سامي الدروبي) بنقل تلك المقاطع السردية بلغة عربية فصيحة تماشيًا ومشروعها التَّرجَمِيّ، أي مُكتفيةً بالانتقال من نسقٍ رمزيٍّ (من نسق اللهجة الجزائرية المحلية المتضمنة في حنايا الذات الروائية المكتوبة الأصل) إلى نسقٍ رمزيٍّ آخر (إلى العربية الفصحى نتاج الترجمة)، لأن الذات الكاتبة كانت قد أوردت في روايتها المكتوبة بالفرنسية بعض العبارات المحلية المستوحاة من اللهجة الجزائرية.

إنَّ لجوء الذات المترجمة الجزائرية إلى اللهجة الجزائرية المحلية مرده الحفاظ على الوقع نفسه المبتوث في حنايا الذات الروائية المكتوبة الأصل، مُحاولَةً تصوير المشاهد ذاتها التي أراد محمد ديب تصويرها — ولو أنه كتب روايته بلغةٍ أخرى (الفرنسية) — بتوظيف عباراتٍ محليةٍ مُستوحاةٍ من اللهجة الجزائرية تُجسِّدُ جدلية الأنا والآفر التي اتَّخذها الحوار الذي دار بين شخصيات الرواية. فكانت تلك العبارات المألوفة لدى الذات القارئة الجزائرية أقرب إلى مُراد محمد ديب، خاصّة في تصوير حال الأنا القلقة وهي في حيرةٍ من أمرها، وتجسيد أبعاد الأنا المُهدَّدة من الآخر، أو الأنا المُطالبة بالدفاع عن وطنها والتضحية في سبيله وفداءً له. ومن منظورٍ تَرْجَمِيٍّ صرف، يُعدُّ توظيف الذات المترجمة الجزائرية (أحمد بن محمد بكلي) لهذه الاستراتيجية إضفاءً للقوة الكلامية (la force parlante) الجزائرية المحلية على حساب القوة الكلامية الفصحى، بحيث أَمَاطَت اللِّثَامَ عن الدلالات الأولى للكلمات الفرنسية، لغة الرواية، ثُمَّ الرجوع بها في أثناء سيرورة الترجمة إلى المعنى الأصلي للكلمات العربية، وذلك بتوظيف اللهجة (le dialecte)⁽¹⁾ الجزائرية المحلية.

اختلفت الذاتان المترجمتان في نقل بعض الشخصيات الرئيسة للرواية، إذ تَرْجَمَ الدروبي تلك الشخصيات بنحوٍ مُخَالِفٍ. أمَّا المترجم الجزائري أحمد بن محمد بكلي، فنقل تلك الشخصيات مثلما تُنطق باللهجة الجزائرية المحكية (راجع المقطع التاسع عشر (ب)، والمقطع التاسع عشر (هـ)، والمقطع التاسع عشر (و)، والمقطع الثاني والعشرين (أ)، والمقطع الثاني والعشرين (ب)). إنَّ تشبُّث الذات المترجمة الجزائرية (أحمد بن محمد بكلي) بالذات الروائية المكتوبة الأصل، والاستسلام لها، والخضوع

(1) يُنظر: أنطوان برمان، المرجع السابق، ص118.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

لها؛ أدى بها إلى انتهاج مبدأ الحرفية، أو منهج الاستكانة الحرفية (literalist surrender) بناءً على اصطلاح سبيفاك Spivak، راجع الفصل الثاني، المبحث الثالث)، ومن ثمّ تجسيد أبعاد جدلية الأنا الآخر في النسخة المنقولة إلى العربية.

تعدّ ترجمة سامي الدروبي ترجمةً سليمةً من الناحيتين اللغوية والأسلوبية، غير أن الذات الجزائرية القارئة لترجمة أحمد بن محمد بكليّ تعيش التجربة ذاتها التي عاشتها شخصيات الرواية، وهذا بسبب توظيفه عبارات مُتداوِلة في أوساط المجتمع الجزائري، لذلك كان أقرب إلى تجسيد الصراع الجدليّ ذاته بين الأنا والآخر المبتوث في ثنايا الذات الروائية المكتوبة الأصل. كما يُستنتج، بناءً على الترجمتين، ما يأتي: ترجمة مُوجّهة إلى جمهورٍ عربيّ ذي نطاقٍ واسع، وترجمة أخرى مُوجّهة إلى جمهورٍ جزائريّ ذي نطاقٍ محدود.

2.3.3.4 نتائج ترجمتي رواية «L'incendie» لمحمد ديب إلى العربية:

لم تختلف الذاتان المترجمتان كثيرًا في نقل أبعاد جدلية الأنا والآخر المبتوثة في حنايا المقاطع السردية لرواية «L'incendie» لمحمد ديب إلى العربية، إذ واصلت الذات المترجمة السوروية (سامي الدروبي) توظيفها العربية الفصحى في نقلها الحوار الدائريين الفلاحين المجتمعين (الأنا الجمعية) لوضع حدٍ للظلم الذي ألحقه بهم الآخر الفرنسي. بينما كانت تلك العبارات المحلية المُستوحاة من اللهجة الجزائرية التي اعتمدت عليها الذات المترجمة الجزائرية (أحمد بن محمد بكليّ) - في ترجمتها - أشدّ تجسيدًا لتجليات جدلية الأنا والآخر - بأبعادها وخصوصياتها المختلفة - المبتوثة في حنايا الرواية (راجع المقطع الثالث والعشرين، والمقطع الرابع والعشرين (أ)، والمقطع الرابع والعشرين (ب)، والمقطع الخامس والعشرين، والمقطع السادس والعشرين، والمقطع السابع والعشرين (أ)، والمقطع السابع والعشرين (ب)، والمقطع الثامن والعشرين).

وكان مردُّ اقتراب المترجم أحمد بن محمد بكليّ من اللهجة الجزائرية المحلية لجوء الذات الكاتبة (محمد ديب) إلى تعمّد تشويه بعض الكلمات (ثمّ شرحها في الهامش بأنها كلمات مُشوّهة) بغية تصوير الحوار الدائريين شريحة الفلاحين البسطاء الذين كثيرًا ما يُشوّهون مفردات فرنسية بعد إخضاعها للهجة الجزائرية المحلية في أثناء حديثهم. أمّا بخصوص نقل أسماء شخصيات الرواية إلى العربية، فقد أضفت عليها الذات المترجمة الجزائرية (أحمد بن محمد بكليّ) طابعًا محليًا جزائريًا خالصًا في غير ما موضع من الرواية، مُستندةً إلى الأصل وتماشياً وطبيعة التسمية المتداوِلة في أوساط المجتمع الجزائري،

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

بخلاف المترجم سامي الدروبي الذي كان يُسقطُ بعض الأسماء ويُشوِّه نقل أسماء أخرى، وهذا راجع إلى ذاتِ مُترجمةٍ سوريّةٍ لم تكن مُلمّةً بالثقافة الجزائرية مثل نظيرتها الجزائرية (راجع المقطع الرابع والعشرين (ب)، والمقطع الخامس والعشرين، والمقطع السادس والعشرين، والمقطع السابع والعشرين (أ)، والمقطع السابع والعشرين (ب)، والمقطع الثامن والعشرين).

وفي تحليل الممارسة الترجمة المنتهجة من لدن الذاتين المترجمتين، أبقى المترجم الجزائري أحمد بن محمد بكلي في ترجمته على بعض المفردات المُقتَرَضَة مِنَ اللهجة الجزائرية إلى اللغة الفرنسية (لغة تحرير الرواية)، كما حافظَ على صياغة بعض الكلمات الواردة في الرواية (لا سيما تلك الكلمات كانت تُوحي إلى الآخر الفرنسي المُستَعْمِر) شكلاً ومضموناً، مُجاريّاً بذلك أسلوب الذات الكاتبة (محمد ديب) ومُضَفِّياً عليها صبغةً محلّيةً جزائريةً محضة. إذ حَيَّنَت سيرة الترجمة الروائية — في هذا الصدد — هابيتوس الذات الكاتبة (*l'habitus du sujet écrivain*)، وهابيتوس وكلاء الترجمة (*l'habitus des agents de la traduction*)، الذات النّاشرة والذات المترجمة، وهابيتوس الذات القارئة (*l'habitus du sujet lecteur*) مُستقبلة الذات المترجمة (الذات المنقولة) في الحقل المُستَهْدَف: مُجسّدة أبعاد جدلية الأنا والآخر بالتأثير ذاته والوقع نفسه (راجع الفصل الثاني، المبحث الثاني). في حين كان المترجم السوري سامي الدروبي يُفْرِغُ — في نقله بعض المقاطع السردية — تلك المفردات والكلمات من رُوحها المُرتبطة بتاريخ الجزائر عامة والثورة الجزائرية على وجه التحديد (راجع المقطع السادس والعشرين).

3.3.3.4 نتائج ترجمتي رواية «Le métier à tisser» لمحمد ديب إلى العربية:

وفي ترجمة رواية «Le métier à tisser» لمحمد ديب إلى العربية، وضعت الذات المترجمة الجزائرية (أحمد بن محمد بكلي) بعض الكلمات المترجمة بين شولتين مُزدوجتين (علامتي التّنصيص)، قاصدة إبراز الصورة التي اتّخذها الآخر وتجسيدها في الترجمة إلى العربية. والإجراء التّرجمي ذاته انتهجته الذات المترجمة السورية (سامي الدروبي) حينما وضعت كلمة «العربي» بين شولتين مُزدوجتين (علامتي التّنصيص) لتركّز في تأويلها — التّرجمي — على نظرة احتقار الآخرين «الأوروبيين» إلى العربي «الجزائري» (راجع المقطع التاسع والعشرين، والمقطع الثلاثين، والمقطع الثاني والثلاثين). وهذه من الإجراءات التّرجمية الشّكلية السديدة التي يُمكن أن ينتهجها مُترجمو حقبة ما بعد الاستعمارية لنقل أبعاد جدلية الأنا والآخر المبتوثة في حنايا الكلمات المؤبسة للخطاب الروائي، فللكلمة هويتها الخاصّة، ونبضها المُميّز، وقيمتها المُتفردة، ووزنها الحقيقي، وشحنها الدلالية الخاصّة؛ والتقليل من قيمة الكلمة في الذات الروائية

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

المكتوبة تنجمُ عنه هشاشة في النَّقل⁽¹⁾، تُفقدُ — لا محالة — مِنْ تجسيد وقع أبعاد جدلية الأنا والآفر على مُستقبلها.

كما واصلت الذات المترجمة الجزائرية توظيفها للهجة الجزائرية المحلية في نقلها مقاطع الرواية، واضعةً بعض العبارات بين شولتين مُزدوجتين (علامتي التَّنصيص) بغرض تجسيد الوضع الذي آلت إليه الأنا الجزائرية بسبب الوضع الاستعماري. إنَّ انتهاج هذه الاستراتيجية في النَّقل مِنْ شأنه استمالة الذات القارئة وَمِنْ ثَمَّ فهم الفحوى بالوقع ذاته الذي أرادت الذات الكاتبة بثّه في الذات الروائية المكتوبة الأصل (راجع المقطع الثلاثين، والمقطع الثاني والثلاثين، والمقطع الثالث والثلاثين). وأضفت الذات المترجمة الجزائرية (أحمد بن محمد بكلي) على نقل تلك الأسئلة الجدلية التي اتخذتها صُور الصراع الجدلي (الذي طرحته الأنا مِنْ أجل إيجاد سبيل للتخلُّص مِنْ بطش الآخر) طابعاً محلياً جزائرياً خالصاً، ساعيةً إلى تمثيل الموقف ذاته الميثوث في ثنايا الأصل (راجع المقطع الحادي والثلاثين، والمقطع الثالث والثلاثين). كما اختلفت الذاتان المترجمتان في نقل بعض الشخصيات الرئيسة للرواية (راجع المقطع الحادي والثلاثين).

4.3.4 مشروع ترجمة رواية «La dernière impression» لمالك حدّاد إلى العربية:

لم نجد أيّ تصدير أو تقديم يشرحُ فيه المترجمُ الجزائري السعيد بوطاجين مشروعه التَّرجي، إنّما استُشِفَّ مشروعه مِنْ وحي مُمارسته التَّرجيمية، وترجماته الأخرى المختلفة (راجع الملحق (9))، الرامية إلى بعثِ الروايات الثورية إلى الساحة القرائية العربية مِنْ جديد (في حقبة ما بعد الاستعمارية).

1.4.3.4 نتاج ترجمة رواية «La dernière impression» لمالك حدّاد إلى العربية:

وفي ترجمة رواية «La dernière impression» لمالك حدّاد إلى العربية، أوّلَت الذات المترجمة الجزائرية (السعيد بوطاجين، راجع الملحق (9)) نقل بعض العبارات التي تتضمن أسئلة جدلية (التي طرحها الآخر على الأنا) نظراً لحساسيتها (راجع المقطع الرابع والثلاثين). كما تصرّفت الذات المترجمة (السعيد بوطاجين) مؤولةً مشهد الأنا المُستهزئة بالآخر والساخرة منه، مُضيفةً مفردات — زائدة عن الأصل — بُغية تجسيد مشهد السخرية الميثوث في ثنايا الأصل (راجع المقطع السادس والثلاثين). لقد تأتّى هذا التأويل مِنْ جرّاء بلوغ الفهم الباطني للسياق برمته، وَمِنْ الحقائق التي استحضرها مالك حدّاد

(1) يُنظر: بيتر نيومارك، المرجع السابق، ص191.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

في كلماته التي نَسَجَ بها خطابه الروائي. ولقد أدَّى الفهم الباطني للسياق إلى مقاسمة الإحساس بالمشاعر التي أراد منا مالك حدَّاد أن نشعر بها، وأن نعيشها بالطريقة ذاتها والواقع نفسه. وعلى هذا الأساس، اضطلعت سيرورة النَّقْلِ في هذا الصَّدَد بجعل الذات القارئة تُحسُّ بالذات الكاتبة وخلقت وثاقًا وجدانيًا بينهما (راجع مبادئ النَّظَرِيَّة التَّأْوِيلِيَّة في الترجمة: الفصل الثَّانِي، المبحث الثَّانِي).

كما يُعدُّ توظيف مالك حدَّاد بعض الكلمات الجزائرية المحليَّة وَجْهًا مِنْ أَوْجْه تداعيات ثنائيَّة اللُّغة في الحقبة الاستعماريَّة (راجع المقطع الخَامِس والثَّلَاثِينَ)، بحيث تُصَبِّح النُّصوص الروائيَّة المكتوبة بالفرنسيَّة نُصوصًا مزدوجة، ونُصوصًا ثنائيَّة اللُّغة، تُصاحبُ فيها العبارات العربيَّة (المُرُومَنَة أو المُنْفَحَرَة أو المُفْتَرَضَة) اللُّغة الفرنسيَّة، ما يجعلهما (العربيَّة والفرنسيَّة) مترابطتين يُكملان بعضهما البعض، كأنَّهما لُغة واحدة. وبذا، تُطالَبُ الذوات القارئة بأن تكون هي كذلك ثنائيَّة اللُّغة لفكِّ رُموز تلك الذوات المكتوبة وفهم محتواها، وهذا ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوبِ الترجمة الدائمة (perpetual translation) التي مِنْ المتوقع أن تُباشرها أيّ ذات قارئة تقترب مِنْ ذاتٍ مكتوبةٍ مُماثِلة (راجع الفصل الثَّانِي، المبحث الثَّالِث).

ولم تُترجم الذات الكاتبة (مالك حدَّاد) بعض الكلمات إلى الفرنسيَّة بل اقترضتها مِنَ اللُّهجة الجزائرية المحليَّة إلى الفرنسيَّة وَوَسَمَتْهَا بحروفٍ لاتينية، كما لجأت الذات الكاتبة إلى الحاشيَّة السفليَّة بُغْيَة ترجمة تلك الكلمات إلى الفرنسيَّة (راجع المقطع الخَامِس والثَّلَاثِينَ). وهذا مِنْ ضُرُوبِ التَّهْجِينِ وَفَق آراء سامية محرز، وذلك لاعتماد رواية مالك حدَّاد على أزيد مِنْ ثقافة واحدة، وأكثر مِنْ لُغة واحدة، وأزيد مِنْ تجربة عالميَّة واحدة، كل هذا ضمن حدود الذات الروائيَّة المكتوبة نفسها. وعلى هذا الأساس، اتَّخَذَ مالك حدَّاد (راجع المُلْحَق (4)) ثنائيَّة اللُّغة إجراءً مُصاحِبًا لسيرورة الكتابة باللُّغة الفرنسيَّة، ووسيلةً فعَّالة لمقاومة هذه اللُّغة الأجنبيَّة المهيمنة (راجع الفصل الثَّانِي، المبحث الثَّالِث)، ممَّا دفع الذات المُترجمة (السعيد بوطاجين) – بوصف الذات المُترجمة ذاتًا قارئةً بامتياز، ذات طبيعة فدَّة – إلى العودة بالآثار التي خلَّفها اللُّهجة الجزائرية في الأصل الفرنسي إلى بيئتها الأصل وهي العربيَّة (ليست العربيَّة الفصحى، بل اللُّهجة الجزائرية المحليَّة)، مُتوسِّعةً في شرح معنى تلك الكلمات والعبارات المُوظَّفة في الهامش (راجع المقطع الخَامِس والثَّلَاثِينَ).

وَمِنْ وجهة نظرٍ تَرْجَمِيَّة صِرْفَة، يُلاحَظُ تماهي الذات المُترجمة والذات الكاتبة ممَّا وَلَّد ترجمةً سديدةً جسَّدت فحوى الذات الروائيَّة المكتوبة الأصل، بِبَيِّنَةٍ ومُضْمَرها، خاصَّة في ترجمة الضمائر التي استأثرت السرد بها بغرض الإحالة إلى الآخر الفرنسي، بجيشه ورجاله (راجع المقطع السَّابِع والثَّلَاثِينَ). بناءً

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

على هذه المعطيات، يُخلَصُ إلى تمكُّن الذات المترجمة (السعيد بوطاجين) من نقل الإيلوزيو (*l'illusio*) ذاته الذي وضعته الذات الكاتبة في ذاتها الروائية المكتوبة الأصل، بالوتيرة ذاتها والوقع نفسه، كأن اتفاقاً قد عُقِدَ بينهما (أي بين مالك حدّاد والسعيد بوطاجين) سلفاً. وبذا، يتسّى للذات القارئة المُستَهْدَفَة (المُستَقْبَلَة للترجمة العربية) أن تُلامس الإيلوزيو (*l'illusio*) ذاته مثلاً لامسته الذات القارئة للذات الروائية المصدر المكتوبة بالفرنسية (راجع الفصل الثاني، المبحث الثاني).

5.3.4 مشاريع ترجمة رواية «Le quai aux Fleurs ne répond plus» لمالك حدّاد إلى العربية:

استهلَّ المُترجمُ الجزائريّ حنفي بن عيسى (زاجع المُلْحَق (10)) ترجمته رواية «Le quai aux Fleurs ne répond plus» لمالك حدّاد إلى العربية بترجمةٍ لحياة الذات الكاتبة (مالك حدّاد، زاجع المُلْحَق (4))، مُعَرِّجاً على مدى إعجاب الذوات القارئة بأعمال مالك المُترجمة إلى العربية، هذا الكاتب — وفق الذات المُترجمة — الذي عُرِفَ منذ الشّراوات الأولى لاندلاع الثّورة الجزائرية المُباركة في الفاتح من نوفمبر بأنه خُلِقَ ليدافع عن قضية بلاده، مُجنّداً نفسه وقلمه في أداء واجبه الوطني على حدّ تعبير المُترجم الجزائريّ حنفي بن عيسى. ثُمَّ تطرّقت الذات المُترجمة إلى حياة مالك حدّاد ومولده، وشهاداته العلميّة، والوظائف التي تقلّدها (قبل الاستقلال وبعده)، ومؤلّفاتِه. كما أشارت الذات المُترجمة إلى إقامة مالك حدّاد — خلال الثّورة — بسويسرا حيث كان يكتبُ قصصه ويُحرّرُ بعض المنشورات التي كانت تُصدرها جبهة التّحرير، وإلى مهامه الرسميّة التي مثّلَ فيها جبهة التّحرير لا سيّما في مؤتمر الكُتّاب الأفريقيّين والآسيويّين المُنعقد بطوكيو (اليابان)، وإلى إلقائه سلسلةً من المحاضرات التي أُقيمت مجرياتها بمصر ولبنان وروسيا والهند والصين⁽¹⁾.

ثُمَّ عرّجت الذات المُترجمة على مشكلة التعبير عند مالك حدّاد، أو مأساة التعبير في الأدب الجزائريّ مثلما تُطلق عليها الذات الكاتبة، هذه المأساة التي تتجلّى في الرّوح العربيّة والإسلاميّة المبتوثة في حنايا العمل الأدبيّ لكنّها فرنسيّة اللّسان، وهذا بسبب الاستعمار التي فرضَ لُغته على الشّعب الجزائريّ وحرّمه من تعلُّم لُغته الأمّ. وعلى هذا الأساس، لجأت الذات الكاتبة الجزائرية إلى لُغة العدوّ للتعبير عن آلامها ومعاناتها وخلجات نفسها، فأتقنت هذه اللُغة مُنافسةً كبار الكُتّاب الفرنسيّين، غير أنّها — بالرغم من حيازتها هذا السلاح — ظلّت تُحسُّ بغربتها في لُغة الآخر، كأنّها في منفى، يتجاذبها الشوق إلى اللُغة

(1) يُنظر: مالك حدّاد، رصيف الأزهار لا يجيب، ترجمة: حنفي بن عيسى، المرجع السابق، ص3-4.

— الفصل الرابع: — جليّة الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

العربية والحنين إليها⁽¹⁾.

وفي الواجهة الخلفية من غلاف الرواية المترجمة، تُطَرَّق (*) كذلك إلى مأساة لغة التعبير التي خلقها النظام الاستعماري الفرنسي في الأدب الجزائري، بطرح التساؤلات الآتية: «ما هو مقام أداة التعبير في الآثار الأدبية؟ وإذا كتب هذا الأدب باللغة الفرنسية، فهل يمكن أن نعتبره جزائريًا؟ وإذا كانت لغة البلاد الرسمية هي اللغة العربية، وفقا لمبادئ الثورة والدستور، فما هي المعايير النقدية التي ينبغي أن نستند إليها في تقييم الإنتاج الأدبي الجزائري المكتوب بالفرنسية؟»⁽²⁾. تفتح هذه التساؤلات المجال أمام النقاد للتفكير فيها، والبحث عن تحليلها تحليلًا موضوعيًا وبناءً، مُجَرِّدًا مِنَ الزّعات الذاتية، ذلك «أن نقل هذه الآثار المكتوبة بالفرنسية إلى العربية، عمل لا يخلو من الفائدة. وبالفعل، فقد قام بعض من الكتاب والمترجمين بمحاولات موفقة كان القصد منها إعادة تلك الآثار الأدبية إلى لغة الضاد. وبواسطة هؤلاء، تعرف الجمهور العربي على الكُتّاب الجزائريين وطلعوا قصصهم ورددوا أشعارهم»⁽³⁾.

وقد نُوهَ بدور جريدة «الشَّعب» التي نقلت تلك الآثار وعزمت إدارتها على طبع القصة الأولى منها استجابةً لطلب الذوات القارئة، ثُمَّ أُسِنِدَت المَهْمَةُ — بعد ذلك — إلى المطبوعات الوطنية الجزائرية التي قدّمت للذات القارئة، في باكورة سلسلة الأدب الجزائري، الترجمة العربية لرواية «رصيف الأزهار» لمالك حدّاد، بوصفها روايةً مُلتزمةً تنتصر لثورة نوفمبر المباركة، وتُدافع عن قضية الجزائر من مبدأ الواجب الوطني الذي تحمله ذاتها الكاتبة⁽⁴⁾.

وعلى صعيد الترجمات المُعادَة، لم نعر على أيّ تصدير أو تقديم يشرح فيه المترجم السوري ذوقان قرقوط مشروعه التّرجميّ، بل اسْتُشِفَّ مشروعه القومي من هابيتوس الثورة والتحرر والعروبة والوطنية المتجذّر في فكره والمتجلى في ترجماته المختلفة (من حيث الانتقاء)، ومن سيرته الذاتية (راجع الملحق (11)). ولم نجد كذلك أيّ تصدير أو تقديم يشرح فيه المترجم أحمد نظير نشوقي مشروعه التّرجميّ، بل اسْتُشِفَّ مشروعه كذلك من وحي مُمارسته التّرجميّة التي شاكلت — في نتاجها — مُمارسَتي الذاتين المترجمتين السوريتين (سامي الدروبي وذوقان قرقوط).

(1) يُنظر: المرجع نفسه، ص 4-5.

(*) ملاحظة: لا ندري إن كان المترجم هو صاحب هذا التقديم النقدي أم ناشر سلسلة الأدب الجزائري بالمطبوعات الوطنية الجزائرية.

(2) المرجع نفسه (الواجهة الخلفية من غلاف الرواية المترجمة).

(3) المرجع نفسه (الواجهة الخلفية من غلاف الرواية المترجمة).

(4) يُنظر: المرجع نفسه (الواجهة الخلفية من غلاف الرواية المترجمة).

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

1.5.3.4 نتائج ترجمات رواية «Le quai aux Fleurs ne répond plus» لمالك حدّاد إلى العربية:

وفي تحليل الترجمات الثلاث لرواية «Le quai aux Fleurs ne répond plus» لمالك حدّاد إلى العربية، كان المترجم أحمد نظير نشوقي يسقط جزءاً من الجمل الأصل، فكانت ترجمته — في بعض المواضع — ترجمة موجزة تميل إلى الحرفية، نجّم عنها غموض من شأنه تأريق الذات القارئة (راجع المقطع الأربعين، والمقطع الثالث والأربعين، والمقطع الرابع والأربعين (ب)). في حين كانت ترجمة ذوقان قرقوط (راجع الملحق (11)) ترجمة حرفية بامتياز، تشبّنت فيها الذات المترجمة السورية تشبّثاً مطلقاً بالأصل (راجع المقطع الأربعين، والمقطع الثاني والأربعين (ب)، والمقطع الثالث والأربعين، والمقطع الخامس والأربعين)، واستسلمت للذات المكتوبة الروائية محلّ النقل وخضعت لها، منتهجة مبدأ الحرفية أو منهج الاستكانة الحرفية (literalist surrender) وفق اصطلاح سبيفاك Spivak (راجع الفصل الثاني، المبحث الثالث).

وفي مجاراتها الأصل، خالفت الذات المترجمة الجزائرية (حنفي بن عيسى، راجع الملحق (10)) نظيرتها أحمد نظير نشوقي وذوقان قرقوط في ترجمة مقاطع سردية عديدة إلى العربية، فقد كانت أنا الذات المترجمة الجزائرية تتدخل مُتمثلةً في هايتوسها (*son habitus*) ونسق استعداداتها التي مكّنتها من إضافة عبارات شارحة في بعض الجمل والفقرات المنقولة إلى العربية، موضحّة خبايا الأصل وبواطنه، ومُحاولةً إفهام الذات القارئة وجعلها تستشعر ذلك الصراع الجدلي الذي عاشته الأنا الجزائرية — بأبعادها وخصوصيّاتها ومرجعياتها المختلفة — في مواجهة الآخر الفرنسي (راجع المقطع الثامن والثلاثين، والمقطع الأربعين، والمقطع الحادي والأربعين، والمقطع الثاني والأربعين (ب)، والمقطع الثالث والأربعين، والمقطع الخامس والأربعين، والمقطع السادس والأربعين). إنّ إضافة الذات المترجمة الجزائرية (حنفي بن عيسى) بعض العبارات ضرب من ضروب تماهي الذات المترجمة والذات الكاتبة من أجل تصوير وضع الأنا بأبعادها المختلفة (راجع المقطع الثامن والثلاثين، والمقطع السادس والأربعين).

يُعدّ تدخل المترجم حنفي بن عيسى مباشرةً في سيرورة النقل وجّهاً من أوجه الرؤية ما بعد الاستعمارية، أو لمسة من لمسات استراتيجيات نظرية الترجمة ما بعد الاستعمارية التي تولدت من هايتوس الذات المترجمة الجزائرية، مُحاولةً الانتصار لترجمتها بتأويل الذات المكتوبة الأصل وفق مشروع الترجمة وأغراضه، ما جعلها تُجسّد تجلّي الأنا الذي اتّخذته بعض المناطق السردية في صور الهوية

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

بأبعادها المختلفة، أي هوية بطل الرواية التي كانت — في الحقيقة — هي هوية الذات الكاتبة (مالك حداد). كما لجأت الذات المترجمة الجزائرية (حنفي بن عيسى) إلى الحاشية السفلية لشرح بعض الكلمات والعبارات التي تُعنى بالموروث الثقافي الجزائري، مُحاولَةً نقل التأثيرات ذاتها المبنوثة في الموقف الأصل (راجع المقطع الرابع والأربعين (ب)، والمقطع الخامس والأربعين).

ولقد كانت ترجمة بعض المقاطع السردية موضع اختلاف بين الذات المترجمة الثلاث (حنفي بن عيسى وذوقان قرقوط وأحمد نظير نشوقي)، وكانت اختلافاتهم انعكاسًا لتأويلاتهم الترجميمة الرامية إلى إيصال مقصد القول — المضمّر — المبتوث في ثنايا الذات الروائية المكتوبة الأصل (راجع المقطع التاسع والثلاثين، والمقطع الأربعين، والمقطع الحادي والأربعين).

وفي ختام سيرورتي التحليل والنقد، وجب التذكير بأن الدراسة الحالية لم تعثر على أيّ تصدير أو تقديم تشرح فيه الذات المترجمة (أحمد بن محمد بكلي، والسعيد بوطاجين، وذوقان قرقوط، وأحمد نظير نشوقي) مشروعها الترجمي. وعلى هذا النحو، تُصبح الرواية المترجمة بدون تصدير من لدن الذات المترجمة أمرًا لا يُناسب روح هذا العصر — على حدّ تعبير بيتر نيومارك — فالتصدير المصاحب للنص المترجم هما من يجذبان انتباه الناقد الترجمي، والباحث الأكاديمي، ما يعكس كذلك التراء اللغوي والثقافي والزاد الترجمي في عدة الذات المترجمة وترسّانها⁽¹⁾.

أما التّصديرات والمُقدّمات التي توصّلت إليها الدراسة، فكشفت عن جانب من المشروع الترجمي ما بعد الاستعماري الذي انبرت الذات المترجمة تُجسّده في ترجماتها، علمًا أن الذات المترجمة لم تكن تشرح في — تصديراتها أو تقديماتها — كيفية مُعالجتها الذات الروائية المكتوبة، ولا كيفية تعاملها مع ترجمة الكلمات والعبارات الإشكالية، ولا طريقة نقلها المقاطع السردية المتضمنة لمعانٍ مضمّرة تُجسّد الأبعاد التي اتخذتها جدلية الأنا والآفر. كما لم تجد الدراسة، في الترجمات المُعادّة، أيّ توضيح من الذات المترجمة — المُعيدة للترجمة — يُبرّز مدى اختلاف ترجماتها عن سابقتها⁽²⁾.

لقد أفلحت الذات المترجمة الجزائرية في نقل جدلية الأنا والآفر، بأبعادها وخصوصياتها ومرجعياتها المختلفة، في غير ما موضع من نقلها الروايات الجزائرية التي استأثرت هذه الدراسة التطبيقية بتحليلها ونقدها، إذ لجأت الذاتان المترجمتان الجزائريّتان (المترجم الجزائري معراج أغا في نقله رواية

(1) يُنظر: بيتر نيومارك، المرجع السابق، ص 98-99.

(2) يُنظر: المرجع نفسه، ص 98.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

«Myriem dans les palmes» لمحمد ولد الشيخ أغا إلى العربية، والمترجم الجزائري أحمد بن محمد بكلي في ترجمته روايات محمد ديب: «La grande maison»، و«L'incendie»، و«Le métier à tisser»، إلى العربية) إلى إضفاء الطابع الجزائري على الترجمة (*). (l'algerisation). وبدرجة أقل، لجأت الذوات المترجمة الجزائرية الأخرى (المترجم الجزائري زيدان خوليف في ترجمة رواية «Lebbeck : Pèlerinage de Pauvres» لملك بن نبي إلى العربية، والمترجم الجزائري السعيد بوطاجين في ترجمة رواية «La dernière impression» لملك حداد إلى العربية، والمترجم الجزائري حنفي بن عيسى في ترجمته رواية «Le quai aux Fleurs ne répond plus» لملك حداد إلى العربية) إلى توظيف العربية الفصحى مصحوبة ببعض الكلمات والعبارات الجزائرية المحلية.

أما الذوات المترجمة المشرقية فقد تشبّثت تشبُّثاً مطلقاً بالروايات الأصل وخضعت لها مُنتهجةً مبدأ الحرفية، أو منهج الاستكانة الحرفية (literalist surrender) وفق اصطلاح سبيفاك Spivak، مُوظِّفةً عربيةً فصيحة. يرى الطيب بودربالة، في تعليقه على هذه الترجمات المشرقية، أنها ترجمات جاهلة بالثقافة الجزائرية، إذ عالجت — على حدّ تعبيره — الروايات الجزائرية المكتوبة بالفرنسية مُعالجةً عاديةً، كأنها نصوص فرنسية "ليست نصوصاً جزائرية لها عبقريتها الخاصة"، أي إنها لم تُترجم إلا اللغة الفرنسية، وبذا أصبحت كأنها "هيكل عظمي دون حياة"⁽¹⁾. تُوافق نتائج الدِّراسة الحالية هذا الرأي من حيث تشويه الذوات المترجمة المشرقية بعض الصور التي اتخذتها جدلية الأنا والآخر في حنايا الروايات الجزائرية مثل أسماء شخصيات تلك الروايات، وتسميات بعض الأماكن، وإفراغ تسميات أخرى — ذات الخصوصية الجزائرية المحلية — من فحواها التاريخي؛ وهذا بسبب مسألة بُعد الانتماء عن بيئة الذوات الكاتبة الجزائرية. وفي مخالفة هذا الرأي، قام مشروع الترجمة العربية للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، في الحقبة الاستعمارية، على الفكر القومي العربي والتعريف بالقضية الجزائرية، إذ انتصرت فيه الذوات المترجمة المشرقية للثورة الجزائرية، مُعرِّفةً الجمهور العربي بطبيعة الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية (راجع الملحق (7)، والملحق (11))، وهذا ما يُجسّد المشروع التّرجمي ما بعد الاستعماري الذي قامت عليه.

(*) استقينا هذا المصطلح من عند أنطوان بيرمان الذي وظَّفَ مصطلح la latinisation وترجمه عز الدين الخطابي بـ إضفاء الطابع اللاتيني على الترجمة (يُنظر: أنطوان برمان، المرجع السابق، ص131-134)، راجع النسخة الأصل من هذا الكتاب: (Antoine BERMAN, *La Traduction et la Lettre*, op. cit., p99-101).

(1) يُنظر: الطيب بودربالة، المرجع السابق، ص122.

— الفصل الرابع: — جدلية الأنا والآفر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية —

بناءً على ما سلف، تستدعي ترجمة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية (في الحقبة الاستعمارية)، إلى العربية (في سياق الحقبة ما بعد الاستعمارية)، الإلمام بالسياق التاريخي نظرًا للفترة الحساسة التي كُتِبَتْ فيها، وآراء الذوات الكاتبة ومواقفها من الظروف السياسية التي كانت تطبع الجو العام، والغرض من كتابة تلك الأعمال بلغة الآخر؛ بغية تجسيد العلاقة الجدلية القائمة بين الأنا (الجزائري) والآخر (الفرنسي)، بتجلياتها المختلفة وأبعادها المتنوعة.

خاتمة

خاتمة:

استُنبَت هذه الدراسة التطبيقية مُصطلحات جدلية الأنا والآخر والمفاهيم المنبثقة منها من الميدان الفلسفي في حقل الأنساق الإبداعية للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، في الحقبة الاستعمارية، مُستثمرة في الوثائق المشدود الذي يربطُ الفيلسوفين الفلسفي والترجمي، مُميطةً بذلك اللثام عن سرِّ ترجمة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية إلى العربية وخفاياها، والطبيعة الفدّة (sui generis) للذات المكتوبة الناشئة عن الترجمة. استنادًا إلى المفاهيم المُستنبطة من الحُقول الفلسفية والأدبية والترجمية، ذات العلائق المتواشجة، قامت جدلية الأنا والآخر محلّ هذه الدراسة على ثلاثة محاور:

(1)	(2)	(3)
جدلية الأنا والآخر المبنوثة في ثنايا الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، الصادرة في الحقبة الاستعمارية:	جدلية الأنا والآخر في مسار الكتابة بلغة الآخر:	جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة الترجيمية من منظور ما بعد استعماري:
↓	↓	↓
من حيث الصور والأبعاد والخصوصيات والمرجعيات المختلفة التي اتخذتها هذه الجدلية في الخطاب الروائي الجزائري المكتوب بالفرنسية.	أنا الكاتب الجزائري التي تخطّ أعمالها الروائية بلغة الآخر الفرنسي.	في مسار الذوات الترجيمية (الذات الكاتبة، والذات المكتوبة، والذات المترجمة، والذات القارئة) وتأثيرات المشروع الترجي ما بعد الاستعماري.

أسفرت سيرورة تقفي مسار جدلية الأنا والآخر في نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وتطورها، بناءً على النماذج الروائية المنتقاة وفق تسلسل تاريخي (من 1936م إلى 1961م)، عن تحولات فحوى الخطاب الروائي ومضامينه التي كانت خاضعة - بالأساس - للأوضاع السياسية التي شهدتها الحقبة الاستعمارية خضوعاً يتمشى والوضع الذي يطبع كل مرحلة كُتبت فيها الرواية. ولقد حملت المتون السردية لتلك الأعمال الروائية بين حناياها جدلية العلاقة بين الأنا الجزائرية "المستعمرة" والآخر الفرنسي "المحتل"، وما يُضفي على هذه العلاقة الثنائية من أبعاد وتداعيات، مثلما يُبرزه الرسم الآتي:

تحليلات جدلية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية الصادرة في الحقبة الاستعمارية

الآخر الفرنسي:

بينما اتخذ الآخر الفرنسي صورة المستعمر الذي يشنّ حروباً على الأنا ويتسبّب في آلامها ومعاناتها وأحزانها، ما جعلها تنصدى له بطرق شتى، بُغية الدفاع عن نفسها والحفاظ على مقومات هويتها. وقد حضر الآخر الفرنسي في الخطاب الروائي الجزائري في صور: الآخر (الفرنسي) الراض لمعتقد الأنا (الجزائري) ودينها، والآخر (الفرنسي) المنهر بتعلّق الأنا (الجزائري) بمقوماتها العربية والإسلامية، والآخر الضالّ والكافر، والآخر الفضوليّ والمنهر بمبادئ الأنا وتربيتها ودمائه أخلاقها. الآخر الذي نصّب نفسه سيّداً على الأنا في عُقر دارها، والآخر المستخوذ على أراضي الأنا، والآخر المستنزف لثروات الأنا (الشعب الجزائري) وخيراتهما، والآخر الظالم للأنا، والآخر مصدر إزعاج الأنا ومضايقتها وتعذيبها واستجوابها، والآخر (الفرنسي) مصدر أذى الأنا ونذير شؤمها وأمانة حزنها، والآخر (الفرنسي) المتناقض الذي يعدّ حركة مقاومة الأنا له نشاطاً إرهابياً، والآخر المدافع عن الآخر والمحتني به في مواجهة الأنا، والآخر (الفرنسي) الجمعيّ المحتني بجيشه. الآخر (بوصفه قوة استعمارية) المهيمن بلُغته والمتحكّم بثقافته على المؤسسات التعليمية، والآخر الواعي بما يقول، والآخر المستعطف للأنا، ما يجعله يُوهمها بأنه صاحب رسالة إنسانية، ينشر السلم والأمان، ويحترم الهويات والأديان، ومن ثمّ يطمس هويتها. الآخر المكابر عناداً بُغية استصغار الأنا والحقّ من قدرها، والآخر ونظرته الاستعمارية المؤذرية إلى الأنا، والآخر المُحتقر للأنا، والآخر البريء الذي يُولد نقياً وطاهراً (راجع الفصل الأوّل، المبحث الثالث).

الأنا الجزائرية:

حضرت الأنا الجزائرية، بخصوصياتها ومرجعياتها وأبعادها المختلفة، في الخطاب الروائي الجزائري في صور: الأنا الجزائرية المسلمة والمتمسكة بهويتها الدينية والرافضة لمعتقد الآخر، والأنا الثابتة إلى رُشدتها، والأنا المستقيمة المتخلّية عن الأنا الضالّة والطائشة. الأنا المقاومة والمتمسكة بمقوماتها، والأنا المدركة لكيانها وهويتها، والأنا المتشبهة بانتمائها وأصلها والمفتخرة بهما، والأنا المغتربة عن وطنها وحنينها إليه. الأنا الجزائرية الراضة للآخر الفرنسي، والأنا الثائرة في وجه الآخر، والأنا الجزائرية المنتفضة من جزاء الظلم الذي ألحقه بها الآخر المستعمر. الأنا الجزائرية المتعلّمة والمتقّفة والمفكرة والواعية والمتفتّحة على الآخر، والأنا المثقفة التي تُريد فرض نفسها، والأنا الجزائرية الحكيمة والواعية وهي ترفع النّاشئة وتهتمّ بها، والأنا الحاملة للأمل والواقعة من عودة الأنا الأخرى إلى رُشدتها. الأنا الفردية المحدّدة للأنا الجمعيّة بُغية إدراك الهوية الجماعية، والأنا الواعية التي تُمسك بزمام الأمر وتحمل مسؤولية بثّ الوعي في نفوس الأنوات الأخرى بُغية تحديد المصير المشترك، والأنا المحرّضة للأنا الجمعيّة (أنا الجماعة) لمواجهة الآخر، والأنا الفردية الواثقة من الأنوات الجماعية التي تتولى زمام الأمور، والأنا الفردية التي تُطمئن الأنوات الجماعية حول مستقبلها، والأنا الجمعيّة ومُقاسمة الأنوات آلام بعضهم البعض، والأنا الباحثة عن فرض نفسها وضبط موقعها في كتابة تاريخ الوطن. الأنا المستخفّة بالآخر، والأنا الساخرة من الأنا المُساندة للآخر، والأنا المنتصرة للأنا، والأنا البسيطة التي تحترم الأنا المتعلّمة والمتقّفة وتعتزّ بها، والأنا المفتخرة بالأنا والمُعزّزة بها، الأنا البريئة والواعية في الآن ذاته، والأنا البريئة المنهرة بالآخر، والأنا القلقة والمضطربة خشية أن يكتشف الآخر خططها. الأنا المُتسجّمة مع الآخر، والأنا المتعاطفة مع الآخر، والأنا المتجاهلة للأنا، والأنا الهاربة إلى الآخر بحثاً عن تحسين وضعها الاجتماعيّ، والأنا

الرافضة لمواجهة الآخر، والأنا المنكّرة للوضع الاستعماري، والأنا المتواطئة مع الآخر، والأنا الخائنة التي تكيّد الكيّد لأختها الأنا (راجع الفصل الأوّل، المبحث الثالث).

زَاوَجَتِ الدِّراسة في استدراجها مُصطلح ما بعد الاستعماريّة (Postcolonial) بناءً على التأسيس المفهومي الذي استأثر دوغلاس روبنسون Douglas Robinson بضبطه، بين تعريفَي: دراسة المُستعمرات الأوروبيّة السابقة مُنذ تاريخ استعمارها، أي الحقبة الاستعماريّة التي كُتِبَتْ فيها الرواية الجزائريّة بالفرنسيّة حتّى الاستقلال. وتعريف: دراسات ما بعد الاستقلال ('post-independence studies)، حيث تتموقع هذه الدِّراسة - مِنْ منظورٍ تَرْجِيّ - وذلك لمعالجة الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة، الصادرة في الحقبة الاستعماريّة، جدليّة الأنا والآخر، وطرحها مُشكلات اللّغة وإكراهات الكتابة بلُغة الآخر، وتطرّقها إلى عاملي المكان والزمان، وتقصّبها مسائل الذات (Self)، ومُناقشتها قضايا سياسيّة وثقافيّة وأدبيّة، لا سيّما أن "ترجماتُها العربيّة" تجلّت في حقبة ما بعد الاستعماريّة، أي ما بعد نهاية الاستعمار وتحقيق الاستقلال.

تجلّت جدليّة الأنا والآخر في مسار الكتابة بلُغة الآخر في غير ما موضعٍ مِنَ الروايات الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة، في الحقبة الاستعماريّة، راسمةً صُور أنوات الذوات الكاتبة الجزائريّة المُتماهية وشخصيّاتها الروائيّة، طارحةً جدليّة الكتابة بلُغة الآخر (أي الفرنسيّة) في ثناياها. لقد شهدت تلك الروايات توظيف الذوات الكاتبة الجزائريّة كلمات وعبارات عربيّة خالصة، مُستوحاة مِنَ اللّهجة الجزائريّة المحليّة، لدرجة أن الذات القارئة المُتفحّصة للأصل (الفرنسيّة لُغة الرواية) تُحسُّ كأنّها تقرأ ذاتاً روائيّةً مكتوبةً بالعربيّة، نظراً لزخم الكلمات والعبارات العربيّة الواردة فيها، بل إنّ الذوات الكاتبة كانت تُتبعُ في كل مرّة تلك الكلمات والعبارات المفتاحيّة المُرتحلة مِنَ العربيّة إلى الفرنسيّة بترجمة فرنسيّة بين قوسين في المتن، أو في الهامش (الحاشيّة السفليّة) بشرح دلالاتها بالفرنسيّة، ما يعكسُ صورة الذوات الكاتبة التي تخطّ أعمالها بلُغة الآخر الفرنسي حتّى يُفهم المعنى المقصود بالفرنسيّة. وعلى هذا النّحو:

- كانت الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة، في الحقبة الاستعماريّة، ساحةً برزت فيها مُواجهة الآخر (the Other) الفرنسي ومُقاومته بلُغته، بحيث أفضت أصحاب اللسان الفرنسيّ طريقهم في لغتهم الخاصّة، واسمّة اللّغة الفرنسيّة بطابع الغرابة ومُستخدِمةً فرنسيّةً هجينة، مُظهرّةً بذلك مُعارضتها للفرنسيّة الاستعماريّة، وهذا ضربٌ مِنْ ضروب المقاومة باستعمال لُغة الآخر ومن ثمّ وسيلةً لتحرير

الذات (self-liberation).

• اقترضت الذوات الكاتبة الجزائرية كلمات وعبارات عربية مُستوحاة من اللهجة الجزائرية المحلية إلى الفرنسية ووسمتها بحروف لاتينية، كما لجأت الذوات الكاتبة الجزائرية إلى الحاشية السفلية لترجمة تلك الكلمات إلى الفرنسية. وعلى هذا الأساس، صاحب فعل الترجمة فعل الكتابة كأنها ذات مكتوبة بالعربية تتخللها كلمات فرنسية، ما انعكس - إيجاباً - على الترجمة العربية وسهل مهمة النقل التي اضطلعت بها الذوات المترجمة.

• خلقت الذوات الكاتبة الجزائرية في رواياتها ضرباً من ضروب الكتابة المزدوجة (double-writing)، مُحولة لغة الآخر (the other) إلى شيء مثل الذات (the self)، ومُحققةً بذلك مبدأ من المبادئ التي سنتمها غاياتري شاكرافورتى سيفاك Gayatri Chakravorty Spivak، ليس في سياق مهمة استسلام الذات المترجمة وخضوعها للذات المكتوبة الأصل قيد النقل، ولكن في سيرورة ترويض لغة الآخر الفرنسي بواسطة الكتابة وإخضاعها للعربية.

• من حيث نظريات الترجمة ما بعد الاستعمارية، يُعدّ توظيف الذوات الكاتبة الجزائرية لتلك الكلمات والعبارات العربية من تداعيات ثنائية اللغة في الحقبة الاستعمارية ومتطلباتها، بحيث تصبح النصوص الروائية المكتوبة بالفرنسية نصوصاً مزدوجة، ونصوصاً ثنائية اللغة، تُصاحب فيها العبارات العربية (المرومنة أو المنقحرة أو المُقترضة) اللغة الفرنسية، ما يجعلهما (أي العربية والفرنسية) مترابطتين يُكمّلان بعضهما البعض كأنهما لغة واحدة. وهذا من ضروب التهجين وفق آراء سامية محرز، وذلك لاعتماد الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية على أزيد من ثقافة واحدة، وأكثر من لغة واحدة، هذا كله ضمن حدود الذات الروائية المكتوبة نفسها. وعلى هذا الأساس، اتخذت الذوات الكاتبة الجزائرية ثنائية اللغة إجراءً مُصاحباً لسيرورة الكتابة باللغة الفرنسية ووسيلة فعالة لمقاومة هذه اللغة الأجنبية المهيمنة.

• ومن حيث الإجراءات التّرجميّة، يُمكن تفسير توظيف الذوات الكاتبة الجزائرية للكلمات والعبارات المنقولة حرفياً من اللغة العربية - الفصحى والعامية - إلى اللغة الفرنسية بأنها إحدى تقنيات الرومنة (Romanization)، أو الاقتراض (Borrowing)، أو النّقحرة (Transliteration)، المُصاحبة لسيرورة الكتابة بالفرنسية.

• وفي سيرورة الكتابة بلغة الآخر (المُستعمر)، تُعدّ استراتيجية التهجين المنتهجة من لدن الذوات الكاتبة الجزائرية ضرباً من ضروب استراتيجية التغريب (foreignizing strategy) في الترجمة، هذه الاستراتيجية المقاومة للعُزف (التي سنّها لورانس فينوتي Lawrence Venuti في نظريته، واعتمد عليها أنطوان بيرمان Antoine Berman في تأملاته التّرجميّة، وتتبناها تيجاسويني نيرانجانا Tejaswini

Niranjana وغياتري شاكرافورتى سبيفاك Gayatri Chakravorty Spivak في سياق نظريات الترجمة ما بعد الاستعمارية) والمنفتحة على استيراد الاختلاف إلى اللغة الفرنسية. وبذا، تكون الذوات الكاتبة الجزائرية (الروائية) قد تقمّصت شخصيةً شبيهةً بشخصية الذات المترجمة، مُنتهجةً مبادئ نيرانجانا Niranjana الرامية إلى التحديّ بانتهاج استراتيجيّة التغريب، مُقاومةً بذلك إكراهات الكتابة بلغة الآخر الفرنسي ومُتصديةً لها.

- تُشابهُ سيرورة الكتابة باللغة الفرنسية عند الكُتّاب الجزائريين سيرورة الترجمة، تتقمّصُ فيها الذوات الكاتبة الجزائرية دور الذوات المترجمة (في إجبار اللغة الأخرى على ترحيلها (أن تُرحّل) إلى لغتها الأم) التي تُواجهُ نصًّا أجنبيًّا آخرًا (autre)، فتعتمدُ إلى الدفاع عن لغتها (بتحاشي الإفراط في توظيف الفرنسية *surfrancisation*) وفتحها على العنصر الأجنبي (أي العربية واللهجة الجزائرية المحلية). كما سهّلت بساطة أسلوب الذوات الكاتبة مهمّة النقل إلى العربية بوصفها رحلةً ثانيةً وعودة الذات المكتوبة إلى منبعها الأصل.

- تُطالبُ الذوات القارئة للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، في الحقبة الاستعمارية، بأن تكون هي كذلك ثنائية اللغة مثل طبيعة هذه الرواية في البينية (in between)، أي بين البينين، قادرةً على القراءة والترجمة في آنٍ واحد، حيث تصبح الترجمة هنا جزءًا لا يتجزأ من تجربة القراءة لفك رموز هذه الرواية وفهم محتواها، وهذا ضربٌ من ضروب الترجمة الدائمة (perpetual translation) – وفق اصطلاح سامية محرز Samia Mehrez – التي من المتوقع أن تُباشرها أي ذات قارئة تقترب من ذات روائية مكتوبة من هذا القبيل. بيد أن مُشكل الكتابة في الترجمة الروائية يكمن في أننا نستهدف ذوات قارئة ليس لديها معرفة بالذات الروائية المكتوبة الأصل، ولا تُتقن اللغة التي حُطّت بها في أغلب الأحيان، وليس لها ملاذ آخر لتحصيل المعنى عدا الذات الروائية المترجمة (المنقولة) التي أمامها.

- لقد نجحت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية في الحقبة الاستعمارية – وفق آراء سامية محرز Samia Mehrez وتأملاتها – في صياغة لغةٍ جديدةٍ تتحدّى مفهوم الذات المكتوبة بالفرنسية الأجنبية، فقد كانت ذاتًا روائيةً هجينةً (hybrid) أو مُهجنّة (métissés)، بسبب الطبقات الثقافية واللغوية والتّضمينات المبتوثة في ثناياها، خالقةً لغةً بينية (in between)، بين الأصل (العربية) ولغة الرواية (الفرنسية)، ومن ثمّ تأتي الترجمة في رحلتها الثانية، أي رحلة العودة إلى الأصل، لتشغل فضاء (space) بينيًا (in between) بينهما.

- وبما أن مفهوم الفضاء البيني (the space-in-between) يعتمدُ على مفهوم التّهجين (hybridization)، يُعدُّ النصُّ الروائيّ الجزائريّ المكتوب بالفرنسية نصًّا من النصوص الهجينة

(hybrid) أو المِهْجَنَة (métissés)، لأن فرنسيته لم تكن فرنسيّة خالصة بل كانت تهجيناً. يتموضع هذا الضَرْبُ مِنَ الكتابة في الفضاء البيئي الهجين (hybrid space in-between) الذي تنطوي عليه تلك اللغات واللهجات والثقافات المحليّة، أو ما يصطلح عليه هومي بابا الفضاء الثالث (third space). وبُغية ضبط ما أسفرت عنه جدليّة الأنا والآخر في ميزان المُمَارَسَة التَرْجَمِيَّة واستراتيجيّاتها، مِنْ منظورٍ ما بعد استعماريّ، استندت الدِّراسة إلى المنهج النَّقديّ البيرومانيّ وإلى المعلومات السياقيّة (contextual information) التي تنتهجها سبيفاك Spivak في أثناء مُمارَسَتها التَرْجَمِيَّة. لقد كشفت بعض الذوات المُترجمة "ما بعد الاستعماريّة" عن مشروعها التَرْجَمِيّ في مُقدِّماتها، وتصديراتها، واستهلالاتها، وحواشها المدعّمة للترجمة، وتعليقاتها، وملاحظاتِها. في حين لم تعثر الدِّراسة على أيّ تصدير أو تقديم تشرّح فيه الذوات المُترجمة الأخرى (أحمد بن محمد بكليّ، والسعيد بوطاجين، وذوقان قرقوط، وأحمد نظير نشوقي) مشروعها التَرْجَمِيّ، إنّما استُشِفَ مِنْ نتاجاتٍ أخرى واقعة فيما وراء النِّتاج التَرْجَمِيّ للذوات المُترجمة (les productions métatraductionnelles des sujets traduisant)، وبرَزَ في أثناء مرحلة البحث عنها (أي في الحوارات والمقابلات الصحفيّة، ومُذَكِّرات الذوات المُترجمة وسيّرها الذاتية)، وتَجَلَّى في نِتاج سيرورة الترجمة نفسها (أي على صعيد النِّتاج التَرْجَمِيّ بمعناه الضيّق).

ضبط المشروع التَرْجَمِيّ ما بعد الاستعماريّ وتداعياته		
الذوات المُترجمة	البحث عن الذوات المُترجمة	مشروع الترجمة
د. معراج أغا.	الملحق (5).	- التعريف بخاله محمد ولد الشيخ أغا. - إبراز معالم الهويّة المبنوثة في حنايا رواية «مريم بين النخيل». - تعريف الذوات القاريّة (جيل ما بعد الاستقلال الذي يقرأ بالعربيّة) بطبيعة هذه الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة، الصادرة في حقبة ما بين الحربين العالميتين.
د. زيدان خوليف.	الملحق (6).	يُعدُّ "التصدير المُحرَّر بقلم معالي عمر مسقاوي" الذي افتُتِحَتْ به ترجمة رواية «Lebbeik : Pèlerinage de Pauvres» لمالك بن نبي إلى العربيّة، حيث تُطَرِّق فيه إلى فكر بن نبي وقضايا تصفية سلبية القابلية للاستعمار، ورسم وجهة العالم الإسلاميّ الذي تتلاقح فيه الفكرة الآسيويّة والإفريقيّة، وحُضور العالم الإسلاميّ في العالم برمته، ومسألة ميراث هزيم الحضارة الاستعماريّة الغربيّة التي أوشكت بها النّهاية على حدّ تعبير عمر مسقاوي؛ رَسْمًا لمسارٍ يُؤسِّس رؤية ما بعد الاستعماريّة التي ارتكزت عليها الترجمة.

● كما استند مشروع الذات المترجمة (د. زيدان خوليف) إلى أطروحته حول "حياة مالك بن نبي وأعماله"، وما إسقاطه لشخصيات الرواية على فكر بن نبي إلا عُدَّة معرفية تسَلَّحت بها الذات المترجمة قبل مُباشرة الترجمة، مَكَّنَّتها مِنْ رسم مسار مشروعها التَّرجيِّي.		
● إبراز طبيعية الأدب المكتوب باللُّغة الفرنسيَّة وتصنيفه أدبًا عربيًّا استعار - مُضطرًّا - اللِّسان الفرنسي في التعبير. ● إبراز مأساة "الكتابة بلُّغة الآخر الفرنسي" عند الكُتَّاب الجزائريين. ● إبراز طبيعية "ترجمة" الأدب المكتوب باللُّغة الفرنسيَّة إلى العربيَّة. ● الإفصاح عن مشروع تَرْجِيِّي ذي نزعة قوميَّة عربيَّة ينتصرُ للثورة الجزائريَّة ويُعرِّفُ بها.	الملحق (7).	د. سامي الدروبي.
● لم نجد أيَّ تقديم في ترجمات الجزائريِّ أحمد بن محمد بكليُّ يُفصِّحُ فيه المُترجمُ عن مشروع التَّرجيِّي صراحةً، بل استُشِفَّ مِنْ المعلومات السياقيَّة وتصريحاته - الواقعة فيما وراء النِّتاج التَّرجيِّي - حول ترجمته ثلاثيَّة محمد ديب إلى العربيَّة (راجع الملحق (8))، حيث أفصَحَ المُترجمُ الجزائريُّ عن مشروع التَّرجيِّي الرامي إلى جزارة الترجمة وإضفاء الطابع المحليِّ الجزائريِّ، لا سيَّما أن هذه الترجمات صدرت بدعمٍ مِنْ وزارة الثقافة الجزائريَّة بمناسبة تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلاميَّة 2011م.	الملحق (8).	أحمد بن محمد بكليُّ.
● لم نجد أيَّ تصدير أو تقديم يشرُحُ فيه المُترجمُ الجزائريُّ السعيد بوطاجين مشروع التَّرجيِّي، بل استُشِفَّ مشروعُه مِنْ وحي مُمارَسَتِه التَّرجميَّة وترجماته الأخرى المُختلفة (راجع الملحق (9)) الرامية إلى بعث الروايات الثوريَّة الجزائريَّة إلى الساحة القرائيَّة العربيَّة مِنْ جديد (في حقبة ما بعد الاستعماريَّة).	الملحق (9).	أ. د. السعيد بوطاجين.
● ركَزَ المُترجمُ الجزائريُّ حنفي بن عيسى في مشروع التَّرجيِّي على إبراز طبيعة أعمال مالك حدَّاد الأدبيَّة، مُسلِّطًا الضوء على مأساة التعبير عنده، وموقفه مِنْ الكتابة بلُّغة العدُو الفرنسيِّ، ومدى إحساسه بغربته في لُغة الآخر الفرنسيِّ كأنه في "منفى"، يتجاذبه الشَّوق إلى اللُّغة العربيَّة والحنين إليها. لقد خُلِقَ مالك حدَّاد - على لسان الذات المُترجمة - ليدافع عن قضية بلاده الجزائر، مُجَنِّدًا نفسه وقلمه في أداء واجبه الوطنيِّ. وبذا، تُحاولُ	الملحق (10).	د. حنفي بن عيسى.

الذات المترجمة الجزائرية الانتصار لذاتها الكاتبة وذاتها المكتوبة بلغة الآخر الفرنسي، المنتصرة لثورة نوفمبر المباركة والمدافعة عن قضية الجزائر من مبدأ الواجب الوطني.		
• لم نعتز على أيّ تصدير أو تقديم يشرّح فيه المترجم السوري ذوقان قرقوط مشروعه الترجي، بل استُشِفَ مشروعه القومي من هابيتوس الثورة والتحرر والعروبة والوطنية المتجذر في فكره، والمتجلى في ترجماته المختلفة (من حيث الانتقاء)، ومن سيرته الذاتية (راجع الملحق (11)).	الملحق (11).	د. ذوقان قرقوط.
• لم نجد أيّ تصدير أو تقديم يشرّح فيه المترجم أحمد نظير نشوقي مشروعه الترجي، إنما استُشِفَ مشروعه من وحي ممارسته الترجمة (من نتاج الترجمة ذاتها) التي شاكلت ممارستَي الذاتين المترجمتين السوريتين (سامي الدروبي وذوقان قرقوط).	(*)	أحمد نظير نشوقي.

كشفت التصديرات والمقدمات التي توصّلت إليها الدراسة عن جانب من المشروع الترجي الذي انبثرت الذوات المترجمة تجسده في ترجماتها، علماً أن الذوات المترجمة لم تكن تشرّح في تصديراتها أو تقديماتها كيفية معالجتها الذات الروائية المكتوبة، ولا كيفية تعاملها مع ترجمة الكلمات والعبارات الإشكالية، ولا طريقة نقلها المقاطع السردية المتضمنة لمعانٍ مضمرة تجسّد الأبعاد التي اتخذتها جدلية الأنا والآخر. كما لم تجد الدراسة، في الترجمات المعادة، أي توضيح من الذوات المترجمة يبرز مدى اختلاف ترجماتها عن سابقتها. وبناءً على مشروعها الترجي، انقسمت الذوات المترجمة في نقلها - إلى العربية - جدلية الأنا والآخر - بأبعادها المختلفة - المبنوثة في حنايا الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، في الحقبة الاستعمارية، إلى فريقين:

- فريق يضم ذواتاً مترجمة مشرقية (المترجمين السوريتين: سامي الدروبي وذوقان قرقوط. والمترجم أحمد نظير نشوقي) انبثرت تنقل المقاطع السردية بلغة عربية فصيحة تماشياً ومشروعها الترجي ذي النزعة القومية العربية، الرامي إلى التعريف بالثورة الجزائرية؛ أي مكتفية بالانتقال من نسق رمزي (من نسق اللهجة الجزائرية المحلية المتضمنة في حنايا الذات الروائية المكتوبة الأصل) إلى نسق رمزي آخر (إلى العربية الفصحى نتاج الترجمة)، لأن الذوات الكاتبة كانت قد أوردت في رواياتها المكتوبة بالفرنسية بعض العبارات المحلية المستوحاة من اللهجة الجزائرية.

(*) بالرغم من المساعي الحثيثة، لم تتمكّن الدراسة من تحصيل أيّ معلومة تُعنى بالمترجم أحمد نظير نشوقي، وهذا ما أشارت إليه أ. د. سهيلة مربي في دراستها (يُنظر: مربي سبيلا، إشراف: الأستاذ الدكتور رشيد بن مالك، «المنحى التداولي في رواية مالك حداد LE QUAI AUX FLEURS NE REpond PLUS وترجماتها الثلاث إلى العربية»، المرجع السابق، ص170).

• وفريق ثانٍ يضمُّ ذواتًا مُترجمةً جزائريّةً (المُترجمين الجزائريين: معراج أغا، وزيدان خوليف، وأحمد بن محمد بكلي، والسعيد بوطاجين، وحنفي بن عيسى) لجأت - بدرجاتٍ متفاوتةٍ - إلى توظيفِ اللهجة الجزائرية المحليّة في غير ما موضعٍ من ترجماتهما، مُضفيّةً على نقلها المقاطع السردية طابعًا محليًا جزائريًا خالصًا.

لقد كانت مشاريع ترجمات الفريق الثّاني (فريق الذوات المُترجمة الجزائرية) أشدَّ تجسّدًا لأبعاد جدليّة الأنا الآخر المبتوثة في حنايا الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسيّة (في الحقبة الاستعماريّة) إلى العربيّة (في سياق الحقبة ما بعد الاستعماريّة)، إذ تصوّرت الذوات المُترجمة الجزائرية في النّقل بما يتوافق والسياق المبتوث في الأصل، فكان مسار النّقل مُتأرجحًا بين توظيف العربيّة الفصحى واللهجة الجزائرية المحليّة (بنحوٍ مُزاوٍ بينهما)، مُجسّدًا ما ورد في الأصل حقيقةً، كأن هذه الترجمات الجزائرية مُوجّهة إلى جمهورٍ جزائريّ ذي نطاق محدود. بينما تُعدُّ مشاريع ترجمات الذوات المُترجمة المشرقيّة (المُترجمين السوريّين: سامي الدروبي وذوقان قرقوط. والمُترجم أحمد نظير نشوقي) مشاريعًا مُنتصرةً للقوميّة العربيّة، فكانت ترجماتهما سليمةً من النّاحيتين اللّغويّة والأسلوبية، تُستهدفُ جمهورًا عربيًا ذا نطاق واسع.

إنَّ لجوء الذوات المُترجمة الجزائرية إلى اللهجة الجزائرية المحليّة (المألوفة لدى الذوات القاريّة الجزائرية على وجه التحديد) مرّدُه الحفاظ على الوقع نفسه المبتوث في حنايا الذوات الروائيّة المكتوبة الأصل، مُحاولّة تصوير المشاهد ذاتها التي أرادت الذوات الكاتبة تصويرها - ولو أنّها كتبت رواياتها بلُغة الآخر (أي الفرنسيّة) - فكانت تلك العبارات المحليّة المُستوحاة من اللهجة الجزائرية أقرب إلى مُراد الذوات الكاتبة وأشدَّ تجسّدًا لتجليات جدليّة الأنا والآخر وتصويرًا لها، بأبعادها وخصوصيّاتها المختلفة. وعلى هذا النّحو، تعيش الذوات القاريّة الجزائرية لترجمات الذوات المُترجمة الجزائرية التجربة ذاتها التي عاشتها شخصيّات الرواية، والموقف ذاته، والأحداث ذاتها، وتتقاسمُ الصراع الجدليّ ذاته (بين الأنا والآخر) المبتوث في حنايا الذوات الروائيّة المكتوبة الأصل.

لقد أسفّرَ تتبّع جدليّة الأنا والآخر في نقل الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسيّة، الصادرة في الحقبة الاستعماريّة، إلى العربيّة، عن تأصّلها في مسار الذوات التّرجميّة (الذات الكاتبة، والذات المكتوبة، والذات المُترجمة، والذات القاريّة) في حدّ ذاتها، وما صاحَب تأثيرات المشروع التّرجميّ ما بعد الاستعماريّ من أبعاد وتداعيات، وفق ما تُبرزه الاستنتاجات الآتية:

• استثمرت الذوات المترجمة الجزائرية – بوصفها ذواتاً قارئاً بامتياز – في تلك الآثار التي خلفتها التعددية اللغوية في عملية الكتابة بالفرنسية المنتهجة من الذوات الكاتبة الجزائرية، ما جعل سيرورة الترجمة في هذا الصدد سيرورة ذات طابع فذ (*sui generis*)، استعادت فيها اللغة العربية المنقول إليها ما نُقل منها في المرة الأولى، مما سهّل مهمّة الذوات المترجمة الجزائرية ومكّنها من التمييز في تضاريس الذات الروائية المكتوبة الأصل والتبني في ثناياها (على حدّ تعبير سبيفاك Spivak)، ومن ثمّ تجسيد تجليات جدلية الأنا والآخر – بأبعادها المختلفة – المبتوثة في حنايا الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، في الحقبة الاستعمارية.

• تُعدّ الآثار التي خلفتها سيرورة نقل أبعاد جدلية الأنا والآخر من العربية (في ذهن الذوات الكاتبة) إلى الفرنسية (اللغة التي خُطت بها الرواية، أي الذات الروائية المكتوبة) في المحطة الأولى إجراءً من الإجراءات التّرجميّة المُساعدَة، جاعلةً من العودة (نتاج الترجمة) إلى العربية بوصفها محطةً ثانيةً مهمّةً يسيرة، إذ لم تواجه الذوات المترجمة أيّ صعوبة تُذكر في إعادة الذوات الروائية المكتوبة (بأبعاد الأنا والآخر المبتوثة فيها) إلى منبعها الأصل.

• ومن مَخلفات استراتيجيّة التّجهين المُصاحبة لفعل الكتابة بلُغة الآخر الفرنسي، كانت الذوات الكاتبة الجزائرية مصدرية ومُسْتَهْدَفَة في الآن ذاته (بناءً على ثنائية جان رينيه لادميرال Jean-René Ladmiral التّرجميّة)، هي الأنا (بفكرها وأبعادها ومرجعياتها وخصوصيّاتها المختلفة)، والآخر (بلُغته الفرنسية، أي اللغة التي خُطت بها الرواية) في الآن ذاته. وبناءً على هذا الفهم، وازنّت الذوات المترجمة الجزائرية في طبيعة نتاج الترجمة متأرجحةً بين أنا المصدر وأنا الهدف في بعض المواضع (أي بين توظيف العربية الفصحى واللّهجة الجزائرية المحليّة)، في حين لم تكن الذوات المترجمة الجزائرية – في غير ما موضع – مُسْتَهْدَفَة فحسب، إنّما كانت – بالأحرى – شديدة (مُتطرّفة) الاستهداف! (*des ultra-ciblistes* وفق مُصطلح لادميرال Ladmiral)، مُضْفِيَةً على المقاطع السردية المنقولة طابعاً محليّاً جزائريّاً خالصاً.

• وحتىّ يشغل الحقل الروائيّ الجزائريّ المُسْتَهْدَفُ ويُفَعَّل، وفق اصطلاح بيير بورديو Pierre Bourdieu، لجأت الذوات المترجمة الجزائرية إلى التصرّف في غير ما موضع من ترجماتها، فقد أبانت عن استعدادها لِلْعِبِ اللّعبة الروائيّة، مُتَمَتِّعَةً بالهابيتوس (*l'habitus*) ذاته الذي ينطوي على معرفة القوانين الكامنة في اللّعبة المؤسّسة للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، في الحقبة الاستعماريّة، والاعتراف بها وبسيرورتها ورهاناتها وتداعياتها. إذ لم تتشبّث بالأصل، بل استندت إلى التّأويل النّاجم عن فُهم الذات الروائيّة المكتوبة الأصل وتفكيكها، مُسْتَهْدَفَةً في الآثار التي خلفتها تلك العبارات المنفحرة أو

المُؤمَّنة أو المُقترضة التي استدرجتها الذات الكاتبة بلُغةٍ الأخر إلى الأصل الفرنسي (أي الفرنسية لُغة تحرير الرواية)، مما أسهم في تسهيل مأمورية العودة إلى الأصل، أي إلى اللُغة العربيَّة.

• وفي مسارٍ عودة تلك الكلمات والعبارات المُقترضة من اللُغة العاميَّة الجزائريَّة إلى اللُغة الفرنسيَّة في المحطة الأولى، ثُمَّ إلى العربيَّة في الرحلة الثَّانيَّة: أحكمت الذوات المُترجمة الجزائريَّة استرجاعها (أعادت اقتراضها) إلى العربيَّة، واضعةً إيَّها بين قوسين ومُضيفَةً عبارات شارحة لمعناها ودلالاتها في المتن. كما استعانت الذوات المُترجمة الجزائريَّة بالحاشيَّة السفليَّة (من ضُروب الترجمة المصقولة والمُفسَّرة بهوامش Gloss translation أو مُصطلح التكافؤ الشكلي عند نيدا Nida) في غير ما موضعٍ من ترجمتها، شارحةً طبيعة تلك الكلمات والتسميَّات المحليَّة ذات الأبعاد الثَّقافيَّة والاجتماعيَّة والجغرافيَّة والتاريخيَّة باللُغة العربيَّة الفصيحة، تعزيزًا للمتن وإجراءً من الإجراءات المُساعدة على الترجمة، سعيًا إلى تجسيدٍ جدليَّة الأنا والآخر – بأبعادها المختلفة – المبنوثة في ثنايا الذوات الروائيَّة المكتوبة الأصل التي تُواجهها. وهذه من الحيَل التي تلجأ إليها الذات المُترجمة لإحداث الأثر ذاته المبنوثة في ثنايا الذات الروائيَّة المكتوبة الأصل، ومن ثُمَّ توسيع شريحة الذوات القاريَّة وكسب ذوات قاريَّة أخرى تتجاوز نطاقها المحلي.

• وبارتكاها على وحدات المعنى (unités de sens) البيَّنة والمُضمَّرة، يُعدُّ تدخُّل أنا الذوات المُترجمة الجزائريَّة مُباشرةً في سيرورة النُّقل وجُهاً من أوجه الرؤية ما بعد الاستعماريَّة، أو ضربًا من ضُروب استراتيجيَّات نظريَّة الترجمة ما بعد الاستعماريَّة التي تولَّدت من هابيتوسات (habitus) الذوات المُترجمة الجزائريَّة، مُتمثِّلَةً في نسق استعداداتها التي مكَّنتها من إضافة عباراتٍ شارحة لبعض الكلمات، والتَّعابير، والصِّغ المحليَّة، والجُمْل، والفقرات (المنقولة إلى العربيَّة): مُوضحةً خبايا الأصل وبواطنه، ومُحاولةً إفهام الذات القاريَّة وجعلها تستشعر ذلك الصراع الجدلي الذي عاشته الأنا الجزائريَّة، بأبعادها وخصوصيَّاتها ومرجعياتها المختلفة، في مُواجهة الآخر الفرنسي. وعلى هذا النُّحو، انتصرت لترجماتنا بتأويل الذوات المكتوبة الأصل وفق مشروع الترجمة وأغراضه، ما جعلها تُجسِّد الصُّور التي اتَّخذتها جدليَّة الأنا والآخر – بأبعادها المختلفة – المبنوثة في حنايا الذات الروائيَّة المكتوبة الأصل.

• تماهت الذوات المُترجمة الجزائريَّة والذوات الكاتبة واستسلمت لها في ذواتها الروائيَّة المكتوبة واستكانت لها (وفق تعبير سبيفاك Spivak)، ما انعكس على سلاسة الترجمة العربيَّة وسدادها. إذ حَيَّلت سيرورة الترجمة العربيَّة – في هذا الصَّدَد – هابيتوسات الذوات الكاتبة (l'habitus des sujets l'écrivain)، وهابيتوسات وكلاء الترجمة (l'habitus des agents de la traduction)، أي الذوات النَّاشرة والذوات المُترجمة، وهابيتوسات الذوات القاريَّة (l'habitus des sujets lecteurs) مُستقبلة الذوات الروائيَّة المُترجمة (الذوات الروائيَّة المنقولة) في الحقل الجزائري المُستهدف؛ مُجسِّدةً بذلك أبعاد

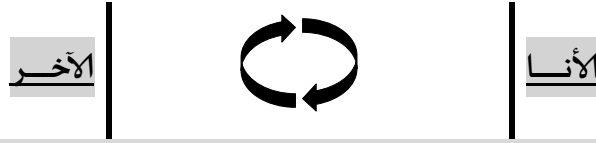
جدلية الأنا والآخر وتجلياتها المبتوثة في غير ما موضع من المقاطع السردية، بالتأثير ذاته والوقع نفسه.

- تمكنت الذوات المترجمة الجزائرية من نقل الإيلوزيو (*l'illusio*) ذاته الذي وضعته الذوات الكاتبة في ذواتها الروائية المكتوبة الأصل، مشاركة في جدلية الأنا والآخر المبتوثة فيها، بأبعادها ومرجعياتها وخصوصياتها المختلفة، وبالمصلحة (*l'intérêt*) ذاتها والاعتقاد (*croyance*) نفسه، وبالتوتيرة ذاتها والوقع نفسه، كأن اتفاقاً قد عُقد بينهم سلفاً (أي بين الذوات الكاتبة والذوات المترجمة الجزائريتين). وبذا، يتسنى للذوات القارئة المستهدفة (المستقبلة للترجمة العربية) ملامسة الإيلوزيو (*l'illusio*) ذاته مثلاً لامتسته الذوات القارئة - الأصل أو ثنائية اللغة - للذوات الروائية المكتوبة بالفرنسية (المصدر). بينما تكفلت الذوات الكاتبة الجزائرية للذوات الروائية المصدر (المكتوبة بالفرنسية) بنقل رأس المال الرمزي (*le capital symbolique*) إلى الفرنسية أولاً، في حين استرجعت الذوات المترجمة الجزائرية رأس المال هذا إلى الحقل الروائي المستهدف (المكتوب بالعربية)، وفق الإيلوزيو (*l'illusio*) المحدد لقواعد اللعبة الروائية المؤسسة للأصل.

- لم يكن إقحام جدلية الأنا والآخر في ميزان الثنائيات الترجمائية (مبدأي التكافؤ الشكلي والتكافؤ الديناميكي، استراتيجيتي التوطن والتغريب، المصدريين والمستهدفين) تعدداً مصطلحياً آخرًا يفضي إلى فوضى مصطلحية، ولا نقداً لها أو بحثاً عن سبيل لتجاوزها؛ بل كان مردّه ضبط موقع جدلية الأنا والآخر في مضمار تلك الثنائيات الترجمائية وتتبع مسارها. وقد أفرز ذلك التقفي عن شمول ثنائية الأنا والآخر تلك الثنائيات المعالجة واستدعائها للإمام بأبعاد شتى، تتخذها جدلية الأنا والآخر في مسار الذوات الكاتبة والمكتوبة والمترجمة والقارئة. وما يسترعي الانتباه في مسار جدلية الأنا والآخر في ميزان الثنائيات الترجمائية المذكورة، أنها تضع الفعل الترجيبي في ميزان لغتين أجنبيتين مختلفتين، وبين ثقافتين متباعدتين، تكون فيها الذات الكاتبة - بوصفها أنا - آخرًا عند الذاتين المترجمة والقارئة، بيد أن وضع الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية مختلف تمامًا، إذ تبلورت في ذهن الذوات الكاتبة (أنوات الذوات الكاتبة الجزائرية) بلغة عربية، ثم حُطت بلغة الآخر (أي بالفرنسية)، وانبرت تنقلها ذوات مترجمة عربية؛ فكانت طبيعة هذه العودة (إلى العربية) طبيعة فذة (*sui generis*) وأسطورية.

- شقت سيرورة عودة الرواية الجزائرية إلى الأصل - بوصفها ترجمة ثانية - مسار فضاء ثلاثي الأبعاد، كأنه "ترجمة ترجمة للترجمة". وعلى هذا الأساس، يُشاكل مسار عودتها حركة البيلدونغ (*La Bildung*) بحكم طبيعته القائمة على التجربة، يكون فيها الذهاب من الأنا إلى الآخر ثم العودة إلى الأنا. ومثلما أورد أنطوان بيرمان، يستأثر البيلدونغ (*Bildung*) بشدة بحركة الترجمة، لأن حركة الترجمة تبدأ من الأنا (*du Moi*) بُغية الذهاب إلى الآخر (*à l'Autre*). ومن هذه التجربة، يعود مسار هذه الحركة إلى

نقطة بدايته وانطلاقه مثلما يوضحه الشكل الآتي:



- ✓ يسعى جوهر الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية إلى إلقاء الأنا في البُعْد الذي سيحوّلها - فيما بعد - إلى آخر. بعبارة أخرى، إنها حركة الأنا التي تجد نفسها مُتحوّلةً إلى آخر.
- ✓ تخرج الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية من ذاتها (de soi) وتعود إلى ذاتها (en soi-même) من جديد، في حركة تناوبٍ دائم.
- ✓ تتحقّق عودة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية إلى ذاتها العربية من وجودها خارج الذات، وتكمن تجربة العودة الناجحة (أي عودة النصّ الروائي الجزائري إلى منبعه الأصل وفق تعبير عمار بلحسن) في أن تُصبح الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ذاتاً من الآخر (صيرورة الذات من الآخر)، وأن تُصبح آخرًا من الأنا (صيرورة الآخر من الأنا).
- ✓ تُعدّ ترجمة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، إلى العربية، ضربًا من ضروب مُغامرة تُوصف بـ: الجولة الكبرى (Le grand tour) الشليجيليّة (نسبة إلى فريدريش شليجل Friedrich Schlegel). كما تُوصف عودتها إلى منشأها الأصل بـ: العودة الأسطوريّة (وفق اصطلاح الطيب بودربالة).

• تأسيسًا على مُعطيات هذا الشكل ونتائجه، يُخلَصُ إلى أن الترجمة العربية للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية كانت كائنًا إعادة للترجمة، أو ترجمة العودة إلى الوطن (une traduction rapatriante باقتراض العبارة البيرومانية)، أو تغريبًا يُعيد إلى الوطن (dépaysement qui rapatrie) باستعارة عبارات جان بوفري Jean Beaufret مثلما استعارها أنطوان بيرمان)، رَسَمَتْ مشهد إعادة المهاجر (أو المُغترب) إلى وطنه الأمّ، وما حملته رحلة العودة إلى الوطن (rapatriement) هذه (أي مسار الرحلة الثنائية) من تداعيات.

• وفي سيرورة تجسيد أبعاد جدلية الأنا والآخر المبتوثة في ثنايا الرواية، تَخْلُصُ الدِّراسة إلى أهمية علامات الترقيم ومواضع استعمالها. وفي هذا السياق، أُبْقَتْ الذات المُترجمة الجزائرية (أحمد بن محمد بكلي) في ترجمتها على صياغة بعض الكلمات الواردة في الرواية (لا سيّما تلك الكلمات المكتوبة بخطّ مائل، التي كانت تُوحي إلى الآخر الفرنسي المُستعمر) وحافظت عليها شكلاً ومضمونًا، مُجاريةً أسلوب الذات الكاتبة (محمد ديب). كما وَضَعَتْ بعض الكلمات المُترجمة بين شولتين مُزدوجتين (علامتي التنصيص) قاصدةً من وراءها إبراز الصورة التي اتّخذها الآخر وتجسيدها في الترجمة إلى العربية. والإجراء التّرجيّي ذاته انتهجته الذات المُترجمة السوروية (سامي الدروبي) حينما وَضَعَتْ كلمة «العربي» بين شولتين

مُزدوجتين (علامتي التنصيص) لتركّز في تأويلها - التّرجميّ - على بُعد الأنا ونظرة الآخر لها، وهذه من الإجراءات التّرجميّة الشّكليّة السّديدة التي يُمكن أن ينتهجها مُترجمو حقبة ما بعد الاستعماريّة لنقل أبعاد جدليّة الأنا والآخر المبتوثة في حنايا الكلمات المؤسّسة للخطاب الروائيّ، فللكلمة هويّتها الخاصّة، ونبضها المُميّز، وقيمتها المُتفَرّدة، ووزنها الحقيقيّ، وشحنها الدلاليّة الخاصّة؛ ومن علامات التّقييم التي تُنسجّ بها الكلمات والعبارات، يُجسّد وقع أبعاد جدليّة الأنا والآخر على مُستقبلها.

• لقد تأتّى تأويل المقاطع السردية، مضرب النّقل، من جرّاء فهم مُراد الذوات الكاتبة الجزائريّة ومقصد قولها البين أو المُتضمّن الذي كانت ترمي إلى بئهِ وإيصالهِ في حنايا خطابها الروائيّ، وهذا من مبادئ النّظريّة التّأويليّة في الترجمة التي تُركّز على وحدات المعنى بُغية بلوغ الفهم الباطنيّ للسياق برمته، وكشف الحقائق التي تَسْتَحْضِرُها الذوات الكاتبة في كلماتها التي نَسَجَتْ بها خطابها الروائيّ. ولقد أدّى الفهم الباطنيّ من الذوات المُترجمة الجزائريّة للسياق الروائيّ - بحكم انتمائها وإلمامها بالمروروث الثقافيّ الجزائريّ - إلى مُقاسمة الإحساس بالمشاعر التي أرادت منّا الذوات الكاتبة الجزائريّة أن نشعر بها، وأن نعيشها بالطريقة ذاتها والوقع نفسه. وعلى هذا الأساس، اضطلعت سيرورة النّقل العربيّ بِخَلْقِ وثائق وجدانيّ بين الذات القاريّة والذات الكاتبة وربط إحساس مُشترك بينهما، مما استدعى زادًا معرفيًا مُحكّمًا وعُدّة تَرْجَمِيّة قائمة على المُكمّلات المعرفيّة (les compléments cognitifs) تسلّحت بها الذوات المُترجمة الجزائريّة قبل إنجازها الترجمة.

ختامًا، لم تكن الذوات المُترجمة التي نقلت الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة إلى العربيّة مُجبرة على الانحياز للذوات الكاتبة لتلك الروايات وتبني مواقفها السياسيّة، والقوميّة، والأيديولوجيّة، ونزعها التحرّريّة. كما لم تُسجّل الذوات المُترجمة أيّ تفاوت (asymmetry) - على حدّ تعبير نيرانجانا Niranjana - أو تباين يُعنى بمدى صحة الوقائع التاريخيّة وحقيقتها المبتوثة في ثنايا الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة، لأن الأحداث التي بثّتها كانت حقيقةً جسّدت الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة، وواقعًا يُنبِت هويّتها التي هي من هويّة الشّعب الجزائريّ برمته؛ ولكن اختيارها (أي اختيار الذوات المُترجمة) لترجمة تلك الأعمال الروائيّة يندرج في مشروع التّشهير بالقضيّة الجزائريّة في أرجاء العالم العربيّ عند الذوات المُترجمة المشرقيّة، وإعادة توطين الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة إلى العربيّة والاستشهاد بالماضي (بالحقبة الاستعماريّة مثلما أوردت نيرانجانا Niranjana) عند الذوات المُترجمة الجزائريّة، مُثيرةً مسائل الهوية المبتوثة في حناياها، دائمًا في ميزان جدليّة الأنا والآخر من منظور ما بعد الاستعمار.

وإن كانت بعض الروايات الصادرة في الحقبة الاستعمارية لم تُترجم - إلى العربية - بعد، لا تزال روايات أخرى في حاجةٍ إلى إعادة الترجمة. بناءً على هذا الاستنتاج، ترسّم هذه الدراسة خارطة مشاريع ترجمية جديدة تُؤسّس لإعادة ترجمة روايات عمّرت طويلاً، وستكون سيرورة إعادة الترجمة الروائية - في هذا الصّدّد - مُطالباً بتحيين هابيتوس الذات الكاتبة وإعادتها إلى واجهة الساحة القرائية من جديد، وهابيتوس وكلاء الترجمة (أي الذات النّاشرة والذات المُعيدة للترجمة)، وهابيتوس الذوات القارئة المُستفيلة للذات المُترجمة المُعادّة وموقعها في الحقل الجزائري المُستهدف، تماشياً والحقبة ما بعد الاستعمارية التي يُنجز فيها مشروع إعادة الترجمة هذا، سعياً إلى تجسيد أبعاد جدلية الأنا والآخر بالتأثير ذاته والوقع نفسه.

ولأن سبيفاك Spivak تُحيل في نظريتها ما بعد الاستعمارية إلى الجنس الأنثوي، تفسح الدراسة الحالية المجال لاستنبات تأملاتها (سبيفاك Spivak) في حقل ترجمة أعمال روائية جزائرية لآسيا جبار Assia DJEBAR، وجميلة دباش Djamila DEBECHE، على سبيل الاستدلال، إلى العربية. ومن هذا المنظور النسوي ما بعد الاستعماري، تُطرح مسألة إمكانية تولي ذوات مُترجمة نسوية (مُترجمات عربيات) زمام نقل الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، في الحقبة الاستعمارية، إلى العربية. كما تُؤسّس المقاربة الموسومة: «جدلية الأنا والآخر في مسار الترجمة الروائية: نحو مقاربة لترجمة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية إلى العربية ونقد ترجمتها» التي سنّها المبحث الثالث من الفصل الثالث لهذه الدراسة التطبيقية، آفاق مُدارسة ترجمات عربية لروايات جزائرية أخرى صادرة في الحقبة الاستعمارية في سياق نظريات الترجمة ما بعد الاستعمارية ومنظوراتها.

نَجَبُ الْمُضْطَّاعَاتِ

تَبَيَّنَ الصُّطَلَحَات :

Terme Étranger : Français (F.) Anglais (E.) Latin (Lat.)	ترجمة المصطلح باللغة العربية:
À la recherche du sujet écrivain (F.)	البحث عن الذات الكاتبة
À la recherche du sujet traduisant (F.)	البحث عن الذات المترجمة
Agency (E.)	الفاعلية
Algerian novel written in French (E.)	الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية
Algerian occupied Self-Same (E.)	الأنا الجزائرية المحتلة (المستعمَر)
Algerian Self-Same (E.)	الأنا الجزائرية
Algerian translating subjects (E.)	الذوات المترجمة الجزائرية
Algerian writing subjects (E.)	الذوات الكاتبة الجزائرية
Algérisation (F.)	إضفاء الطابع الجزائري
Alter (Lat.)	الغير
Alter ego (Lat.)	الأنا الأخرى
Altérité (F.)	الغيرية
Alterity (E.)	الغيرية
Analytique de la traduction (F.)	تحليلية الترجمة
Asymmetrical relations of power (E.)	علاقات القوة غير المتكافئة
Asymmetry (E.)	التفاوت والتباين
Autre (F.)	الأخر
Autre français colonisateur (F.)	الأخر الفرنسي المحتل (المستعمَر)
Autrui (F.)	الغير
Bagage cognitif du sujet traduisant (F.)	الرأد المعرفي الذي تتسلح به الذات المترجمة
Bildung (All.)	البيلدونغ
Bilingual reader (E.)	القارئ ذو اللسانين
Capital symbolique (F.)	رأس المال الرمزي
Champ (F.)	الحقل
Champ romanesque algérien cible (F.)	الحقل الروائي الجزائري المُستهدف
Champs cible (F.)	الحقل المُستهدف
Ciblistes (F.)	المُستهدفون

Cogito (Lat.)	الكوجيتو
Colonial (E.)	استعماريّ
Colonial context (E.)	السياق الاستعماريّ
Colonial period (E.)	الحقبة الاستعماريّة
Colonialism (E.)	الاستعمار، استعماريّة
Colonialist (E.)	استعماريّ، مُستعمر
Colonized (E.)	المُستعمر
Colonized cultures (E.)	الثّقافات المُستعمرة
Colonized subject (E.)	الذات المُستعمرة
Colonizer (E.)	المُستعمر
Compléments cognitifs (F.)	المُكمّلات المعرفيّة
Conformist novelistic writing (E.)	الكتابة الروائيّة المُنصّاعة
Conquered cultures (E.)	الثّقافات المُغزّوة (المفتوحة)
Conqueror cultures (E.)	الثّقافات الغازية (الفاتحة)
Constant translation (E.)	الترجمة المستمرة (الدائمة)
Contextual information (E.)	المعلومات السّياقيّة
Counterhegemonic cultural studies (E.)	الدّراسات الثّقافيّة المناهضة للهيمنة
Counter-memory (E.)	الذاكرة المُضادة
Critique productive (F.)	النّقد المُنتج
Culturalistes (F.)	رُؤاد المنعطف الثّقافيّ
Culturo-linguistic layering (E.)	الطبقات الثّقافيّة واللّغويّة
Décentrement (F.)	تفكيك المركزيّة
Deconstructing notions (E.)	تفكيك المفاهيم
Deconstruction (E.)	التفكيكيّة
Dépaysement qui rapatrie (F.)	التغريب المُعيد إلى الوطن
Developing subject (E.)	الذات المتناميّة
Le Devenir (F.)	الصيرورة
Le Devenir-autre (F.)	صيرورة الآخر
Le Devenir-autre du même (F.)	صيرورة الآخر من الأنا
Le Devenir-soi (F.)	صيرورة الذات

Le Devenir-soi de l'autre (F.)	صيرورة الذات مِنَ الآخر
Dialectic (E.)	جدليّة، جدليّ، الجدل
Dialectic of the Self-Same and the Other (E.)	جدليّة الأنا والآخر
Dialectique (F.)	جدليّة، جدليّ، الجدل
Dialectique cognitive (F.)	جدليّة معرفيّة
Dialectique du Moi et de l'Autre (F.)	جدليّة الأنا والآخر
Dialectique explicite (F.)	جدليّة بَيِّنَة
Dialectique implicite (F.)	جدليّة مُضْمَرَة
Dialectique philosophique (F.)	جدليّة فلسفيّة
Dichotomies traductologiques (F.)	الثَّنَائِيَّات التَّرْجُمِيَّة
Dismantling written subjects (E.)	تفكيك الذوات المكتوبة
Double écriture (F.)	الكتابة المُزدوجة
Double-writing (E.)	الكتابة المُزدوجة
Écriture de la langue de l'Autre (F.)	الكتابة بِلُغَة الآخر
Effective Empathy (E.)	التقمُّص الوجدانيّ الفَعَّال
Ego (Lat.)	الأنا
Emprunt (F.)	الاقتراض
L'Entre-deux (F.)	البينيّ
Épreuve de l'altérité (F.)	اختبار الغيبيّة
Épreuve de l'étranger (F.)	التعرُّف على الغريب
Espace entre-deux (F.)	الفضاء البينيّ
Ethical agents (E.)	الفاعلين الأخلاقيّين
Ethics of translation (E.)	أخلاقيّات الترجمة
Éthique de la traduction (F.)	أخلاقيّة الترجمة
Étranger (F.)	الغريب، الآخر، الأجنبيّ
Étrangeté (F.)	الغرابة
Être-hors-de-soi (F.)	الوجود خارج الذات
Ex-colonizer (E.)	المُسْتَعْمِر السابق
Expressivité populaire (F.)	التعبير الشّعبيّ

Extraits narratifs (F.)	المقاطع السردية
Female translating subjects (E.)	الذوات المترجمة النسوية
Force of a translation (E.)	القوى المترجمة في الترجمة
Force parlante (F.)	القوة الكلامية
Foreignizing strategy (E.)	استراتيجية التغريب
Foreignizing translation (E.)	الترجمة التغريبية
Formulation explicite (F.)	الصياغة الصريحة
Formulation implicite (F.)	الصياغة المضمرة
Français étranger (F.)	الفرنسية الأجنبية
Français périphérique (F.)	اللغة الفرنسية الهامشية
French occupying Other (E.)	الآخر الفرنسي المحتل (المستعمر)
French Other (E.)	الآخر الفرنسي
Gloss translation (E.)	الترجمة المصقولة والمفسرة بالهوامش
Le Grand tour (F.)	الجولة الكبرى
Le Grande-Autre (F.)	الآخر الأكبر (الإمبريالي، المركز الإمبريالي، الخطاب الإمبريالي، الإمبراطورية نفسها)
Habitus (F.)	الهابيتوس
Habitus des agents de traduction (F.)	هابيتوس وكلاء الترجمة
Habitus des sujets traducteurs algériens (F.)	هابيتوس الذوات المترجمة الجزائرية
Habitus du sujet écrivain (F.)	هابيتوس الذات الكاتبة
Habitus du sujet lecteur (F.)	هابيتوس الذات القارئة
Habitus du sujet traduisant (F.)	هابيتوس الذات المترجمة
Herméneutique traductive (F.)	الهرمينوطيقا الترجمة
Herself (E.)	البري
Himself (E.)	الهُو
Historicity (E.)	التاريخانية
Historiography (E.)	التاريخ
Horizon d'attente (F.)	أفق الانتظار
Horizon du sujet traduisant (F.)	أفق الذات المترجمة

Host cultures (E.)	الثَّقافات المُضيفَة
Hybrid (E.)	هجين
Hybrid space in-between (E.)	الفضاء البينيّ الهجين
Hybrid written subject (E.)	الذات المكتوبة الهجينة
Hybridité (F.)	الهجنة
Hybridity (E.)	الهجنة
Hybridization (E.)	التَّهجين
The I (E.)	الأنا
Identification (F.)	التَّماهي (توحيد الذات عند فرويد)
Illusio (F.)	الإيلوزيو
Illusio littéraire (F.)	الإيلوزيو الأدبيّ
Illusio traductive (F.)	الإيلوزيو التَّرجعيّ
Imperialist (E.)	إمبرياليّ، استعماريّ، مُستعمر
In between (E.)	بينيّ
In-between space (E.)	الفضاء البينيّ
In-betweenness (E.)	البينِيَّة
Indigenous cultures (E.)	الثَّقافات الفطريَّة
Inequality (E.)	التفاوت أو التباين
Inferior copy (E.)	نُسخة مُترجمة أدنى مِنَ الأصل
Inferior culture (E.)	ثقافة أدنى
Intimate reader (E.)	القارئ الحميم
Le Je (F.)	الأنا
Language in between (E.)	لُغة بينِيَّة
Lecteur cible (F.)	القارئ المُستهدف
Lectorat ciblé (F.)	القُرَّاء المُستهدفين
Lecture concrète (F.)	القراءة الفعليَّة
Levantine translating subjects (E.)	الذوات المُترجمة المشرقيَّة
Literalist surrender (E.)	منهج الاستكانة الحرفيَّة (الخضوع الحرفي)
Literary devices (E.)	العُدَّة الأدبيَّة
Lui (F.)	الهُو

The Me (E.)	الأنا
Le Même (F.)	الأنا، العينه
Le Même à lui-même (F.)	الأنا إزاء الأنا نفسها
Le Même vers lui-même (F.)	الأنا تجاه الأنا نفسها
Mémoire rapatriante (F.)	ذاكرة العودة إلى الوطن
Métissage (F.)	التَّهْجِين
Le Moi (F.)	الأنا
Moi algérien colonisé (F.)	الأنا الجزائريَّة المُحْتَلَّة (المُسْتَعْمَرَة)
Moi des sujets traducteurs algériens (F.)	أنا الذوات المُتَرْجِمَة الجزائريَّة
Le Moi mondain (F.)	الأنا العالَمِيّ
Le Moi objet (F.)	الأنا موضوع
Monolingual reader (E.)	القارئ أُحادي اللُّغة
Mythical return (E.)	العودة الأسْطوريَّة
Le Non-dit (F.)	المُسْكُوت عنه
Novelistic translation (E.)	الترجمة الروائيَّة
Object (E.)	الموضوع
Original writing (E.)	الكتابة الأصْلِيَّة
The other (E.)	الآخر بالحدِّ الأصْغَر (المُسْتَعْمَر والمُهْمَش)
The Other (E.)	الآخر بالحدِّ الأكبر (الإمبرياليّ، المركز الإمبرياليّ، الخطاب الإمبرياليّ، الإمبراطوريَّة نفسها)
Other (E.)	الآخر، الغيْر
Otherness (E.)	الآخريَّة
Passages (F.)	المقاطع
Période coloniale (F.)	الحقبة الاستعماريَّة
Perpetual translation (E.)	الترجمة الدائمة
Philosophie de la traduction (F.)	فلسفة الترجمة
Plurilingual writers (E.)	الكُتَّاب مُتَعَدِّدِي اللُّغات
Plurilinguism (E.)	تعددِيَّة اللُّغات
Politics of translation (E.)	سياسة الترجمة
Position traductive (F.)	الموقف التَّرجِيّ

Postcolonial (E.)	ما بعد استعماريّ، ما بعد الاستعمار، ما بعد الاستعماريّة.
Postcolonial studies (E.)	الدِّراسات ما بعد الاستعماريّة
Postcolonial subject (E.)	ذات ما بعد الاستعمار (الذات ما بعد الاستعماريّة)
Postcolonial theory (E.)	النَّظريّة ما بعد الاستعماريّة
Postcolonial translation (E.)	سيرورة الترجمة في حقبة ما بعد الاستعمار (الترجمة في الحقبة ما بعد الاستعماريّة، الترجمة ما بعد الاستعماريّة)
Postcolonial translation project (E.)	المشروع التَّرجيميّ ما بعد الاستعماريّ
Postcolonial translation theories (E.)	نظريّات الترجمة ما بعد الاستعماريّة
Postcolonial translators (E.)	مُترجمو حقبة ما بعد الاستعمار (مُترجمو ما بعد الاستعماريّة)
Post-colonialism (E.)	ما بعد الاستعماريّة
Post-European colonization' studies(E.)	دراسات ما بعد الاستعمار الأوروبيّ
Post-independence' studies (E.)	دراسات ما بعد الاستقلال
Power-relations' studies (E.)	دراسات علاقات القوة
Prejudices (E.)	التَّحيزّات
Processus mental (F.)	السيرورة الذهنيّة
Projet de traduction (F.)	مشروع الترجمة
Le Propre (F.)	الخاصّ
Le Propre et l'étranger (F.)	الخاصّ والأجنبيّ
Proximité d'essence (F.)	التَّقارب الجوهريّ
Pure visée traductrice (F.)	الغاية التَّرجميّة الصِّرفة
Rapatriement (F.)	العودة إلى الوطن
Reader subject (E.)	الذات القاريّة
Reader/translator (E.)	القارئ المُترجم
Reading practice (E.)	المُمارسة القرائيّة
Réception de la traduction (F.)	استقبال الترجمة وتلقّيها
Reclaiming the translation (E.)	ترويض الترجمة

Réincarnation (F.)	التقمُّص الوجدانيّ
Re-memberrig (E.)	إعادة تشكيل العضويّة
Representation (E.)	التَّمثيل
Représentation (F.)	التَّمثيل
Représentations symboliques (F.)	التَّمثيلات الرمزيّة
Representing the other (E.)	تمثيل الآخر
Resistant novelistic writing (E.)	الكتابة الروائيّة المُقاومة
Retour à sa source (F.)	العودة إلى المنشأ
Retour à soi (F.)	العودة إلى الذات
Retour du texte algérien (F.)	عودة النّصّ الجزائريّ
Retour mythique (F.)	العودة الأسطوريّة
Roman algérien d'expression française (F.)	الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة (ذات التعبير الفرنسيّ، ذات اللّسان الفرنسيّ)
Romanization (E.)	الرّؤمنة
Second original (E.)	الأصل الثّاني
Seductions of translating (E.)	إغراءات الترجمة
Segments de texte (F.)	المقاطع النّصيّة
Selected narrative passages (E.)	المقاطع السرديّة المُنتقاة
Sélection d'exemples stylistiques (F.)	انتقاء التّماذج الأسلوبيّة
The Self (E.)	الأنا، الذات
Self-liberation (E.)	تحرير الذات
The Self-Same (E.)	الأنا
Se-posser-au-delà-de-soi (F.)	التموضّع فيما وراء الذات
Social perspectives of translation (E.)	المنظورات الاجتماعيّة للترجمة
Sociologie de la traduction (F.)	علم الاجتماع التّرجيميّ (سوسيولوجيا الترجمة)
Le Soi (F.)	الذات، الّهو
Le Soi-même (F.)	الّهو
Sourcerers (E.)	المصدريّون
Sourciers (F.)	المصدريّون
Space in between (E.)	الفضاء البينيّ

Strategies of containment (E.)	استراتيجيات الاحتواء
Stratégies traductives (F.)	الاستراتيجيات التَرْجُمِيَّة
Strategy of resistance (E.)	استراتيجية المقاومة
Subaltern (E.)	الأتباع
The Subject (E.)	الذات (و to be subject to، تعني أن يكون المرء خاضعًا للآخر)
Subject to hegemonic forces (E.)	خاضع للقوى المهيمنة
Subjectification (E.)	التَّذْوِيت
Subjection (E.)	الخُضُوع، الإخضاع
Subjectivité du sujet traduisant (F.)	ذاتية الذات المترجمة
Subjectivité traductive (F.)	الذاتية التَرْجُمِيَّة
Subjectivity (E.)	الذاتية
Subjects (E.)	الذوات
Submission (E.)	الإذعان
Sui generis (Lat.)	فَذَّ
Le Sujet (F.)	الذات، الذات الفاعلة
Sujet écrit (F.)	الذات المكتوبة
Sujet écrit métissé (F.)	الذات المكتوبة المِهْجَنَّة
Sujet écrivain (F.)	الذات الكاتبة
Sujet lecteur (F.)	الذات القارئة
Sujet parlant (F.)	الذات الناطقة
Sujet pensant (F.)	الذات المُفَكِّرَة
Sujet romanesque hybride (F.)	الذات الروائية الهجينة
Sujet romanesque métissé (F.)	الذات الروائية المِهْجَنَّة
Sujet traduisant (F.)	الذات المترجمة
Sujet traduisant cibliste (F.)	الذات المترجمة المُسْتَهْدِفَة
Sujet traduisant sourcier (F.)	الذات المترجمة المَصْدَرِيَّة
Sujets écrivain algériens (F.)	الذوات الكاتبة الجزائرية
Sujets romanesques écrits (F.)	الذوات الروائية المكتوبة
Sujets romanesques traduits (F.)	الذوات الروائية المترجمة

Sujets traducteurs algériens (F.)	الذوات المُترجمة الجزائرية
Sujets traducteurs orientaux (F.)	الذوات المُترجمة المشرقية
Sujets traductifs (F.)	الذوات التَّرجمِيَّة
Sujets traduisant féminins (F.)	الذوات المُترجمة الدِّسُوِيَّة
Superior culture (E.)	ثقافة مُتفَوِّقة
Superior original (E.)	النَّصَّ الأصل الأسمى
Surfrancisation (F.)	الإفراط في توظيف الفرنسية
Systematic (E.)	النَّسَقِيّ
Targeteers (E.)	المُسْتَهْدِفُونَ
Text in between (E.)	النَّصَّ البينيّ
Texte primaire (F.)	النَّصَّ الأوَّلِيّ
Théories postcoloniales de la traduction (F.)	نظريَّات الترجمة ما بعد الاستعماريَّة
Third space (E.)	الفضاء الثَّالث
Threshold of the untranslatable (E.)	عتبة تعذُّر الترجمة (عتبة المُتَعَذِّر ترجمته)
Tiers-espace (F.)	الفضاء الثَّالث
Tonalités affectives (F.)	النَّبرات العاطفيَّة
Traducteurs post-colonialistes (F.)	مُترجمو ما بعد الاستعماريَّة
Traduction ethnocentrique (F.)	الترجمة المُتَمَرِّكة عرقيًّا
Traduction permanente (F.)	الترجمة الدائمة
Traduction rapatriante (F.)	ترجمة الإعادة إلى الوطن
Traduction romanesque (F.)	الترجمة الروائيَّة
Traductologie sociologique (F.)	عِلْم الترجمة الاجتماعيّ
Translating subject (E.)	الذات المُترجمة
Translating subject as a mediating subject (E.)	الذات المُترجمة بوصفها ذاتًا وسيطةً
Translation dichotomies (E.)	الثَّنَائِيَّات التَّرجِمِيَّة
Translation sociology (E.)	عِلْم الاجتماع التَّرجِمِيّ
Translative act (E.)	الفعل التَّرجِمِيّ
Translative subjects (E.)	الذوات التَّرجِمِيَّة

Translator's task of surrender (E.)	مَهْمَةٌ استسلام المترجم للنصِّ الأصل (قيد النّقل والخضوع له)
Translitération (F.)	النَّفْحَرَة
Ultra-ciblistes (F.)	المُسْتَهْدِفُون المتطَرِّفُون (شديدو الاستهداف)
Ultra-sourciers (F.)	المَصْدَرِيُون المتطَرِّفُون (شديدو التشبُّث بالمصدر)
Unbiased medium (E.)	الوساطة غير المنحازة
Violence du métissage (F.)	عُنْف التَّهْجِين
Vouloir comprendre du sujet lecteur (F.)	فَهْم الذات القارئة
Vouloir dire du sujet écrivain (F.)	مَقْصِد الذات الكاتبة (ومُرادها)
The We (E.)	النَّحْنُ
Writing in the language of the Other (E.)	الكتابة بِلُغَةِ الْآخَر
Writing subject (E.)	الذات الكاتبة
Written novelistic subjects (E.)	الذوات الروائيَّة المكتوبة
Written subject (E.)	الذات المكتوبة
The You (E.)	الأنْت
Zones signifiantes (F.)	المناطق الدالَّة
Zones textuelles (F.)	المناطق النَّصِّيَّة (المواضع النَّصِّيَّة)

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية:

القرآن الكريم:

- سورة الفاتحة.
- سورة الحجرات.

الكتب باللغة العربية:

- إحسان بيّات الدروبي، سامي الدروبي، دار الكرمل للدراسات والطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، دمشق، 1982م.
- أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي - نشأته وتطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، الجزائر، 2007م.
- بثينة الخير، الدكتور سامي الدروبي مسيرة حياة، الهيئة العامة السورية للكتاب - مديرية منشورات الطفل، وزارة الثقافة، دمشق، 2017م.
- بشير العيسوي، الترجمة إلى العربية: قضايا وآراء، دار الفكر العربي، ط 2 (طبعة ثانية مزيّدة ومنقحة)، القاهرة، 1421هـ/2001م.
- بشير بويجرة محمد، الأنا، الآخر ورهانات الهوية في المنظومة الأدبية الجزائرية، منشورات دار الأديب، وهران، 2007م.
- حسن شحاتة، الذات والآخر في الشرق والغرب - صور ودلالات وإشكاليات، دار العالم العربي، ط 1، القاهرة، المحرم 1429هـ - يناير 2008م.
- خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، منشورات الاختلاف، ط 1، الجزائر، 2013م.
- سعيد بنگراد، السرد الروائي وتجربة المعنى، المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء - المغرب (بيروت - لبنان)، 2008م.
- صلاح صالح، سرد الآخر - الأنا والآخر عبر اللغة السردية، المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء - المغرب (بيروت - لبنان)، 2003م.

- الطاهر لبيب (تحرير)، صورة الآخر العربي ناظرًا ومنظورًا إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، ط1، بيروت - لبنان، آب/أغسطس، 1999م.
- أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (المتوفى سنة 421هـ)، شُرْح ديوان الحماسة لأبي تمام، علّق عليه وكتب حواشيه: غريد الشيخ، وضع فهرسة العامة: إبراهيم شمس الدين، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت - لبنان، 1424هـ - 2003م.
- عمّارة كحلي، تجربة الكتابة عند مالك حدّاد (دراسة)، ميم للنشر، الجزائر، 2015م.
- عيساني بلقاسم، الفكر الترجمي: حيثيات المعنى الحائر بين الأنا والآخر، منشورات ضفاف/ منشورات الاختلاف، ط1، بيروت/الجزائر، 1442هـ - 2021م.
- غسان الخالد (الخالد، غسان)، الهابيتوس العربي: قراءة سوسيو - معرفية في القيم والمفاهيم، منتدى المعارف، ط1، بيروت - لبنان، 2015م.
- غسان لطفي، المطلق النقدي: نظرية الترجمة عند أنطوان بيرمان، دار الأمان - منشورات الاختلاف - منشورات ضفاف، ط1، الرباط - الجزائر العاصمة - بيروت، 1441هـ - 2019م.
- فادي وديع عبود، وسعيد محمود عقيل، روائع مالك بن نبي: "سيرة حياته"، ويلها حكمه وأقواله، دار العزة والكرامة للكاتب - كتابنا للنشر، ط1، الجزائر - لبنان، 2022م.
- فوزية بريون، مالك بن نبي: عصره وحياته ونظريته في الحضارة، دار الفكر - آفاق معرفة متجدّدة، ط1، دمشق، 1431هـ/2010م.
- ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (398)، الكويت، ربيع الآخر 1434هـ - مارس 2013م.
- مالك بن نبي، الصِّراع الفكري في البلاد المُستعمَرة، دار الفكر، بدون طبعة، دمشق، 1401هـ/1981م.
- محمد الداوي، صورة الأنا والآخر في السرد، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2013م.
- محمد جديدي، الترجمة: رؤية فلسفية، مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، ط1، الرباط - بيروت، 2019م.
- محمّد حكيمي، الذات من الفعل إلى الأثر: نحو تأثير المعنى الأدبي على القارئ - مقارنة تحليلية نقدية ثقافية، دار ميم للنشر، الجزائر، 2019م.

- محمد عناني، نظريّة التّرجمة الحديثة: مدخل إلى مبحث دراسات التّرجمة، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، ط1، القاهرة، 2003م.
- محمّد محمّد حسن شرّاب، شرح الشّواهد الشّعريّة في أمّهات الكتب النّحويّة «لأربعة آلاف شاهدٍ شعري»، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزء: 1، ط1، بيروت – لبنان، 1427هـ – 2007م.
- محمّد نور الدين أفاية، المتخيل والتواصل: مفارقات العرب والغرب، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 1993م.
- الكُتب والروايات المترجمة إلى اللغة العربيّة:
- إدوين غينتسler، في نظرية الترجمة: اتجاهات مُعاصرة، ترجمة: سعد عبد العزيز مصلوح، مراجعة: محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، حزيران (يونيو) 2007م.
- أنطوان برمان، الترجمة والحرف أو مقام البُعد، ترجمة وتقديم: عز الدين الخطابي، مراجعة: جورج كتورة، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، أيار (مايو) 2010م.
- أوبيدي كربونيل كورتيس، ترجمة الآخر: نظرية الترجمة، الغرابة، وما بعد الكولونيالية، ترجمة: أنور المرتجي، منشورات زاوية، المغرب – الرباط، 2012م.
- بول ريكور، الذات عينها كآخر، ترجمة وتقديم وتعليق: د. جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت – لبنان، تشرين الثاني (نوفمبر) 2005م.
- بيار بورديو، أسباب عملية: إعادة النظر بالفلسفة، تعريب: د. أنور مغيث، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، سرت – ليبيا، 2004م.
- بيتر نيومارك، عن الترجمة، ترجمة: خالد توفيق، المركز القومي للترجمة، العدد: 2617، ط1، القاهرة، 2016م.
- بيل أشكروفت، وغارث غريفيث، وهيلين تيفن، الردّ بالكتابة: النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة، المحرّر العام: تيرينس هوكس، ترجمة: د. شهرت العالم، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، آذار (مارس) 2006م.

- بيير بورديو، الرمز والسلطة، ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، ط3، الدار البيضاء - المغرب، 2007م.
- بيير بورديو، قواعد الفن، ترجمة: إبراهيم فتحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، القاهرة، 2013م.
- دوغلاس روبنسون، الترجمة والإمبراطورية: نظريات الترجمة ما بعد الكولونيالية، ترجمة: ثائر ديب، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، العدد: 886، ط1، القاهرة، 2005م.
- شكري خوجة، مامون (مشروع حلم)، ترجمة: د. محمد بوعلاق، منشورات ANEP، الرويبة - الجزائر، 2010م.
- عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري (1925 - 1967)، ترجمة: محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.
- عبد الكبير الخطيبي، الذاكرة الموشومة، ترجمة: بطرس الخلاق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر SMER، ط1، بيروت، 1984م.
- كاتب ياسين، نجمة (رواية جزائرية)، نقلتها إلى العربية: ملك أبيض العيسى، راجع الترجمة: سليمان العيسى، منشورات دار الاتحاد - مطابع دار الصحافة - محطة الناصرة، بيروت، نيسان سنة 1962م.
- كاتب ياسين، نجمة، ترجمة: السعيد بوطاجين، منشورات الاختلاف/منشورات ضفاف، ط1، الجزائر/لبنان، 1435هـ - 2014م.
- كاتب ياسين، نجمة، ترجمة: محمد قوبعة، المؤسسة الجزائرية للطباعة، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط)، الجزائر، 1987م.
- لينين، دقاتر عن الديالكتيك، ترجمته وقدم له: إلياس مرقص، دار الحقيقة للطباعة والنشر في بيروت، ط1، بيروت - لبنان، تشرين الأول 1971م.
- مالك بن نبي، لبك: حج الفقراء، ترجمة: د. زيدان خوليف، دار الفكر، ط2، دمشق، 1436هـ/2015م.
- مالك حداد، الأصفار تدور في فراغ، ترجمة: أحمد منور، دار الأملية للنشر والتوزيع TraLL، ط1، قسنطينة - الجزائر، 2012م.

- مالك حداد، الانطباع الأخير، ترجمة: السعيد بوطاجين، الدار العربية للعلوم ناشرون/منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر العاصمة - الجزائر/بيروت - لبنان، 1429هـ/2008م.
- مالك حداد، التلميذ والدرس، ترجمة: د. سامي الجندي، دار الطليعة، بيروت، 1962م.
- مالك حداد، التلميذ والدرس، ترجمة: سامي الجندي، منشورات وزارة الثقافة، مكتبة الأسرة الأردنية، 2008م.
- مالك حداد، التلميذ والدرس، ترجمة: شرف الدين شكري، سلسلة روايات الهلال، دار الهلال، القاهرة، سبتمبر 2014م.
- مالك حداد، التلميذ والدرس، ترجمها عن الفرنسية: شرف الدين شكري، دار النشر ميديا-بلوس، قسنطينة - الجزائر، 2009م.
- مالك حداد، الشقاء في خطر (شعر)، ترجمة: عبد السلام يخلف، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2005م.
- مالك حداد، الشقاء في خطر (من الشعر الثوري الجزائري)، نقلته إلى العربية: ملك أبيض العيسى، راجع الترجمة وقدم له: سليمان العيسى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1979م.
- مالك حداد، رصيف الأزهار لا يجيب، ترجمة: حنفي بن عيسى، المطبوعات الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1965م.
- مالك حداد، رصيف الزهور، ترجمة: أحمد نظير نشوقي، دار الاتحاد، بيروت، د.ت.
- مالك حداد، سأهيك غزالة، تعريب: صالح القرمادي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1966م.
- مالك حداد، سأهيك غزالة، ترجمة: محمد ساري، دار النشر ميديا-بلوس، قسنطينة - الجزائر، 2010م.
- مالك حداد، عام جديد بلون الكرز: مختارات من أشعار ونصوص مالك حداد، ترجمة: شرف الدين شكري، توطئة: سليم بوفنداسة، سلسلة كتاب الدوحة، رقم 32، وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة - قطر، يناير 2014م.
- مالك حداد، ليس في رصيف الأزهار من يجيب، ترجمة: ذوقان قرقوط، سلسلة آفاق الكتابة، العدد: 25، الهيئة العامة لقصور الثقافة - شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، 1999م.
- محمد ديب، الحريق، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، دار سيديا، د.ط، الجزائر، 2011م.

- محمد ديب، الحريق، ترجمة: سامي الدروبي، سلسلة روايات الهلال، دار الهلال، العدد: 263، القاهرة، نوفمبر 1970م.
- محمد ديب، الدار الكبيرة، ترجمة: سامي الدروبي، سلسلة روايات الهلال، دار الهلال، العدد: 262، القاهرة، أكتوبر 1970م.
- محمد ديب، الدار الكبيره، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، دار سيديا، د.ط، الجزائر، 2011م.
- محمد ديب، المنسج، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، دار سيديا، د.ط، الجزائر، 2011م.
- محمد ديب، النول، ترجمة: سامي الدروبي، سلسلة روايات الهلال، دار الهلال، العدد: 264، القاهرة، ديسمبر 1970م.
- محمد ديب، صيف أفريقي، ترجمة: جورج سالم، عبد المسيح بربار، مراجعة: بدر الدين قاسم، نشر وتوزيع مكتبة أطلس، (د.ط)، دمشق، (د.ت).
- محمد ولد الشيخ أغا، مريم بين النخيل، ترجمة: د. معراج أغا، تدقيق ومراجعة لغوية: بخايتي عيسى، أحمد رحمانى، فواصل للنشر والإعلام، غرداية - الجزائر، السداسي الثاني 2020م.
- مولود فرعون، الأرض والدم، ترجمة: عبد الرزاق عبيد، دار تلاتنيقيت للنشر، بجاية - الجزائر، 2016م.
- مولود فرعون، الدُّرُوبُ الشَّاقَّة، ترجمة: حسن بن يحيى، دار تلاتنيقيت للنشر، بجاية - الجزائر، 2016م.
- مولود فرعون، الدُّرُوبُ الوَعرة، ترجمة: د. حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط5 «منقحة»، الجزائر، 1990م.
- يوجين إ. نيدا، نحو علم للترجمة، ترجمة: ماجد النجار، مطبوعات وزارة الإعلام - الجمهورية العراقية، ط1، بغداد - العراق، 1976م.

الرَّسَائِلُ الْجَامِعِيَّة:

- خليف هوارية، إشراف: أ. خلف الله بن علي، «تَمَثُّلَاتُ الْهُويَّةِ وَالْآخِرِي فِي الرِّوَايَةِ الْجَزَائِرِيَّةِ (مَالِكُ حَدَّادٍ) نموذجًا»، أطروحة مُقدِّمة لنيل درجة الدكتوراه نظام LMD، كلية الآداب واللُّغات والفنون، قسم: اللُّغة العربيَّة وآدابها، مشروع: الرواية المغاربيَّة والنَّقد الجديد، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، السَّنَةُ الجامعيَّة: 2017م/2018م.

• ريم زموشي، إشراف: أ. د. رشيد قريع، «الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية من منظور ما بعد استعماري: فضاء الهجنة والترجمة الثقافية - دراسة وصفية تحليلية "اختفاء اللغة الفرنسية" لآسيا جبار أنموذجاً»، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الترجمة، كلية الآداب واللغات، قسم الترجمة، مدرسة الدكتوراه، جامعة منتوري - قسنطينة، الجزائر، السنة الجامعية: 2013م/2014م.

• قصابي صليحة، إشراف: أ. د. عباس بن يحيى، «البحث عن الذات في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية من أواخر الثمانينات إلى غاية 2003م»، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم، كلية الآداب واللغات، قسم: اللغة والأدب العربي، تخصص: الأدب العربي، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، السنة الجامعية: 2017م/2018م.

• مربي سهيلا، إشراف: الأستاذ الدكتور رشيد بن مالك، «المنحى التداولي في رواية مالك حداد LE QUAI AUX FLEURS NE REpond PLUS وترجماتها الثلاث إلى العربية - دراسة تحليلية مقارنة لترجمة أفعال الكلام»، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الترجمة، جامعة الجزائر 2 - أبو القاسم سعد الله، معهد الترجمة، الجزائر، السنة الجامعية: 2015م - 2016م.

الموسوعات:

• موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، إعداد: مجموعة من الأساتذة، تقديم: أ. د. محمد الأمين بلغيث، إشراف: أ. رابح خدوسي، الجزء الأول + الجزء الثاني، منشورات الحضارة، الجزائر، 2014م.

المعاجم باللغة العربية:

• إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحددين، طبع التعاوضية العمالية للطباعة والنشر، عدد 1، صفاقس - الجمهورية التونسية، الثلاثية الأولى 1986م.

• جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، الجزء الأول + الجزء الثاني، بيروت - لبنان، 1982م.

• سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، دار الكتاب اللبناني/بيروت، سوشريس/الدار البيضاء، ط1، لبنان/المغرب، 1405هـ/1985م.

- مجمع اللغة العربيّة، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، جمهورية مصر العربية - القاهرة، 1403هـ - 1983م.
 - ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، 1981م.
- المعاجم المترجمة إلى اللغة العربيّة:
- باتريك شارودو، ودومينيك منغنو (إشراف)، معجم تحليل الخطاب، ترجمه عن الفرنسية: عبد القادر المهيري، وحمّادي صمود، مراجعة: صلاح الدين الشريف، الحجم: 17X25 سم - عدد الصفحات: 646 صفحة، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008م (السنة الوطنية للترجمة)، سلسلة اللسان.
 - بيل أشكروفت، وجارث جريفث، وهيلين تيفين، دراسات ما بعد الكولونيالية: المفاهيم الرئيسية، ترجمة: أحمد الروبي، وأيمن حلمي، وعاطف عثمان، تقديم: كرامة سامي، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2010م.
 - دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 1428هـ - 2008م.
 - ستيفان شوفالبيه، وكريستيان شوفيري، معجم بورديو، ترجمة: د. الزهرة إبراهيم، النيا للدراسات والنشر والتوزيع، دار الجزائر، الشركة الجزائرية السورية للنشر والتوزيع، ط1، دمشق - الجزائر، 2013م.
 - طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ، ميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، أيلول (سبتمبر) 2010م.
 - فريدريك وورم، الفلسفة في 100 كلمة، ترجمة وتقديم: د. محمد جديدي، دار الأمان - منشورات الاختلاف - منشورات ضفاف، ط1، الرباط - الجزائر - الرياض/بيروت، 1436هـ - 2015م.
 - مارك شتلويرث ومويرا كوي، معجم دراسات الترجمة، ترجمة: جمال الجزيري، المركز القومي للترجمة، المشروع القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2008م.

المقالات:

- إدوار الخراط، إن لم تكن عشيقة فهي على الأقل رفيقة: شهادة في الترجمة - 2 -، في: الترجمة: قضاياها النظرية والتطبيقية II، أبحاث وشهادات، مجلة الآداب، مجلد 47، العدد 8/7، بيروت - لبنان، تموز (يوليو) - آب (أغسطس) 1999م.
- جازية فرقاني، ومنير شترات، الترجمة من منظور اجتماعي: ضبط المصطلح الترجيمي وتأسيس المفهوم، مجلة اللغات والترجمة، المجلد 03، العدد 01، مخبر تكنولوجيات الإعلام والاتصال في تعليم اللغات الأجنبية والترجمة، كلية اللغات الأجنبية، جامعة حسيبة بن بوعلبي بالشلف، الجزائر، 1 جانفي 2023م (ص 164-181).
- فتحي أبو العينين، صورة الذات وصورة الآخر في الخطاب الروائي، مجلة القاهرة، العدد 131، أكتوبر 1993م.

المجلات والجرائد:

- مها الأطرش، ذوقان قرقوط... مسيرة نضال فكري لن يمحوها الرحيل، البناء: يومية سياسية قومية اجتماعية، الرابط: <https://www.al-binaa.com/?article=48098>

المقابلات واللقاءات والمحاضرات والبرامج الإذاعية:

- شريط مسجل للبرنامج الإذاعي "كما عرفوه" (برنامج يقتفي مآثر الشخصيات الثقافية الجزائرية من خلال شهادات من عرفوهم من الأصدقاء والزلاء والأقارب)، إعداد وتقديم: فارس حمة، تطرق إلى: «المفكر والمترجم حنفي بن عيسى»، الإذاعة الثقافية الجزائرية، حُمل بتاريخ 2021/11/30م، على 17:00 س، الرابط: <https://my.radioalgerie.dz/ar/node/2057>

المراسلات والوثائق الرسمية:

- مراسلة الدكتور معراج أغا، مضمون المراسلة: سيرته الذاتية، أُرسلت إلى البريد الإلكتروني chatrat.mounir@edu.univ-oran1.dz, chatrat.mounir@gamil.com الآتيين.
- مراسلة السيدة منيرة صيَّاح النبواني (Mounira Nabwani)، زوجة ابن الدكتور ذوقان محمد قرقوط)، مضمون المراسلة: سيرة الدكتور ذوقان محمد قرقوط (وهي مشروع كتاب - في طور الإعداد

– بصدد النشر)، أُرْسِلَتْ إلى البريد الإلكتروني الآتيين: [chatrat.mounir@edu.univ-](mailto:chatrat.mounir@edu.univ-oran1.dz)
chatrat.mounir@gamil.com, oran1.dz.

• النظام العربيّ الموحد لنقل الحُرُوف العَرَبِيَّة إلى الحروف الرومانيَّة (اللاتينيَّة)، Arabic Romanization System (الرُّومَنَة)، (النظام الذي أُقِر في المؤتمر الحادي عشر للمجموعة العالميَّة لخُبراء الأسماء الجغرافيَّة في البند 2/11 2/11 نيويورك 2017)، الشُّعْبَة العربيَّة لخُبراء الأسماء الجغرافيَّة. المؤتمرات والمُلتقيات:

• إبراهيم أولحيان، الترجمة: المِثاقفة وسؤال الهوية الثقافية، مؤتمر: التَّرجَمَةُ وإشكالاتُ المِثاقفة، إعداد وتقديم: مجاب الإمام، محمد عبد العزيز، مُنتدَى العلاقات العربيَّة والدوليَّة، ط1، الدوحة – قطر، بتاريخ 26 – 27 فبراير 2014م.

• جازية فرقاني، ومنير شترات، «الترجمة من منظور اجتماعي: ضبط المصطلح التَّرجَمِي وتأسيس المفهوم»، بمناسبة الملتقى الدولي الافتراضي حول المنعطف السوسولوجي في دراسات الترجمة: أدوار المُترجم الجديدة، الذي نظَّمه مخبر تكنولوجيات الإعلام والاتصال في تعليم اللُّغات الأجنبيَّة والترجمة، بكلية اللُّغات الأجنبيَّة، بجامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف (الجزائر)، المُنعقد بتاريخ: 15 و16/03/2022م.

• حسن ناظم، الترجمة والتعددية الثقافية: تحويل التهديد إلى مِثاقفة، مؤتمر: التَّرجَمَةُ وإشكالاتُ المِثاقفة (2)، تحرير وتقديم: وليد حَمَارَنَة، مُنتدَى العلاقات العربيَّة والدوليَّة، ط1، الدوحة – قطر، 2016م.

• الطيِّب بودربالة، "ترجمة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية إلى العربية"، في: أهمية الترجمة وشروط إحيائها – الندوة الوطنية للترجمة: الجزائر يومي 17 – 18 جوان 2001م، المجلس الأعلى للغة العربيَّة، الجزائر، 2004م.

• عبد السلام بنعبد العالي، الترجمة وإشكالية الآخر، مؤتمر: التَّرجَمَةُ وإشكالاتُ المِثاقفة، إعداد وتقديم: مجاب الإمام، محمد عبد العزيز، مُنتدَى العلاقات العربيَّة والدوليَّة، ط1، الدوحة – قطر، بتاريخ 26 – 27 فبراير 2014م.

• ماهر شفيق فريد، من إشكالات الترجمة الأدبية وخصوصيتها الثقافية، مؤتمر: التَّرجَمَةُ وإشكالاتُ المِثاقفة، إعداد وتقديم: مجاب الإمام، محمد عبد العزيز، مُنتدَى العلاقات العربيَّة والدوليَّة،

ط 1، الدوحة - قطر، بتاريخ 26 - 27 فبراير 2014م.

المراجع الإلكتروني:

- <http://arab-ency.com.sy/artifacts/details/285>.
- <https://www.djazairess.com/alfadjr/200377>.
- <https://www.djazairess.com/elkhabar/267717>.

قائمة المصادر والمراجع باللغات الأجنبية:

LIVRES ET ROMANS :

- AMHIS-OUKSEL Djoher, *DAR SBITAR : Une lecture de La Grande maison de Mohammed DIB*, Alger, CASBAH Éditions, 2006.
- ASHCROFT Bill, GRIFFITHS Gareth and TIFFIN Helen, *The Empire Writes Back*, New York & London, Routledge, 1989. In Douglas ROBINSON, *Translation and Empire: Postcolonial Theories Explained*, Manchester, U.K: St. Jerome Publishing, 1997.
- BAKELLI Ahmed, *LA VOYAGEUSE* (Récit), Alger, CASBAH Éditions, Septembre 2016.
- BASSNETT Susan, *Translation Studies*, London and New York, Routledge, Taylor & Francis Group, 4th edition, 2014.
- BENNABI Malek, *Lebbeik : Pèlerinage de Pauvres*, collection : «problèmes de la civilisation », Éditions BENMERABET, 2017.
- BENVENISTE Émile, *Problèmes de linguistique générale 1*, Paris, Éditions Gallimard, 1966.
- BERMAN Antoine, *L'épreuve de l'étranger : Culture et traduction dans l'Allemagne romantique : Herder, Goethe, Schlegel, Novalis, Humboldt, Schleiermacher, Hölderlin, les essais 226*, Paris, Gallimard, 1984.
- BERMAN Antoine, *La Traduction et la Lettre ou l'Auberge du Lointain*, Paris, Éditions du Seuil, Novembre 1999. (La 1^{re} Édition française de cet ouvrage a été publiée par les Éditions Trans-Europ-Repress, Mauvezin, 1985).
- BERMAN Antoine, *Pour une critique des traductions : John Donne*, Paris, Gallimard, 1995.
- BERNER Christian, et MILLIARESSI Tatiana, « Aspect philosophique de la traduction », in BERNER Christian et MILLIARESSI Tatiana (éds), *La traduction : philosophie et tradition : Interpréter/traduire*, Villeneuve d'Ascq,

France, Presses Universitaires du Septentrion, 2011, (pp. 11–20).

- BHABHA Homi K, *The Location of Culture*, London and New York, Routledge, 1st edition, 1994.

- BLAKESLEY Jacob, *Sociologies of Poetry Translation: Emerging Perspectives*, London, UK New York, NY: Bloomsbury Academic, 2019.

- BOASE-BEIER Jean, FISHER Lina and FURUKAWA Hiroko (eds.), *The Palgrave Handbook of Literary Translation*, Guildford, UK, Palgrave Macmillan, 2018.

- BONN Charles, *LECTURE PRESENTE DE MOHAMMED DIB*, Alger, Entreprise Nationale du Livre, 1988.

- BOURDIEU Pierre, *Les Règles de l'Art : Genèse et Structure du Champ Littéraire*, Paris, Éditions du Seuil, 1992.

- BOURDIEU Pierre, *Questions de sociologie*, Paris, Les Éditions de Minuit, 2002.

- CADERA Susanne M, "Literary Retranslation in Context: A Historical, Social and Cultural Perspective.", in CADERA Susanne M and WALSH Andrew Samuel (eds), *Literary Retranslation in Context*, Oxford • Bern • Berlin • Bruxelles • Frankfurt am Main • New York • Wien, Peter Lang, Series: New Trends in Translation Studies, vol. 21, 2017, (pp. 5–18).

- CHARTIER Delphine, *TRADUCTION : histoire, théories, pratiques*, Presses Universitaires du Mirail, Toulouse, 2012.

- DÉJEUX Jean, *SITUATION DE LA LITTÉRATURE MAGHREBINE DE LANGUE FRANÇAISE : Approche historique – Approche critique – Bibliographie méthodique des œuvres maghrébines de fiction 1920 – 1978*, Alger, Office des Publications Universitaires, 1982.

- DELISLE Jean (dir.), *Portraits de traductrices*, Ottawa – Canada, Les Presses de l'Université d'Ottawa, Artois Presses Université, coll. « Regards sur la traduction », 2002.

- DELISLE Jean, LEE-JAHNKE Hannelore and CORMIER Monique C, *Terminologie de la traduction*, Amsterdam/Philadelphia, John Benjamins Publishing Company, 1999.

- DIB Mohammed, *L'incendie*, Paris, Éditions du Seuil, 1954.

- DIB Mohammed, *La grande maison*, Paris, Éditions du Seuil, 1952.

- DIB Mohammed, *Le métier à tisser*, Paris, Éditions du Seuil, 1957.

- DIB Mohammed, *Un été africain*, Paris, Éditions du Seuil, 1959.

- DJEBAR Assia, *La Soif*, Paris, Éditions René Julliard, 1957.

- DJEBAR Assia, *Les enfants du nouveau monde*, Paris, Éditions René Julliard, 1962.
- FERAOUN Mouloud, *La terre et le sang*, Béjaïa – Algérie, Éditions TALANTIKIT, 2016.
- FERAOUN Mouloud, *Le Fils du Pauvre*, Béjaïa – Algérie, Éditions TALANTIKIT, 2015.
- FERAOUN Mouloud, *Les chemins qui montent*, Béjaïa – Algérie, Éditions TALANTIKIT, 2016.
- GENTZLER Edwin, *Contemporary Translation Theories*, Clevedon, UK, Multilingual Matters Ltd, 2nd edn, 2001.
- GILE Daniel, *La traduction : La comprendre, l'apprendre*, Paris, Presses Universitaires de France, (1^{re} édition : 2005, 4^e tirage : 2014), 2005.
- GOUANVIC Jean-Marc, *Pratique Sociale de la Traduction : Le Roman Réaliste Américain dans le Champ Littéraire Français (1920–1960)*, Arras, Artois Presses Université, 2007.
- GUIDÈRE Mathieu, *Introduction à la Traductologie – Penser la traduction : hier, aujourd'hui, demain*, (1^{re} éd.), Bruxelles, Belgique, Groupe de Boeck, 2008.
- HADDAD Malek, *écoute et je t'appelle* (poèmes) précédés de : *les zéros tournent en rond* (essai), Paris, FRANÇOIS MASPERO, collection « Voix » N°2, 1961.
- HADDAD Malek, *Je t'offrirai une gazelle*, Paris, Éditions René Julliard, 1959.
- HADDAD Malek, *L'élève et la leçon*, Paris, Éditions René Julliard, 1960.
- HADDAD Malek, *La dernière impression*, Paris, Éditions René Julliard, 1958.
- HADDAD Malek, *Le Malheur en danger*, Constantine, Éditions Média-Plus, 2016.
- HADDAD Malek, *Le quai aux Fleurs ne répond plus*, Paris, Éditions René Julliard, 1961.
- HADJ-AMAR Manouba, *À la rencontre de Malek Haddad*, Alger, Empreintes – CASBAH Éditions, 2010.
- HADJ-AMAR Manouba, *Malek Haddad : Mission accomplie*, Alger, CASBAH Éditions, 2017.
- KATEB Yacine, *Nedjma*, Paris, Éditions du Seuil, 1956.

- KERBRAT-ORECCHIONI Catherine, *L'implicite*, Paris, Armand Colin, 2^e édition, 1998.
- KHODJA Chukri, *MAMOUN : L'ébauche d'un idéal / EL EULDJ : Captif des Barbaresques*, Alger, Office des Publications Universitaires, 1992 (Réédition).
- KRISTEVA Julia, *Étrangers à nous-mêmes*, Paris, Librairie Arthème Fayard, 1988.
- LADMIRAL Jean-René, *Sourcier ou cibliste : Les profondeurs de la traduction*, Paris, Les Belles Lettres, collection : « Traductologiques », (1^{re} édition : 2014, 2^e édition revue : 2015), 2015.
- LEDERER Marianne, *la traduction aujourd'hui : le modèle interprétatif*, Paris – Caen, Lettres Modernes Minard, Collection : Cahiers Champollion N°09, (nouvelle édition), 2006.
- LEFEVERE André, *Translating Literature: the german tradition from luther to rosenzweig*, Assen/Amsterdam, the Netherlands, Van Gorcum, 1977. (<https://books.google.dz/books?isbn=9023215133>).
- MAINGUENEAU Dominique, *Les termes clés de l'analyse du discours*, Paris, Éditions du Seuil, février 1996.
- MAMMERI Mouloud, *la colline oubliée*, Alger, EL DAR EL OTHMANIA Éditions & Distribution, 2007.
- MAMMERI Mouloud, *Le Sommeil du juste*, Alger, EL DAR EL OTHMANIA Éditions & Distribution, 2005.
- MEHREZ Samia, "TRANSLATION AND THE POSTCOLONIAL EXPERIENCE THE FRANCOPHONE NORTH AFRICAN TEXT.", in Lawrence VENUTI (ed.), *Rethinking Translation: Discourse, Subjectivity, Ideology*, London & New York, Routledge, 1st edition, 1992, (pp. 120–138).
- MOUNIN Georges, *Les belles infidèles*, Villeneuve d'Ascq, Presses Universitaires du Septentrion, 3^e édition, 2016.
- MUNDAY Jeremy, *Introducing Translation Studies: Theories and applications*, London & New York, Routledge, 2nd Edition, 2008.
- NESTEROVA Natal'ja M. [HECTEPOBA H.M.], traduit du russe par BOUDOU Catherine & MILLIARESSI Tatiana, « Le problème philosophique de l'Autre et la secondarité du texte traduit », in BERNER Christian, et MILLIARESSI Tatiana (éds), *La traduction : philosophie et tradition : Interpréter/traduire*, Villeneuve d'Ascq, France, Presses Universitaires du Septentrion, 2011, (pp. 97–112).

- NIDA Eugene A, and TABER Charles R, *The theory and practice of translation*, Leiden – Netherlands, E. J. Brill, 1982.
- NIRANJANA Tejaswini, *Siting translation: history, post-structuralism, and the colonial context*, Berkeley and Los Angeles, California/ Oxford, England, University of California Press, 1992.
- OULD CHEIKH AGHA Mohammed, *MYRIEM DANS LES PALMES (Réédition)*, Tiaret – Algérie, Yotoubia Éditions et Distribution, 2^e semestre 2020.
- OULD CHEIKH Mohammed, *MYRIEM DANS LES PALMES*, Alger – Algérie, Office des Publications Universitaires, 1985.
- RICŒUR Paul, *Soi-même comme un autre*, (L'Ordre Philosophique), Paris, Éditions du Seuil, Mars 1990.
- RICŒUR Paul, *Sur la traduction*, Paris, Bayard, 3^e tirage, 2004.
- ROBINSON Douglas, *Translation and Empire: Postcolonial Theories Explained*, Manchester, U.K: St. Jerome Publishing, 1997.
- SELESKOVITCH Danica, et LEDERER Marianne, *Interpréter pour traduire*, 3^e Édition – Revue et corrigée, Paris, Didier Érudition, Publications de la Sorbonne, Série : Littératures / 10, Collection “Traductologie 1”, 1993.
- SPIVAK Gayatri Chakravorty, ‘The Politics of Translation’, in BARRETT Michèle, and PHILLIPS Anne, *Destabilizing Theory: Contemporary Feminist Debates*, Stanford, California: Stanford University Press, 1992, (pp. 177–200).
- SPIVAK Gayatri Chakravorty, ‘The Politics of Translation’, in *Outside in the Teaching Machine*, New York & London: Routledge Classics, (1st published 1993 by Routledge), 2009, (pp. 200–225).
- STEINER George. *AFTER BABEL: Aspects of Language and Translation*, London, Oxford, New York, Oxford University Press, 1975.
- VENUTI Lawrence, *The Scandals of Translation: Towards an ethics of difference*, London & New York, Routledge, 1st ed, 1998.
- VENUTI Lawrence, *The Translator's Invisibility: A History of Translation*, London & New York, Routledge, 1st ed, 1995.
- VINAY Jean-Paul & DARBELNET Jean, *STYLISTIQUE COMPARÉE du FRANÇAIS et de L'ANGLAIS*, [1^{re} édition 1958], Paris, Didier, 1972.
- WOLF Michaela, ‘Sociology of translation’, in GAMBIER Yves & DOORSLAER Luc van (Eds.), *Handbook of Translation Studies*, Amsterdam/Philadelphia, John Benjamins Publishing Company, Vol. 1, 2010, (pp. 337–343).
- WOLF Michaela, «The Third Space in Postcolonial Representation», in

SIMON Sherry and ST-PIERRE Paul (dirs.), *Changing the Terms: Translating in the Postcolonial Era*, Ottawa, Ont., Canada, University of Ottawa Press, 2000, (pp. 127–146).

LIVRES TRADUITS :

- Abou-Abdallah Mohammed ben Mohammed ben Dawoud EL-SANHÂDJI (Ébn Adjourroum), *DJAROUMIYA : GRAMMAIRE ARABE ÉLÉMENTAIRE (Principes de Syntaxe), Texte Arabe et Traduction Française Accompagnés de Notes Explicatives par L.-J. BRESNIER*, Alger, Bastide, libraire – Éditeur, 2^e Édition, 1866.

ENCYCLOPÉDIES :

- SHERIF Muzaffer, «Self Concept», in David L. SILLS (Editor), *International Encyclopedia of the SOCIAL SCIENCES*, New York, The Macmillan Company & The Free Press, Volume 14, 1968, (pp. 150–159).

DICTIONNAIRES :

- *DICTIONNAIRE DES ÉCRIVAINS ALGÉRIENS DE LANGUE FRANÇAISE DE 1990 À 2010 (Parcours de lectures)*, Sous la direction de : Amina AZZA BEKKAT, Préface de Charles BONN, Alger, Éditions CHIHAB, 2014.

ARTICLES :

- BERMAN Antoine, « La retraduction comme espace de la traduction », *Palimpsestes* [En ligne], 4 | 1990, mis en ligne le 22 décembre 2010, consulté le 04 août 2022. URL : <http://journals.openedition.org/palimpsestes/596> ; DOI : <https://doi.org/10.4000/palimpsestes.596>, (p1–7).

- « Écrire, mais dans quelle langue ? ». *Le Monde*, 11-3-1983. URL : https://www.lemonde.fr/archives/article/1983/03/11/ecrire-mais-dans-quelle-langue_2841445_1819218.html.

COLLOQUE :

- BELLAHCENE Amar, « LE RETOUR DU TEXTE : À propos de la traduction de la littérature algérienne d'expression française en langue arabe », in *LITTÉRATURES MAGHRÉBINES*, COLLOQUE JACQUELINE ARNAUD, Villetaneuse, les 2, 3 et 4 décembre 1987, Tome 1 : Perspectives générales,

ITINÉRAIRES et CONTACTS de CULTURES, Volume 10, Paris, UNIVERSITÉ PARIS-NORD, Centre d'études littéraires francophones et comparées, Publication du Centre d'études francophones de l'université de Paris XIII, L'HARMATTAN, 1989, (pp. 173–180).

SITES WEB :

- <http://www.theses.fr/2006PA030073>.

الآن من

الملاحق:

الملحق (1): محمد ولد الشيخ أغا في سطور



« Après un siècle d'occupation, l'Algérie se réveille de sa torpeur... »⁽¹⁾.

Mohammed OULD CHEIKH.

« Elle ne voit le salut que dans la religion qui éclaire les hommes et les moralise [...] Fais apprendre la parole de Dieu à tes enfants répondit le saint homme. Ils reviendront certainement à la raison. Le Coran est le guide et la lumière des hommes dans ce monde dégénéré qui est un vaisseau en perdition... Seul le culte d'Allah est leur salut. »⁽²⁾.

Mohammed OULD CHEIKH AGHA.

« Myriem Lisant : «Yaka naboudou oua ayaka nastainou» [...] «C'est toi que nous adorons : c'est de toi que nous implorons le secours !» »⁽³⁾.

Mohammed OULD CHEIKH AGHA.

مولده ونشأته وتعليمه:

عُرف محمد ولد الشيخ أغا باسم محمد ولد الشيخ، وُلد سنة 1907م بمدينة بشار^(*). كان والده الشيخ بن عبد الله بن بوسماحة من أعيان مدينة بشار وأثريائها، له واحات من النخيل، وقوافل تجارة تجوب مناطق الجنوب. كان لمحمد ولد الشيخ أخ أكبر منه اسمه قويدر، عازف مُتمكّن بآلة العود. تُوفيت والدتهما فطيمة حوالي سنة 1920م، ثمّ تزوج والده الشيخ بن عبد الله بن بوسماحة بَعِيْشَة التي تكفلت به وشقيقه قويدر. بعدها أنجبت عَيْشَة بنتًا سمّتها فطيمة وفاءً لوالدة ولد الشيخ المتوفاة التي جعل منها ولد الشيخ، فيما بعد، بطلةً لقصته الموسومة (المتنان El-Metnane)⁽⁴⁾ التي كتبها بالمشربة سنة 1923م⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ Mohammed OULD CHEIKH, *MYRIEM DANS LES PALMES*, Alger – Algérie, Office des Publications Universitaires, 1985, p4.

⁽²⁾ Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *MYRIEM DANS LES PALMES (Réédition)*, op. cit., p25.

⁽³⁾ *Ibid.*, p31.

^(*) يُوثّق المُترجمُ معراج أغا مكان ميلاد الكاتب محمد ولد الشيخ أغا وفق نسخة من الدَفتر الأصيلي ببلدية بشار، برقم: 134. (يُنظر: محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص6).

⁽⁴⁾ يُنظر: محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص6-7.

⁽⁵⁾ Voir : Mohammed OULD CHEIKH AGHA, *(Réédition)*, op. cit., p11.

_____ الملّا هُو: _____ الملّا هُو (1): محمد ولد الشيخ أغا في طور _____

درس محمد ولد الشيخ بالمدرسة الابتدائية باستور Pasteur (مدرسة الشهيد العوفي عبد الله المدعو طالب ببشار حالياً). وبعد تألقه في طور المتوسط، التحق بثانوية باستور Pasteur بوهرا. وبعد سنة واحدة فقط - لأسباب مَرَضِيَّة - رجع ولد الشيخ إلى بشار. واصل ولد الشيخ القراءة والمطالعة ولازم شخصيات المنطقة المطلعين على العلوم والآداب. درس ولد الشيخ منذ طفولته في الكتاتيب، فحفظ القرآن الكريم، ودرس تعاليم الشريعة الإسلامية وأصول الفقه على يدي العالم والفقيه محمد بن عبد الكريم المسمى بن شكر، خريج جامعة القيروان. ولقد انعكست هذه المرجعية الدينية والإسلامية والثقافية على كتابات ولد الشيخ ومسرحياته⁽¹⁾.

مؤلفاته⁽²⁾:

- أصدر ولد الشيخ سنة 1924 م أول أقاصيصه بعنوان: رازيا في الصحراء (Razzia au désert)، متبوعة ب: فجر الإسلام (Crépuscule de l'Islam) الصادرة في السنة ذاتها، وقد نُشرت في مجلة "وهرا".
- أصدر أقاصيص أخرى بعنوان: مكتوب (Mektoub) سنة 1925 م، والمتنان (El-Metnane) الصادرة سنة 1928 م، ولقد صدرت هذه الكتابات في مجلة "وهرا".
- أصدر ولد الشيخ ثماني مجموعات شعرية منها: الرقصة بالقناع (Le Bal masqué) الصادرة في سنة 1924 م، التي نُشرت في مجلة (La Plaza) بوهرا، وأفراح في مآتم (Joies funèbres) الصادرة في سنة 1925 م، التي نُشرت في مجلة "وهرا".
- كما أصدر ولد الشيخ مجموعة شعرية موسومة بعنوان: المهملة (La Délaissée). نُشرت غالبية دواوينه في مجلة "وهرا" بإشراف Alfred Gazes بين سنتي 1924 م و 1930 م. وكانت أغاني إلى ياسمين (Chants pour Yasmine) الصادرة سنة 1930 م عن دار النشر Fouque بوهرا أشهر أشعاره.
- وفي سنة 1928 م، أصدر ولد الشيخ رواية: معاناة سرية (Souffrance secrète).
- وفي السنة ذاتها (1928 م)، أصدر ولد الشيخ مسرحية: الخليفة (Le Khalifa) ذات أربعة فصول، نُشرت في جريدة "صدى وهرا" في سلسلة مَكُونَة مِنْ حلقات، في فترة امتدت من تاريخ 14

(1) يُنظر: محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص 7-8.

(2) يُنظر: المرجع نفسه، ص 8-13. Voir : Mohammed OULD CHEIKH AGHA, (Réédition), op. cit., p14. Voir aussi : (8-13) Voir : Mohammed OULD CHEIKH, (Édition : O.P.U), op. cit., p34. Voir aussi : Jean DÉJEUX, op. cit., p189/204.

جانفي 1928م (رقم 274) إلى 11 فيفري 1928م (رقم 278).

- وفي سبتمبر 1936م، أصدر ولد الشيخ رواية: مريم بين النخيل (Myriem dans les palmes)، نشرتها دار La Plaza بوهران، ثمّ أتبعها برواية: عذراء الدوار (La vierge du Douar).
- وفي السنة ذاتها (1936م)، قدّم ولد الشيخ مسرحية عنوانها: تحيا الجزائر (Vive l'Algérie) مُتكوّنة من أربعة فصول.

اهتمّ محمد ولد الشيخ سنة قبل وفاته (أي في سنة 1937م على وجه التحديد) بالمسرح، فكتب مسرحية موسوم عنوانها ب: خالد شمشون الجزائري (Khaled, le Samson algérien)، بمناسبة الذكرى الأولى بعد وفاة الأمير خالد. ولقد ترجمها أبو المسرح الجزائريّ محي الدين بشطارزي إلى اللهجة الجزائرية سنة 1937م، وقدمها على خشبة المسرح بمدن جزائرية عدّة، في عنابة، وسيدي بلعباس، ومستغانم، والجزائر العاصمة، وحظيت هذه المسرحية بترحاب كبير في وهران⁽¹⁾.

قرّرت السلطات الاستعمارية سنة 1946م توقيف عرض هذه المسرحية نظراً للوعي الوطني الذي كانت تنشره بين الأهالي. وبالمقابل، استقبلت الطبقة السياسية الجزائرية هذا النصّ المسرحي بحماسٍ وطنيٍّ مُنقطع النظير. لقد دفعت هذه المسرحية مُناضلاً من جمعية العلماء المسلمين يُدعى الأمين لعمودي إلى أن يُشيدَ بها ويكتبَ عنها وعن بطلها خالد، هذا البطل المسلم والشجاع المدافع عن شعبه. استأنفَ عرض هذه المسرحية سنة 1947م واعتُدت حدثاً ساخناً بذكرها الجزائر الجمهورية في 21 أغسطس 1947م، لكن سرعان ما حظرت السلطات الاستعمارية عرضها من جديد. شدّد محمد ديب في جريدة "الجزائر الجمهورية"، بعد عرض المسرحية في الجزائر سنة 1951م، على الطابع الثوري للمسرحية، مُنتقداً صمت الصحف اليومية الجزائرية الأخرى التي لم تذكر هذه المسرحية⁽²⁾ ولم تكتبَ عنها إطلاقاً.

وبعد إصدار مسرحية "تحيا الجزائر" في سنة 1936م، ومسرحية "خالد شمشون الجزائري" سنة 1937م، شدّدت الإدارة الفرنسية الرقابة على كتابات محمد ولد الشيخ. وفي أواخر سنة 1937م، وُضِعَ الكاتب ولد الشيخ قيد الإقامة الجبرية في مدينة تاغيت. وبعد أسابيع قليلة، أُصيبَ محمد ولد الشيخ بتليّف في الكبد (تليّف الكبد السامّ une cirrhose hépatique toxique) ليُحوّل في إثرها إلى

(1) يُنظر: محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص 10.

(2) يُنظر: المرجع نفسه، ص 11-12.

_____ الملاحى: _____ الملاحى (1): محمد ولد الشيخ أغا في طور _____

مُستشفى وهران. لم يَمُكُث ولد الشيخ طويلاً بالمُستشفى (مكث مُدّة أربعة أشهر فقط⁽¹⁾).

فَارَقَ الحياة في 21 جانفي 1938م⁽²⁾، ودُفِنَ بمدينة وهران^(*).

مُلاحظة: راجع النُّسخة الفرنسيّة الأصل مِنَ الرواية⁽³⁾.

⁽¹⁾ Voir : Mohammed OULD CHEIKH AGHA, (Réédition), op. cit., p13.

⁽²⁾ يُنظر: محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص13.

^(*) لم يُنْقَلْ - كما أُثِيرَ - جثمان ولد الشيخ إلى بشار، وتبقى نظريّة تسميمه مطروحةً وَفَقَ المُترجم معراج أغا (يُنظر: المرجع نفسه، ص13).

⁽³⁾ Mohammed OULD CHEIKH AGHA, (Réédition), op. cit., p11-13.

الملحق (2): مالك بن نبي في سطور



«إنَّ الاستعمار ليس من عبث السياسيين، ولا من أفعالهم، بل هو من النفس ذاتها، التي تقبل ذلَّ الاستعمار، والتي تمكَّن له في أرضها»⁽¹⁾.

مالك بن نبي.

«أما الصحفي أو الكاتب التقدمي الذي يكافح في بلاده ضد الاستعمار بالكتابة أم بالقول فإن قوانين بلاده ذاتها تحميه من الأذى وتحمي أسرته، ولربما وضعت أفكاره أحياناً موضع التقديس»⁽²⁾.

مالك بن نبي.

«لقد غرس الاستعماريّ، فيما غرس في البلاد المُستعمَرة، ظاهرةً خاصّة: هي (ازدواجيّة اللغة) التي تتعلّق ببناءه الثقافية والعقلية، وبأفكاره»⁽³⁾.

مالك بن نبي.

مولده ونشأته وتعليمه:

مالك بن نبي بن عمر لخضر بن مصطفى، عالم وفيلسوف الحضارة، وباحث في علم الاجتماع، ومُفكر إسلامي، وكاتب⁽⁴⁾. وُلِدَ بقسنطينة في اليوم الأوّل من نوفمبر (تشرين) الثاني سنة 1323هـ/1905م⁽⁵⁾. ينتمي مالك إلى عائلة بسيطة ومُتديّنة ومُتمسكة بهويّتها الوطنيّة وتقاليدها الاجتماعيّة. كان والده عمر مُوظّفاً بإدارة مدينة تبسة، وكانت أمّه زهيرة تعمل في الحياكة⁽⁶⁾. انتقل إلى مدينة تبسة مع أسرته حيث تلقّى تعليمه الابتدائيّ، ثُمَّ واصلَ دراسته بعد ذلك بقسنطينة حتّى سنة 1925م. وبعد إكمال دراسته الثّانويّة، اتّجه إلى المعهد الإسلاميّ المختلط لدراسة القضاء، وبعد حصوله

(1) فادي وديع عبود، وسعيد محمود عقيل، روائع مالك بن نبي: "سيرة حياته"، ويلها حكمه وأقواله، دار العزة والكرامة للكاتب - كتابنا للنشر، ط1، الجزائر - لبنان، 2022م، ص35.

(2) مالك بن نبي، الصِّراع الفكري في البلاد المُستعمَرة، دار الفكر، بدون طبعة، دمشق، 1401هـ/1981م، ص21.

(3) فادي وديع عبود، وسعيد محمود عقيل، المرجع السابق، ص103.

(4) يُنظر: موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، إعداد: مجموعة من الأساتذة، تقديم: أ.د. محمد الأمين بلغيث، إشراف: أ. رابح خدوسي، الجزء الأوّل، منشورات الحضارة، الجزائر، 2014م، ص436.

(5) يُنظر: فوزية برون، مالك بن نبي: عصره وحياته ونظريته في الحضارة، دار الفكر - آفاق معرفة متجدّدة، ط1، دمشق، 1431هـ/2010م، ص104.

(6) يُنظر: فادي وديع عبود، وسعيد محمود عقيل، المرجع السابق، ص9.

على الإجازة، زاول مهنته لدى محكمة أفلو ثمّ شلغوم العيد، ليستقيل بعد نزاع مع كاتب ضبط فرنسي⁽¹⁾.

وبعد انتقاله إلى باريس بُغية الالتحاق بمعهد الدراسات الشرقية، رفضت الإدارة الفرنسية تسجيله، ليُغيّر الوجهة إلى مدرسة اللاسلكي، هذه المدرسة التي تخرج فيها مهندسًا كهربائيًا سنة 1935م⁽²⁾. اغتم مالك بن نبي فترة إقامته بفرنسا في تنظيم العمال المغاربة وتوعيتهم، حيث التقى شخصيات وطنية وأجنبية عديدة، فانخرط في نشاطٍ فكريٍّ وسياسيٍّ مع المغتربين في باريس حيث ألقى أوّل مُحاضرة له سنة 1931م عُنوانتْ بِ: لماذا نحن مسلمون؟⁽³⁾ بيد أن السلطات الفرنسية شددت الخناق عليه وحرمته من نيل الشهادات بالرغم من تفوقه على الفرنسيين أنفسهم، ومن ثمّ منعه من تقلّد وظائف حكومية ومن التنقّل والسفر، وحاصرت أسرته في الجزائر⁽⁴⁾. تعرّف مالك خلال إقامته في باريس على فتاةٍ فرنسيةٍ أسلمت على يديه وسَمّت نفسها خديجة، فتزوَّجها لكنّها لم تُرزق بولد⁽⁵⁾.

بعد تنقلاته الكثيرة إلى آسيا، وأمريكا، وروسيا، وألمانيا، وفرنسا؛ استقر سنة 1956م في مصر، حيث تفرغ لتأليف كتبه وترجمتها إلى العربية. وبعد تعيينه عضوًا في مجمّع البحوث الإسلامية في القاهرة، تنقل إلى دُول عديدة لإيصال صوت القضية الجزائرية العادلة وشرحها للعالم. وفي سنة 1963م، عادَ إلى الجزائر وشغل منصب مدير جامعة الجزائر ثمّ استقال من منصبه سنة 1967م⁽⁶⁾.

يُجيدُ مالك بن نبي الفرنسية ويُحسنُ العربية. تُوفي يوم الأربعاء الواقع في 04 شوال سنة 1393هـ، الموافق 31 أكتوبر 1973م⁽⁷⁾.

(1) يُنظر: موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، الجزء الأوّل، المرجع السابق، ص 437.

(2) يُنظر: المرجع نفسه، ص 437.

(3) يُنظر: فادي وديع عبود، وسعيد محمود عقيل، المرجع السابق، ص 10.

(4) يُنظر: موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، الجزء الأوّل، المرجع السابق، ص 437.

(5) يُنظر: فادي وديع عبود، وسعيد محمود عقيل، المرجع السابق، ص 10.

(6) يُنظر: موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، الجزء الأوّل، المرجع السابق، ص 437.

(7) يُنظر: المرجع نفسه، ص 436-437.

مِنْ مُؤَلَّفَاتِهِ⁽¹⁾:

ترك مالك بن نبي سجلاً وافراً مِنَ التَّأْمُّلات والأبحاث والدراسات، بحيث تجاوزت مؤلفاته 26 كتاباً، نذكر منها بعض الكتب الصادرة باللغتين الفرنسيّة والعربيّة والمترجمة إلى العربيّة:

”آفاق جزائريّة“، ”الاستعمار يقتل بوسائل العلم“، ”الصراع الفكري في البلاد المستعمرة“، ”الظاهرة القرآنيّة le phénomène coranique“ (بالفرنسيّة، سنة 1946م)، ”القضايا الكبرى“، ”المسلم في عالم الاقتصاد“، ”إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث“، ”بين الرشاد والتهيه“، ”تأمّلات“، ”حديث في البناء الجديد“، ”دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين“، ”شروط النهضة Les conditions de la renaissance“ (بالفرنسيّة، سنة 1948م)، ”فكرة الإفريقيّة الآسيويّة – في ضوء مؤتمر باندونغ“ (بالفرنسيّة، سنة 1956م)، ”فكرة كومنولث إسلامي“، ”في مهب المعركة“، ”مذكرات شاهد للقرن“، ”مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي“، ”مشكلة الثقافة“، ”من أجل التغيير“، ”ميلاد مجتمع“، ”وجهة العالم الإسلامي La vocation de l’Islam“ (بالفرنسيّة، سنة 1954م).

⁽¹⁾ يُنظر: موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، الجزء الأوّل، المرجع السابق، ص 437-438. ويُنظر كذلك: فادي وديع عبود، وسعيد محمود عقيل، المرجع السابق، ص 19-30. ويُنظر كذلك: فوزية بربون، المرجع السابق، ص 124-139.

الملحق (3): محمد ديب في سطور



« Mohammed DIB donne une voix au peuple, le donne à voir et le fait exister dans sa dignité. Les paysans, les artisans, les femmes, les militants retrouvent une identité dans le contexte colonial. »⁽¹⁾.

Djoher AMHIS-OUKSEL.

« Le point de vue de l'écriture dibienne inverse les termes de la communication littéraire entre le «Même» et l'«Autre», faisant des fellahs les *sujets* et des colons l'*objet* de la parole »⁽²⁾.

Naget KHADDA.

«...أمل أن تقدروا جملة الوقائع المثيرة التي رسمتها، وأن تستمتعوا بهذه اللوحة كما يستمتع بها شعب الجزائر الذي قرر ذات يوم أن يفجر مفرقات، من قبيل الحماسة. إنها عادة في بلادنا: أن نفجر مفرقات في المباح...»⁽³⁾.

محمد ديب.

مولده ونشأته وتعليمه:

محمد ديب روائي وشاعر ورَسَّام، مِنْ مواليد 21 جويلية 1920م بتلمسان. بالرغم مِنْ نشأته يتيمًا (توفي والده - الذي كان حِرْفِيًّا - عندما كان محمد ديب في الحادية عشرة مِنْ عمره⁽⁴⁾) وفقيرًا، يعيش ظُرُوفًا اجتماعيَّة صعبة. زاولَ محمد ديب دراسته في الجزائر (بتلمسان)، ثُمَّ واصلَ تعليمه بانتقاله إلى المغرب (بوجدة)⁽⁵⁾. امتَهَنَ التعليم سنة 1939م بالحدود الجزائرية المغربية (بمنطقة زوج بغال على وجه التحديد، وكان محمد ديب آنذاك في سِنِّ التَّاسعة عشرة⁽⁶⁾)، واشتغلَ لدى مصالح الهندسة

⁽¹⁾ Djoher AMHIS-OUKSEL, *DAR SBITAR : Une lecture de La Grande maison de Mohammed DIB*, Alger, CASBAH Éditions, 2006, p11.

⁽²⁾ Cité par : Charles BONN, *LECTURE PRESENTE DE MOHAMMED DIB*, Alger, Entreprise Nationale du Livre, 1988, p39. Voir aussi : Naget KHADDA, in *DICTIONNAIRE DES ÉCRIVAINS ALGÉRIENS DE LANGUE FRANÇAISE DE 1990 À 2010 (Parcours de lectures)*, Sous la direction de Amina AZZA BEKKAT, Préface de Charles BONN, Alger, Éditions CHIHAB, 2014, p157.

⁽³⁾ محمد ديب، الدار الكبيرة، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص12 (مُقدِّمة المُترجم).

⁽⁴⁾ Voir : Djoher AMHIS-OUKSEL, *DAR SBITAR*, op. cit., p9.

⁽⁵⁾ يُنظر: موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، إعداد: مجموعة من الأساتذة، تقديم: أ.د. محمد الأمين بلغيث، إشراف: أ. رابح خَدَّوسي، الجزء الثَّاني، منشورات الحضارة، الجزائر، 2014م، ص30.

⁽⁶⁾ Voir : Djoher AMHIS-OUKSEL, *DAR SBITAR*, op. cit., p9.

والسكك الحديدية الجزائرية سنة 1942م، كما عمل في مهن شتى، منها المحاسبة، والترجمة الفورية (ما بين سنتي 1943م و1944م⁽¹⁾)، وتصميم الديكور في صنع الزرابي. بعد زيارته لمدينتي البليدة والعاصمة سنة 1948م، تعرّف على الكتّاب: ألبير كامو، ومولود فرعون، وكاتب ياسين، وأدباء جزائريين وفرنسيين آخرين. اشتغل في حقل الصحافة سنة 1950م بجريدتي: الجزائر الجمهورية (Alger républicain) وجريدة الحرية، ثمّ عمل محاسباً عند أحد الخواص سنة 1956م⁽²⁾.

ذاق محمد ديب مرارة المنفى بسبب كتاباته الصحفية المناهضة للتواجد الفرنسي بالجزائر، مما جعله يتنقل بين بلدان كثيرة منها: فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وفنلندا، ثمّ مكث بالمغرب سنة 1960م حتّى استقلال الجزائر. وفي سنة 1963م، اختار محمد ديب المنفى الإرادي في فرنسا. نال جوائز عديدة نذكر منها جائزة الدولة التقديرية للآداب رفقة الشاعر محمد العيد آل خليفة سنة 1963م (في الجزائر)⁽³⁾. وكان أوّل كاتب مغربي تحصّل على جائزة الفرنكوفونية من الأكاديمية الفرنسية سنة 1994م، كما تحصّل سنة 1989م على جائزة "ملارمي" Mallarmé نظير مجموعته الشعرية "طفل الجاز L'Enfant-Jazz"⁽⁴⁾. كتب محمد ديب الرواية والقصة والشعر والمسرحية⁽⁵⁾. تُوفي في 2 ماي 2003م بـ لاسيل سان كلو La Celle-Saint-Cloud، إحدى ضواحي باريس، بفرنسا⁽⁶⁾.

من مؤلفاته⁽⁷⁾:

صدر لمحمد ديب أكثر من ثلاثين عملاً أدبياً، تمثّلت في الرواية، والقصة، والقصص القصيرة، وقصص للأطفال، والشعر، وأعمال مسرحية⁽⁸⁾.

(1) Voir : *Ibid.*, p9.

(2) يُنظر: موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، الجزء الثاني، المرجع السابق، ص30.

(3) يُنظر: المرجع نفسه، ص30.

(4) يُنظر: محمد ديب، الدار الكبيره، الحريق، المنسّج، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، المراجع السابقة (الواجهة الخلفية لهذه الروايات).

(5) يُنظر: موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، الجزء الثاني، المرجع السابق، ص30.

(6) Voir : *DICTIONNAIRE DES ÉCRIVAINS ALGÉRIENS*, op. cit., p155.

(7) يُنظر: موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، الجزء الثاني، المرجع السابق، ص30-31.

Voir : Djoher AMHIS-OUKSEL, *DAR SBITAR*, op. cit., p13-15. Voir aussi : Mohammed DIB, *Le métier à tisser*, Paris, Réédition : Éditions Points, n° P937, (La liste : DU MÊME AUTEUR, les dernières pages de la présente édition). Voir aussi : *DICTIONNAIRE DES ÉCRIVAINS ALGÉRIENS*, op. cit., p155-161. Voir aussi : Charles BONN, *LECTURE PRESENTE DE MOHAMMED DIB*, op. cit., p259-260.

(8) يُنظر: محمد ديب، الدار الكبيره، الحريق، المنسّج، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، المراجع السابقة (الواجهة الخلفية لهذه الروايات).

• روايات:

Romans : 1952 – *La Grande Maison* (Seuil) (1^{er} tome de la trilogie), 1954 – *L'Incendie* (Seuil), 1957 – *Le Métier à tisser* (Seuil), 1959 – *Un Été africain* (Seuil), 1962 – *Qui se souvient de la mer ?* (Seuil), 1964 – *Cours sur la rive sauvage* (Seuil), 1968 – *La Danse du roi* (Seuil), 1970 – *Dieu en Barbarie* (Seuil), 1973 – *Le Maître de chasse* (Seuil), 1977 – *Habel* (Seuil), 1985 – *Les Terrasses d'Orsol* (Sindbad), 1989 – *Le Sommeil d'Ève* (Sindbad), 1990 – *Neiges de marbre* (Sindbad), 1992 – *Le Désert sans détour* (Sindbad), 1994 – *L'Infante maure* (Albin Michel), 1998 – *Si Diable veut* (Albin Michel), 1998 – *L'Arbre à dire* (Albin Michel), 2003 – *L.A. Trip* “roman en vers” (La Différence), 2003 – *Simorgh* (Albin Michel), 2006 – *Laëzza* (Albin Michel).

• أقاصيص:

Nouvelles : 1955 – *Au café* (Gallimard), 1966 – *Le Talisman* (Seuil), 1995 – *La Nuit sauvage* (Albin Michel), 2001 – *Comme un bruit d'abeilles* (Albin Michel).

• قصص للأطفال:

Contes pour enfants : 1959 – *Baba Fekrane* (La Farandole), 1974 – *L'Histoire du chat qui boude* (La Farandole), 2001 – *L'Hippopotame qui se trouvait vilain* (Albin Michel-jeunesse).

• دواوين شعرية:

Poèmes : 1961 – *Ombre gardienne* (Gallimard), 1970 – *Formulaires* (Seuil), 1975 – *Omneros* (Seuil), 1979 – *Feu, beau feu* (Seuil), 1987 – *O Vive* (Sindbad), 1995 – *L'Aube Ismaël* (Tassili Music), 1998 – *L'Enfant-Jazz* (La Différence), 2000 – *Le Cœur insulaire* (La Différence), 2006 – *Omnéros* (La Différence), 2007 – *Œuvres complètes* “vol. 1 poésie” (La Différence).

• كتابات مسرحية:

Théâtre : *Les fiancés du printemps* “Pièce montée à France-Culture. Un extrait en est publié dans *Révolution africaine* (Alger)”, le 9 février 1963. *Une paix durable* “Pièce inédite”. 1980 – *Mille Hourras pour une gueuse* (Seuil).

الملحق (4): مالك حدّاد في سطور



« Je salue l'éloquence de tous ces muets ! Je salue ces bâtards, ces princes des bâtards ! Je salue leur démarche. Et je comprends la surdité des sourds. Je suis incapable de raconter en arabe ce que je sens en arabe. »⁽¹⁾.

Malek HADDAD.

«أنا الذي أغني بالفرنسية.. أيها الشاعر يا صديقي! لا تلمني إذا ما صدمتك رطانتني.. لقد أراد لي الاستعمار أن أحمل اللكنة في لساني.. أن أكون معقود اللسان.»⁽²⁾.

مالك حدّاد.

«ستقول: إن مالكا هذا يستخدم كلمات فرنسية.. وما أهمية ذلك؟ إن كلمة الجزائري يمكن أن تقال بالصينية. بلى! يا أراغون.. تلك هي مأساة اللغة.. لو كنت أعرف الغناء.. لتكلمت العربية.»⁽³⁾.

مالك حدّاد.

« Gabriel Audisio me citait un jour une de ses propres phrases qui résume assez bien sa pensée : « La langue française est ma patrie. » Je me souviens de lui avoir répondu : *La langue française est mon exil.* »⁽⁵⁾.

Malek HADDAD.

« Ce qu'il convient surtout de noter, c'est que même s'exprimant en français, les écrivains algériens d'origine arabo-berbère **traduisent** une pensée **spécifiquement algérienne**, une pensée qui aurait trouvé la plénitude de son expression **si elle avait été véhiculée par un langage et une écriture arabes.** »⁽⁴⁾.

Malek HADDAD.

مولده ونشأته وتعليمه:

وُلِدَ الشاعر والروائي مالك حدّاد بتاريخ 5 جويلية 1927م بقسنطينة⁽⁶⁾، كان والده سليمان حدّاد يسهر على متابعة دراسته⁽⁷⁾. زاول مالك دراسته بثانوية d'Aumale المسماة بـ ثانوية رضا حوحو

⁽¹⁾ Malek HADDAD, *écoute et je t'appelle*, op. cit., p19.

⁽²⁾ مالك حدّاد، الشقاء في خطر (من الشعر الثوري الجزائري)، نقلته إلى العربية: ملك أبيض العيسى، راجع الترجمة وقدم له: سليمان العيسى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1979م، ص36-37.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص38-39.

⁽⁴⁾ Malek HADDAD, *écoute et je t'appelle*, op. cit., p33-34.

⁽⁵⁾ Ibid., p21.

⁽⁶⁾ Voir : Manouba HADJ-AMAR, *Malek Haddad : Mission accomplie*, Alger, CASBAH Éditions, 2017, p7.

⁽⁷⁾ يُنظر: عمارة كحلي، تجربة الكتابة عند مالك حدّاد (دراسة)، ميم للنشر، الجزائر، 2015م، ص7.

حاليًا⁽¹⁾. وفي سنة 1948م، حاز شهادة البكالوريا (شعبة الفلسفة آداب)، ثمّ امتحن التعليم⁽²⁾.

انتقل إلى فرنسا حيث التحق بكلية الحقوق بمدينة أكس أون بروفانس Aix-en-Provence لكنّه لم يكمل دراسته وهجرها سنة 1954م عقب اندلاع ثورة التحرير، ليشتغل في مهن يدويّة وينخرط في النضال السياسي⁽³⁾. وبعد انضمامه إلى حزب جبهة التحرير الوطني F.L.N، أصبح مُلاحقًا مِنَ الشرطة الفرنسيّة. ذاق مالك مرارة المنفى (لفترة امتدت بين 1954م و1962م) في فرنسا، وسويسرا، وألمانيا، وثمّة تعرّف على لويس أراغون Louis Aragon وصديقه "جورج مونان George Mounin"⁽⁴⁾.

تنقّل مالك حدّاد بين بلدان ومُدن عديدة، نذكرُ منها: باريس، لوزان، موسكو، نيودلهي، القاهرة، تونس⁽⁵⁾. ثمّ عاد مالك بعد الاستقلال إلى الجزائر وعاش مرحلة صعبة، لكنّه ظلّ يستمتع بالحياة العائليّة وحياة القراءة والكتابة في بيته بأعالي قسنطينة. وكان الرئيس الراحل هواري بومدين وراء انتقال مالك حدّاد إلى العاصمة، بعد أن سأل عنه في أوّل زيارةٍ له إلى قسنطينة، ليُخرجه من عرّفته وينتقل بعدها مالك حدّاد إلى إدارة الحياة الثقافيّة في العاصمة⁽⁶⁾.

عُيّن سنة 1972م مُستشارًا تقنيًا لدى وزارة الإعلام والثقافة مُكلّفًا بالدراسات والأبحاث في مجال الإنتاج الثقافيّ المكتوب باللّغة الفرنسيّة، ثمّ أمينًا عامًّا لاتحاد الكتّاب الجزائريّين في الفترة التي امتدّت بين 1974م و1977م⁽⁷⁾.

توفي مالك حدّاد بالعاصمة في 2 جوان 1978م وهو في الواحدة والخمسين من جرّاء سرطان الرئة. ودُفن، يومين بعد وفاته، بالمقبرة البلدية لمدينة قسنطينة⁽⁸⁾.

يحمل، الآن، قصر الثقافة بقسنطينة اسم هذا الكاتب الفذّ، كما تأسّست جائزة مالك حدّاد

⁽¹⁾ Voir : Manouba HADJ-AMAR, *Malek Haddad : Mission accomplie, op. cit.*, p7.

⁽²⁾ يُنظر: عمّارة كحلي، المرجع السابق، ص8.

⁽³⁾ يُنظر: مالك حدّاد، عام جديد بلون الكرز: مختارات من أشعار ونصوص مالك حدّاد، ترجمة: شرف الدين شكري، توطئة: سليم بوفنداسة، سلسلة كتاب الدوحة، رقم 32، وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة - قطر، يناير 2014م، ص12.

⁽⁴⁾ يُنظر: عمّارة كحلي، المرجع السابق، ص8.

⁽⁵⁾ يُنظر: موسوعة العلماء والأدباء الجزائريّين، الجزء الأوّل، المرجع السابق، ص701.

⁽⁶⁾ يُنظر: مالك حدّاد، عام جديد بلون الكرز، المرجع السابق، ص12-14.

⁽⁷⁾ يُنظر: عمّارة كحلي، المرجع السابق، ص10، (Voir aussi : Manouba HADJ-AMAR, *À la rencontre de Malek Haddad*,)

(Alger, Empreintes – CASBAH Éditions, 2010, p8).

⁽⁸⁾ يُنظر: عمّارة كحلي، المرجع السابق، ص10.

سنة 2001م⁽¹⁾، وهي جائزة أدبية ترعاها الروائية أحلام مستغانمي، وتُنظّمها جمعية الاختلاف الثقافية (الهيئة المؤسّسة)، تُقدّم لأحسن عملٍ روائيٍّ جزائريٍّ مكتوب بالّلغة العربيّة.

لقد أعلن مالك حدّاد غُربته في لُغة الآخر (الفرنسيّ)، وقد كانت أعماله الأدبيّة بيانًا يحملُ موقفه من الكتابة والهويّة، حيث نجده يُؤكّد في كل مرّة أن الكُتّاب الجزائريّين وإن كتبوا بالفرنسيّة؛ فإنّهم كتبوا بروح جزائريّة⁽²⁾ خالصة.

مؤلّفاتهِ⁽³⁾:

نشر مالك حدّاد، في سنة 1956م، ديوانه الأوّل الشقاء في خطر⁽⁴⁾ *Le malheur en danger* الصادر عن دار La Nef de Paris. وفي سنة 1958م، نشر روايته الأولى الموسومة: الانطباع الأخير⁽⁵⁾ *La dernière impression* الصادرة عن دار Julliard. كما نشر، في سنة 1959م، رواية سَاهِبِك غزالة⁽⁶⁾ *Je t'offrirai une gazelle* الصادرة عن دار Julliard. ونشر مالك حدّاد سنة 1960م رواية التلميذ والدرس⁽⁷⁾ *L'élève et la leçon* الصادرة عن دار Julliard. وأصدر، دائماً عن دار Julliard، رواية رصيف الأزهار لم يُعد يُجيب⁽⁸⁾ *Le Quai aux Fleurs ne répond plus*، في سنة 1961م. كما أصدر مالك حدّاد في السّنة ذاتها (أي سنة 1961م) ديوانه الموسوم: أنصت وسأناديك⁽⁹⁾ *Écoute*

⁽¹⁾ Voir : Manouba HADJ-AMAR, *Malek Haddad : Mission accomplie, op. cit.*, p8.

⁽²⁾ يُنظر: مالك حدّاد، عام جديد بلون الكرز، المرجع السابق، ص 8-12.

⁽³⁾ يُنظر: عمّارة كحلي، المرجع السابق، ص 8-11. ويُنظر كذلك: موسوعة العلماء والأدباء الجزائريّين، الجزء الأوّل، المرجع السابق، ص 701. ويُنظر كذلك: () *Voir aussi : Manouba HADJ-AMAR, À la rencontre de Malek Haddad, op. cit.*, p9-10. Et : (Manouba HADJ-AMAR, *Malek Haddad : Mission accomplie, op. cit.*, p9-10).

⁽⁴⁾ الترجمة الأولى: مَالِك حدّاد، الشقاء في خطر، نقلته إلى العربيّة: ملك أبيض العيسى، المرجع السابق. والترجمة الثّانيّة: مالك حدّاد، الشقاء في خطر (شعر)، ترجمة: عبد السلام يخلّف، منشورات الاختلاف، ط 1، الجزائر، 2005م.

⁽⁵⁾ مالك حدّاد، الانطباع الأخير، المرجع السابق.

⁽⁶⁾ الترجمة الأولى: مالك حدّاد، سَاهِبِك غزالة، تعريب: صالح القرمادي، المرجع السابق. والترجمة الثّانيّة: مالك حدّاد، سَاهِبِك غزالة، ترجمة: محمد ساري، المرجع السابق.

⁽⁷⁾ الترجمة الأولى: مالك حدّاد، التلميذ والدرس، ترجمة: د. سامي الجندي (طبعي): دار الطليعة، ومكتبة الأسرة الأردنية). المرجع السابقين. والترجمة الثّانيّة: مالك حدّاد، التلميذ والدرس، ترجمة: شرف الدين شكري (طبعي): دار الهلال، ودار النشر ميديا-بلوس)، المرجع السابقين.

⁽⁸⁾ الترجمة الأولى: مالك حدّاد، رصيف الأزهار لا يجيب، ترجمة: حنفي بن عيسى، المرجع السابق. والترجمة الثّانيّة: مالك حدّاد، ليس في رصيف الأزهار من يجيب، ترجمة: ذوقان قرقوط (طبعي): الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر (المطبعة الثقافية)، والهيئة العامة لقصور الثقافة)، المرجع السابقين. والترجمة الثّالثة: مالك حدّاد، رصيف الزهور، ترجمة: أحمد نظير نشوقي، المرجع السابق.

⁽⁹⁾ مالك حدّاد، عام جديد بلون الكرز، المرجع السابق.

Les zéros tournent en rond (1) et je t'appelle
الذي نشرته دار Maspéro.

كما خلف مالك حداد أعمالاً ومخطوطات غير منشورة (وغير مكتملة) نذكر منها (2):

- *Les premiers froids* – poèmes. *La fin des Majuscules* – essai. *Un wagon sur une île* – roman inachevé. *Les propos de la quarantaine* – chronique. *La légende de Salah Bey*. *Journal intime*.

(1) مالك حداد، الأصفار تدور في فراغ، ترجمة: أحمد منور، دار الألفية للنشر والتوزيع TraLL، ط1، قسنطينة – الجزائر، 2012م.

(2) يُنظر: عمارة كحلي، المرجع السابق، ص 10 (Manouba HADJ-AMAR, *À la rencontre de Malek Haddad*), Voir aussi : Manouba HADJ-AMAR, *Malek Haddad : Mission accomplie*, op. cit., p9–10.

الملحق (5): المترجم معراج أغا في سطور



«وأنا أقرأ رواية مريم بين النخيل لخالي محمد ولد الشيخ، دفعني فضولي لترجمتها إلى اللغة العربية حتى يستفيد منها كل قارئ ومهتم ودارس للأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية خاصة في فترة الثلاثينيات من القرن الماضي أو في فترة ما بين الحربين العالميتين»⁽¹⁾.

د. معراج أغا.

« L'oubli de Mohammed Ould Cheikh mérite une autre réflexion des responsables de la culture et de la littérature dans l'ère de l'Algérie nouvelle. Il est temps d'immortaliser Mohammed Ould Cheikh par la désignation d'un édifice culturel ou éducatif en son nom... »⁽²⁾.

Dr. Moradj Agha.

Neveu de Mohammed Ould Cheikh.

مولده ونشأته وتعليمه:

الدكتور معراج أغا طبيب مُتقاعد مولود بتاريخ 14-06-1956م ببلدة المشرية، ولاية النعامة، الجزائر. زاولَ دراسته الابتدائية بمدرسة التعليم العام (C.E.G)، متوسطة الحاج جلول حالياً بالمشرية. تابعَ دراسته الثانوية بثانوية عبد المؤمن بسعيدة، وبعد حصوله على شهادة البكالوريا عام 1975م، التحق بمعهد العلوم الطبية بوهـران ثم تخرّج فيه عام 1982م، ليُزاول - بعدها - مهنة الطب في مدينة عين تموشنت إلى غاية تقاعده عام 2016م⁽³⁾.

من مؤلفاته وترجماته⁽⁴⁾:

- الدكتور معراج أغا كاتب وشاعر، صدر له ديوان باللغة الفرنسية بعنوان Miroir (طُبِعَ سنة 2004م) عن دار Edilivre – Paris.
- ورواية "جوقة الفراشات".

⁽¹⁾ محمد ولد الشيخ أغا، مريم بين النخيل، المرجع السابق، ص6.

⁽²⁾ Mohammed OULD CHEIKH AGHA, MYRIEM DANS LES PALMES, op. cit., p9.

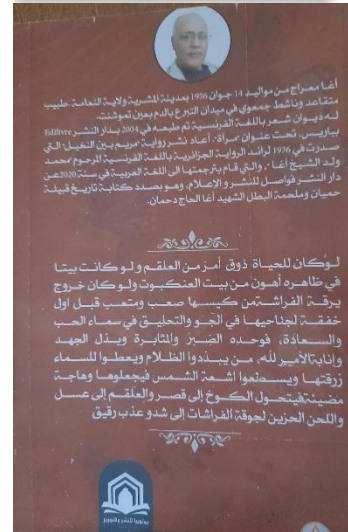
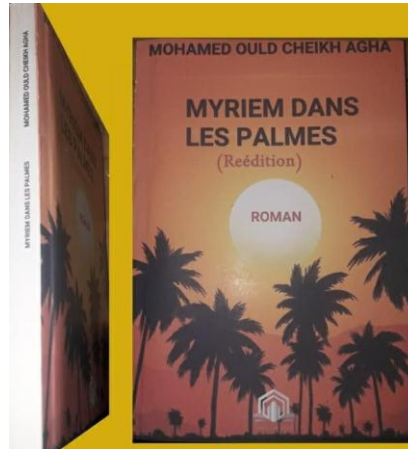
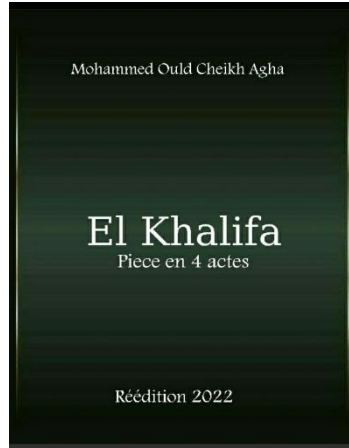
⁽³⁾ يُنظر: محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص6.

⁽⁴⁾ يُنظر: المرجع نفسه، ص6 (Voir aussi : Mohammed OULD CHEIKH AGHA, op. cit., p13).

_____ الملاحى: (5): المترجم معراج أنغا في طور _____

- وترجم رواية: مريم بين النخيل Myriem dans les palmes (صادرة في جوان 2020م) لخاله محمد ولد الشيخ أنغا إلى العربية (بعد أن قدّم لإعادة نشرها بالفرنسية سنة 2020م).
تفرّغ إلى العمل الخيري والتطوعي في إطار الجمعية الولائية للتبرع بالدم "جابر بن حيان"، بعين تموشنت. وهو عضو في المكتب الفيدرالي للاتحادية الجزائرية للتبرع بالدم مُكلّف بالتنظيم⁽¹⁾.

صُور لأعماله الإبداعية(*):



(1) يُنظر: محمد ولد الشيخ أنغا، المرجع السابق، ص.6.

(*) تحصلنا على هذه الصور من عند الدكتور المترجم معراج أنغا.

الملحق (6): المترجم زيدان خوليف في سطور

لم تتمكّن الدّراسة من التّوصّل إلى معلوماتٍ حول مولد المترجم د. زيدان خوليف ونشأته وتعليمه ومؤلّفاتهِ وترجماته^(*)، بل استعانت بتصدير الأستاذ عمر مسقاوي (مُؤرّخ بطرابلس، في ١٠/٤/٢٠٠٩م) الذي استهلّ به ترجمة رواية لبّيك باللّغة العربيّة، هذه الرواية التي كتبها مالك بن نبي عام ١٩٤٧م، أي بعد عامٍ واحدٍ من إصدار كتاب «الظّاهرة القرآنيّة» (باللّغة الفرنسيّة) عام ١٩٤٦م. حيث أشاد عمر مسقاوي بالمترجم الجزائريّ الدكتور زيدان خوليف المهتمّ بفكر الفيلسوف مالك بن نبي، هذا المترجم الذي قدّم أطروحته بالفرنسيّة عام ٢٠٠٦م بعنوان: حياة مالك بن نبي وأعماله من عام 1905م إلى عام 1973م، بإشراف البروفسور برهان غليون، في جامعة السوربون الجديدة باريس 3⁽¹⁾.

La vie et l'œuvre de Malek Bennabi : 1905–1973, par Zidane Khoulif, sous la direction de Burhan Ghalioun. Thèse de doctorat en Langues, civilisations et sociétés orientales, soutenue en 2006 à Paris 3⁽²⁾.

وقد فضّل عمر مسقاوي في زيارة المترجم زيدان خوليف له في طرابلس الشام، وكيف أطلع عمر مسقاوي زيدان خوليف بالمعلومات الكافية والوافية لإنجاز بحثه، نظرًا للصدّاقة التي كانت تربطه بمالك بن نبي في القاهرة منذ عام ١٩٥٦م، حيث التقى عمر مسقاوي بن نبي لما كان طالبًا، وكيف كان بن نبي يؤسّس لهم آراءه وأفكاره حول مُشكلات الحضارة ومُستقبل العالم الإسلاميّ.

مُثنيًا على المترجم زيدان خوليف ومادحًا إيّاه على بحثه الجادّ، وشاكّرًا له اجتهاده في تقصّي آثار مالك بن نبي وفكره، لا سيّما بعد أن أهداه رواية لبّيك، هذه القصة التي كان يسمّع بها عمر مسقاوي لكنّها لم تكن بحوزته، مُشيرًا إلى أن هذه القصة ترسمُ – في حناياها – عمق الرّوح الجزائريّة وشخصيّتها، وتراثها، وثقافتها، وحضارتها الإسلاميّة⁽³⁾. وقد فضّل عمر مسقاوي في الفكر الإسلاميّ لمالك بن نبي، مُعرجًا على إصداراته التي تتقاطع مع فحوى هذه القصة، وشارحًا كيف استجاب لطلب المترجم زيدان خوليف

(*) إذ لم تُكلّل مساعي التواصل – العديدة – بالدكتور زيدان خوليف بالنّجاح، بالرغم من تواصلنا مع الأستاذ عمر مسقاوي.

(1) يُنظر: مالك بن نبي، لبّيك، المرجع السابق، ص9.

(2) Bibliothèque : Université Sorbonne Nouvelle. Direction des Bibliothèques Universitaires (Consultable sur place dans l'établissement demandeur). (La version de soutenance existe sous forme papier). Source : <http://www.theses.fr/2006PA030073>.

(3) يُنظر: مالك بن نبي، لبّيك، المرجع السابق، ص9–10.

الذي التمس منه وَضَعَ كلمة بمناسبة إصدار النسخة المنقولة إلى العربية⁽¹⁾.

أما مُقَدِّمة المترجم زيدان خوليف، المؤرَّخة بباريس، في ٥ جويلية (تموز/يوليو) ٢٠٠٧م، فقد تمحورت حول حيثيات الرواية، بدءًا بالطريقة المُستَعجَلَة التي كتب بها مالك بن نبي هذه الرواية بين سفرتين في غرفة فندق، مُرورًا بسنة إصدارها (سنة ١٩٤٧م^(*)) والدار التي نشرتها (دار النهضة بالجزائر)، ووصولًا إلى إعادة نشرها. ثُمَّ تطرَّق المترجم إلى أحداث الرواية (إبان الحقبة الاستعمارية) وشخصياتها، مُستخلصًا قراءاته الخاصة، وتحليلاته المُستندة إلى أطروحته حول: حياة مالك بن نبي وأعماله⁽²⁾.

ويُشير المترجم زيدان خوليف إلى أن كتابات مالك بن نبي لم تغل من التطرُّق إلى عقيدة الآخر مُستدلًا بالنِّقاش الذي دار بين البحَّار ومجموعة الحجيج، حاملًا في ثناياه الاحترام بالرغم من اختلاف المبادئ، وهذا ما يعكس سُبُل التَّعايش التي حثَّ عليها الإسلام بين البشر على اختلاف أعراقهم ولُغاتهم ودياناتهم وثقافتهم⁽³⁾. وفي هذا السياق، يُشير المترجم الدكتور زيدان خوليف - في الهامش - إلى محاضرة ألقاها في جامعة أكسفورد (في جويلية 2003م) بعنوان: عقيدة الآخر في فكر مالك بن نبي، نُشِرت في مجلة The Maghreb Review، المجلد 29، الأعداد 1-4، 2004م.

La 'Foi de l'Autre' dans la pensée de Malek Bennabi, Vol 29, Nos. 1-4, 2004, 153-64⁽⁴⁾.

ويُفسِّر إسقاط الذات المترجمة الدكتور زيدان خوليف - بناءً على أبحاثه - لشخصيات رواية لبيك على فكر بن نبي عُدَّة معرفيَّة تسلَّحت بها الذات المترجمة قبل مُباشرة الترجمة، مَكَّنَها من رَسْم مسار مشروعها التَّرجيِّي.

(1) يُنظر: المرجع نفسه، ص 11-15.

(*) سنة 1948م وفق تأريخ الباحث جان ديجو Jean Déjeux (Voir : Jean DÉJEUX, op. cit., p190).

(2) يُنظر: مالك بن نبي، لبيك، المرجع السابق، ص 17-22.

(3) يُنظر: المرجع نفسه، ص 19-20.

(4) Consulte : XXÈME COLLOQUE INTERNATIONAL A EU POUR SUJET : "LA RELIGION DE L'AUTRE" Organisé par THE MAGHREB REVIEW Est tenu au Mansfield College, Oxford 6-8 Juillet 2003, Lien : <https://www.maghreb-studies-association.co.uk/fr/conf2003.html>. Les Actes ont été publiés dans : <https://www.maghrebreview.com/fr/indexakq.html>.

الملحق (7): المترجم سامي الدروبي في سطور



«... نأتي إلى التمكن من اللغة الأجنبية يصدق هنا ما يصدق على التمكن من اللغة العربية ليس كل من درس اللغة الفرنسية في المدرسة والجامعة بقادر على أن يُترجم منها. وإنما ينبغي للمترجم في ميدان الأدب، أن يعرف اللغة الأجنبية في آدابها. وأجاذف فأقول: إن عيار التمكن من اللغة الأجنبية هو الوصول إلى القدرة على تذوق شعرها، الإحساس بموسيقى شعرها... وقبل ذلك لا يكون ثمة معرفة تامة باللغة الأجنبية [...] بالإضافة إلى الذوق الأدبي، مصاحبة ومعايشة المؤلف المترجم عنه.»⁽¹⁾

الدكتور سامي الدروبي.

«إن الدكتور دروبي لم يختر ثلاثية محمد ديب، للترجمة عبثاً. فقد كانت أمامه باستمرار مئات الأعمال الجليلة الجديرة بالترجمة... فلماذا خص هذه الرواية بالذات... باختياره، ولماذا أنفق عليها كل هذا الجهد؟ لعله كان يود أن يسمع من يقول له: هذه بضاعتنا رددتها إلينا.»⁽²⁾

نصر الدين البحرة.

مولده ونشأته ودراسته (*):

وُلد الأستاذ والأديب والمترجم سامي الدروبي في 1921/4/27 م، لأسرة عُرِفَت بالوطنية والحسّ الإنساني. دَرَسَ في مدينة حمص مرحلتَي الابتدائية والثانوية قسم أول، ثُمَّ أكمل القسم الثاني للبكالوريا في مدرسة تجهيز دمشق (ثانوية جودت الهاشي حالياً). تميّز سامي بين رفاقه بالهدوء وحُبِّهِ لِللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، كما أثبت مشاركته في العمل الوطني ضدَّ الاستعمار الفرنسي⁽³⁾.

امتنَه التَّعليم الابتدائي في مدارس الجولان بالقطر العربي السوري، وتابع دراسته في دار المعلمين العليا لمدة عامين، حيث عُيِّن بعدها مُعَلِّمًا في قرية "المخرم الفوقاني" بمحافظة حمص. ثُمَّ أُوفِدَ، أواخر

(1) إحسان بيات الدروبي، سامي الدروبي، دار الكرمل للدراسات والطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 1982م، ص78.

(2) المرجع نفسه، ص201.

(*) أُخِذَتْ مِنْ كِتَابِي: إحسان بيات الدروبي، المرجع السابق، ص295-301، وَمِنْ غِلَافِ الْكِتَابِ (الواجهة الخلفية). وكتاب: بثينة الخير، الدكتور سامي الدروبي مسيرة حياة، الهيئة العامة السورية للكتاب - مديرية منشورات الطفل، وزارة الثقافة، دمشق، 2017م، ص7-10.

(3) يُنظر: بثينة الخير، المرجع السابق، ص8.

_____ الملّا هو: _____ الملّا هو: (7): التّزجّم سامي الدروبي في طور _____

عام 1943م، إلى القطر العربيّ المصري (القاهرة) لمتابعة دراسته. حصل على إجازة في الآداب والعلوم الإنسانية - قسم الفلسفة وعلم النفس. وفي عام 1947م، عاد إلى القطر العربيّ السوريّ فعُيّن مُدرّسًا للفلسفة بحمص، ثُمَّ عُيّن مُعيدًا في جامعة دمشق في فترة وجيزة امتدّت من 1948م إلى 1949م. أُوفد بعدها إلى باريس، من عام 1949م إلى 1952م، لتحضير شهادة الدكتوراه، فحصل عليها، ليُزاول مهامه - بعد عودته من باريس - مُدرّسًا في كلية التربية، ثُمَّ أستاذًا⁽¹⁾.

أُوفد إلى القطر العربيّ المصريّ وعُيّن مُديرًا في وزارة الثقافة عام 1959م - 1960م، وعُيّن مُستشارًا ثقافيًا للجمهورية العربية المتحدة في البرازيل عام 1960م - 1961م. وبعد انفصال سورية عن مصر مباشرةً (في 28 سبتمبر سنة 1961م⁽²⁾)، عاد - بناءً على طلبه - إلى دمشق. عُيّن وزيرًا للتربية بعد ثورة 8 آذار 1963م. عُيّن سفيرًا للجمهورية العربية السورية في المغرب (في 1/9/1963م)، وفي يوغسلافيا (في 1/12/1964م)، ثُمَّ مندوبًا في الجامعة العربية (في 1/9/1966م)، ثُمَّ سفيرًا في مدريد بإسبانيا (في 27/11/1971م). وفي 12/10/1975م، عاد إلى دمشق - بطلب منه - لدواعٍ صحيّة، وثُبّتَ سفيرًا في وزارة الخارجية⁽³⁾.

بالرغم من وضعه الصحي السيء، واصل سامي الدروبي تحرير أعماله الأدبيّة وإنجاز ترجماته المُتقنة حتّى توفاه الله يوم الخميس الواقع في 11 صفر 1396هـ الموافق 12 شباط 1976م (من جزاء إصابته بانسداد الشريان التّاجي في القلب)⁽⁴⁾.

هابيتوس النّضال والعروبة والقوميّة والوحدة العربيّة المتأصّل في فكر الدكتور سامي الدروبي والمتجلّي في أعماله ومواقفه:

يتجسّد النّضال في نظر سامي الدروبي في القلم كما في البندقية، والكلمة الشجاعة عنده مثل المدفع والبارودة. اتّخذ التّعليم وسيلةً لترسيخ الهويّة العربيّة بين الأجيال، ومنصبه سفيرًا لبثّ روح المقاومة والوحدة والقوميّة في الأقطار العربيّة كافة. وفي سنة 1954م، شكّل سامي الدروبي، في فترة دراسته في باريس، حلقة حزبيّة لمُؤازرة الثّورة الجزائريّة ودعمها من أجل الاستقلال. كان يؤمن بأن

(1) يُنظر: بثينة الخير، المرجع السابق، ص9-10. وإحسان بيّات الدروبي، المرجع السابق، ص295 (والواجهة الخلفيّة للكتاب).

(2) يُنظر: إحسان بيّات الدروبي، المرجع السابق، ص56.

(3) يُنظر: المرجع نفسه، ص297 (والواجهة الخلفيّة للكتاب).

(4) يُنظر: المرجع نفسه، ص174، وص297 (والواجهة الخلفيّة للكتاب).

التحرُّر من الاستعمار يكمن في استئصال تبعات المستعمر وآثاره ومُخلفاته⁽¹⁾. لقد حمل سامي، في مهامه الدبلوماسية، قضية فلسطين في قلبه، مُتصدِّياً للحملة الصهيونية بضروبها كافة، ولقد سعى كذلك إلى وحدة الأقطار العربية وتجسيدها حقيقةً، بوصفها درعاً متيناً يتصدَّى لضروب الاستعمار والعدوان⁽²⁾.

يندرج اختيار سامي الدروبي ترجمة ثلاثية محمد ديب إلى العربية في مشروع تَرْجِيٍّ ما بعد استعماريٍّ ذي بُعدٍ قوميٍّ في بنيانه الفكريّ، يعدُّ الجزائر جزءاً لا يتجزأ من الوطن العربيّ الكبير⁽³⁾، ناقلاً أفكار محمد ديب ومشاعره وآماله في تحرُّر بلده الجزائر إلى العربية⁽⁴⁾. لقد شارك سامي الدروبي – برأيه وتحليلاته – في جدليّة الكتابة بلُغة الآخر الفرنسيّ التي طرحها كُتّاب الحقبة الاستعماريّة، مُبرزاً ذلك التمزُّق النفسيّ الذي يشعرُ به الكاتب الجزائريّ وهو يخطُّ أعماله بلُغة المُستعمر⁽⁵⁾، مُستهلّاً مُقدِّمة ترجمته ثلاثية محمد ديب إلى العربية (المؤرّخة في 1960/11/1م) بسؤالٍ عن مدى وجود مدرسة أدبيّة في شمال أفريقيا؟ وعن طبيعية الأدب المكتوب باللُغة الفرنسيّة الذي يُنتجه كُتّاب شمال أفريقيا⁽⁶⁾ ثمّ استند إلى إجابة كُتّاب شمال أفريقيا عن تلك التّساؤلات، الذين يرون هذا الأدب المغربيّ ليس من الأدب الفرنسيّ في شيء، إنّما هو أدب عربيّ استعار – مُضطرباً – اللّسان الفرنسيّ في التعبير، وهذا لأسباب انتهجها الاستعمار الفرنسيّ لطمس لُغة الشّعب الجزائريّ، مُستدلاً برّد محمد ديب على تلك التّساؤلات: «بل قولوا إن أدباً قومياً يظهر الآن في المغرب عامة وفي الجزائر خاصة. غير أن الأمر الذي له دلالة بليغة هو أن هذا الأدب يكتب باللغة الفرنسية في بلاد ذات تراث ثقافي إسلامي لا تزال تحاول، ولو في كثير من العناء، أن تقدم إنتاجاً أدبياً باللغة العربية»⁽⁷⁾.

ثمّ فصلَ سامي الدروبي في جدليّة التّعبير باللُغة الأمّ والتّعبير باللُغة الفرنسيّة، لُغة المُستعمر، وكذا مأساة الكُتّاب الجزائريّين الذين استعاروا اللّسان الفرنسيّ للإفصاح عن أحزانهم وآلامهم ومكنوناتهم، مأساة الكتابة بلُغة ليست هي اللُغة التي خلقت لتُعبر عن ذواتهم وكيانهم وهويّتهم. ثمّ تطرّق الدروبي إلى صحاحات الشاعر والروائيّ الجزائريّ مالك حدّاد ومواقفه من التّعبير بلُغة الآخر، مُستحضراً

(1) يُنظر: بثينة الخير، المرجع السابق، ص 19-23. ويُنتظر كذلك: إحسان بيات الدروبي، المرجع السابق، ص 297-298.

(2) يُنظر: بثينة الخير، المرجع السابق، ص 26-36.

(3) يُنظر: إحسان بيات الدروبي، المرجع السابق، ص 200-201.

(4) يُنظر: المرجع نفسه، ص 298.

(5) يُنظر: المرجع نفسه، ص 222-225.

(6) يُنظر: محمد ديب، الدار الكبيرة، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص 7.

(7) المرجع نفسه، ص 7.

عبارات حدّاد التي بثّها في قصائده نحو: مأساة اللّغة، ومعقود اللّسان⁽¹⁾ (راجع الفصل الرّابع، المبحث الثالث).

«والفاجعة، بعد، عند من يترجم إلى العربية آثار كتاب الجزائر المكتوبة بالفرنسية أنه يحس بأنه لا يرد إلى الأثر شيئاً مما كان يمكن أن يكون له من رواء لو كتب بالعربية، وإنما هو يفقده مزيداً من ذلك الرواء، فالأثر قد ضاع منه شيء مرتين: مرة حين كتب بالفرنسية، ومرة حين ترجم عن الفرنسية.»⁽²⁾

الدكتور سامي الدروبي.

ودكّر سامي الدروبي في مُقدّمته جزءاً من كلمة محمد ديب التي بعث بها إليه بمناسبة إصدار هذه الترجمة العربيّة لرواياته، ذكر فيها محمد ديب موضوع الروايات الثلاث وخبائها. ثمّ أشار الدروبي إلى آراء بعض النّقّاد الأدبيّين الفرنسيّين وتعليقاتهم على هذه الروايات وأساليبها الإبداعيّة. بعدها ذكر الدروبي بشارات الثّورة وإرهاصات التي بثّها تلك الروايات⁽³⁾ (راجع الفصل الرّابع، المبحث الثالث).

من مؤلّفاته⁽⁴⁾:

“الرواية في الأدب الروسي”. “الموجز في علم النفس” (بالاشتراك مع عبد الله عبد الدائم). “دروس علم النفس” (بالاشتراك مع سمير الدروبي). “علم الطّباع: المدرسة الفرنسيّة”. “علم النفس والأدب: معرفة الإنسان بين بحوث علم النفس وبصيرة الأديب والفنان”. “علم النفس ونتائجه التربويّة” (بالاشتراك مع حافظ الجمالي).

من ترجماته⁽⁵⁾:

في حقل الفلسفة: “تفكير كارل ماركس: نقد الدين والفلسفة”، تأليف: جان إيشف كالفيز (ترجمة: سامي الدروبي وجمال الأتاسي). “الضحك: بحث في دلالة المضحك”، تأليف: هنري برجسون (ترجمة: سامي الدروبي وعبد الله عبد الدايم). “الطاقة الرّوحية”، تأليف: هنري برجسون. “الفكر والواقع

(1) يُنظر: محمد ديب، الدار الكبيرة، ترجمة: سامي الدروبي، المرجع السابق، ص 7-9.

(2) المرجع نفسه، ص 10.

(3) يُنظر: المرجع نفسه، ص 10-13.

(4) يُنظر: إحسان بيّات الدروبي، المرجع السابق، ص 298-301 (والواجهة الخلفيّة للكتاب). ويُنظر كذلك: بثينة الخير، المرجع السابق، ص 56-59.

(5) يُنظر: المرجعُين أنفسهما، والصفحات أنفسها.

_____ الملاحى: (7): التزجيم سامي الدروبي في طور _____

المتحرّك"، تأليف: هنري برجسون. "فلسفة الفن"، تأليف: بندتو كروتشه. "المذهب المادي والثورة"، تأليف: جان بول سارتر (ترجمة: سامي الدروبي وجمال الأتاسي). "مسائل فلسفة الفن المعاصرة"، تأليف: ج. م. جويو. "منبع الأخلاق والدين"، تأليف: هنري برجسون (ترجمة: سامي الدروبي وعبد الله عبد الدائم).

في حقل التربية وعلم النفس: "سيكولوجية المرأة"، تأليف: ج. هيمناس. "علم النفس التجريبي"، تأليف: روبرت س. ودورث. "المعلم العربي: إعداد المربي"، تأليف: روجه كوزينة (ترجمة: جميل صليبا وحكمة هاشم وسامي الدروبي).

في حقل العلوم السياسيّة: "مدخل إلى علم السياسة"، تأليف: موريس دوفرليه (ترجمة: جمال الأتاسي وسامي الدروبي). "معذبو الأرض"، تأليف: فرانز فانون (ترجمة: سامي الدروبي وجمال الأتاسي).

في حقل الأدب: "ابنة الضابط"، تأليف: ألكسندر بوشكين. "الأعمال الأدبية الكاملة: تأليف الكاتب الروسي: ليو تولستوي (*)". "الأعمال الأدبية الكاملة، تأليف الكاتب الروسي: دوستوفسكي (**)". "بطل من هذا الزمان"، تأليف: ميخائيل ليرمنتوف. ثلاثيّة محمد ديب: "الدار الكبيرة - الحريق - النول". "جسر على نهر درينا"، تأليف الكاتب اليوغوسلافي: إيفو أندريتش (رواية فائزة بجائزة نوبل للأدب). "كونكاس بويربا"، تأليف: ماشادو دو أسيس. "لحن كرويتزر"، تأليف: ليو تولستوي. "الموسيقى الأعشى"، تأليف: ف. كورولنكو. "مياه الربيع"، تأليف: إيفان تورغينيف. "وقائع مدينة تراقنك"، تأليف: إيفو أندريتش.

(*) "الطفولة - المراهقة - الشباب" (مجلد 1)، "أقاصيص سياستوبول وغيرها" (مجلد 2)، "القوزاق وقصص أخرى" (مجلد 3)، "الحرب والسلام" (مجلد 4، ترجمة: صباح الجهم وسامي الدروبي)، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي في القطر العربي السوري (دمشق 1976م - 1983م)، أربعة (04) مجلدات، عدد صفحات المجلد الواحد حوالي 1000 صفحة. حينما وافته المنية، بلغت ترجمته الفصل الخامس عشر من الجزء الثاني من رواية "الحرب والسلام" لتولستوي (يُنظر: إحسان بيات الدروبي، المرجع السابق، ص 297، والواجهة الخلفيّة للكتاب)، ثمّ أكملت ابنته ليلي ترجمة الصفحات المتبقية (يُنظر: إحسان بيات الدروبي، المرجع نفسه، ص 161، وص 214، وص 267، والواجهة الخلفيّة للكتاب).

(**) منشورات وزارة الثقافة في جمهورية مصر العربيّة، في 18 مجلدًا، تتراوح عدد صفحات المجلد الواحد بين 700 و 800 صفحة.

الملحق (8): المترجم أحمد بن محمد بكلي في سطور



«محمد ديب يكتب بأحاسيسنا لذا لا عناء في ترجمته».

المترجم أحمد بن محمد بكلي لـ "الفجر"
(بتلمسان، بقلم: هاجر قويدري، سنة 2011م).

«جزأت الحوارات للحفاظ على محلية الرواية».

أحمد بن محمد بكلي، مترجم ثلاثية محمد ديب إلى
العربية
(جريدة الخبر، بقلم: حميد عبد القادر، سنة 2011م).

مولده ونشأته وتعليمه⁽¹⁾:

وُلدَ الأديب والروائي والمترجم أحمد بن محمد بكلي في 7 ديسمبر سنة 1944م، بالعطف ولاية غرداية. تلقى تعليمه الابتدائي باللغتين العربية والفرنسية بمسقط رأسه (بالعطف)، ثم تابع دراسته الثانوية بالعربية في معهد الحياة بالقرارة. زاول دراساته العليا بجامعة الجزائر في تخصص الأدب العربي والفلسفة.

امتهن التدريس وتقلد مناصب عدة في القطاعين العام والخاص. وفي الحقلين الأدبي والإبداعي، نجد حياته مكرسة للكتابة والترجمة.

من مؤلفاته:

- حديث الصمت (رواية)، نشرتها دار القصة للنشر، سنة 2007م.
- *De l'histoire des ibadites au Maghreb : Regard libre sur les chroniques d'Abu Zakaria*, Alger, CASBAH Éditions, 2009 & 2010.
- *LA VOYAGEUSE* (Récit), Alger, CASBAH Éditions, Septembre 2016.

⁽¹⁾ Voir : Ahmed BAKELLI, *LA VOYAGEUSE* (Récit), Alger, CASBAH Éditions, Septembre 2016 (la couverture arrière).

من ترجماته:

- انتفاضة مرغريت (عين - تركي) 26 أبريل 1901م، تأليف: كريستيان فيلين، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2012م.
- تنشئة جزائرية: من الثورة إلى العشرية السوداء، تأليف: وسيلة تامزالي، دار القصبة للنشر، ط1، الجزائر، سنة 2009م.
- ثلاثية محمد ديب: الدار لكبيره، الحريق، المنسج، دار سيديا، الجزائر، سنة 2011م.
- مذكرات اللواء حسين بن معلم، الجزء الأول: حرب التحرير الوطنية، دار القصبة للنشر، الجزائر، سنة 2014م.
- المقامرة الجزائرية: أزمة، تجربة وتأملات، تقديم كمال داوود، تأليف: عبد الرحمن الحاج الناصر، منشورات البرزخ، سنة 2012م.

تصريحاته حول ترجمته ثلاثية محمد ديب إلى العربية:

- «جزارت الحوارات للحفاظ على محلية الرواية»، أحمد بن محمد بكلي، مترجم ثلاثية محمد ديب إلى العربية (جريدة الخبر، بقلم: حميد عبد القادر، سنة 2011م)⁽¹⁾.
- «محمد ديب يكتب بأحاسيسنا لذا لا عناء في ترجمته»، المترجم أحمد بن محمد بكلي لـ «الفجر» (بتلمسان، بقلم: هاجرقويدري، سنة 2011م)⁽²⁾.

لقد أفصح المترجم الجزائري أحمد بن محمد بكلي، بناءً على ترجماته وتصريحاته، عن مشروعه التّرجيميّ الرامي إلى جزارة الترجمة وإضفاء الطابع المحليّ الجزائريّ، لا سيّما أن فحوى الخطاب الروائيّ لمحمد ديب جزائريّ خالص بالرغم من لجوئه إلى اللّغة الفرنسيّة. وقد اختير المترجم أحمد بن محمد بكلي لتولي زمام نقل ثلاثية محمد ديب إلى العربيّة من القائمين على تنظيم تظاهرة تلمسان عاصمة الثّقافة الإسلاميّة 2011م.

(1) Consultez : <https://www.djazairess.com/elkhabar/267717>.

(2) Consultez : <https://www.djazairess.com/alfadjr/200377>.

الملحق (9): المترجم السعيد بوطاجين في سطور



مولده ونشأته وتعليمه⁽¹⁾:

البروفيسور السعيد بوطاجين باحث
وكاتب وروائي وناقد ومترجم جزائري، من مواليد
06 جانفي 1958م بتاكسانة، ولاية جيجل. تخرّج
في جامعة الجزائر وجامعة السوربون بفرنسا. حاز
شهادة دكتوراه الدولة في النّقد الجديد (الترجمة
والمصطلح) في جامعة الجزائر سنة 2007م.

أستاذ الأدب والنّقد والترجمة وعلم المصطلح وتحليل الخطاب في جامعات عدّة منذ سنة
1982م (كلية الآداب والفنون، جامعة مستغانم (الجزائر) حالياً). شارك في ملتقيات وندوات ومؤتمرات
علميّة وأدبيّة عديدة (داخل الوطن وخارجه)، وألقى عشرات المحاضرات، وكتب مقالات عديدة (وطنية
ودولية)⁽²⁾.

عضو اللجنة التربويّة لإصلاح برامج التّعليم العالي (الجزائر: من سنة 1986م إلى 1988م)،
وعضو الهيئة العلميّة لمجلة معارف بالمجلس الأعلى للغة العربيّة (الجزائر)، وعضو مؤسس لمخبر المصطلح
والترجمة (جامعة الجزائر)، ورئيس الملتقى الدوليّ للرواية عبد الحميد بن هدوقة (الجزائر)، ورئيس
مؤسسة أبوليوس الطاهر وطار (الجزائر)، ورئيس الهيئة الاستشاريّة لمنتدى الفكر الدوليّ (الجزائر)⁽³⁾.

وفي حقل الإعلام الثّقافي، اشتغل في عدّة صحف منها: الجزائر نيوز، الخبر الأسبوعي، صوت
الأحرار. ويشتغل حالياً مُتعاونًا مع جريدة الجمهوريّة، وكاتبًا صحفيًا في يومية أخبار الوطن. كما أسّس

(1) يُنظر: موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، الجزء الأوّل، المرجع السابق، ص 483-484. إضافةً إلى التوصل - بمساعدة الباحثة
سامية عبّاسة - إلى نسخةٍ مُحيّنةٍ من السيرة الذاتية للبروفيسور السعيد بوطاجين.

(2) يُنظر: المرجعُين أنفسهما.

(3) يُنظر: المرجعُين أنفسهما.

_____ المَلَامَةُ: _____ المَلْحَمَةُ (9): التَرْجُمُ السَّعِيدُ بوطاهين في سطور _____

عِدَّةُ مجلات وأشرف عليها، نذكرُ منها: المعنى (مُؤَسَّس ورئيس تحرير)، الخطاب (مُؤَسَّس ورئيس تحرير)، آمال (رئيس تحرير)، القصة (مُؤَسَّس ورئيس تحرير)، معارف (مُؤَسَّس ومُستشار علي)، الاختلاف (كاتب صفحة ثابتة)، انزياحات (كاتب عمود نقدي وثقافي ثابت)⁽¹⁾.

مِنْ مُؤَلَّفَاتِهِ الْإِبْدَاعِيَّةُ⁽²⁾:

أحذيتي وجواربي وأنتم (قصص)، أعودُ بالله (رواية)، تاكسانة: بداية الزَّعْتَر، آخر جنة (تُرْجِمَتْ إلى الفرنسيةِ بـ: *Texenna : Début de thym Ultime paradis*, traduit par : Laïd Douane)، جلاله عبد الجيب (قصص قصيرة جدًا)، اللعنة عليكم جميعا (قصص) (تُرْجِمَتْ إلى الفرنسيةِ بـ: *Que la malédiction soit sur vous... tous ! Traduit par : Merizak Guettara*)، للأسف الشديد، ما حدث لي غدا (قصص)، نقطة، إلى الجحيم (قصص قصيرة)، وفاة الرجل الميت (قصص).

مِنْ مُؤَلَّفَاتِهِ النَّقْدِيَّةِ وَالصَّحْفِيَّةِ⁽³⁾:

- الاشتغال العاملي: دراسة سيميائية "غداً يوم جديد" لابن هدوثة، عينة.
- الترجمة والمصطلح: دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد.
- السرد ووهم المرجع: مقاربات في النص السردي الجزائري الحديث.
- شعرية السرد: رواية "غداً يوم جديد" لعبد الحميد بن هدوثة أنموذجاً.
- علامات سردية (مقالات في علم السرد وتطبيقاته).
- مرايا عاكسة (مقالات في النقد والفكر والثقافة والترجمة).
- مرايا عاكسة: في قلب الحراك (مقالات صحفية في النقد والفكر والثقافة والترجمة).
- المسرح والهوية: مرايا عاكسة (مقالات صحفية).

مِنْ تَرْجُمَاتِهِ⁽⁴⁾:

- "Êtres en papier" (ترجمة جماعية إلى الفرنسية لـديوان كائنات مِنْ ورق لنجيب أنزار).
- أدين بكل شيء للنسيان (ترجمة لرواية *Je dois tout à ton oubli* للمليكة مقدم).

(1) يُنظر: المرجعُين أنفسهما.

(2) يُنظر: المرجعُين أنفسهما.

(3) يُنظر: المرجعُين أنفسهما.

(4) يُنظر: المرجعُين أنفسهما.

_____ الملّاحي: _____ الملّاحي (9): المترجم السعيد بوطاجين في طور _____

- أفلام حياتي (ترجمة لكتاب Les films de ma vie لفرنسوا تريفو).
- الانطباع الأخير (ترجمة لرواية La dernière impression لمالك حدّاد).
- حي الجرف (ترجمة لرواية La cité du précipice لصادق عيسات).
- رَقَانْ حَيِّبَتِي (ترجمة لرواية Reggane mon amour لفيكتر مالو سيلفا).
- شبح حديقة مونصو (ترجمة لمسرحية Le spectre du parc Monceau لكاتب ياسين).
- عبد الحفيظ بوصوف (ترجمة جماعية لكتاب الشريف عبد الدايم).
- عش يومك قبل ليلك (ترجمة لكتاب Cueille le jour avant la nuit لحميد قرين).
- فلسطين المخذوعة (ترجمة لمسرحية Palestine trahie لكاتب ياسين).
- قصص جزائرية (ترجمة لموسوعة Nouvelles algériennes لكريستيان شولي عاشور).
- محمد خذ حقيبتك (ترجمة لمسرحية Mohamed prends ta valise لكاتب ياسين).
- ملك الغرب (ترجمة لمسرحية Le roi de l'Ouest لكاتب ياسين).
- نجمة (ترجمة لرواية Nedjma لكاتب ياسين).
- نجمة تائهة (ترجمة لرواية Étoile errante لجان ماري غوستاف لو كليزيو (فاز بجائزة نوبل للآداب عام 2008م)).

نال البروفيسور السعيد بوطاجين جوائز مختلفة، وفُيِدَ أَوْسَمَة عِدَّة.

المَلْحَق (10): المترجم حنفي بن عيسى في سطور



مولده ونشأته وتعليمه⁽¹⁾:

وُلِدَ الأستاذ والمفكر واللّسانيّ والمترجم الدكتور حنفي بن عيسى في 23 ديسمبر سنة 1932م، بقرية إعطافن، الواقعة بالقرب من عين الحمّام (ولاية تيزي وزو)، ثُمَّ انتقلَ إلى منطقة زمورة (على بُعْدِ 20 كلم من ولاية غليزان)، حيث تلقّى تعليمه الابتدائيّ.

انتقلَ بعدها إلى مدينة غليزان ليُكملَ دراسته، وبعد أن أحرز تفوّقًا على أقرانه، استدعته جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين بقسنطينة سنة 1946م وكان عُمره آنذاك 14 سنة.

أُختِيرَ سنة 1951م ضمن بعثة لمواصلة الدِّراسة في العراق، ثُمَّ انتقلَ بعدها إلى سوريا حيث تحصَّلَ على شهادة البكالوريا بحلب (دار المعلمين). وفي سنة 1961م، نالَ شهادة الليسانس في التَّربية وعِلْمِ النَّفس من جامعة دمشق، ثُمَّ شهادة الليسانس في الإنجليزِيَّة. وبعد عودته إلى الجزائر، عُيِّنَ في وزارة التَّربية، وقد أسهم في حركة التَّعريب سنة 1962م. امتَهَنَ التَّدريس بالمدرسة العُليا للترجمة في أواخر سنة 1963م، ثُمَّ أستاذًا لعِلْمِ النَّفس اللُّغويِّ بمعهد عِلْمِ النَّفس وعلوم التَّربية بجامعة الجزائر. حازَ شهادة الدكتوراه في الفلسفة وعِلْمِ النَّفس اللُّغويِّ وقضايا الاتصال في جامعة الجزائر سنة 1971م. وهو باحث مختص في عِلْمِ النَّفس التَّربويِّ ومهتَمٌّ بالترجمة تنظيرًا وتطبيقًا. توفاه الله في 9 نوفمبر عام 1999م بالعاصمة.

(1) يُنظر: موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، الجزء الأوّل، المرجع السابق، ص 736-737. يُنظر كذلك: شَرِيْطُ مُسَجَّلِ للبرنامج الإذاعيّ "كما عرفوه" (برنامج يقتفي مآثر الشخصيات الثَّقافيَّة الجزائريَّة من خلال شهادات مَنْ عرفوهم من الأصدقاء والزملاء والأقارب)، إعداد وتقديم: فارس حمة، تطرَّقَ إلى: «المفكر والمترجم حنفي بن عيسى»، الإذاعة الثَّقافيَّة الجزائريَّة، حُفِّلَ بتاريخ 2021/11/30م، على 17:00 س، الرابط: <https://my.radioalgerie.dz/ar/node/2057>.

مِنْ مُؤَلَّفَاتِهِ⁽¹⁾:

محاضرات في علم النفس اللُّغوي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، سنة 1974م. إضافةً إلى ثلاث قصص قصيرة نُشرت في مجلة الآداب ببيروت، وهي: في حيّ القصبة (فيفري 1959م)، عائدون (نوفمبر 1960م)، الشمس لا تشرق من باريس (جوان 1961م).

كتبَ الدكتور حنفي بن عيسى مقالات ودراسات عديدة، نذكر منها: الأديب العربي بين التراث والمعاصرة، الثقافة في الجزائر ماضٍ وحاضر، الحياة الثقافية في الجزائر، دور الفلسفة في النهوض بالتربية، الرواية الجزائرية المعاصرة، السلوك اللُّغوي في ظل التعسف، فنّ الترجمة تنظيراً وتطبيقاً، في أصول الترجمة، النظام التربوي في الحال والمآل.

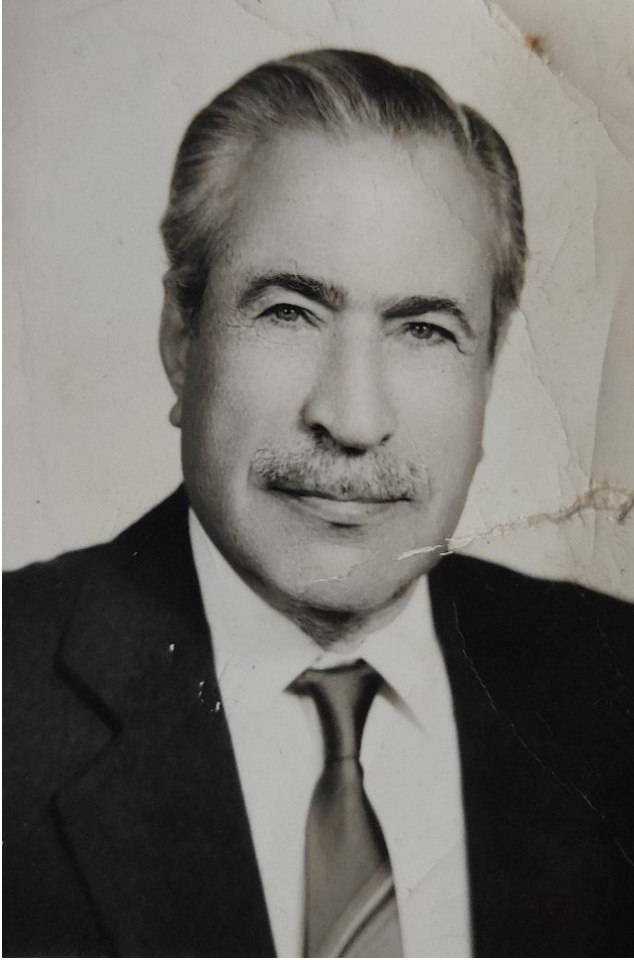
مِنْ تَرْجَمَاتِهِ⁽²⁾:

- تَعَلَّمَ لِتَكُون، تأليف: إيدجارفور، فيليب هيريرا، عبد الرزاق قدورة، هانري لوبيس، آرثر. ف. بتروفسكي، مجيد رحنامة، فريدريك شامبيون وورد، اليونسكو/ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، طبعة ثانية منقحة، الجزائر، 1976م.
- الجزائر: الأمة والمُجتمَع، تأليف: مصطفى الأشرف، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م.
- الدُّروبُ الوَعرة، تأليف: مولود فرعون، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط5 «طبعة خامسة منقحة»، الجزائر، 1990م.
- رصيف الأزهار لا يجيب، تأليف: مالك حدّاد، المطبوعات الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1965م.
- من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية 1962-1972، تأليف: أحمد طالب الإبراهيمي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972م.
- نتعلّم ونعمل، بإشراف اليونسكو.

(1) يُنظر: المرجعُين السابقين.

(2) يُنظر: المرجعُين أنفسهما.

الملحق (11): المترجم ذوقان قرقوط في سطور



عندما سُئِلَ عن رغبته في التّعليم أجاب قائلاً:
«أريد أن أتعلّم الحقوق كي أدافع عن
بلدي والطب كي أعيش»^(*).

الدكتور ذوقان محمد قرقوط.

«... في الوقت الذي نحس فيه بأن حياة
بندقية أو عضوية في منظمة ثورية أو في جيش
عربي مقاتل من أجل التحرير، هي أنبل وأشرف
وأروع فرصة بل هي الفرصة الوحيدة أمام الشاب
العربي لكي يُعطي معنى لموته ومعنى لحياته...»⁽¹⁾.
الدكتور ذوقان محمد قرقوط.

«وما إن يقف الرجل المُستعمر موقف
العنف من رجل الاحتلال ويهب مزمجراً في وجهه
حتى يدرك بأنه يفوقه إنسانية وإن كل ما كان
يتشدد به المضطهدون المستغلون من كلام عن
الحرية ومثل وأخلاق لا محتوى له وإن الثائر هو
القادر على أن يُعطي لهذا الكلام محتواه»⁽²⁾.
الدكتور ذوقان محمد قرقوط.

مولده ونشأته وتعليمه^(**):

وُلِدَ الدكتور ذوقان محمد قرقوط سنة 1917م في قرية ذيبين، محافظة السويداء، بسورية.
درس المرحلة الابتدائية في مدارس ذيبين وأم الرمان، ثُمَّ نال الشهادة المتوسطة في السويداء. سعى جاهداً
إلى إكمال تعليمه والانتقال إلى مدرسة التجهيز بدمشق، وثُمَّ التقى مجموعة كبيرة من طُلاب العلم على
مستوى القطر. ومن أبرز أساتذته في تلك الفترة: زكي الأرسوزي، وجودت الهاشحي، ومحمد البزم. أصدرَ

(*) استُئِلَ هذا القول من سيرته.

(1) على هامش ترجمة (مُقدِّمة المترجم) ذوقان قرقوط لكتاب: فرانز فانون، سُوسيولوجية ثورة، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1،
بيروت، كانون الثاني (يناير) 1970م، ص8-9.

(2) المرجع نفسه، ص8.

(**) تحصلنا على سيرة الدكتور ذوقان محمد قرقوط من عند السيدة منيرة صيَّاح النبواني (Mounira Nabwani)، زوجة ابنه، وهي
مشروع كتاب - في طور الإعداد - بصدد النّشر. أُرسِلَتْ إلى البريد الإلكترونيّ الآتيّ: chatrat.mounir@edu.univ-oran1.dz,
chatrat.mounir@gamil.com.

_____ الملّا هـ: _____ الملحق (11): المترجم ذوقان قرقوط في طور _____

ورفاقه مجلة "الزر بول" التي تداولها الأساتذة والطلّاب وأحدثت في حينها ضجةً وجدلاً كبيرين. كما أُعْجِبَ بمجلة مصريّة وصلت إليه اسمها "الأنصار"، فسافر إلى مصر ليتعرّف على مَنْ أصدرها عن كثب. نال شهادة البكالوريا في سنة 1942م مِنْ مدرسة التجهيز بدمشق. سافر ثانيةً إلى مصر وقُبِلَ بجامعة "فؤاد الأوّل" (جامعة القاهرة اليوم) لدراسة التاريخ، ثُمَّ عمل مُوظِّفًا في السفارة السوريّة في مصر خلال فترة دراسته.

أنهى دراسته الجامعيّة وعادَ إلى دمشق فعُيِّنَ مُدرِّسًا فيها، كما عملَ أيضًا مُدرِّسًا في مدارس السويداء. وبعد سقوط حكم الشيشكلي سنة 1954م، عيّنَ مُديرًا للمعارف في السويداء بعد الاستئناس برأي سلطان باشا الأطرش. أنجز أعمالًا إبداعيّة كثيرة فترة تقلّده منصب مدير للمعارف، فقد جعلَ امتحان الثّانويّة العامّة يُقام في السويداء بعد أن كان يُقام بدمشق، وكان يُقيمُ احتفالًا سنويًا للطلّاب الأوائل المتفوقين في الصفوف كافة، يُقدِّمُ فيه جوائز عينيّة بحضور سلطان باشا وبعض الوزراء. لقد كان الدكتور ذوقان محمد قرقوط نصيرًا للطلّاب الفقراء وعونًا لهم. وفي تلك الفترة، طالبَ بشقّ طرق فرعيّة كثيرة في السويداء لتسهيل سبيل وُصول الطّلاب إلى مدارسهم، كما اقترحَ شقّ الطريق العامّ الرابط بين دمشق والسويداء حاليًا.

انْتُدِبَ للسفر إلى الأردن ضمن وفد لحضور حفل خروج كلوب باشا مِنَ الأردن، ثُمَّ انْتُدِبَ للسفر إلى الصين ضمن وفد ممثل عن سوريا. وبعد عودته، نُقِلَ مِنْ مديريّة المعارف بالسويداء إلى دمشق وعُيِّنَ بعدها في دائرة التفتيش بوزارة التربيّة. سافرَ إلى لبنان وفي أثناء وجوده هناك أرادَ أن يُشغلَ نفسه فَترَجَمَ كتابًا لفرانز فانون بعنوان "سُوسيولوجيّة ثورة". كما سافرَ مِنْ لبنان إلى مصر وعملَ مُدرِّسًا فيها. تابع - مُوازاةً لعمله بمصر - دراسته فحصل على شهادة الماجستير سنة 1971م بموضوع موسوم بعنوان: "تطوّر الفكرة العربيّة في مصر". نال المُترجمُ ذوقان قرقوط شهادة الدكتوراه سنة 1974م بموضوع عنوانه: "تطوّر الحركة الوطنيّة في سورية مِنْ سنة 1920م إلى 1939م".

عملَ خلال مُكوّنه بمصر عُضوًا في جمعيّة البُحوث والدِّراسات، وعُضوًا في اتحاد الكُتّاب بمصر. وشغلَ منصب رئيس مجلس شؤون الثّقافة والتّعليم خلال فترة اتحاد الجمهوريّات العربيّة الثّلاث بين مصر وسورية وليبيا، وقَدَّمَ أفكارًا وخططًا لمشاريع هدفها النهوض بالمستويين الثّقافيّ والتّعليميّ. تابعَ أعماله في الترجمة والتّأليف، ثُمَّ عادَ إلى سورية عام 1979م فاستقر بدمشق. عيّنَ أستاذًا في جامعة دمشق عام 1981م بقسم التاريخ. أشرفَ الدكتور ذوقان محمد قرقوط على العديد من رسائل

المجستير والدكتوراه. أُحيل إلى التقاعد في عام 1991م بعد عشر سنوات من العطاء.

وافته المنية يوم الخميس الواقع في 21 أيار 2015م.

هابيتوس الثورة والتحرر والعروبة والوطنية المتجذر في فكره:

- استشهد جدّه ذوقان قاسم قرقوط في "معركة الشقراوية" غرب السويداء سنة 1889م ضد العثمانيين. يذكّر الدكتور ذوقان محمد قرقوط ملامح والده وهو يُجهز نفسه للذهاب إلى "معركة المسيفرة" ضد الاستعمار الفرنسي، هذه المعركة التي استشهد فيها في 17 أيلول سنة 1925م. يذكّر أنّه طلب من والدته أن تُعطيه خنجر والده كي ينتقم له من الفرنسيين.
 - وفي فترة عمله بالسفارة السورية في مصر (لما كان طالباً جامعياً)، كلفته السفارة - آنئذٍ - بالذهاب إلى ليبيا لمحاولة الحصول على أكبر كمية ممكنة من الأسلحة (التي تركتها القوات الألمانية وراءها هناك في الصحراء المصرية الليبية بعد انسحابها). وتمكّن من ذلك فعلاً، حيث قضى سنتين حتى حصل على أكثر مما كان متوقعاً، وكان ذلك إبان فترة النكبة سنة 1948م. أرسل الدكتور ذوقان قرقوط تلك الأسلحة إلى سورية ثم اشترى أسلحة أخرى بالمكافأة التي مُنحت له وأرسلها إلى سورية كذلك.
 - اجتمعت فيه خصال المقاومة والوطنية والقومية لا سيّما في حادثة رفضه - علانيةً - تسلّم جائزة التفوّق الدّراسي من يد ضابط الاحتلال الفرنسي. كما عُرف بدعمه للقضية الفلسطينية⁽¹⁾.
 - ألتفه حركة الانفصال كثيراً وهو الودوديّ الأصل، فقد شارك في محاولة إعادة الوحدة مع مصر (بين سورية ومصر). كما كان ناشطاً في تأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي.
- ألفَ تسعة كتب وترجم أكثر من سبعة وثلاثين كتاباً.

من مؤلفاته:

- تطوّر الفكرة العربيّة في مصر 1805م - 1936م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1972م.
- تطوّر الحركة الوطنيّة في سورية 1920م - 1939م، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، تموز (يوليو)، 1975م.

(1) مها الأطرش، ذوقان قرقوط... مسيرة نضال فكريّ لن يمحوها الرّحيل، البناء: يومية سياسية قومية اجتماعية، الرابط:

<https://www.al-binaa.com/?article=48098>

_____ الملّاحي: _____ الملحق (11): المترجم ذوقان قرقوط في طور _____

- المشرق العربي في مواجهة الاستعمار: قراءة في تاريخ سوريا المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م.
 - الثورة الفرنسية: دراسات في الأصول والاتجاهات، ذوقان قرقوط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، آذار 1980م.
 - في تكوين الأمة العربية، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، 1992م.
 - ميشيل عفلق: الكتابات الأولى مع دراسة جديدة لسيرة حياته، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1413هـ/1993م.
 - الأسطورة والحقيقة في التاريخ العربي الحديث: محمد علي وجمال عبد الناصر، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 2005م.
 - في تاريخ الأمة العربية الحديث، المشروع القومي الذي لم يتم: بحث في نزعات التوحيد 1913م – 1952م، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2006م.
- من ترجماته:

- ابن الفقير، تأليف: مولود فرعون، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968م.
- سوسولوجية ثورة، تأليف: فرانز فانون، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، كانون الثاني (يناير) 1970م.
- ليس في رصيف الأزهار من يجيب، تأليف: مالك حداد، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، المطبعة الثقافية، 1970م.
- المذاهب الكبرى في التاريخ من كونفوشيوس إلى تونبي، تأليف: البان ج. ويدجيري، دار القلم، ط1، بيروت – لبنان، تشرين الثاني، 1972م.
- منابغ الشيوعية الروسية ومعناها، تأليف: نيقولاس بيير دياثيف، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، (أيلول، سبتمبر) 1972م.
- ثورة الأمل: نحو أنسنة التقنية، تأليف: أريك فروم، منشورات دار الآداب، ط1، بيروت، 1973م.
- الثورة الثقافية الصينية، تأليف: جان أسمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973م.
- العالم الثالث في الاقتصاد العالمي: الاستغلال الإمبريالي، تأليف: بيير جاليه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973م.

- العسكرية والحرب والثورة، تأليف: كارل ليبنخت، دار العودة، بيروت، 1973م.
- في العُقد الاجتماعيّ، تأليف: جان جاك روسو، دار القلم، ط1، بيروت - لبنان، آذار 1973م.
- أناتول فرانس، تأليف: جاك سوفيل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1977م.
- تاريخ المغرب: محاولة في التركيب، تأليف: د. عبد الله العروي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت - لبنان، تموز (يوليو) 1977م.
- مشروع الأمل، تأليف: روجيه غارودي، دار الآداب، ط1، بيروت، 1977م.
- أزمة المثقفين العرب تقليدية أم تاريخانية؟، تأليف: د. عبد الله العروي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، كانون الأول - يناير 1978م.
- ماركس والفوضوية: مبحث في العلم الاجتماعي لدى سان سيمون وبرودون وماركس، تأليف: بيير أنسار، (الجزء الأول: سان سيمون، الجزء الثاني: برودون)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1978م.
- مُنعطف الاشتراكية الكبير، تأليف: روجيه غارودي، منشورات دار الآداب، ط2، بيروت، حزيران 1978م.
- نداء إلى الأحياء، تأليف: روجيه غارودي، دار دمشق للطباعة والنشر، ط1، 1981م.
- وعود الإسلام، تأليف: روجيه غارودي، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 1993م (دار الرُّقي، ط2، بيروت، 1985م).
- النار.. قبل الانفجار: مقدمات الثورة الفرنسيّة، تأليف: نورمان هامبسون، دار المسيرة، ط1، بيروت، 1988م.
- من أجل حوار بين الحضارات، تأليف: روجيه غارودي، دار النفائس، ط1، بيروت، 1990م.
- سياسة وأقليات في الشرق الأدنى: الأسباب المؤدية للانفجار، تأليف: آني شابري ولورانت شابري، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 1991م.
- جولتي في العصر متوحداً، تأليف: روجيه غارودي، دار الأنصار، ط1، 1992م.
- الشيعة اثنا عشرية، تأليف: هنري كوربان، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 1993م.
- الإسلام في الغرب، قُرطبة عاصمة العالم والفكر، تأليف: روجيه غارودي، دار دمشق، ط1، 1995م.

الملاحى: (11): المترجم ذوقان قرقوط في طور

- العام الخامس للثورة الجزائرية، تأليف: فرانز فانون، مراجعة: عبد القادر بوزيدة، منشورات ANEP، الجزائر، دار الفارابي، ط 1، بيروت، 2004م.
- حضارة العرب في الأندلس، تأليف: ليفي بروفنسال، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان.
- صين ماو أو الشيوعية الأخرى، تأليف: ك. س. كارول، دار الآداب، بيروت.
- نهج العالم الثالث، تأليف: بيير جاليه، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.

سيرة الدكتور ذوقان محمد قرقوط(*):

المتة حركة الانفصال كثيرا وهو الودحي الأصل شارك في محاولة إعادة الوحدة مع مصر . سافر إلى لبنان وأثناء وجوده هناك أراد أن يشغل نفسه ، فترجم كتابا (لفراتز فانون) بعنوان (سوسيولوجيا الثورة) ، (وفراتز فانون طبيب نفسي فرنسي طبيب الثورة الجزائرية . عين في الجزائر ولم تمض عليه مدة حتى قدم استقالته وانضم لصفوف المقاتلين الجزائريين المقاومين للاستعمار الفرنسي) . سافر من لبنان إلى مصر وعمل مدرسا وتابع أيضا دراسته فحصل على شهادة الماجستير عام (واحد وسبعين وتسعمئة و ألف) بعنوان (تطور الفكرة العربية في مصر) . حصل على شهادة الدكتوراه عام (أربعة وسبعين وتسعمئة و ألف) بعنوان (تطور الحركة الوطنية في سورية من عام ألف وتسعمئة وعشرين إلى عام ألف وتسعمئة وتسعة وثلاثين) . عمل عضوا في جمعية البحوث والدراسات (عضوا في اتحاد الكتاب بمصر). شغل منصب رئيس مجلس شؤون الثقافة والتعليم (خلال فترة اتحاد الجمهوريات الثلاث بين مصر وسورية ولبنان) ، وقدم أفكارا وخططا لمشاريع هدفها النهوض بالمستوى الثقافي والتعليمي . تابع أعماله في الترجمة والتأليف ومآزال متابعاً ، عاد إلى سورية عام (تسعة وسبعين وتسعمئة و ألف) استقر بدمشق وعين استاذاً في جامعة دمشق عام (واحد وثلاثين) قسم التاريخ أشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه . أُحيل إلى التقاعد في عام (واحد وتسعين وتسعمئة و ألف) بعد عشر سنوات من العطاء . كتب مذكراته ومآزالت في مرحلة الإعداد ، مآزال يترجم ولا يزال مكتبته خافلاً بمواضيع تنتظر فرصتها للنشر . ألف تسعة كتب وترجم أكثر من سبعة وثلاثين كتاباً.	نال شهادة البكالوريا من مدرسة التجهيز بدمشق في سنة (ألف وتسعمئة واثنين وأربعين) . سافر ثانية إلى مصر حينما قبل بجامعة (فواد الأول) (القاهرة اليوم) لدراسة التاريخ ثم عمل موظفاً بالسفارة السورية في مصر خلال فترة دراسته كلفته السفارة بالذهاب إلى ليبيا لمحاولة الحصول على أكبر كمية ممكنة من الأسلحة التي خلفها انسحاب القوات الإيطالية هناك ، فعلا تمكن من ذلك وقضى سنتين حتى حصل على أكثر مما كان متوقفاً (خلال فترة التكية عام ثمانية وأربعين) (وأرسلها إلى سورية ثم اشترى أسلحة بالمكافأة التي حصل عليها حينها وأرسلها إلى سورية أيضاً) . أنهى دراسته الجامعية وعاد إلى دمشق وعين مدرسا فيها كما عمل أيضا مدرسا في مدارس السويداء . وبعد سقوط حكم (الشيشكلي عام أربعة وخمسين) عُيّن مديراً للمعارف في السويداء بعد الاستقلال برأي (سلطان باشا الأطرش) . قام بأصلا إبداعية فترة وجوده كمدير للمعارف منها... جعل امتحان الثانوية العامة في السويداء بعد أن كان بدمشق . كان يقيم احتفالا سنويا للطلاب الأوائل في الصفوف كافة يقدم فيها جوائز عينية قيمة (بحضور سلطان باشا وبعض الوزراء) _ كان يصيرون للطلاب القراء على الصعد كافة وكان ناشطا في تأسيس (حزب البعث العربي الاشتراكي) . طالب بشق طرق فرعية كثيرة في السويداء لتسهيل وصول الطلاب إلى مدارسهم . كما اقترح شق الطريق العام (دمشق _ السويداء) الحالي ، بعد أن كان الطريق الغربي . انتدب للسفر إلى الأردن ضمن وفد لمحمود (حفل خروج كلوب باشا من الأردن) . ثم انتدب للسفر إلى الصين ضمن وفد ممثل عن سوريا وعندما عاد نزل من مديرية المعارف إلى دمشق وعين في دائرة التفويض بوزارة التربية .	ولد الدكتور ذوقان محمد قرقوط سنة (ألف وتسعمئة وسبع عشرة) في قرية نبيين محافظة السويداء يذكر ملامح والده وهو يجهز نفسه للذهاب للمعركة التي استشهد فيها في معركة المسيرة (السابع عشر من أيلول) سنة (ألف وتسعمئة وخمس وعشرين) ضد الاستعمار الفرنسي وجده ذوقان قاسم قرقوط استشهد في معركة الشراوية غرب السويداء عام (ألف وثمانمئة وتسعة وثمانين) ضد الاستعمار العثماني . طلب من والدته أن تعطيه خنجر والده كي ينتقم له من الفرنسيين درس المرحلة الابتدائية في مدارس ذيبين وأم الرمان ثم حصل على الشهادة المتوسطة في السويداء (عندما مثل عن رغبته في التعليم قال أريد أن أتعلم الحقوق كي أَدافع عن بلدي والوطن كي أعيش) . حاول جاهداً إكمال تعليمه والانتقال إلى مدرسة التجهيز بدمشق والتقى بمجموعة كبيرة من طلاب العلم على مستوى القطر، ومن أبرز أساتذته في تلك الفترة زكي الأرسوزي وجودت الهنشمي ومحمد البرم . قام مع رفقه بإصدار مجلة تداولها الأساتذة والطلاب وأحدثت ضجة في حينها وجدلاً كبيراً وهي مجلة (الزر بول) . أعجب بمجلة مصرية وصلت إليه اسمها (الأنصار) فسافر إلى مصر ليتعرف على من أصدرها عن كتب .

(*) المُرْسَلَة مِنْ عِنْد السَيِّدَة منيرة صَيَّاح النبواني (Mounira Nabwani)، المرجع السابق.

_____ الملائكة: _____ الملائكة (11): الملائكة ذوقان قروط في طور _____

صُور لِبَعْضِ مُؤَلَّفَاتِ الدَّكْتُور ذَوْقَانَ قَرْقُوطَ وَتَرْجَمَاتِهِ (**):



(**) يُنظر: المرجع السابق.

مُلَخَّصَاتُ الدِّرَاسَةِ

ملخصات الدراسة:

ملخص الدراسة باللغة العربية:

جدلية الأنا والآخر

في ترجمة الرواية الجزائرية في الحقبة الاستعمارية

- دراسة تطبيعية -

نشأت، في سياق الحقبة الاستعمارية للجزائر، جدلية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وبرزت في الفترة الممتدة ما بين 1920م و1962م، أي منذ ظهور أول رواية جزائرية مكتوبة بالفرنسية إلى تاريخ استقلال الجزائر وتحضرها، على يد كُتّاب جزائريين أمثال: القايد بن الشريف، ومحمد ولد الشيخ أغا، وعلي الحمّامي، ومالك بن نبي، ومولود فرعون، ومولود معمري، ومحمد ديب، وكاتب ياسين، وآسيا جبار، ومالك حدّاد... وغيرهم. ولقد دافع كُتّاب الحقبة الاستعمارية هؤلاء عن هوية الشعب الجزائري، وعبروا عن كيانه، وتمسكه بلغته الأمّ، وتشبّثه بتعاليم دينه، وحفاظه على عاداته ومقوماته الثقافية؛ متّخذين اللغة الفرنسية التي تخطّ بها أقلامهم وسيلةً للتعبير عن قضايا الاستعمار وتداعياته، فكانت أعمالهم الروائية ضرباً من ضروب الكفاح.

ما يسترعي الانتباه في سيرورة تقفي مسار جدلية الأنا والآخر في نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وتطورها، تحولات فحوى الخطاب الروائي ومضامينه التي كانت خاضعة - بالأساس - للأوضاع السياسية التي شهدتها الحقبة الاستعمارية خضوعاً يتمشى والوضع الذي يطبع كل مرحلة كُتبت فيها الرواية. بيد أن أحداث ثورة التحرير كانت مُنعرجاً حاسماً، وحقلاً خصباً، وينبوعاً مُتفجراً لأعمال روائية عديدة، حملت مُتونها السردية بين حناياها جدلية العلاقة بين الأنا الجزائرية المُستعمرة (المُحتلة) والآخر الفرنسي المُستعمر (المُحتل)، وما يُضفي على هذه العلاقة من أبعاد وتداعيات.

وفي سيرورة جسر الترجمة للهوة الفاصلة بين الأنا والآخر وتبديد المسافة بينهما، تُثار تساؤلات تَرْجَمِيَّةٌ عِدَّة ذات بُعد فلسفي صِرْف، تُسلط - في غالبيتها - الضوء على مدى صعوبة تفسير النصوص وتأويلها، وفكّ زُموز مضامينها وجدلياتها، مُتتبعاً مسلك جدلية الأنا والآخر في مسار الفعل التَرْجَمِيّ، هذه الجدلية المُتأَتِيَّة من جِراء الانتقال بين النصّين الأصل والمُترجم، ومُتْقَصِيَّة القرارات المُصاحبة للفعل التَرْجَمِيّ التي يهتدي إليها المُترجمون قبل الترجمة وأثناءها. وجدلية الأنا والآخر، من هذا المنظور، جدلية

ملخصات الدراسة: ملخص الدراسة باللغة العربية

فلسفة تستدرجها هذه الدراسة إلى حقل الترجمة الروائية بُغية إمطة اللثام عن سرّ ترجمة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، إلى العربية، وطبيعة النصّ الناشئ عن الترجمة بوصفه، وفق نظريات الترجمة ما بعد الاستعمارية ومقارباتها ومناهجها واستراتيجياتها التّرجميّة، سيرورة تقع مجرياتها في فضاء لا ينتمي بتاتاً إلى المصدر ولا إلى الهدف. وهذا هو الفضاء الذي تسعى هذه الدراسة التّطبيقية إلى تفحصه وإبراز طبيعته، أي فضاء عودة جدلية الأنا والآخر المبنوثة في ثنايا الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، الصادرة في الحقبة الاستعمارية، إلى العربية، من هذا المنظور ما بعد الاستعماري.

تقوم جدلية الأنا والآخر محلّ هذه الدراسة التي تجمع بين الفلسفة (في الشّقّ الجدلي)، والتاريخ (المبثوث في حنايا الخطاب الروائيّ الجزائريّ الصادر بالفرنسية في الحقبة الاستعمارية)، والترجمة الروائية (سيرورة النّقل من الفرنسية إلى العربية)؛ على ثلاثة محاور:

- جدلية الأنا والآخر المبنوثة في ثنايا الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، الصادرة في الحقبة الاستعمارية: من حيث الصّور والأبعاد والخصوصيّات والمرجعيات التي اتّخذتها هذه الجدلية في الخطاب الروائيّ الجزائريّ المكتوب بالفرنسية.

- جدلية الأنا والآخر في مسار الكتابة بلغة الآخر: أنا الكاتب الجزائريّ التي تخطّ أعمالها الروائية بلغة الآخر الفرنسيّ.

- جدلية الأنا والآخر في ميزان الممارسة التّرجميّة من منظور ما بعد استعماريّ: في مسار الذوات التّرجميّة (الذات الكاتبة، والذات المكتوبة، والذات المترجمة، والذات القارئة) وتأثيرات المشروع التّرجميّ ما بعد الاستعماريّ.

وبناءً على هذه المعطيات التّرجميّة، تبحث إشكالية الدراسة عن إبراز تجليات جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، الصادرة في الحقبة الاستعمارية، إلى العربية، مُتقصية الطريقة التي ساقّت بها الترجمة العربية أبعاد جدلية الأنا والآخر المبنوثة في ثنايا هذه الرواية، ومُتسائلة: كيف عالج المترجمون (النّاقلون إلى العربية) نصّاً روائياً صادراً (بالفرنسية) في حقبة استعمارية، تجلّت ترجماته (بالعربية) في حقبة ما بعد الاستعمار؟ وبُغية الإجابة عن الإشكالية المطروحة قُسمت هذه الدراسة، وفق عناصرها، إلى أربعة فصول، ثلاثة فصول نظرية وفصل رابع تطبيقيّ، فضلاً عن مُقدمة وخاتمة.

ملخصات الدراسة: ملخص الدراسة باللغة العربية

يُدارسُ الفصل الأول جدليّة الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسيّة، مُسلّطاً الضوء على الحقبة الاستعماريّة على وجه التحديد، وقد تضمّنت مباحثه الثلاثة ضبط مُصطلحات جدليّة الأنا والآخر وقراءة في المفاهيم المنبثقة منها، وذلك بالاستناد إلى التّعريفات المُستنبطة من الحُقول الفلسفيّة والأدبيّة والتّرجميّة، مُحدّدة موقع جدليّة الأنا والآخر من منظورات فلسفيّة وروائيّة وتّرجميّة، ومُعالِجة جدليّة الأنا والآخر في خطاب الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسيّة في الحقبة الاستعماريّة. وبُغية تَقْيِي مسار جدليّة الأنا والآخر في نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسيّة وتطوُّرها، حُقِّبَت الروايات الصادرة في الفترة المُمتدّة بين 1920م و1962م تحقيقاً يُراعي التسلسل التاريخي في إصدار هذه الروايات، تماشيًا ومسار جدليّة الأنا والآخر في تحولات الخطاب الروائي الذي يطبع كل مرحلة كُتِبَتْ فيها الرواية.

ويُقحّم الفصل الثّاني جدليّة الأنا والآخر في ضوء الترجمة ونظريّاتها، بحيث تتقَي مباحثه جدليّة الأنا والآخر في مسار التّأسيس النّظريّ لِعلم الترجمة من منظور فلسفيّ، ثُمَّ جدليّة الأنا والآخر في ميزان الترجمة الروائيّة ونظريّاتها: من منظور النّظريّة التّأويليّة في الترجمة، وفي ميزان الترجمة من منظور اجتماعي (بتبني المُصطلحات الاجتماعيّة التي سَمَّها بيير بورديو: الحقل، والهابيتوس *l'habitus*، والإيلوزيو *l'illusio*، ورأس المال الرمزيّ)، وجدليّة الأنا والآخر في ميزان نظريّة الترجمة عند أنطوان بيرمان (في ملامح تصوُّره للترجمة، وفي منهج نقد الترجمة عنده). كما تُسلّطُ مباحث هذا الفصل الضوء على جدليّة الأنا والآخر في سياق نظريّات الترجمة ما بعد الاستعماريّة عند تيجاسويني نيرانجانا Tejaswini Niranjana، وغاياتري شاكرافورتى سبيفاك Gayatri Chakravorty Spivak، وسامية محرز Samia Mehrez، مُستقصيّة كيفية الاستثمار في هذه النظريّات بُغية ترجمة الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة (الصادرة في الحقبة الاستعماريّة) إلى العربيّة (في سياق حقبة ما بعد الاستعماريّة).

أمّا الفصل الثّالث، فيضغُ جدليّة الأنا والآخر في ميزان المُمارَسة التّرجميّة واستراتيجيّاتها، مُتتبعًا إيّاها في مسار الذوات التّرجميّة (الذات الكاتبة، والذات المكتوبة، والذات المُترجمة، والذات القارئة)، ومُقيّمًا وزنها في ميزان الثنائيات التّرجميّة (مبدأي التكافؤ الشكلي والتكافؤ الديناميكي، استراتيجيّتي التوطن والتغريب، المصدريّين (دُعاة المصدر) والمُستهدِفين (دُعاة الهدف)، البين والمُضمَر، الترجمة وإعادة الترجمة). ويختتم هذا الفصل بدراسة جدليّة الأنا والآخر في مسار الترجمة الروائيّة، وذلك بسنّ مُقاربة لترجمة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسيّة إلى العربيّة ونقد ترجمتها، بناءً على ما بُسِطَ عرضه سلفًا في الفصول النّظريّة الثلاثة.

ملخص الدراسة: ملخص الدراسة باللغة العربية

ثم يأتي الفصل الرابع بطابع تطبيقي صرف إسقاطاً لما طرّح سلفاً في الفصول النظرية الثلاثة، يُدارسُ جدلية الأنا والآخر في ترجمة الرواية الجزائرية إلى العربية، مُسلّطاً الضوء على الروايات الصادرة في الحقبة الاستعمارية على وجه التحديد. وقد عكف هذا الفصل على تقديم مُدوّنة الدراسة التطبيقية ورسم منهجية المسارين التحليلي والنقدي، مُتناولاً سبع روايات صادرة في الفترة الممتدة بين 1936م و1961م، مُراعاًةً للتسلسل التاريخي في إصدار هذه الروايات (بالفرنسية) والترتيب الزمني في ترجماتها (إلى العربية)، بناءً على النُحو الآتي: رواية «Myriem dans les palmes» لمحمد ولد الشيخ أغا (1936م)، ترجمة: د. معراج أغا. ورواية «Lebbeik : Pèlerinage de Pauvres» لمالك بن نبي (1947م)، ترجمة: د. زيدان خوليف. وروايات محمد ديب «ثلاثية الجزائر»: «La grande maison» (1952م)، و«L'incendie» (1954م)، و«Le métier à tisser» (1957م)، بِترجمتي: د. سامي الدروبي وأحمد بن محمد بكلي. ورواية «La dernière impression» لمالك حدّاد (1958م)، ترجمة: أ. د. السعيد بوطاجين. ورواية «Le quai aux Fleurs ne répond plus» لمالك حدّاد (1961م)، بترجماتها الثلاث: د. حنفي بن عيسى، ود. ذوقان قرقوط، وأحمد نظير نشوقي.

ولقد تنوّعت النماذج الروائية تنوعاً يتماشى ومسار جدلية الأنا والآخر في تحولات الخطاب الروائي الذي يطبع كل مرحلة كُتبت فيها الرواية، وكذا الأبعاد التي اتخذتها جدلية الأنا والآخر وفق الأوضاع السياسية المتغيرة في كل حقبة، وهذا بناءً على ما استأثرت به مباحث الفصل الأول. وفي سيرة إبراز ترجمة أبعاد جدلية الأنا الآخر المبنوثة في ثنايا هذه النصوص الروائية، بخصوصياتها ومرجعياتها المختلفة، وبعد أن إنبرت مباحث هذا الفصل التطبيقي تحلل الترجمة - أو الترجمات - العربية لتلك المقاطع السردية المُنتقاة وتنقدها، كاشفةً استراتيجيّة النقل المُعتمَدة: أسفرت سيرورتا التحليل والنقد عن النتائج الآتية:

- أسفرت تجليات جدلية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية الصادرة في الحقبة الاستعمارية عن حضور الأنا الجزائريّة، بأبعادها وخصوصياتها ومرجعياتها المختلفة، في الخطاب الروائي الجزائري. في حين اتخذ الآخر الفرنسي صورة المُستعمر الذي يشنّ حُرُوباً على الأنا ويتسبّب في آلامها ومُعاناتها وأحزانها، ما جعلها تتصدى له بطرق شتى بُغية الدفاع عن نفسها والحفاظ على مقومات هويتها.
- رَاوَجَتْ الدِّراسة، في استدراجها مُصطلح ما بعد الاستعمارية Postcolonial بناءً على التأسيس المفهومي الذي استأثر دوغلاس روبنسون Douglas Robinson بضبطه، بين تعريفِي: دراسة المُستعمرات الأوروبية السابقة مُنذ تاريخ استعمارها (أي الحقبة الاستعمارية التي كُتبت فيها الرواية

ملخصات الدراسة: ملخص الدراسة باللغة العربية

الجزائرية بالفرنسية حتى الاستقلال)، وتعريف: دراسات ما بعد الاستقلال (حيث تقع الترجمات العربية للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، المتجلية في حقبة ما بعد الاستعمارية).

• تجلّت جدلية الأنا والآخر في مسار الكتابة بلغة الآخر الفرنسي في غير ما موضع من الروايات الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، في الحقبة الاستعمارية، راسمة صُور أنوات الذوات الكاتبة الجزائرية المتماهية وشخصياتها الروائية، طارحة جدلية الكتابة بلغة الآخر (أي الفرنسية) في ثناياها.

• كانت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، في الحقبة الاستعمارية، ساحة برزت فيها مواجهة الآخر الفرنسي ومقاومته بلغته، بحيث أفقدت استراتيجيّة التغريب المنتهجة أصحاب اللسان الفرنسي طريقهم في لغتهم الخاصة، واسمّة اللغة الفرنسية بطابع الغرابة، ومُستخدمةً فرنسيّة هجينة، مُظهرةً بذلك مُعارضتها للفرنسية الاستعمارية (التحديّ بانتهاج التغريب وفق نيرانجانا (Niranjana)، وهذا ضربٌ من ضروب المقاومة باستعمال لغة الآخر ومن ثمّ وسيلةً لتحرير الذات.

• اقترضت الذوات الكاتبة الجزائرية كلمات وعبارات عربية مُستوحاة من اللهجة الجزائرية المحليّة إلى الفرنسية ووسّمتها بحروف لاتينية (إحدى تقنيّات الرُومنة، أو الاقتراض، أو النّقحرة، المُصاحبة لسيرورة الكتابة بالفرنسية). كما لجأت الذوات الكاتبة إلى القوسين أو إلى الهامش (الحاشية السفلية) بُغية ترجمة دلالاتها إلى الفرنسية، خالقةً بذلك في رواياتها ضرباً من ضروب الكتابة المُزدوجة، مُحوّلةً لغة الآخر إلى شيءٍ مثل الذات، ومُحقّقةً بذلك مبدأً من المبادئ التي سنّها سبيفاك Spivak. وعلى هذا الأساس، صاحب فعل الترجمة فعل الكتابة، كأنّها ذات روائية مكتوبة بالعربية تتخلّلها كلمات فرنسية، ما انعكس - إيجاباً - على الترجمة العربية وسهّل مهمّة النقل التي اضطلعت بها الذوات المُترجمة.

• تُشابهُ سيرورة الكتابة باللغة الفرنسية عند الكُتّاب الجزائريين سيرورة الترجمة، تتقمّص فيها الذوات الكاتبة الجزائرية دور الذوات المُترجمة (وهي تُجبرُ اللغة الأخرى على أن تُرحّل إلى لغتها الأم) التي تُواجهُ نصّاً أجنبياً آخرًا، فتعتمدُ إلى الدفاع عن لغتها (بتحاشي الإفراط في توظيف الفرنسية) وفتحها على العنصر الأجنبي (أي العربية واللهجة الجزائرية المحليّة).

• من حيث نظريّات الترجمة ما بعد الاستعمارية، نجحت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية في الحقبة الاستعمارية - وفق آراء سامية محرز وتأملاتها - في صياغة لغة جديدة تتحدّى مفهوم الذات المكتوبة بالفرنسية الأجنبية، فقد كانت ذاتاً روائيةً هجينةً أو مُهجنّةً بسبب الطبقات اللغوية والثقافية والتضمينات المبتوثة في ثناياها، خالقةً لغةً بينية، بين الأصل (العربية) ولغة الرواية (الفرنسية)؛ ومن ثمّ تأتي الترجمة - وهي في رحلتها الثانية، أي رحلة العودة إلى الأصل - لتشغل فضاءً بينياً بينهما.

ملخص الدراسة: ملخص الدراسة باللغة العربية

• وبما أن مفهوم الفضاء البيئي يعتمد على مفهوم التهجين؛ فإن النصّ الروائي الجزائري المكتوب بالفرنسية نصٌّ من النصوص الهجينة أو المهجّنة لأنّ فرنسيته لم تكن فرنسيّة خالصة بل كانت تهجيناً. يتموضع هذا الضرب من الكتابة في الفضاء البيئي الهجين الذي تنطوي عليه تلك اللغات واللهجات والثقافات المحليّة، أو ما يصطلح عليه هومي بابا الفضاء الثالث.

• بناءً على مشروعها التّرجيمي ما بعد الاستعماريّ، انقسمت الذات المترجمة في نقلها - إلى العربيّة - جدليّة الأنا والآخر المبتوثة في حنايا الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسيّة، في الحقبة الاستعماريّة، إلى فريقين: فريق يضمّ ذاتاً مترجمة مشرقية (المترجمين السورتيين: سامي الدروبي وذوقان قرقوط. والمترجم أحمد نظير نشوقي) إنبرت تنقل المقاطع السردية بلغة عربيّة فصيحّة تماشيًا ومشروعها التّرجيميّ ذي التّزعة القوميّة العربيّة، الرامي إلى التعريف بالثورة الجزائرية. وفريق ثانٍ يضمّ ذاتاً مترجمة جزائرية (المترجمين الجزائريين: معراج أغا، وزيدان خوليف، وأحمد بن محمد بكلي، والسعيد بوطاجين، وحنفي بن عيسى) لجأت - بدرجات متفاوتة - إلى توظيف اللهجة الجزائرية المحليّة في غير ما موضع من ترجماتها، مضفيّة على نقلها المقاطع السردية طابعاً محليّاً جزائريّاً خالصاً.

لقد أسفّر تتبّع جدليّة الأنا والآخر في نقل الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسيّة، الصادرة في الحقبة الاستعماريّة، إلى العربيّة؛ عن تأصلها في مسار الذات التّرجيميّة (الذات الكاتبة، والذات المكتوبة، والذات المترجمة، والذات القارئة) في حدّ ذاتها، وما صاحبت تأثيرات المشروع التّرجيميّ ما بعد الاستعماريّ من أبعاد وتداعيات وفق ما تبرزه الاستنتاجات الآتية:

• استثمرت الذات المترجمة الجزائرية - بوصفها ذاتاً قارئةً بامتياز - في تلك الآثار التي خلفتها التعددية اللغوية في عملية الكتابة بالفرنسيّة، أي تلك العبارات المنفخزة أو المرومنة أو المقترضة التي استدرجتها الذات الكاتبة الجزائرية بلغة الآخر الفرنسيّ إلى رواياتها. ما جعل سيرورة الترجمة سيرورة ذات طابع فذّ، استعادت فيها اللغة العربيّة المنقول إليها ما نُقل منها في المرّة الأولى، مما سهّل مهمّة الذات المترجمة الجزائرية ومكّنها من التمييز في تضاريس العمل الروائيّ الأصل والتبني في ثناياه (على حدّ تعبير سبيفاك Spivak) ومن ثمّ تجسيد تجليات الأنا والآخر - بأبعادها المختلفة - المبتوثة في حنايا الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسيّة في الحقبة الاستعماريّة.

• تمكّنت الذات المترجمة الجزائرية من نقل الإيلوزيو *l'illusio* ذاته الذي وضعته الذات الكاتبة في ذواتها الروائية المكتوبة الأصل، مشاركةً في جدليّة الأنا والآخر المبتوثة فيها - بأبعادها ومرجعياتها

ملخص الدراسة: ملخص الدراسة باللغة العربية

وخصوصياتها المختلفة – بالمصلحة ذاتها والاعتقاد نفسه، والوتيرة ذاتها والوقع نفسه، كأن اتفاقاً قد عُقدَ بينها سلفاً (أي بين الذوات الكاتبة والذوات المترجمة الجزائريّتين).

- وبارتكاها على وحدات المعنى البينة والمضمرة، يُعدُّ تدخُّلُ أنا الذوات المترجمة الجزائرية مباشرةً في سيرورة النقل وجهاً من أوجه استراتيجيات نظرية الترجمة ما بعد الاستعمارية التي تولدت من هابيتوسات (*habitus*) الذوات المترجمة الجزائرية، مُتمثلةً في نسق استعداداتها التي مكنتها من إضافة عبارات شارحة لبعض الكلمات والتعابير والصيغ المحلية والجمل والفقرات المنقولة إلى العربية، موضحاً خبايا الأصل وبواطنه، ومُحاولةً لفهام الذات القارئة وجعلها تستشعر ذلك الصراع الجدلي الذي عاشته الأنا الجزائرية، بأبعادها وخصوصياتها ومرجعياتها، في مواجهة الآخر الفرنسي.

- تماهت الذوات المترجمة الجزائرية والذوات الكاتبة واستسلمت لها في ذواتها الروائية المكتوبة واستكانت لها (وفق تعبير سبيفاك Spivak)، ما انعكس على سلاسة الترجمة العربية وسدادها. إذ حَيَّنَتْ سيرورة الترجمة العربية – في هذا الصدد – هابيتوسات الذوات الكاتبة، وهابيتوسات وكلاء الترجمة (الذات الناشرة والذات المترجمة)، وهابيتوسات الذوات القارئة مُستقبلة الذوات الروائية المترجمة (المنقولة) في الحقل الروائي الجزائري المُستهدف، مُجسّدةً بذلك أبعاد جدلية الأنا والآخر وتجلياتها المبتوثة في غير ما موضع من المقاطع السردية، بالتأثير ذاته والوقع نفسه.

- شَقَّتْ سيرورة عودة الرواية الجزائرية إلى الأصل مسارَ فضاء ثلاثي الأبعاد، كأنها ترجمةً للترجمة، أو إعادة للترجمة، أو ترجمة العودة إلى الوطن (باقتراض العبارة البيرومانية)، أو بوصفها تغريباً يُعيدُ إلى الوطن (باستعارة عبارات جان بوفري Jean Beaufret مثلما استعارها أنطوان بيرمان Antoine Berman)، رَسَمَتْ مشهد إعادة المهاجر (أو المُغترب) إلى وطنه الأم، وما حملته رحلة العودة إلى الوطن هذه من تداعيات. وعلى هذا الأساس، يُشاكِلُ مسار عودتها حركة البيلدونغ (*La Bildung*) بحكم طبيعته القائمة على التجربة مثلما أورد أنطوان بيرمان، يكون فيها الذهاب من الأنا إلى الآخر ثم العودة إلى الأنا في حركة تناوب دائم. وبذا، عَادَ النصُّ الروائي الجزائري إلى منبعه (وفق عمار بلحسن)، وتحققت مُغامرة الجولة الكبرى الشليجيلية (نسبة إلى فريدريش شليجل Friedrich Schlegel)، فكانت عودتها إلى منشأها الأصل عودةً أسطورية (وفق اصطلاح الطيب بودريال).

وإن كانت بعض الروايات الصادرة في الحقبة الاستعمارية لم تُترجم – إلى العربية – بعد، لا تزال روايات أخرى في حاجة إلى إعادة الترجمة. بناءً على هذا الاستنتاج، ترسم هذه الدراسة خارطة مشاريع تَرْجَمِيَّة جديدة تُؤسِّس لإعادة ترجمة روايات عمّرت طويلاً تماشيًا والحقبة ما بعد الاستعمارية

Dialectique du Moi et de l'Autre
Dans la Traduction du Roman Algérien de la Période Coloniale
– Étude Pratique –

La dialectique *du moi et de l'autre* dans le roman algérien d'expression française a émergé pendant la colonisation française en Algérie, dans la période qui s'étend de 1920 à 1962, c'est-à-dire depuis l'apparition du premier roman algérien d'expression française et jusqu'à l'indépendance de l'Algérie, sous la plume d'écrivains algériens tels que Caïd BEN CHERIF, Mohammed OULD CHEIKH AGHA, Aly HAMMAMY, Malek BENNABI, Mouloud FERAOUN, Mouloud MAMMERI, Mohammed DIB, Yacine KATEB, Assia DJEBAR, Malek HADDAD, ainsi que d'autres. Durant la période coloniale, ces écrivains ont défendu la cause identitaire du peuple algérien, ont transmis son essence, son maintien de la langue maternelle et des enseignements de la religion, sa sauvegarde de ses traditions, ses coutumes et ses constantes culturelles. Ainsi les œuvres romanesques de ces écrivains étaient un moyen de lutte parmi tant d'autres.

Il convient d'être attentif – lors du suivi du processus de la dialectique *du moi et de l'autre* pendant l'émergence du roman algérien d'expression française puis son évolution –, aux transformations de la teneur du discours romanesque ainsi qu'à ses implications fondamentalement soumises aux conditions politiques ayant marqué la période coloniale. Il s'agit d'une soumission allant en synchrone avec la situation qui marquait chaque phase à laquelle le roman a été écrit. Par ailleurs, les événements de la révolution algérienne constituaient un tournant décisif, un champ favorable, une source abondante pour plusieurs créations littéraires qui portaient au sein de leur quintessence narrative la dialectique du *moi algérien, colonisé* et d'un *autre français, colonisateur* y compris toutes les dimensions et les enjeux que cette relation implique.

Lors de son parcours visant à combler l'écart entre *le moi et l'autre* et à abolir la distance qui les sépare, de multiples questionnements d'ordre traductologique se posent, revêtus dans leur ensemble de dimensions purement philosophiques, jetant, pour leur majorité, la lumière sur la difficulté d'interpréter,

de décoder les contenus des textes et leurs dialectiques, tout en suivant le processus de la dialectique *du moi et de l'autre* lors de l'opération traduisante. Il s'agit d'une dialectique qui émane du passage du texte source au texte cible, prenant des décisions en synchrone avec l'acte traductif avant et pendant la traduction. De ce point de vue, la dialectique *du moi et de l'autre* revêt un trait philosophique que la présente étude invoque et entraîne vers le champ de la traduction romanesque pour percer le secret de la traduction du roman algérien d'expression française en arabe et la nature du texte produit par la traduction, en le décrivant selon les théories postcoloniales de la traduction avec leurs approches, leurs méthodes ainsi que leurs stratégies traductives comme étant un processus qui se déroule dans un espace qui n'appartient ni à la source ni à la cible. Ce même espace est exploré par la présente étude pratique qui en explicite la nature ; en tant qu'espace du retour de la dialectique *du moi et de l'autre*, occupant les strates du roman algérien d'expression française de la période coloniale, vers la langue arabe dans une optique postcoloniale.

La dialectique *du moi et de l'autre*, objet de cette étude qui joint la philosophie (dans son aspect dialectique) à l'histoire (ancrée dans les strates du discours romanesque algérien d'expression française de l'époque coloniale) et à la traduction romanesque (processus de transfert du français vers l'arabe), est fondée sur trois axes :

- La dialectique *du moi et de l'autre* qui occupe les strates du roman algérien d'expression française de la période coloniale : à travers les images, les dimensions, les particularités et les références que cette dialectique a consacrées au discours romanesque algérien d'expression française.
- La dialectique *du moi et de l'autre* dans le processus d'écriture dans la langue de l'autre : le Je d'un écrivain algérien pour qui les œuvres romanesques sont exprimées dans la langue de l'autre à savoir le français.
- La dialectique *du moi et de l'autre* sondée par la pratique traductive dans une optique postcoloniale : suivant le parcours des *sujets traductifs* (le sujet écrivant, le sujet écrit, le sujet traduisant, le sujet lecteur), ainsi que différents effets du projet de traduction pendant la période postcoloniale.

En nous basant sur ces données traductives, la problématique de notre étude vise à expliciter les manifestations de la dialectique *du moi et de l'autre* dans la traduction en langue arabe du roman algérien d'expression française de la période coloniale, en investiguant la modalité avec laquelle la traduction arabe a rendu cette dialectique *du moi et de l'autre* qui occupe les strates du roman et la manière

dont les traducteurs (vers l'arabe) ont analysé le texte romanesque algérien d'expression française de la période coloniale et dont les traductions en langue arabe n'ont vu le jour qu'à l'époque postcoloniale. Pour répondre à cette problématique, nous avons divisé notre travail en quatre chapitres en convenance avec ses constituants, à savoir : trois chapitres théoriques et un chapitre pratique, outre l'introduction et la conclusion.

Le premier chapitre aborde la dialectique *du moi et de l'autre* dans le roman algérien d'expression française, en se focalisant sur la période coloniale plus particulièrement. Ses trois volets portent sur une mise au point terminologique de la dialectique *du moi et de l'autre*, la lecture des conceptions qui en émanent, en se basant sur des définitions issues de champs philosophiques, littéraires et traductologiques, déterminant le positionnement de cette dialectique selon ces mêmes angles de vision, à savoir l'analyse de la dialectique *du moi et de l'autre* dans le discours romanesque d'expression française pendant la période coloniale. Afin de suivre les traces de la dialectique *du moi et de l'autre* dans l'émergence du roman algérien en question et son évolution, les romans parus entre 1920 et 1962 en été périodisés de manière à prendre en compte l'enchaînement historique de la parution de ces romans, allant avec le processus de la dialectique *du moi et de l'autre* lors des transformations subies par le discours romanesque marquant chaque phase.

Le deuxième chapitre implique la dialectique *du moi et de l'autre* à la lumière de la traduction et les théories y afférentes. Les volets étudiés suivent les traces de la même dialectique dans le processus de l'institution d'une théorie de la traduction (l'institution théorique de la traductologie) dans une optique philosophique, puis cette même dialectique est sondée par la traduction romanesque et les théories y afférentes, d'un point de vue herméneutique en traduction (la théorie interprétative de la traduction) et dans une perspective sociologique (en optant pour la terminologie sociologique instaurée par Pierre BOURDIEU, à savoir : *le champ*, *l'habitus*, *l'illusio* et *le capital symbolique*), ainsi que la dialectique *du moi et de l'autre* sondée par la théorie bermanienne, à travers les traits conceptuels de sa propre vision de la traduction et de son modèle de critique de traduction. Ces volets mettent en lumière la dialectique *du moi et de l'autre* dans le contexte des théories postcoloniales de la traduction chez Tejaswini NIRANJANA, Gayatri Chakravorty SPIVAK et Samia MEHREZ, en investiguant la modalité d'investir dans ces théories afin de traduire en langue arabe le roman algérien d'expression française de la période coloniale.

Par ailleurs, le troisième chapitre traite la dialectique *du moi et de l'autre* telle qu'elle est sondée par les pratiques traductives et leurs stratégies, en suivant sa trace à travers le parcours des *sujets traductifs* (*le sujet écrivain, le sujet écrit, le sujet traduisant, le sujet lecteur*), en évaluant son poids dans les dichotomies traductologiques (*le principe de la correspondance formelle versus l'équivalence dynamique, les deux stratégies de l'étrangéisation versus la domestication, les sourciers versus les ciblistes, l'explicite versus l'implicite, la traduction versus la retraduction*). Ce chapitre se termine sur l'étude dialectique *du moi et de l'autre* dans le processus de la traduction romanesque, tout en proposant une approche intitulée : *Dialectique du moi et de l'autre dans le processus de la traduction romanesque : vers une approche de la traduction du roman algérien d'expression française en langue arabe et la critique de ses traductions*, basée sur les questions abordées plus haut dans les trois chapitres théoriques.

Le quatrième chapitre à caractère purement pratique vient concrétiser ce qu'on a abordé dans les chapitres théoriques, en analysant la dialectique *du moi et de l'autre* dans la traduction du roman algérien en arabe, tout en se focalisant sur les romans de la période coloniale plus particulièrement. Il présente tout d'abord le corpus de l'étude pratique, esquisse une méthodologie de deux processus analytiques et critiques, en traitant sept romans parus dans la période qui s'étendit de 1936 à 1961, en respectant l'enchaînement historique lié à leur parution en langue française ainsi que l'ordre chronologique de leurs traductions en langue arabe, comme suit : le roman *Myriem dans les palmes* de Mohammed OULD CHEIKH AGHA (1936), traduit par Dr. Moradj AGHA. Le roman *Lebbeik : Pèlerinage de Pauvres* de Malek BENNABI (1947), traduit par Dr. Zidane KHOULIF. "La trilogie de l'Algérie" de Mohammed DIB, à savoir : *La grande maison* (1952), *L'incendie* (1954) et *Le Métier à tisser* (1957), ses deux traductions par : Dr. Sami AL-DROUBI et Ahmed Ben Mohamed BAKELLI. Le roman *La dernière impression* de Malek HADDAD (1958), traduit par Pr. Saïd BOUTADJINE. Le roman *Le quai aux fleurs ne répond plus* de Malek HADDAD (1961), ses trois traductions par : Dr. Hanafi BENAÏSSA, Dr. Thouqan QARQOUT et Ahmad NADHIR N'SHOUQI.

Les modèles romanesques étudiés diffèrent selon la variation même de la dialectique *du moi et de l'autre* dans les transformations du discours romanesque qui marque chaque phase, ainsi que les dimensions que prend la dialectique *du moi et de l'autre* en fonction des situations politiques qui changent à chaque période, en se basant sur la portée du premier chapitre. Dans notre tentative

d'expliciter la traduction des dimensions de la dialectique *du moi et de l'autre* ensemencée dans les strates de ces romans avec leurs particularités et leurs références et suite à l'analyse – dans le chapitre pratique – de la (les) traduction(s) arabes de ces extraits narratifs choisis, à travers une critique qui en dévoile la stratégie de transfert adoptée, le processus d'analyse et de critique a abouti aux résultats suivants :

- Les manifestations *du moi et de l'autre* dans le roman algérien de la période coloniale ont révélé l'existence d'un *moi algérien* ayant ses particularités et ses références dans le discours romanesque algérien; qui s'oppose à l'*autre français* qui représente *le colonisateur* menant la guerre contre lui, lui causant maux, affres et tristesse, ce qui le conduit à un affront indéniable et par tous les moyens afin de se défendre, et de préserver ses constantes identitaires.

- En ce qui concerne notre analyse du terme *postcolonialisme* tel qu'il fut établi et mis au point par Douglas ROBINSON, l'étude a été menée sur deux définitions : *l'étude des colonies européennes précédentes depuis la date de leur colonisation* c'est-à-dire l'époque coloniale pendant laquelle le roman algérien a été écrit en langue française jusqu'à l'indépendance et *les études de la postindépendance* au sein de laquelle se situent les traductions arabes du roman algérien d'expression française parues dans la période postcoloniale.

- La dialectique *du moi et de l'autre* apparaît dans le processus d'écriture de la langue de l'*autre* au sein des romans algériens de langue française de la période coloniale, en esquissant *les moi des sujets écrivant algériens* objets d'identification avec leurs personnages romanesques, tout en suggérant la dialectique de l'écriture dans la langue de l'*autre* (le français) dans sa quintessence même.

- Le roman algérien d'expression française de la période coloniale était le théâtre de confrontation, de résistance face à l'*autre*, c'est-à-dire le Français, en s'armant de sa langue, de façon à ce que l'étrangéisation en tant que stratégie a fait perdre aux francophones leur propre voie linguistique, marquant le français d'étrangeté, usant d'un français hybride, attestant ainsi de leur opposition à la France coloniale (un défi moyennant l'étrangéisation selon NIRANJANA). Il s'agit de l'un des aspects de résistance en usant de la langue de l'*autre* qui devient par la force des choses un moyen de *se libérer soi-même*.

- Les *sujets écrivant algériens* ont emprunté des mots et expressions inspirées du dialecte local algérien à la langue d'expression française et les ont transcrit en latin (telles que les techniques de romanisation, d'emprunt, de

translittération, qui vont en synchrone avec le processus d'écriture en français). Les *sujets écrivant* ont eu recours aux parenthèses, au renvoi en bas de page afin de traduire leur signification en français, créant ainsi dans le roman une sorte de *double écriture*, tout en transformant la langue de l'*autre* en une sorte de *Soi-même*, réalisant ainsi un des principes institués par Gayatri Chakravorty SPIVAK. En conséquence, l'acte de traduire est allé en synchrone avec celui d'écrire, comme s'il s'agissait d'un sujet romanesque écrit en langue arabe ensemencé de mots français, ce qui a eu un impact positif sur la traduction arabe et a facilité la mission de transfert menée par les *sujets (traduisant) traducteurs*.

- Le processus d'écriture en langue française ressemble à celui de la traduction pour ces écrivains algériens, les *sujets écrivant algériens* revêtent le rôle de *sujets (traduisant) traducteurs* (ils obligent en quelque sorte l'*autre* langue à subir une déportation vers leur langue maternelle) qui fera face à un texte étranger *autre*, ce qui l'incite à défendre son verbe (évitant l'abus d'usage du français à savoir la surfrancisation), et à s'ouvrir sur l'élément étranger (à savoir l'arabe standard et le dialecte local algérien).

- Dans l'optique des théories postcoloniales de la traduction (et postmodernes), le roman algérien d'expression française de la période coloniale a réussi, selon l'avis de Samia MEHREZ, à créer une nouvelle langue qui défie le concept du *sujet écrit en français langue étrangère*. Il s'agit d'un *sujet romanesque hybride, métissé* à cause des strates linguistiques, culturelles et les implications qui y sont ancrées et qui créent une langue qui se situe dans un *entre-deux*, c'est-à-dire la langue maternelle (l'arabe) et la langue d'expression (le français). C'est alors qu'intervient la traduction, dans un second voyage de retour aux sources afin d'y occuper un espace intermédiaire entre ces deux langues.

- Étant donné que le concept d'espace intermédiaire repose sur l'hybridation, le texte romanesque algérien d'expression française devient hybride voire métissé, son français n'est pas une langue pure plutôt un métissage, ce genre d'écriture se positionne dans l'espace intermédiaire hybride dont disposent ces langues, dialectes et cultures locales en d'autres termes ce que Homi K. BHABHA appelle *tiers espace*.

- En se fondant sur leur projet de traduction postcoloniale, les *sujets (traduisant) traducteurs*, dans leur transfert de la dialectique *du moi et de l'autre* ancrée dans les strates du roman algérien d'expression française de la période coloniale, en arabe, se départagent en deux équipes : Un groupe qui inclut des *sujets traducteurs orientaux* (les deux traducteurs syriens : Dr. Sami AL-DROUBI et Dr. Thouqan QARQOUT. Par ailleurs, une autre traduction d'Ahmad

NADHIR N'SHOUQI est mentionnée), donnant lieu à des extraits narratifs en arabe standard, allant avec leur projet de traduction en faveur du nationalisme arabe, visant à faire connaître la révolution algérienne. Un deuxième groupe incluant des *sujets traducteurs algériens* (les traducteurs algériens : Dr. Moradj AGHA, Dr. Zidane KHOULIF, Ahmed Ben Mohamed BAKELLI, Pr. Saïd BOUTADJINE et Dr. Hanafi BENAÏSSA), ayant eu recours – à différents degrés – à l'usage du dialecte local algérien dans certaines de leurs traductions, donnant lieu à des extraits narratifs à couleur locale purement algérien.

Le suivi de la dialectique *du moi et de l'autre* dans le transfert du roman algérien d'expression française de la période coloniale a abouti à son ancrage dans le processus des *sujets traductifs* (*sujet écrivain, sujet écrit, sujet traduisant, sujet lecteur*) à proprement parler, ainsi que tout ce qu'ont accompagné les effets du projet de traduction postcoloniale, à savoir ses dimensions et ses enjeux, tels que le démontrent les présentes conclusions :

- *Les sujets traducteurs algériens* – en leur qualité de *sujets lecteurs* par excellence – ont investi dans les séquelles laissées par le plurilinguisme lors de l'écriture en français (c'est-à-dire les expressions ayant fait l'objet de translittération et de romanisation), que les *sujets écrivain algériens* ont invoqué dans la langue de *l'autre* au sein de leurs romans. C'est la raison pour laquelle le processus de traduction devient *sui generis*. La langue arabe s'est vue réapproprier ce qu'on lui a emprunté la toute première fois. La mission des *sujets traducteurs algériens* a donc été facilitée et leur a permis de distinguer les grands traits de l'œuvre romanesque source et de puiser dans ses strates tel que SPIVAK l'a exprimé, puis concrétiser les manifestations *du moi et de l'autre*, leurs dimensions ancrées au plus profond du roman algérien d'expression française de la période coloniale.

- *Les sujets traducteurs algériens* (comme *sujets traduisant*) ont pu transmettre le même *illusio* que les *sujets écrivain algériens* ont introduit dans leurs *sujets écrits 'source'*, prenant ainsi part à la dialectique *du moi et de l'autre* qui y est incrustée avec toutes les dimensions et les références qu'elle implique, tout comme le même *intérêt* et la même *croyance*, en usant de la même cadence et du même impact, comme si un pacte avait été scellé entre eux (c'est-à-dire entre *les sujets écrivain* et *les sujets traducteurs algériens*).

- En se basant sur les unités de sens explicites et implicites, l'intervention directe du *moi* des *sujets traducteurs algériens* dans le processus de transfert représente une facette de la stratégie de traduction postcoloniale, générée par les

habitus des *sujets traducteurs algériens*, représentée par le mode de leurs prédispositions, leurs ayant permis d'ajouter des expressions explicitant certains vocables, phrases, formules locales, occurrences et passages traduits en arabe, en dévoilant les secrets du texte source et ses abysses; en tentant d'aider le *sujet lecteur* à comprendre et lui faire ressentir ce conflit dialectique que le *moi algérien* a vécu avec toutes les dimensions, les références, les particularités qu'il implique pour faire face à l'*autre français*.

- Les *sujets traducteurs algériens* se sont identifiés voire soumis aux *sujets écrivant* 'dans leurs *sujets romanesques écrits*' tels que SPIVAK l'a explicité, ce qui s'est reflété sur la souplesse de la traduction arabe ainsi que sa justesse. A cet effet, le processus de traduction arabe a mis à jour les *habitus* des *sujets écrivant*, les *habitus des agents de traduction* et les *habitus des sujets lecteurs*, en accueillant les *sujets romanesques traduits* (transférés) dans le champ romanesque algérien cible, concrétisant ainsi les dimensions de la dialectique *du moi et de l'autre*, outre ses manifestations dans les différents extraits narratifs avec le même effet et le même rythme.

- Le processus du retour du roman algérien vers ses sources a emprunté un chemin spatial à trois dimensions, comme s'il s'agissait d'une traduction de traduction pour traduction, une retraduction, une traduction rapatriante (en empruntant l'expression d'Antoine BERMAN), ou un dépaysement qui rapatrie (empruntant l'expression de Jean BEAUFRET et avant BERMAN). Il dépeint le spectacle du retour du migrant à sa patrie d'origine, avec tous les enjeux que pourra encourir ce rapatriement. C'est ainsi que le processus du retour sera similaire au mouvement de la *bildung*, dans son essence qui se fonde sur l'expérimentation, tel qu'Antoine BERMAN l'a exprimé, lorsque le va-et-vient entre le *moi* et l'*autre* se fait dans un mouvement d'alternance (aller-retour). Alors, le texte romanesque algérien assure *son retour à sa source* (selon Amar BELLAHCENE). Le *grand tour* est ainsi réalisé (selon Friedrich SCHLEGEL) et l'on pourra le qualifier de retour aux sources à savoir un *retour mythique* (selon Tayeb BOUDERBALA).

Même si certains romans de la période coloniale n'ont pas encore été traduits en langue arabe, d'autres romans nécessitent une retraduction. Se basant sur cette assertion, la présente étude trace une feuille de route pour de futurs projets de traduction qui peuvent projeter de retraduire de vieux romans, allant avec l'époque postcoloniale de l'élaboration du projet de retraduction, œuvrant pour la concrétisation des dimensions du *moi* et de l'*autre*, avec le même effet et impact.

Étant donné que SPIVAK se réfère dans sa théorie postcoloniale au genre féminin, la présente étude appelle à puiser dans les réflexions de SPIVAK dans la traduction des œuvres d'Assia DJEBAR et de Djamila DEBECHE en langue arabe. De ce point de vue féminin postcolonial, la question qui se pose est la possibilité que les *sujets traduisant féminins* (traductrices arabes) prennent en charge le transfert du roman algérien d'expression française de la période coloniale en langue arabe. L'approche intitulée : *Dialectique du moi et de l'autre dans le processus de la traduction romanesque : vers une approche de la traduction du roman algérien d'expression française en langue arabe et la critique de ses traductions*, telle qu'elle fut traitée dans le troisième volet du troisième chapitre de cette étude pratique, instaure des perspectives pour l'étude des traductions arabes d'autres romans algériens de la période coloniale, toujours dans le contexte de théories postcoloniales de la traduction et de leurs perspectives.

Mots clés : Dialectique du Moi et de l'Autre, Roman Algérien d'Expression Française, Période Coloniale, Écrire dans la Langue de l'Autre, Double Écriture, Hybridité, Traduction Romanesque, Théories Postcoloniales de la Traduction, Sujets Traductifs, l'Espace Entre-deux, le Tiers-espace, Langue Arabe, Retour Mythique, Habitus, Illusio.

**The Dialectic of the Self-Same and the Other
In Translating the Algerian Novel of the Colonial Period
– Practical Study –**

The dialectic of the *Self-Same* and the *Other* emerged in the context of the colonial period in Algeria, in the Algerian novel written in French from 1920 to 1962. In other words, from the appearance of the first Algerian novel written in French to the independence of Algeria, thanks to Algerian writers. Examples include Caïd BEN CHERIF, Mohammed OULD CHEIKH AGHA, Aly HAMMAMY, Malek BENNABI, Mouloud FERAOUN, Mouloud MAMMERI, Mohammed DIB, Yacine KATEB, Assia DJEBAR, Malek HADDAD. These writers from the colonial period defended the identity of the Algerian people and expressed their being and their adherence to their mother tongue and the teachings of their religion, as well as preserving their customs and cultural foundations. In addition, they used French to pen the issues of colonialism and its repercussions, so their novelistic works were a form of struggle.

What draws attention in the process of tracing the track of the dialectic of the *Self-Same* and the *Other* in the emergence and development of the Algerian novel written in French is the shifts in the gist of the novelistic discourse and its content, which is basically dependent on the political conditions witnessed by the colonial period. This dependence is compatible with the situation that characterizes each stage in which the novel was written. Nevertheless, the Algerian revolution was a decisive turning point, a fertile field, and a fountainhead bursting with many novelistic works, whose narrative content embodied the dialectic of the relationship between the *Algerian occupied Self-Same* and the *French occupying Other* and the dimensions and consequences that typify this relationship.

In the process of bridging the translation gap between the *Self-Same* and the *Other* and dispelling the distance between them, several translational questions of a purely philosophical dimension are raised. Most of them shed light on the difficulty in interpreting texts and deciphering their content and dialectics, tracking the dialectical path of the *Self-Same* and the *Other* in the course of the

translative act. This dialectic stems from the transition between the original and the translated texts and delves into the decisions accompanying the act of translating that translators are guided by before and during translation.

From this perspective, the dialectic of the *Self-Same* and the *Other* is philosophical that the present study draws into the field of novelistic translation to reveal the secret of translating the Algerian novel written in French into Arabic and the nature of the translated text according to postcolonial translation approaches, theories, and strategies. It is a process that unfolds in a space that belongs neither to the source nor to the target. This space, for the return of the dialectic of the *Self-Same* and the *Other* in the Algerian novel written in French during the colonial period and translated into Arabic, is the focus of our practical study from this postcolonial perspective.

The dialectic of the *Self-Same* and the *Other* is the core of this study, which combines philosophy (in the dialectical part), history (embedded in the Algerian novelistic discourse in French during the colonial period), and novelistic translation (the process of translating from French into Arabic). It is articulated around three axes:

- The dialectic of the *Self-Same* and the *Other* embodied in the Algerian novel written in French during the colonial period: in terms of the images, dimensions, specificities and references that this dialectic adopted in the Algerian novelistic discourse written in French.
- The dialectic of the *Self-Same* and the *Other* in the course of writing in the language of the *Other*: the *I* of the Algerian writer who writes his/her novels in the language of the French *Other*.
- The dialectic of the *Self-Same* and the *Other* in the balance of translation practice from a postcolonial perspective: in the course of the translative subjects (the writing subject, the written subject, the translating subject, and the reader subject) and the effects of the postcolonial translation project.

Based on these translational data, this study aims to highlight the manifestations of the dialectic of the *Self-Same* and the *Other* in the Arabic translation of the Algerian novel written in French during the colonial period. Moreover, it examines how the Arabic translation demonstrates the dimensions of the dialectic of the *Self-Same* and the *Other*, which are embodied in this novel, and how the translators (into Arabic) deal with a novelistic text written (in French) during the colonial period, whose translations (in Arabic) were manifested in the

postcolonial era. To address the problem raised, the study is divided into four chapters according to its elements: the first three are theoretical, and the fourth is practical, in addition to a general introduction and a general conclusion.

The first chapter highlights the dialectic of the *Self-Same* and the *Other* in the Algerian novel written in French during the colonial period. Its three sections explain the dialectical terms of the *Self-Same* and the *Other* and read concepts emanating from them based on philosophical, literary and translational definitions. It also situates the *Self-Same* and the *Other* dialectic from philosophical, novelistic and translational perspectives. Furthermore, it addresses the dialectic of the *Self-Same* and the *Other* in the discourse of the Algerian novel written in French during the colonial period. The novels published between 1920 and 1962 were periodized, considering the chronological order in which these novels were written, according to the path of the dialectic of the *Self-Same* and the *Other* in the transformations of the novelistic discourse that characterizes each stage. The aim is to retrace the path of the dialectic of the *Self-Same* and the *Other* in the appearance and development of the Algerian novel written in French.

The second chapter introduces the dialectic of the *Self-Same* and the *Other* in the light of translation and its theories. Its sections trace the dialectic of the *Self-Same* and the *Other* in the course of the theoretical establishment of translatology from a philosophical perspective, then the dialectic of the *Self-Same* and the *Other* in the balance of novelistic translation and its theories:

- From the perspective of the interpretive theory of translation.
- In the balance of translation from a sociological perspective (by adopting sociological terminology used by Pierre BOURDIEU: *field*, *habitus*, *illusio* and *symbolic capital*).
- The dialectic of the *Self-Same* and the *Other* in the balance of Antoine BERMAN's translation theory (according to the features of his perception of translation as well as his approach to translation criticism).

Besides, this chapter also sheds light on the dialectic of the *Self-Same* and the *Other* in the context of postcolonial translation theories of Tejaswini NIRANJANA, Gayatri Chakravorty SPIVAK, and Samia MEHREZ. It invests these theories in the translation into Arabic of Algerian novels written in French and published during the colonial period.

The third chapter puts the dialectic of the *Self-Same* and the *Other* in the balance of translative practice and its strategies by following the course of *the translative subjects* (*the writing subject, the written subject, the translating subject, and the reader subject*). Moreover, it assesses its weight in the balance of translation dichotomies (formal and dynamic equivalence, domestication and foreignization, sourcerers vs. targeteers, explicit vs. implicit, translation and retranslation). This chapter concludes with a study of the dialectic of the *Self-Same* and the *Other* in the course of novelistic translation through an approach to the translation of the Algerian novel written in French into Arabic and the criticism of its translations based on what was previously explained in the three theoretical chapters.

The fourth chapter is purely practical: it applies what was previously presented in the three theoretical chapters. It studies the dialectic of the *Self-Same* and the *Other* in translating the Algerian novel into Arabic, highlighting the novels written during the colonial period. It is also devoted to presenting the corpus of the practical study and sketching the methodology of the analytical and critical approaches by dealing with seven novels written between 1936 and 1961 according to the chronological order of both the dates of publication of these novels (in French) and their translations (into Arabic) as follows: *Myriem Among the Palm Trees* by Mohammed OULD CHEIKH AGHA (1936), translated by Dr. Moradj AGHA. *Labbayk: Pilgrimage of the Poor* by Malek BENNABI (1947), translated by Dr. Zidane KHOULIF. Mohammed DIB's novels "*The Algerian Trilogy*": *The Big House* (1952), *The Fire* (1954), and *The Loom* (1957), translated by two translators: Dr. Sami AL-DROUBI and Ahmed Ben Mohamed BAKELLI. *The Last Impression* by Malek HADDAD (1958), translated by Prof. Saïd BOUTADJINE. *The Quay with/of Flowers No Longer Responds* by Malek HADDAD (1961), based on its three translations by: Dr. Hanafi BENAÏSSA, Dr. Thouqan QARQOUT, and Ahmad NADHIR N'SHOUQI.

The novelistic models vary in accordance with the course of the dialectic of the *Self-Same* and the *Other* in the transformations of the novelistic discourse that characterizes each stage as well as the dimensions that the dialectic of the *Self-Same* and the *Other* adopted in line with the changing political conditions in each era. This is based on what is discussed in the sections of the first chapter. In the process of highlighting the translation of the dialectical dimensions of the *Self-Same* and the *Other*, which are embodied in the novelistic texts with their specificities and references, this practical chapter analyzes and criticizes the

Arabic translation – or translations – of these selected narrative passages and reveals the adopted translation strategy. The two processes of analysis and criticism yielded the following results:

- The manifestations of the dialectic of the *Self-Same* and the *Other* in the Algerian novel written during the colonial period resulted in the presence of the *Algerian Self-Same* with its dimensions, specificities and references in the Algerian novelistic discourse. Moreover, the *French Other* took the image of the colonizer who waged wars against the *Self-Same* and caused its pain, suffering, and grief. This made the *Self-Same* confront it in various ways to defend itself and preserve its identity's foundations.

- The study combines, in its adoption of the term *Postcolonial* based on the conceptual foundation that Douglas ROBINSON had coined, the two definitions of:

- ✓ *The study of Europe's former colonies since they were colonized*, i.e., the colonial period during which the Algerian novel was written in French until independence.
- ✓ *Post-independence' studies*, where the Arabic translations of the Algerian novel written in French, manifested in the postcolonial period, are located.

- The dialectic of the *Self-Same* and the *Other* in the course of writing in the language of the *Other* is manifested in many passages in the Algerian novels written in French during the colonial period. It sketches images of the *Self-Same*, namely the identified *Algerian writing subjects* and their novelistic characters, and presents the dialectic of writing in the language of the *Other* (i.e., French).

- The Algerian novel, written in French during the colonial period, is an arena in which confrontation and resistance to the French (the *Other*) emerged in its language. The adopted foreignizing strategy made French speakers lose their way in their language, characterizing the French language as strange by using hybrid French. Thus, it demonstrates its opposition to colonial French (according to NIRANJANA, a challenge comes from estrange), which is a form of resistance using *the language of the Other*, and thus a means of *self-liberation*.

- *The Algerian writing subjects* borrowed Arabic words and phrases, inspired by the local Algerian dialect, into French and marked them with Latin letters (one of the techniques of Romanization, borrowing, or transliteration, accompanying the writing process in French). *The writing subjects* used parentheses and the

margin (footnote) to translate their connotations into French, thus creating a type of *double-writing* in their novels, transforming the language of the *Other* into something like the *Self* and thus achieving one of the principles coined by Gayatri Chakravorty SPIVAK. On this basis, the act of translating is accompanied by the act of writing, as if it were a novelistic subject written in Arabic and interspersed with French words. It reflects positively on the Arabic translation and facilitates the transfer task undertaken by *the translating subjects*.

- The process of writing in the French language for Algerian writers is too similar to that of the translation, in which *the Algerian writing subjects* play the role of *the translating subjects* (they force the other language to be transported into their mother tongue) who confront with an *Other* foreign text, so they defend their language (by avoiding overusing French “overfrancization”) and open it to the foreign element (i.e., Arabic and the local Algerian dialect).

- From postcolonial translation theories, the Algerian novel written in French during the colonial period succeeded, according to Samia MEHREZ, in formulating a new language that challenges the concept of the written subject in foreign French. It is a *hybrid written subject* because it embodies the culturo-linguistic layering. It creates an *in-between* language. That is to say, between the original (Arabic) and the language of the novel (French), where the translation comes. On its second journey, i.e., its return to the original, translation occupies a *space-in-between* them.

- Since the concept of the *space in-between* is based on *hybridization*, the Algerian novelistic text written in French is *hybrid* because its French is not purely French but *hybridized*. This form of writing is located in the *hybrid space in-between* that these local languages, dialects and cultures entail, or what Homi K. BHABHA calls the *Third Space*.

- Based on its postcolonial translation project, *the translating subjects* were divided into two groups in their transmission – into Arabic – of the dialectic of the *Self-Same* and the *Other*, which is embedded in the Algerian novel written in French during the colonial period. A group includes *Levantine translating subjects* (two Syrian translators: Dr. Sami AL-DROUBI and Dr. Thouqan QARQOUT. Moreover, another translation by Ahmad NADHIR N'SHOUQI is mentioned). This group transmits the narrative passages in fluent Arabic in line with its translation project, which has an Arab nationalist tendency that aims at introducing the Algerian revolution. The second group includes *Algerian translating subjects* (Algerian translators: Dr. Moradj AGHA, Dr. Zidane KHOULIF, Ahmed Ben Mohamed BAKELLI, Prof. Saïd BOUTADJINE, and

Dr. Hanafi BENAÏSSA) used, to varying degrees, the local Algerian dialect in different passages in their translations. They give their translated narrative passages a purely local Algerian character.

Tracing the dialectic of the *Self-Same* and the *Other* in the transfer of the Algerian novel, written in French during the colonial period, into Arabic resulted in its rooting in the path of *translative subjects* themselves (*the writing subject, the written subject, the translating subject, and the reader subject*). The dimensions and repercussions associated with the effects of the postcolonial translation project are highlighted by the following conclusions:

- *The Algerian translating subjects* – in their capacity as *reader subjects* par excellence – invested the traces left by plurilingualism in the process of writing in French (that is, those Romanized or transliterated phrases) that *the Algerian writing subjects* adopted in the language of the *Other* into their novels and thus made the process of translation *sui generis*, in which Arabic brought back what was transferred to it in the first time. It facilitated the task of *the Algerian translating subjects* and enabled them to discriminate on the terrain of the original novelistic work and investigate its gist (as SPIVAK said). Therefore, they embodied the manifestations of the *Self-Same* and the *Other* and their dimensions, which are embedded in the Algerian novel written in French during the colonial period.

- *The Algerian translating subjects* were able to transfer the same *illusio* that *the Algerian writing subjects* introduced into their source written novelistic subjects, thus taking part in the dialectic of the *Self-Same* and the *Other*, which is embedded in therein with all the dimensions, references and specificities it implies, through the same *interest* and the same *belief*, using the same cadence and the same impact, as if a pact had been sealed between them in advance (that is to say, between *the Algerian writing* and *translating subjects*).

- Based on the explicit and implicit units of meaning, the direct intervention of *the Algerian translating subjects* in the translative process represents a facet of the postcolonial translation strategy generated by the *habitus* of *the Algerian translating subjects*, represented their predispositions, having allowed them to add explanatory phrases to some words, expressions, local formulas, sentences and paragraphs translated into Arabic, by revealing the secrets of the source text and its abysses; by trying to help *the reader subjects* to understand and make them feel the dialectical struggle that *the Algerian Self-Same* has experienced with all

the dimensions, specificities and references that it implies to face *the French Other*.

- *The Algerian translating subjects* identified with or even surrendered to *the writing subjects* 'in their written novelistic subjects' (according to SPIVAK's expression), which was reflected through the flexibility and accuracy of the Arabic translation. In this regard, the Arabic translation process has updated the *habitus of writing subjects*, the *habitus of the translation agents*, and the *habitus of reader subjects* by receiving *the translated (transferred) novelistic subjects* into the target Algerian novelistic field, thus concretizing the dimensions of the dialectic of the *Self-Same* and the *Other*, in addition to its embedded manifestations in different narrative passages, with the same effect and the same rhythm.

- The process of the return of the Algerian novel to its sources has paved a three-dimensional space path as if it were a translation of translation for translation, a retranslation, a repatriating translation (borrowing Bermanian's expression), or an exile that repatriates (borrowing the expression of Jean BEAUFRET as borrowed by Antoine BERMAN). It depicted the spectacle of the repatriation of the migrant (or expatriate) to his/her motherland, with all the repercussions and challenges that this repatriation may incur. On this basis, the path of its return is similar to the *Bildung* movement by virtue of its essence, which is based on experience. As Antoine BERMAN stated, the back-and-forth movement between the *Self-Same* and the *Other* is done in a permanent alternation (comings and goings). Therefore, the Algerian novelistic text ensures its return to its source (according to Amar BELLAHCENE), and the Schlegelian adventure of the *Grand Tour* (mentioned by Friedrich SCHLEGEL) is thus achieved. We can qualify its return as a return to the sources, namely a mythical return (according to Tayeb BOUDERBALA).

Although some novels from the colonial period have not yet been translated into Arabic, others need to be retranslated. Based on this assertion, the present study sketches a roadmap for new translation projects that may establish the retranslation of long-lived novels in accordance with the postcolonial period in which the retranslation project is being carried out. The aim is to fulfill the dimensions of the dialectic of the *Self-Same* and the *Other* with the same effect and impact.

Since SPIVAK refers in her postcolonial theory to the female gender, the present study paves the way for drawing on SPIVAK's reflections in the field of

translating novels by Assia DJEBAR and Djamila DEBECHE into Arabic. From this postcolonial feminist perspective, the question that arises is the possibility that *the female translating subjects* (Arab ‘women’ translators) will translate the Algerian novel, written in French during the colonial period, into Arabic. The approach entitled *The dialectic of the Self-Same and the Other in the course of novelistic translation: Towards an approach to translating the Algerian novel written in French into Arabic and the criticism of its translations* (discussed in the third section of the third chapter of this practical study) establishes prospects for studying Arabic translations of other colonial period Algerian novels, always within the context of postcolonial translation theories and their perspectives.

Keywords: The Dialectic of the Self-Same and the Other, the Algerian Novel Written in French, Colonial Period, Writing in the Language of the Other, Double-writing, Hybridity, Novelistic Translation, Postcolonial Translation Theories, Translative Subjects, Third Space, the Space In-Between, Arabic Language, Mythical Return, Habitus, Illusio.